مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨ م

الرحالة آلويس موزيل

الدكتور محمد كامل عياد

بين الرحـالـة الغربيين الـذين تجـولـوا في جـزيرة العرب ودوّنـوا مشـاهـداتهم، يستحق المستشرق التشيكي الأستـاذ (آلويس موزيـل Alois Musil) اهتماماً خـاصاً . فقـد قـام برحـلات علميـة عـديـدة الى مختلف الصحـاري والبـوادي والـواحـات في القسم الشمالي من جـزيرة العرب ، ووضـع خـارطـة شـاملـة لهذا القسم يمكن أن تفيـد كثيراً في الـدراسـات التاريخية .

كانت الرحلـة الأولى بين سنتي ١٨٩٦ و ١٩٠٢ م ، إذ نـال الأستـاذ (موزيل) منحـة من مجمع العلوم والفنون التشيكي للتنقيب في (العربيـة الحجرية) أي البتراء وأطراف الحجاز الشمالية . وقـد أعلن (موزيل) في تقرير قدمه الى المجمع العلمي في (فيينا) سنة ١٩٠٢ م أنه قـد كشف عن (قصير عمرة) وغيره من القصور في الشرق من (مواب) .

ولـما نشر المجمـع العلمي النمسـوي في سنـة ١٩٠٧ م مجلـدين ، يتضمن أحدهما تنقيبات (موزيل) في (قصير عمرة) ، والثـاني مخططـات القصر وصور جدرانه وزخارفه التي اشترك فنـانون اختصـاصيون مع (موزيل) في استنسـاخهـا وإعـادة تكـوينهـا ، احتـدمت المنـاقشـات حـول البنـاء

● وجدت هذه المقالة في مسودات الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، أسبغ الله عليه رحمته ورضوانه .

وأصحابه ، ثم اتسعت هذه البحوث الأثرية فشملت قصر (المشتى) الذي كان قد عثر عليه من قبل ، وقصر (الطوبي) الذي كشف عنه (موزيل) أيضاً مع (قصير عمرة) ، وتضاربت النظريات حول مبادىء الفن الإسلامي حتى انتهى الأمر أخيراً الى إثبات ان هذه القصور وأمثالها في البادية كانت من العهد الأموي .

إن نجاح (موزيل) في رحلته الأولى قد أثار لديه الرغبة في متابعة تنقيباته وبحوثه ، فرحل في سنتي ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ الى (العربية الصحراوية) أي الحماد والأراضي الواقعة بين (الجوف) جنوباً و (الميادين) على الفرات شمالاً . ثم تجوّل في سنة ١٩١٠ م في شمالي الحجاز ، وانتقل في سنة ١٩١٢ م الى بادية (تدمر) ، ثم في سنتي ١٩١٤ ـ ١٩١٥ م الى صحراء (النفود) و (الدهنا) .

كان الأستاذ (موزيل) يحسن التحدث بلهجة البدو ويعرف الكثير من أحوالهم وقد استطاع أن يعيش ويتنقل معهم كأنه واحد منهم فتوثقت أواصر الصداقة بينه وبين بعض شيوخ القبائل وفي مقدمتهم (نوري الشعلان) أمير قبائل (الرولا) الذي توسط (موزيل) لدى الحكومة العثمانية للافراج عنه من الاعتقال . وقد تآخى (نوري الشعلان) مع (موزيل) ، واعتبره من أفراد عشيرته فصار يعرف بين البدو باسم (الشيخ موسى الرويلي) .

كذلك حظي الاستاذ (موزيل) بكثير من المساعدات من الحكومتين النمساوية والتركية ، ثم من قيادة الجيش الألماني ، وتمكن بفضل ذلك من دراسة شؤون القبائل والأحوال الطبيعية في القسم الشمالي من جزيرة العرب ، وتصوير الأماكن التي زارها ورسم خرائط دقيقة

لها . وبالإضافة الى المجلدين عن (قصير عمرة) نشر له المجمع العلمي في (فيينا) سنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ كتاباً باللغة الألمانية عن رحلته الى « العربية الحجرية » في ثلاثة أجزاء : الأول عن بلاد (مواب) ، والثاني عن بلاد (أدوم) ، ويتضمن الثالث تقريراً أثنوغرافياً عن هذه الرحلة ، كما نشر له في سنة ١٩١١ تقريراً أولياً عن رحلته إلى شمالي بلاد الحجاز .

I) Alois Musil , Arabia Petràea . 3 vls.

vol. 1 : Moab; vol. 2: Edom ; vol. 3: Qthnologixher Reisebericht. Wien 1907 - 1908

II) Alois Musil , Im nördlichen Ḥeǵâz.

Vorbericht über die Forschungsreise 1910. Wien 1911

ثم بعد الحرب العالمية الاولى تم الاتفاق بين المجمع العلمي التشيكوسلوفاكي وبين الجمعية الجغرافية الاميريكية على أن تتولى هذه الأخيرة نشر نتائج رحلات الأستاذ (موزيل) التي قام بها بين سنة ١٩٠٨ و سنة ١٩١٥ ، فصدرت بين سنتي ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨ ، ضمن « سلسلة الاكتشافات والدراسات الشرقية » التي تنشرها تلك الجمعية ، ستة مجلدات باللغة الانكليزية ، مطبوعة طبعاً جميلاً ومزينة بالصور والرسوم والمخططات ، مشفوع كل منها بعدة خرائط . وهذه المجلدات تتضمن رحلات الاستاذ (موزيل) حسبما يأتي : ١) شمالي الحجاز ؛ ٢) العربية الصحراوية (بادية الشام) ؛ ٣) الفرات الأوسط ؛ ٤) بادية (تدمر) ؛ ٥) شمالي نجد ؛ ٦) تقاليد وعادات عرب (الرولا) .

Alois Musil; 1) The Nothern Ḥeǵây; 2) Arabia Deserta; 3) The Niddle Guphrates; 4) Palmyrena; 5) The Northern Nêĝd; 6) The Manners and Customs of the rvala Bedouins.

في المجلد السادس دراسة شاملة ، دقيقة للقبائل العربية في بادية الشام وصف فيها (موزيل) حياة البدو من كل الجوانب ، فذكر مراسيم الزواج وأساليب تربية الأطفال وترويض الخيل وأنواع الأزياء والأسلحة والأغذية وتجهيز الخيام وقواعد الضيافة وأصول المحاكمة وعادة الثأر وأنظمة الحرب والسلم ، كما تعرض الى عقائد هؤلاء البدو والخرافات الشائعة بينهم وترجم كثيراً من أناشيدهم وأشعارهم .

أما في المجلدات الأخرى فقد أجاد الاستاذ (موزيل) في وصف المناطق التي زارها وصفاً علمياً ، دقيقاً من وجهة طبقات الأرض والموقع الجغرافي والتكوين الطوبوغرافي ، فتكلم بإسهاب على الجبال والتلول والأودية والشعاب والآبار والغدران والسبخات والبراكين والضلوع المكونة من الحمم ، كما كان يتوسع في وصف الواحات والقرى والمدن الأثرية والطرق ، ويرفق ذلك بصور شمسية ورسوم توضيحية . ثم كان يحرص على ضبط أسماء الأماكن المختلفة وتحديد مواقعها والتحقيق في أصولها . وقد استعان بفنيين اختصاصيين من المعهد الجغرافي العسكري في (فيينا) كانوا يرافقونه لقياس الأبعاد والمسافات ، ولرسم خرائط مفصلة لكل المناطق التي زارها ، أشار فيها الى مراحل رحلاته والأماكن التي مر بها .

على أن الاستاذ (موزيل) لم يكن يريد زيارة هذه الأماكن لمجرد أغراض جغرافية ـ طوبوغرافية ، بل لأهداف تاريخية في الدرجة الاولى ، إنه كان يسعى الى معرفة نشأة القرى والمدن والحصون والطرق التي كانت مسرحاً لأحداث الماضي وما طرأ عليها من تطورات في مختلف العصور . فكان كلما اجتاز مكاناً يشير في الهامش الى مايذكره عنه الرحالة أو الجغرافيون أو المؤرخون منذ القديم .

كذلك كان الاستاذ (موزيل) يحاول أحياناً أن يعرف شيئاً عن الأوضاع السياسية والعلاقات بين القبائل البدوية . وهو يروي في الصفحة الاولى من كتابه عن (شمالي الحجاز) أنه تلقى في آذار سنة ١٩١٠ دعوة الى استانبول حيث جرت مفاوضات بينه وبين الحكومة التركية وادارة الصحة العامة حول رحلته الاستكشافية المنتظرة الى تلك البلاد . فقد كان المسؤولون عن ادارة الصحة العامة يرغبون في الكشف عن الطرق التي كان يسلكها الحجاج للتهرب من المرور بمركز الحجر الصحي في (تبوك) ، ويريدون أن يدرسوا هل من الممكن تحويل هذا المركز الى مكان آخر أفضل ، وأن يعرفوا ماهي الوسائل اللازمة لفرض الرقابة الصحية .. ثم إن وزير الداخلية التركي اذ ذاك ، وهو (طلعت باشا) المشهور ، طلب من الاستاذ (موزيل) الاطلاع على مواقف رؤساء القبائل وآرائهم السياسية ودراسة الأماكن الصالحة لاسكان البدو وتحضيرهم . وقد وعد الوزير بتقديم كل المساعدات قائلاً إنه سوف يرسل تعليماته الخاصة الى والي دمشق في ذلك الوقت اسماعيل فاضل باشا . على أن الاستاذ (موزيل) لم يتمكن من الاجتماع بالوالي الذي كان غائباً عن دمشق في جولة تفتيشية ، وصرح وكيلُه بأنه لا يعلم شيئاً عن تعليمات الوزير الخاصة ، وأنه في استطاعة (موزيل) أن يسافر الى الحجاز ولكن بالسكة الحديدية فقط . وقد ركب (موزيل) القطار مع مساعديه الفنيين النساويين حتى (معان) . وهناك تولى بنفسه تنظيم رحلته على الإبل بالاستناد الى أصدقائه من زعماء البدو مثل (عودة أبو تايه) رئيس قبيلة (الحويطات) . وكان أقصى ما يتمناه ألا يتدخل موظفو الحكومة التركية في شؤونه لمعرفته بأن سلطتهم لم تكن تتعدى مسافة قصيرة من سكة الحديد ...

لقد عني الاستاذ (موزيل) ببعض الموضوعات الهامة فتعمق في دراستها ودوّن أبحاثه المتعلقة بها في ملاحق خاصة وضع عدداً منها في آخر كل مجلد : إن المعلومات والملاحظات والاجتهادات التي وردت في هذه الملاحق لا تخلو أحياناً من بعض الأغلاط والملابسات وهي تحتاج الى المراجعة واعادة النظر ، ولكنها تدل بوجه عام على سعة اطلاع الاستاذ (موزيل) ودأبه على البحث والاستقصاء ويمكن القول إنها كنز ثمين وبحر زاخر من العلم لا يستغني عنه كل من يقدم على دراسة تاريخ الجزيرة العربية . ويكفي أن نذكر أنه ظل مدة ثلاثين سنة يجمع المواد التي سجلها في الملحقين المتعلقين بتاريخ أسرتي آل السعود وابن الرشيد .

وسأقتصر على استعراض بعض ما تتضمنه هذه الملاحق من موضوعات :

١ ـ هناك اولاً بحث عن مدينة (معان) وضواحيها مع خارطة لها وأسماء القبائل والعشائر التي تسكنها ، وعن أهمية موقعها حيث كانت تتلاقى منذ القديم طرق النقل والمواصلات في اتجاه العقبة وغزة ومصر ودمشق والموانئ الفينيقية و (دومة الجندل) فبابل ...

وقد رجع الأستاذ (موزيل) الى أسفار التوراة التي ورد فيها ذكر قبيلة (معون) أو سكان (معون) . وهو يعتقد أن المقصود بذلك واحة (معان) التي لا يشير اليها المؤلفون الرومان ، لأن الحركة التجارية في عهدهم كانت قد تمركزت في مدينة (البتراء) . وينقل عن (الاصطخري) و (ابن حوقل) ان (معان) كانت مدينة كبيرة وحصناً قوياً في منطقة (الشراة) ، وعن البكري قوله إنها حصن كبير في فلسطين تبعد مسيرة خمسة أيام عن دمشق في الطريق الى مكة ، كما ينقل عن (البكري) ما يرويه عن (فروة بن عمرو) من قبيلة جذام

الذي كان حاكماً على حصن (معان) وضواحيه في العهد البيزنطي ، والذي أسلم وأرسل بغلة بيضاء الى الرسول (صلعم) ، فلما بلغ الروم خبر ذلك قبضوا على (فروة) وصلبوه .

٢ ـ البحث عن حدود الحجاز الشمالية :

كان (بطلميوس) يرسم حدود « العربية السعيدة » اعتباراً من موقعي (أيلة) و (حقل) على البحر الأحمر بخط في الاتجاه الشمالي ـ الشرقي حتى سلسلة جبال (الشراة) التي كانت سفوحها الجنوبية تفصل « العربية السعيدة » عن « العربية الحجرية » ، ذلك لأن (بطلميوس) كان يهتم بالحدود الجغرافية ـ الطبيعية وليس بالحدود السياسية .

أما المؤلفون العرب فإنهم كانوا يطلقون على الجزء الشمالي من « العربية السعيدة » اسم (الحجاز) الذي تنطبق حدوده مع حدود العربية السعيدة الشمالية . وهكذا كان الرحالة والجغرافيون العرب يعتبرون جبال الشراة الحدود الجغرافية الطبيعية بين سورية والحجاز ، رغم ما قد يطرأ من تغييرات في التقسيمات الادارية في مختلف العهود . فنرى (المقدسي) مثلاً يذكر مدينة (مدين) مرة على أنها ضمن منطقة ادارية سورية في حين أنه يقول في مكان آخر إنها تقع في الحجاز قريباً من حدوده الشمالية . وبعد أن يستعرض (موزيل) أقوال الجغرافيين العرب يرد على المستشرق البلجيكي الأب (لامنس) الذي نشر بحثاً عن الحدود القديمة بين سورية والحجاز ادعى فيه أن هذه الحدود تقع بمكان ما الى الجنوب من واحة (العلاء) .

ويعترف (موزيل) بسعة معلومات (لامنس) وبراعته في

الاستشهاد بأقوال المؤلفين العرب ولكنه يتهمه بأنه لا يفسر هذه الأقوال بأمانة ونزاهة ، وأنه لا يميز بين الحدود الجغرافية ـ الطبيعية والحدود السياسية ، وأنه أهمل آراء الكتاب اليونانيين والرومان ...

٣ ـ « الحمية » :

في طريقه من (معان) الى (العقبة) مر الاستاذ (موزيل) في منطقة جبال الشراة بالمكان المعروف باسم (الحميـة) ، حيث كان يعيش في العهد الأموي (محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) الذي جعل منها مركزاً للدعوة العباسية .

لم يعثر (موزيل) هنا على مقابر أو نقوش سوى لوحة حجرية صغيرة عليها كتابة باليونانية والنبطية . ذلك لأن الأبنية التي كانت قائمة قديماً إنما شيدت من الحجر اللين ، وهي قد تهدمت وانقلبت الى أكوام من مسحوق الكلس . ولكن (موزيل) شاهد بينها الكثير من آثار الأحواض والصهاريج لخزن مياه الأمطار ، كما تبين له من بقايا بعض الأبنية أنها كانت تشبه من حيث طرازها المعماري البيوت المتهدمة في (وادي موسى) . وقد استنتج من ذلك ان الحمية أيضاً أسست بالتأكيد من قبل الأنباط .

ويذهب (موزيل) الى أن (الحميـة) هي نفسها مدينة (اوارة) التي يذكر (بطلميوس) أنها تقع في « العربية الحجرية » والتي تحدد الخارطة الرومانية القديمة مكانها على الطريق العام بين (أيلة) و (البتراء) . ثم يقول إن اسمها كان في الأصل (حوارة) فقلبه السكان الى (الحميـة) بينما أصبح في السريانية (اوارة) . وتفيد كلمة حوارة بالآرامية والعربية اللون الأبيض وهو لون الصخور والتراب السائد في هذه البقعة .

ولما تابع (موزيل) طريقه الى العقبة توقف عند محطة للبرق والبريد اقامتها الحكومة التركية سنة ١٩٠٨ الى جانب اطلال حصن روماني في موقع يسمى (القويرة) . وقد عثر (موزيل) على شواهد كثيرة من معالم طريق عسكرية رومانية ترجع الى عهد الامبراطورين (قسطنطين) و (كونستانس) تمتد عبر وادي (التيم) يبلغ طولها من الحمية الى القويرة (٢١) كيلو متراً .

إن حصن (القويرة) الذي صور (موزيل) قسماً من أطلاله كان ينتصب في نقطة تقاطع بين طريقين هامتين من طرق المواصلات القديمة تمتد احداهما من (مدين) الى (البتراء) ، والثانية من مرفأ (أيلة) الى (معان) .

٤ ـ مدينة (مدين) :

يعود الفضل الى (موزيل) قبل غيره في دراسة المنطقة الواقعة على الشاطيء الشرقي من خليج العقبة . فقد رسم خارطتها وحدد عليها موقع مدينة (مدين) التاريخية بالاستناد الى الأخبار التي جمعها من المصادر القديمة ، والى مشاهداته في واحة (البدع) الكبيرة ، و تنقيباته في (مغاور شعيب) وخرائب (الحوراء) و (البرج) و (الملقطة) كما نشر في كتابه عن (شمالي الحجاز) صوراً شمسية ، ورسوماً توضيحية للمدافن الموجودة في هذه الأماكن ، والمحفورة في الصخر ، والتي ترجع ، حسب رأيه إلى عهد الأنباط .

عندما وصل (موزيل) ، في رحلته بين (العقبة) و (شرمة) ، الى واحة (عينونا) المشهورة بمياهها العذبة رجع الى كتاب الجغرافيا لبطلميوس الذي يشير الى مستوطنة (اونه) [Onne] في شمالي « بلاد العرب السعيدة » ثم قال : إن هذه هي نفسها التي يذكرها الجغرافيون

العرب باسم (عينونا) بدليل أن (ياقوت) في معجم البلدان يقول إنه يمكننا أن نكتب (عينونا) أو (عين أنا) لأن هناك سهلاً بين (الصلا) و (مدين) يسمى (أنا) كان يمر به الحجاج ، وفيه نبع يسمى (عين أنا) .

وقد شاهد (موزيل) بقايا قناة قديمة لنقل مياه الشرب من هذا النبع الى مرفأ (الخريبة) القريب ، حيث وجد ثكنة تركية ، وعلم أن بعض السفن كانت تأتي أحياناً الى هناك من (السويس) أو من مرفأ (ظبيء) لنقل البضائع والمحصولات .

وقد جمع (موزيل) في ملحق خاص المعلومات والأخبار المتناقلة عن (مدين) وسكانها القدماء في القرآن الكريم ، ولدى المؤلفين الرومان ، والمؤرخين والجغرافيين العرب ، كما توسع في بحث الروايات التي وردت في التوراة عن بلاد (مدين) وقبائلها . فقد جاء في سفر الخروج ان (موسى) قد لجأ الى بلاد مدين هرباً من (فرعون) . وبينما يذكر (جوزيفوس) في القرن الأول الميلادي مدينة (ماديانا) مقابل البحر الأحمر نرى (بطلميوس) في القرن الثاني يسميها (مادياما) ويعين موقعها عند الحدود الشمالية - الغربية للعربية السعيدة . أما (اوزيبيوس) في القرن الرابع فيتكلم على مدينة (مدين) وراء حدود « الولاية العربية » .

ويشير (موزيل) الى سور القرآن الكريم التي تذكر إرسال (شعيب) الى سكان (مدين) أو (أصحاب الأيكة) ، ثم يلاحظ أن قوله تعالى في سورتي (هود) و (العنكبوت) : « والى مدين أخاهم شعيباً » يدل على أن كلمة (مدين) كانت في الأصل اسم القبيلة التي ينتسب اليها قوم شعيب .

وقد وصف (موزيل) ماشاهده في رحلته من أشجار (الدوم) التي تشبه النخيل ، والتي تكثر في منطقة مدين وتتشابك ، ثم نقل عبارة هامة عن معجم (لسان العرب) تقول إن كلمة (أيكة) تفيد الأجمة أي الشجر الكثير الملتف ، كما كان يشاهد حول مدينة (مدين) ، وإن كلمة (ليكا) كانت تطلق على مستوطنة مجاورة . ويلاحظ (موزيل) ان هذا الاسم يذكرنا بالكلمة اليونانية (لويكي) [Leuké]التي تعني الأبيض ، ثم يضيف قائلاً : إن الخرائب الموجودة الى جانب الأيك ماتزال تسمى (الحوراء) التي تفيد أيضاً (البيضاء) . وهو يعتقد ان مدينة (مدين) هي نفسها (الحوراء) .

هنا يعترضنا سؤال : أين كان يقع مرفأ (لويكي كومي) [Leuké komé] الذي تروي الأخبار أن القائد الروماني (ايليوس غالّوس) قد أنزل فيه جيشه عندما عهد اليه الامبراطور (أغسطس) سنة ٢٥ ق . م بمهاجمة بلاد العرب السعيدة ؟

لقد أشار (دوسو) في كتابه « توغل العرب في سورية قبل الاسلام
[La penétration des Arabes en Lyrie avant L´ yslam. Paris 1955]
الى اختلاف الآراء بين الباحثين حول هذا المرفأ . ويبدو أن هناك عدة أماكن كان يطلق عليها الاسم ذاته . وقد اعتمد (دوسو) على دراسة (موزيل) التي استخلص منها أن مرفأ (لويكي كومي) هو نفسه مرفأ (الخريبة) وأن (ايليوس غالّوس) الذي جاء مع جنوده بالسفن من السويس ، لابد أن يكون قد التقى هناك . بحلفائه الانباط تحت قيادة الوزير (سيلايوس) أي (صالح) ، ثم سار بالجيش في الطريق المعروفة باسم (درب الرصيفية) ، حتى بلغ عاصمة السّبئيين (ماريابا) أي (مأرب) .

ولكن (موزيل) لم يؤكـد سوى أن (غـالّـوس) قـد اضطر ، بعـد إخفاق حملته ، الى العودة عن طريق القوافل التي تمر بالحجر أي (مدائن صـالح) ، وأنـه اتجـه من هنـاك الى السـاحل ليبحر مع فلول جيشـه من مرفـأ (أجرا) الـذي يـذكره (سترابـون) ، والـذي هـو ، كما يبـدو ، تصحيف لكلمة (الحجر) . ويلاحظ (موزيل) أنـه كان مـألوفـاً تسميـة المرافىء على السواحل باسم المدن التابعة لها في داخل البلاد .

ثم ان (موزيل) قـد نقل في الملحـق الخـاص مقـاطـع عـديـدة من مـؤلفـات المـؤرخين والجغرافيين العرب التي تـذكر مـدينـة (مـدين) في العصور الاسلامية المختلفة .

هكـذا نقل عن سيرة ابن هشـام ان الرسول (صلعم) بعث زيـد بن حارثة نحو (مدين) « فأصاب سبياً من أهل ميناء وهي السواحل وفيهـا جمـاع من النـاس » . ويلاحـظ (موزيل) ان هـذا الخبر لايبين وصـول زيد الى مدينة (مدين) وإنما يذكر غزوه للمرفأ الـذي يرجح أن يكون الى الجنـوب منهـا أي على شـاطىء البحر الأحمر ، كما يشير الى ذلـك (بطلميوس) .

ثم ينقل عن كتاب (البلدان) لليعقوبي أن مدينة (مدين) القديمة كان يسكنهـا في عهـده (أي اواخر القرن التـاسـع الميـلادي) أنـاس من مختلف القبائل يملكون البساتين ، ويسقون النخيل من أنهار وآبار غزيرة المياه .

أما عن كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفـاق) للادريسي فينقل قوله: «إن مدينة مدين كانت تتقاطع فيها الطرق الرئيسيـة الممتـدة من مصر وفلسطين والمتفرعة جنوباً الى المدينـة ومكـة وشرقـاً نحو تبوك ومنهـا الى تيماء والحجر ، وإنها كانت في عهده (أي القرن الثاني عشر الميلادي) أكبر

من مـدينـة (تبـوك) وإن فيهـا بئراً يقـول السكان ان (مـوسى) كان يستسقي منها لبنات (شعيب) .

كـذلـك ينقل (موزيل) عن كتـاب (المواعـظ) للمقريزي انـه في المرتين اللتين حج فيهما مر بمدينة (مـدين) التي تقع على خليج القلزم ، وتبعد مسيرة خمسة أيام عن (أيلة) [المسافـة ١٢٥ كيلو متراً] ويلاحـظ المقريزي أن (مدين) المشهورة في القـديم لم يبق منهـا في عهـده (القرن الخـامس عشر الميلادي) سـوى بعض الخرائب ، وأطـلال أبنيـة ضخمـة ، وألواح ونقوش غريبة ، وأن السكان لايجدون فيهـا الا القليل من وسـائل المعيشة .

وأخيراً ينقل (موزيل) عن كتاب (جهان نمـا)[1] لحـاجي خليفـة (من القرن الثامن عشر الميلادي) وصفه لمدين بأنها مدينـة خراب تنبت حولهـا أشجـار الأثل والـدوم والنخيـل ، وأن هنـاك في الـوادي جـدرانـاً مدمرة وألواحاً حجرية نقشت عليها أسماء مختلف الملوك .

٥ ـ (تبوك) :

كان الاستـاذ (موزيل) يرغب كثيراً في زيـارة (تبوك) ثم الحجر (أي مدائن صالح) والتنقيب بين آثارهما . ولكن مـدير النـاحيـة التركي في (تبوك) لم يسمح له بذلـك ، وطلب اليـه العودة الى معـان بـالسكـة الحديدية . وعلى الرغم من انه قام ، دون علم المدير ، بجولة استمرت عشرة

[(1) جاء في كتـاب كشف الظنون لحـاجي خليفـة ١ : ٦٢٢ ـ ٦٢٣ : « جهـان نمـا ـ تركي في الجغرافيا ، لجامع هـذه الحروف . وهو كتـاب مرتب على قسمين : الأول في البحـور وصورها وجزائرها ، والثاني في البر وبلاده وانهاره وجبالـه ، ومسـالـك ممـالكـه ، على ترتيب الحروف . وفيه أحوال ماظهر بعد القرن التاسع [الهجري] من الأقاليم الجديدة » / المجلة] .

أيـام في وادي (الجزل) الى الجنوب من تبـوك فقـد اضطر الى الاقتصـار على وصف موقع المدينة وتصوير بعض مناظرها .

الا انه جمع في ملحق خاص ماستطاع أن يعثر عليه من أخبار عنها في مؤلفات الرومان والمؤرخين والجغرافيين العرب . وقد وجـد في كتـاب الجغرافيـا لبطلميوس ذكر مستـوطنـة على الحـدود الشماليـة ـ الغربيـة من « العربية السعيـدة » اسمهـا (تـابـاوا Thapaua) . وهو يعتقـد ان هـذه الكلمة محرفة عن (تاباوكا Thapaucha) أي تبوك .

٦ ـ طرق الحج :

بالاستناد الى مشـاهـداتـه في رحلتـه الى شمالي الحَجـاز تكلم الاستـاذ (موزيل) في أحـد الملاحق على الأمـاكن التي كان يمر بهـا طريق الحـج من مصر وفي ملحق آخر على طريـق الحـج من دمشـق . ثم في المجلـد عن رحلته الى شمالي (نجد) أضاف ملحقاً خاصاً وصف فيه بالتفصيل طريق الحج من الكوفة كما شاهدها بنفسه ، ثم نقل مـاورد من أخبـار عن ذلـك عنـد (الطبري) و (المسعودي) و (ابن خرداذبـه) ، مـع ذكر المراحـل المختلفة وأسماء المحطات والمسافات بينها وأمكنة الآبار ومستودعات المياه ، ثم قارن هذه المعلومات بما يماثلهـا لـدى مؤلفين آخرين مثل (قـدامـة بن جعفر) و (اليعقـوبي) و (الهمـداني) و (المقـدسي) و (ابن جبير) و (ياقوت) و (ابن بطوطة) ...

٧ ـ (البزاخة) :

في رحلته الى شمالي (نجـد) ، عنـدمـا تجول الاستـاذ (موزيل) في الجنوب من مدينة (حائل) شاهد سلسلة جبـال (سلمى) ، والى الغرب منها سلسلة جبال (الرمان) ، وقد رجع الى (معجم البلدان) لياقوت ،

الذي يقول ان هذه الجبال تقع داخل أراضي طيّئ ثم يروي كيف جارب (خالد بن الوليد) المرتدين ، وهزم أتباع (طليحة بن خويلد) من بني أسد في مكان يسمى (البزاخة) . وبعد مراجعة ماورد عن هذه المعركة عند الطبري والبلاذري يحدد (موزيل) موقع (البزاخة) على بعد خمسين كيلو متراً الى الشمال من جبال (الرمان) ويذكر أن هناك عدة آبار حولها ...

٨ ـ (دومة الجندل) :

من البحوث الهامة التي قام بها الاستاذ (موزيل) في أحد الملاحق دراسته عن واحة (دومة الجندل) . إن هذه الواحة التي يطلق عليها اليوم اسم (الجوف) قد زارها (موزيل) مرة في سنة ١٩٠٩ م ومرة ثانية في سنة ١٩١٥ م ونشر صوراً شمسية عن بقايا حصن (مارد) ، وعن الآبار والحدائق وغابات النخيل فيها ثم استعرض في الملحق صفحات من تاريخها .

يأتي ذكر (دومة) في سفر التكوين من التوراة ، ولكن (موزيل) يذهب الى أن الاسم هناك ربما كان يقصد به بلاد (أدوم) . وعلى العكس من ذلك فهو يؤكد على ان (أدومو) التي وردت في النقوش الكتابية الآشورية ، ووصفت بأنها قلعة تقع في قلب صحراء قاحلة هي (دومة الجندل) التي استولى عليها الملك (سنحريب) ، ونقل أصنامها مع (ملكة العرب) الى (نينوى) في حدود سنة ٦٨٨ ق . م . ويذكر (بلينيوس) ، و (بطلميوس) أن مدينة (دوماتا) تقع في بلاد العرب الصحراوية .

ثم تتبع الاستاذ (موزيل) أقوال المؤرخين والجغرافيين العرب عن (دومة) أو أحياناً (دوماء) التي كانت تسمى أيضاً (دومة الجندل) أو

(دومة خبت) . فنقل ما أورده عن موقعها وبعدها عن الكوفة ودمشق والمدينة ، وعن الطرق التجارية المارة بها والسوق التي كانت تقام فيها كل سنة برعاية الغساسنة وعن قلعتها المعروفة باسم (المارد) ، وعن الصنم الذي كان يعبد فيها ، والذي حطمه خالد بن الوليد ، وعن قصة الملك (أكيدر بن عبد الملك الكندي) ، وعن زعيم قبيلة كلب (الأصبغ بن عمرو) ، وعن الغزوات الاسلامية الثلاث على (دومة الجندل) في عهد الرسول (صلعم) ، وفي خلافة أبي بكر الصديق ، وناقش الروايات المختلفة وكشف عن التناقضات بينها ، وعن الأغلاط التي وقع فيها المستشرق الطلياني (كايتاني) عند بحثه عن (دومة الجندل) ، وفي الأخير استعرض الأخبار التي تذكر (دومة الجندل) في العصور التالية سواء لدى الجغرافيين العرب : (البكري) و (الادريسي) و (ياقوت) أو لدى الرحالة الغربيين : (ينبور) و (بوركهاردت) و (واللين) ..

٩ ـ مسيرة (خالد بن الوليد) من العراق الى الشام :

بحث الأستاذ (موزيل) في ملحق مطول موضوعاً هاماً من تاريخ الفتوحات الاسلامية تضاربت حوله الروايات ، أعني بذلك الطريق التي سلكها (خالد بن الوليد) في مسيرته من العراق الى الشام . فقد تلقى (خالد بن الوليد) وهو بالحيرة كتاباً من الخليفة (أبي بكر) يأمره فيه بالاسراع الى نجدة المسلمين المحاربين في الشام . وقد امتثل (خالد بن الوليد) للأمر في الحال ، وكان عليه أن يختار أقصر وأسلم طريق من الحيرة الى دمشق . فماذا كانت هذه الطريق ؟ ان الأستاذ (موزيل) قد قام بتصنيف الروايات المتناقلة عن مسيرة (خالد بن الوليد) فذكر : ١) رواية ابن اسحق ، حسبما نقلها الطبري : ٢) رواية ابن عساكر : ٣) رواية ابن العبري : ٤) رواية المدائني (كما وردت في تاريخ

الطبري) ، والماوردي (كما وردت في تاريخ ابن عساكر) ؛ ٥) رواية الهيثم بن عدي (حسبما وردت في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة) ؛ ٦) رواية البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) . ثم حاول الاستاذ (موزيل) أن يبين الاختلافات بين هذه الروايات ، ويثبت الأماكن التي ورد ذكرها فيها ، ويكشف عن الأسباب التي دفعت (خالد بن الوليد) الى تجنب المرور ببعض هذه الأماكن وتفضيل غيرها عليها ، كما أشار الى الأخطاء التي وقع فيها المستشرق (كايتاني) عند بحثه هذا الموضوع في كتابه (حوليات الاسلام) .

وقد نشر (طه باشا الهاشمي) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (في المجلدين ٢٧ / ٢٨) (سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣) مقالاً مفصلاً عن (سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام) اعتمد فيه على دراسة الأستاذ (موزيل) الذي قال عنه إنه استطاع ارجاع سبب الاختلاف بين الرواة الى جهلهم الأماكن التاريخية التي يذكرون اسماءها ، وعلى الأخص موقع (قراقر) و (سوى) اللذين مر بهما (موزيل) في رحلته الى العربية الصحراوية وثبتهما على الخارطة ، كما انه وصف طبيعة الأراضي وحدد المسافات بين مراحل الطريق وذكر الآبار التي لابد من ورودها ...

١٠ ـ بلاد العرب في الكتابات الآشورية :

في المجلد الثاني الخاص « بالعربية الصحراوية » من رحلة الاستاذ (موزيل) هناك ملحق خاص جمعت فيه الوثائق الآشورية القديمة عن البلاد العربية وعن العرب اعتباراً من القرن التاسع قبل الميلاد . وقد وردت في هذه الوثائق أسماء بعض القبائل العربية في شمالي جزيرة العرب . كذلك نجد أخبار الحملات التي قام بها ملوك آشور ضد بلاد العرب . وفي أخبار الحملة التاسعة مثلاً التي جرت في عهد (آشور

بانيبـال) نحو سنـة (٦٤٠ ـ ٦٣٨ ق . م) جـاء ذكر بعض الأمكنـة التي كانت تسكنهـا القبـائل المحـاربـة ، ووصف الطريق التي سلكتهـا الجيوش الآشورية بعد أن قطعت مسافة مـائـة ميل من (نينوى) ، فوصلت الى جبـال تغطيهـا الأحراج والأشجـار البـاسقـة ، وتكثر فيهـا الحشـائش والأشواك . ويقول (موزيل) : ليس هنـاك في بلاد العرب الصحراويـة مثل هذه الجبـال الا بمنطقـة (تـدمر) في سلسلـة جبـال (البشري) وفي جبال (ابو رجمين) وجبال (الرواق) . ولهذا يجب أن نبحث ضمن هـذه المنطقة عن الأماكن المذكورة في أخبار تلك الحملة ..

١١ ـ آثار الرومان :

خلال رحلته في باديـة (تـدمر) وتجوالـه بين (وادي العصـافير) و (خان الشامات) و (القريتين) و (حمص) و (تدمر) و (الرصـافـة) كان الأستاذ (موزيل) يشير عند كل منـاسبـة الى آثـار الطرق والحصون والقواعـد العسكريـة الرومـانيـة في مختلف الأمـاكن . وقـد خصص أحـد المـلاحـق لاستقصـاء الأخبـار لـدى الكتـاب الرومـان عن الطرق ، وعن تحصينات الحدود الرومانية ، وملحقاً آخر عن الطرق في باديـة (تـدمر) حسبما ذكرة الكتاب العرب .

١٢ ـ آثار (الرصافة) :

من أهم الموضوعات التي تعرض لها الأستـاذ (موزيل) آثـار مـدينـة (الرصافة) في حوض الفرات . فقد وصف موقع المدينة وبقايـا أسوارهـا وخرائب أبوابها وكنائسها ، ونشر كثيراً من الصور والرسوم عنها ، ثم جمع في ملحق خاصٍّ الأخبار عن تاريخها في العهد الآشوري والعهـد الرومـاني والبيزنطي وفي العهـد الاسلامي . وخصص ملحقـاً آخر لـدراسـة قـام بها

أحد زملائه في جامعة (براغ) حاول فيها رسم مخطط المدينة واعادة إنشاء الكثير من أبنيتها .

يتبين لنا من هذه الأمثلة ان الاستاذ (موزيل) قد جمع في رحلاته مادة غنية عن القسم الشمالي من جزيرة العرب يمكن الاستفادة منها عند دراسة تاريخ هذه البلاد . فقد وصف الجبال والوديان ، وحدّد مواقع المدن والقرى والمرافىء والطرق ، وأشار الى الينابيع والآبار . وكان ينتهز كل مناسبة لذكر الأحداث التاريخية التي شهدتها هذه الأماكن في مختلف العصور . لذلك نستطيع أن نعتبر مؤلفاته من أهم المصادر الأجنبية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية .

مخطوطة مجهولة الاسم

لمحمد بن أحمد الأبيوَرْدِي (٠٠٠ / ٥٠٧ هـ)

الأستاذ حمد الجاسر

في صيف سنة ١٤٠٦ هـ زرتُ مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا ، وكان مما طالعت فيها مخطوطٌ استرعى انتباهِيَ فيه إيرادُ نصوص لغوية عن قدماء علماء اللغة ، ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين ، وأخبار وحكم وأمثال ، قلَّ أن يُعْنَى بها من ليس من متقدمي العلماء .

فكان أن طلبتُ صورة هذا الكتاب ، ومع أن كثيراً من كلمات المخطوطة لاتكاد تُقْرَأ لعدم ضبطها ، ولوقوع تحريف في بعضها ، فانني كنت كلما ازددتُ مطالعةً في الكتاب ازددتُ أُنساً به ، واستمتاعاً بكثير من نصوصه .

لم يردْ ذِكْرُ اسم الكتاب لافي مقدمته ولا في طرّة المخطوطة إلا أنني استطعت أن أميِّز العصرَ الذي أُلِّفَ فيه ، وأن أُدرِكَ من بعض النصوص أن مؤلفه يعيش في شرق البلاد الإسلامية في القرن الخامس الهجري ، وأنّ من شيوخه عبد القاهر النحوي (٣٩) ومنهم أبو الحسن بن طلحة الإسفراييني (٤) وأبو منصور عبد الواحد بن أحمد الْهَمَذَاني (١٤٧) وأبو الحسن علي بن احمد النسوي ، تلميذ ابن سينا (١٥٣) وفيد بن عبد الرحمن الصوفي الهمذاني (٦٢) وهذا من شيوخ السِّلَفِي محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٦ هـ ، وأنّهُ من العلم بمقام فقد ذكر من مؤلفاته « الدرة

الثمينة » (١٣٣ و ١٤٨) و « الفيصل » (١٤٧) و « منية الأديب » (١٠٨) ، وعدّ من أجداده إسحاق بن أبي العباس الأموي (٨١ و ١١٨) .

ومن البلاد التي ذكرها : أبيوَرْد (٨٢) وهَمَذَان (٦٢ و ١٤٧) وإسفرايين (٤) ومدينة السلام (٩٢) .

ومما ذكر من الكتب من غير تأليفه : « فرحة الأديب » للقاضي أبي العباس السعيدي قال عنه : ألفه في صِبَاه في سرقات الشعراء المحدثين . (١١٧) .

وذكر كتاب « الحماسة » في مقام نقده فقال (١٢٣) : وأكثر ماأودعه أبو تمام الكتابَ الموسوم بـ « الحماسة » من الشعر قَدْ سُبِقَ إلى اختياره ومن تصفّح كتبَ العلماء فيما أملوه من النوادر والأشعار والشوارد وقف على جَلِيَّةِ ماأومَأتُ إليه .

ومن الشعراء الذين أوردَ نماذج من شعرهم الرَّعْبَلُ بن الكلب (٧٣) وشاتم الدهر (١٥٣) وقعود الغواني (١١٥) والعُتَير بن ضابئ (٩٢) ومعبد بن جُنْش (٩٥) وغزيّ بن أبي طفيل (١١٠) ورويشد بن كثير (١٢٨) وعبد الصمد بن عثمان الشّريدي (١٢٩) وحماد بن الربيع اليربوعي (١١١) وصالح بن عبيد الله بن حجاج الفقعسي (١١٣) وعبد الجبار بن يزيد بن ربعة العليمي (١١٠) وجابرُ بن رألان الطائي (١١٣) وضَوْءُ بن سلمة الغبري (٩٩) وجميل ـ ليس العذري ولا الفزاري ـ (٩٧) وغيرهم .

ومع عناية المؤلف بإيراد نصوص كثيرة من غريب اللغة فإنه لايَرَى استعمالَ الغريب منها ، فهو يقول (٩١) : « ولا أذكر أمثالَ هذه الغرائب ليستعملها المحدثون ، ولكنّ مجيئها يكثر في أشعار المتقدمين كثرة

دراري الكلم ، فأعثر بها في أثناء ماأمليه فأُوردها ليقتصر المتأخرون على حفظها ، ولا يشاركوا المتقدمين في استعمالها ، فالمستحسن من الكلام مايجود لا مايجوز ، وقد أنشدني بعضُ أصحابنا قصيدة ذكر فيها (السَّمَهْدَر) و (المُسَرْدَج) فأنكرتُها عليه فقال : لِمَ تنكر عليَّ ما سبقني إلى استعماله الشعراء ، ثم أنشد لأبي النجم :

وَتَرَكَتْـــــكَ اليـــومَ كالمُسَرْدَجِ

وأنشد لغيره :

ودُونَ لَيْلَى بَلَــــدٌ سَمَهْـــــدَرُ

فعرفت غلظته وكثافته ، ولا يتنبه للطيف الدقيق في هذه الأماكن إلا من وضع في الكِير فنصع طيبه ، وحدثني غير واحد من أصدقائنا بمدينة السلام عن اسفهدوستِ الديلمي عن ابن نُبَاتَة أنه أنشد أبيات الفرزدق في الذئب ثم قال : هذا كَلاَمٌ وُضع في الرَّاوُوْقِ » .

وقال ص (١٠٨) ـ بعد إيراد عدد من الكلمات الغريبة ـ : « وهذه غرائب لايزكو استعمالها بالمحدثين ... وقد صنفت كتابا وسميته بـ « منية الأديب » وهو يشتمل على نظائر في ذلك كالتشحيف ، والبيت الرِّماس ، والتنقُّم ، وهذه امرأة شختة المحتضن .... » ، الخ .

وقال ص (١٤٧) : « فتأمل هذه اللغات المأخوذة عن الثقات الأثبات ، فأَلْطِفِ النظرَ فيها ، وابحث عن اسرارها ومعانيها ، فلم تَشِنْها كلمةٌ طخياء ، يتجافى عنها العلماء والفصحاء ، ومن سام الأصولَ الكبار فَهِمَها ، وافتقر معانِيَها وعلمها ، وطرب لها طرب الساري للقمر وضوئه ، وسُرَّ بها سرور المجدب بالمطر ونوئه ، وإن ضاق بها ذرعا فليأخذ زاهدٌ مايكفيه ، وليرقَ على ظلعه فيه ، فهي من واضح كلام العرب وصحيحه ومقبوله ، دون وحشيِّه ومستنكره ومرذوله ، ومن أعجبه غريبه ، وآثر

أن يكثر منه نصيبه ، فليتصفح كتابي الذي يدعى « الفيصل » وهو يشتمل على المُسْتَنَن* ، والمستعمل من كلامهم كـ (أُزَلٍ) وفيه حرفان قلما يأتلفان ، و (الذَّمِه) و (الذهر) و (التبجيم) و (الرِّمِهِ) وهو لايخلو أيضاً من لغة غريبة أودعها العلماء مصنفاتهم ، ولم يبت الحكم بصحتها كـ (الخازم) و (الزعبج) و (الأشفع) ومررت بها صفحا فذكرتها مقترنة بما أوردته مما يجري مجرى المهمل لقلته ، وثبته اصحابنا في المستعمل لصحته ، وليُجِلْ ناظره في كتابي الموسوم بـ « الدرة الثمينة » وهو يتضمن مايأتلف مع الحروف كلها في المضاعف والمطابق ، إلا مع التي تقاربه ، ومنه يلتقط دراري الكلم ، وفي عرفان ذلك مالا تستصعب معه في تخير ألفاظهم مراما ، مما ائتلف من حروف العربية ، فكان كلاما . ولا جدا للغة حتى تجعل قلبك صوانها ، وتجمعَ في سويدائه شذَّانَها ، فالواحد في تامورك خير من الألف في مسطورك » . ـ ثم استمر في توجيه النصح لأحد تلاميذه ويظهر انه ألف الكتاب استجابة لرغبته .

وقد توسعتُ في نقل ماتقدم من النصوص لتوضيح بعض ملامح عن ثقافة المؤلف اللغوية .

وقد عرضتُ الكتاب موضحا بعض ماتبين لي عن مؤلفه على كثير ممن توسمت فيهم المعرفة وسعة الاطلاع من أساتيذنا الأجلة كالدكتور إبراهيم السامرائي ، والأستاذ عبد السلام هارون ، والأستاذ محمود محمد شاكر وغيرهم فلم أجِدْ لدى أحد ممن عرضت عليه الكتاب ماينير الطريق لمعرفة مؤلفه .

هل هو للأبيوردي المشهور ؟

لفت نظري الابنُ الكريم الأستاذ جواد بن محمد الدخيل في كلية

(*) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب « المستنكر » .

الآداب في (جامعة الملك سعود) إلى أنه ربما يكون المؤلف الأبيوردي ويدل على هذا :

١ ـ ماجاء في « معجم الأدباء[١] » لياقوت و « سير أعلام النبلاء » للذهبي عن نسب الأبيوردي محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن اسحاق بن أبي العباس محمد الإمام بن اسحاق ويتصل نسبه بعنبسة بن عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ، بينه وبين أبي سفيان خمسة عشر أبا ـ على ماذكر الذهبي ـ وفي هذه المخطوطة (ص ٨١) مانصه : « وقال جَدُّنا أبو العباس الإمام : كان عتبة بن عثمان بن عَنْبَسة بن أبي سفيان يدعى عتبة الأشراف » . ثم استرسل في إيضاح معنى هذا الكلام .

وقال (ص ١١٨) : « وكان عَمْرو بن غيداق الشاعر يعتزي بنسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فوفد على إسحاق بن أبي العباس الإمام الأموي وكان رئيساً ضخماً ، والخير يومئذ عنده ذُو عينين ، فمدحَهُ بأشعارٍ لا تدخل في حَيِّزِ الاختيار ، وضمنه هجو إنسان من أهل نَسَا ، كان ينازع إسحاقَ الرياسة ، وسعى به إلى السامانية » ـ إلى أن قال ـ : « ولولا أنَّ الثناء من البعيد أحسنُ لذكرتُ من فضائل جدِّنَا إسحاق ما تشهد به آثاره ، وإن عَفَّت أكْثَرَهَا عُقَبُ الزمان ، وكان أباً للأرامل واليتامى ، وقد وُصِف بالحزم والفضل ، وعُمِّر حتى جاوز التسعين ، ولما حضرته الوفاة طفق ينشد :

قُلْ للذينَ تباشروا بنَعِيِّه صَبْرٌ على الرجل المُجَنِّ قليلُ
ما ماتَ حتى لم يدعْ ذَحْلاً له وعليه من تِرَةِ الرِّجَالِ ذُحُولُ » .

٢ ـ يذكر مؤلف الكتاب بلدة (أبيورد) بعناية (٨٢) إذ يقول :

(١) ج ٦ ص ٣٤١ نشرة مرغليوث ، و ج ١٧ ص ٢٣٤ ، الطبعة المصرية .

« وكان أبو عمر اللغوي صاحبَ أبي العباس من حُفّاظِ اللغة ، ومن الثقات فيما يرويه ، ولكنه كَثَّرَ من الغريب ، فَذُمَّ باقتحام بُنَيّاتِ الطريق » ـ إلى أن قال : « وكانَ جَدُّه من أهل (أبيورد) ، وابنُ خَالَوَيْهِ يقول في كتبه : حدثنا شيخنا أبو عمر اللغوي الأبِيوَردي وهو من مشاهير أصحاب أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ، والمذكُورِينَ من أهل السنة والجماعة ، وكان عنده جزء في فضائل الخلفاء المهديينَ رضي الله عنهم .... » .

٣ ـ يروي المؤلف عن عبد القاهر النحوي كما في (ص ٣٩) إذ يقول : « وأنشدني الشيخ عبد القاهر النحوي ، قال : انشدنا أبو الحسين » ـ وساق السند إلى المفضل بن محمد الضبي ، فأورد قصيدة لعامان[٢] بن كعب بن عمرو بن سعد وهو جاهلي :

ألاَ قَالَتْ بَهانِ ولَمْ تَأبَّقْ   نَعمْتَ ولا يليطُ بكَ النَّعيْمُ
بَنُونَ وهَجْمَةٌ كَأشاءِ بُسٍّ   صَفَايا كُثَّةُ الأوبَارِ كُومُ

ـ إلى آخر المقطوعة ـ وعبد القاهر هو الجرجانِيُّ العالم المشهور .

وقد نَصَّ مترجموه ، ومنهم ياقوت والذهبي[٣] ، أنه لقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه العربية .

٤ ـ عَدَّ ياقوتُ من مؤلفات الأبيوردي « الدرة الثمينة[٤] » . وتقدم النقل عن هذا الكتاب .

(٢) ورد الاسم في (لسان العرب) في مادة : (بسس ـ علل ـ نهل ـ لطم ـ بهن ـ عهن ـ عوه) : « عاهان » . وكذا في معجم البلدان ، وتاج العروس رسم (بُسّ) ، وما بنته العرب على فَعال للصغاني : ٩٨

(٣) « معجم الأدباء » ١٧ / ٢٤٤ و « سير اعلام النبلاء » ١٩ / ٢٨٤

(٤) « معجم الأدباء » ١٧ / ٢٤٤ .

٥ ـ وعُرِفَ الأَبِيوَرْدِيُّ باهتمامه باللغة ، فذكر ياقوت[٥] أن له فيها مصنفات لم يُسْبَقْ إليها . ومثل هذا في (البغية) . وفي (سير أعلام النبلاء) : « وله في النحو واللغة مصنفات ما سُبِقَ اليها » .

ووصفه السمعاني بأنه أوحد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب[٦] . والكتاب الذي بين أيدينا مملوء بالنصوص عن قدماء أئمة اللغة ، ونقل ياقوت عن السمعاني أن الأبيوردي قال : كنتُ ببغداد عشرين سنة حتى أُمَرِّن طبعي على العربية ، وبعدُ أنا ارتضخُ لكنة . كما ذكر أنه تولى خزانة دار الكتب النظامية في بغداد[٧] .

وقد ورد في هذه المخطوطة (٩٢) نَصٌّ بدخول مؤلفها مدينة السلام وأن له فيها أصدقاء .

مؤلفات الأبيوردي :

هاهو أوفى ما اطلعتُ عليه من أسماء مؤلفاته في « معجم الأدباء » و « سير أعلام النبلاء » و « هدية العارفين » :[٨]

١ ـ « أنساب العرب » .

٢ ـ « بغية الشادي » ، نقل الدكتور عمر أسعد في مقدمة « ديوان الابيوردي » ص ١٧ عن « زاد الرفاق » ٢٥٣ أ ـ : « ولقد أودعتُ كتابي الموسوم بـ « بغية الشادي » من علل العروض ... » .

٣ ـ « تاريخ أَبِيوَرْد ونَسَا » .

---

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) « بغية الوعاة » : ١٦

(٧) معجم الأدباء ١٧ / ٢٣٧

(٨) « هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » لاسماعيل باشا البغدادي ٢/ ٨١

٤ ـ « تَعِلَّةُ المشتاق إلى ساكني العراق » .

٥ ـ « تَعِلَّـــةُ المقرور في وصف البرد والنيران وهمـــذان » وعلـق مرغليـوث في هـامش طبعتـه التي حققهـا (٦ : ٣٤٦) : « لعلـه أبيـورد والبيران » ولم يرتض محقق مطبوعـة معجم الادبـاء[٩] بمصر تعليـق مرغليـوث فقال : « لاأشاركه هذا الرأي لأن ما ذكر لا يتفق مع مـا صـدر بـه اسم الكتـاب ، أمـا ذكرُ هَمَذَان فـلأنَّ شتـاءهـا مفرطُ البرد ، كثير الثلـج ، طويل الأمد ، لا تجدي معه النيران » .

٦ ـ « تلْوُ الحماسة » ، ورد ذكره في هذه المخطوطة ـ ١١٥ ـ بما نصه : وقال قعود الغواني وهو مما أودعته « تلو الحماسة » :

وتَحْتَ مَشَـاجِرِ الأَحْـدَاجِ حُـورٌ نَـوَاعِمُ من ظبـــاء الرَّمْـلِ عِينُ

ونقـل الـدكتـور عمر أسعـد ايضـا نصـا من كتـاب « زاد الرفـاق » ـ ١٦٠ ب ـ في الكـلام على « حمـاسـة » أبي تمـام : « ... وتقفيت أثره في انتقاء ما يضاهيها من أشعار المحدثين ، ووسمتُ الأوراق المشتملة عليها بـ : « تلو الحماسة » .

٧ ـ « الدرة الثمينة » .

٨ ـ ديـوان شعره ، وهـو أقســام : العِراقيــات والنَّجــديــات والــوجـديــات ، وقـد نشره مجمـع اللغـة العربيـة بـدمشـق سنـة (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ م) بتحقيق الدكتور عمر الأسعد في مجلدين ، وطبع قبل ذلك طبعة سيئة في بيروت ، ادخل فيها من الشعر ماليس لصاحبه .

٩ ـ « زاد الرفـاق في المحـاضرات » ذكره الـذهبي كما سيـأتي ، وبعـده صـاحب « كشف الظنـون » ومن جـاء بعـده ، وذكر الاستـاذ محمـد أبـو الفضل ابراهيم في هامش « إنباه الرواة » ٣ / ٥٠ : ان هذا الكتاب يشتمل

---

(٩) ١٧ / ٢٤٣

على مناظرات مع ارباب النجوم ، ونقض لحججهم وهو مخطوط برقم (٥٨٢ أدب) في دار الكتب المصرية .

١٠ ـ « صهلة القارح » ردٌ فيه على المَعَرّي في « سقط الزند » وفي « هدية العارفين » « الصهلة والقارح » .

١١ ـ « طبقات العلم في كل فن » كذا ورد اسم الكتاب في « معجم الأدباء » وفي « سير أعلام النبلاء[١٠] » وفي موضع آخر من هذا الكتاب[١١] « طبقات العلماء في كل فن » وكذا ذكر الزركلي ، وعند ابن خلكان « طبقات كل فن » وكذا في « إنباه الرواة » .

١٢ ـ « قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان » ذكر الدكتور المنجد[١٢] : ان ابن عساكر نقل عنه كثيرا .

١٣ ـ « كوكب المتأمل » في وصف الخيل .

١٤ ـ « ماالختلف وائتلف في أنساب العرب » .

١٥ ـ « المجتبى من المجتنى » في رجال النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبه .

١٦ ـ « المختلف والمؤتلف » تكرير ياقوت والذهبي وغيرهما لاسم هذا الكتاب مع ماتقدم يدل على أن هذا الأخير ليس خاصّاً في أنساب العرب ، بل يشمل الأعلام وأسماء المواضع . وذكر الدكتور عمر اسعد ان الدكتور مصطفى جواد حققه وطبعه مع « المختلف والمؤتلف » لابن الصابوني المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧ .

١٧ ـ « نهزة الحافظ » وأضاف صاحب « هدية العارفين » : وقيل :

---

(١٠) ١٩ / ٢٨٤

(١١) ١٩ / ٢٩١

(١٢) « مقدمة طرفة الاصحاب » : ٢٥

« نزهة الحافظ » .

ومما عدّه صاحبُ « هدية العارفين » من مؤلفاته « ترجمة السّلَفي في أخبار الجاحظ » كذا أورد الاسمين باعتبارهما اسمَ كتاب واحد ، أما (ترجمة السلَفيّ) فلا شكٌ أن صوابها : (تَرْجَمَةُ السّلَفيُّ) لأنّ السّلَفيّ ألّف ترجمة للأبيوَرْدِي على ماذكر الذهبي إذ قال[١٣] : « وقد عمل له السّلَفيُّ سيرةً وطوَّل » . ونقل بعض أقوال السّلَفي .

أما كلمة (في أخبار الجاحظ) فلعل الأبيوردي كتب مؤلفا عن الجاحظ .

وعدّ أيضا « النجديات » قال عنها : منظومة في ألف بيت[١٤] ، والمعروف أن النجديات قصائد ذكر فيها الأبيوردي نجداً في مقام الاطراء والثناء ، وهي من ديوانه .

وإذا صح أن هذه المخطوطة للأبيوردي فينبغي أن يضاف إلى مؤلفاته :

١ ـ « الفيصل » ورد ذكره في (ص ١٤٧) .

٢ ـ « منية الأديب » (ص ١٠٨) .

من استعراض اسماء مؤلفات الابيوردي ، وورود ذكر بعضها في هذه المخطوطة يتضح بما لايدع مجالا للشك أنها من مؤلفات الأبيورديّ ، فقد ذكر المتقدمون من مؤلفاته كتاب « الدرة الثمينة » كما في « معجم الأدباء »[١٥] وذُكِر هذا الكتاب في موضعين من المخطوطة ١٣٣ / ١٤٨ .

كما ورد من بين مؤلفاته « تلو الحماسة » في مخطوطة (دار الكتب)

---

(١٣) « سير أعلام النبلاء » ١٩ / ٢٨٩

(١٤) « هدية العارفين » ٢ / ٨٢

(١٥) ١٧ / ٢٤٤

من « زاد الرفاق » كما تقدم ، وورد الاسم في هذه المخطوطة ـ ١١٥ ـ .

وصف المخطوطة :

هي من مخطوطات مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا ورقمها (٧٥٣) ، وفي طُرّتها كلامٌ لا يُفهَمُ منه عنوانها منه : (هذا الكتاب يذكر فيه فضائل فضل العرب ، وفيه أحسن أشعارهم وأمثالهم بحسب المناسبة واقتضاء المقام في شأن أكثر المتداولات بينهم والمستعملات بين جميع ....[١٦] والمنشآت) . ثم بيتان منسوبان للبديع الهمذاني :

رَأى الصَّيفَ مَكتوباً على بابِ دارِهِ   فَصَحَّفَهُ ضَيْفاً فقام إلى السَّيْفِ
فقلتُ لـه (خيراً) فـأَوْهَمَ أنّني   أقول له (خُبْزاً) فمات من الخَوْفِ

ثم كلام لم يتضح ، وبجانبه ختم كبير لعله اسم ختم المكتبة التي كانت النسخة فيها أو اسم صاحبها ، ثم الورقة التي تلي الطرة في أعلاها بشكل طرة (طغراء) فيها (صاحبه عبد الله بن حسن) وتحتها بدون بسملة : (الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين :

أَحَقّاً عِبادَ اللهِ أنْ لستُ لاقيا   بُثَيْنَةَ أو يَلْقَى الثُّرَيّا رَقيبُها

عَلامَ أيها الأخ وقاك الله المحذور ، ولقاك في مقاصدك السرور ، تضاهي النجم ورقيبه في المقاطعة ، ولاتباهي الثريا والعَيُّوق بالمطالعة ، فمالك على الهجر مصرّا ... الغدر مستقرا ، ومتى ابتدعت هذه الطبيعة حتى ... قول ابن [ابي][١٧] ربيعة :

أَيُّها المُنكِحُ الثُّرَيّا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان ؟
هِيَ شامِيَّةٌ إذا ما استقلَّتْ   وَسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمانِ !

فتجافيت عن وصل ... الأنس من خصائصه ، وكنت تَفي به وفاء التابع

(١٦) مكان النقط كلمات لم تتضح في التصوير .

(١٧) مابين المربعين ساقط من الاصل .

بقلائصه ، فإنْ نَزحَتْ دارُكَ تراختْ أخبارُك ، أو قَرُبَ مزارُك لم يؤمن صَدُّك وازورارُك ، وكم زرتني مبكرا ، ويممتني مُعَقِّباً ومُهَجِّرا ، وضربْتَ إليّ أكبادَ المطي ، وطويت غَولَ البلد البطي :

... الأخفاف عن شَعَفِ الذُرى نبَالٌ تَوَاليها رِحابٌ جُنوبُها

... فات غَريرُك ، وأقبل هريرُك ، وأذقتني مرارةَ البين ، ومِلتَ إلى ارتشاف ... ، وألهتك قهقهةُ الإبريق ، وأضربت صفحا عن رعاية الصديق ، ... حَقٌ لايُهْدَر ، وللكريم ذمة لاتُخْفَر ، وانت تلتحف ... الظلامَ ، وتُزَوِّجُ ابنةَ العِنَبِ بابن الغمام ، حتى ترى) وتنتهي الصفحة ، ولكن تعقيبتها وهي كلمة (الفجر) لاتتصل بالصفحة التي بعدها ، مما يدل على وقوع خرم في النسخة ولعل فيه مايفهم منه اسم الكتاب .

وفي الصفحة التي تليها كلام مبتور يبتدئ بما هذا نصه : (بينه ، وبدا نَجيثُ القوم ، وبالبعير ناخس ، والداء ناجس ، ونَجَشَ الصيدَ ، وأنْفَجَ اليربوع فنفج) . وماأشبه هذه الكلمات .

وأبرز مباحث الكتاب ترد بعد جملة (وسألتني عن) ومن أمثلة ذلك :

١ ـ وسألتني عن قصة صَوْلَة ـ ٣ ـ .

٢ ـ وسألتني عن الاسفيط ـ ١٧ ـ .

٣ ـ وسألتني عن ابن نفيسة الأموي الداعي لنفسه ـ ٣٩ ـ .

٤ ـ وسألتني عن ضربة فارس المدّاج ـ ٤١ ـ .

٥ ـ وسألتني عن قولهم ناقة كَتومُ الرغاء ـ ٦٢ ـ .

٦ ـ وسألتني عن ابن قترة ـ ٧٣ ـ .

٧ ـ وسألتني عن اشتقاق المنبر ـ ٨٤ ـ .

٨ ـ وسألتني عن اشتقاق دُخْشُم ـ ٨٦ ـ .

٩ ـ وسألتني عن اشتقاق الجوزاء ـ ٩٨ ـ .

١٠ ـ وسألتني عن نقيض زكا يزكو ـ ١٢٣ ـ .

١١ ـ وسألتني عن منكر ونكير ـ ١٢٥ ـ .

١٢ ـ وسألتني عن اشتقاق الدَّيَاميمِ ـ ١٤٢ ـ .

وفي الكتاب فصل مطول عن أسماء (سيوف العرب) ، وآخر ختم به الكتاب عن الأنواء في أقوال العلماء والشعراء ، بدأه بتوجيه النصح إلى انسان يظهر أنه ممن يعاقر ابنة الحان ، قال فيه ص ١٥٣ : (فمالك عقير العقار ، وهلاّ اقتديت بالصالحين الأخيار ، والتزمت ماتقتضيه الحكمة فبها اتّسامُك ، وانتهجت سنَنَ سقراط في زهده ، فهو إمامك ، فنحن نتحقق أن الذكر هو عمر ثانٍ ، ومن رغب في اقتنائه فليس بإنسان ، وبالعلم يتهيأ خلوده ، ومن الجهل يتولد خموله وخموده ، وأنْتَ تتعمد اطِّرَاحَهُ ونسيانه ، وقد انفقت عليه من شبابكَ رَيْعانَه ، ومن امسى للكأس صريعا ، وأصبح للعلم مُضيعا ، تمكن من أخلاقِه السفَهُ ، واحْتَوَشَتْهُ في دِينه الشُبَه ، والحكمة ترفع أربابها ، وتُلحِقُ بالرفيق الأعلى أصحَابَها « ومَنْ يؤتَ الحِكْمَةَ فَقدْ أُوْتِيَ خيراً كَثِيراً ، وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الأَلْبَاب » [سورة البقرة ، الآية ٢٦٩] ، ومن اتَّشَحَ بعطافها وارتضع من أخلافها ، أفضى إلى معارف تورده المشربَ الروي ، وتوضح له المسربَ السوي ، ومن زيادة الجهل يتولد خموله وخموده ، وأنت تتعمد اطّراحَهُ ونسيانه ، وقد قال أخو يونان : كنتُ قبل اليوم أشرب وأظمأ ، حتى عرفت فَروِيْتُ بلا شُرْبٍ ، فارْتَدِعْ عما يُدْنِيكَ من مقارفة الإثم ، واكتحلْ بمراود السهر في دراسة العلم ، فقد جاءك النذير ، وابتَسم في مفارِقك القَتير ، وأَقْبِلْ على شانك ، وأَعْرِضْ عن ذم زمانك ، فأهله عن سنن الحق ناكبون ، ولأهوائهم في عمايتهم راكبون ، ولسنا نرى فيهم لأبي شجاع

نظيرا ، فتكون بنيل ماصادقه القُوهيُّ عنده جَديْراً ، والدولة غَضَّةَ العُود ، ولكنها تُدَبَّرُ بالقرود ، ولاسبيل إلى اقتسار الْهَمَج بالغلبة والقهر ، فَتَسَلْ عما تأمله بما قال شاتم الدهر :

لَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغْراً سَبِيْلُه ... وأبدَى لنا ظَهْراً أجَبَّ مُسَلَّعَا
وَمَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفاضَةٍ ... عَلَيْه وَلَوْناً بِالعثانِينِ أذْرَعَا
وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيْلَةً ... وَصعْرَ خَدَّيْه وأنفا مُجَدَّعَا
هُنَاكَ ذَكَرْتُ الذاهِبينَ أُولي النُّهَى ... وقُلْتُ لِعَمْرٍ والْحُسَام: ألا اجْدَعَا
فَإنّي أرَى الحَيَّيْنِ كَعْباً وعَامِراً ... أصَابَهُمُ دَهْرٌ وكانَ مُفَجِّعَا
أرَى كُلَّ مَأفُونٍ وكُلَّ خَزَنْبَلٍ ... وشِهْذَارَةً تِرْعِيَّةً قَدْ تَضَلَّعَا
وَسَامَى الْمَعَالِي يَبْتَنِيْهَا بِنَفْسِهِ ... فَيَالَكَ دَهْراً مَايَزالُ مُرَوِّعَا

ولست تظفر فيهم بكريم ، فتفر إليه من زمن لئيم ، وتجد عنده الطَّوْلَ والإحسان ، وتنشده قول أبي هفَّان :

إلَيْكَ هَرَبْتُ مِنْ زَمَنٍ وَقَوْمٍ ... غَذَوا بِالْجَهْلِ واللُّؤْمِ اللُّبَابِ
لَقَدْ عَمَروا بُيُوتَهُمُ بِخَيرٍ ... وَحَلُّوهَا بِأَعْرَاضٍ خَرَابِ

وهم لايساوون أن يَفْغَرَ بانتقاصهم فم ، وتُغَبَّرَ للإلمام بعراصهم قَدَمْ ، ومن شيمي الإحجام عما يتحاماه الكرام ، ولكني أَوَيْتُ لَكَ إذْ أعْضَلتْ بِكَ الأمور فَأَبْثَثْتُكَ في التسلية ماينفُثُ به المصدور ، والْعيش أطوار ، وقد أحْسَنَ بشار :

خُلِقْتُ على مَافيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ ... ولَو أنّني خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
أُريدُ فلا أعطى وأعطى ولم أُرِدْ ... وَقَصَّرَ عِلْمِيْ أنْ ينالَ الْمُغَيَّبَا

والأليقُ بي أنْ أتوقَّى الإطنابَ والإطالة ، وأختم بإيضاح ماسألتني عنه الرسالة ، وهو تلخيص مااشتبه عليك في كتب الأنْوَاءِ من أقوال العلماء والشعراء ، وهاأنا أجتهد في الإبانة والتحقيق ، وهما يهيبان بك إلى

القبول والتصديق ، فاعلم أنّ مذاهبَ العرب في النجوم غَيْرُ مشاكِلةٍ لمذاهب أصحاب القياس والرصد من الفرس والرُّوم ، وهم في الاهتداء بها أصدقُ الأمم نظرا ، وأجودهم لها في طلوعها وغروبها تشبيها ، وأكثرهم للأنواء والبواريح ذكراً ، حتى نسب بعضهم كُلَّ نجم إلى الشق الذي يُرَى منه ، فقيل : كوكب جَرْمٍ ، وسهَيل اليماني ، وهذا كما جعل بعضهم اللصوصَ عِيَالاً لبارح الجوزاء ، إذْ تهيأ لهم انتفاع بهبوبه .

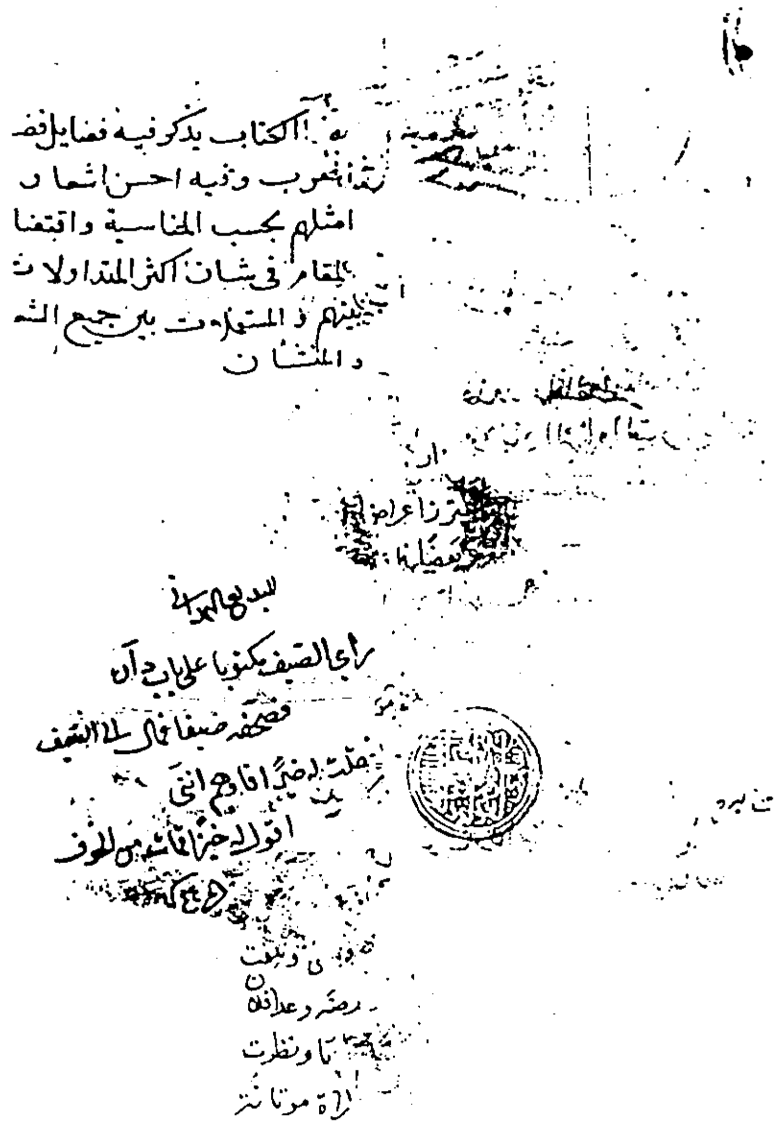
وَقُلْتَ لكلبيٍّ من بني هُذيم : إني لأعجبُ من اهتدائكَ بالنجوم ، وأنْتَ لاتَحْسُبُ ولاتكتُب . فقال : العاقل لايجهل سَقْفَ بيته . ومن اعتَرفَ بعلمه من الأعراب في هذا الشأن بنو ماويَّة من كَلْب ، وبنو مرة بن همام من شيبان .

وقال معاويةُ لِدَغْفَلِ بن حنظلة العلامة - وقد ضمه إلى ابنه - : عَلّمْه العربيةَ والأنسابَ والنجومَ . فالفلك مدار النجوم الذي يَضُمُّها ، قال الله تعالى : ﴿ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية ٣٣] . واسترسل في الكلام في هذا الموضوع حتى الصفحة الـ (١٦٩) فقال : (واما عُطارِدُ فلم يتكلم أحدٌ من علمائنا في اشتقاقه ، والعرب تقول : عَطْرِدْ لِي ، أي أعد ، وشأو عَطَرَّدٌ ، أي طويل ، وقول أمية :

والشمسُ تطلع كل آخر ليلة) .

وتنتهي الصفحة ، وتعقيبتها كلمة (حمراء) لاتوجد الورقة التي هي فيها .

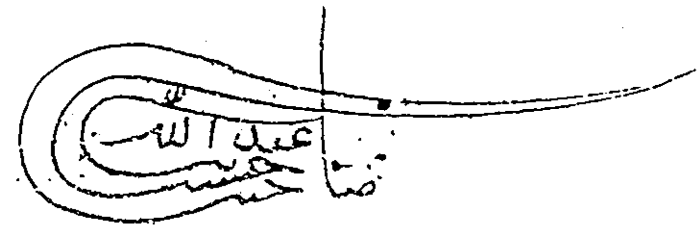
وعدد صفحات المخطوطة ١٦٩ صفحة تحوي الصفحة ٢١ سطراً بخط بين الفارسي والنسخ ، وبعض الكلمات مشكولة بالحركات ، والعناوينُ بخط الثُّلث ، وليس في الصفحات مايشير إلى مقابلتها وتصحيح بعض كلماتها ، فهي لاتخلو من أخْطَاءٍ .



الكتاب يذكر فيه فضايل
المغرب وفيه احسن اشعار
امثلهم بحسب المناسبة واقتضا
المقام في شان اكثر المتداولات
بينهم والمستهزءات بين جميع الشعـ
والمتشان

لبديع الهمذاني
رأى الضيف مكتوبا على باب داره
فصحفه ضيفا فقام الى السيف
فقلت له خيرا فظن بانني
اقول له خبزا فمات من الخوف

طرة المخطوطة



الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين

احقا عباد الله ان لست لاقيا بثينة او يلقى الثريا رقيبها

علام ايها الاخ وقاك الله المحذور ولقاك في مقاصدك السرور تفاجي

النجم ورقيبه في المقارنة ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة فاتك

على الهجر مصر ... الغدر مستقرا ومتى ابتدعت هذه

الطبيعة حتى ... قول ابن ربيعة شعر

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

فتجافيت عن ... الانس من خصايصه وكنت تفي بوفاء التابع

بقلايصه فان نزحت دار كل تراخت اخبار كل او قرب مزار كل لم

يومن ... زوار كل وكم زرتني مبكرا ويممتني معقبا ومهجرا وضربت

الى اكباد المطي وطويت غول البلد النطي

... الاخفاف عن شغف الذرى نبال توالهما رحاب جنوبها ...

... غزية واقبل هريركا واذ قتى مرات البين وملت الى ارتشاف

والمنك فقهقهة الابريق واضربت صفحا عن رعاية الصديق

حتى لا يمدك وللكريم ذمة لا تخفر وانت ملتحف

الظلام وتزوج ابنة العنب بابن الغمام حتى ترى

البحر

الصفحة الاولى

الملواح سيف عمرو بن مسلمة وقال سراقة البارقي فيه شعر
اذا امتحنت انامل كف عمرو على الملواح والخذم اللئام و
الملوّح سيف ثابت بن قيس وقال شعر
ومن يك لاهيا للسيف منكم فانا كان الملوّح بالمليم
اتى باللوم وهو كالمشيب ونزل سليل المتانب . شعر
سيكفيك ضرب القوم لحم معرّض وماء قدور في القصاع مشيب
والسفّاح سيف حميد بن بحدل الكلبي شعر هذا حُمَيد قد اتاكم مُعلما
يدّرع الليل ويمضي قُدُما لسيفه السفّاح ما تلعثما
وذكر بعضهم ان الليل ها هنا سيف عرفجة الكلبي الذي قال فيه شعر
والليل ذو الغربين يكفي وهذا القول من استنباط المعلمين و
عابس سيف عبد الرحمن الكلبي وقال الفرزدق شعر
اذا ما توارى عابسا فاض سيفه دما ويُعطي ماله ان تبسّما
والخطير سيف عبد مالك الخولاني ولما ولي العباس بن محمد اليمن
استعمل روق بن عباد الخولاني على مخلاف من مخاليفها وطلب منه
الخطير فوهبه له وانشد وانشد فلا ابتغي بدلا بالخطير
وكل بديل به اعور **وذو الخُرصين** سيف قيس بن الخطيم
وقال فيه شعر ضربت بذي الخُرصين هامة مالك فأُبتُ بنفس قد اصبت شفاءها
وكان الانصار رضي الله عنهم يضربون المثل بسيف ابي قتادة الانصاري و
هو **الحجوم** وسيف مالك بن العجلان وهو **المسنون** و
القطّاع سيف عصام بن شهبر الجرمي وقال فيه شعر
قد علمت جرم ونهد تشهد اني على الاعداء ليث قسورة

سنّ

ومن امثال القحطانية

بازار ويقال اسلكوا ذلّ الطريق
انكد من عفير والعايذ الحديثة النتاج من الابل والخيل وكان معها
ولد او لم يكن وقال ابو عبيدة هي التي معها ولدها والجمع عوذ وقال
غيره سميت عايذا لانها تعوذ بولدها قال ابو زيد ويقال عاذت
واعاذت واعوذت وقال الاصمعي قال بعض الاعراب ما
يسرني بعلمي علم مثله وما علمك قال اعلم ان المرء تحت البقل وان
الحمّى في اصول النخل وشر الغبيات غبيات النبل وشر النساء
العويرآ المراض وللمرآ الحياض وهو مشيح على العيش مليح من
المران وهذا جبل يعني الارخ المخذم وقد تلب بفلان العاير
وهو من كلام الاعراب ومن دعايهم قصر الله عزّ وجل ظلّم ُحيات رجلد
للرجل الجزور ولا يقال سلخ وهو برد قم الغيظ ويقال واسطة الرحل
وانشد يعقوب بعر ملتزما من الناس الواسطة وواسط الرحل
قال الاعشى شعر وفي كل عام لرغزوة تحت الدوابر حت السفن
لحجون تظل الفتى جاذيا على واسط الكور عند الاذن والجمع الاواسط
وانشد علماؤنا رضي الله عنهم اجمعين مونّ على الرحال اذا ازامت
بايدي العيس مهلكة فيناير كان اواسط الاكوار فيها تيوز لنا تلاعبهم صغار
وتليلها مرين بالذبيان وهو غريب وتدجا في الشر وكان بينهما مثر
حدث ويقال للاسى جُجُ هذه الشجرة ويقال فاقع بيت النقوع
وجاز فلان تتغيش ولدانا وما صربت عليه نغبة قط اى فعله يجه
الموت بنزل هم ابتل من الزواق وقال الاعلم بن خالد شعر
وانى كما قتاد القرين الى الهوى وبتنا دني يوما ترين فاتبع

« فوردن والعيوق مقعد رابي الضرباء فوق النظم لا يتتلع »
فلما كان ورود الحمر معلوما وقته وذلك ان الحمر اذا اهمها توجيهها
انتظر الليل حتى اذا جن عليه وجهها فاساد الليل حتى يصبح (لما د
عرف الزمان وقال ـــــ ذو الرمة شعر الا طرقت مية ما بذكرها .
وايدي الثريا جنح في المغارب ∴ والثريا تجنح في جميع اوقات الليل
من زمان طلوعها فهذا غير محظور ولكنه ذكر الخيال وهو في مسير فعلم انه
في آخر الليل واشعار العرب متواطية على هذا التفسير وهم يشيرون ايضا
الى انما يقصدونها بذكر كواكب يرصدونها كقول الشاعر
« ان العراق واهله كانوا الهوى ٠ فاذا نأى بي ودهم فليبعد »
« فلتتركنهم بليل ناقتي ٠ تذر السماك وتهتدي بالفرقد »
واما قول الراعي شعر ابى ابلي تكلأ راعيا لها ٠ فما نرضيها طبق النجوم »
فقوله طبق النجوم اى الليل كله فتجاربها طبق النجم ونحو مثل درج النجوم ثم ومن
يا مناة آنيا من آناء الليل والفارطان اللذان سالتني عنهما كوكبان متباينا
امام بنات نعش وكل متقدم فارط وقيل للمتقدم في طلب الماء فارط وفراط
القطا متقدماتها الى الوادي والفراط الذي يكون لمن سبق اليه من
الاحياء والحلفان هما حضار والوزن تحلف عليهما انهما سهيل للشبه
المنجمون يدعونهما المحنثين والعرب تقول هذا شيء محلف اذا كان يشك
فيه فيحالف عليه وانشدوا شعر كميت غير محلفة ولكن
كلون الصرف علّ به الاديم ، واما عطارد فلم يتكلم احد من علمائنا
في اشتقاقه والعرب تقول عطرد اي اعتد وشاؤ عطرد اي
طويل وقول ـــــ امية شعر والشمس تطلع كل آخر ليلة ∴

تمت

الصفحة الاخيرة

ذكر النجوم والكواكب

في الشعر العربي

الأستاذ وجيه السمان

لا يختلف اثنـان في جمـال المنظر الليلي للسماء الصـاحيـة ولا في جلاله . ففيه تتجلى عظمة الخالق وروعة خلقه . ومن دواعي الأسف ان حياتنا المدنية الحديثة ووسائل الرفاهية التي فيها قـد قطعت صلتنـا بهـذا المنظر البهي الذي لم نعد نراه الا في النـدرة عنـدمـا يتيسر لنـا ان نخرج من المدينة الى الريف او ان نقوم برحلة بحرية . فتظهر لنا السماء عندئـذ بمنظرها البهي فيملأنا اعجاباً ويوحي بالأسف لشدة بعدنا عنه .

من اكثر الشعوب القديمـة الفـة للسماء شعوب الشرق الأوسـط . لهـذا بـدأ فيهـا النظر الى نجوم السماء والتـأمـل فيهـا مبكراً قبـل ظهـوره عنـد الشعوب الأخرى . فـالفلـك والتنجيم ظهرا في آشور وبـابـل وفي فينيقيـا وجزيرة العرب ومصر وبلاد اليونـان والهنـد . وقـد كان العرب من اشـد الشعوب اهتمامـاً بـالسماء لأن سماءهم صـاحيـة في اكثر ايـام السنـة ، ولأن صحراءهم الواسعة التي انتشروا فيها ايام بداوتهم لم يكن لهم فيها انيس ولا صاحب سوى النجم . وقد تردد ذكر النجوم في اشعـارهم . وكانوا يؤثرون السفر في الليل التماساً للبرودة وهرباً من حرقة الشمس وحر النهار .

لذلك كان لهم نصيب من الثقافة الفلكية واطلاع جيد على النير من النجوم فسموهـا منـذ القـدم بـاسماء عربيـة وتوارثوا العلم بمـواقيتهـا حسب الفصول وغدت مـألوفـة لـديهم كل الالفـة وتردد ذكرهـا في الشعر العربي منذ ايام الجاهلية .

ولما ظهر الاسلام وسكن قسم كبير من العرب المدن التي فتحوها لم ينقص اهتمامهم بالنجوم لأن لها دوراً هاماً في تحديد مواقيت الصلاة وحساب التقويم ، واخذوا يترجمون كتب الفلك والتنجيم الأعجمية منذ أواخر عصر الدولة الأموية ، وارتقى علمهم بالفلك إلى حد انهم صار لهم فيه علماء كبار تتابعوا على مدى العصور واخذوا بالازدياد قرناً فقرناً .

وكان المذهب السائد في الفلك في تلك العصور هو مذهب الفلكي اليوناني الاسكندري بطلميوس صاحب كتاب المجسطي المشهور . وقبل العرب هذا النظام الذي كان يجعل الأرض مركزاً للعالم تدور حوله الكواكب السيارة والنجوم ، فكان هنالك ثمانية افلاك هي :
فلك القمر ، ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ، ثم المريخ ثم المشتري وبعده زحل آخر الكواكب المعروفة حينئذ ، وهذه سبعة افلاك ، وجعلوا الفلك الثامن فلك الأفلاك تدور فيه جميع النجوم التي ترى في السماء وتسمى بالثابتة .

ويقول سليمان المهري العالم البحري العربي في كتابه : تمهيد الأصول في علوم البحر(☆) ص (٥٣ ـ ٥٤) ما يلي : « الكواكب الثابتة كلها مركوزة في جرم الفلك الثامن . وهي في انفاسها مختلفة القدر ، كثيرة العدد . الا ان القدماء ادركوا منها بأرصادهم الفاً واثنين وعشرين كوكباً وجعلوا لها ست مراتب سميت اقداراً او أعظاماً (جمع عِظم) على تزايد سدس في المقادير . فوجدوا في القدر الأول ١٥ كوكباً هي الزاهرة ، كالنسر الواقع والشّعرى العبور والعَيّوق وما شاكلها . وفي القدر الثاني خمسة واربعين كوكباً كالنسر الطائر والفرقد. وفي الثالث ٢٠٨ كواكب وفي الرابع ٤٧٤ وفي الخامس ٢١٧ وفي السادس ٤٩ كوكباً » . ويرى

(☆) تحقيق الأستاذ إبراهيم الخوري وطبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ .

الصوفي في كتابه : صور الكوكبات الثاني والاربعين ان عدد الكواكب المرئية بالعين المجردة يبلغ ١٠٢٥ .

ويرى الفلكيون الحديثون ان عدد النجوم التي ترى بالعين المجردة قرابة ثلاثة الاف نجم في النصف الشمالي من السماء ومثله في النصف الجنوبي فيكون مجموع النجوم التي يمكن احصاؤها في نصفي القبة بالعين المجردة ستة الاف نجم . وقد استطاع الفلكيون ان يحصوا بالتصوير وبالتقدير ما بين مائة مليار ومائتي مليار شمس في مجرتنا وحدها . ولسنا الان معنيين بدراسة هذاالعدد . والذي اقصده من هذا البحث هو بيان ماجر رقي الفلك في هذه الأيام من حقائق جعلت اقوال الشعراء في النجوم بعيدة عن الصحة وعن الامكان ، بل صيرتها مضحكة احياناً عندما يفسرها الانسان على ضوء العلم الحديث الذي يعتمد على قياسات ومشاهدات وصور عملت بأجهزة لا يطرأ على ضبطها وصحة نتائجها شيء من الشك .

من المعلوم الان ان الارض هي احدى الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس وان الشمس نجم من النجوم العديدة التي تؤلف بمجموعها هذه المجرة التي ترى في السماء في الليالي الصاحية وهذه المجرة كالقرص المستدير الرقيق يبلغ قطرها ٩٠ الف سنة ضوئية تقريباً .

والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في انتشاره في الخلاء ، في مدة سنة بسرعة قدرها ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية . فهي تساوي اذاً :

٣٠٠٠٠٠ × ٦٠ (ثانية) × ٦٠ (دقيقة) × ٢٤ (ساعة) × ٣٦٥ (يوماً) = ٩٤٦١ مليار كيلو متر وعلى سبيل المثال نقول ان الشعرى

اليمانية تبعد عنا ٨,٧ سنة ضوئية وسهيل اليمن يبعد ١٨٠ سنة ومنكب الجوزاء ٦٥٠ سنة ... الى ان نصل الى عشرات الألوف من السنين .

هذا ، وان في الفضاء مليارات المجرات وكلها نجوم مثل نجومنا ويقدر الفلكيون عدد النجوم في الكون بـ ٢٠٠ مليار × ٢٠٠ مليار = ٤٠ الف مليار مليار نجم (او شمس) .

• • •

نأتي الان الى ايراد بعض الأبيات الشعرية التي ورد فيها ذكر النجوم .

٠١ ـ قال الشاعر يذكر الفرقدين :

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر أبيك الا الفرقدان

والفرقدان هما نجمان في كوكبة الدب الأصغر (أو بنات نعش الصغرى) يبدوان للعين المجردة قريبين من بعضهما ويسمى احدهما أنور الفرقدين والآخر اخفى الفرقدين لاختلافهما في درجة السطوع . ووفقاً للرأي القديم الذي يقول بأن النجوم غارزة في الكرة الثامنة ، تكون ابعاد النجوم عنا متساوية ولما كانا يبدوان للعين متقاربين جداً وسماهما العرب : الفرقدين ، تصوروهما متلازمين لايفارق احدهما الآخر .

ولكن علماء الفلك الحديث الذين قاسوا ابعاد عدد كبير من النجوم عنا ، وصلوا الى النتيجة الآتية :

بعد أنور الفرقدين : ٩٥,٥ سنة ضوئية

بعد اخفى الفرقدين : ٢٦٩ سنة ضوئية

فهما وإن كانا يبدوان للعين جد متقاربين ، فإن بعديهما عنا جد مختلفين ، اذ يبلغ الفرق بين هذين البعدين ١٧٣,٥ سنة ضوئية . فما أشد

البعد بينهما .

٠٢ ـ يقول أبو العلاء المعري في قصيدته المشهورة (الا في سبيل المجد ما أنا فاعل) :

ولي منطق لم يرضَ لي كنهه منزلي على أنني بين السماكين نازل

وهذان السماكان هما :

أ ـ السماك الأعزل وهو نجم في برج العذراء والسنبلة وهو يبعد عن النظام الشمسي ٢٦٠ سنة ضوئية .

ب ـ السماك الرامح وهو نجم في كوكبة العوّاء ويبعد عن النظام الشمسي بـ ٣٦ سنة ضوئية .

اذاً فالفرق بين بعديهما ٢٢٤ سنة ضوئية ! هذا إلى أنهما ليسا متقاربين في منظر السماء بل يوجد بينهما بون شاسع ، فهنيئاً للمعري على هذا المنزل السماوي .

٠٣ ـ يقول المعري أيضاً :

وكأن الهلال يهوى الثريا فهما للوداع معتنقان

لابد من الإشارة هنا الى أن المعرّي قد جمع بين القمر (أو الهلال) الذي هو تابع للأرض ويدور حولها على بعد قيمته المتوسطة ٣٨٣ الف كيلو متر (وقد زاره البشر ، كما هو معلوم) وبين الثريا التي هي حشد نجمي (يسمى حشداً مفتوحاً) ويبعد عن النظام الشمسي بـ ٤١٠ سنة ضوئية . ولا يرى بالعين منه سوى خمسة أو ستة نجوم سميت على الترتيب : أطلس ، أليسون ، ميروب ، الكترا ، مايا .

ويمكن أن يرى من هذه النجوم بالمنظار العادي ذي العينين قرابة ثلاثين نجماً (أي ثلاثين شمساً)

٤. ـ يقول عمر بن أبي ربيعة عندما بلّغوه بأن حبيبته الثريا قد

زوجت الى رجل يقال له سهيل

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرَكَ الله كيف يلتقيان ؟
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

لانجد هنا مطعناً على الشاعر في قوله هذا لأن حشد الثريا هو من الحشود الشمالية ، فهو يظهر في السماء الشمالية ، ولكن نجم سهيل الذي ينتمي الى كوكبة الجؤجؤ ، وهي كوكبة جنوبية ، (ويعد المع نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية) لايظهر في سمائنا إلا نادراً ويكون عند ظهوره مجاوراً للأفق لذلك تصعب رؤيته . وهو يبعد عنا بمقدار ١٩٠ سنة ضوئية ونورانيته الخاصة أكبر من نورانية الشمس بألفي مرة ، وهو محمر اللون ولذلك قال المعري في وصفه :

وسهيلٌ كوجنة الحِبِّ في اللو ن وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمحَ في احمرار كما تسـ ـرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرّجته دماً سيوف الأعادي فبكت رحمة له الشعريان
ونضا فجره على نسره الـوا قـع سيفاً فهم بالطيران

٥. ـ يقول جرير من قصيدة يمدح فيها الوليد بن عبد الملك :

وبنو الوليد من الوليد بمنزل كالبدر حفّ بواضحات الأنجم

فلنتصور القمر الذي هو جرم كروي قطره ٣,٥٠٠كم قد حف بانجم كالشمس وأكبر من الشمس ، قطر كل نجم ١,٤ مليون كيلو متر أو أكثر . والقمر ليس له ضوء بذاته وأما النجوم فهي مضيئة بذاتها كالشمس أو أكثر ضياءً منها . كل شمس قطرها أكبر من قطر القمر بـ ٤٠٠ مرة . فماذا أصبحت حال الوليد بين أبنائه ؟

٦. ـ قال اسحاق بن إبراهيم الموصلي :

اذا مضرُ الحمراءِ كانت ارومتي وقام بنصري خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

فاذا فكرنا ببعد الثريا الذي يبلغ كما قلنا ٤١٠ سنة ضوئية لاستوى في رأينا في الجد تناوله الثريا قاعداً أو قائماً مادام الفرق بينهما متر واحد تقريباً وما قيمة المتر إزاء ٤١٠ سنة ضوئية . هذا اذا تمكن من القبض على الثريا الملتهبة التي يبلغ قطرها من جانب الى آخر ثلاثين سنة ضوئية وفيها آلاف شمس .

لما كانت النجوم تبعد عنا هذه الأبعاد الهائلة ، فيحسن بنا أن نصحح بيت المعري الذي يقول فيه :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للعين لا للنجم في الصغر

فنقول : والذنب للبعد لا للنجم في الصغر .

هذه نبذة صغيرة من الشعر الذي ورد فيه ذكر النجوم والكواكب ، اعتمد فيها ناظموها على المعرفة الفلكية اليسيرة التي كانت سائدة وقتئذ ، ثم تبين مع الأيام ما فيها من خطأ واذا كان رقي العلم في جميع نواحيه وانعكاسات هذا الرقي على الفلك قد كشف اخطاء المعتقدات والمفاهيم القديمة فالذنب لايعود على الشعراء لأنهم قد اتوا على كل حال بشعر جميل بذلوا في نظمه جهدهم ولم يكن في امكانهم التنبؤ بما سيكشف عنه المستقبل .

وتتركز الأخطاء التي ارتكبوها في أنهم لم يكونوا يعرفون الأبعاد الهائلة التي تبعد بها النجوم عنا ، ولا يميزون بين النجوم المضيئة التي هي شموس بل هي أحياناً أكبر من الشمس بكثير واشد حرارة منها وأكثر ضياءً ، وبين الكواكب السيارة التي تتلقى نورها من الشمس .

ولم يميزوا بين النجم المفرد وبين الحشود النجمية ، فظنوا أن الثريا نجم أو مجموعة نجوم متقاربة ، فاذا هي في الواقع حشد كبير من النجوم

فيه قرابة ثلاثة آلاف نجم .

ان المكتشفات الحديثة في الفلك ، وما أكثرها ، لم تنقص شيئاً من جمال السماء ، بل أضافت إليها روعة وأي روعة بعد أن بانت حقيقة ما فيها من اتساع والكثرة الهائلة لما فيها من أجرام ونجوم .

وأم ما ابانته هذه المكتشفات هو المبالغة بلا حدود التي عمد اليها الشعراء في وصف ممدوحيهم بصفات غير معقولة ولا ممكنة بل ان اكثر هذه الصفات هو من السذاجة والغباء احياناً ، بحيث ان صورة المديح كثيراً ما تنقلب الى صورة ذم وتشنيع لاستحالة تحقيقها .

قال الفرزدق في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

لنعم مناخ القوم حلوا رحالهم الى قبة فوق الوليد سماؤها
بناها ابو العاصي ومروان فوقه ويوسف قد مسّ النجوم بناؤها

فيالها من قبة ارتفعت في السماء الى مسافة مليارات الكيلو مترات وقال الفرزدق ايضاً في معرض المديح :

وكانت يداه المرزمين وقدره طويلاً بافناء البيوت صيامها

المرزمان نجمان احدهما في الجوزاء والآخر في الشعرى ، وهما من نجوم المطر .

رسالة في صناعة الكتابة

(القسم الثاني)

د . عبد اللطيف الراوي ـ عبد الإله نبهان

فصل في أعمال الليق :

إن أردت ليقة بلون الذهب يؤخذ من الزرنيخ[1] الأصفر ، ويسحق بمرارة الشاة السوداء ويكتب به ، ثم يصقل بحجر الشاذنج[2] فإنه يخرج على لون الذهب .

آخر ، ليقة فضية :

يؤخذ الزئبق المقتول[3] ويجعل في غراء[4] السمك ويكتب به ،

● نشر القسم الأول في مجلة المجمع (مج ٦٢ ، ج ٤ : ٧٦٠ ـ ٧٩٥) .

(١) الزرنيخ : في المعجم الوسيط : الزرنيخ عنصر شبيه بالفلزات له بريق الصلب ولونه . ومركباته سامّة ، يستخدم في الطب ، وفي قتل الحشرات .
وفي حواشي مترجم تكملة المعاجم العربية ٥ : ٣١٨ عن ديسقوريدوس : الزرنيخ الأصفر هو جوهر يكون في المعادن التي يكون فيها الزرنيخ الأحمر ، وأجوده ماكان ذا صفائح ، وكان لونه شبيهاً بلون الذهب ، وكانت صفائحه تنقشر كأنها مركبة بعضها على بعض ، ولم يكن فيه خلط من جوهر آخر .

(٢) الشاذَنج = شاذَنة = حجر الدم Haematite : أكسيد حديدي طبيعي ، يُعدّ أهم معدن للحديد (عن معجم الشهابي)

(٣) الزئبق المقتول : وهو تراب الزئبق ، ويكون بأن يسحق الزئبق مع بعض الأدوية الترابية بالخل حتى تغيب عيونه . (عن تكملة المعاجم العربية ٥ : ٢٧١)

(٤) غراء السمك : الغراء مادة لاصقة تحضّر من الجلود والحوافر والجيلاتين والنشا . و ... وقد جعلها معجم الشهابي مقابل glue ، ويبدو أن غراء السمك يحضّر من السمك .

ويترك حتى يجف ، ثم يصقل بالجزع[٥] ، فإنه يخرج على لون الفضة .

آخر ، ليقة ياقوتية :

تأخذ زنجفراً مسحوقاً ، وتغسله بماء الملح ، وتتركه حتى يرسب . تصفي الماء عنه ثم اخلطه بالصمغ العربي النقي المصفّى ، واضربه بإصبعك حتى يطلع لونه ، اجعله في الدواة ، ثم اجعل الليقة الحرير النظيفة وحرّك الدواة واكتب عند ذلك .

آخر في حلّ الذهب :

إذا أردت أن تكتب بالذهب خذ من الأوراق التي يستعملها المزوقون ، وتخلطها بالعسل الصافي ، وتمرسها كثيراً في قدح صينيّ أو زجاج حتى ينحلّ بحيث لاترى فيها أجزاء الذهب ، ثم صبّ عليها الماء واضربها باليد ، ويترك حتى يرسب ثم يصبّ عليها ويخلط بالصمغ المحلول مقدار مايجمعها ، ثم إن شاء يكتب بمائها ، وإن شاء اتخذ منها ليقة ويكتب بها ، ويترك حتى يجفّ ويصقل بالجزع فإنه يبقى كالشمس يتلألأ حسناً وضياء ، والله المفق .

فصل في حلّ الأجساد السبعة :[٦] :

إذا أردت أن تكتب بشيء من الأجساد السبعة خذ قطعة من أي جسد أردت أن تكتب به ، وحكّه على مسنّ بالماء إلى أن يصير الماء بلون

---

(٥) الجَزْع ONYX ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان والحجر في جملة بلون الجزع (عن معجم الشهابي) . وانظر الصحاح في اللغة والعلوم : جزع ، وتكملة المعاجم العربية ج ٤ مادة : جزع .

(٦) الأجساد السبعة عند الحكماء هي : الذهب ، الفضة ، الرصاص ، الأسرب [الرصاص الأسود] ، الحديد ، النحاس ، الخارصين .

هكذا ذكره التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (جسد) نقلاً عن شرح المواقف .

ذلك الجسد في جام ، فإذا حصل المقدار الذي تريده فاتركه ليرسب في الماء ، وصبّ عنه الماء واتركه حتى يجفّ ، فإذا جفّ اخلط به الصمغ العربيّ المحلول واكتب به فإنه جيد .

آخر في الكتابة بالأجساد السبعة :

إذا أردت أن تكتب بشيء من الأجساد فاعمد إلى حجر اللازورد[٧] ، واسحقه وامزجه بماء غراء السمك ، واكتب به ماشئت ، واتركه حتى يجفّ ثم خذ ميلاً من أي جسد أردت أن تكتب به ، واكتب فوق تلك الكتابة بالميل مراراً فإنه يظهر عليها لون ذلك الجسد أحسن ما يكون . والله الموفق للصواب .

فصل في اعمال الملاطفات :

إذا أردت أن لا يعلم أحد ماكتبته من الناس غير المكتوب إليه فاكتب بشيء من الطرق التي نذكرها .

وحكي أن الإسماعيلية كتبوا كتاباً إلى شخص بناحية « قها »[٨] في زمن (الب ارغو)[٩] صاحب قزوين ، فظفر هو بقاصدهم وأخذ منه الكتاب ، فلمّا فتحوه كان بياضاً لا مكتوب فيه ، فعلموا أنّ فيه حيلة ، وأن الكتاب لا يخلو من المكتوب . فراجعوا أبا محمد النجار القزويني

---

(٧) اللازورد (Lapis lazuli) : جوهر أزرق سماوي جميل ؛ وهو صوّانات الألومينيوم والصوديوم والكلسيوم ، مع قليل من الكلور (عن معجم الشهابي)

(٨) : قرية عظيمة بين الريّ وقزوين (عن معجم البلدان)

(٩) الب أرغو : من أتابكة لورستان الكبرى الذين حكموا مابين ٥٤٣ ـ ٨٢٧ هـ ، وألب أرغو حكم مابين ٦٥٧ و ٦٧٣ هـ ـ انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : ٣٥٢ ، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢ : ٣٦٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة (ألب) .

وكان عالمهم في زمانه ، فأمر أن يعرض الكتاب على النار ، فلمّا وقع عليه ضوء النار ، ظهرت عليه كتابة كتبوها إلى شخص بناحية « قها » من أعمال الريّ ، وطلبوا منه الإبل والحمام . فقال الأمير : المشكل بعدُ ما انحلّ ، من أين بـ « قها » الإبل والحمام ؟ فقال : أرادوا بالإبل القسيّ ، وبالحمام النبال . فقالوا من أين قلت ؟ قال : أما سمعتم قول الشاعر في وصف الإبل :

خوص كأشباح الحنايا ضمّر[10]

وقول الآخر في وصف السهام :

وإذا رمت ترمي بموت طائر

إذا أردت أن تكتب خطاً لا يظهر على القرطاس ، فاكتب بماء النوشاذر ، فإنه إذا جفّ لا يَبين شيء ، وإذا عرضته على النار يُظهر خطاً أسود يقرأ منه .

آخر :

إذا كتبت برارة السلحفاة تظهر الكتابة بالليل دون النهار .

آخر :

يؤخذ دهن السمك ويعرض على النار حتى يغلظ ، ثم يكتب به ، فإنه لا يبين ، وإذا [عُرض] على الشمس يظهر عليه خط بلون الذهب .

(١٠) الشعر لابن دريد ، وتمامه : يَرْعُفْن بالأمشاج من جذب البرى
والخوص : النوق الغائرات العيون ، والحنايا جمع حنيّة ، شبّه شخوصها بأشخاص القِسيّ لضمرها . والأمشاج : الدم المختلط . انظر شرح المقصورة للتبريزي : ٥٢ ، البيت رقم ٤٥

آخر :

يكتب بماء البصل الأحمر ويترك حتى يجفّ فإنه لا يبين شيء ، فإذا عُرض على النار يظهر خطاً أخضر .

آخر :

يكتب بماء العفص فإنه لا يبين شيء ، فإذا غُمس في ماء الزاج يظهر عليه كتابة سوداء .

آخر :

يؤخذ الحرمل[١١] ويسحق وينقع في الماء وينزّل يومين ، ثم يكتب بذلك الماء فلا يبين شيء ، وإذا قرب من النار ظهرت الكتابة .

فصل في أعمال عجيبة :

إذا أردت دواءً يقلع الحبر من الكاغد فخذ شبّاً[١٢] ومَصْلاً[١٣] وقلياً[١٤] وكبريتاً أصفر ، أجزاء سواء ، ويسحق ويسقى خل خمر حتى يصير كالمرهم ، ثم اتركه حتى يجفّ ، واتخذ منه بنادق ، وتحك بها الحبر عند الحاجة .

آخر :

إذا أردت دواء يقلع الدهن من الكاغد فخذ شيئاً من العظم واحرقه

(١١) الحرمل : في معجم الشهابي peganum harmala : اسم النوع العلمي من حرمل العربية . نبات طبي معمّر من فصيلة القدّيسيّات مبذول في أنحاء الشام وفي سيناء .

(١٢) الشبّ ALUM : ملح متبلور ، اسمه الكيميائي كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم . وهو يطلق على أشباه هذا الملح (عن الصحاح في اللغة والعلوم : شب)

(١٣) المصل : يبدو أنه يريد مصل اللبن ، وهو الماء الذي ينفصل عن اللبن الخاثر لدى تقطيره

(١٤) القلي Alkaly : تطلق عادة على كربونات الصوديوم أو كربونات البوتاسيوم ، وبصفة عامة تطلق على كل ملح مرّ المذاق على سطح الأرض أو قريباً منها .

بالنّار ، ثم اسحقه ناعماً وانثره على الكاغد ، واجعل فوقه ثقيلاً واتركه ليلاً ، فإنه يأخذ جميع ما كان عليه من الدهن ، ويجعله كأن لم يكن أصابه .

آخر : في عمل القلم البغدادي :

إذا أردت أن تنقش الأقلام فخذ من طين الخزافين ، وحلّه في مرارة الغنم ، وامسح القلم مسحاً ثم انقشه به واتركه حتى يجف ، ثم خذ مجمرة فيها جمر ، وتطرح عليها شيئاً من الكبريت الأصفر ، وتدهن به القلم حتى يسودّ ، ثم تمسحه بخرقة وتدهنه فإنه يبقى منقوشاً .

آخر :

إذا أردت أن لا يبتلّ الكاغد بالماء خذ شيئاً من الشبّ اليماني واسحقه واعجنه باللّبن وتشدّه في خرقة ، واطل به الكاغد جيداً ثم اصقله فإنه لا يبتلّ بالماء .

آخر :

إذا أردت أنْ لا يقربَ المكتوبَ شيء من الهوام فاجعلْ في المِداد مرارةَ البقر .

آخر :

إذا أردت أن لا يقرِضَ الفار وغيره الكاغد[١٥] فعند التزرين[١٦] يُستعمل فيه شيء من شحم الحنظل .

---

(١٥) الكاغد : القرطاس ، فارسيّ معرّب

(١٦) يبدو أنه يريد بالتزرين مرحلة تسكين الخليط الذي يصنع منه الورق .

النظر السابع : في الكاتب[١٧]

واعلم أن الكاتب يجب أن يكون أفضل الناس لأنه لسان الملك ، وماكتبه يكون مضافاً إلى الملك ، وكلام الإنسان عيار عقله ، فالكلام الركيك والحشو والخطأ واللحن لا يليق بالملوك ، فلهذا المعنى يجب أن يكون الكاتب موصوفاً بأكثر العلوم لأنه [١١] كلما كان علمه أكثر كان مجال كلامه أوسع ، فلا بّد من علم اللغة ليضع لكل معنىً لفظاً يليق به ، والنحو والتصريف لتسلم ألفاظه عن اللحن الذي هو أقبح العيوب ، ولقد رأيت اللحن عند أهل الفضل من أقبح العيوب .

ثم يجب أن يكون عنده حظ وافر من علم البيان ، وهو حسن استعمال العربية لئلا يكون كلامه مثل كلام أهل السوق ، ومن أراد ذلك فلينظر في اللفظ قبل التأليف الذي يصير به كلاما ، كما أن الصانع ينظر فيما يستعمله من الآلات أنها هل تصلح لهذا الغرض فيختار من الألفاظ ما هي أدلّ على المعنى الذي يريده ، وإلى الكلمة التي قبلها ، إن ضمت هذه إلى تلك هل تكون عذبة ملائمة ، فإن وجدها كذلك اختارها ، وإن وجدها ثقيلة بائنة مستكرهة فليلقها ، ويطلب ملاءمة اللفظ والمعنى ، ومن راعى هذا الشرط فهو كاتب حقاً ، كما ترى ذلك في مراسلات الصّابي[١٨] كاتب عضد الدولة[١٩] . ومن جمع بين ملاءمة الألفاظ

(١٧) انظر صبح الأعشى ١ : ٦١ ومابعدها ، وكتاب الكتاب لعبد الله بن عبد العزيز ١٤٦ ، والرسالة العذراء : ٧ ، ٨

(١٨) الصابئ أبو إسحاق ، ابراهيم بن هلال (٣١٣ ـ ٣٨٤ هـ) . ترجمته في معجم الادباء ٢ / ٢٠ ، اخبار الحكاء ٧٥ ، معاهد التنصيص ٢ / ٦١ وفيات الاعيان ١ / ٣٤

(١٩) عضد الدولة فنّا خسرو (٣٢٤ ـ ٣٧٢ هـ) ملك العراق بعد أن قتل ابن عمه عز الدولة بختيار عام ٣٦٧ هـ ولقب نفسه بشاهنشاه بعد ان امتد حكمه من بحر الخزر الى كرمان تنظر في ترجمته تجارب الأمم ٢ / ٢٣٤ ، الكامل ٨ / ٥٧٦ المنتظم ٧ / ١١٣ ، وفيات الأعيان ٤ / ٥٠ .

والمعاني وحسن الخط فقد نال أعلى المراتب . قال الإمام عبد القاهر الجرجاني[٢٠] رحمة الله عليه : إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ ، وإنما الفضيلة لملائمة معنى اللفظ لمعنى يليها ولطافة اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى كلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظة الشيء في قول أبي حيّة :

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يملّ التقاضيا

فإنك تعرف حسنها ولطفها ومكانها من القبول . ثم انظر إليها في بيت المتنبي :

لو الفلكُ الدوار أبغضت سعيه لعوّقه شيءٌ عن الدوران

فإنك ترى من الثقل بحسب مانلت من الحسن فيما تقدّم . وهذا باب واسع ، فإنك تجد الرجلين قد استعملا كلاماً بعينه ، وترى هذا قد فرع السماء ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض . وهذا آخر كلام عبد القاهر[٢١] .

ويجب أن يكون الكاتب عارفاً بتفسير القرآن وأحاديث النبيّ ﷺ ليستشهد بها في المواضع ، وبالأشعار والأمثال ليذكرها في مواضعها اللائقة ، وبأصول الدين حتى لا يكتب ما يخالف الاعتقاد ، وبالفقه حتى لا يكون حكم الملك مخالفاً للشرع ، ويكون عارفاً بالشعر وعلم

(٢٠) عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠ ـ ٤٧١ هـ) .

(٢١) كلام الإمام عبد القاهر منقول بتصرف يسير من دلائل الاعجاز ص ٤١ ، ٤٢ ، [ص ٤٨ من دلائل الاعجاز تح الأستاذ محمود محمد شاكر] . وتخريج الأبيات التي استشهد بها الإمام في الدلائل وإليكه :

ـ بيت أبي حية في شعره ١٠١ تح يحيى الجبوري (دمشق) .

ـ بيت المتنبي في ديوانه بشرح الواحدي ٦٧٥ من قصيدة أولها :

عدوّك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

العروض حتى لا يجري في قلمه شعر غير موزون ، فإنه قبيح جداً ، ويجب أن يكون عارفاً بقصص الأنبياء وأخبار الملوك الماضين ، وبوقائع العرب والعجم ، وسير الملوك الماضين ليذكرها في مواضعها إن دعت الحاجة إلى ذكرها . ويجب أن يكون عارفاً بالصكوك لحاجة العهود والمواثيق ، وعليه أن يتصفح كلام الأوائل كرسالة الصابي كاتب عضد الدولة ، وعبد الحميد كاتب عبد الملك بن مروان[٢٢] . ومن العجم كلام محمد بن نصر الله الغزنوي صاحب كليلة ودمنة ، فإنه كان عارفاً بما ذكرناه من العلوم ، وكان كاتب بهرام شاه السبكتكيني[٢٣] ، وكذلك الرشيد وطواط[٢٤] كاتب خوارزمشاه اتسز ، له أشعار عربية وعجميّة وديوان رسائل .

ومما يليق بهذا المكان حكاية حكاها عمرو بن مسعدة[٢٥] وزير المعتصم قال : كنت منحدراً في سفينة إلى أهواز ، فلما وصلت إلى دير عامولا[٢٦]

(٢٢) عبد الحميد بن يحي الكاتب (ت ١٣٢ هـ) من المعروف أنه كان كاتباً لمروان بن محمد واختصّ به . انظر الأعلام .

(٢٣) يبدو أنه يريد به يمن الدولة بهرام شاه بن مسعود نائب سنجر . زامباور : ٤١٨

(٢٤) الرشيد الوطواط : محمد بن محمد بن عبد الجليل رشيد الدين ، شاعر بالعربية والفارسية وله رسائل ودواوين ومؤلفات توفي عام ٥٧٣ هـ ـ ١١٧٧ م له ديوان حدائق السحر في دقائق الشعر بالفارسية قدمه لأبي المظفر خوارزم شاه .

(٢٥) عمرو بن مسعدة توفي ٢١٧ هـ ـ ٨٣٢ م ، أبو الفضل الصولي ، وزير المأمون وأحد الكتّاب البلغاء ، كان يوقّع بين يدي جعفر البرمكي في أيام الرشيد ، واتّصل بالمأمون فرفع مكانته وأغناه ، وتوفي في أيام المأمون ، ولم يدرك أيام المعتصم . والقصة الواردة تجدها في العقد ٤ : ١٧٥ وما بعدها

(٢٦) دير عاقولا : اعتقد انه دير العاقول نفسه وهو بين مدائن كسرى والنعمانية ينظر معجم البلدان ٢ / ٦٧٦ وينظر الديارات للشابشتي .

إذا رجل يصيح : يا ملاّح قرّب إلى الشط واحملني فإني رجل منقطع . فأمرت بحمله فأدخلوه فدخل وقعد في كوثل[٢٧] الزورق . فقلت له : أين تريد ؟ قال : موضع كذا . قلت : ماغرضك . قال : نسيب لي هناك . فقلت له : ما صناعتك ؟ فقال : حائك / ثم قل لي : جعلت فداك ، سألتني فهل تأذن لي أن أسألك . قلت : سل عمّا شئت . فقال : ما صناعتك ؟ فكرهت أن أذكر الوزارة . قلت : أنا كاتب . فقال : جعلت فداك ، الكتاب خمسة أصناف :

- كاتب رسائل يعرف الفصل والوصل ، والتهاني والتعازي ، والترغيب والترهيب .
- وكاتب خراج يعرف الذرع والمساحة والهندسة .
- وكاتب جند يعرف حساب النقادين وحلي الناس وشيات الدواب .
- وكاتب قاض يعرف الشروط والأحكام والحلال والحرام .
- وكاتب شرط يعرف الجراح والقصاص والعقول .

فأيّهم أنت أعزّك الله ؟ قلت : كاتب رسائل . قال : أخبرني لو كان لك صديق فتزوجت أمّه ، فكيف تكتب إليه أتعزّيه أم تهنيه ؟ قلت : التعزية أولى . قال : صدقت ، فكيف تعزّيه ؟ قلت : والله ما أقف على ما أكتب إليه . قال : فلست بكاتب رسائل ، فأي كاتب أنت ؟ قلت : كاتب خراج . فقال : ما تقول ـ أصلحك ـ الله إذا ولاّك السلطان عملاً ، فجار نوّابك وجاء القوم يتظلمون من بعض عمّالك وأردت أن تنظر في أمرهم بالعدل ولأحدهم قراح أردت أن تمسحه فكيف تمسحه ؟ قلت : اضرب العطوف في العمود وانظر مقدار ذلك . قال : فإذن تظلم الرجل .

(٢٧) كوثل الزورق : أي مؤخرة الزورق .

قلت : فأمسح العمود على حدة والعطوف على حدة ، قال : فإذن تظلم السلطان . قلت : والله ما أدري . قال : فإذن لست بكاتب خراج ، فأيّهم أنت أصلحك الله . قلت كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين ، أحدهما أحمد مقطوع الشفة العليا ، والآخر أحمد مقطوع الشفة السفلى . قلت : أكتب أحمد الأعلم ، وأحمد الأعلم . قال : فكيف ورزق أحدهما مائتا درهم ، ورزق الآخر ألف درهم ؟ قلت : ما أدري هذا . قال : فإذن لست بكاتب جند ، أيّهم أعزّك الله ، قلت : كاتب قاض . قال : ما تقول ـ أصلحك الله ـ في رجل تُوفّي عن زوجةٍ وسريّة ، وللزوجة بنت وللسريّة ابن ، فلما مات أخذت الزوجة الابن وادّعته وجعلت بنتها مكان الابن وتنازعا فيه ، فكيف تحكم بينهما ، وانت نائب القاضي ؟ قلت : لا أدري . قال : فلست بكاتب قاضٍ ، فأيّهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فما تقول في رجل وثب على غيره وشجّه موضحةً ، فوثب المشجوج على الشاجّ فشجّه مأمومةً . قلت : لا أعلم . قال : فلست بشيء منها .

قلت له : قد سألتَ أصلحك الله ، ففسّر لي ما سألت . فقال : أما الذي تزوجت أمه فتكتب إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجري على خلاف مراد الخلق ، والله يختار لعباده ، فيختار لك في قبضها إليه ، فإن القبور أكرم الأكفاء والسلام .

وأما القراح فتضرب واحداً في مساحة العطوف ، فمن ثمة بابه .

وأماالحلية فتكتب لمقطوع العليا : أحمد الأعلم والمقطوع السفلى أحمد الأفلج .

وأما المرأتان فتزن لبنهما ، فأيتهما أخف لبناً فهي صاحبة البنت .

وأما صاحب الشجّة ففي المُوضحة خمس من الإبل وفي المأمومة ثلث الدية .

فقلت له : أصلحك الله ، ما الذي نزع بك إلى هاهنا ؟ قال : ابن عمٍ لي كان عاملاً على ناحية فألفيته يقطع بي[1] [١٢] وأنا خارج إلى نسيب لي اضطرب في المعاش . قلتُ : ألست ذكرت أنك حائك ؟ قال : أعزك الله ، أحوك الكلام لا الثياب . قال : فطرحت عليه من ثيابي ، وأخذته معي إلى أن رجعنا إلى أمير المؤمنين ، فقال : أخبرني بما كان في طريقك . فذكرت حديث الرجل . فقال : هذا لا نستغني عنه . فولّاه بعض الأمور . فكنتُ ألقاه بعد ذلك في الموكب النبيل . والله الموفّق للصواب .

النظر الثامن : في المكتوب على قدر علم الكاتب

فإن العلم واللفظ والمعنى مسخر له يقلبها كما يشاء ، فربّما بلغ الكاتب فيها مبلغاً يسمّى سحراً . وحسنُ صنعته الإيجازُ في موضع الايجاز ، والإطناب في موضع الإطناب ، والإبهام في موضعه ، والإيضاح في موضعه ، والمبالغة في موضعها .

وروي أن رجلاً وصف رجلاً بصفات حميدة وبالغ فيها بمحضر رسول الله ﷺ فقال المذكور : يا رسول الله إنه يعرف من مناقبي أكثر من ذلك ولم يذكرها . فغضب الذاكر وقال : بل أنت كذا وكذا وذكره بصفات ذمية وبالغ فيها غير منافية لما ذكرها أولاً فقال ﷺ : إن من البيان لسحرا[٢٨] .

[(١) الصواب : « فألفيته معزولاً ، فقَطِع بي » والتصحيح من العقد / المجلة] .

(٢٨) ذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس ١ : ٥٧ : وروى ابن عمر قال : قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانها فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحرا .

وعلم البيان مأخوذ من كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ ، ومن أراد ذلك فلينظر فيها ، فإن الله تعالى عند الإطناب يقول : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾[٢٩] إلى قوله : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم ﴾[٣٠] ، لما أمر رسول الله ﷺ باتباع ملته أثنى عليه وأطنب ، ولمّا لم يرد ذلك أوجز فقال : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾[٣١] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً ﴾[٣٢][2] إلى قوله : ﴿ وسراجاً منيرا ﴾ أطنب في وصفه عند الإرسال تعظيماً لشأنه ، وأوجز في ذكره عند الموت وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾[٣٣] .

وأما الإيهام ففيه التهويل والتهديد العظيم ، فإن الملك إذا قال : لأفعلنّ بك ما أفعل ، ليس كقوله : لأضربنّك أو لأحبسنّك ، لأن في الإيهام لا يخطر ببال السامع عقوبة إلا يقول : لعله أراد أصعب من هذا . فلما جرى بين موسى وبين فرعون مناظرة طويلة واحتجاج ، ومن فرعون عتوّ وعناد ، أولها : قال : ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾[٣٤] إلى أن قال : ﴿ فأتْبعهم فرعونُ بجنوده ﴾[٣٥] فاقتضى أن يذكر عقوبة هائلة

---

(٢٩) سورة النحل ، الآية ١٢٠

(٣٠) سورة النحل ، الآية ١٢٣

(٣١) سورة النجم ، الآية ٣٧

(٣٢) سورة الفتح ، الآية ٨

[(2) نص الآية الكريمة في سورة الفتح : (إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) . ولكن المؤلف لايستشهد بها ، وانما يستشهد بآيتي سورة الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ (ياأيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا) / المجلة] .

(٣٣) سورة آل عمران : ١٤٤

(٣٤) سورة طه : ٤٩

(٣٥) سورة طه : ٧٨

شديدة ، قال تعالى : ﴿ فغشيهم من اليمّ ما غشيهم ﴾[٣٦] ولما يجر هذه المقدمات أوضح ، وقال : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾[٣٧] .

وأما التأكيد فمثل قوله تعالى : ﴿ ووعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ، فتمّ ميقات ربّه أربعين ليلة ﴾[٣٨] . وفائدة هذا التأكيد أن لا يظن ظانّ أن الثلاثين كانت مرة والعشر مرة أخرى منفصلة . فأفاد أن العشرة كانت متصلة بالثلاثين . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فصيامُ ثلاثةِ أيام في الحج وسبعةٍ إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملة ﴾[٣٩] . وفائدة[٤٠] .

(٣٦) سورة طه : ٧٨

(٣٧) القصص : ٤٠

(٣٨) الاعراف : ١٢٢ [الصواب : سورة الأعراف ، الآية ١٤٢ ، قال ابن مجاهد في كتاب السبعة : ١٥٤ « واختلفوا في قوله : (واذ واعدنا موسى) [سورة البقرة ، ٥١] ، (وواعدنا موسى) [سورة الاعراف ، ١٤٢] ، (وواعدناكم) [سورة طه ، ٨٠] فقرأ أبو عمرو بن العلاء ذلك كله بغير ألف ، وقرأ الباقون ذلك كله بالألف » / المجلة]

(٣٩) البقرة : ١٩٦

(٤٠) كذا في الأصل .

مراجع التحقيق

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطي .
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .
- الأعلام خير الدين الزركلي - ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩
- الألفاظ الفارسية المعربة أدي شير - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٨
- البيان والتبيين الجاحظ ، تح عبد السلام هارون .
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . د . أحمد السعيد سليمان - دار المعارف بمصر ١٩٧٢
- تجارب الامم ابو علي أحمد بن محمد مسكويه ، تصحيح امدروز مصر ١٩١٤ - ١٩١٦
- تكملة المعاجم العربية . دوزي - عربه وعلق عليه محمد سليم النعيمي - بغداد « صدر منه خمسة مجلدات وصلت إلى نهاية حرف الزاي .
- التعريفات السيد الشريف الجرجاني علي بن محمد - المطبعة الحميدية بمصر ١٣٢١ هـ
- دروس اللغة العبرية د . ربحي كمال ، جامعة دمشق .
- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني - تح د . محمد رضوان الداية د . فائز الداية
- ديوان الأخطل تح انطون صالحاني .
- الرسالة العذراء إبراهيم بن المدبر تح د . زكي مبارك - دار الكتب المصرية ١٩٣١
- رسائل أبي حيان التوحيدي تح د . ابراهيم الكيلاني - دمشق .
- رسائل إخوان الصفاء - دار صادر - بيروت - بلا تاريخ .
- سنن الترمذي طبع بعناية عزّة عبيد الدعاس - حمص .
- شعر الأخطل بشرح السكري تح د . فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الشهاب الخفاجي - تح محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- صبح الأعشى القلقشندي . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
- الصحاح في اللغة والعلوم . خياط ومرعشلي - بيروت ١٩٧٤
- العقد الفريد ابن عبد ربه - تح أحمد أمين ورفاقه لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (مخطوطات الأدب) رياض عبد الحميد مراد - ياسين محمد السواس - دمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- الكامل في التاريخ لابن الاثير دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦

ـ كتاب الكتاب ابن درستويه ـ تح د . إبراهيم السامرائي و د . عبد الحسين الفتلي الكويت ١٩٧٧
ـ (كتاب الكتاب وصنعة الدواة والقلم) عبد الله بن عبد العزيز البغدادي أبو القاسم . نشره وعلق عليه دومينيك سورديل في الجزء الرابع عشر من نشرة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٢ - ١٩٥٤
ـ كشاف اصطلاحات الفنون التهانوي . تح د . لطفي عبد البديع ـ مصر ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م
ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس للشيخ العجلوني . تح أحمد القلاش ـ حلب ـ بلا تاريخ .
ـ الكليات للكفوي تح د . عدنان درويش ومحمد المصري وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٢
ـ المثنى : كتاب المثنى لأبي الطيب اللغوي تح عز الدين التنوخي ـ المجمع العلمي العربي بدمشق .
ـ المزهر جلال الدين السيوطي بتحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبي الفضل ابراهيم ـ مصر .
ـ محيط المحيط بطرس البستاني ـ مكتبة لبنان .
ـ مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ـ مصر .
ـ المدخل إلى اللغة السريانية د . أحمد ارحيم هبو .
ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم العباسي تح محي الدين مصر ١٩٤٧
ـ معجم الأدباء ياقوت الحموي باشراف د . احمد فريد رفاعي مصر ١٩٣٦
ـ معجم أسماء النباتات في تاج العروس : جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي ـ الدار المصرية ـ القاهرة ١٩٦٥
ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة زامباور ـ دار الكتب المصرية .
ـ معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي دار صادر ـ دار بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧
ـ معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية مصطفى الشهابي ـ مكتبة لبنان ١٩٧٨
ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي إ . ونسنك .
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط كتاب الشعب .
ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ المكتبة العلمية ـ طهران .
ـ المعرّب : الجواليقي ، تح الشيخ أحمد محمد شاكر ـ دار الكتب المصرية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزي حيدر آباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ هـ .
ـ المواقف في علم الكلام عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ـ عالم الكتب ـ بيروت .
ـ نهاية الأرب : للنويري . نشرة مصر ـ دار الكتب .
ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان تح محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ١٩٤٨ .

في الذكرى المئوية لولادة
نسيب عريضة
الإنسان ، والصحفي ، والشاعر

فريد جحا

- ١ -

في شهر آب من عام ١٨٨٧ م[1] ، وفي مدينة حمص ، وُلد لأسعد عريضة ، ونجيبة حداد . طفلٌ سمياه « نسيباً » ، وغمرتها السعادة لأنه كان بكرهما ، وأمِلا أن يكون من أبناء اليمن والبركة .

إلا أن آمال والديه لم تتحقق إلا معنوياً ، فلقد غادرهما نسيب ، كما سنرى ، إلى الناصرة ، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية ، حيث عاش متعباً ، فقيراً ، مقتّراً عليه في الرزق ، ومات من دون أن يهنأ سنةً في حياته ، أو أن يوفق في أعماله ، لذلك لم يكن غريباً أن يشكو في شعره شكوى مرة تجلت في هذه الأبيات[2] :

غنّى المغني في سكون الدجى ۞ فقال لي صحبي : أما تسمعُ
نراك لاتحسو كؤوس الطلا ۞ ولاتنادي : آه ، أو تخشع
قلتُ : دعوني مطرقاً حائراً ۞ فليس لي في لهوكم مطمعُ
إذا سمعتم فأنا سامع ۞ ماليس يصبيكم ولا يُمتع
أبعدُ من ضجة ألحانكم ۞ عاصفُ أنغامٍ به أرتعُ
قرارها الحزن ودولابها ۞ كآبةٌ ضاقت بها الأربعُ

إلا أن نسيباً عوّض عن هذا كله مكانة أدبية سامية تجلت في شعر ممتاز ، ودور هام قام به في مسيرة الأدب المهجري .

- ٢ -

درس نسيب عريضة في المدرسة الروسية الابتدائية بحمص ، ولما تخرج منها متفوقاً أوفد إلى المدرسة الروسية في الناصرة بفلسطين ليكمل دراسته العالية من جهة ، وليتخرج معلماً من جهة ثانية . قضى في الناصرة أربع سنوات (١٩٠٠ ـ ١٩٠٤) وحاز شهادة مدرستها بتفوق رشحه للإيفاد إلى الروسيا لإكمال تعليمه العالي ، إلا أن نشوب الحرب الروسية ـ اليابانية في عام ١٩٠٥ ألغى هذا المشروع ، فحول نسيب وجهته إلى الولايات المتحدة الأميركية ، فنزل في نيويورك حيث عمل في التجارة حيناً ، وفي الطباعة حيناً آخر ، فقد ملك مطبعة باسم (الأتلنتيك) ، وأصدر عنها مجلة (الفنون) عام ١٩١٢ م التي كانت « رأس المجلات الأدبية وأولاها وأرفعها قيمة ، وكانت تنشر المواضيع العلمية والاجتماعية والأدبية والفنية »[٣] . إلا أنها احتجبت بسبب ظروف الحرب ، ثم عادت إلى الظهور في عام ١٩١٦ لتحتجب بعد مدةٍ قصيرة . وهكذا انتهى عمر مجلة الفنون ، فحزن نسيب عليها حزناً عظيماً لأنها بقيت في قلبه « حلمه القتّال »[٤] .

وعمل نسيب ، بعد هذا ، في التجارة مع أبناء عمه ، وتزوج في عام ١٩٢٢ من نجيبة حداد أخت عبد المسيح وندرة حداد ، ولم يرزقا أولاداً .

ثم تقلب في أعمال مختلفة ، فترك التجارة ، ورأس تحرير جريدة (مرآة الغرب) ثم جريدة (الهدى) ، وعمل إبّان الحرب العالمية الثانية في مكتب الأخبار العائد للولايات المتحدة نحواً من سنتين ، واستقال معتزلاً العمل لضعفٍ في كبده وقلبه ، وعكف على جمع ديوانه وطبعه . إلا أن المنيّة لم تمهله حتى يراه بين أيدي القراء ، فمات بينما كان الديوان

في عهدة المجلّد ، في الخامس والعشرين من شهر آذار عام ١٩٤٦ ، فحزن عليه الجميع ، ونعوه ، وبكوه في احتفال مهيب في بروكلين . وعبّر ميخائيل نعيمة عن مشاعر الناس جميعاً حين أبّنه من إذاعة لبنان ، ذات مساء من نيسان عام ١٩٤٦[٥] : « شعر نسيب المطبوع بجمال روحه ، العابق بأريج شخصيته الوديعة ، الحيية ، النافرة من حب الظهور والادعاء ، المشهورة في أتون الشوق إلى معالم (إرم) ... ذلك الشعر ريحانة نادرة في حديقة الأدب العربي ، ومن حق أبناء هذا الشرق ، شرقنا ، أن يضمّخوا أرواحهم بطيوبه » .

- ٣ -

أجمع كلُّ الذين كتبوا سيرة نسيب عريضة على تحليه بأخلاق نادرة ، وكان ميخائيل نعيمة أقدرهم على ذلك لمعرفته الشاعرَ عن قرب ، باعتباره زميل دراسته في مدرسة الناصرة ، وفي الرابطة القلمية في الولايات المتحدة الأميركية . فهو يقول فيه[٦] : « نسيب عريضة ، من حمص ، معتدل القامة مع ميل إلى السمنة ، في نظراته الهادئة عمق وحزن ووداعة ، وفي حركاته بطء واتزان . رصين في تفكيره وحديثه ، مخلص في صداقته . يكره الثرثرة والجدل والنميمة وتصدُّر المجالس . خجول في المجالس الغريبة عن فطرته وذوقه ، بعيد عن التكلف والصنع وحب الظهور . كان أوسع إخوانه في (الرابطة) اطلاعاً على أخبار العرب وآثارهم ، ذو طبيعة غنية ، متعددة الجوانب ، منكمشة على ذاتها ، لاتظهر على حقيقتها إلا في مجالسة النخبة من خلانها الأصفياء ، وكان نسيب يحب الأكلة الطيبة ، والكأس المشعّة ، وله ولع بلعب البوكر وتدخين السيكار . وكانت لي ولجبران وعبد المسيح سهرات في بيته قبل أن يتزوج حافلة بأمتع الذكريات . فلقد كان يتولى هو الطهي ويحسنه إلى حد

بعيد . ويتولى الباقون أشغالاً ثانوية كتحضير السلطة ، وترتيب المائدة ، وغسل الصحون وغيرها من أدوات الطعام وتجفيفها الخ ... وكنتُ أقلَّهم نفعاً في تلك الأمور ، وأبطأهم في ميدان الشراب . فحين كان نسيب يشرب الويسكي أكواباً ، ويشربها صرفاً ، وكان جبران وعبد المسيح لايقصران عنه كثيراً ، كنت أسكب لي قليلاً منها في قدح ، وأملأ القدح ماء ، ثم أمضي أحسوها حسو الطائر للماء إلى أن ننتهي من الأكل والشرب .

تزوج نسيب شقيقة عبد المسيح بعد تأسيس الرابطة . والاثنان لم يرزقا أولاداً . لم يصدر نسيب من شعره غير مجموعة واحدة أسماها « الأرواح الحائرة » . على أنه ترك الكثير من المخطوطات بين شعر ونثر . اشتغل في مؤسسات تجارية فترة من حياته ، كما عمل في تحرير (السائح) و (الهدى) بعد (الفنون) » .

وأضاف جورج صيدح[٧] إلى ذلك تعريفاً بدوره في الرابطة فقال : « كان رحمه الله ركناً متيناً من أركان (الرابطة القلمية) وموضع ثقتها ، عرف بالإخلاص والغيرة عليها . أحبه الجميع لدماثة أخلاقه ونبل روحه وعفة قلمه ولسانه . امتلأ قلبه الكبير بالحب الإنساني ، فلا موضع فيه للبغض والحسد والكبرياء . وهو الذي وجه اهتمام جبران إلى دراسة اللغة العربية وآدابها وتاريخها ، وقد لقبوه بسيبويه العصر لأنه كان أوسع الأدباء الرابطيين اطلاعاً على هذه المواد وأكثرهم تمكناً من الأدب العربيّ القديم » .

- ٤ -

ولأنه كان أكثر أعضاء الرابطة اطلاعاً على الأدب العربي ، تنوعت مجالات شعره وموضوعاته ، فنظم ملحمة (على طريق إرم) ، واحتضار

أبي فراس ، وديك الجن الحمصي ، وقصة الصمصامة . الأولى والثانية موجودتان في ديوانه[٨] ، لذلك يسهل التعريف بها وتقويمها . أما الثالثة والرابعة فمنشورتان في مجموعة الرابطة القلمية الأولى ، ولم يتح لنا الاطلاع عليهما . على أننا نملك لهما تقويماً جاء فيه[٩] : « ديك الجن الحمصي ، وقصة الصمصامة ، قصتان تتجلى فيهما موهبة نسيب الفنية في القصة بنوع عام ، والتاريخية منها بنوع خاص ، فقد اجتمعت له أسبابها ، من حبكة قوية ، ووحدة فنية متماسكة ، وديباجة مشرقة ، وخيال جميل ، مع المحافظة على حصة التاريخ من القصة الفنية » .

و (على طريق إرم) منظومة شعرية أخذت من الديوان تسع عشرة صفحة[١٠] وكانت في ستة فصول : (أول الطريق ، والقلوب على الدروب ، والطلل الأخير ، وفي القفر الأعظم ، والقيروان ، ونار إرم) . وإذا ماكانت (إرم ذات العماد) المدينة العجيبة الأسطورية التي بنيت بالذهب واللؤلؤ والجواهر ، فإن (إرم) التي يتحدث عنها الناظم في ملحمته هي (إرم) الروحية التي يسير الشاعر مراحل مع قافلته في طلبها ، ويصف طريقه مرحلةً مرحلة ، حتى يخيل إليه في الأخير أنه رأى نارها من بعيد . ولكنه لم يصل إليها[١١] » . وتحاور فيها القلب والعقل في صراع عنيف للاستئثار بمركز القيادة في معركة الحياة . وتكتب الغلبة للقلب فيسير في طليعة القافلة ، ثم تثور العاصفة فتفتك بالقلب والعقل معاً . ولا يقترب الشاعر في النهاية من نور المعرفة ولا يعود إلى الإيمان الخالص ، ولكنه يصرّ على التحديق في النور البعيد .

نقرأ في المرحلة الأولى (أول الطريق)[١٢] :

تفتحت أعين الدراري ... واستيقظت أنفس الليالي
وهينمت في الدجى الأماني ... ورفرفت أجنح الخيال

وأفلتَ الحلم من عقــــال فطــــار يسعى إلى الجمــــال
فقم بنـــا ، يــــاسمير نفسي تقفــو الأمــــاني إلى الكمــــال

ونقرأ من المرحلة الأخيرة (نار إرم)[١٣] :

تلـــــك نــــار العلم أوقِـــــــدتْ في إرم
قبــل عهــــد القِـــدم مــــالهـــا من خمــودْ
أو تـــــزول العهـــودْ
نحـــو ذاك الـــوميضْ سرُ بنـــــــا نستعيضْ
عن ظــــــلام الحضيضْ وشقــــاء الـــوجــود
بسنـــــاءِ الـــوعـــودْ
إيـــه ، ضـوئي البعيـــد ! لـحْ ولُـحْ مــاتريــــد !
ليس طرفي يحيـــــــــد عنــــــك حتى يعـــود
لترابٍ ودودْ
لُـحْ و لُــحْ في الفضـــاءْ قـــــد سمعتُ النــــداء
ودليلي الرجـــــــــاء فعســــــاه يقـــــود
ظـــــامئـــــاً للـــورودْ

- ٥ -

ويبقى الديوان أهم آثار نسيب ، وهو الـذي كفل لـه الخلود بمـا ضمّ من شعر جديد ممتاز مضموناً وشكلاً .

أعطـاه الشـاعر عنـوان (الأرواح الحـائرة) . وفي مقـدمـة (حبيب إبراهيم كاتبة) للديوان[١٤] حديث مطوّل عن حيرتين نجدهما في قصائده : الأولى الحيرة الصغرى التي تنم عن سَوْرة اليــأس المستمـدة من منكـدات الزمان ومزعجاتها ومثالها[١٥] :

رفعتُ كأسي حين لــــجَّ الهـــوى واستعصت الأشجـــــانُ في راسي

وصحتُ مغروراً بطيش الصبا ... أين الندامى ؟ أين جُلاّسي ؟
فلم يجبْني أحدٌ منهمُ ... سوى الصَّبا مرَّت بأنفاسي
فقلتُ : إن كان على ما أرى ... أمري فخلٌّ الناسَ للنّاسِ
وقمتَ والكأس علتْ في يدي ... رفعتُها أعلى من الراسِ
شربتُ وحدي نخبَ نفسي ولم ... يقلقني هاتفُ وسواسِ
وكان سمّاري نجوم الدجى ... وكانت الآمال جلاّسي
رأيتُها تهتزّ سكراً معي ... منشدةً نغمة إيناس :
« اشرب وحيداً أيُّهذا الفتى ... ولاتصمْ عن لذة الكاس »

والثانية : الحيرة الكبرى . وهي حيرة كونية تشمل الزمان والمكان برمتيهما ، وهي سَوْرة روحٍ أزلية تغلي في مرجلٍ ملؤه السماوات والأرض ، سمعنا صدى زفيرها وأنينها جيلاً بعد جيل .

« وهذه الحيرة تجعل شعره في مصاف الملهمات الخالدات التي يبذُّ فيها أقرانه »[١٤] .

ومثالها قصيدة (يانفس)[١٦] التي يخاطب الشاعر فيها نفسه ليجد ضروب الشك واليقين والحيرة والاطمئنان تتجاذب نفسه ، وتتجلى في شعر بديع لايعرف الإنسان أيَّ أبياتها يختار :

يانفس مالكِ والأنينْ ؟ ... تتألمين وتؤلمينْ ؟
عذّبتِ قلبي بالحنينْ ... وكتمتِه ، ماتقصدينْ ؟

☆ ☆ ☆

قد نام أربابُ الغرامْ ... وتدثروا لحفَ السلامْ
وأبيتِ ، يانفس ، المنامْ ... أفأنتِ وحدك تشعرين ؟

☆ ☆ ☆

يانفسُ مالك في اضطرابْ كفريسةٍ بين الذئابْ ؟
هلاّ رجعتِ إلى الصوابْ وبدلتِ ريبك باليقين ؟

☆ ☆ ☆

أحمامةٌ بين الرياحْ قد ساقها القدَرُ المتاحْ
فابتلّ بالمطر الجناحْ يانفسُ ، مالكِ ترجفين ؟

☆ ☆ ☆

أوَ مالحزنكِ من براحْ حتى ولو أزف الصباحْ ؟
ياليتَ سرّكِ لي مباح فأعي صدى ماقد تعينْ !

أما أسباب هذه الحيرة فنجدها لدى صيدح[١٧] : الإخفاق في ميدان الصحافة ، وماتبعه من احتجاب (الفنون) ، الإخفاق في ميدان التجارة لرجلٍ يملك « جناحَ مَلاك ، وقلبَ قديس ، في بلد تهوي فوقه مطارق الدولار الفاجر[١٧] » ، العمل في مجالات بعيدة عما يريد ويهوى ، فجيعته بأخيه سابا ، وبأخته ليديا ، لذلك غدا غريقاً في لجة الأحزان ، يستغيث بربه تارةً ، وبقلبه طوراً ، ويتعلّق بالفلسفة وسيلة للنجاة فتخونه . فإذا ماأعيته الحيلة في تفسير التفاوت في حظوظ البشر ، وفهم أسباب الخلل الدائم في نظام الحياة ، وعجز عن فهم حكمة الخالق في تعذيب خلائقه ، استحوذت عليه الحيرة ، فأصبح شاعرها الأول ، وأطلق اسمها على الديوان (الأرواح الحائرة) :

ياأخي ! ياأخي ! المصاعبُ شتّى وبعيدٌ مرادُنا والمواردْ
وأمامَ العيون دربٌ عسير لم تسر قبلنا عليه الأوابدْ
مظلم ، موحش ، كثير الأفاعي والسعالي المستهويات الطرائد
غير أن المسير لابد منه إن أردنا إدراكَ بعض المواعدْ

فلنسرْ في الظلام، في القفر، في الوحـ ـشة، في الويل، في طريق المجاهد
فلنسرْ ! فلنسرْ ! وإمّا هلكنا قبل إدراكنا المنى والمواعد
فكفانا أنّا ابتدأنا وأنّا إن عجزنا فقد بدأنا نشاهد[١٨]

- ٦ -

وجميلٌ هذا الصمود في وجه المصاعب ، ولولاه لاستولى اليأس على قلب الشاعر ، وقتله ، وحرمنا من شعره الكثير الذي لم يقتصر على الحزن والحيرة . ففي الديوان أغراض أخرى . فيه قصيدة غزل جميلة جميلة ، يتغنى فيها (بغادة العاصي)[١٩] ، وهي غادة جميلة كأولئك الغيد اللائي يخطرن على شاطىء العاصي قرب (الميماس) . إنه محب يعيش قلبه على أمل اللقاء ، ويراه أصحابه صبّاً مدلّهاً ، فيسألونه عمن شغف قلبه حباً[٢٠] :

عرف الصحابُ صبابتي فتساءلوا : بمن الفتى عن لهونا يتشاغلُ ؟
هي نشوة في القلب ظل زائل من بعدها يصحو وينسى الغافلُ
فأجبتُهم : حبّي قديمٌ زاكي
هو راسخٌ في النفس مابقيَ الجسدْ ولقد يدوم مع الخلود إلى الأبدْ
حوريّتي لاتسألوا عنها أحدْ أو ماعلمتم أنها بنتُ البلد ؟
من حمصَ مطلعُ لحظها الفتاكِ

وتلوح له ،من خلال الذكرى ، أسرابُ الغيد تخطر حول العاصي :

فتحتْ لقلبي قصرَه وعلاليه فوقَ المجرّة بنتُ حمصَ الغاليه
وهواكِ لاأنساكِ قربَ الساقيه أو في المروج وفي الرياض الزاهيه
وأحبُّ حمص لأنها محباكِ

وفي الديوان أحياناً أخرى تصوّفٌ واعتزال . فلقد كان ، من نتيجة ثورته ، يأسٌ قاتل ووحدة قاسية وزهد في الكون وكل مافيه من مظاهر

خادعة ولذات فارغة[٢١] :

لمّــــــا رأيتُ العيشَ لا يشفي ولا يروي أوامي
والنــــــاس يــــزحم بعضُهم بعضــاً عــدلتُ عن الــزحـــام
المـــــالُ مـــــايبغــونَ لكن لستُ أقنــعُ بــــالحطـــام
عجبــــاً ! أيطمــع بـــالغنى من ليس يطمـع بـالـدوام[٢٢] ؟

وقد يبلغ منتهى التشاؤم ، وغاية اليأس الـذي مـابعـده رجـاء ، في مقطوعته الحزينة القاتمة التي يبدؤها بقوله[٢٣] :

علّقتُ عودي على صفصافة اليـاس ورحتُ في وحـدتي أبكي على النـاس

وفيها يقول :

ماأروع الزهرة السوداء قد شقيتْ بدمعةِ القلب تحميها يـد اليـاس !
يا يأس صُنْها فإني قـد قنعتُ بهـا ولستُ أبـدلهـا بـالـورد والآسِ
إني جعلتــك نــاطـوراً لروضتهـا إيـاك أن تجتليهـا أعين النـــاس
وأنتِ والحزنُ كونا في الضلوع معي إني عهــدتكمــا من خير جـلاسي

- ٧ -

وفي الـديـوان قصــائــد كثيرة في الحنين إلى حمص التي لاينســاهــا الشاعر . فيه قصيدة (سلة فواكه)[٢٤] ، وقصتها أن الشاعر كان يمر بسوقٍ في مـدينـة نيـويـورك ، فـاستلفتت نظره سلـة فـواكـه فيهـا عنبٌ وتين ورمـان ، ولقـد ذكرتـه هـذه السلـة بثمار الشرق ، فوقف يرقبهـا ويـذكر أزماناً ماضية :

سَـلٌّ عليـه ثمـارُ الشرقِ أحـلاهــا لمتجرٍ عرضـوهــا لا لمعنـــاهـــا
وقفتُ أرقبهـا والقلب قـد تـاهــا في بحر ذكرى تنـاديني بقـايـاهـا
إلى عصورٍ خلتْ من قبـلِ أزمـانِ

وقف الشاعر وحـده من دون النـاس ، وقف يرقب سلَّ الفـاكهـة ، وإذا

تعاطفَ روحيٌّ يقوم بينهما ، وإذا بها تبسم له ، وكأنها عرفتْه غريباً :

وقفتُ رغماً وحولي الناسُ ماوقفتْ أراقبُ السلَّ والأثمار قد بسمتْ
كأنهـا إذ رأتني ذاهـلاً عرفتْ أني غريب فحيتني ومـانطقتْ
فطـار قلبي حنينـاً نحو أوطـاني

- ٨ -

وقصيدة (أمّ الحجار السود)[٢٥] من أروع شعر الحنين العربي ، وأروع قصيدة قيلت في الحنين إلى حمص ومغانيها . نتهم ذوقنا بالتحيّز ، بعد أن عشنا أياماً حارةً من شهر أيلول الماضي فكان لنا روحاً وريحاناً ، إلا أننا كلما عدنا إليها ، وجدنا وجهاً جديداً من وجوه الجمال في المبنى والمعنى معاً.. وهاأناذا أنقلها ليشاركني القراء إعجابي من جهة ، وليقولوا كلمتهم فيما أذهب إليه من تقويم لها من جهة ثانية :

(أم الحجار السود)

صورٌ تلوح لخاطر المعمودِ
مابين أربـاض المنى والبيـدِ
خفّـاقـةٌ فيهـا بنـودُ العيـدِ
بسامـةٌ فيهـا ثغـورُ الغيـدِ تجلو رؤى ماضي الهوى المفقودِ
وقف الفـؤادُ أسيرَ بارق نـارهـا
يهفـو إلى مـالاح من أسرارهـا
لمن الديـار تـذوب من تـذكارهـا
من بعد طول نوى وفرط جحود يـا مـوثقـاً من شـوقـه بقيـودِ
رُفعت لطرفـك من مكان قـاصِ
تختـال بين حـدائـق وعراصِ
أعرفتَ يـاقلبي عروسَ العـاصي ؟

محي أمانينا ومحيا الجود ونعيم راضٍ بالوجود سعيدِ
أعرفتَها تلك الربوع العاليهْ
مابينَ لبنانٍ وبينَ الباديهْ
الذكريات وقد برزن علانيهْ
نادَيْنَ عنك بحسرة المطرود ياحمص يابلدي وأرضَ جدودي !
جئتْ بكلكلها على درب الأممْ
جبارةً من طبعها رعيُ الذممْ
بلد الهوى أحجارُها سود ـ نعم
لله درُّ سوادك المعبود ! ياحمص ياأم الحجار السودِ !
ماذا يكابد في الهوى ويقاسي
صبٌّ يحن إلى حمى الميماسِ
وإلى الدوير ، إلى ربوعِ الكاسِ
وكناسها وغزالها الأملودِ وإلى مغاني نعمةٍ وسُعود
يادهرُ قد طالَ البعاد عن الوطنْ
هل عودةٌ تُرجى وقد فات الظعنْ ؟
عدْ بي إلى حمصٍ ولو حشوَ الكفنْ
واهتف : أتيتْ بعاثرٍ مردودِ واجعل ضريحي من حجارٍ سودِ
ياجارةَ العاصي إليك قد انتهى
أمَلي وأنت المبتغى والمشتهى
قلبي يرى فيك المحاسنَ كلَّها
وعلى هواكِ يدينُ بالتوحيدِ ياحمصُ ياأمَّ الحجارِ السودِ

ألم تغدُ حجارةُ حمص السود ، بعد قراءة هذه القصيدة ، زاهيةً مشرقةً كورود نيسان ؟ ألا يتمنى كل منا لو تتحقق أمانيه بالعودة إلى وطنه بعد غربة مديدة مريرة ؟

- ٩ -

وفي الديوان أيضاً قصيدة (نشيد المهاجر) التي تعتبر واحدة من أروع قصائد الشعر القومي ، لا في شعر المهجر فحسب ، بل وفي كل شعر قاله العرب في العصر الحديث . يعزّز من قيمتها أن قائلها عربي ترك بلاده في أسوأ الظروف ، وعاش بعيداً عنها في ديار عجمة كان فيها غريب الوجه واليد واللسان . ومع ذلك ، فقد أنشد هذه القصيدة التي تفيض حنيناً عاصفاً ، وعروبة صافية ، وتغنياً بالوحدة العربية من المحيط إلى الخليج ، في زمن لم يكن الناس فيه قد تفهموا فكرة الوحدة العربية كما نفهمها نحن اليوم . ولقد اخترنا منها مايلي(٢٦) :

تهزّ في الغرب ذكر الأرز والبانِ ... ماهذّبتك ليالي البعد ياعاني ؟
أحاضرٌ أنت ؟ أم بادٍ ؟ أمهتجرٌ ... في الغرب؟ أم هائم في بِيْد قحطان؟
أكلما هبت الأرياح خافقةً ... تجرُّ في ذيلها أنفاسَ ريحان
حسبتَها نسماتِ الشيح فانطلقتْ ... من أسرِها زفراتُ العاجز الواني ؟
وليس يرويك إلا نهلة بعدت ... من ماء دجلة أو سلسال لبنان
من أنتَ ؟ ماأنتَ ؟ قد وزّعتَ روحك في ... عهدين من شاسعٍ ماضٍ ومن دانِ ؟
أنا المهاجرُ ذو نفسين واحدة ... تسير سيري وأخرى رهن أوطاني
ابنَ العروبة لاأسلو الربوعَ ولو ... كانت مثيرةَ أوصابي وأشجاني
تدفقي ياارياح الشرق هائجةً ... فأنت لاشك من أهلي وإخواني
تغلغلي بين أضلاعي إلى كبدي ... وخفّفي من حرور السائل القاني
وذكّريني بما أنسيتُ من أملٍ ... وجنحيني أرفرفْ فوق أوطاني
أنا المهاجر لاأنسى الوداع وما ... جرى من الدمع في أجفان غزلان
الأهل أهلي وأطلالُ الحمى وطني ... وساكنو الربع أترابي وأقراني

قد كنتُ أشتاقهم والعين تنظرهم ... ياعظمَ شوقي على بعد وهجران
إن أنكرونا فما والله ننكرهم ... وإن جفوا لانقابلْهم بنسيان
نحبهم كيفما كانوا وإن ركبوا ... مراكب الهجر من آنٍ إلى آن
أنا الذي إن تناسى الناسُ قولهم ... هيهات ينسى، وماالكفرانُ من شاني
إن جاهدوا كان قلبي في جهادهم ... وإن تنادَوا يلبِّ الصوتَ وجداني
لاحدَّ عندي إذا جارت حدودهمُ ... الشامُ شامي ، ومصر أخت لبنانِ
وفي فلسطين أقداسي ، وعاطفتي ... في نجدَ ، والقبلةُ السَّمحاءُ إيماني
ليَ العروبةُ أمشي في مخارفها ... من العراقِ إلى مابعد وَهْران
أزهو بثوبٍ فخارٍ من مناسجها ... حتى تقرِّب أيدي البين أكفاني

- ١٠ -

وواضح مافي هذا الشعر كله من قربٍ من الأصالة العربية ، وواضح أيضاً مافيه من تجديد في الصور ، ومن بعد عن التكلف والتعقيد والإغراق في البيان والبديع . ولابد من الإشارة إلى إفادة نسيب عريضة من الموشحات ، ومن أساليب الشعر الحديث ، فاستعمل أوزاناً جديدة ، ونوع في القوافي ضمن القصيدة الواحدة . ففي موشحته (النعامى)☆طرافة وجدّة ،فهولاينهج فيها نهج الموشحات الأندلسية تماماً ، بل يغير ويبدّل ، ويدخل ماشاء له ذوقه الموسيقي من زيادة في التفاعيل أو نقص . وهو يقسم القصيدة إلى مقطوعات تتميز كل منها بنغمٍ خاص ، وتسير في بحر معين إلى أن تلتقي بتاليتها ، في توافق وانسجام ، مما يجعل هذه القصيدة الطريفة أشبه بأوبريت غنائية صالحة للتلحين ، ملائمة كل الملاءمة للنغم الموسيقي . فلنقرأ قوله في بعض مقاطعها[٢٧] :

☆ النعامى : من أسماء ريح الجنوب لأنها من أبَلّ الرياح وأرطبها .

هيـــا بنـــا يــــانـــــدامى
فقـــــد أتتنـــــا النُعـــــامى
تجرُّ ذيـــــلَ الربيـــــعْ
قـــــد زال قيـــــد الثلـــوجْ
هيـــــــــــا ابصروا في المروجْ
صنـــعَ الجمـــالِ البـــديـــعْ

وهو هنا يستعمل أحد البحور العربية القليلة الاستعمال في الشعر العربي ، وتقصد البحر المجتث ، ويضعه في قالب من التوشيح الأندلسي البديع .

وهو ينوّع في القوافي كثيراً ، ومن ذلك قصيدته (من نحن ؟) التي يقول فيها[٢٨] :

أبتْ ليـــالينـــا الطربْ واستـــوحشت أيـــامنـــا
والعمر ولّى وذهبْ ولم ننـــل منـــه المنى
همنـــا بربـــات الجمـــالْ فمـــا قنعنـــا بـــالصـــورْ
وكم ظفرنـــا بـــالـوصـــال فلم نجـــد فيـــه الـــوطرْ
من نحن ؟ هـــل نحن بشرْ نحيـــا ونمضي حـــالمين
أم نحن من طينِ الضجر لسنـــا كبـــاقي العـــالمين ؟

وله رباعيات كثيرة تأثر فيها برباعيات الخيام ، إذ فيها تشع روح عمر من خلال الكلمة والمعنى على السواء[٢٩] :

شربتُ كأسي أمـــامَ نفسي وقلتُ : يـــانفسُ مـــاالمرامُ ؟
حيـــاة شـــك ومـوت شـــك فلنغمر الشـــك بـــالُمـــدام
آمـــالنـــا شعشعت فغـــابت كالآل أبقى لنـــــا الأُوام
لابـــأسَ ، ليسَ الحيـــاةُ إلا مرحلـــة بـــدؤهـــا الختـــام

- ١١ -

ولم يكن نسيب عريضة شاعراً فحسب ، بل كان كاتباً ، كتب المقالةَ التي ارتفعت عن المستوى الصحفي العفوي ، وكادت تقارب ، في بعض الأحيان ، مستوى المقالة عند أبي ماضي . « والذاتية هي الصفة الغالبة على مقالة عريضة ، على الرغم من أنها قد تعالج موضوعات عامة . فقد كان يصور انفعاله بالموضوع ، شأن الشعراء ؛ وإننا لنجد في مقالته جَيَشاناً نفسياً ، كما نجد كل خصائص تجربته الشعرية : الانفعال العميق ، والاندفاع في المسلك الذي تبعثه عوامل نفسية بعيدة ، كثيراً ماتكون مندفعة من أغوار النفس ... على أنه يهدأ أحياناً فيصور تصويراً يستخدم فيه التشخيص والحوار[٣٠] » .

كما كتب نسيب عريضة القصة مرتين ، أولاهما (قصة الصمصامة[٣١] التي جمع فيها أخباراً كثيرة من التاريخ جعل محورها (سيف أبي عبد الله آخر أمراء العرب في الأندلس) ، وهي أخبار ، في رأينا ، لايمكن أن تصنع قصة ، وإنما هي حلم مصطنع من أحلام اليقظة ، والأحرى أن تسمى تاريخ حياة سيف .

كما كتب قصة (ديك الجن الحمصي) ، وهي القصة التاريخية الوحيدة في أدب الرابطة القلمية . وهذه ظاهرة يفسرها مانعلم من ضعف صلة كتّاب الرابطة بالتراث القديم ، بينما كان نسيب عريضة شديد الكلف به والحرص على قراءته .

ويغلب على الظن أن عريضة قد استقاها من كتاب (الأغاني) فهو أول مصادرنا عن الشعر ، وأقربها إلى الكاتب ، فضلاً عن أنّ بناء القصة ووقائعها يثبتان هذا الظن[٣٢] .

وإذا ماكان النقاد قد أخذوا على نسيب « عدم توفيقه في تصوير

الشخصيات أو في تفسير المأساة ، فإنه قد وشّى صورَه بالأخيلة الجميلة التي شغلته عن تحليل الشخصيات في القصة ، فبدا أشدَّ اهتماماً بالصورة ، حتى أوشك أن يهبها النطق والإدراك في بعض الأحيان[٣٥] .

وكتبَ نسيب أيضاً المَثَلَ في مقالة بعنوان (أمثال بمغزى وبلا مغزى[٣٦]) ، جرى فيها على طريقة الأمثال التعليمية الخرافية .

ولقد وفق في كتابة أمثاله لما طُبعت عليه نفسه من حب التأمل والمضي فيه لاكتناه حقائق الحياة والنفس ، وما كان ينتابه أحياناً من تعب ويأس .

وفيما يلي نموذج من أمثاله[٣٧] : « رأيتُ فرسين يجران عربة مثقلة بالأحمال ، والسائق يعمل السوط في ظهريهما ، ورأيت رجلاً يؤنب السائق لقسوته ويقول له :

ـ عارٌ عليكَ أن تقسوَ على الحيوان الأعجم . لو أُوتيَ هذان الفرسانِ النطقَ لسمعتَ منهما شكوى أليمة توقر آذان البشر .

وسمعت إذ ذاك أحدَ الفرسين يخاطبُ أخاه باللغة التي لايفهمها الناس قائلاً :

ـ انظرْ إلى هذا الآدمي . وارحمتاه له ! ماأكبر الحمل الذي وضعه القَدَر على منكبيه ، وهو ـ مع ذلك ـ يدافعُ عنا ويرثي لنا !

فحمحم أخوه وقال :

ـ إنه كسائر الناس مثقل بحمله ، ولايحاول التخلص منه . أتدري ماالسر في ذلك ؟ سمعت من أحد حكمائنا أن الآدمي لايرى الحمل الذي أثقلته به الحياة ، ولايشعر باللجام الذي ألجمه به القضاء ؛ ولذلك تراه يسير متحاملاً ، يحسب نفسه أمير الكائنات ، وسيد الأحرار ، ويؤلف الجمعيات للرفق بأمثالنا ، وهو أحق بالرحمة والشفقة منا لو يدري » .

- ١٢ -

وكان نسيب عريضة صحفياً أيضاً . أصدر مجلة (الفنون) « لتفتح طريقاً جديداً بين خرابات العالم الأدبي العربي[٣٨] » ، فكانت أولى مجلات المهجر الراقية التي رفعت راية النهضة الأدبية ، ونشرت بواكير أدب جبران ونعيمة . ويظهر أنها كانت أرقى من مستوى محيطها العربي ، فلم يقبل عليها القراء إقبالاً يضمن لها البقاء ، فكانت تحتجب ثم تعود إلى الظهور تبعاً لتردد المشتركين بين المماطلة والمناصرة[٣٩] .

لذلك كان ألم نعيمة بسبب احتجابها كبيراً « كانت زنبقة هيفاء فواحة في حقل الأدب ، كنا نتعشقها ونغار عليها غيرةَ غارسِها وولي أمرها - نسيب عريضة - وأشد ، فقد كانت لنا ، ولكتلة صغيرة من الأدباء في نيويورك ، بوقاً صافي اللون لانخجل من أن ننفخ فيه من أرواحنا . وكانت يداً جميلة ونظيفة يلذ لنا أن نضع في راحتها نتفاً من قلوبنا وأفكارنا لتحملها إلى من تهمهم قلوبنا وأفكارنا[٤٠] » .

أما نسيب فقد كتب إلى نعيمة :« لقد خسرتُ معركتي وسقطتْ آمالي حولي . والآن وقد فرغ مالي ، وبخل عليَّ المشتركون بما عليهم ، فليس لي إلا أن أقف ، وقد وقفت . ولاأدري أتتحرك رجلاي فيا بعد ، أم تيبسان إلى الأبد[٤١] ؟ »

إلا أن رجليه لم يقدر لهما أن تيبسا إلى الأبد لأن الفنون عادت إلى الحياة بعد توقف استمر عامين (أي في عام ١٩١٦) وسارت في طريقها بنشاط ، ثم كبا جوادها ، « فخرّت في النهاية صريعةً تحت أقدام جهادها الشريف ومبدئها الأدبي الصادق ، وكان توقفها النهائي في عام ١٩١٨ . وعبثاً حاول نعيمة وجبران أن يعيداها إلى الحياة للمرة الثالثة ، إلا أنهما لم يوفقا فالذين كانت قلوبهم في (الفنون) كانت جيوبهم في عالم الشكوك

والظنون ، والذين كانت جيوبهم تعج بالذهب ، كانت قلوبهم بعيدة عن الأدب[٤٢] » .

ولما أخفق نسيب في عمله التجاري عمل رئيساً لتحرير جريدتين وأسهم إسهاماً كبيراً في تحرير مجلة السائح من جهة ، وفي تهيئة أعداد الرابطة القلمية والكتابة فيها من جهة ثانية . وكان لمقالاته مزية خاصة تجمع بين عاطفية المضمون وطلاوة الأسلوب .

- ١٣ -

وبعد ، فمكانة نسيب عريضة في الأدب العربي ، والأدب المهجري تتحدد في مجالَي الشعر والنثر معاً . إلا أن الشعر كان مجاله الأرحب الذي خلّد اسمه بين شعراء المهجرة لما فيه من نزعة إنسانية ، وتفكير فلسفي لطيف ، وتصوف محبب إلى النفس ، وغزل رقيق ، وقبل ذلك كله هذا الحنين الرائع ، وهذه العروبة الصافية : عروبة تعتزّ بالانتماء إلى هذه الأمة العريقة من جهة ، وتعتبرُ وطنها العربي واحداً لاحدود تفصل بين أقطاره ولاسدود ، من جهة ثانية .

وهو قبل هذا كله ، وكما قال صديقه وزميله نعيمة « شاعر ذو شخصية لاتندغم في شخصية أحد من الشعراء . في شعره مدى بعيد ، ولشاعريته وجهٌ يميزها عن كل الوجوه ، ولألحانه رنة تعرف بها بين سائر الألحان . كان في صباه فتى محدود الأفق ، ولكنه لم يعتم أن ارتفع إلى النجوم في سماء الأدب ، وانبسط على مدى الأفق وغاص إلى أعمق اللجج[٤٣] » .

التعليقات

(١) حددت سنة الولادة في عام ١٨٨٧ في جميع المصادر ماعدا كتاب (أدب المهجر) لعيسى الناعوري ، الذي أضاف اسم الشهر ، وحدده في شهر آب من دون أن يذكر المصدر . ينظر الكتاب المذكور ، طبعة دار المعارف بمصر ، عام ١٩٥٩ ، ص ٤٠٣ .

(٢) من قصيدة (في جلسة طرب) الأرواح الحائرة ، طبعة نيويورك عام ١٩٤٦ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ [تاريخ القصيدة ـ ١٩١٥ م] .

(٣) نادرة جميل سراج ، شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف بمصر عام ١٩٥٧ ، ص ٧٥

(٤) من رسالة بتاريخ ١٣ ت ١ / ١٩٣٧ م . أوردها نعيمة في (سبعون) ، المرحلة الثالثة ص ١٧٥ ، طبعة صادر ـ بيروت ، ١٩٦٠ م

(٥) نعيمة ، المصدر السابق ص ١٧٩ من المرحلة الثانية .

(٦) نعيمة ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ من المرحلة الثانية .

(٧) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٩٨ .

(٨) الأرواح الحائرة ، ص ١٧٩ ومابعد ، و ص ٢٠٩ ومابعد .

(٩) الناعوري ، المصدر السابق ص ٤٠٨

(١٠) الأرواح الحائرة ، من ص ١٧٩ إلى ص ١٩٧

(١١) مقدمة الملحمة ، الأرواح الحائرة ص ١٧٨

(١٢) الأرواح الحائرة ص ١٧٩

(١٣) الأرواح الحائرة ص ١٩٦

(١٤) الأرواح الحائرة ص ٢

(١٥) من قصيدة (اشرب وحيدا) ، الأرواح الحائرة من ص ٢١ إلى ٢٣ [تاريخ القصيدة ـ ١٩١٢ م] .

(١٦) الأرواح الحائرة ، ص ٨٧ إلى ٩٠

(١٧) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ، ص ٢٩٦

(١٨) الأرواح الحائرة ص ١١١ [تاريخ القصيدة ـ ١٩٢٠ م] ، ومحمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر ، دار مصر للطباعة ١٩٥٨ ، ص ١٦٣

(١٩) الأرواح الحائرة ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩

(٢٠) فريد جحا ، الحنين إلى الوطن في شعر المهجر ، المطبعة العربية حلب ، ١٩٥٩ ، ص ٣٣

(٢١) نادرة سراج ، شعراء الرابطة القلمية ص ٣٦١

(٢٢) الأرواح الحائرة ، ص ٢٢٦ ، قصيدة (قل للعواذل) .
(٢٣) قصيدة (علقت عودي) ص ١٣٨ ـ ١٣٩ من الأرواح الحائرة .
(٢٤) ص ٩١ ومابعد ، من الأرواح الحائرة .
(٢٥) ص ٢٥٢ ومابعد ، من الأرواح الحائرة .
(٢٦) ص ٢٤٥ ومابعد ، من الأرواح الحائرة .
(٢٧) ص ٥٣ ومابعد ، من الأرواح الحائرة ، وينظر كتاب نادرة سراج السابق ذكره ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦
(٢٨) ص ١٥١ ومابعد ، من الأرواح الحائرة .
(٢٩) ص ٨٣ ومابعد ، من الأرواح الحائرة .
(٣٠) عبد الكريم الأشتر ، فنون النثر المهجري ، دار الفكر الحديث بلبنان ، ١٩٦٥ ، ص ٤٥ ـ ٤٦
(٣١) مجموعة الرابطة القلمية ص ٢٧٨ ، والأشتر المصدر السابق ص ٥٣ ، وعليه اعتمدنا في تلخيص قصتي نسيب عريضة .
(٣٢) المصدر السابق ص ١٤٠ ـ ١٤٢
(٣٥) المصدر السابق ص ١٤٨
(٣٦) عدد مجلة السائح الممتاز لسنة ١٩٢٥ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ، والأشتر المصدر السابق . ص ٢٦٣
(٣٧) نقلاً عن المصدر السابق ص ٢٦٥
(٣٨) من رسالة نسيب عريضة إلى ميخائيل نعيمة ، نشرها عيسى الناعوري في كتابه الأدب العربي في المهجر ، ص ٤٠٧
(٣٩) صيدح ، المصدر السابق ص ٢٩٦
(٤٠) ميخائيل نعيمة ، جبران ، ص ١٧٧ ، طبعة بيروت ١٩٣٣
(٤١) من رسالة نعيمة السابقة الذكر إلى عيسى الناعوري بتاريخ ٣ ت ٢ / ١٩٤٧
(٤٢) عيسى الناعوري ، المصدر السابق ، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، نقلاً عن رسالة نعيمة المذكورة .
(٤٣) نقلاً عن جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا ص ٢٩٨ ، ولم يسم المصدر الذي استقى منه هذا الكلام .

سعيد بن سعيد الفارقي

وكتابه (تفسير المسائل المشكلة)

سمير أحمد معلوف

لن يجد دارس حياة الفارقي في كتب التراجم أو في كتب النحو مادة يبني عليها دراسة متكاملة . فلقد أهمله اصحاب كتب التراجم ، كما أهمله النحاة . وليس ذلك غريباً ، فشأنه في ذلك شأن غير قليل من علمائنا المتقدمين ، لانعثر من سيرهم إلا على شذرات لاتنقع غلة الباحث .

ترجم للفارقي اثنان من أصحاب كتب التراجم هما : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في معجم الأدباء والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في بغية الوعاة ، ونجد في هاتين الترجمتين أن الفارقي هو سعيد بن سعيد الفارقي أبو القاسم النحوي[١] ، وكان بارعاً في العربية ، وأديباً فاضلاً[٢] كما ذكر الحموي ، ونقل السيوطي عن ابن العديم أنه عارف بالعربية[٣] ، وذكر المترجمان شيوخه ، فقال الحموي : أخذ عن الربعي وابن خالويه[٤] ، وقال السيوطي : قرأ على الربعي ، وسمع من ابن خالويه بحلب[٥] ، أما وفاة الفارقي فكانت يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة مقتولاً في أحد مواكب الفاطميين في القاهرة عند

---

(١) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧ ، والبغية ١ / ٥٨٤

(٢) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧

(٣) البغية ١ / ٥٨٤

(٤) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧

(٥) البغية ١ / ٥٨٤

بستان الخندق[٦] .

ويمكننا أن نضيف إلى ماذكره المترجمان أن الفارقي تتلمذ للرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، وقراءته على الرماني ثابتة الصحة ، فلقد نقل عنه ، وسأله مستفسراً في مواضع كثيرة من كتابه : تفسير المسائل المشكلة ، فكأنه سيبويه مع الخليل ، أو ابن جني مع الفارسي[٧] ، وكذلك فإن الفارقي ذكر اسم شيخه الرماني كاملاً ، وهو : علي بن عيسى بن علي[٨] ، وهذا ثابت أنه اسم الرماني لا الربعي . ولانجد غرابةً في أن الفارقي قد قرأ على الربعي ، فقد يكون هذا عندما حطّ الفارقي رحاله في بغداد طالباً مافيها من علوم ، ثم تحوّل عنه إلى الرماني لما لمس من علمه وشهرته .

علىٰ أننا يجب أن نضع في حسباننا خلط المترجمين بين علي بن عيسى الرماني ، وعلي بن عيسى الربعي ، وليس هذا الخلط جديداً ، فلقد وقع فيه تراجمة غير الحموي والسيوطي[٩] .

ذكر المترجمان بعض مصنفات الفارقي فقالا إن له : تقسيمات العوامل ، والعلل[١٠] ، لكن الفارقي ذكر في كتابه تفسير المسائل المشكلة مؤلَّفين آخرين هما :

- تفسير أبيات سيبويه[١١] .
- استدراك الغلط في شرح كتاب سيبويه على بعض المتأخرين[١٢] .

---

(٦) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧ ، والبغية ١ / ٥٨٤

(٧) تفسير المسائل المشكلة ، الورقة : ١

(٨) الورقة : ٢٩

(٩) الرماني النحوي : ٥٨ ـ ٥٩

(١٠) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧ ، والبغية ١ / ٥٨٤

(١١) الورقة : ٦

(١٢) الورقة السابقة نفسها .

وذلك بالإضافة إلى كتاب العوامل الذي ذكره المترجمان[١٣]

أضواء على الفارقي :

يظهر من الشذرات التي بين أيدينا عن الفارقي أنه رجل لاحظ له في الحياة ، فهو غير معروف بين النحاة ، وكتبه غير متداولة على الرغم من أنه أصاب من علم النحو شيئاً غير قليل .

فهل كان الفارقي ذا طبيعة تصرف عنه طلاب العلم ؟ أكان منصرفاً إلى شؤون أخرى غير العلم كالسياسة ، فلم تذع كتبه بين الناس ؟ أكانت طريقة تأليفه للكتب لاتريح الناظر إليها ؟ أو أنها طريقة لاتعود بالنفع على دارس النحو في عصره ، فانصرف الناس عنها إلى غيرها ؟ .

لقد كان بؤسه في الحياة واضحاً ، وقد ذكر ذلك في بيتين من الشعر نجدهما في معجم الأدباء للحموي[١٤] ، وهما :

من آنسته البلاد لم يرمِ منها ومن أوحشته لم يُقمِ
ومن يبتْ ، والهمومُ قادحةٌ في صدره بالزناد لم يَنَمِ

وواضح أن حظّه العاثر ، وبؤسه قد رحلا معه إلى مصر ، فكان فيها خامل الذكر ، ثم انتهى نهاية مأساوية ، إذ قتل دون أن يلتفت إلى موته المؤرخون ، فلم يذكره إلا ابنُ العديم الذي نقل عنه السيوطي .

لانجد في ترجمة الفارقي مايفيدنا كثيراً في حديثنا عن ثقافته ، وربما كان كتابه (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب) النص الأكثر إفادةً لنا في هذا المجال ، على أننا لانستطيع معرفة مدى تطوّر هذه الثقافة ، وما آلت إليه في المراحل التالية لتأليف الكتاب ، أي بعد سنة ٣٧٢ هـ ، وهي سنة تأليف الكتاب . ويتضح لقارئ الفارقي أنه ثقف ثقافة

(١٣) الورقة : ٢٩

(١٤) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧

كلامية ، ولا غرابة في ذلك ، فعصره عصر هذه الثقافة[١٥] ، وشيخه الرماني عرف بالكلام والاعتزال[١٦] .

وقد تجلّت ثقافته الكلامية في روح الجدل التي سادت في كتابه تفسير المسائل المشكلة ، فكأن الكتاب مناظرة بين الفارقي والنحويين الآخرين ، ونجد مثالاً على ذلك في المسألة الأولى عندما تحدث عن الألف واللام فقال : (فأما الألف واللام فإنها في صورة الحرف ومعنى الاسم ، وأما اسم الفاعل فإنه في صورة الاسم ومعنى الفعل . والدليل على أن الألف واللام في لفظ الحرف أنها هي التي في قولك : الرجل والغلام ، تعرّف معنى الجملة هنا في صورة المفرد ، كما تعرّف معنى المفرد في الرجل والغلام هناك ، ولولا ذلك لم يكن لها في الضارب ، وبابه فائدة ، والدليل على أنها بمعنى الاسم أن الضمير يعود إليها ، ومتى لم يعد إليها ضمير لم ينعقد بها الكلام ، ولم تصحّ بها فائدة .

ولما كان الحرف لايعود إليه ضمير ، ورأينا ضمير الصلة يعود إلى الألف واللام هنا علمنا أنها اسم ، إذ كان عود الضمير ليس من شرط الحرف ، وإنما هو من خواص الاسم ، وقد خالف في ذلك قوم منهم أبو الحسن الأخفش ، وأبو عثمان المازني فجعلاها حرفاً ، وإنما خلفت الذي ، وصارت في معناه ، فإذا عاد الضمير فإلى « الذي » يعود لا إلى الألف واللام ، وهذا باطل لأنه لايمتنع أن يصحب الكلمة مايوجب قلبها عن أصلها بعلّة صحيحة ، ولما كانت الألف واللام قد صحبت اسماً قد غيّر إلى معنى الفعل ، فصار في صورة الاسم ومعنى الفعل ، وجب أن تغيّر هي أيضاً عن أصلها ، فيكون لفظها لفظَ الحرف ، ومعناها معنى الاسم ،

---

(١٥) ظهر الإسلام ٤ / ٧ - ٥٩

(١٦) الفهرست : ٦٩ ، والبغية ٢ / ١٨٠

ليكون التغيير فيها مشاكلاً للتغيير فيما صحبته من الاسم[١٧]) .

ذكر مترجما الفارقي أنه عالم باللغة أو عارف بها[١٨] ، ولاندري من ترجمته غير هذا عن ثقافته اللغوية ، لكن كتابه تفسير المسائل المشكلة يفيدنا إفادةً تتبدى فيها ملامح ثقافته النحوية . وتتجلى هذه الثقافة في معرفته مذاهب النحويين في المسائل النحوية التي عرضها ، ومن ذلك مسألة الألف واللام[١٩] ، كما تتجلى في عرضه النظائر التي يحتج بها ، من ذلك تفسير مسألة بنظيرها ، كما في احتجاجه على أن الألف واللام ، والذي كلٌّ منهما أصل في بابه ، ولكن الألف واللام تفسّر بالذي ، كما تفسّر (منذ) بـ (من) و (حتى) بـ (إلى)[٢٠] .

وكذلك تظهر هذه الثقافة في ردّه على المخالفين للمبرّد الذين نسبوه إلى الخطأ ، فإذا هو ـ كما يرى الفارقي ـ آخذ بمذهب للأخفش والكوفيين[٢١] ، مما يدل على اطلاع الفارقي على آراء النحاة ومذاهبهم في الاحتجاج ، ونستطيع أن نجمل مصادر ثقافته النحوية بما يلي :

- ماأخذه عن شيخه الرماني[٢٢] .
- كتاب سيبويه[٢٣] .
- كتابا الأخفش (المسائل الصغير والمسائل الكبير)[٢٤] .

---

(١٧) الورقة : ٢

(١٨) معجم الأدباء ١١ / ٢١٧ ، والبغية ١ / ٥٨٤

(١٩) الورقة : ٢

(٢٠) الورقة : ٢

(٢١) الورقة : ١١

(٢٢) الورقة : ٢

(٢٣) الورقة : ٦

(٢٤) الورقة : ٨

- كتاب المازني (الألف واللام)[٢٥] .
- المقتضب للمبرّد[٢٦] .
- الأصول لابن السرّاج[٢٧] .

دراسة كتابه (تفسير المسائل المشكلة) :

لهذا الكتاب نسختان مخطوطتان إحداهما موجودة في مكتبة شهيد علي ، والأخرى في مكتبة الاسكوريال .

ونسخة تركيا تقع في أربعين ورقة ، وفيها اعتناء بالخط ، وهو خط نسخي كتب بطريقة مغربية ، وصاحب الخط أحمد بن تميم بن هشام اللبلي (ت ٦٢٥)[٢٨] .

أما نسخة الأسكوريال فتقع في سبعين ورقةً ، وخطّها أقل جودة من نسخة تركيا ، وقد كتبت بخط نسخي متفاوت في الجودة ، كما كتبت رؤوس المسائل بخطّ عريض واضح ، وفي هذه النسخة سقط كثير ، وأخطاء عديدة ، وعلى هوامشها حواشٍ بخط محمد بن النحاس (ت ٦٩٨ هـ)[٢٩] ، نقلاً عن عالي بن عثمان بن جني (ت ٤٨٨ هـ)[٣٠] .

تقدم الفارقي بهذا الكتاب الى عبد العزيز بن يوسف أبي القاسم الجكّار (ت ٣٨٨ هـ)[٣١] كاتب عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢ هـ)[٣٢] ، آملاً أن يذيعه ويشهره فقال : « ولما كان ذلك مركباً شديداً ، ومطلباً

(٢٥) الورقة : ٨
(٢٦) الورقة : ٢
(٢٧) الورقة : ١٢
(٢٨) ترجمته في معجم البلدان ٧ / ٣١٩ [معجم البلدان ـ مادة لبلة / المجلة] .
(٢٩) ترجمته في البغية ١ / ١٣ ـ ١٤
(٣٠) ترجمته في البغية ٢ / ٢٤
(٣١) ترجمته في يتيمة الدهر ٢ / ٨٦ ـ ٩٧ .
(٣٢) ترجمته في الحضارة الإسلامية ١ / ٦٠ ـ ٦٢ ، وفي ابن الأثير ٧ / ١١٤ ـ ١١٧

بعيداً يحتاج فيه إلى توفير السعادة ، وتكميل المعونة ، لينال من كثب ، ويقطع بأيسر نصب ، وجب أن أستنجح في تأليفه ، وأستسعد في تصنيفه بمن يجمع مع الإقبال والجدّ والكمال والسعد أنه في أعلى طبقات الفضلاء ، وأرفع درجات العلماء ، فأكون مع الاستعانة على غرضي قد وفّيت العلم حقّه ، ونوّلته مستحقة ، بوضعه في موضعه ، وإيقاعه في موقعه ، ولم أضعه بإعطائه غير أصحابه ، ولم أظلمه باختزانه عن أربابه ، ورأيت أن مستوجب هذه السمة ، ومستغرق هذه الصفة ، الأستاذ : أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أطال الله بقاءه وعلوه ، وكبت حاسده وعدوّه ، وأدام تمكينه وسموّه ، فوسمته باسمه ، وافتتحته بذكره مع القربة إليه . وابتغاء الحظوة لديه ، ويكون إظهاره ونشره وإشاعته وشهره موقوفاً على إيثاره ، مقصوراً على اختياره »[٣٣] .

ولم يكن حظّ هذا الكتاب من الذيوع والانتشار بأوفر من حظ مؤلّفه في الحياة ، فلقد أهمل من قِبل معاصريه ، وكذلك أهمل من قِبل المتأخرين ، فلم يذكره أحد خلا البغدادي الذي نقل عنه في الخزانة[٣٤] .

وقد نفّر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة الباحثين المعاصرين منه ، فذكره في مقدمة المقتضب ، ونعته بالإسراف على نفسه ، وعلى قارئه بما أتى به من الصور العقلية للمسائل التي فسّرها[٣٥] . ثم قال عن هذه الصور العقلية : (وهذه رياضة عنيفة ، ومأشبهها بلحم جملٍ غثٍ على رأس جبل وعْر ، لهذا رأيت أن أكتفي بتلخيصه ، وأعرض منه الصفو واللباب[٣٦]) .

(٣٣) الورقة : ١

(٣٤) الخزانة ٢ / ٣٢٣

(٣٥) مقدمة المقتضب ١ / ٨٥

(٣٦) المصدر السابق ١ / ٨٦

أقام الفارقي كتابه (تفسير المسائل المشكلة في أوّل المقتضب) على المسائل التي وضعها المبرّد في صدر كتابه المقتضب ، وأضاف إليها مسألتين :

الأولى منها ليست من مسائل صدر الكتاب ، ولذلك فإنه اعتذر عنها ، وقال : « ونظيرها في التقدير والتنزيل مسألة يذكرها أصحابنا في كتبهم على ضرب من البيان غير مستقصى ، وقد كنا تقصينا القول فيها ، فأحببنا أن نذكرها في هذا الموضع ، وإن لم تكن منه ، ولكن حسّن ذلك أنها نظيرة ماذكر فيه[٣٧] » .

وثانيتهما : أسماها الفارقي المسألة المفرّعة ، وهي مسألة من وضعه ، وقال عنها : « ولم يبق في الباب لهذه المسألة والقول عليها من فروعها إلا أن نذكر مسألة تتوجّه على الخطأ والصواب تكون عبرةً لمن استشعر في نفسه معرفتها ، واستيقن بقوته أصلها وعمدتها ، وكل ذلك ارتجلناه ارتجالاً ، وصنفناه اختراعاً لامتثالاً ، ولله الحمد والمنّة[٣٨] » .

وتجمع هذه المسائلَ كلها سماتٌ واحدة تنتظمها ، فهي تعتمد على مسائل عامّة واحدة هي :

- الألف واللام
- المصدر
- اسم الفاعل
- اسم المفعول
- الإخبار بالذي وبالألف واللام

---

(٣٧) الورقة : ٣٨

(٣٨) الورقة : ٢٢

- توابع الموصول
- خصائص الصلة
- توابع مافي الصلة

بيّن الفارقي في مقدّمة كتابه هدفه من الكتاب ، فقال : « ولما رأيت توفّر الرغبة من الناشئين في زماننا ، وحرص المتوسطين من أهل الأدب في عصرنا على النظر في كتاب (المقتضب) مع ضيق الزمان عن تعجيل شرح جميعه ، وتشعّب الأفكار في أمور تصدّ عن تفسير سائره ، رأيت أن أفسّر المشكل من مسائله التي جعلها في صدر كتابه ، وقدّمها في افتتاح خطابه[٣٩] » . فالكتاب كما هو واضح من كلام الفارقي ذو هدف تعليمي ، لأنه موجّه إلى الناشئين الذين يحرصون على النظر في كتاب المقتضب .

واتبع الفارقي لتحقيق هذه الغاية التعليمية منهجاً عقلياً واضحاً ، فقدّم لما فرّعه من المسائل ، ولما فسّرها به ، اصولاً عامة تنير الطريق ، وتهدي السالك في دروب التفريع . لقد أدرك الفارقي منهج المبرّد في كتابه المقتضب ، وهو منهج يقوم على وضع هذه المسائل قصداً في أوّل الكتاب إذ رأى « أن يقدم في كتابه مسائل تصدّ من قصد له عن التعرض له إلا بعد إحكام أصولها من سواه ، وإتقان أبوابها فيا عداه ، فإذا همّ بقراءة كتابه اقتدر على مافرّعه بما معه ، وحداه ذاك على النظر فيا يوصله إليه ، وبعثه على طلب مايستعين به عليه ، فإذا قويت بصيرته ، وتمكنت معرفته صلح أن يقرأ مابعدها ، وحسن أن يتجاوزها إلى غيرها[٤٠] » .

وإدراك الفارقي لمنهج المبرد جعله يبتكر منهجاً مناسباً ، فقدّم

(٣٩) الورقة : ١

(٤٠) الموضع السابق نفسه

أصولاً عامّة للمسائل حتى يقدر قارىء المقتضب أن ينظر فيها ويفهمها ، فقال : (ورأيت أن أقدّم لكل مسألةٍ أصلاً يعتمد فيها عليه ، ويرجع عند اللبس إليه ، وأبين ما يجوز من ذلك وما يمتنع ، وما يضيق فرعه وما يتسع[٤١]) ، فقدّم في أوّل الكتاب مايتعلق بالأصول العامّة التالية :

- الألف واللام
- المصدر
- اسم الفاعل
- الصلة

ولما كانت هذه الأصول لاتستوعب المسائل كلها ، فقد كان بعضها يحتاج إلى أصول جديدة بالإضافة إليها ، فإنه لم يكن يتجاهل ذلك بل يقدّم للمسألة ماتحتاجه من هذه الأصول ، ومن ذلك ماقدمه للمسألة الثالثة عشرة من أصل يتعلق بفعل (جعل) ، فقال : « يحتاج في تفسير هذه المسألة إلى أصول متقدمة غير ماسلف منها لتكشف وجهها ، وتظهر قياسها ، ويسهل التفريع عليها ، ويفزع في علمها إليها إن شاء الله .

اعلم أن (جعلتُ) له تصرف في الكلام ودور في الأحكام ، وهو على أربعة أوجه يجمعها أصلان :

أحدهما : أن تكون بمعنى (صيّرتُ) ، فلابد أن يتعدّى إلى مفعولين .

والآخر : أن يكون بمعنى (عملتُ) ، و (خلقتُ) فلا يتعدّى إلا إلى واحد[٤٢]) .

وهناك نوع آخر من هذه الأصول جاء به الفارقي في أثناء تفريعه للمسائل ، فقد تعرض مسألةٌ ماتحتاج إلى أصل من الأصول ، فيرجعها

---

(٤١) الموضع السابق نفسه

(٤٢) الورقة : ٣٣

الفـارقي إليـه ، فجـاءت هـذه الأصول والقـواعـد منثورة بين مسـائـل التفريع ، ومن ذلك مـاذكره في البـدل من محـذوف ، وتـأكيـد المحـذوف عندما تعرّض لمسألة الفراء (الـذين أجمعون يحسنون إخوتـك) ، فقـال : « قيـل : ذلـك لايجـوز ، لأن البـدل من محـذوف ، وليس كالعطف والتأكيد ، من أجل العامل يصحّ تعلقه بـالظـاهر المـذكور ، فلا تتوجّـه الدلالة إلى المضمر المحذوف في البدل[٤٣] » .

وتعـدّ هـذه الأصول والقـواعـد الأسـاس الـذي ترجـع إليـه مسـائـل التفريع ، فهي التي تفسّر وفقها هذه المسـائل ، ويجوز التفريع أو لايجوز قياساً عليها .

نقـل الفـارقي نص المسـائـل من المقتضب مـع اختـلاف طفيف في الألفـاظ في بعض المسـائل ، وربمـا كان هـذا الاختـلاف بسبب اختـلاف النسخ ، فقد يكون الفارقي قد اعتمد على نسخة من المقتضب غير النسخـة التي حققها الشيخ محمد عبد الخـالق عضيمـة . وقـد أورد الفـارقي بعـد نصّ المسـألـة تفسير المبرد المقتضب لهـذا النص ، وهـو تفسير يـوضّـح بعض علاقات ألفاظ المسألة وإعرابها ، ويظهر هذا جلياً في المسألة الأولى ، فقد جاء فيها : « قال أبو العباس ـ رحمه الله ـ تقول : أعجبني ضربُ الضاربِ زيـداً عبـدَ الله ، رفعت الضرب لأنـه فـاعـل أعجبني ، وأضفتـه إلى الضـارب ، ونصبت زيـداً ، لأنـه مفعـول في صلـة الضـارب ، ونصبت عبد الله بالضرب الأوّل ، وفاعله الضارب المجرور ، وتقـديره : أعجبني أن ضرب الضارب زيداً عبد الله ، فهكذا تقدير المصدر[٤٤] » .

---

(٤٣) الورقة : ٤

(٤٤) المسألة في المقتضب ١ / ١٣ ، وفي الفارقي الورقة : ٢

واعتمد تفسير الفارقي على الأصول العامّة التي قدمها في بداية المسألة الأولى ، أو الأصول الإضافية التي ذكرها في مقدمة بعض المسائل الأخرى ، فكان يعقّب على تفسير المبرّد المقتضب بتفسيره الخاص وفق هذه الأصول ، ويوضح هذا قوله في المسألة الأولى : « فعلى هذه الأصول التي تقدّمت إذا قلت : أعجبني ضربُ الضاربِ زيداً عبدَ الله ، يكون : أعجب فعلاً ماضيا ، والنون والياء اسم المتكلم في موضع نصب ...(٤٥) » .

وقدّر الفارقي للمسائل التي فسّرها أصولاً تعدّ صياغة عقلية لهذه المسائل ، وهذه الصياغة موجودة في ذهن المتكلم ، ولكنه لاينطق بها ، بل يصوغ ماأراد في ألفاظ أكثر اختصاراً ، وقد كان المبرّد يضع في تفسيره لبعض المسائل مثل هذه الأصول . وتتوضح هذه الطريقة من خلال المقارنة بين نصّ مسألة ما من المسائل التي وضعها المبرّد ، والأصل المقدّر ، فنص المسألة الأولى هو : (أعجبني ضربُ الضاربِ زيداً عبدَ الله) ، وتقدير الأصل هو : (أعجبني أن ضربَ عبدَ الله رجلٌ ضربَ زيداً(٤٦)) .

أما تفريع المسائل فقد اهتم به الفارقي اهتماماً كبيراً ، وأخذ منه هذا العمل مجهوداً كبيراً ، فبيّن ما تحتمله كل مسألة من أنواع التفريع ، وكأنه يحاول إيجاد مايحتمله التركيب العربي من أنواع التقديم والتأخير ، والتثنية والجمع ، والإخبار بالذي وبالألف واللام .

ومن أمثلة تفريعاته ماجاء في المسألة الثامنة عشرة من تفريع بالألف واللام والفعل والعائد ، ويعني هذا التفريع وجود أسماء في المسألة ، فيجعل الألف واللام لبعضها دون بعض ، وكذلك يجعل الضمير

---

(٤٥) الورقة : ٤

(٤٦) الورقة : ٤

العائد لبعضها دون بعضها الآخر ، وكذلك الفعل ، فيتكوّن لديه تفريع جديد للمسألة .

فنصّ المسألة هو (عبدَ الله زيدٌ الضاربُه[٤٧])،أما تفريعه عليها فكان كما يلي : « فعلى هذه الأصول في المسألة أربع تقديرات : الأولى منها : أن تكون الألف واللام في الضارب والفعل جميعاً لزيد ، فلفظ المسألة على ماتقدّم لايحتاج إلى زيادة تقول : (عبد الله زيدٌ الضاربه) ، فالضاربه خبر زيد ، لأنه هو هو ، وزيد مبتدأ ، والجملة التي هي زيد والضاربه ، خبر عن عبد الله الذي هو مبتدأ أول ، والعائد من الجملة إلى عبد الله ، الهاء في الضاربه ، وصار ذلك بمنزلة قولك : هند عمروٌ ضربها ، وفي الضارب ضمير فاعل يعود إلى الألف واللام ، فهذا بيان التقديرة الأولى[٤٨] » .

وبعد، فلقد حاولت وضع قواعد عامة لمنهج الفارقي في كتابه، ولكن قارىء هذا الكتاب للمرة الأولى لايستطيع أن يتعرف إلى هذا المنهج على نحو واضح ومتكامل ؛ لأن طبيعة الكتاب وما احتواه من أنواع التفريع المتداخلة المتشعبة تجعل القارىء يحتاج إلى قراءة النص مرات متعدّدة ، بعضها للبحث عن التفريع ، وبعضها للبحث عن التفسير ، وبعضها للبحث عن الأصول ، ولذلك فإن اكتشاف المنهج العام لهذا الكتاب يتطلب تأملاً وصبراً حتى يضم أجزاءه بعضها إلى بعض بالنظر والتفكر ، ولايتم ذلك إلا بقراءة الكتاب كاملاً غير منقوص .

---

(٤٧) الورقة ٣٧

(٤٨) الموضع السابق نفسه

التعريف والنقد

العلامة عبد العزيز الميمني

في ذكرى مرور مئة عام على مولده

محمد مطيع الحافظ

احتفاءً بذكرى مرور مئة عام على مولد العلامة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١٣٠٦ ـ ١٣٩٨ هـ / ١٨٨٨ ـ ١٩٧٨ م) أصدرت مجلة المجمع العلمي الهندي مجلدها العاشر (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) عدداً ممتازاً تبارت فيه أقلام العلماء والباحثين تتحدث عن مآثر العلامة الميمني وما قدمه في ميادين التأليف والتحقيق والبحث عن نوادر التراث والتعريف بها .

وقد بذل الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد مؤسس المجمع العلمي الهندي ورئيس تحرير مجلته جهداً عظيماً تبدى في كل صفحة من صفحات العدد الممتاز .

استهلَّ الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد الممتاز . وكانت كلمته تلك آخر ماسطره الأستاذ الكبير ، رحمه الله الرحمة الواسعة ، وهذه هي :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا ﴾ « رغب اليَّ الأستاذ الكريم الدكتور مختار الدين أحمد أن أقدم بكلمة قصيرة لهذا العدد الممتاز من مجلة المجمع العلمي الهندي الزاهرة ، الذي يصدر احتفاءً بذكرى مرور مئة عام على مولده فقيد الأدب والتراث العلمي الاسلامي العلامة عبد العزيز

الميني الراجكوتي ، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، جزاء مابذل من جهد جاهد في خدمة لسان تنزيله العزيز .

يطيب لي تلبية هذه الرغبة المخلصة مبدياً في البدء الأسف كل الأسف على فوات اللقاء بالأستاذ الميني أيام حلوله ضيفاً كريماً في دمشق الفيحاء ، أو في أثناء رحلتي العلمية الأخيرة الى الهند وباكستان في خريف عام ١٩٧٦ م (١٣٩٦ هـ) . وقد حبا اللهُ فقيدنا العلامة (وهو هنديّ المولد والنشأة) شغفاً شديداً وولعاً بالغاً بتدبر لغة كتاب الله المجيد ، فانصرف الى درسها وحرثها ، والغوص في أعماق قاموسها الطامي ليظفر بما ظفر من لآليها ، وطوّف في أقطار العالم الاسلامي باحثاً ومنقباً في تلك الكنوز الخبيئة من نوادر المخطوطات ، حتى غدا نسيج وحده في هذا الشأن بلا منازع ، ناهيك بما توصل اليه بجده واجتهاده من سديد الآراء فيما ظل مدار الشكّ والتشكيك زمناً غير قصير .

وعلى صفحات هذا العدد النفيس من المجلة الذي تبارت فيه أقلام ثلة كريمة من علماء العرب والاسلام ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ يتجلى لك ماعرف به هذا العالم الجليل من سعة الاطلاع وامتداد آفاق المعرفة ، والتحلي بمكارم الأخلاق وحميد الشمائل .

ولقد كانت صلة الامام العلامة بمجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقاً) وثيقة ، عميقة الجذور ، بدأت غداة انتخابه عضواً مراسلاً للمجمع (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م) ، وتكاد تتواصل حتى عام ١٩٧٧ م ، أتحف في خلالها مجلته (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) بما يناهز ٣٠ مقالة ، (فهو من المجلّين في هذا الباب بين جميع الأعضاء المراسلين) ، الى جانب المراسلات الكثيرة بينه وبين مؤسس مجمعنا الأستاذ محمد كرد علي ـ رحمه الله ـ ورصفائه الأوائل ، وكلها طافحة بشؤون اللغة

والعلم والأدب[1] .

وقد عثرتُ بأَخَرة في ربيدة من ربائد المجمع على رسالة بخط يده (لم يسبق نشرها) يعلوها تاريخ ١٩٧٧/٢/٢ ، ينم فحواها على ما للمجمع من المكانة المميزة لدى فقيدنا العلامة ، ففيها نبأ تبرعه السخيّ بقدر من المال أراده أن يبقى حسنة جارية لمجمع دمشق على كر السنين ، وقد حصل المجمع على المبلغ . وجاء في الرسالة أيضاً اهداؤه طائفة من المخطوطات والمطبوعات والخرائط النادرة الى مكتبة المجمع ، الا أنها ، وياللأسف ، لم يتح تسلمها بعد ، مع المساعي المبذولة لتحقيق ذلك .

لا يسعني في ختام كلمتي الا أن أثني أعطر الثناء وأطيبه على الأستاذ الكريم الدكتور مختار الدين أحمد الذي عمل بصبر ودأب ووفاء لذكرى العلامة الكبير الأستاذ الميمني ، وتقديراً لمكانته العلمية السامية ، فتم له انجاز هذا السفر القيّم الذي يضع بين أيدي القراء مرجعاً هاماً يرسم صورة مشرفة للأستاذ الميمني ستكون ، باذن الله ، قدوة حافزة للناشئة العربية والاسلامية تهيب بها أن تتطلع لخدمة لغة القرآن المجيد ، والذب عنها والارتفاع بها لتعود سيرتها الأولى في عصر ازدهار الحضارة العربية .

١ ـ وتحدث الأستاذ ابو الحسن الندوي ، عن سر عبقرية العلامة الميمني التي تجلت في آداب اللغة العربية ، وفي تحقيقاته العلمية ، وتفانيه في دراسة المصادر القديمة ، وفي الثروة اللغوية والشعر القديم وحفظه حتى صار حجة في تحقيق الآثار العلمية ، واستطاع أن يقول : إنه يحفظ مابين سبعين ألفاً ومئة ألف بيت من الشعر العربي .

ثم عقب بمقالة تحدث فيها عن بدء لقائه للأستاذ الميمني سنة ١٩٢٦ ، واشار الى أن شهرته في الهند وفي العالم العربي والاسلامي جعلته واحداً

---

(١) نشرت المراسلات في المكان الخاص بالرسائل في هذا العدد الممتاز .

من اثنين في الهند كانا عضوين في المجمع العلمي العربي بدمشق أحدهما الطبيب أجمل خان والآخر العلامة الميمني ، وكانت عضوية هذا المجمع شرفاً علمياً كبيراً ، وكانت مقالات الأستاذ تنشر باهتمام كبير في مجلة المجمع . ثم اشاد بكتابه القيّم (أبو العلاء وما إليه) ليقول : ولكن كتاب (سمط اللآلي) وتحقيقه له يعتبر مأثرة علمية يفوق كتاب (أبو العلاء وما إليه) إذ دل على أصالة البحث والتحقيق . وأثناء لقائه معه عرف أن الميمني قد تتلمذ على الأديب المعروف الشيخ نذير أحمد الدهلوي .

ويشير الندوي إلى ناحية هامة من حياة الميمني رحمه الله ـ وهي عنايته الشديدة باقتناء الكتب واختيارها وتدوين النوادر العلمية ، وأن وراء شخصيته الإنسانية كانت شخصية أخرى مختفية عن الأنظار ، لم يكن يعرفها أحد حتى أصدقاؤه الذين كانوا يعرفونه عن كثب ، وكانت تظهر تلك الشخصية في الوقت المناسب بالبذل والعطاء وبعد الهمة وحب العلم ويختم الندوي مقالته بوصف الميمني أنه « حجة اللغة العربية ومفخرة القارة الهندية » .

٢ ـ وفي المقال الثاني يتحدث الأستاذ سعيد الأفغاني عن مقالات الأستاذ الميمني في مجلة المجمع وعن كتبه ولا سيما تحقيقه (سمط اللآلي) . ثم أشار إلى زيارة الأستاذ الميمني له في دمشق سنة ١٩٥٧ م صحبة الأستاذ عز الدين التنوخي رحمه الله . فيقول عن هذه الزيارة وعن تواضع الأستاذ الميمني « فما أعرف أني سررت حياتي سروري بزيارتها ، وأكبرت نبل الراجكوتي وكرمه في زيارتي ، وإرساله نفسه على سجيتها ، حتى كأنه في داره بين أخويه ، وكأن المودة بيننا منذ أربعين سنة » .

٣ ـ ويكشف مقال الأستاذ حمد الجاسر عن سيرة هذا العالم وأخلاقه ، واحتفاء البلاد المقدسة وأهلها به ، وقد رحب به الأستاذ حمد

الجاسر بكلمة عنوانها « اليامة تحي العلامة الميمني » ، ثم يتحدث عن لقاءاته معه ومؤلفاته وبحوثه .

٤ ـ أما الدكتور ناصر الدين الأسد فيتحدث عن « خواطر ومشاعر في ذكرى العلامة الميمني » وأشار إلى تلك الصلة القوية بين الأستاذ الميمني والأستاذ محمود محمد شاكر وقال : « إنّ أماسيّه ولياليه مملوءة بذكَر العلامة الميمني ، وباستكمال ما كان عمله هذا العلامة الجليل من كتاب الوحشيات لأبي تمام ، وأن الأستاذ أحمد راتب النفاخ كان ملازماً له ومعيناً في العمل ، وقد أشار الأستاذ الميمني في مقدمة الكتاب إلى ذلك ، ومن يقرأ هذه المقدمة يدرك عمق مافي نفس الأستاذ محمود محمد شاكر من محبة وإكبار للميمني ، وتدل المقدمة على مافي الكتاب من جميل الاشتراك والتعاون بين عالمين جليلين في تحقيق نصوص هذا الكتاب وتخريج أبياته .

٥ ـ أما الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب فتحدث في مقالته عن الفجيعة الكبيرة بوفاة الأستاذ الميمني ، ومدى حزن دمشق وعلمائها ، ووصف الجلسات التي كانت تعقد في المكتبة السلفية بحضور العلامة الميمني ، ثم أشار إلى تكريم مجمع دمشق له عند بلوغه التسعين من عمره الحافل بالمآثر الخالدة ، حين منحته الدولة وسام الاستحقاق السوري وجاء فيه :

« يمنح السيد الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق من (باكستان) وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى » .

وقام المسؤولون بسفارة الجمهورية العربية السورية في باكستان بتعليق الوسام على صدره لعدم تمكنه من الحضور إلى دمشق بسبب كبر سنه .

٦ ـ وتعرض الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في مقاله الكبير إلى عظمة الميمني وحياته العلمية الأولى ، وبداية نشره لنوادر المخطوطات ، وعن كتابه الشهير (أبو العلاء وما إليه) واهتمامه بالمعري ، ورده على مارغليوث وطه حسين في دراستيهما عن أبي العلاء . ويصف الدكتور الفحام هذا الكتاب بقوله : « جاء كتاباً جامعاً لايستغني عنه من يودّ دراسة حكيم المعرة ، وإذا عددنا هذا الكتاب رأس مؤلفات الميمني وتاجها فإننا لانعدو الصواب » .

ثم يحدثنا عن معرفة الميمني باللغات الاوردية والفارسية والعربية ، وأنها هيأت له أن يعود إلى مناهل تسعفه في تصحيح ما أخطأ فيه سواه .

أما أعماله الأخرى ومنها « إقليد الخزانة » ومقالته في مجلة المجمع « المكاره التي حفّ بها إقليد الخزانة » ففيها إشارة واضحة إلى ما قاساه من متاعب وآلام حتى تم ظهور هذا الكتاب .

ثم يحدثنا عن انتخاب الأستاذ الميمني عضواً مراسلاً في المجمع سنة ١٩٢٨ حينما كان في الأربعين من عمره ، وقدم إذ ذاك أطروحة كتاب المداخل لأبي عمر الزاهد . وظل الميمني عضواً في المجمع خمسين عاماً أو يزيد ، أحبه المجمعيون وأحبهم ، وكان قلبه يخفق حباً لدمشق وأهلها ، زارها غير مرة ، وخلف في قلوب عارفيه أجمل الذكريات .

وفي المقال تعريف بأعمال الأستاذ الميمني الكثيرة وتحليل وتقييم لهذه الأعمال . يقول الدكتور الفحام « إذا كان كتاب (أبو العلاء وما إليه) تاج أعمال الميمني التي ألفها فإن (سمط اللآلي) دون مرية تاج أعماله في التحقيق .

٧ / ٨ ـ وتطالعنا مقالتا الدكتور محمد يوسف ـ وهو من أخص

تلامذة الميمني - عن حياته الأولى وعمله في التدريس والتأليف ، ومكتبته الحافلة بنوادر المؤلفات .

كان هذا التعريف بداية للكلام عن لقائه وتعرفه على أستاذه سنة ١٩٣٧ م في عليكره ، وفي هذا اللقاء تحدث معه عن أهمية كتاب (سمط اللآلي) بين كتب الأدب ، وما عاناه في إخراجه ، ثم يحدثنا عن امتداد هذه الصلة العلمية معه ، واصفاً حسن انتقائه للكتب ، وحياته اليومية وعدم اهتمامه باللغات الأخرى غير العربية مع إتقانه لكثير منها ، ثم يصفه بأنه الممثل الأول للدراسات العربية الأصيلة في الهند وباكستان .

٩ - وفي مقال « جوانب من حياة العلامة الميمني » قامت المجلة بترجمة ثلاث مقالات كتبت باللغة الأوردية كتبها ابن الأستاذ الميمني محمد محمود ميمن .

تحدث في الأولى عن أسرته وأجداده ونسبه وأولاده الستة ، وما لكل واحد من أعمال ومهام .

وأشار في المقالة الثانية إلى حياة الميمني في جامعة عليكره التي بدأها أستاذاً مساعداً سنة ١٩٢٥ م ، ثم حياته اليومية ، ومكتبته التي تحوي ما لايقل عن أربعة آلاف مجلد من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وجلّها بالعربية وقليل منها بالأوردية والفارسية .

وكانت أيامه في الجامعة من أحسن أيامه وأخصبها ، فقد قام في هذه المدة بتأليف معظم كتبه وتحقيقاته ، وقد أحيل الأستاذ على المعاش بعد أن أصبح أستاذاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية سنة ١٩٥٠ م .

وفي سنة ١٩٥٤ زار باكستان ، فطلبت منه الحكومة أن يكون أول مدير لمعهد الدراسات الاسلامية في مدينة كراتشي ، وتسلم وظيفته

الجديدة سنة ١٩٥٤ م .

وتابع ابنه حديثه في المقالة الثالثة عن جهوده في تأسيس معهد الدراسات الاسلامية بكراتشي فأشار إلى اهتمام الأستاذ عبد الوهاب عزام به حينما كان سفيراً لمصر في باكستان ، واقتراحه على حكومة باكستان أن يتولى الأستاذ الميمني إدارة معهد الدراسات الاسلامية في كراتشي ، فكان أول مدير له ، وبدأ عمله بإنشاء مكتبة للمعهد قامت على أساس فني ، وجمع فيها أهم المصادر والمراجع ، ومن أجلها قام بجولتين علميتين سنة ١٩٥٦ م وسنة ١٩٥٨ زار خلالها إيران والعراق وسورية ولبنان وتركية ومصر وتونس والمغرب ، فجمع نحو خمسة آلاف كتاب صارت بها المكتبة من أغنى المكتبات . وبقي الأستاذ الميمني مديراً للمعهد حتى سنة ١٩٦٠ م

١٠ ـ وفي مقالة « الشيخ عبد العزيز الميمني ومكانته في التحقيق العلمي » للدكتور محسن جمال الدين يتحدث عن لقائه الأول معه في المجمع العلمي العراقي ، وعن كتابه « سمط اللآلي » وقيمته العلمية وتفوقه في تحقيقه وإخراجه ، ثم عن أعماله ورحلاته في طلب العلم والحصول على النسخ القيمة للمخطوطات وصلاته مع المجامع العلمية بدمشق والقاهرة وبغداد .

١١ ـ أما مقالة « العلامة عبد العزيز الميمني » للشيخ نذير حسين فنجد فيها حديثاً عن الحياة الأولى للأستاذ ، ثم عمله أستاذاً ومؤلفاً ومحققاً ، ثم اجتماعه به سنة ١٩٥٧ م في الندوة الاسلامية بلاهور ، وقد حضر هذه الندوة عدد من الشخصيات العربية منهم الشيخ محمد بهجة البيطار عضو مجمع دمشق ، ثم عن قدومه سنة ١٩٦٤ م إلى الكلية الشرقية في جامعة بنجاب رئيساً للقسم العربي وإقامته بلاهور سنتين .

ويذكر الأستاذ نذير حسين علاقات الميمني بعلماء العرب ومدحه قرى السوريين ودماثة خلقهم وحضارة التونسيين وثقافتهم ، وأنه كان يمقت فرعونية مصر مقتاً شديداً ، ثم يختم حديثه قائلاً : « إن للعلامة مِنّة كبيرة عليّ ، إذ لفت نظري إلى الحديث ، وبيّن لي نفعه وفائدته وعرفني بعظمة المحدثين الهنود ومآثرهم العلمية » .

١٢ ـ وبيّن الدكتور جميل أحمد في كلمته أن الأستاذ الميمني كان من الشخصيات الأدبية النادرة التي أنجبتها شبه القارة الهندية الباكستانية ، واشار إلى إكبار علماء الأدب العربي وأئمة الاستشراق له ، واعترافهم بفضله واحرازه قصب السبق في ميدان البحث والتأليف ، ومنهم العلامة أحمد تيمور والشيخ محمد الخضر حسين والعلامة أحمد الاسكندري .

ثم يحدثنا عن حياة الميمني وإنتاجه العلمي وعن تلاميذه ، ويختم حديثه بقوله : « إن الأستاذ العلامة الميمني الراجكوتي يعد بحق من رواد النهضة الأدبية » .

١٣ ـ وأشار الدكتور مسعود الرحمن الندوي في مقالته إلى أن العلامة الميمني من أشهر أعلام الأدب العربي ، وأن مآثره ومفاخره في خدمة العربية عظيمة لايدانيه فيها إلا القليلون ، ثم تحدث عن حياته العلمية ودراساته وتحقيقاته عن أبي العلاء وردوده على طه حسين وغيره .

١٤ ـ وذكر الأستاذ محمد ناظم الندوي في بحثه صلته الأولى بالميمني منذ سنة ١٩٢٩ م عندما بدأ بقراءة كتبه وتحقيقاته ، ثم اجتماعه به في لكهنو قبل استقلال الهند وباكستان بعام أو عامين . ثم يختم حديثه بقوله : « إن المكانة العلمية التي احتلها العلامة الميمني وملأها زمناً طويلاً لاأظن أن يملأها أحد إلى زمن طويل قادم في شبه قارة الهند وباكستان » .

١٥ ـ وفي مقالة الدكتور محمد راشد الندوي بيّن مدى اعتزاز الهند بشخصيات رفعت مكانتها العلمية ، ومنها شخصية الميني الذي سعد بلقائه في دمشق سنة ١٩٥٦ وقال : إن هذه البلدة قد أحبته واعتبرته أحد أبنائها حين منحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق .

وقال عن مجالسه إنها أشبه ماتكون بمجالس شيخ المعرة وحكيمها أبي العلاء المعري . وفي هذه المجالس كان يتحدث دوماً عن أساتذته كالشيخ نذير أحمد والعلامة محمد طيب المكي ، ثم تابع الدكتور راشد الندوي حديثه عن مراحل حياة العلامة الميني وأشاد بأعماله الكثيرة المتنوعة ، وبمنهجه في التصنيف والتحقيق ، ونقل قول الميني « إن عمل المحقق عمل شاق طويل الأمد ، فعليه أن يكون هادئاً رزيناً متحرياً القصد والصواب ، متمنياً الإصلاح والإفادة بعيداً عن التفاخر والرياء متجنباً اللمز والطعن » .

١٦ ـ وتحدث الدكتور ابراهيم السامرائي عن عمل العلامة الميني في كتاب « الطرائف الأدبية » وكتاب « المنقوص والممدود » . ثم ختم حديثه مشيداً به وبأعماله قائلاً : « كان مثلاً صادقاً للإخلاص في العلم بما جلاه ونقحه . فهو العالم الجليل والمحقق البارع شيخنا الميني فسح الله له في جناته » .

١٧ ـ وتحدث الدكتور مختار الدين أحمد عن كتاب التيجان لابن هشام وتعريف الأستاذ الميني به في مجلة الزهراء ، ولما كانت نسخة هذا الكتاب فريدة وفيها خلل كبير ، فلذلك بعث به إلى الأستاذ محمود شاكر لعله يقوّم منآده ، وبعد مدة أرسله الأستاذ محمود محمد شاكر إلى الأستاذ محب الدين الخطيب مشفوعاً بأبيات نظمها بهذا الصدد وهي :

فلو أن ذا القرنين طالت حياته ... وأبصر ماقد جمّع ابنُ هشام

وأبصر أقـــوال الربيـــع وشعره سـواداً مجنّـــاً في دجى وظـلام
لحيّره مـــاحيّر ابن محمــــد فبـات على شوك ضجيع سقـام
وهـل سقم إلا مصـادر لم تُنِـل مراداً ولم تُطْلب بـــأيّ مرام
فتى الهنـد أعيتـه فهل أنـا قـادر فلستُ إذا مـــالم أصب بـسلام
وآخر عجـز المرء بعـــد تنصّـل وآخر مـاأهـدي إليـك سـلامي

١٨ ـ ونظم الأستـاذ أبو محفـوظ الكريم معصـومي قصيـدة رائيـة في ذكرى العلامة الميمني وصفاتـه وشيوخـه واختصـاصـه بـالعربيـة ورحلاتـه وأعمـالـه العلميـة وإعجـاب علمـاء العربيـة ورده على المسيئين من المستشرقين ، وجُوده وزهده ، وتلاميذه المشهورين .

١٩ ـ ويتنـاول الـدكتـور نبي بخش بلـوج محـاضرات الميمني ، ونـوّه بطريقته في عرض معلوماته للطلبة فقال : كان يـدرس نصوص الكتـاب إلا أنه كان يستطرد كثيراً فيذكر لنا كل مايتعلق بـالنصوص من فوائـد ، ويشرح الشعر ، ويلم بكل جوانبـه ، ثم يتحـدث عن نوادر المخطوطـات ، ويعرفنا بالمصـادر والمراجع وطرق البحث والتحقيق ، ويفيض علينـا من علمه الغزير ، ثم يـذكر الـدكتور بلوج مقتطفـات ممـا سجلـه لأستـاذه ، تحدث فيها عن الدماميني والصغاني وابن منظور وحول منهج الدراسـة في المعاهد الدينية بالهند ، وعن السيوطي والبغدادي ، وعن دواوين الشعراء الجاهليين وكتاب مرآة الزمان ، ومعجم الأدباء ووفيات الأعيـان ومفتـاح العلم وسره .

٢٠ ـ ثم خصص قسم من المجلـة لسرد جملـة من أعمـال الاستـاذ الميمني ودراساته وهي :

١) النسخة الفريدة من نقائض جرير والأخطل لأبي تمام (ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤)

٢) مكتبة جامع القريين بفاس ونوادرها (ص ٢٤٥ ـ ٢٥٦)

والحق أن هذا العدد أضاء جوانب من حياة العلامة الميمني وسيرته وأعماله العلمية الهامة ، وهو مرجع لاغنى عنه لمن يود دراسة الأستاذ الميمني .



فقيد المجمع

الدكتور عمر فروخ

رسمه الأخير

عمر فروخ

كفاح خمسة وستين عاماً
دفاعاً عن العروبة والاسلام

١٣٢٢ - ١٤٠٨هـ / ١٩٠٤ - ١٩٨٧م

الدكتور عدنان الخطيب

ولاية بيروت

عندما هلّ القرن العشرون للميلاد ، كانت الدولة العثمانية قد **أسلمت قيادها لأمر السلطان عبد الحميد** ، يقودها بحنكته وعمق نظراته ، ويتولى إدارتها وعُظْم سياساتها بيد من حديد . وكانت جُلّ الأقطار العربية يومئذٍ من الأقاليم الخاضعة لها ، يُضاف إلى اسم القطر إحدى الكلمات التالية : **ولاية أو متصرفية أو لواء** ، تبعاً لمساحته وعِظم شأنه .

ونجم عن النهج السياسي للسلطان ، أن غدت ولاياتٌ ومتصرفياتٌ كثيرةٌ من أقاليم الدولة ، هادئةً مستقرة ، تمضي أيامها وكأنها بحرٌ ساكن في يوم صائف.، **أما إذا جنّ الليل فكان أعداء السلطان ومبغضوه يتسللون إلى أوكارٍ اصطنعوها أو محافلَ انشأوها** ، يخططون ويتآمرون لإسقاطه عن العرش ، ولم تكن الاجتماعات الليلية **لهؤلاء إلا كوميض جمر يؤذن أن يضطرم** .

لقد كانت بيروت في تلك الأيام ، عاصمةً لولاية تحمل اسمها ، **شاميةَ الانتماء ، عثمانيةَ الولاء ، عربيةَ الوجه والقلب**

واللسان ، إلا أن التخلف الذي كان طابع أكثر البلاد العربيـة الخـاضعـة للدولة العثمانية ، كان أيضا يرينُ عليها ، **إذ كانت المدارس الحكوميـة فيها قليلـةَ العـدد** ، وكان أغلبُ معلمي العربيـة في هـذه المـدارس من الأتراك ، بينمـا كان جبـل لبنـان لصيـق بيروت **يَشمَـخ بـإدارة ذات امتياز ، وبوفرة علماء العربية من ابنـائـه** ، حتى أن بعضهم كان من الأفذاذ . كا كانت نسبة المتعلمين فيه عاليـةً ، والكثيرون فيهم يتقنون لغة أجنبية أو أكثر ، وذلـك بسبب انتشـار المـدارس في العـديـد من كُوَر الجبل وقراه ، **وبخاصة تلك التي يديرها مبشرون** وفـدوا على الشرق من مختلف دول العالم المسيحي .

وكانت ولايـة بيروت تتـألف من خمسـة ألويـة هي : **لواء بيروت نفسهـا ولواءا طرابلس الشـام والـلاذقيـة في شمالهـا** ، ولـواءا عكا ونابلس في جنوبها[1]

☆ ☆ ☆

بيروت ليلة مولد عمر

كانت ليالي بيروت في تلك الأيام ، خافتة الأنوار هـادئـة مستقرة ، ويكاد يخيم عليها الظلام **إذا ماانتصف ليلها ونام القاطنون فيهـا** ، وهكذا نامت بيروت ليلة الإثنين من أواسط شهر ربيع الأول سنـة ١٣٢٢

(١) لزيادة المعلومات تراجع الكتب التـاريخيـة ومنهـا محـاضرات سـاطع الحصري عن البلاد العربية والدولة العثمانية القاهرة ١٩٥٧ ، وبصورة خاصة يراجع كتاب (ولاية بيروت) تأليف كل من رفيق التميمي مدير المكتب التجاري في بيروت ومحمد بهجة الحلبي مـدير المكتب السلطاني في بيروت ، مطبعة الاقبال بيروت ١٩١٦ .

للهجرة (**الثامن من أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٠٤ للميلاد**[٢]) وأُطفِئت مصابيح بيوتها ، إلا بيت **عبد الرحمن فرّوخ بقيت الأنوار فيه ساطعة** ، إذ كانت الحركة فيه دائبة ، حتى إذا ماذرّ قرن الشمس ، علت فيه زغاريد النساء الفرحات بطفل هلّ لعبد الله الابن الثاني لصاحب البيت ، قال أبو الطفل : **إني اسميه « عمر »** .

كان عمرُ في الرابعة من عُمُره ، يومَ هبَّتْ رياحُ الاتحاديين من الأتراك ، تَعصِفُ بالاستقرارِ السياسيّ في دولةِ بني عثمان ، فقاموا يومَ السابعِ عشرَ من كانونِ الأول ـ ديسمبر ـ من سنةِ ١٩٠٨ م ، **بإرغامِ السلطانِ عبدِ الحميد على إعلان « الدستور »** يُقيِّدُ بنصوصِهِ نفسَهُ ، حَادّاً بها السلطاتِ التي يمارسُها فعلاً ، وأطلقَ الناسُ على يوم الإعلان هذا اسم : « يومَ المشروطيّةِ » ، حتى إذا جاءَ يومُ السابعِ والعشرين من نيسان ـ أبريل ـ من عام ١٩٠٩ ، أكرَهَ الاتحاديُّون ، والجيشُ من

---

(٢) سبق للفقيد أن دوّن في ترجمتيه المحفوظتين في كلّ من مجمع دمشق ومجمع القاهرة : أن مولده كان صباح يوم الإثنين في الثامن من أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٠٦ ، غير أنه عندما نشر لمحات من حياته في كتابه « **غبار السنين** » المطبوع في بيروت ١٩٨٥ ، ذكر عن تاريخ مولده النبذة التالية :

لما جرى الاحصاء الأول والأخير في لبنان سنة ١٩٣٢ ، كان والدي رئيس لجنة في منطقة رأس بيروت ، ويبدو أن مولدي قد جُعل عام ١٩٠٦ ، وأحببت أنا أن أعيّن « هذا » المولد بدقة فجعلته في ٨ / ٥ / ١٩٠٦ ، ولكن إذا ماتذكرت عدداً من الأشياء وقست الماضي بالحاضر فيمكن أن يكون مولدي في يوم الإثنين من أواسط الربيع ، ولكن قبل سنتين ـ انظر ص ٢٤٦ . ويدعم هذا القول ماذكره الفقيد في ص ٢٥٢ من الكتاب المذكور إذ قال : غير أنني دخلت الدائرة الاستعدادية العامة ، ودخل صبحي المحمصاني إلى الدائرة الاستعدادية الخاصة (لأنه كان أصغر مني) . والزميل المغفور له المحمصاني عضو المجمع المراسل ذكر في ترجمته أنه من مواليد سنة ١٩٠٦ ، مما يؤكد أن مولد الفقيد كان في سنة ١٩٠٤ وهذا ماوصلنا إليه واعتمدناه في هذه الدراسة .

ورائِهم ، **السلطانَ على التخلي عن عرشِ آبـائِـهِ لأخٍ لـه** أقلَّ دهـاءً وألينَ عوداً .

وتلاقتْ غاياتُ الاتحاديين مع اتجاهـاتِ أفرادٍ من رجـالاتِ الـدولـةِ العثمانيةِ ، كانوا قد تلقَّوا علومَهم في بلادِ الغرب ، وانبهرُوا بحضارته ، فلما عـادوا إلى بـلادِهم انضمُّوا إلى القـائلينَ **بـوجـوبِ تقليـدِ الغربِ في خَطَواتِـه التي أوصلتْـهُ إلى مـايتمتعُ بـهِ من حضـارةٍ وقوةٍ ، إذا أريد النهوض بالـدولـةِ** ، وكانَ من بعضِ مـاخلَّفَتْـهُ آراؤُهم أن تمـادتْ الإرسالياتُ التبشيرية في تغلغلها في طولِ البلادِ وعرضها ، مستغلةً الحريةَ التي ضَمِنَها لها عهدُ « الامتيازاتِ الأجنبيةِ » وكانت سيطرتُها أخذت تشتدُّ منذ عام ١٧٨٠ م ، وعندما ضاق صدرُ الدولةِ بنفوذِ المبشرين الأمريكيين بين عـاميّ ١٨٤٠ و ١٨٥٠ ، **حـاولتْ الحـدَّ من هـذا النفـوذِ** ، فـإذا بأمريكةَ تصطنعُ عقباتٍ سياسيةً في وجهِ الـدولـةِ العثمـانيـةِ لتَصرفَهـا عن التضييقِ على إرسالياتِها ، وكان لها مارغبتْ فيه .

قد يبدو أنَّ في مثلِ هـذا الاستطراد ، جموحـاً من القلمِ عن الموضوعِ الـذي أنـا فيـه ، غير أن مـاجرى ويجري في بيروتَ ، **ذو جـذورٍ في التاريخِ ، فلا بـدَّ من التلميحِ إليهـا** . وخـاصـةً لأنَّ تلـكَ الجـذورَ سـاهمتْ في تلوينِ أدبِ فقيـدِنـا الكبير عُمَر فرّوخ ، تـاركـةً طَـابَعَهـا على النهـج الـذي سلَكَـهُ في الحيـاة ، كما كانت من وراءِ الكثيرِ ممـا نشَرَهُ على الناس .

وبعدما استقرّ الأمر للاتحاديين ، لم يلبثوا إلا قليلا فإذا بهم يسْفِرون عمـا في أنفسهم ، **ويعملـونَ جهـدَهم في تطبيـقِ سيـاسـةِ تتريـكِ العناصرِ غيرِ التركية التي تتكون منهـا دولـة بني عثمان** ، كما غضُّوا الطرفَ عن تفسيرِ العامةِ ليومِ المشروطيّةِ ، على أنه إيذانٌ بانعتاقِ الإنسانِ

مما يكبِّلُه من قيودٍ ، وانفلاتَ الشهواتِ مما يكبتُها من كوابِحَ ، وانتهى الأمرُ بهم إلى زجِّ الدولةِ العثمانيةِ في السابعِ من تشرين الثاني - نوفمبر - من عام ١٩١٤ م في أتونِ الحربِ العالميةِ إلى جانبِ ألمانيةَ ، ومن ثَمَّ إلى **إلغاءِ الخلافةِ الإسلاميةِ وفصلِ الدينِ عن الدولةِ في** آذار - مارس - من سنة ١٩٢٤ م .

البيت الذي نشأ فيه عمر

مما لاشك فيه **أن البيت هو المدرسة الأولى لأي إنسان** - كما يقول فقيدنا عمر فرّوخ في سيرته الذاتية ، ويتابع كلامه فيقول : « لقد كان من حسن حظي أن نشأت في بيت فيه علم وفيه مكتبة . كان جدي وأبي وعمّاي وعمّتاي يقرأون ويكتبون - على قلة ذلك بين المسلمين في القرن الماضي - وكان في بيتنا ثلاث لغاتٍ مُتقَنة (العربية والتركية والفرنسية) ثم لغتان ملموحتان (الإنكليزيةُ والألمانية) .

تعلمتُ من جَدّي لأبي الصلاة وقراءة القرآن والسباحة وشراء أغراض البيت من السوق ... » .

ويحدثنا عمر فرّوخ عن جَدّه فيقول : « كان جَدّي ، في أول أمره ، نجاراً وكان أمّياً ، فلما رُزق ابنَه البكرَ أحمد (وكان أحمد قد توفّي قبل مولدي) علّمه جَدّي ذلك العلمَ الذي كان مألوفا في ذلك الحين ، ثمّ عاد جدّي فتعلّم منه القراءة والكتابة والحساب ، ولما ولدتُ كان جدي (قواصاً) في القنصلية الألمانيّة ... **ومع أنّ جدي قد نشأ أمياً ، فقد علّم جميع أولاده ذكوراً وإناثاً** ، وكان والدي خاصّة يتقن العربية والتّركية والفَرنسيّة ... فقد كان موظفاً في مكتب البريد النمساوي .. » .

ولم يترك فقيدنا عمر أحداً ممن لهم أدنى فضل في تعليمه إلا وذكرهم بخير في كتابه « غبار السنين » فقال مثلا : « .. **وتعلمت من والدي**

السير **الصحيح السليم** في طريق الحيـاة ... » إلى أن يقـول : « .. أمـا والدتي فلم تكن تخطّ أو تقرأ الخطّ ، ولم يكن بالإمكان أن أتعلم منها شأنا من شـؤون الثقـافـةِ ، غير **أن والـدتي كانت ربّـةَ بيتٍ من جميـع النواحي** : الجِدُّ في التحصيل ، والحكمةُ في الإنفاق . ثمّ إن والدتي علمتنـا الخدمة في البيت : كنّـا نعجن ... وعلمتنـا المسـاعـدة في شؤون المنزل من الطبخ والغسل والمسح . **ولقد انتقل ذلك كلّـه إلى أولادنـا** ... » إلى أن يقول : « ... وكان عمّاي وعمّتاي يسـاعـدونني في إعـداد دروسي كثيراً أو قليلاً ... »

☆ ☆ ☆

الفقيد يبدأ مرحلة التحصيل النظامي

لـمـا جـاءت سنـة ١٩١٩ م ، اجتمـع في بيروت نفرٌ من شبـاب الأسر المسلمـة ، وكانـوا متقـاربين في السن ، وكلهم كانـوا يبحثـون عن مـدرسـة ينهون فيها تحصيلهم الابتـدائي النظـامي ، وقـد أجمع أمرهم على الطواف بـالمـدارس الأجنبيـة التي كانت في بيروت يومئـذ من فرنسيـة وإيطـاليـة وأمريكيـة ، **وإن كانت كلهـا مـدارس تبشيريـة** ، لاختيـار الأنسب منها ، فاختاروا الانتساب إلى مدرسة رأس بيروت » التابعة إلى « **الكلية البروتستـانتيـة السـوريـة** » التي سبـق أن أنشـأتهـا البعثـة التبشيريـة الأمريكية سنة ١٨٦٦ م في بلدة عبية من جبل لبنان .

كانت ثقافة الفقيد العامة جيدة ، كما كانت سنه تجاوز أسنـان طلاب التحصيل الابتدائي ، ممـا سـاعـده على **اجتيـاز المرحلـة الابتـدائيـة وصفين من المرحلة الثانوية في مدة عامين** ، رغم الحوادث السياسـة الهامة التي تلاحقت ولفّت بلاد الشام عامـة ، منهـا تقسيم هـذه البلاد إلى

دويلات صغيرة ، واتخاذ بيروت عاصمة لادارة الأقطار التي أخضعت إلى الانتداب الفرنسي ، وتسمية كبير القادة الفرنسيين مفوضاً سامياً للجمهورية الفرنسية ، واقدام هذا المفوض بتاريخ ٣١ من آب - اغسطس - سنة ١٩٢٠ م على اعلان قيام « **دولة لبنان الكبير** » ضاماً إلى متصرفية جبل لبنان أجزاء من ولاية بيروت مع بلاد أخرى انتزعها من الولايات المجاورة .

هذا واسرعت الكلية البروتستانتية السورية يومئذ إلى تعديل اسمها إلى « **الجامعة الأمريكية في بيروت** » ، ليتلاءم مع السياسة الاستعمارية الجديدة .

☆ ☆ ☆

القلق ينتاب الفقيد أثناء الحرب

دوّن فقيدنا في كتابه « **غبار السنين** » أوائل ذكرياته عن طلب العلم خارج البيت ، فأشار إلى أنّ المدرسة الأولى التي عرفها كانت كُتّاب « **الشيخة حليمة الفيل** في زقاق البلاط » ثم أشار إلى أنه انتقل منها سنة ١٩١٠ م إلى مدرسة « **لجنة التعليم** » في عين المريّسة ، مشيراً إلى أنه انتقل من هذه أيضاً في أواخر العام نفسه إلى مدرسة دار العلوم ، محدداً تاريخ الحادي عشر من شباط - فبراير - سنة ١٩١١ م يوم ضربت البوارج الإيطالية مدينة بيروت ، **وذلك بسبب حجز المدرسة طلابها حتى يتسلمهم أولياؤهم** .

ويحدّثنا الفقيد بعدئذٍ عن انتقاله سنة ١٩١٣ م إلى ابتدائية المكتب السلطاني وقد سارع أهله إلى اخراجه منها **عند نشوب الحرب العالمية** وألحقوه بمدرسة أهلية في رأس بيروت كانت آخر مدرسة عرفها أثناء الحرب .

كان فقيدنا عمر فرّوخ لايتجاوز الثانية عشرة ، يوم شاهد من مآسي تلك الحرب جثث الذين ماتوا تضوراً من الجوع ملقاةً على أرصفة الطرق ، كما وعى اعدام شهداء القضية العربية في ساحة البرج ، وعرف بعدئذٍ أن شريف مكة أعلن الثورة العربية على الأتراك ، وأخذ من ثمّ يتابع أخبار جيوش هذه الثورة في زحفها من مكة نحو بلاد الشام مُسرعة لتسبقَ جيوش الحلفاء في تحريرها من نير الأتراك ، إلى أن دخلت دمشق حيث كان العلم العربي يخفق في سمائها ، ثم شاهد هذا العلم يرفع في بيروت ، غير أن الفرنسيين أسرعوا إلى استبدال علمهم به .

ومما دونه فقيدنا مما يذكره من حوادث تتصل بحياته الثقافية في أثناء الحرب قال : « ... وأذكر أنني وجدت في أواسط الحرب العالمية الأولى كتابا في مكتبة بيت جدّي اسمه « كتاب البنين » لمؤلفه بول دومر رئيس مجلس الأمة الفرنسي (في سنة ١٩٣١ أصبح رئيسا للجمهورية) قرأت فيه أشياءَ لا أذكرها الآن (في ذلك الحين كنت قد ختمت القرآن وحفظت قسماً صالحاً منه غيباً ...) .

كان فقيدنا قد ذكر في ترجمة له قديمة عن تحصيله قبل عام ١٩١٩ م قوله : « إن تعليمي لم يكن متصلا » على أنه عاد في « غبار السنين » ليقول : « حياتي المدرسية قبل عام ١٩١٩ تحتاج إلى كتاب ، لقد كان كل شيء فيها أساساً راسخاً في التربية ، ولكن إلى ذلك الحين لم تكن شخصيتي قد بدأت تردّ على التحدي ، كما حدث فيما بعد .. » .

☆ ☆ ☆

إتمام التحصيل الجامعي وبدء مرحلة التدريس

التحق الفقيد في بدء العام الدراسي ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ م بالدائرة الاستعدادية العامة في الجامعة الأمريكية ، وقُبل في الصف الثالث الثانوي بعد نجاحه في امتحان القبول ، فلما كانت سنة ١٩٢٤ نجح في امتحانات الصف الختامي ، **وكان الأول في دروس اللغة العربية ، دون اللغات الرسمية الأخرى ، ولهذا كان خطيب احتفال التخرج باللغة العربية** ، وكان موضوع خطبته (لا ، للشهادة) .

ثم بدأ دراسته الجامعية حتى تخرج عام ١٩٢٨ م يحمل درجة **(البكالوريوس في العلوم)** مختصاً بالأدب العربي والتاريخ .

وقصد فقيدنا بعد تخرجه فلسطين ليعلّم الجغرافية والتاريخ والترجمة ، **في مدرسة النجاح أشهر مدارس نابلس** .ثم عاد إلى بيروت سنة ١٩٣٠ م ليعلّم في مدارس « **جمعية المقاصد الإسلامية** » .

ومنذ العام المذكور ألزم فقيدنا عمر فرّوخ نفسه بسدّ النقص الذي كان يشعر به المعلم المسلم في بيروت ، **فأخذ يؤلف للطلاب الكتب التي تدخل في معارفه** ، فألف بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٥ العديد من كتب الأدب والتاريخ واللغة منفرداً أو مشتركاً مع نفر من زملائه ، وهي كتب مازالت حتى اليوم وافية بالغرض منها وقد تعددت طبعات كل منها .

وفي سنة ١٩٣٥ م شعر فقيدنا عمر فرّوخ **بأن واجبه نحو نفسه يُلزمه بالسفر إلى أوربة لاتمام تحصيله العالي** ، فقصد ألمانية حيث مكث مدة عامين تابع أثناءها الدروس التي تهمه في كلٍّ من جامعة « برلين » وجامعة « ليبزغ » وجامعة « أرلنجن » .

ورغب الفقيد في الحصول على درجة « **الدكتوراه** » **فاقترح على**

الأستاذ يوسف هيل[٣] ، عدداً من الموضوعات الصالحة لصنع أطروحة ، فاستحسنها الأستاذ هيل كلها ولكنه قال له :

« **إن هذه الموضوعات يستطيع أن يكتب فيها أي طالب ألماني ، ولكن هناك معضلات لايستطيع النهوض بحلها إلا عربي منها :**

« إن نفراً من المستشرقين يعتقدون أن الإسلام لم يكن له نفوذ في العرب في أول الأمر ، **وإن هذا النفوذ الديني المشهور للإسلام ، إنما هو من صنع المؤرخين العباسيين** ، ويحتجّ هؤلاء المستشرقون لذلك بأن الشعر العربي المعاصر للدعوة الإسلامية لاينكشف على أثر للإسلام بين العرب عامة وبين البدو منهم خاصة » ثم قال الأستاذ هيل :

- **هل تستطيع ياعمر أن تنقض الرأي المذكور ؟**

يقول عمر في سيرة ذاتية كتبها بخطه : « فاستمهلته نحو أسبوعين ، انقلبت فيهما إلى المصادر ، ثم كتبت إليه من برلين أنني استطيع أن أفعل ذلك » .

وأخذ فقيدنا عمر يجمع الشواهد حتى اجتمع لديه منها الكثير ، وكتب يقول : « حينئذ أخذتُ نفسي بألا أعتمد على شاهد **إلا إذا كان قد ورد في الكتب الموثوقة ، مما لايعترض عليه المستشرقون عادة** ، غير أنني وجدت أنني تناولت عصرا كبيراً ، فضيّقت نطاق بحثي فخرج موضوع الأطروحة :

---

(٣) J.HELL (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) مستعرب ألماني ، تخرج باللغات الشرقية على فريتز هوميل (١٨٥٤ ـ ١٩٣٦ / من جامعة أرلنجن، ثم عين أستاذاً فيها ، عني بالشعر العربي عناية خاصة . له مؤلفات عديدة منها « حضارة العرب » وحقق دواوين كثيرة منها « ديوان الفرزدق » . انظر نجيب العقيقي (المستشرقون) ج ٢ القاهرة ١٩٦٥ .

الإسلام كما يظهر في الشعر العربي
منذ الهجرة إلى موت الخليفة عمر بن الخطاب
١ ـ ٢٣ هـ / ٦٢٢ ـ ٦٤٤ م

وكان العمل في هذه الأطروحة مضنياً يحتاج إلى جَلَد وأناة أكثر مما يحتاج إلى خيال وأسلوب » .

واستطاع فقيدنا عمر فرّوخ الانتهاء من إعداد الأطروحة ومن تحضير مواد الدروس المقررة ، في أربعة فصول : قضى الأول منها في جامعة برلين ، والثاني في جامعة أرلنجن ، والثالث في جامعة ليبزغ ، والرابع في جامعة أرلنجن من جديد .

ولما كان عام ١٩٣٧ **مُنح الفقيد لقب « دكتور في الفلسفة » مع درجة جيد جداً** ، وكان أثناء إقامته في ألمانية قد زار باريس مرتين ، وفيها حضر مااستطاع من دروس تتصل بالعلوم المشرقية في كلٍ من (السوربون) و (كليج دوفرانس) و (مدرسة الدراسات العليا) للاستزادة من العلم من جهة ، **وللسماع من الأساتذة ـ مباشرة ـ على حدّ تعبيره .**

وعاد الفقيد عمر فرّوخ إلى بيروت ليعمل من جديد في « كلية المقاصد الإسلامية » وفيها أصدر بالاشتراك مع بعض زملائه **مجلة « الأمالي » الأسبوعية** والتي استمرت في الصدور ثلاث سنوات متوالية ، حتى إذا ماقامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م ووضعت سلطات الانتداب الفرنسي كل ماينشر تحت الرقابة ، **خاف عمر محاولة السلطات فرض خط سير لايرتضيه فامتنع عن إصدار المجلة .**

وفي سنة ١٩٤٠ م دعت الحكومة العراقية الفقيد عمر فروّخ **ليحاضر في « دار المعلمين العليا في بغداد »** فلبى الدعوة وأمضى سنة دراسية ، عاد بعدها إلى « **كلية المقاصد الإسلامية** » في بيروت .

ومنذ عام ١٩٤١ وجد فقيدنا أن ماأعده من محاضرات أدبية وفلسفية صالح للنشر ، فجعل يصدرها منجمة تحت عنوان « **دراسات قصيرة في الآداب والتاريخ والفلسفة** » وقد ظهر منها :

١- الحجاج بن يوسف
٢- عمر بن أبي ربيعة
٣- ابن الرومي
٤- عبد الله بن المقفع
٥- الرسائل والمقامات
٦- شوقي
٧- ابن خلدون
٨- أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوربية
٩- شعراء البلاط الأموي
١٠- الفارابيان (الفارابي وابن سينا)
١١- أربعة أدباء معاصرين
١٢- خمسة شعراء جاهليين
١٣- بشار بن برد
١٤- نهج البلاغة
١٥- إخوان الصفا
١٦- ابن باجه
١٧- ابن طفيل
١٨- التصوف في الإسلام
١٩- الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب

وفي أثناء اصدار هذه الدراسات ، التي طبع بعضها أكثر من مرة ومازال حتى اليوم متداولا ، **أخرج فقيدنا عمر فرّوخ المؤلفات التالية :**

١- ابن طفيل وابن رشدْ
٢- حكيم المعرة
٣- عبقرية العرب في العلم والفلسفة
٤- الإسلام على مفترق الطرق (ترجمة عن الانكليزية)
٥- نحو التعاون العربي
٦- دفاعاً عن العلم
٧- دفاعاً عن الوطن .

كما صدرت للفقيد بالاشتراك مع نفر من زملائه عدة كتب في جملة السلاسل المدرسية ، كان اسمه فيها على الكتب التالية :

١ـ تاريخ سورية ولبنان المصور للمدارس الثانوية

٢ـ لساني الفصيح

٣ـ النحو الابتدائي في ثلاثة أجزاء

٤ـ النحو الثانوي في جزأين

٥ـ تاريخ الغرب المصور للمدارس الثانوية في جزأين

٦ـ الإسلام ديني

٧ـ أنا مسلم

أما المقالات والبحوث والدراسات التي نشرها الفقيد منذ عام ١٩٢٣ م حتى وفاته ،في الصحف اليومية ، أو في المجلات سواء أكانت أسبوعية أم شهرية أم فصلية ، باسمه الصريح أو المستعار أو المرموز إليه بحروف ، **فهي كثيرة وعصية على الحصر ، على أن أغلبها قد دخل مضمونها في بعض مؤلفاته** ، كما أن بعضها أصبح الأساس الذي قام عليه واحد من كتبه ، بينما جميع ماكان قد دأب على نشره في السنوات الأخيرة في إحدى صحف بيروت اليومية ، قد جمعه ونشره في كتاب صدر سنة ١٩٨٥ م بعنوان « **غبار السنين** » وهو عبارة عن لمحات من حياته بين عامي ١٩١٦ و ١٩٨٢ م يقول عنها : « **إنها لمحات في مقالات قصيرة في الثقافة والاجتماع تورد وقائع ولا تبدي آراء** » وهو كتاب فذّ في السيرة الذاتية يستحق أن نفرد للتعريف به نبذة خاصة .

☆ ☆ ☆

الفقيد عضو مراسل في مجمع دمشق

عين الفقيد عمر فرّوخ **عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي** ، في شباط (فبراير) عام ١٩٤٨[٤] ، وقد ظهر اسمه ، على صفحات مجلة المجمع منذ تلك السنة كثيراً ، فقد نشرت له بحوثاً فلسفية وتاريخية عديدة ، كما أنها عرّفت بعديد من مؤلفاته ، وفيما يلي أهم مانشر من بحوثه وما عرّف به من مؤلفاته فيها :

أولاً : نظرية المعرفة عند ابن حزم[٥]

دراسة قيمة صدرها الفقيد بموجز ترجمة ابن حزم ، وبزبدة تآليفه ، ثم تكلم عن مذهبه مع توطئة إلى نظرية المعرفة عنده ، ثم تكلم عن النظرية وعدد السبل الموصلة إليها ، فكانت أربعة أفراد لكل سبيل منها مبحثاً خاصاً .

ثانياً : درعيات المعري طور ممهد للزومياته[٦]

دراسة جديدة عن الدرعيات في ديوان المعري ، وعن سبب نظمها ، ورأى الفقيد أنها كانت **في دور توسّط بين نظم سقط الزند ونظم اللزوميات .**

ثالثاً : التعريف بكتاب قيم[٧]

عرّف الفقيد ببحثه هذا كتاب **« مقدمة لتاريخ العلم »** (تأليف جورج سارطون . الجزء الثالث طبع بلطيمور في الولايات المتحدة عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) تعريفا دقيقاً بدأه بالتعريف بمؤلف الكتاب ، ثم عرّف

(٤) اختير الفقيد عضواً من قبل مجلس المجمع في جلسته بتاريخ ٣ من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وقد اعتمد اختياره بالمرسوم الجمهوري ذي الرقم ٢٢٣ المؤرخ في ١٠ شباط ١٩٤٨ .

(٥) نشر هذا البحث في المجلد ٢٣ صفحة ٢٠١ سنة ١٩٤٨ .

(٦) نشر هذا البحث في المجلد ٢٣ صفحة ٥٤٣ سنة ١٩٤٨ .

(٧) نشر هذا البحث في المجلد ٢٦ صفحة ١٠١ سنة ١٩٥١ .

بالناشر ، وأخيراً قدّم دراسة نقدية موثقة عن الكتاب وقيمته التاريخية .

رابعـاً : أحمـد شـوقي أمير الشعراء في العصر الحـديث تـأليف عمر فرّوخ[٨]

تعريف ونقد بقلم عضو المجمع **الأستاذ عارف النكدي**

خامساً : دور النضج في تاريخ الفلسفة الإسلامية[٩]

دراسة قيمة كتبها الفقيـد عمر فرّوخ عن تـاريخ الفلسفـة الإسلاميـة ودور ابن رشد اللامع فيها ، ودور غيره من فلاسفة المسلمين في الأنـدلس وشمال غربي إفريقيـة ، وهي دراسـة مقـارنـة مـع تـاريـخ فـلاسفـة المسلمين في المشرق ، وقد استغرقت ٢٠ صفحة من المجلة .

سادساً : دراسات عن مقدمة ابن خلدون

كتـاب من (تـأليف سـاطـع الحصري ـ طبعـة دار المعـارف بمصر سنـة ١٩٥٣ م[١٠]) .

نشر الفقيـد تعريفـاً ونقـداً لكتـاب سـاطع الحصري ظهر في عـددين من أعداد المجلة مستغرقاً عشرين صفحة منها .

سابعاً : تـاريخ الفكر العربي إلى أيـام ابن خلـدون (تـأليف عمر فرّوخ[١١])

تعريف ونقد بقلم عضو المجمع **الأستاذ عارف النكدي**

ثامناً : العلم القديم بين الشرق والغرب[١٢]

دراسة متأنية كتبها الفقيد عن مصادر العلم والفلسفة القديـة قبل الإسلام

---

(٨) نشر هذا البحث في المجلد ٢٦ صفحة ٣٠٠ سنة ١٩٥١ .

(٩) نشر هذا البحث في المجلد ٢٦ صفحة ٥١٢ سنة ١٩٥١ .

(١٠) نشر هذا البحث في المجلد ٢٩ صفحة ٦٧ و ٢٠٣ سنة ١٩٥٤ .

(١١) نشر هذا البحث في المجلد ٤٢ صفحة ٣٤٥ سنة ١٩٦٧ .

(١٢) نشر هذا البحث في المجلد ٤٤ صفحة ٣٤٤ سنة ١٩٦٩ .

وجذوره في الشرق ، وعن البلاد التي ينتسب إليها العلماء الذين كتبوا باليونانية ، **وكان أغلبهم من مصر أو بلاد الشام** ، وانتهى في دراسته إلى التأكيد على : « أن العلم إنساني لايُحدّ بتخوم على سطح الأرض ، ولا بسدود في مجرى التاريخ ، ولا تستأثر به قومية ولا يستقل به مذهب . ثم إن الحضارات كلها في تطور نشأتها بعضها من بعض ، **فأخذُ المتأخرين اسبابَ الحضارة عن الذين تقدّموهم والزيادةَ فيها بقدر مايحتاجون إليه وبقدر مايطيقونه أمر طبيعي** ، ومن ظنّ أن حضارة نشأت بين ليلة وضحاها مقطوعة من كل شيء قبلها فقد ظنّ عجزاً .. »

تاسعاً : مشروع العربية الأساسية[١٣] (عرض المشروع وتبيان خطره على الفصحى)

هذا المشروع وضعته للبنان ولعدد من الأقطار العربية وتموله **مؤسسة فورد الأميريكية** ، وقد أحب فقيدنا نشر نصه وتفنيد مراميه ، لتنبيه أفكار العاملين في حقل اللغة العربية ، إلى الأخطار التي ينطوي عليها ، مبيناً أن تعبير « **العربية الأساسية** » مُدرَكٌ في الدراسات الحديثة للغات ، يدور على أن في كل لغة قسمين من الكلمات والتعابير ، قسماً يكثر وروده في الكتابة والتخاطب ، ينبغي أن يشجع استعماله عند تعليم أي لغة من اللغات ، ثم قسما قد قلّ وروده في الكتابة والتخاطب ، ولما كانت الكلمات العامية في اللهجات المحكية أكثر تواترا من الكلمات الفصيحة ، **فالفقيد كان يخشى أن يكون المشروع يُخفي التشجيع على نشر العامية المحكية دون الفصحى ، لازاحة هذه ، في كل مجتمع عربي يأخذ بالمشروع** ، وهو بذلك يضع أخطاره أمام الغيارى على الفصحى ليقولوا رأيهم فيه .

(١٣) نشرت هذه الدراسة في المجلد ٤٨ صفحة ٨٢٧ سنة ١٩٧٣ .

عاشراً : مصادر الدراسة الأدبية[١٤] (كتاب من تأليف يوسف أسعد داغر) .

الجزء الثالث في قسمين من منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٢ عرّف فقيدنا بمؤلف هذا الكتاب تعريفا دقيقا ، ثم عرّف بالجزء الثالث منه مثنياً على المؤلف جزيل الثناء ، مشيراً الى المآخذ عليه ، متمنياً أن يرى طبعة جديدة له وقد تلوفيت فيها نواقص هذه الطبعة والأخطاء التي شابتها .

حادي عشر : ابن رشد العالم بالبصريات والفلك خاصة[١٥]

دراسة متأنية عن الفقيه والفيلسوف ابن رشد ، أراد منها فقيدنا عمر فروخ اثبات أن رسائل ابن رشد التي يحسبها العلماء مجرد شرح لكتب ارسطو ماهي إلا تأليف علمي لابن رشد نفسه ، وقد انتهى الباحث في دراسته إلى القول : إن معظم الدارسين ـ وأكاد أقول جميع الدارسين ـ منا على الأقل ـ قد وجهوا اهتمامهم كله إلى ابن رشد الفيلسوف النظري واهملوا آراء ابن رشد الرياضية والطبيعية ، **فحبذا أن يقوم منا نفر ينصفون جميع علمائنا بالالتفات إلى آرائهم العلمية البحت** (حينما يكون مثل هذا الالتفات ممكنا) .

ثاني عشر : الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى[١٦]

بحث لغوي لطيف عن كلمة (ترجمة) مقارنا باللغات الاعرابية المتعددة ، بيّن فيه فقيدنا عمر فرّوخ صعوبة النقل من لغة إلى أخرى ،

---

(١٤) نشر هذا البحث في المجلد ٤٨ صفحة ٩٠٩ سنة ١٩٧٣ .

(١٥) نشرت هذه الدراسة في عددين من اعداد مجلة مجمع دمشق في المجلد ٥٣ في الصفحتين ٣١٣ و ٥٠٢ سنة ١٩٧٨ .

(١٦) نشر هذا البحث في المجلد ٥٤ صفحة ٦١١ سنة ١٩٧٩ .

معدداً الشروط اللازمة لذلك ، ثم بين أن اتقان اللغتين المنقول منها والمنقول إليها شرطان واضحان ، ولكن شرطين آخرين يجب توافرهما في المترجم ، هما معرفته بالموضوع المنقول ثم ثقافة عامة في موضوعات مختلفة .

ثم ذكر بعض ماعاناه في الترجمة ، كما ذكر في ختام بحثه هذه الطرفة : « في أيام دراستي في المانية زرت باريس زورتين طويلتين ، وفي إحدى الزورتين ضمني مع نفر من الطلاب أمثالي مجلس ، ولكن اثنين من الطلاب دخلا في جدال في أي **الشاعرين احسن شعراً : فيكتور هيغو (شاعر فرنسة) أو غوته (شاعر المانية)** . ثم بدا لأحدهما أن يدخلني فيما كانا فيه ، فقال لي ، مارأيك في ذلك ؟ فسألته : هل تعرف الألمانية ؟ فقال : لا . فقلت له حينئذٍ : **فيم تتجادلان إذن ؟** » .

☆ ☆ ☆

الفقيد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

اختير الفقيد عمر فروخ عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦١[١٧] ، وقد استقبل مع عدد من الأعضاء الجُدد في جلسة من جلسات المؤتمر في دورته الثامنة والعشرين[١٨] . استقبله **الرئيس الجليل الدكتور إبراهيم مدكور** ، وكان أمينا عاما للمجمع ، وقد وصفه بقوله : « **..والدكتور عمر فرّوخ شعلة متقدة وحركة دائبة** ، تخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت ، وأتم تعليمه في ألمانيا

(١٧) اعتمد هذا الاختيار بالقرار الجمهوري ذي الرقم ٥٧ لسنة ١٩٦١ .

(١٨) كانت الجلسة بتاريخ ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٦٢ .

وفرنسا ، وعرف الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وتخصص في الأدب والفلسفة الإسلامية ، وأصبح أستاذا لهما بكلية المقاصد[١٩] .. » .

وكان الفقيد يشارك في مؤتمرات المجمع السنوية **لايتخلف عنه إلا لعذر قاهر[٢٠] ولقد سعدت أنا شخصياً ، برفقته في أكثر الدورات المجمعية ، وكانت لي معه جلسات ليلية مطولة**أطوف فيها معه بالحديث حول القضايا التي تهمّ العالم العربي ، وخاصةً في السنوات الأخيرة أي منذ اشتعال نار الحرب الأهلية في لبنان العزيز على كل عربي ، كما كنا نتعاور الرأي في المعاناة التي تلفّ كلا من لبنان وسورية من جراء احتدام تلك الحرب .

وكان لفقيدنا الكبير نشاط ملحوظ في المؤتمرات السنوية التي حضرها ، **وكانت له بحوث أصيلة ، كما كانت له بعض التعليقات القيمة** ، ومن أهم تلك البحوث مايلي :

١ ـ المدارك القديمة في اللغة[٢١] .

٢ ـ الجيم السامية وتقلبها في الألفاظ العربية[٢٢] .

٣ ـ مدارك القاموس[٢٣] .

٤ ـ لام التعريف العربية في القاموس الإسباني[٢٤] .

---

(١٩) كان الاستقبال لأحد عشر زميلا ممثلين لمختلف الأقطار العربية وكان الدكتور فرّوخ أحدهم ممثلا للبنان . انظر ص ١١٠ ج ١٦ من مجلة المجمع لسنة ١٩٦٣ .

(٢٠) انظر ص ٢٢٢ من كتاب « المجمعيون في خمسين عاما » بقلم الدكتور محمد مهدي علام القاهرة ١٩٨٦ .

(٢١) انظر (د ٣٢ ج ٥ للمؤتمر ـ البحوث والمحاضرات ص ٩٧) .

(٢٢) انظر (د ٣٥ ج ٣ للمؤتمر ـ البحوث والمحاضرات ص ٣٩) .

(٢٣) انظر (مؤتمر د ٣٩ ـ البحوث والمحاضرات ص ٢٠) .

(٢٤) انظر (مؤتمر د ٣٩ ـ البحوث والمحاضرات ص ٦٣) .

٥ - في اللغة العربية المعاصرة : فساد الطرق في تعليمها[٢٥] .
٦ - فجر الإعلام في اللغة العربية[٢٦] .
٧ - لغة العلم[٢٧] .
٨ - التراث اللغوي وكلمة (حتى) عندنا وعند غيرنا[٢٨] .
٩ - الاسماء المعبّدة والاسماء المجدّدة[٢٩] .
١٠ - حرفا الباء والفاء في اللغة[٣٠] .
١١ - جانب العلم في ديوان امرىء القيس[٣١] .

وكان البحث الأخير بحث فقيدنا الكبير في الدورة قبل الماضية ، وهي آخر دورة اشترك فيها ، **وإذا كانت للفقيد بعضُ التعليقات الهامة على البحوث التي يلقيها الزملاء في الدورات المختلفة ،** فإن في طليعتها - كما أرى - تعليقه على تعليق الزميل المحترم الدكتور أحمد السعيد في الدورة الأخيرة : « .. **أما المستشرق نولدكه فلا يمكن إدراج اسمه في قائمة المؤمنين بالقرآن ، لأنه من ألد اعداء القرآن** ، وقد خصّ القرآن الكريم بكتاب (تاريخ القرآن) كله بذاءة . وحصل على جائزة من الأكاديمية الفرنسية .. » وذلك في معرض ردّه على بحث الزميل الفاضل الدكتور توفيق الطويل المعنن « بين لغة القرآن ولغة الفلسفة » .

(٢٥) انظر (مؤتمر د ٤٣ - البحوث والمحاضرات ص ٣٤١) .
(٢٦) انظر (مجلة المجمع ج ٤٣ / ٢٩) .
(٢٧) انظر (مؤتمر د ٤٧ ج ٢ - مجلة المجمع ج ٤٧ / ٥) .
(٢٨) انظر (مؤتمر د ٤٨ - مجلة المجمع ج ٤٩ / ١٢٥) .
(٢٩) انظر (مؤتمر د ٤٩ - مجلة المجمع ج ٥١) .
(٣٠) انظر مؤتمر د ٥١ - الوقائع ص ٢٢٢ مجلة المجمع الاردني ع ٢٨ - ٢٩) .
(٣١) انظر (مؤتمر د ٥٢ - الوقائع ص ١٦٦ مجلة المجمع الاردني ع ٣١) .

لقد وقف فقيدنا عمر فرّوخ ، **وهو المعروف بتشدده في الردّ على المبشرين والمستشرقين ودحض أباطيلهم**[٣٢] . ينصف « نولدكه » بدافع من حبه للانصاف وقول الحق الذي يؤمن به ، يقول : « **..إن موقف نولدكه من القرآن الكريم لاغبار عليه بالنسبة لغيره من المستشرقين** » على كثرة أخطائه ثم أردف يقول : « **أنا شخصياً أكره كثيراً من المستشرقين ، ولكن هناك نفراً من المسلمين أساءوا إلى القرآن أكثر مما أساء إليه المستشرقون**[٣٣] » .

☆ ☆ ☆

خَلْق الفقيد وخُلُقه

كان فقيدنا الكبير رَبْعةً بين الرجال وإلى القِصر أميل ، نحيلَ الجسم لايتجاوز وزنُه الخمسين كيلا ، **اكتسب من حياته الجامعية حبّ الرياضة فمارس السباحة ولعب كرة القدم** ، فكانت له منها الصحة الجيدة والنشاط ، وقوة جسمية ملحوظة ، على أنه كان عصبيَّ المزاج ، مرهفَ الحسّ ، سريع التأثر ، **يرفض التحدي على أنواعه ، عنيف الردّ عليه** ، حازماً في اتخاذ قراراته . واضحا في ابداء آرائه ، صريحا يقول الحقّ ولو على نفسه ، **ضعيف المجاملة ، يمقت النفاق ويبغض التملّق** .

وكان الفقيد رحمه الله ، شديد الحرص على وقته يكره أن يضيّعه في

(٣٢) انظر كتابه « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٣ .

(٣٣) انظر محاضر المؤتمر في الدورة ٥٢ وموجز وقائعه في مقالنا عنه المنشور في مجلة المجمع الاردني عدد ٣١ سنة ١٩٨٦ .

عملٍ أو حديث لانفعَ فيه . كان يقرأ أو يكتب أو يصحح ماكان قد كتب صباح مساء وليل ونهار ، يحمل معه دوماً مايملأ أي فراغ استطاع أن يتقنصه ، وكان معدل عمله اليومي أكثر من خمس عشرة ساعة .

كان رحمه الله لايهتم إلا بالجوهر ، قليلَ الاعتناء بالمظهر ، سأله صديق مرة ، لماذا لايتخلى عن ربطة عنق ضيقة وقد بطل طرازها ، فأجاب : لأني أرى أن هذا الرباط الرفيع في عنقي كافٍ ، واعتقد أنني لست بحاجة إلى رباط أغلظ منه ، وكنت أود أن استغني عن عقدة الرقبة ، ولكني أدركت أن كثيرين سيسألوني عن سبب تركي لعادة شائعة في البلد ، فيضيع من وقتي في الردّ على أسئلة السائلين أكثرُ مما يضيع من الوقت في عقد هذه (العقدة) في صباح كل يوم .

كان رحمه الله مربيا من طراز فريد يعامل طلابه كما يعامل المثقف أولاده يحبهم ويحبونه ، ينصحهم ويغضي عن هفواتهم .. كما كان معلماً فذاً موسوعيَّ الثقافة ، صاحبَ حميّة ماكلّف بتدريس مادة غاب معلمها إلا ولبى الطلب ، وما تأخر عن إعداد محاضرة التمس منه القاؤها ، وكان جمَّ النشاط ، سهلَ الانتقال ، جَلْداً في السفر ، خفيف المتاع فيه ، إلا من الكتب إذا كان مضطراً إلى حملها ، حلوَ الرفقة جميل العشرة إلا إذا أغضب ، على أنه كان سريع الرضا إذا استرضي ، رحمه الله واسبغ عليه جزيل رضوانه .

☆ ☆ ☆

الفقيد وآخر لقاءاتنا

كنتُ والفقيد من شهود مؤتمر المجمع في دورته الثانية والخمسين سنة

١٩٨٦ ، وبعد اختتام المؤتمر تأهب كل منا لمغادرة القاهرة عائداً إلى بلده ، **والأمل يحدونا باللقاء من جديد في دورته سنة ١٩٨٧ .**

لقد وعدته وأنا أودّعه بأن أكتبَ إليه رأيي في كتاب أهدانيه يحمل عنوان « **صراع التيارات المتشددة وعمر فرّوخ**[٣٤] » .

وبعد أن عدت إلى دمشق وقرأت الكتاب ، وفيت بوعدي ، وابطأ عليّ ردُّه ، فكتبتُ إليه ثانيةً ، وعاد البريد يحمل رسالةً ، **وهي صورةٌ صادقة لطابع رسائله ، إذ فيها شيء من مزاجه العصبيّ ، وايجازه الواضح ، وحرصه على الوقت** ، وإني مسجل نص الرسالة فيما يلي :

« خامس رمضان ١٤٠٦ / ١٣ ـ ٥ ـ ٨٦

أخي الكريم الدكتور عدنان الخطيب

سلام الله عليك . شكراً لرسالتيك . بعد رجوعي من القاهرة أخذتني حرارة شديدة **طال علاجهم لها** . ثم دخلت المستشفى عشرة أيام . كل الفحوص والصور سليمة إلا الحرارة ثم شيء من النقص في الكريّات الحُمر وازدياد كبير في العصبي بالدم (١٢٠ بدل ٢٠) . أتداوى الآن في البيت مداواة كثيفة .

كنت قد أنهيت الجزء الثاني من **معالم الأدب العربي في العصر الحديث** (القرن الحادي عشر) ضعف الجزء الأول . **هذا عصر غنيّ ولكن مغمور جداً** . هذا الجزء صُفّ كلّه في المطبعة وسيظهر قريباً إن شاء الله . وكنت أيضاً **قد بدأت جمع تراجم الأدباء في القرن الثاني عشر** . لاأدري متى استطيع إتمامه .

(٣٤) الكتاب من تأليف د . علي زيعور . بيروت ١٩٨٥ .

أشكر لك اهتمامك بكتـاب : عمر فرّوخ والتيـارات المتشـددة . أرجو المعذرة على هذا الإيجاز .

عمر فرّوخ »

ومضت بضعة أسابيع أو أيام ، لستُ أذكر تمامـاً ، على وصول هـذه الرسـالـة ، فوجئت بعـدهـا في ضحى ذات يـوم ، وأنـا في مكتبي بمجمـع دمشق ، بعمر فرّوخ يدخل عليّ ثم يقف تجـاهي ويقول بصوت متسـارع النبُرات :

أخي عدنان . السلام عليك . **أنا في طريقي إلى حلب** ، مـدعواً إليهـا لإلقاء محاضرة . توقفت بدمشق لتحيتك . السيارة تنتظرني على الباب . **فهل تأذن لي بمواصلة الرحلة ؟**

اسرعت للترحيب بـه ورجـوتـه أن يستريـح ولـو لـدقـائـق . ثم قلت له :

أحمد الله إليك على أني اراك بصحة تبدو جيـدة ، فهل أنت وأهلـك بخير ؟

فأجاب رحمـه الله : صحتي أرجو الله أن تكون كما تبـدو لـك ، أنـا وأهلي نحمد الله إليك - وأردف بعد هنيهة يقول وهو يخافت بصوته : **ولا يحمـد على مكروه سواه .**

قلت لـه : كيف تمضي الحيـاة في بيروت ؟ **وهـل مـازالتْ** « **زينب** » **تمكر بلبنان ؟**

قـال : وأي الـزيـانب تعني ؟ لقـد أصبحن كثيرات ، **فكل غريب عن لبنـان اليـوم هـو زينب** ، **وكل من يكره العرب أو العروبـة زينب** ، **وكل من يتعاون مع العـدو زينب** ، وكل الزيـانب تكيـد للبنان وتساهم في تخريبه .

قلت له تغمده الله بالرحمة : وماهي آخر أخبار لبنان ؟

فوقف وقال : **أتحب أن تسمع ؟ أم أن تقرأ ؟**

قلت : اسمع وأقرأ إن كنتَ تحمل مايقرأ .

فما كان منه رحمه الله إلا أن مدَّ يده ليصافحني ، **ودسّ بيدي ورقة مطوية وهو يقول : إلى اللقاء في القاهرة لحضور المؤتمر القادم .**

فتحت الورقة فإذا بها مايلي :

تأمّلات ذاتية ....

نفى عن مقلتي الغَمْضا ... أمورٌ كُلُّها فوضى
فكلٌ كلامنا هَزْلٌ ... وكلٌ فعالنا ضوضا
لنا جسمٌ بلا رأسٍ ... ورأسٌ يألفُ الخَفْضا
وأشباحٌ لأشخاصٍ ... غدَتْ معروضةً عَرْضا
فكيف تَصِحُّ أجسامٌ ... وأرواحٌ لنا مرضى
فلا نَسْتطيعُ بينَ النا ... سِ لارفعاً ولا خَفْضا
ولا نُمْلي من الأحكا ... مِ إبراماً ولا نَقْضا
ولا نَدري لِفَرْطِ الجَهْـ ... ـلِ لا طولا ولا عرضا
ونحسبُ من تعاقُلِنا ... سماءً فوقَنا أرضا
نَرى الأحداثَ تفجَأُنا ... وقد فاضَ الأذى فَيْضا
فندعو صاحبَ الدُّنيا ... فيُبدِي الحِقْدَ والبُغضا
ونسأل صاحبَ الأُخرى ... فيَنْغَضُ رأسه نَغْضا
فهل من عاقلٍ أشكو ... إليه الهَمّ مُنقَضّا ؟
تَرَكْنا الخَصْمَ في أمنٍ ... ويقتُلُ بعضُنا بعضا

عمر فرّوخ

٢٧ من رجب ١٤٠٥   ١٧ / ٤ / ١٩٨٥

☆ ☆ ☆

رزيئة الفقيد بولده

رزق فقيدنا الغالي من الأولاد خمسة ، فيهم من البنين ثلاثة : أكبرهم أسامة ثم مروان ، **أما ثالثهم فقد ولد سنة ١٩٤٨ ، وهو يحمل اسم « مازن »** .

ومشى الأخوة الثلاثة على الطريق الذي رسمه لهم أبوهم ، وكان قد سبقهم بالمرور عليه ، فشبُّوا على خلقٍ قويم ودين متين ، ونهمٍ للعلم ركين ، واعتزاز بالعروبة شديد ، على أن المتقدمَيْن منهم ، بعد أن تزودا بأرفع ألقاب العلماء من جامعات بريطانية والولايات المتحدة ، **آثرا اتخاذ الغربِ مهجراً على العودة إلى لبنان** ، والحربُ فيه تلتهم الأخضر واليابسَ بلا تمييز ، أما مازن اصغرُهم **فآثر نصيحةَ أبيه وقربَه في حجيم لبنان** ، على رغد العيش في البلاد التي درس فيها والتمتع هناك بالهدوء والأمان .

عاد مازن إلى بيروت ليدرِّسَ الفيزياء النووية وعلومَ الذرَّةِ في الجامعة اللبنانية ، وسلك خارج الجامعة سبيلَ الدعوة إلى الإسلام الصحيح ، **حتى غدا من أكثرِ الدعاة حظاً لدى المستمعين** ، ومن أكثرِ الباحثين الإسلاميين قبولا لدى المفكرين .

وفي مساء الأول من شهر كانون الثاني (ينـاير) من سنة ١٩٨٧ **اجتاحتْ بيروت نوبةٌ من حمّى تبادل النار بين الفئات اللبنانية المتصارعة** ، واستمر دويٌّ الرصاص وصدى سقوط القنابل ساعاتٍ طالت على المنتظرين ، فكان الناسُ يتحاشون الخروجَ من منازلهم أو من الملاجىء التي آووا إليها إلا المضطر ، فكان لايخرج من مأمنه إلا حذِراً مبتعداً عن الطرق التي يظنّ أن المرور فيها يعرضه

لرصاص « **قنّاص** » **مجهول الهُوية ، أو سقوط قنبلة غير معروف مكان اطلاقها .**

كان مازن يمشي مَشيَ الحذر ، ولكنّ الأجل المحتوم **فجأه مع شظية من قنبلة طائشة سقطت بعيداً عنه** ، فكُتِبت له الشهادة ، مستأثرة به رحمه الله .

وزحفت بيروت شيبا وشبابا تواسي الأب المفجوع ، وتواري جثمان الشهيد التراب ، ثم انفض الجمع ، وآوى الأب المكلوم إلى فراشه ، **ولكن من أين يأتي النوم إلى الثكلان !؟**

ونهض فقيدنا إلى النور فأضاءه ، وإلى ورقة أخذ يكتب عليها ، على ماذكرته « الأهرام » الرسالة التالية :

إلى مازن

أويت إلى فراشي بعد دفنك (٣ / ١ / ٨٧) يابني فلم تألف عيناي النوم ، ولما انتصف الليل ، كنت قد كتبت أبياتاً لعلها ترضيك في مقامك الأبدي حيث **لايسمع أحدٌ أصواتَ الرصاص الطائش ولا يرى آثاراً لقنابل لاتعلم من يطلقها ولا من أين يطلقها ولا لماذا يطلقها .**

أما الأبيات فهي التالية :

ياولدي ياولدي ياقطعةً من كبدي
يافرحة الدّنيا التي لألاؤها لم يخمدِ
ياطلعةً طافت على عوالمٍ من عسجدِ
يالحةً قد بقيت من أملٍ مبددِ
قد كنتُ أرجو مُسْعِداً آوي إليه في غدي
لكنني ، ياأسفي ، **كفَّنتُ أمسي بيدي**

فضـــاعَ مـــا أملتـــه من ملجـــأ أو سنـــدِ
لي اثنان قد طافا أسىً في غربـــة من كمـــدِ
عن مـــوطنٍ لم يبـــقَ فيـــهِ غيرُ مـــالم يحمـــدِ
وجـــاء من يقـــول لي هبنـــا سميّ الفرقـــدِ
الثـــالث الابنـــاء في أوج العلـــوم الأسعـــدِ
لكن ضننتُ أن أُرى مجرداً من ولـــدِ
يـــاليتني رضيت أن تهجر هجر الأبـــدِ
ولا تمـــوتَ ميتـــةً سرّتْ عيـــونَ الحُســـدِ
مـــامـــازن إلاّ الهـــوى قد غاب في دمعي الندي

☆ ☆ ☆

نظرة على أهم مؤلفات الفقيد ومشروعاته الأخيرة

تجاوزت مؤلفات الفقيد الستين ، **موزعة بين الأدب ومختلف العلوم والفنون** ، وهي بين صغير الحجم ومتعدد الأجزاء ، وبعض الصغير منها ، كان ضمن مخطط لكتاب متعدد الأجزاء ، أفرده وعجّلَ في نشره ليكون حافزا له لإتمام الكتاب .

إن مؤلفات الفقيد كلّها ، **تدل على باع طويل في تاريخ الأدب والفلسفة والعلوم ، كما تدل على سعة اطلاع وشمولية معارف الفقيد رحمه الله .**

لقد بدأ الفقيد في عام ١٩٥١ العمل لإصدار « **سلسلة تاريخ الأدب العربي منذ الجاهلية إلى الفتح العثماني** » وبدئ بطبعها في عام ١٩٧٠ أي بعد عشرين عاما من الإعداد لها ، فصدرت في ستة أجزاء كبيرة يصل بعض الأجزاء منها إلى تسعمائة صفحة بطباعة متقنة مشكولة مشروحة .

وعزم الفقيد ، بعد إلحاح نفر من أصدقائه العلماء وتشجيع الناشر ، على تهيئة سلسلة جديدة تحمل عنوان : « **معالم الأدب العربي في العصر الحديث** » ، وقد رسم خطّةً لها لتكون اجزاؤها كما يلي :

الجزءُ الأول : ويبحثُ في أدبِ « **القرن العاشر للهجرة** » .

الجزء الثاني : ويبحثُ في أدبِ « **القرن الحادي عشر للهجرة** » .

الجزء الثالثَ : ويبحثُ في أدبِ « **القرن الثاني عشر للهجرة** » .

الجزء الرابعَ : ويبحثُ في أدبِ « **القرن الثالث عشر للهجرة ، أيّ الأدب العربي في القرن التاسع عشر للميلاد** »

الجزءُ الخامس : ويبحث في أدب « **القرن الرابع عشر للهجرة ، أيّ الأدب العربي في القرن العشرين للميلاد ١٨٨٤ - ١٩٨٠** » .

لقد صدّرت من هذهِ الأجزاءِ إلى يومِ وفاةِ الفقيدِ رحمَهُ اللهُ الاقسامَ التالية :

١ - **الجزء الأول (القرن العاشر الهجري)** وقد صدرت طبعته الأولى في حزيران - يونيو - ١٩٨٥ . وبلغ عدد صفحاته ٥٧٦ ، وقد حمله الفقيد إليّ في آخر زيارة له لدمشق سنة ١٩٨٦ .

٢ - **الجزء الثاني (القرن الحادي عشر الهجري)** وقد صدرت طبعته الأولى في تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٨٦ ، وقد تلقيته بعد وفاة الفقيد بشهرين تقريباً - وهو يحمل توقيعه بتاريخ السابع عشر من آب - يوليو - ١٩٨٧ .

قال الفقيد في مقدمة هذا الجزء : « **لما ختمتُ سلسلة « تاريخ الأدب العربي إلى الفتح العثماني » ثمّ بدأت سلسلة « معالم الأدب العربي في العصر الحديث »** كنت أقصدُ أن أشير إلى مظاهر الأدب في

العصر الحديث إشاراتٍ موجزة على أنّها « معالم » بارزة ولكن ظهر لي أن الأعصر الحديثة كانت أغنى بالأدب مما ظننت فإذا صفحات هذا الجزء الثاني (القرن الحادي عشر للهجرة) ثمانمائة .

واضطر الفقيد إلى تدبيج مقدمة طويلة في التاريخ السياسي للدولة العثمانية وواقع البلاد العربية يومئذ تأييداً لرأيه الذي أبداه في مقولته :

« العصر العثماني عصرٌ إسلاميُّ الإيمان عربيُّ الثقافة . والذين يذُمّون هذا العصر يجهَلون التاريخ السياسي للدولة العثمانية والتاريخ العربي والتاريخ الأوربيّ ثم مجرى التاريخ مرّة واحدة » .

ويضيف الفقيد إلى هذا قوله : « لم أنس في أثناء تأليف هذه السلسلة أن أمرّ بتاريخ الآداب الأجنبية شرقا وغربا كي يدرك القارئ العربي نهضة آدابنا القديمة وحياتها إلى اليوم » .

وفي حوار صحافي أجراه أحد الأدباء مع الفقيد قبل أيام من وفاته ، قال : « وسأدفع الجزء الثالث - من السلسلة المذكورة - قريبا إن شاء الله » .

وجاء في الحوار على لسان الفقيد قوله[٣٥] :

« بين يديّ الآن كتاب سأدفع به قريبا جداً - إن شاء الله - إلى الطبع ، فيه دراسة لآراء الفقيه المسلم الكبير ابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م) ، بدأت العمل على هذا الكتاب منذ نحو خمسة عشر عاما ، وكانت خطتي فيه أن أنظم آراءه وأحكامه باستنطاقه هو لا بالتحدث عنه ، كما فعل نفر من المؤلفين في ابن تيمية . آتي بآراء ابن تيمية

(٣٥) انظر جريدة البعث الدمشقية بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٨٧ وقد أجرى الحوار الأديب موسى البيطار .

وأحكامه بألفاظه هو واتبع كل رأي أو حكم باسم الكتاب الذي أخذت منه وبرقم الصفحة أو الصفحات . وحينما يكون الرأي أو الحكم مستغربا أذكر السطر أو الأسطر أيضاً .

والصورة العامة المعروفة عن ابن تيمية **مخالفة للصورة التي نلقاها في كتبه** إذا نحن صبرنا عليها وقرأناها بشيء من انعام النظر .

كان الرجل عنيفاً في موضع العنف حتى على شيوخه الذين ائتم بهم كأحمد بن حنبل مثلا ، **كما كان حليما منصفا في مجال الحلم والانصاف** حتى مع الذين يعدون خصومه كابن حزم الظاهري وابن رشد والمعتزلة والشيعة والنصارى أيضاً . **لقد كان ابن تيمية عالماً محيطا بعدد من وجوه المعرفة** . أنا لااستغرب إلمامه بكثير من العلوم الرياضية والطبيعية كالهندسة والفلك ، فهذا أمر منتظر من عالم تصدر للتأليف وتصدى للمجادلين .

إن ابن تيمية **يشرف بنا على عالم واسع من الحياة الإنسانية ، وعلى الغاية الاجتماعية من الدعوة الدينية** » .

☆ ☆ ☆

غَوْصة في كتابين ولمحة إلى ثالث

إن ثلاثة كتب من مؤلفات الفقيد العديدة ، تقتضينا وقفةً عليها ، اثنان منها جديران بغوصة فيها ، لطرافتها من جهة ، ولأنها **يحملان الطابع الشخصي للفقيد ، في صراحته بقول مايعتقد أنه الحق** من جهة ثانية ، كما أنهما يُنبئان بمزاجه العصبي السريع التأثر بما ينبو ، فيُرى ممسكا بخناقه ، وسنعرّف بكل واحد منهما على حدة ، أما الثالث فحسبه منا لمحة ، فهو من الكتب التي نعتقد بأنها سوف لاتُقرأ البتة .

الكتـاب الأول : **هـو من آخر مـانُشر للفقيـد** ، أخرجتـه دار الأندلس في بيروت عام ١٩٨٥ بعنوان « **غُبار السنين** » قـدّم لـه الفقيـد قائلا : « هذه قِطع نشرت في جريدة السفير (بيروت) بعنوانٍ عام هو : عمر فرّوخ ينفُض غُبار السنين . بـدأ نشرهـا في ٤ / ٨ / ١٩٨٠ واستمر إلى اواسط آذار (مارس) من عام ١٩٨٢ »

ثم أردف يقول : « **ليس هذا الكتاب تاريخ حيـاتي** ، وإن كان يقصُّ أطرافـاً غيرَ ملتحمـةٍ من حيـاتي . ثم يُمكن أن يُفسّر جـوانبَ من حياة غيري . إنـه على كلّ حـال **يجمع ملامح من آثـار خُطواتي على طريق الحيـاة ، أو يجمع ملامحَ من خُطى الحيـاة على الطريـق الذي خطّته لي الحياة في هذه الدنيا** » .

إنّ الكتاب عبـارةٌ عن مجموعـة لمحاتٍ متفرقـةٍ غيرَ أنها متتـابعـةٌ من حيـاة الفقيـد سردهـا بنفسـه ، وجعـل كلّ لمحةٍ منها متصلةً بحدثٍ من أحداث حياته ، أو مجالٍ من أحواله ، أو بأمر شهده بنفسـه ، **ثم رأى في ذلك كلّه حقيقةً ثقافية أو فائدةً اجتماعية ، مضيفاً إليها لمحاتٍ مقتطفةً من شعره** في كل فراغ تتركـه اللمحـات النثريـة من صفحـات الكتاب

ويضيف فقيدنا إلى تعريفه باللمحات المجموعة في الكتاب قوله :

« **... ومع أنني لم أقصد أن أمسّ في أثنائها معنىً سياسيـاً ، فقد رأى نفرٌ من القراء . أن فيها معانيَ سياسيةً واضحـة ولكن رفيقة** » .

وقال أيضـاً : « إن كلّ مـاأنشره في الجرائـد اليوميـة لاأتنـاول عليـه أجراً وسبب ذلك أنني إذا قبلت أجراً على مـاأكتبـه كان من الواجب عليّ **أن أكتب مايوافق سياسـة الجريـدة** ، بينمـا أنـا أريـد من نشر تلـك

القِطع وأمثالِها **أن أعبرّ عن نفسي** أو أن أدلّ على عدد من أحوال المجتمع تحرِص الجريدة على ألا تتعرض له .. »

وحدثنا الفقيد عن بدايات تلقيه العلم فقال : « إنّ تعليمي في بيتنا قد بدأ على جَدّي ، عام ١٩٠٩ ، ثم استمر على أيدي أبي وعمّايَ وعمّتايَ أيضاً ، إلى جانب ماكُنتُ أتعلّمه في المدرسة »

لقد كتب الفقيد عدداً من القطع المطولة تحت عنوان « **خمسة وستون عاما في الصحافة** » أخبرنا فيها أن أول اتصاله بالصحافة كان في سنة ١٩١٦ إذ بدأ بتوزيع أعداد من جريدة « **الحقيقة** » لقاء أجر مجزي .

وانتقد الفقيد رواتب المعلمين ، **إذ لايستطيع المعلم أن يعيش حياة كريمة بمرتبه من التعليم فقط** ، ثم قال : « لي خمسة أولاد أتمّوا دراستهم : وأبنائي الثلاثة تابعوا الدراسة **في مصر ثم في انكلترا وفي الولايات المتحدة** . فهل من الممكن أن يقوم أب معلم بمثل هذا العِبء من مرتب التعليم وحدَه ، مهما يكن ذلك المرتب عالياً ؟ **وشيء آخر : لم أسأل أحداً معونة** » .

ثم أخبرنا أن أول مانشر له في الصحف اليومية كان سنة ١٩٢٣ ، فقد أُعجب أستاذ العربية في الكلية بموضوع الانشاء الذي قدمه عمر فرّوخ ، وكان الأستاذ قد اوجبه على جميع طلاب صفه ، فأعطاه لصاحب جريدة « الأحوال » وكان صديقاً له فنشره في عددين متوالين ، وكان جانبا من كل قسم من حظه ان نُشر في الصفحة الأولى ، ومن تلك السنة أخذ فقيدنا ينشر في الصحف حتى آخر حياته المديدة .

ونجد في كتاب « غبار السنين » طرائف كثيرة **تصور كثيراً من الطبائع التي جُبل عليها فقيدنا عمر فرّوخ ، أو ترسم النهج**

الذي سلكه أو دُفع إلى سلوكه ، أو تعلل مواقفه في موضوعات معينة كان قد وقفها أو اضطر إلى وقوفها ، فهو مثلا ، دوّن الواقعة التي تمتْ في السنة الأولى التي دخل فيها إلى القسم الاستعدادي في الجامعة الأمريكية قال الفقيد : « كنت في الخامسة عشرة ، وكانت الجامعة **لاتزال تدرّس التوراة** . فاجتمعنا نحن - أي التلاميذ - وقلنا للمدير : نحن لاندرس التوراة ، فأقرت الجامعة تدريس الأخلاق مكان درس التوراة ، ولكن قررت علينا كتاباً كله قصص مأخوذة من التوراة .

دخل الأستاذ إلى الصف فأغلقنا كتبنا وتكلمتُ عن التلاميذ كلاماً واضحاً . بعد الدرس استدعاني المستر وليم هول ، وقال لي : أنت تثير الشغب في الصف ... ثم أبلغني أنني سأحجز يوم الأربعاء بعد الظهر ... وفي يوم الخميس استدعاني المدير وقال لي : أنا لم آمر بحجزك لأنك طلبت تبديل الكتاب . **أنت كنت في ذلك على حق ، وقد بدّلنا الكتاب . ولكني أمرت بحجزك لأنك فعلت ذلك بشيء من العنف** » ويعلق عمر فرّوخ على **هذه الواقعة بقوله « ومن ذلك الحين تعلمت عملياً أن أتوسل إلى غاياتي باللين ...** » !

ولاحظ أحد أصدقاء الفقيد عمر فرّوخ المعجب بصراحته خلوَ اللمحات التي ينشرها من أيّ حديث أو إشارة إلى مايحب الناس أن يبقى مستوراً فسأله :

- ألم يكن لك حياة مستورة فتخبرنا بها ؟

فأجابه عمّر ، **وتبدو عصبيته في جوابه** ، قائلاً :

- لم يكن لي حياةٌ مستورة بالمعنى الذي يقصدُهُ نفرٌ من الناس عادة . **هنالك قِطعٌ في هذا الكتاب تتكلم في أشياءَ من ذلك .**

ثم أضفت في الصفحات التي بَقِيَ أكثرها فارغاً عدداً من المقطّعات الشعرية قلتها في هذا الباب - وفي مطلع حياتي . **ولاشك في أنّ كثيراً منها أوهامُ شاعر . ومنها مافيه رصانةٌ برغم فَوْرات الشباب .**

أما المقطّعات التي أشار إليها في هذا الجواب فكثيرة نختار منها القطع التالية :

١ - قال متغزلا بـ « سلمى » واشراق وجهها :

ويكْفيك من سلمى على البُعدِ نَظرةٌ
إذا هيَ بالإيماءِ نصّت يمينَها
فواللهِ ماأدري، وسلمى مُطِلَّةٌ
أشمسٌ تراءتْ أم رأيتُ جبينها ؟

٢ - قال يصف هواه بـ « سمراء » يوم فارقته :

رُدّي عَلَيَّ الهوى حتّى أُجَلّيها ... قصيدةً تملأ الدُّنيا قَوافيها
كأنّي يومَ ذُقتُ البَينَ في حُلُمٍ ... أطوفُ بالأرض والأيامُ تطويها
أُدافِعُ النَّفسَ جُهدي عن مَخاوِفِها ... وأخدَعُ النَّفسَ حيناً عن أمانيها
ونَصْبَ عَيْنَيَّ والأيامُ ظالمةٌ ... والدّهرُ يلعبُ بالدُّنيا ومافيها
سمراءُ ماعَرفتْ طَعْمَ السُّهادِ لها ... **عينٌ، ولامَرَّ مُرُّ العَيْشِ في فيها**
تلقَى الصباحَ بأعطافٍ مُنعَّمَةٍ ... وتَغتَلي في الدُّجى أعطافُها تيها

٣ - قال يصف « حِسّان - جارة الوادي - زحلة » ولياليها :

سَألوني عن الصِّبا بعد شَيْبي ... لارَعَى اللهُ للصِّبا أيّامَهْ
زمنٌ غادِرٌ وعهدٌ غُرورٍ ... ونَدامَى قد أَوْرَثوني نَدامَهْ
يُشرِعُ الدّهرَ في الصِّبا والملاهي ... فكأنّ الشّبابَ يَبْغي السّلامَهْ

٤ ـ قال يذكر عهد الصّبا والصحوة بعد انقضائه :

قسماً بـــرحلـــةَ مــــاذكَرْ ت ليـــــاليَ الـــوادي النّضيرِ
تتراقصُ الأطيـــــــارُ كالنْـ نَشـــــــوَى على نَغَمِ الحريرِ
فَيُجيرني عـــــدْلُ الصَّبــــا من ظُلمِ أيّــــــامِ الهجيرِ
وترى الحِـــــانَ ســـوارِحـــاً بينَ الخمــــائلِ والغـــديرِ
يَرْفُلْنَ في زَهْـــو الصّبــــا ويَمِسْنَ في حُلَـــــلِ الحريرِ
أفـــدي الظِّبـــاءَ النــــافرا تِ ولَفْتَـــــةَ الظّبْي الغريرِ

٥ ـ قال يذمّ عهد الصّبا والندامى فيه :

ذكّروني عَهْـــدَ الصَّبـــابـــةِ إنّي واجـــدٌ من شـــذاهُ بعضَ الحنينِ
أنشِـــدوني مـــاكنت أُنشِـــدُ في الرّوضَـــةِ، والطَّيْرُ مُنْشِـــدٌ في الغصـــونِ
يـــومَ كنّـــا نميـــلُ ذاتَ يســـارٍ وتميـــلُ الأغصـــانُ ذاتَ اليمينِ
واتّخـذْنـا من الرّيـاضِ بِسـاطـاً ثمّ من نَرْجِسٍ ومِنْ نِسْرينِ
وَلهونـا، والـدّهرُ يُمعِنُ في السَّيْـ ـرِ وكُنّـا مع الـدُّجى في سُكـونِ
فـانْقَضَتْ غَفْلَـةُ الصّبـا وتراءَتْ شمسُ مُستقبـلِ الهُـدى المرهـونِ
أنتَ تَبْني مُستقبـلاً لـك فـارغَبْ ببنــــاءٍ على الـزّمـــانِ مَكينِ

☆ ☆ ☆

الفقيد وقرض الشعر

إذا كان الشعر ـ كما يعرفه بعضهم ـ بأنـه الكلام الموزون المقفى قصـداً ، **لاقتضى أن يكون كل عالم شاعراً** ،لقد كنت كثيراً ماأسمع الفقيد يدمـدم بـــالشعر ، أو يروي البيت أو البيتين في مـواقف معينـــة ، فيختلــــط

عليّ الأمر ، **إن كان ماقاله من شعره أو من حفظه** ، كما كنت اعتقد بأن عمر فرّوخ شاعر لأنه من كبار العلماء العاملين ، وإن كنتُ لاأجد في جرس أكثر ماسمعته منه ، **طابع نظم العلماء** .

وعندما عثرت ، بعد وفاته رحمه الله ، على كتاب « **غبار السنين** » وقرأت في تقديم الفقيد له : أنه سيملأ كل فراغ يحدث في صفحاته عند الطباعة ، بمقطوعات من شعره يتناسب عدد أبياتها مع حجم الفراغ . الذي تتركه كل لمحة من اللمحات النثرية المجموعة فيه ؛ أخذت أقرأ تلك المقطوعات **فبهرني ماقرأت إذ وجدت نفسي أقف أمام شاعر شاعر** ، وليس أمام عالم ناظم. لقد اكتشفت في فقيدنا الراحل ماكنت أجهله عنه رغم طول عشرتي له وعمق صداقتي معه ، **لقد اكتشفت أن عمر فرّوخ كان شاعراً موهوبا ، ينظم الشعر الجيد الرفيع** .

لقد كان عمر فرّوخ يملك مقومات الشعر الحقيقي من **حسّ مرهف وشعور رقيق وخيال مبدع ولغة ضليعة ونظرات انسانية عميقة وثقافة بعيدة الآفاق** .

وقد يعثر المرء في شعر عمر فرّوخ **على البيت أو البيتين يتفجران حكمة وكأنها من الأمثال يستشهد بها في عوادي الزمن ومختلف صروفه ، وحسبنا قوله :**

يعثُرُ الطِفْلُ بالمنونِ رضيعاً مثلما يُمَزّقُ الرّداءُ القَشِيبُ
ربَّ نفسٍ تبكي لفَقْدِ عزيزٍ ضامَها ، والحِمامُ منها قريبُ

ومن غرائب الأمور أن أكثر المقطوعات الواردة في كتاب « غبار السنين » والتي هي من الشعر الجيد الرصين ، والوصف

الرائق المعجب ، والغزل الرقيق الذي يُتغنى به ، مؤرخ وتاريخها يعود إلى العقد الثالث من عمر الفقيد ، إما إلى الثلاثينيات من هذا القرن ، أو إلى قبيلها ، وإن أوسعها خيالا ماكان في أواسط مجراها ، وإني لأحسب أن فقيدنا لو تفرغ للشعر من شبابه لغدا في كهولته من أكابر شعراء العالم العربي في العصر الحديث .

وليس من دليل على ماأقول اسطعُ من الاستشهادِ ببعض المقطوعات من شعر الفقيد فيا يلي :

١ ـ ليلة طرب

يـاقيـانـاً لابسـاتِ   حُسْنَهـا من غير لُبسِ
أطربينـا ، ليس في اللَّيْـ ... ـلِ سِـوى تَرْدادِ هَمْسِ
أسمعينـا ، منْـكِ « يـالَيْـ ... ـلُ » فكم « ياليـلُ » تُنْسي
فـإذا اللّيـلُ تـولىّ   هـارِبـاً في إثرِ أمسِ
وبـدا الصُّبـحِ وفي أنْـ ... ـفـاسِـه لَـذْعَـةُ قَرْسِ
وحُمَيّـا الخمرِ دارتْ   بينَ جَنْبَيَّ ورأسي
أَلْقِني فـوقَ سَريري   آنَ أنْ تهجَـعَ نفسي
بـآسمِ من أعشـقُ أجْري ،   بـآسمِ من أعشـق أُرْسي

٢ ـ الدلال الفاتن

لاتَسَلْني عنْ واحـدٍ يَتَبَـدّى   ويـذيبُ القلـوبَ لِينـاً وصَـدّا
عَلِمَ اللهُ أنّـه أفْتَنُ النّـا   سِ عُيـونـاً وأنْضَرُ النـاسِ خـدّا
كلّما شِئْتُ أنْ أُكرِّمَ نفسي   ظَلّ مَـوْلىً وعُـدتُ في الحُبِّ عَبـدا
إنّ قلبي يُحِبُّـه ، وهـوَ يَـدْري   أنّـه عِنْـدي الحبيبُ المُفَـدّى
رُبَّ يـومٍ رأيتُـه يتثنى   وَمشى حَـوْلَـه المُحِبّـون جُنْـدا
يمسَحُ الغُنْـجَ من عيـونٍ أعـارتْ   أنفسَ العـاشقينَ سُقْماً وسُهـدا

والـذي تحتَ ثَـوبـهِ ـ يشهَـدُ الثَّوْ ... بُ ـ لأطْرى منَ الحريرِ وأنْــدى
كُلّما فـــاحتِ الجنــائنُ أهْـــدتْ ... طِيبَــه لِلنفـوس فــازْدَدْنَ وَجْــدا
وقـديـاً تَحَــدّثَ النّــاسُ في الحُبْـ ... ـبِ . ولكنّي أُحَدّثُ النّـاسَ فَرْدا

برلين ١٩٣٥

٣ ـ الهوى يتحدث

خَــــلِّ الصِّبـــــا يتريّثُ ... وَدعِ الهـــــوى يتحــــدّثُ
عن ليلـــةٍ طـــاب الّلقـــا ... ءُ بهـــا وغـــاب الخُبُثُ
وقُبــــالتي جَيْــــداءُ لَــــوْ ... تَلْقى القُســـوس تَحنّثـــوا
تترنّمُ الأطيـــــــــار في ... ألفــــاظِهــــا وتُـــوَشْــوِثُ
وتبُثُّ لي لَهْــــوَ الحـــــديـ ... ـثِ مُنَغَّمًا يتَبجّثُ
مــــــاكنتُ أدري أن طيـ ... ـبَ العيشِ سِحرٌ يُنفثُ
حتّى سمعتُ حـــديثَهــــا ... ومضى الظـــــلامُ يُحَثْحِثُ
في خــــدّهـــــا بَرْدٌ ولـ ... ـكنْ قلبهــــا يَتـــأرّثُ
وفُتـــونُهــــا عينٌ ترِفْـ ... ـفُ مُنًى وخَــــــدٌّ مَيّثُ

برلين ١٩٣٥

٤ ـ على ضفاف دجلة

وعلى دِجلـــــــةَ طَيْفٌ ... من أفــــانين الخُلــــودِ
وبســـــــاطُ الأرضِ مَيْـ ... ـيَـــاسٌ بـــأنــواعِ الـوُرودِ
والنَّخيــلُ البـــاسِــقُ الغَضْـ ... ـضُ عروسٌ في بُرودِ
وعلى الأُفْــقِ بقـــايـــا ... من دَمِ السِّبْـــطِ الشّهيـــدِ
والفَتى المَظْلـــــومُ مُغْرًى ... بــالتــأسّي بـــالجُـــدودِ

بغداد ١٩٤١

٥ ـ مديح شاعر

ولقد مَدَحْتُ القَوْمَ حتّى خِلْتُهُمْ يَتَماوَجـون كَمِثْـلِ بحرٍ زاخرِ
لكنّهم غَرّوا بِمـا قـد قُلْتُـهُ ، لاشيءَ أكذبُ من مديحِ الشاعِر

١٩٢٩

٦ ـ شاعر الخلود

كأنّ النّيلَ لم يـكُ قبلَ شـوقي يُفيضُ على ثَرى الهَرَمَيْنِ تِبْرا
ولافرعـونُ في قـومٍ أُبـاةٍ ولا الهَرَمانِ من خوفو وخَفْرا
خَلَقْتَ لها الخُلودَ ، وكلُّ خُلْدٍ تمنَّى من قريضِك فيه شَطْرا

١٩٣٢

٧ ـ حبّ اللغة العربية

هامَ المُحِبُّ بِوادي حُبِّها وَلَها ، إذِ الحياةُ غَدَتْ من أجْلِها وَلَها
وكم فتىً هامَ في جَنّاتِها ولَها لأنها كَوْثَرٌ عَذْبٌ لِوارِدِها
فيا هَنيئاً لِمَنْ قد رامَ مَنْهَلَها

١٩٢٤

٨ ـ محارب مسلم

مَنْ ذا الـذي كان يمضي في الحرب مِثْلَ المَنون ؟
يَميلُ ذات يسارٍ فيها وذاتَ اليمين
ويَنْثَني عن قتيلٍ في الروم أو عن طعين
قد قيلَ فيه كثيرٌ وكُلُّ ماقيلَ ظَنٌّ
فواحدٌ قال إنْسٌ وآخَرٌ قال جِنٌّ
وماترى أنتَ فيه ؟ واللهِ ، كِدتُ أُجَنُّ

١٩٣٢

٩ - الأجنبي ثقيل

حلَّ الثّقيلُ بداري ، قلتُ مُبْتَدِراً : هَلاَّ ٱنصَرَفْتَ ؟ فقال: مَهْلاً، ياوَفي
إنّي من القَوْمِ الأعاجمِ نَسْلُهُ أعَرَفْتَ مَنْعي ، قبلُ، أم لم تَعرِفِ ؟
فأجَبْتُهُ : حقّاً عَرَفْتُ . وإنما أنا شاعرٌ لي صَرْفُ مالم يُصْرَفِ

١٠ - إرع طفلك

هَيِّىءْ لـه المُستقبَلا وأنِرْ لـه طُرُقَ العُلا
واجْعَلْ لـه الدُّنْيا تَـلأْ لأُ كالضُّحى أو أجْمَلا
وٱحْمِلْهُ في هـذي الحَيا ة مخافةً أنْ يفشَلا
وٱسْلُكْ بـه النَّهْجَ القويـ مَ ضُحىً إلى أن يَعقِلا

• • •

الطِّفلُ كَنْزٌ فـٱرْعَهُ رَعْيَ الحريصِ المُعْجَبِ
وٱبْذُلْ لـه التَّثقيفَ في زَمَنِ الرِّياضِ وهَذِّبِ
إنّ الحَنانَ فَضيلةٌ وضرورةٌ في المكتبِ
شَتّانَ مابَيْنَ الخَصيـ بِ من الرُّبى والمُجْدِبِ

١١ - لمحات من شكسبير

يَحْمِلُ النَّوْمُ للمَنيَّةِ شِبْهاً وتموتُ الأجسامُ كُلَّ عَشِيَّهْ
ترقُدُ النَّفسُ من لُغوبِ مساءً فتراها عند الصَّباحِ قويَّهْ

١٢ - وصية من شكسبير

أنا إن أخْفَتَ الحِمامُ فؤادي وخَلَعْتُ الحياةَ عن مَنْكِبَيَّا
لاتَدَعْ زهرةً على النَّعْشِ فوقي قد كساها الربيعُ زَهْواً وريّا
لا ولاصاحباً يَمُرُّ بقَرْبي حَسْبُه مابكى وقد كُنتُ حَيّا
ألقِني حيثُ لايَراني مُحِبٌّ عاثرٌ في الهوى فيبكي عليّا

١٩٣٠

١٣ ـ من يوليوس قيصر مسرحية شكسبير

ياغداً في غدٍ ، ويا صِنو أمس
سوف يمضي شمساً بنا بعد شمس
مستمراً إلى انتهاء الدهور ،
تلك أيامنا المواضي أضاءت
للمجانين سيرهم للقبور .

• • •

إن هذا الإنسان ظِلٌّ على (م)
المسرح يبدو في هيئة المحبور
ساعة في تبختر وصراخ
ثم يُنسى صراخه بعد حين
وَيْحَهُ من ممثل مسكين
أحمقٍ ذي حماسة ليس فيها
شِبهُ معنىً ولا ثُمالة كأس
بعد هذا يغادر المسرح (م)
الصاخب يكبو في هيئة المدحور
والبرايا تُجدُّ يوماً فيوماً
نحو رمس تَحِلُّه بعد رمس .

١٩٨١ / ٤ / ٢٦

☆ ☆ ☆

١٤ ـ الموت المفاجىء

وخير مـايستشهـد بـه على مـوهبـة فقيـدنـا الشعريـة ، وامتـلاكـه مقومات الشعر الأصيل بيتـان عن الموت الـذي يفجـأ الإنسـان

إلى جانب المجمع العلمي العربي في دمشق
٢٣ من ذي الحجة ١٤٠٧ (١٧/٨/٨٧)

معالم الأدب العربي في العصر الحديث

الجزء الثاني

القرن الحادي عشر الهجري

(١٠٠١ - ١١٠٠ هـ = ١٥٩٢ - ١٦٨٨ م)

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

دار العلم للملايين

ص.ب ١٠٨٥ - بيروت
تلفون: ٢٢٤٥٠٢ - ٢٩١٠٢٧

صورة خط الفقيد عمر فرّوخ

وتوقيعه على آخر كتبه التي أهداها إلى المجمع

على غير موعد ، وهما من عيون اللمحات الشعرية التي حواها كتاب « **غبار السنين** » قال رحمه الله :

يعثُرُ الطِفْـلُ بـالمنـونِ رضيعـاً   مَثْلَما يُمْـــزَقُ الرِّداء القشيبُ
رُبَّ نفسٍ تبكي لفَقْـدِ عـزيـزٍ   ضـامَهـا ، والحِمامُ منهـا قريبُ

☆ ☆ ☆

أمـا الكتـاب الثـاني الـذي يستحق منـا نظرة فهو : « **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** » ألفه فقيدنا الكبير مع زميله الدكتور مصطفى الخالدي ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ، وصدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٨٥ ، ويتضمن الكتاب عرضاً موثقاً لجهود المبشرينَ التي ترمي الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربيّ .

ويرى مؤلفا الكتاب : « **أنّ نفراً من المبشرين كانوا مخلصين لعملهم الروحي أو الديني** ، أخطأوا في ذلك أم لم يخطئوا » وكتابُهما لم « **يتعرض للتبشير كحركة دينية يقع فيها التنازع** » ولكنه هدف إلى إبراز « **الصلة الموجودة في معظم الأحيان بين التبشير في صوره المختلفة وبين التمهيد للنفوذ الأجنبي** ثم بين التبشير وبين تثبيت هذا النفوذ في العالم العربي ، والواقع أن هذه الصلة موجودة وبارزة جداً » .

وتأكيداً لسلوك مؤلفَي الكتاب وهدفهما من إصداره كان اهداؤهما الكتاب على الصورة التالية :

« إلى كل شابٍ مسلم وإلى كل شاب مسيحي
إلى كل شابٍ وشابةٍ في الشرق

نقدم هذا الكتاب

لنبسط لهم فيه وسائل المبشرين في بلادنا العزيزة ، وأنهم لم يرموا من وراء تبشيرهم إلا خدمة الاستعمار الغربيّ » .

وجاء في مقدمة الطبعة الثالثة مايلي :

« إن جميع ماخبرناه في السنوات العشر التي شهدت تنقل هذا الكتاب بين الأيدي **يدلُّ بكل جلاء على أن التبشير وسيلة إلى الاستعمار** ، وأن المبشرين ليسوا ـ سواء أعلموا أم لم يعلموا ، قصدوا أم لم يقصدوا ـ سوى طلائع لمطامع الاستعمار .

إن الاستعمار قد قتل باتريس لومومبا في عام ١٩٦١ ، مع أن لومومبا **صابئ من الوثنية إلى النصرانية بفعل التبشير** ، لأنه أراد أن يكون في الكونغو استقلال صحيح . وأبرز من ذلك للعيان أن الولايات المتحدة التي ترسل الارساليات إلى العالم للعمل على نشر النصرانية قد وقفت في عام ١٩٦٣ ، **مع البوذيّين في فيتنام ضد الحكومة المسيحية في ذلك البلد** ، إن الدول التي تموّل الأعمال التبشيرية بملايين الدولارات **لايهمها الذين يصبأون إلى النصرانية إذا كان هواهم السياسي لايوافق هواها الاستعماري » .**

إن جميع ماورد في الكتاب من تهم كبرى وحوادث بالغة الأهمية موثق توثيقا دقيقا ، قال المؤلفان :

« لقد حَرَصنا نحن على **أن نثبت هذه التهم الكبرى بشواهد من كتب المبشرين أنفسهم تلميحاً أو تصريحاً** ، ولقد فضلنا في الاستشهاد التصريحَ على التلميح .

أما الكتب التي رجعنا إليها ودرسناها فإنها تعيا على الحصر ، إنها تعدّ بالمئات ، ولكننا نحن لم نثبت الشواهد إلا من نوعين من الكتب من هذه الكتب المثيرة : **كتبِ المبشرين المعروفين ، والكتبِ التي**

تصرّح بغاياتها تصريحاً لاالتواء فيه ولاغموض » والحقيقة التي يجب أن نسجلها هنا تقديراً لفقيدنا الكبير عمر فرّوخ ولزميله في وضع كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » هي أنه :

« **لاسبيل إلى إحصاء ماكتبه المبشرون وأنصار المبشرين عن الشرق ولا عن الغرب والإسلام** ، فإن اشترايت ودَنِدِنغر R. Streit & J. Dindinger قد اصدرا بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٣١ سبعة مجلدات ذكرا فيها **أسماء المصادر والمراجع التي تدور حول المبشرين وجهودهم وتسهيل أعمالهم** . ثم إن أكثرَ هذه الكتبِ مفصلةٌ تفصيلاً كبيراً ، فإن الرسائل التي كتبها المبشرون من سورية والشرق الأدنى فقط إلى زملائهم بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٢ طبعت في **ثلاثة عشر مجلداً من أصل ثمانية وثلاثين مجلداً** » .

☆ ☆ ☆

أما الكتاب الثالث الذي نودّ أن نُلمحَ إليه ، فقد قرأنا خبره في كتاب « غُبار السنين » إذ قال الفقيد فيه : « في عام ١٩٥٨ **ألفت كتابا من « الوثائق السياسية » من تصريحات رجال السياسة** : كنت آتي بالتصريح منسوباً إلى صاحبه ومأخوذاً من جريدة بعينها أو من عدد من الجرائد ، مع ذكر تاريخ الجريدة وأرقام صفحاتها . أخذت تلك التصريحات وسردتها سرداً واضحا بحسب موضوعاتها . كان الرجل السياسي أو الزعيم الوطني أو الرئيس الاجتماعي يدلي ذات يوم بتصريح معين . وبعد قليل ، وربما في اليوم التالي - يدلي بتصريح يخالفه أو يناقضه . **واختلطت في هذه التصريحات جميع المواقف : الشرق بالغرب ، والشمال بالجنوب ، واليمين**

بالشمال ، والحرب بالسلم ، والسياسة الداخلية بالسياسة الخارجية ... ولم يكن لي في تأليف هذا الكتاب إلا جمعُ تلك التصريحات وترتيبها » .

فالكتاب إذن يبحث في متناقضات السياسة اللبنانية وتخبط رجال السياسة في لبنان وضياعهم في عتمة الظلام الرائن على وطنهم إلى اليوم ، وقد مات أو اختفى جلّهم .

ويختتم الفقيد الحديث عن هذا الكتاب قائلا : « وعرضتُ الكتاب على الناشر فلم يرض أن ينشره » .

☆ ☆ ☆

كلمة ختامية

لقد كنت مع الوافدين على القاهرة ، في شباط - فبراير - من العام الماضي ١٩٨٧ ، تلبية للدعوة الكريمة الموجهة إليّ للاشتراك في مؤتمر الدورة الثالثة والخمسين ، وكان أملي قوياً في أن أرى زميلنا عمر فرّوخ يشاركنا في المؤتمر - كما عودنا - ليسَرّي عن نفسه بعض أحزانه ، ولعله يجد من مشاركة زملائه له في مصابه الفادح بعض السلوان ، ولكن الأمل خاب ، إذ لم تسعف الفقيد صحته ، كما أنه افتقد النشاط الذي عُرف عنه ، اضافة إلى أن سفر الطائرات التي تقصد القاهرة من بيروت لم يكن مستمراً ولامنتظماً .

وهكذا انفض المؤتمر دون أن تُكتب لأعضائه ، رغم حرصهم الشديد ، رؤيةُ زميل عزيز عليهم مفجوع بولد غالٍ وهو في ريعان شبابه .

ولما كان يوم العاشر من تشرين الثاني - نوفمبر - الماضي طلعت

علينا الصحف بنعي الزميل العزيز عمر فرّوخ . لقد استأثرت به رحمة الله في السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٤٠٨ للهجرة ، وفق الثامن من تشرين الثاني - نوفمبر - سنة ١٩٨٧ للميلاد .

ونحن من أعماق قلوبنا الخاشعة لقضاء الله وقدره ، وبعيونٍ ندية بالدمع حزنا ورحمة على الزميل الراحل ، **نرجو لفقيدنا رحمة ورضوانا جزاء وفاقا لما قدم لأمته ودينه ،** عوّض الله العربية والإسلام خيراً وفضلاً .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية

(١٩٨٦/٩/١-١٩٨٧/٨/٣١)

أولاً - مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية (١٩٨٦ - ١٩٨٧) خمس عشرة جلسة كان مما تمّ فيها مايلي :

١ - ألف المجلس لجاناً وقتية تضم أعضاء منه ومن خبراء مختصين تولت دراسة معجمات الآثار والفنون التشكيلية والإعلام الواردة من مكتب تنسيق التعريب .

٢ - أقر المجلس إطلاق اسم الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع - تغمده الله برحمته - على القاعة التي كانت مكتبه في بناء المجمع تنويهاً بفضله وتقديراً لمكانته العلمية ، وما قدمه من أعمال .

٣ - تحدث الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام في إحدى الجلسات عن مشاركته في أعمال ندوة عمان لاتحاد المجامع العربية المنعقدة بتاريخ ٢٧ - ٣٠ / ١ / ١٩٨٧ م ، فلخص كلمته التي ألقاها في الندوة والتي تتضمن آراءه ومقترحاته بشأن الأرقام العربية : مشرقية ومغربية .

٤ - انتخب المجلس الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً في اللجنة الادارية في المكان الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله .

٥ ـ اطلع المجلس على تقارير لجان المجمع المختلفة (لجنة المخطوطات وإحياء التراث ، لجنة المصطلحات ، لجنة المجلة والمطبوعات ، اللجنة الادارية) وناقش مضامينها .

٦ ـ تحدث الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في إحدى الجلسات عن قضايا صرفية ولغوية وفصّل الكلام عن كلمة « أشياء » في مقابلة ماكان على وزنها ، مورداً حججاً وشواهد مستفيضة .

٧ ـ اطلع المجلس على التوصيات التي اعتمدها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمره السنوي المنعقد في المدة بين (٢٣ / ٢ ـ ٩ / ٣ / ١٩٨٧) ورأى نشرها في المجلة[1] .

٨ ـ اطلع المجلس على التوصيات التي أقرها مجمع اللغة العربية الأردني في الندوة حول الازدواجية في اللغة العربية التي عقدها يومي ٢١ و ٢٢ نيسان ١٩٨٧ م ، ورأى نشرها في المجلة[2] .

ثانياً ـ أعمال لجان المجمع

١ ـ اللجنة الإدارية

عقدت اللجنة الادارية في هذه الدورة الجمعية احدى وعشرين جلسة أصدرت في أثنائها قراراتها الادارية التي تنظم شؤون المجمع الإدارية والنواحي المالية فيه ، وشؤون العاملين في المجمع والظاهرية ، ومنها إهداء المجلة إلى عدد من المؤسسات العلمية العربية والأجنبية وإلى بعض الباحثين والدارسين وشراء بعض الكتب الجديدة تشجيعاً لمؤلفيها ومحققيها وسوى ذلك .

---

(١) نشرت في مجلة المجمع (مج ٦٢ ج ٣ ص ٦٣٠ ـ ٦٣١)

(٢) نشرت في مجلة المجمع (مج ٦٢ ج ٤ ص ٨٢٨ ـ ٨٣٠)

٢ ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت اللجنة في هذه الدورة ثلاث جلسات درست فيها بعض الكتب فأقرت منها ماأقرته وأحالته إلى لجنة المجلة والمطبوعات ، وهي تنظر الآن في كتاب غريب القرآن للسجستاني بتحقيق محمد أديب جمران .

٣ ـ لجنة المجلة والمطبوعات

عقدت اللجنة ثماني عشرة جلسة ناقشت خلالها المقالات المرسلة إلى المجلة فقررت نشر المقالات المبوبة في الجزء الرابع من المجلد الحادي والستين ثم في الأجزاء : الأول والثاني والثالث من المجلد الثاني والستين والتي نفذت في حينها . كما اعتذرت عن عدم نشر بعض المقالات المسجلة في ضبوط جلساتها لبعدها عن خطة المجلة ومنهجها .

وأما بشأن المطبوعات فقد دفعت اللجنة إلى المطبعة الكتب التي أحالتها عليها اللجنة الادارية بعد موافقة لجنة التراث .

٤ ـ لجنة المصطلحات

عقدت اللجنة عشرين جلسة كان مما تم فيها اقتراح تسميات لبعض الشهادات العلمية الجامعية في الدراسات العليا (ماجستر ودكتوراه وغيرها) ، ودرست المصطلحات الواردة من هيئة المواصفات والمقاييس فيما يتعلق بالجص ، كما ناقشت بعض التسميات الغذائية والتجميلية التي شاعت فاقترحت تسميات لها في تقارير قدمتها إلى رئاسة المجمع .

ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر

ـ حضر الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام مؤتمرين علميين مثل فيهما المجمع ؛ الأول مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة المنعقد في المدة بين (٢٤ / ٢ ـ ٩ / ٣ / ١٩٨٧) ، وقد ألقى في هذه المناسبة

كلمة في الحفلة التأبينية التي أقامها مجمع القاهرة للدكتور حسني سبح رئيس المجمع السابق .

والثاني ندوة عمان لاتحاد المجامع العربية المنعقدة بتاريخ (٢٧ ـ ٣٠ / ١ / ١٩٨٧) .

رابعاً ـ أعضاء مراسلون جدد في المجمع

انتخب مجلس المجمع بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٤٠٦ هـ الموافق ٣ / ٩ / ١٩٨٦ خمسة أعضاء مراسلين هم السادة :

- الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي اسلام اباد باكستان
- الأستاذ الدكتور فيروز حريرجي طهران ايران
- الأستاذ الدكتور محمد باقر حجتي طهران ايران
- الأستاذ الدكتور مهدي محقق طهران ايران
- الأستاذ الدكتور غريغوري شرباتوف موسكو الاتحاد السوفييتي

خامساً ـ افتقاد مجمعيين

فجع المجمع بفقيدين من أعضائه العاملين هما :

١ ـ الاستاذ الدكتور محمد كامل عياد الذي توفاه الله في ١٩ / ٣ / ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٦/١١/٢١ م وقد أقيم له حفل تأبين في كلية الآداب بجامعة دمشق في ١٩٨٧/١/١٤[٣] .

٢ ـ الأستاذ الدكتور حسني سبح الذي توفاه الله في ١٤٠٧/٤/٣٠ هـ الموافق ١٩٨٦/١٢/٣١ م وأقيم له حفل تأبين في نقابة أطباء دمشق المركزية في ١٩٨٧/٢/٢٢[٤] .

---

(٣) نشرت مجلة المجمع (مج ٦٢ ج ١ ص ١٧٧ ـ ١٨٣) كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام التي ألقاها في حفل التأبين .

(٤) نشرت مجلة المجمع (مج ٦٢ ، ج ١ ص ١٦١ ـ ١٧٣) كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام التي ألقاها في حفل التأبين .

سادساً - مطبوعات المجمع

أ - الكتب التي نجز طبعها

١ - المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي ، تحقيق الاستاذ مصطفى الحدري

٢ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

أ - المجلد الثامن والثلاثون [عبد الله بن قيس - عبد الله بن مساحق] ، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

ب - المجلد الاربعون [عبد الحميد بن أبي العشرين - عبد الرحمن بن عبد الله] ، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

٣ - المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء (الجزء الرابع) ، تحقيق الأستاذ ماجد الذهبي

٤ - المستدرك على فهرس الشعر (من مخطوطات دار الكتب الظاهرية) ، وضع الأستاذ رياض مراد

٥ - الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (الجزء الثالث) ، تحقيق الاستاذ إبراهيم عبد الله .

٦ - اعراب الحديث النبوي (ط ثانية) للعكبري ، تحقيق الأستاذ عبد الاله نبهان .

٧ - المبسوط في القراءات العشر لأحمد بن الحسين بن مهران الاصبهاني ، تحقيق الأستاذ سبيع الحاكمي

٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الجاميع - القسم الثاني) ، وضع الأستاذ ياسين السواس .

٩ - الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وضع الأستاذين صلاح الخيمي ومحمد مطيع الحافظ .

١٠ ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلدات ٥١ ـ ٦٠) ، وضع الاستاذة غزوة بدير

١١ ـ تاريخ دنيسر لعمر بن الخضر بن اللمش ، تحقيق الأستاذ ابراهيم الصالح

١٢ ـ شعر خداش بن زهير ، تحقيق الدكتور يحي الجبوري

١٣ ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

١٤ ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاما للدكتور عدنان الخطيب

١٥ ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (الجزء الرابع) ، تحقيق الأستاذ أحمد مختار الشريف .

ب ـ الكتب التي يجري طبعها

١ ـ علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، (ج ١) للدكتور محمد مراياتي ، محمد حسان طيان ، يحي ميرعلم

٢ ـ ديوان أبي الفتح البستي صنعة الاستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب

٣ ـ فهارس مجلة مجمع اللغة العربية (المجلدات ٤١ ـ ٥٠) وضع الأستاذ محمد خير محمد

ـ فهرس شواهد شرح المفصل وضع الأستاذ عاصم بيطار

سابعاً ـ مشاركات المجمع في معارض الكتب

وَكَل المجمعُ الى مؤسسة دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر في دمشق تمثيله في هذه الدورة المجمعية في معارض الكتب التالية :

١ ـ المعرض الخامس للكتاب المعاصر الشارقة ١٤ـ١٥/١١/١٩٨٦

٢ ـ معرض صنعاء الثامن للكتاب صنعاء ٦ـ١٩٨٦/١١/٢٠
٣ ـ معرض الجزائر الدولي الخامس للكتاب الجزائر ١٢ـ١٩٨٦/١١/١٨
٤ ـ المعرض الثاني عشر للكتاب العربي الكويت ١١/٢٦ـ ١٩٨٦/١٢/١٥
٥ ـ معرض الدوحة الخامس للكتاب الدوحة ٢١ـ١٩٨٦/١٢/٣٠

ثامناً ـ مكتبة المجمع الخاصة

دخل إلى مكتبة المجمع في هذه الدورة الجمعية ٣٠٨ كتاب شراء واهداء ، اضافة إلى ٢٧٦ مجلة ودورية مهداة من دور النشر والمؤسسات المختلفة .

تاسعاً ـ ميزانية المجمع

رصد للمجمع من ميزانية الدولة العامة عام (١٩٨٧) م مبلغ (١,٩٦٨,٠٠٠) ليرة سورية . ورصد له من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ (٢,٠٠٠,٠٠٠) ليرة سورية . هذا وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ١٩٨٧/٨/٣١ م مبلغ (١,٣٤٧,٧٥٣) ليرة سورية كما صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ المذكور مبلغ (١٦٩,٤٩٠) ليرة سورية .

عاشراً ـ دار الكتب الظاهرية

١ ـ أصبح مجموع مافي الدار من الكتب (٦٦٨٧٢) مجلد وذلك بعد أن دخل إلى مستودعاتها (٧٥٠) كتاب شراء وإهداء .
٢ ـ ورد إليها كذلك ٤٥٠ عدد من المجلات والدوريات العربية و ٣٢٥ عدد من المجلات والدوريات الأجنبية
٣ ـ بلغ عدد الكتب المعارة ٢٣,٦٤٠ كتاب وبلغ عدد المطالعين ٢٤,٢٥٧ قارىء كما بلغ عدد مستعيري المجلات ٢٧٦ مستعير

- استدراك خطأ في العدد الماضي -

وردني من الاستاذ الدكتور صالح الاشتر رسالة جاء فيها :

« وأريد أن ألفت نظركم الى وهم وقع في الصفحتين الأخيرتين من حديثكم عن الدكتور جواد علي رحمه الله ،[1] ولعلكم تبادرون الى تصويبه في العدد القادم ، ففي هاتين الصفحتين (٨٢٥ ـ ٨٢٦) سهو يجمع بين شخصيتين هما : الدكتور جواد علي والدكتور علي جواد الطاهر في واحد وهما اثنان ، وقد جاء الوهم من هذا التقارب الكبير بين اسميهما ، وأولهما هو المؤرخ المعروف وصاحب « تاريخ العرب قبل الاسلام » الذي استأثرت رحمة الله به ، وكتبتم ماكتبتم في الفاجعه برحيله وثانيهما الدكتور علي جواد الطاهر الذي اسأل الله له طول العمر والمزيد من العطاء الموهوب ، وهو صاحب المقالات النقدية التي اعجبتم بها واثنيتم خالص الثناء عليها ، واشرتم الى حلقاتها المنشورة في مجلة المجمع ... » .

ونحن نأسف أشد الأسف لهذا السهو المؤلم ، داعين للناقد الفذ الاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر بطول البقاء مع تمام الصحة والنشاط الجم .

عدنان الخطيب

---

(١) الحديث نشر في الجزء الرابع من المجلد الثاني والستين من مجلة مجمع اللغة العربية الصادر في صفر ١٤٠٨ وفق تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٧ .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٨٨ م (جُمادى الأولى ١٤٠٨ هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٦٠
« أمين المجمع »	
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٦٨
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
« نائب الرئيس »	

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٦
الدكتور احسان النص	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (☆)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الاردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي ١٩٨٦

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

تاريخ دخول المجمع

جمهورية السودان

الدكتور محي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥

الجمهورية العربية السورية

الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري ١٩٣١
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور أحمد عبد الستار
الجواري ١٩٧٣
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣

(☆) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

تاريخ دخول المجمع

الدكتور جميل سعيد	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٨٥

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢

جمهورية مصر العربية

الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦

تاريخ دخول المجمع

المملكة المغربية

الأستاذ عبد الله كنون	١٩٥٦
الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٨٦
الأستاذعبد العزيز بن عبدالله	١٩٨٦

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفيتي

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

اسبانية

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٤٨

إيران

الدكتور محمد جواد مشكور ١٩٧٧
الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

ايطالية

الأستاذ غبرييلي (فرنسيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧
الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

تاريخ دخول المجمع

السويد

الأستاذ ديدرينغ سفن ١٩٦٥

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

فنلانده

الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) ١٩٢٣

النروج

الأستاذ موبرج ١٩٢١

النمسا

الأستاذ جير ١٩٢١
الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل) ١٩٥٤

الهند

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧
الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥
الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

رؤساء المجمع الراحلون

	مدة توليه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ ـ ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ ـ ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ ـ ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ ـ ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠

	تاريخ الوفاة		تاريخ الوفاة
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١	الدكتور ميشيل خوري	١٩٨٠
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢	الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥	الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦	الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦	الدكتور شكري فيصل	١٩٨٥
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩	الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠	الدكتور حسني سبح « رئيس المجمع »	١٩٨٦

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩

المملكة العربية السعودية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١

الجمهورية العراقية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥

فلسطين

	تاريخ الوفاة
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩

	تاريخ الوفاة
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون
من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤

	تاريخ الوفاة
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د. س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشيكوشلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحي)	١٩٣٨

	تاريخ الوفاة
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك . ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح . ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرييل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣

	تاريخ الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ اراندونك (ك ڤان)	
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الاميركية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١
الدكتور فيليب حتي	١٩٧٨

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الرابع من عام ١٩٨٧

محمد مطيع الحافظ ـ غزوة بدير

أ ـ الكتب العربية

ـ **آثار محمد البشير الابراهيمي (١ ـ ٤)** ـ لجنة من تلامذته ـ الجزائر ١٩٨٧

ـ **اتجاهات حديثة في التدريب** ـ د . أحمد الخطيب . دة . رداح الخطيب ـ الرياض ١٩٨٦

ـ **الإعلام البيئي (دراسة ونماذج)** ـ أعدها برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، المكتب المعتمد لدى المنظمة في تونس ـ ترجمة برعي حمزة ـ منى الطاهر ـ مراجعة وإشراف د . أحمد الحاج سعيد . أشمس محمود ـ تونس ١٩٨٧

ـ **الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً** (نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة الاعلام ـ تونس ١٩٨٧

ـ **الأمثال العامية في اللهجة العراقية (ط ـ غ)** ـ د . لطيف خياط ـ نيويورك ١٩٨٧

ـ **أمراض الجلد** لآندروز ، علم الجلد السريري ـ إعداد د . دومنكوس ، آرنولد الابن ، أودوم ، نقله إلى العربية عدد من الأساتذة بإشراف د .

مأمون الجلاد - وزارة التعليم العالي - دمشق ١٩٨٦

- **تاريخ مدينة الرمثا ولوائها** (دراسة تاريخية) اقتصادية ، انثروبولوجية - فاروق نواف سريحين - عمان ١٩٨٥

- **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص** مع دراسة مفصلة عن حياته وشخصيته العلمية - د . كامل جميل العسلي - عمان ١٩٨٦

- **الحج** - أشرف على جمع أصولها الخطية وترتيبها حسب التسلسل الزمني وتحقيقها علي أصغر مرواريد - طهران ١٤٠٦

- **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب** - محمد العمروسي المطوي - بيروت ١٩٨٢

- **دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي** - (القسم الثاني) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧

- **دراسات في فنون الرمي** - د . كال جميل الربضي - عمان ١٩٨٦

- **دقائق التصريف** - القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب - تحقيق د . أحمد ناجي القيسي ، د . حاتم صالح الضامن ، د . حسين تورال - المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٧

- **الدليل الببليوغرافي للانتاج الفكري العربي في مجال المعلومات** (١٩٨١ - ١٩٨٥) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧

- **رحلات في شرق الأردن** - هـ . ب تريسترام - ترجمة د . أحمد عويدي العبادي - عمان ١٩٨٧

- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم** ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم (١ - ٣) - عبد الله بن محمد المالكي - حققه بشير البكوش - راجعه محمد العروسي المطوي - بيروت- ١٩٨٣

- **السفارات النبوية إلى ملوك العالم وأمراء أطراف الجزيرة العربية** - د . محمد أرشيد العقيلي - عمان ١٩٨٦
- **شرح الأجرومية** - أحمد بن علي الرملي - تحقيق ودراسة علي موسى الشوملي - الرياض
- **شرح ألفية ابن معطي (١ - ٢)** - د . علي موسى الشوملي - الرياض ١٩٨٥
- **عرب التركمان أبناء مرج ابن عامر** - الجزء الأول - علياء الخطيب - عمان ١٩٨٧
- **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب (الجزء الثاني)** - محمد النيفر - تونس ١٣٥١
- **فلسفة التشريع الاسلامي** - ندوة أكاديمية المملكة المغربية - الرباط ١٩٨٧
- **فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبد الله بن عباس بمدينة الطائف** - عثمان محمود حسين - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٦
- **فهرس المخطوطات المصورة (الأدب ، الجزء الأول)** - عصام محمد الشنطي - مراجعة د . خالد عبد الكريم جمعة - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٦
- **فهرس المخطوطات المصورة** - (الفقه وأصوله ، الجزء الأول) - عبد الحفيظ منصور ، عباس عبد الله كُنّه ، مراجعة د . خالد عبد الكريم جمعة - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٦
- **في رحاب الثورة العربية الكبرى (الجزء الأول)** - قاسم محمد

صالح ـ عمان ١٩٨٧

ـ **في مناهج البحث العلمي وأساليبه** ـ د . سامي عريفج ، خالد حسين مصلح ، مفيد نجيب حواشين ، عمان ١٩٨٧

ـ **قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية (محاولة تاريخية)** ـ د . أحمد سليم سعيدان ـ مجمع اللغة العربية الأردني ـ عمان ١٩٨٧

ـ **القضاء والشهادات** ـ علي أصغر مرواريد ـ طهران ١٤٠٦ هـ

ـ **اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية** ـ محمد بن مكي المطلبي العاملي ـ طهران ١٤٠٦ هـ

ـ **مجمع اللغة العربية الأردني** ـ التقرير السنوي العاشر لعام ١٩٨٦ ـ عمان ١٩٨٧

ـ **محادثات بيروتية في العروبة والاسلام** ـ انطونيو بيليتيري ـ بيروت

ـ **محاضرات الموسم الثقافي الأول للعام الجامعي ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥** ـ جامعة مؤته ١٩٨٥

ـ **معجم الأفعال التي حُذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم** ـ د . عبد الفتاح الحموز ـ عمان ١٩٨٦

ـ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (الجزء الثالث)** ـ د . أحمد مطلوب ـ المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٨٧

ـ **المنتقى من أخبار الأصمعي** ـ عبد الله بن أحمد الربعي ـ انتقاء ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ـ دمشق ١٩٨٧

ـ **من هو ـ لعام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦** ـ جمع وترتيب رشيد أبو غيدا ، عدنان

بعيون ، إلياس سمعان ـ المملكة الأردنية الهاشمية ـ عمان ١٩٨٦
ـ وقائع الندوة الإسلامية لشؤون القدس ـ د . عزت جرادات ـ عمان ١٩٨٦

ب ـ المجلات المهداة

ـ المعرفة	٣٠٣ـ٣٠٢	١٩٨٧	دمشق
ـ المعلم العربي	٢	١٩٨٧	دمشق
ـ المجلة البطريركية	٦٧، ٦٩ـ٧٠	١٩٨٧	دمشق
ـ الهند	٩٦	١٩٨٧	دمشق
ـ نهج الإسلام	٢٨	١٩٨٧	دمشق
ـ صوت فلسطين	٢٣٦، ٢٣٨	١٩٨٧	دمشق
ـ عالم الذرة	٤	١٩٨٧	دمشق
ـ الضاد	٥	١٩٨٧	حلب
ـ بحوث جامعة حلب	٨	١٩٨٦	حلب
ـ نشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	أيار ـ حزيران، تموز ـ آب	١٩٨٧	بغداد
ـ تاريخ العرب والعالم	١٠٥، ١٠٦	١٩٨٧	بيروت
ـ الشراع	٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦	١٩٨٧	بيروت
البيبليوغرافيا الجزائرية	٤٦	١٩٨٧	الجزائر
ـ المنتدى	٥١	١٩٨٧	دبي
ـ الفيصل	١٢٦، ١٢٧، ١٢٩	١٩٨٧	الرياض
ـ العرب	٧/٨	١٩٨٧	الرياض
ـ عالم الكتب	٢	١٩٨٧	الرياض
ـ التقييس	٣، ٤	١٩٨٧	عمان

- أبحاث اليرموك	١	١٩٨٧	عمان
- مؤتة للبحوث والدراسات	١	١٩٨٧	عمان
- المكتبة	١٠١، ١٠٢، ١٠٣	١٩٨٧	عمان
(عن مكتبة الجامعة الاردنية)			
- مكتبة المجمع الأردني (نشرة اعلامية)	٢	١٩٨٧	عمان
- دراسات	٣، ٦، ٩	١٩٨٦	عمان
- دراسات	٣، ٤، ٥، ٧	١٩٨٧	عمان
- اليرموك	٢٠	١٩٨٧	عمان
- رسالة اليونسكو	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧	١٩٨٦	القاهرة
- حولية كلية الآداب والعلوم الانسانية	١٠	١٩٨٧	قطر
- مجلة معهد المخطوطات العربية	١	١٩٨٧	الكويت
- أخبار التراث الإسلامي	١٠	١٩٨٧	الكويت
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية	٤	١٩٨٧	ليبيا
- الوحدة	٣١-٣٢، ٣٣-٣٤	١٩٨٧	المغرب
- اللسان العربي	٢٧	١٩٨٦	المغرب
- اللقاء	٤	١٩٨٧	ألمانيا
- فكر وفن	٤٥	١٩٨٧	ألمانيا
- التوحيد	٢٩	١٩٨٧	ايران
- بناء الصين	١٠، ١١	١٩٨٧	الصين
- الصين المصورة	١٠	١٩٨٧	الصين
- عالم الطباعة	تموز	١٩٨٧	لندن
- عالم التغليف والبلاستيك	حزيران	١٩٨٧	لندن

ج ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

- La naissance d'une Corée nouvelle , Pyongyang , 1987 .
- Les relations Politiques roumano -Françaises au début du XX^{e} siècle (1900 - 1916) Vasile Vesa , 1986
- La Roumanie et la Conférence de la Paix de Paris (1946) , Stefan Lache , Gheorghe Ţuţui , Romania , 1987 .
- La Nouvelle Revue Internationale , 8 , 10 , 1987 .
- Comptes Rendus De L' Académie Bulgare des Sciences , 8 , 10 , 1987 .
- Ibla , 160 , 1987 .

* * *

- Age - old Factors of Romanian unity , Nicolae Stoicescu , Romania , 1986 .
- Moldavia in the 11th- 14thCenturies , Victor Spinei , Romania , 1986 .
- Peasant Studies , 1 , 1986 , 2 , 1987 .
- Journal of Asian and African Studies , 33 , 1987 .
- The Muslim World , vol. LXXVII , 1987 .
- Western Humanities Review , vol. XLI , 1987 .
- Annual Report 1986 of the Librarian of Congress , Washington , 1987 .
- Biomedical Papers of the Medical Faculty of the Palacký Univer-

sity , Olomouc , Czechoslovakia , LVI , 1987 .

- Academic Press (Price List - Catalog) 1987 .

* * *

- Gjuha Jonë , 1 , 2 , 1987 .

- Katalog Nummer Elf Der Orient Von Marokko bis Japan und Africa .

- Studia Albanica , 1 , 1987 .

- Studine Filologjike , 4 , 1986 , 1 , 1987 .

- Alifbâ , 1 , 1983

2 ,3 , 1984

4 , 5 , 1985

6 , 7 , 1986

- Memorie , Tähä Husayn , Versione dall' arabo di Umberto Rizzitano , Introduzione e note acura di Antonino Pellitteri .

- Wissenscha Ftliche Zeitschrift der Humboldt - Universität zu Berlin , 6 , 1987 .

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والستين

(المقالات) الصفحة

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان	تح د . محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الافادة ج ١	تح محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط ٢)	صنعة د . عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الاسلامية في الهند (ط ٢)	لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د . نسيب النشاوي
- رسالة اسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح طيان وميرعلم
- نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح ابراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٣	وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج ٢	وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١	وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج ٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب لشفيق جبري	
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق ١	تح نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة - أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ١	تح محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ٢	تح حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١	تح عبد الإله نبهان

الجزء الثاني ٤٢٨ المجلد الثالث والستون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

شعبان ١٤٠٨ هـ

نيسان (ابريل) ١٩٨٨ م

مشكلات الترجمة والتعريب

التي تواجهها الثقافة العربية

الدكتور عبد الكريم اليافي

جاء في كتاب « الفهرست » لابن النديم « أن المأمون رأى في منامه كأن رجلاً أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، واسع الجبهة ، مقرون الحاجب ، أجلح الرأس ، أشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالس على سريره . قال المأمون : وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة . فقلت : من أنت ؟ قال : أنا أرسطاطاليس . فسررت به ، وقلت : أيها الحكيم أسألك ؟ قال : سل . قلت : ماالحسن ؟ قال : ماحسن في العقل . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ماحسن في الشرع . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ماحسن عند الجمهور . قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لاثم... فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب . فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون . فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ مايختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم . فأجاب إلى ذلك بعد امتناع . فأخرج المأمون لذلك جماعة ، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلماً[1] صاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا مااختاروا . فلما حملوه إليه أمرهم بنقله . فنقل . وقد قيل : إن يوحنا بن ماسويه ممّن نفذ إلى بلاد الروم . »

ويخيّل إلينا اليوم أن كل مسؤول عن الثقافة في البلاد العربية إذا كان صادق المسؤولية يرى على مثال الخليفة العباسي العظيم في منامه بل

(١) هكذا في الأصل ، وله وجه .

في يقظته أيضاً أطيافاً مثل طيف أرسطاطاليس لعلماء وفلاسفة وأدباء أجانب مشهورين فتأخذه الرغبة في نقل كتبهم وآثارهم إلى العربية وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك .

نعم ! لقد كثر العرب المهتمون قديماً بكتب اليونان في الفلسفة والهندسة والموسيقى والحساب والطب وبترجمتها وتعريب مصطلحاتها كما اهتموا بتراث الفرس والهند والمصريين القدماء وغيرهم وبذلوا في ذلك الجهود والرغائب ، حتى توطدت عندهم أركان العلوم المختلفة ، وزادوا فيها وتوسعوا حتى أتوا فيما بعد بالمبتكرات والأعاجيب . وكان ذلك نعمة كبيرة على الانسانية جمعاء لأن تسلسل تلك العلوم والفنون لم ينقطع ، بل استمر معينه زاخراً وفياضاً ثم بعد قرون بلاد أوربة التي تلقفته أيّ تلقف وكانت وريثة الحضارة العربية الاسلامية .

ومن المناسب في مستهل هذا الحديث أن نحدد معاني بعض الألفاظ التي نستعملها ولاسيما لفظ التعريب فله في اللغة العربية معان عدة شأنه في ذلك شأن الألفاظ في مختلف اللغات .

نحن هنا نستعمل التعريب بمعنيين : الأول أخذ اللفظ أو المصطلح الاجنبي وإخضاعه للأوزان العربية . فالأصل أجنبي ولكنه يقدُّ ماأمكن على قياس عربي . ولكن هذا المعنى تدرج وتوسع فأصبح يطلق على ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية ، وكذلك على تعليم العلوم الأجنبية الحديثة بالعربية وهذا هو جملة المعنى الثاني .

ولما عمد العرب قديماً إلى النقل والترجمة طالعتهم مفردات كثيرة في العلوم التي عالجوها وترجموها فوجدوا في اللغة العربية مَعِيناً ثرّاً ، واستطاعوا أن يجدوا لكل مصطلح ما يقابله فيها . ولكنهم كانوا يترددون أحياناً في العثور على اللفظ الدقيق المناسب فلم يمنعهم ذلك من

استعمال اللفظ اليوناني أو الأجنبي . بل إن بعضهم قد أسرف نسبياً في استعمال تلك المصطلحات بألفاظها الأجنبية ، فبقيت تلك الألفاظ الأجنبية حجباً صفيقة دون شفوف معانيها ووضوح دلالاتها للراغبين في دراسة العلوم والفلسفة . حتى إن أبا الريحان البيروني في مستهلّ كتابه « تحديد نهايات الأماكن » يندّد باستعمال الباحثين والمترجمين لبعض الألفاظ اليونانية التي دخلت أول الأمر كتب المترجمين الأوائل والتي تداولها هؤلاء ليهوّلوا بها على الناشئة دون أن يستعملوا اللفظ العربي المقابل لها . فهو يقول : « ونحن نراهم يستعملون في الجدل وأصول الكلام والفقه طرقه (طرق المنطق) ولكن بالفاظهم المعتادة فلا يكرهونها . فإذا ذكر لهم إيساغوجي وقاطيغورياس وباري أرمينياس وأنولوطيقا رأيتهم يشمئزون عنه و (ينظرون اليك نظر المغشيّ عليه من الموت) (٤٧ ـ ٢٠) وحقّ لهم فالجناية من المترجمين إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقيل كتاب المدخل والمقولات والعبارة والقياس والبرهان لوجدوا متسارعين إلى قبولها غير معرضين عنها . »

من قول البيروني هذا نستخلص لزوم التعبير العربي المبين عن التصورات الأجنبية بغية الوضوح والتفهيم والإفادة . ولقد استطاع النَقَلَةُ في الحضارة العربية الإسلامية أن يذللوا عقبات المصطلحات الأجنبية وأن يجدوا مقابلاتها العربية وأن يعالجوا القضايا الفكرية فلسفية وعلمية معالجة دقيقة واضحة شفافة ، حتى إن أبا الريحان البيروني نفسه قد كتب في مقدمة كتابه « الصيدنة » فقرات اشتهرت لابد من ذكرها تنويهاً بطواعية اللغة العربية وحسن بيانها وقرب مآخذها ويسر صنوف الاشتقاق فيها . يقول : « وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلّت في الأفئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين

والأوردة ، وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع ألآفها وأشكالها . »

ويستبين من النص طواعية اللغة العربية وأن العلوم أنفسها لما نقلت إليها ازدادت جمالاً ورونقاً ودقة وطلاوة وذلك لمزاياها المتعددة .

لهذه المزايا العديدة من طلاوة ودقة ورونق وجمال وغير ذلك لما أراد الغربيون ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية في إبان نهضتهم وذلك في غضون القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين شعروا بالوهن والعجز عن محاكاة العرب ومضاهاتهم في البيان والكتابة والعلوم . ندرك حالتهم النفسية تلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر ايطاليا الكبير بترارك يستنهض همم قومه ويبثّ في نفوسهم الثقة والعزيمة .

يقول : « ماذا ؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديمستن ، واستطاع فرجليوس أن يكون شاعراً بعد هوميروس ، وبعد العرب لايسمح لأحد بالكتابة ! لقد جارينا اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً ، وبذلك جارينا وتجاوزنا غالبية الأمم ، وتقولون إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب ! ياللجنون ! وياللخبال ! بل يالعبقرية إيطاليا الغافية أو المنطفئة . »

هذه الجمل القصيرة تكاد تصور أيضاً في العصر الحاضر الحالة النفسية عند الأساتذة والنقلة العرب حين يعمدون إلى تعريب المصطلحات الأجنبية لفظاً لفظاً أو نقل علوم الغرب إلى العربية أو ترجمة الكتب الأجنبية علمية وأدبية ترجمة سائغة . وقد صرنا نحن العرب اليوم في مرحلة تشبه المرحلة التي كان الغربيون فيها ينظرون إلى العرب على أنهم المتفوقون في شتى الميادين .

على أنه تجدر الموازنة بين حال العرب في العصر الحاضر وبين حالهم

في إبّان الدولة الأموية حين عربّوا الدواوين وفي أواخرها حين بدأ اهتمامهم بترجمة الكتب الأجنبية وفي زمن الدولة العباسية حين اشتد ذلك الاهتمام إلى مدى بعيد .

ذلك أن استفادة الحضارات بعضها من بعض وانتقال الألفاظ والمصطلحات من لغة إلى أخرى أمر معروف منذ القديم . ثم إن الصروف الزمنية والمكانية قد تتشابه وقد تتغير . ومما لاشك فيه أن التغيرات التي حصلت في الوقت الحاضر كبيرة جداً . وقد تبدلت أحوال البلاد العربية تلقاء ماطراً من صروف اجتماعية حضارية . ونحن نلخص ملامح تلك التغيرات العالمية فيما يأتي ونرى أن هذا التلخيص هو الذي يصور في الواقع مشكلات الترجمة والتعريب التي تواجهها الثقافة العربية .

كان العرب في أوج سلطانهم وذروة تقدمهم حين تناولوا علوم الأقوام السابقة ليستفيدوا منها وكانت لهم لغة واحدة مبينة ينطقون بها ويكتبون عباراتها على اختلاف اللهجات البسيطة وتفاوت بعض المصطلحات المعاشية حسب أصقاع الوطن العربي الواسع . وقد أشار إلى هذا التفاوت البشاري المقدسي الجغرافي في مستهل كتابه العظيم « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » . أما اليوم فالبلاد العربية ليست في طليعة الركب الحضاري . وعلى الرغم من مواقعها الجغرافية المهمة وممكناتها البشرية الكبيرة وذكاء أبنائها المتفوق وغنى أراضيها تربة ومخزوناً تعصف بها عواصف سياسية تفرق بينها وتهدر قواها وغناها وتحول دون تجمع طاقاتها وتعاونها للحاق بركب الحضارة . ذلك ان التجمع قوة والتفرق ضعف . وعصرنا عصر التكتلات الكبيرة . والشعب المجزأ الصغير لايستطيع أن ينهض بالمهمات الكبيرة الخطيرة حتى لو كان متقدماً . ولا شك أن صحة اللغة وسلامة بيانها في رأينا من المهمات الخطيرة . إن

الشعب السويدي في طليعة الشعوب المتقدمة وكذلك الشعب الهولندي . ومع ذلك فلغة كل منهما ولغة أمثالهما لاشأن لها في مضمار اللغات العالمية وهي أشبه بلهجات محلية . والعالم الكبير أو الروائي الشهير في ذينكم الشعبين لكي يشتهر حقاً ويشار إليه بالبنان لابد من أن يكتب بلغة عالمية أو شبه عالمية أو يترجم إليها لكي يكثر قراؤه وتروج كتبه وتربو نسخ مطبوعها على الملايين . ولا شك أن اللغة العربية كانت لغة عالمية وهي اليوم تزداد أهميتها نظراً للاعتبارات الديمغرافية والاقتصادية والاستراتيجية . ولابد من ايلائها الاهتمام اللازم والارتفاع ببيانها ودقتها وصلاحيتها إلى مستوى رفيع . ذلك أننا نجد تداعياً في تعلّمها وتملك ناصية البيان فيها إلى جانب اللُّغَيّات العامية المنتشرة في الأقطار العربية . وهذه كبرى المشكلات التي تصادف الثقافة العربية الراهنة .

في العصر الحاضر تفاقمت المصطلحات وتعاظم أمرها في مختلف المجالات وكأنها أمواج سيول قوية تتدافع وتشتد وتغزو مختلف الأمم والبلدان وتدعو إلى التفهم والتأمل والتنسيق حتى يحسن نقلها والاستفادة منها كما يحسن الاستفادة من مياه السيول المتدفقة وتحامي عواقب تدميرها . إننا لانجد في عصر من العصور السالفة أن المصطلحات كانت تربو بجملتها في مختلف الميادين على مضمون هيكل اللغة التي يتكلم بها مجتمع من المجتمعات ، على حين نرى اليوم أن المصطلحات العلمية والتجارية والحربية والطبية والفلسفية والزراعية والكيمائية والفيزيائية وغيرها من العلوم والاختصاصات المتفرعة تتجاوز بمجموعها مجموعة مفردات اللغة التي يستعملها المجتمع في حياته وفي كتابة أموره اليومية المباشرة . وهذا أمر حديث يَسِمُ جميع المجتمعات متقدمة أو غير متقدمة ويقيم عقبات في نقل تلك المصطلحات من مجتمع إلى آخر وفي تنسيقها .

هذا وإن لكل طائفة من تلك المصطلحات المتنوعة دوائرها الخاصة ومضارها الذي يتوسع توسعاً عجيباً . كانت مفردات اللغة المشتركة عند قوم من الأقوام أقل من مفردات المصطلحات . ولكن الأمر قد انقلب في العصر الحديث إذ غدت تربو مفردات المصطلحات جمعاء على الألفاظ المتداولة في لغة البيان سواءً في التخاطب أو في الكتابة كما سلف آنفاً . ولابد تلقاء هذه الظاهرة من تبيان أسبابها . كثرة المصطلحات الاجنبية العلمية والفنية وغيرها مشكلة كبيرة تعرض للتعريب والترجمة العربيين . نجد بادئ ذي بدء تقدم العلوم الشاسع . لقد طفرت العلوم طفرات مدهشة في القرن العشرين ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية ، فأدّى ذلك إلى نشوء مواكب ضخمة من المصطلحات العلمية الحديثة .

وتبع تقدم العلوم تقدم التقانة او التكنولوجيا الهائل . فلقد اخترع الانسان كثيراً من الأدوات والسلع والمصنوعات وركب موادّ جديدة وسلك مناهج مبتكرة في ميادين النشاط العقلي والعملي لم يكن يعرفها أو يتصور بعضها من عاشوا قبل ذلك كآفاق الملاحة الكونية وبحوث الفضاء (عسكرية أو سلمية) واستغلال أشكال جديدة للطاقة وإمكان تحويل بعضها إلى بعض تحويلاً ناجعاً . كذلك سلك الانسان سبلاً جديدة في دراسة المادة والطاقة وفي تطبيقات الكشوف العلمية كالفيزياء النووية والكيمياء الحيوية والكيمياء الغذائية وكذلك زرع أعضاء الكائنات الحية ثم التفكير الآلي على طريق الحواسب الالكترونية وغيرها .

وكذلك نبتت أساليب جديدة رائعة بل جبارة في التعامل الآلي مع البيانات العددية والوصفية وتحليلها تحليلاً متنوعاً مفيداً . كل ذلك ولّد مايمكن دعوته أجيالاً من التصورات والمفاهيم عمد العلماء والاختصاصيون إلى إلصاق ألفاظ جديدة لم تكن مستعملة في اللغات التي حصل فيها

ذلك المخاض . ولم تلبث لغات أخرى أن عمدت فدعت أجيال المفاهيم والتصورات الوليدة بأسمائها تلك أي اقتبستها أو بأسماء أخرى مناسبة لطبائع هذه اللغات وأساليبها .

ومن أسباب وفرة المصطلحات تقدم وسائل الإعلام . ذلك أن الإعلام الحديث يتسم بسمتين أساسيتين : الأولى أنه آنيّ بمعنى أن حدثاً ما كارسال قمر صناعي أو تكلئة رجال فضاء على كوكب كالقمر أو مداناة كوكب آخر وتصوير ملامحه أو ماشابه ذلك يذاع فور حدوثه إذاعة سمعية وبصرية . والثانية أن الإعلام غدا موجهاً للناس جميعاً لاللعلماء وحدهم . وترافق وسائل الإعلام هذه ظاهرة لغوية جديدة أيضاً ، وهي دخول طائفة من المصطلحات بين الجماهير . انسياب الالفاظ الجديدة حصل دائماً في تاريخ اللغات إلا أنه أشد مايكون اليوم لسعته وانتشاره . ومع ذلك فان المصطلحات التي تذاع وتشيع تفقد دقتها وحسن دلالتها بين الجماهير بالقياس إلى التصورات الدقيقة التي وضعت لها في الأصل . وعندئذ تفقد صفتها الجوهرية التي هي الدقة وتغدو بشكلها الجماهيري داخلة في إطار اللغة المشتركة بين الناس . ولا شك أن بين اللغة المشتركة ولغة المصطلحات ضرباً من العلاقة الجدلية ، علاقة العموم والخصوص وعلاقة المشاركة وعلاقة المشابهة وما إلى ذلك .

ومن أسباب وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها وضبطها ظهور منظمات عالمية متعددة بعد الحرب العالمية الثانية ذوات غايات ومقاصد مختلفة كنظمة الأمم المتحدة بفروعها المتعددة ولاسيا اليونسكو ، وكحلف الأطلسي ، وحلف وارسو ، ولجنة دراسة الفضاء الكوني ، والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة ، ورابطة الحقوقيين الديمقراطيين الدولية ، ووكالة الطاقة الذرية ، ومجلس التعاون الاقتصادي المتبادل أو

الكوميكون ، والمصرف الدولي للتعاون الاقتصادي ، وجامعة الدول العربية بفروعها المختلفة ، وغير ذلك حتى إنْ كتاباً جديداً ظهر في سورية بعنوان « الهيئات الدولية » . ولهذه الهيئات والمؤسسات غاية هي وضع قواعد للعلاقات الدولية . وهي قواعد أساس بعضها سياسي أو عسكري ولكنها اتسمت بالتدريج فشملت ميادين اقتصادية وثقافية وزراعية وصحية وعلمية وغيرها .

إن السياسات الموضوعة لهذه المنظمات التي تربط بعض الدول ببعض تسجَّل في وثائق متعددة اللغات . ويلزم من ذلك أن يكون محتواها من تصورات ومفاهيم واحداً ودقيقاً تتقابل وتتوازى في تلك اللغات المختلفة . ولهذا نشأت ضرورة تحديد معاني الألفاظ التي تفيد تلك المفاهيم والتصورات وضرورة تنسيقها بين لغة وأخرى سواء كان ذلك في السياسة العالمية أو القانون الدولي أو ماشابه ذلك . وعندئذ لابد من إرساء قواعد لوضع المصطلح ونقله من لغة إلى أخرى وتحري الدقة في النقل ، أي لابد من نشوء علم مصطلحي عالمي يسهل الانتقال من لغة إلى أخرى بين لغات الأمم المشتركة في كل منظمة زيادة على نشوء علوم مصطلحات خاصة في كل ميدان . فكثر العكوف على تنشيط هذه العلوم الحديثة على اختلاف مقاصدها وأغراضها . وهكذا ازدادت العناية لدى كل أمة بوضع مصطلحاتها وتنسيقها وتحديد دلالاتها والتغلب على العقبات التي تصادفها ، كما نشأت هيئات جديدة تعنى بهذه العلوم التي تسهل انتقال المصطلحات بين اللغات أو وضعها بعضها عالمي وبعضها إقليمي وبعضها وطني .

ومن دواعي وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها تقدم التجارة العالمية واتساعها فلقد كانت التجارة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى

منتصف القرن العشرين تجري بين مجموعات يكاد يكون كل منها مغلقاً عن الأخرى بسبب السياسة والاستعمار. كل مجموعة ذات وحدة تتألف من الدولة المسيطرة السائدة ومستعمراتها ومحمياتها . فاللغة السائدة إذ ذاك لغة الدولة ذات السيادة . ثم ظهرت منذ منتصف القرن العشرين قوى ضخمة وبلاد صناعية متقدمة أو ذات أهمية تجارية لغاتها جد متقاربة كالاتحاد السوفياتي واليابان والصين ومجموعة البلاد العربية بحيث ازدادت أهمية لغات تلك البلاد إذ يطلب كل منها أن تكون لغته معترفاً بها وأداة تكتب بها العقود والاتفاقات . ومن المعلوم تعاظم مكانة البلاد العربية في التجارة العالمية فاقتضى هذا التعاظم معرفة اللغة ذاتها لا لغة الدولة ذات السيادة السابقة . كذلك في مجموعة الدول الأوربية الاثنتي عشرة كل دولة تطلب أن تكون لغتها معترفاً بها في المجموعة . وهذا كله يستلزم وضع مصطلحات جديدة حسبما تقتضيه العلاقات والعقود والاتفاقات . بعض الدول كليبيا مثلاً تصرّ في إبرام العقود بينها وبين الدول الأجنبية على أن يكون النص العربي هو المعتمد الأول . ولهذا لجأ بعض الأوساط المصرفية والعمرانية في بلجيكا وأمثالها إلى تجميع المصطلحات المصرفية في البلاد العربية ونَخلها وغربلتها إن جاز هذا التعبير لاعتماد مصطلحات مصرفية عربية دقيقة في هذا المجال . وهذا كله يقتضي التنسيق بين مصطلحات اللغات المختلفة في الميادين المتفقة بحيث ينبغي للمصطلحات أن تكون متقابلة ماأمكن تقابل الواحد للواحد كما يقال في الرياضيات .

ومن بواعث وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها بروز الشركات المتعددة الجنسيات واستفحال مكانتها . وهو حدث جديد يتوطد وتقوى سيطرته الاقتصادية بحيث لاتقف أمامه لغة ولا حدود . وهذا يوازي تفاقم التجارة العالمية التي تشارك فيها هذه الشركات أعظم مشاركة .

ويتطلب أعضاء هذه الشركات المتعددة الجنسيات تنسيقاً دقيقاً بين مصطلحات لغات الدول التي تنتسب إليها .

وعلى الرغم من المكانة الفردية لكل لغة وخصائصها المتميزة لابد من شمولية المصطلحات في مختلف الشؤون ولاسيا الشؤون الاقتصادية ومن التنسيق الذي غدا مبرماً بحيث تغدو غالبية هذه الشؤون أيا كانت كالمساكن مثلا ووسائل المواصلات وسلع التجارة بأنواعها حتى الفنون والثقافات متوازية ومتساوقة ، وبحيث تميل العادات وانماط المعيشة والانتاج والاستهلاك ونحلها واساليبها إلى التقارب ، وبحيث تتوحد أجهزة القياس ووحداتها . وتتحمل هيئة المواصفات والمقاييس العالمية وماتضمّه من هيئات إقليمية ووطنية تبعات التنسيق والتنظيم . ولابد من التنويه بهيئة المواصفات والمقاييس العربية وفروعها في البلاد العربية .

لاشك أن كل دولة مسؤولة الى مدى بعيد عن لغة أبنائها والحفاظ عليها . فلغة الأمة أهم مقومات شخصيتها وهي وطنها الروحي وسجلّ معارفها وعلومها وأمجادها كما أن الأرض وطنها المادي . ولذلك تعمد كل أمة إزاء سيل المصطلحات المتدافع في الميادين المختلفة وإزاء تداخل عناصرها واختلاط دلالاتها إلى كفكفة هذا الاضطراب وحصره وتقليله وإلى التنظيم والتنسيق بعقد الندوات ، ونشر البحوث ، ووضع المعجمات ، واقتراح القواعد والأساليب في ذلك . وقد أشرنا آنفا إلى نشوء علم المصطلح . واشتد نشاط العاملين فيه حتى إنه ليصح تصنيفهم في مذاهب أو مدارس كالمدرسة الألمانية النساوية والمدرسة السوفياتية والمدرسة التشيكسلوفاكية والمدرسة الكندية الكويبيكية . وثمة نشاطات متفرقة في ميدان هذا العلم كما في انكلترة وفرنسة والولايات المتحدة واليابان والصين ـ ولكل من هذه المدارس اتجاهات متمايزة وسبل في نقل

المصطلح أو وضعه يكاد يتمم بعضها بعضاً . هل يوضع المصطلح أو ينقل وفق قواعد آلية عامة أو تراعى طبيعة اللغة المنقول اليها المصطلح . وثمة بعض الهيئات التي تعنى بهذا العلم كمؤسسة المصطلح الاعلامي أو انفوترم Infoterm التي مركزها فينا والتي أنشئت عام ١٩٧١ بعقد بين اليونسكو ومعهد المواصفات والتقييس النساوي . وقد عمل هذا المركز على إنشاء شبكة مصطلحات عالمية Termnet تضم مختلف الهيئات التي تعالج المصطلح من امريكية وانكليزية وفرنسية والمانية وروسية وصينية ويابانية . وقد التحق بها ألكسو العربية والمعهد القومي للمواصفات في تونس .

إذا كان الأمر كذلك في اللغات الحديثة المتقدمة التي تتولد فيها المصطلحات وتنبت نباتاً كثيفاً فانا ندرك الصعاب والعقبات الكثيرة التي تعرض للغة العربية في العصر الحاضر . وقد أفاق أبناؤها وشعروا بتقدم ركب الحضارة الانسانية في شتى المجالات وفي مختلف الميادين وخاصة تلقاء مواكب المصطلحات الاجنبية الغزيرة التي تتدافع على ساحات الفكر العربي والتي تقتضي النقل والتعريب والترجمة . وتتبدى شدة الحاجة إلى هذا النقل في التعليم العالي ولاسيا في مجال العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة كما تتبدى في مجال العقود والتجارة والاتفاقات الثقافية والسياسية والصناعية وغيرها من مرافق الحياة الراهنة .

تجاه هذه الكثرة الكاثرة من جموع المصطلحات وأسرابها ومن نطاق المصطلحات المتخصصة في كل ميدان تعتمد الدول العربية مراكز تتعامل مع هذه المصطلحات ودلالاتها وميادينها . ويأتي في طليعة هذه المراكز اتحاد مجامع اللغة العربية الذي يتألف من مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجمع بغداد ومجمع عمان إلى جانب مجامع قيد الخاض كمجمع الجزائر ومجمع

المملكة العربية السعودية ، كما يأتي في الطليعة مكتب تنسيق التعريب بالرِّبَاط . ولهذا المكتب مكانة مرموقة في هذا الشأن إذ أصدر معجمات كثيرة في شتى العلوم والفنون ومرافق الحياة وهو لايزال ماضياً في هذا المضمار . ولكن قصاراه تجميع المصطلحات المتداولة أو المقترحة وعرضها في ندوات خاصة لاختيار الصالح منها والتصويت عليه . وقد يغيب عن هذه الندوات المختصون الأكفياء لسبب من الأسباب .

وهنالك معهد بورقيبة للغات الحية في تونس ومركز الأخضر غزال في المغرب ومركز عبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر.

ثم ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عازمة على إنشاء « المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر » ربما يسد في المستقبل فراغاً كبيراً في هذه الآفاق .

وهنالك الجامعات العربية . بيد أن القليل منها يدرس بالعربية . ولاشك ان تعريب التعليم العالي مرحلة مهمة في تحقيق الأصالة الثقافية العربية وتوطيدها وفي نقل روح العلوم والفكر العلمي والبحث الاصيل إلى الوطن العربي وهو يتلافى مشكلات كثيرة في تعريب المصطلحات والترجمة والتأليف بالعربية ولكنا ننعى على الجامعات التي تدرس بالعربية تهاونها بهذه اللغة وانحدار التعليم فيها إلى اللحن والركاكة والعامية والبعد عن البيان العربي الصافي الواضح على خلاف ماكان الأمر عليه حين بدأ التدريس في مستهل هذا القرن على أيدي أساتذة أكفياء ملكوا نواصي علومهم كما ملكوا ناصية البيان العربي . كذلك ننعى تشتت المصطلحات بين هذه الجامعات بل في الجامعة الواحدة بل ناهيك تشتتها في القسم الواحد من الدراسات . على أن في التدريس بالعربية هنوات أخرى يصعب عرضها في هذا الحديث الموجز . ولكن جميع هذه الهنوات

ربما تكون باعثة على النظر فيها وعلى تلافيها في المستقبل . وإلا قلّت الفائدة من هذا التدريس وكثرت الفائتة فيه .

وثمة أيضاً وحدات الترجمة العربية في فروع منظمة الأمم المتحدة . ونريد أن ننوّه هنا بوحدة الترجمة العربية في اليونيدو (ڤينا) . فقد وضعت دليل المترجم مع دراسات في اللغة ونظريات الترجمة في سفر ضخم عام ١٩٨٤ ثم جددته فنشرت دليل المترجم مع التركيز على منظومة الأمم المتحدة في ثلاثة أسفار ضخمة عام ١٩٨٧ . ولاشك أن مثل هذا العمل الواسع جدير بالبحث والثناء والتقريظ .

وينبغي ألا ننسى مكانة الشعب والعمال وغيرهم من أهل الصنائع ونحل المعاش إذ قد يرتجلون مصطلحاً يشيع ويغدو صالحاً للدلالة على شيء من الأشياء أو أمر من الأمور . ومع ذلك فالفوضى ضاربة الأطناب في كثير من مرافق الحياة . نحن هنا نتحدث من وجهة نظر عربية . فالذي يتفحص مفردات أجزاء السيارة مثلاً في دمشق وبغداد ومصر والجزائر وغيرها يجد مفردات عامية جد متباينة فلايكاد المرء يفهم زميله إذا كانا من بلدين عربيين مختلفين وزاولا أو مارسا أمراً واحدا . بل أكثر من ذلك لايستطيع الأستاذ في الجامعة أن يفهم زميله إذا كانا من جامعتين مختلفتين وعالجا موضوعاً هو من اختصاصها معالجة عميقة . بل ربما آثرا التحدث بلغة أجنبية . بَيْدَ أن هذه الفوضى تتوارى أحياناً حين توضع معجمات متخصصة . وقد كثرت هذه المعجمات المتعددة اللغات والتي من لغاتها العربية وهي تحتاج إلى الشيوع والاعتماد . نذكر من أواخرها المعجم الطبي الموحد والمعجم الديمغرافي المتعدد اللغات ومعجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية الذي عربته هيئة الطاقة الذرية في سورية عام ١٩٨٦ .

ولكن الحياة الفكرية في تجدد دائم ولابد من تناول هذه المعجمات في الحين بعد الحين واضافة ماقد يطرأ من جديد أو مايطرأ من تبديل .

ثم إن وضع المعاجم الموسوعية خاصة والموسوعات عامة مراحل مهمة في وضع المصطلحات ونقلها وفي تنسيقها وتوحيدها . وانا لنحيي أجمل التحية من سبق اليهم التفكير في وضع معجم موسوعي كمعجم العماد والموسوعة العربية بدمشق والموسوعة العربية ببغداد . ولابد لأمثال هذه المعجمات الواسعة من أن تؤتي ثمارها الطيبة في توحيد المصطلحات وتيسير تناولها وفي نشر العلم والثقافة على أوسع نطاق .

لقد عقدت ندوات إقليمية متعددة في البلاد العربية لتذليل مصاعب النقل المصطلحي والتغلب على عقبات التعريب والترجمة وانتهت إلى توصيات جيدة تنير الطريق في أساليب وضع المصطلح أو نقله وترجمته وتوجه العمل الشاق في هذا الصدد . ولكن هذه التوصيات مازالت آثارها ضئيلة وحبراً على ورق لقلة متابعة إنجازها وندرة الأشخاص المسؤولين عن المتابعة في هذه الميادين وعدم تفرغهم إلى جانب التداعي في تعليم اللغة العربية وعدم إتقانها .

لاريب في أن معالجة المصطلح تتطلب الاضطلاع بثقافة واسعة في اللغات الأجنبية والعربية والاطلاع ماأمكن على موضوعات العلم الذي يراد نقل مصطلحاته ومراجعة المعاجم العربية المتخصصة وقد أصبحت متعددة وإن لم تكن كافية واستشارة معاجم المعاني الواسعة في اللغة العربية ولاسيا المخصص لابن سيده ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس وكتب ابن جني ، وكذلك الاستناد إلى أصول اللغة العربية في الصرف والاشتقاق والنحت والقياس والمجاز والتخصيص بعد التعميم وما إلى ذلك مما هو معروف . وتقع التبعة الكبرى في ذلك على مجامع اللغة العربية

التي انما أنشئت لهذه الأغراض والتي هي تحاول النهوض ببعض تلك الأعباء في أحوالها الراهنة .

إن حل مشكلات التعريب والترجمة لايحصل إلا باتقان اللغة العربية الفصحى السليمة والتدريس بها في جميع المراحل ابتدائية وإعدادية وثانوية وجامعية والتخلي ماأمكن عن اللغة العامية التي هي جد فقيرة والتي لاإملاء لها ولاقواعد . وأحب أن أبدي رأيي في مجال تعليم اللغة العربية وهو أن محاولة تيسير اللغة العربية وتسهيل أصولها من نحو وصرف محاولة مخفقة لأنها تؤدي إلى التردّي والتراخي والتفاهة والركاكة . نحن نؤثر الصعوبة والعقبات لأنها تشحذ العزائم وتشد الانتباه وتتحدى الارادة المتوثبة . ولابد في ذلك من اعتماد التراث العربي الأصيل . إن الانكليز مازالوا متشبثين بشعر شكسبير مع أن لغتهم الدارجة تختلف عن لغته وان الفرنسيين مازالوا متمسكين بقراءة كورني وراسين وموليير مع ان تراكيب لغتهم العصرية قد تغيرت . وذلك كله حفاظاً على خصائص اللغة ماأمكن وعلى نماذج البيان الأصيلة وعلى تراكيب التعبير السليمة المفيدة . فلا حاجة مثلاً لأن نكتب لأطفالنا الصغار في كتب القراءة الابتدائية « زرع فريد فولاً وقطف ملفوفاً » . إن ذلك يزرع التفاهة ويقطف الركاكة ويُعتاد فيه الكسل والتراخي . أتذكر أنا كنا في الصف الرابع الابتدائي نعتمد كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي للقراءة . وما أظن ان متخرجاً في كلية الآداب يستطيع أن يقرأ بسهولة هذا الكتاب . ولم يحل هذا الكتاب القديم دون تقدمنا في شتى المناهج .

وهكذا يبدو من مشكلات التعريب والترجمة إلى جانب وهن البيان العربي الراهن قلة التواصل مع التراث العربي الواسع بميادينه المختلفة وعلومه الزاخرة المتفاوتة . هنالك انقطاع واضح بين تلك العلوم

والميادين وأمثالها في العصر الحاضر . والغريب أن اساتذة العلوم في الأقطار العربية قد يتقنون اختصاصاتهم التي تعلموها في الغرب أو في الشرق ثم إذا أرادوا ان ينقلوها إلى العربية أو يكتبوا بحثا علمياً فيها ضاقوا حرجاً وأعوزهم البيان وغدت كتاباتهم مبهمة مستغلقة . وفي رأينا ان ذلك راجع إلى قلة ممارستهم للبيان العربي الأصيل وندرة مطالعة الكتب التراثية القديمة التي عالجت أمثال تلك الموضوعات مع إقرارنا بالتغير الكبير الذي طرأ على هذه الموضوعات أنفسها . لقد غاب عن أذهانهم بانقطاعهم عن التراث وعن كتبه وقضاياه ومصطلحاته نماذج البيان العربي الأصيل وأساليب التعبير الدقيق فيه . هل نضرب مثلاً على ذلك يبين ضرورة التدقيق في البيان العربي الموجز ؟ قولنا زيد أحب إليّ من عمرو يختلف معناه عن قولنا زيد أحب لي من عمرو . إن دارس اللغة الانكليزية يتقيد بحروف الجر التي يستعملها مع الفعل في بيانه ، على حين نجد عند الكاتب العربي تحللاً من مثل هذا التقيد فتغيم عبارته وتسقم وتبهم مع أنه يريد الإفصاح . ربما يجدر أن نذكر مثلاً آخر يختلف فيه المعنى بمجرد تقديم لفظ على آخر كقولنا : انما حضر الندوة امس زيد ، وانما حضر زيد امس الندوة ، وانما حضر زيد الندوة أمس . كل جملة من هذه الجمل تفيد معنى غير معنى أختها . إن اللغة العربية مشهورة بالإيجاز والدقة . تقول مثلاً استكتبت فلاناً بدلاً من طلبت اليه ان يكتب ونقول : ما أدري هل ذهب زيد بدلاً من قولنا ماأدري فيما إذا ذهب زيد أو لم يذهب . لقد انساب كثير من تعابير اللغات الأجنبية الركيكة فكدرت صفاء البيان العربي . لقد بذلت جهود جبارة منذ أن أفاق العرب على مكاسب المدنية الحديثة في تعريب المصطلحات وفي ترجمة العلوم والآداب وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن

العشرين ، ومن يقرأ في الوقت الحاضر ماترجم في ذلك العهد من الكتب العلمية والروايات الأدبية حتى الشعر يعجب كيف استطاع المترجمون ترجمتها ونقل مصطلحاتها بلغة عربية مبينة واضحة ودقة كبيرة ، حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يغدوا أصحاب بيان سليم في الميدان العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علم في الجامعة الاميركية ببيروت وكتب كتباً علمية سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وغيرهما ؟ أو نذكر أيضاً مثلاً في التأليف والترجمة أسماءً لامعة في كليتي الطب والحقوق قديماً بالجامعة السورية . إن الذي يقرأ كتب أحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر ومحمد جميل الخاني وفارس الخوري وأمثالهم يقرأ نصوصاً سليمة لاعوج فيها ولا إبهام ولا لكنة ولا ركاكة بل ليكاد يتعلم البلاغة منها . ولكن الأمور تغيرت في هذه الأيام فلا نكاد نطالع كتاباً أدبياً أو علمياً مؤلفاً في الوقت الحاضر أو مترجماً أو مجمعاً تجميعاً عشوائياً الا وتطالعنا فيه اللكنة والابهام والاعوجاج وعامية وضيعة ومصطلحات غريبة ناشزة . قد يقال ان العلوم والآداب قد اتسعت . نعم ! ولكن لكل عصر علومه ولغته . ولاشك أن رواد الترجمة والتأليف كانوا على قدر كبير من إتقان لغتهم وتصريف بيانها وتواصل دائم مع التراث العربي المؤثل التليد . ومع ذلك فقد اتسع الخرق على الراقع .

إن بلداً صغير الحجم كبير الشأن كسورية لايستطيع أن ينهض وحده بأعباء النقل والتعريب والترجمة الراهنة تلقاء سيول المصطلحات والمعلومات والمعطيات ولكنه يستطيع أن ينهض بقسط كبير من تلك الأعباء . وهو يحتاج دائماً ، شأنه كشأن البلاد العربية الأخرى ، إلى

التعاون مع إخوانه في هذه الميادين وكذلك إلى ضرورة تسهيل دوران الكتاب العربي ولاسيا التراثي بين أبناء هذه البلاد أي لابد من التقارب بشكل من الأشكال بين الأشقاء العرب.وفي هذا التقارب حل كبير وتنسيق لمشكلات التعريب والترجمة كما فيه تنسيق وحلّ لشؤون كثيرة .

كتب المستشرق السوفياتي كرتشكوفسكي في مقدمة كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » يقول : « إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا . وقد وضح بجلاء في الخمسين عاماً الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقّت لأنفسها طرقاً ومسالك جديدة في العصور الوسطى ومازالت حية إلى أيامنا هذه أعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجية والجيولوجية . أما فيما يتعلق بالأدب الفني العالمي فان العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثّل جزءاً أساسياً من التراث العام للبشرية ، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد كبير من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية » .

إن قوماً كان لهم السهم الأوفر والقسط الاكبر في العلوم والفنون وبناء الحضارة الانسانية لحقيقون أن تشتد عزائمهم في مجابهة الصعوبات واقتحام العقبات وأن تعود لغتهم المطواع العظيمة إلى سابق مجدها وسالف فخارها وواسع عطائها ووافر غنائها . أولا يحق لنا في ختام هذا الحديث أن نتغنى ولو لماماً بمحاسن هذه اللغة المعطاء :

لساننا في حسنها كالجمان خالدة الأركان وجه الزمان
كل لغات الأرض مهما تكن قاصرة عن شأوها في البيان
عُلْوية المنشأ قدسية راسخة آساسها في الجنان
ترى المعاني بين ألفاظها برّاقة مثل الدراري الحسان

ريحـانـة الأنفس في المنتـدى سيـدة الألسن عنـد الرهـان
صـانت علوم الأرض في حينهـا لنعم مـاصـانت ونعم الصـوان
أخت الجـديـدين ولكنّهـا إن قَـدُمـا فهي الكعـاب الرزان
قيثـارةٌ أصـداء ألحـانهـا في الشرق والغرب وأقصى مكان
فيـالهـا معشـوقـة سكنت روحي وعظمي وسـواد الجنـان
تيّمني منـذ الصبـا حبهـا فـزانني ذاك الهـوى حين زان
كم سـاهرت عينـاي نجم الـدجى ورقّ لي في سهري الفرقـدان
لم يعتلـج في خلـدي خـاطر إلاّ وقـد كانت لـه ترجمـان
وكل شـأوٍ لمُخّـه غـامض يبرزه التعبير نصب العيـان
في السرّ والجهر ونجـوى المنى والفكر والـدين لهـا أي شـأن
مهما طغـا الـدهر أخيراً فـا مَسّتْ مجـاليهـا يـد للهـوان
أبنـاؤهـا نـامـوا طـويـلاً فهـل آن لإيقـاظ النـؤوم الأوان
لابـد من يـوم بـه تعتلي أيضـاً سنـام المجـد والصـولجـان

مراثي الشعراء
لرسول الله ﷺ

الدكتور أحمد كوتي

هـذا البحث يتكـون من جزءين : نـذكر في الأول منهما المراثي التي قيلت في رسـول الله ﷺ ، وأسماء الشعراء الـذين قـالـوهـا . ونبحث في الثـاني كيف تُصـوّر تلـك الأشعـار أخـلاق النبي ﷺ وشخصيتـه بحثـاً موجزا .

اذا نظرنا الى المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ عرض لنا أمران : الأول أنّ الاشعار التي نُظمت في رثاء رسول الله ﷺ لم تجمع في كتاب ، ولم يفرد لها بحث مستقل ، او فصل قائم بـذاتـه ، في أيّ من كتب السيرة النبوية أو المطوّلات التاريخيّة أو الأخبار الأدبيّة . فلذلـك يقول الأديب النـاقـد محمد عبـد الغني حسن في مقـالتـه (مراثي الشعراء للرّسـول عليـه السـلام) : « وعجيب جـدا أن تمر على الأمـة العربيـة الاسـلاميـة هـذه القرون الطويلة ، وأن تمر على وفاة هاديها وزعيمها محمد بن عبـد الله أكثر من ثلاثة عشر قرناً فلا تجد موضوع وفاته ﷺ مضموما ملوما ، كما تجد موضوع مولده ، وانّما يصادف القارئ عن وفاة النبي نبـأ هنـا ، أو مرثيّـة هناك »[1] .

والأمر الثاني : هو أنّ المراثي التي قيلت في النبي ﷺ قليلة جدا ، لم ترد بعدد كبير كما كنا نتوقع . فغريب جدّا أنّ الشعراء الذين قالوا الشعر

(١) دراسـات في الادب العربي والتـاريخ بقلم محمد عبـد الغني جسن ، الـدار القوميّـة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مقالة (مراثي الشعراء للرسول عليه السلام) ص ١٤٩ .

في كل حادثة من حوادث حياة الرسول ﷺ حتى في أقلها شأنا ، لم يقولوا شعرا كثيرا في وفاته عليه السلام وهي بلا شك أعظم فادحة نزلت بالأمة الاسلامية في تاريخها كله .

وعجيب أيضا أنّ الطّبري وابن الأثير لم يذكرا في تاريخهما مرثية واحدة من مراثي الشعراء للرسول ﷺ . وأمّا ابن كثير الذي هو اكثر المؤرّخين نقلا للأشعار فلم يورد إلا قصيدتين في رثاء النبي ﷺ . وهذه الظاهرة هي التي حملت محمد عبد الغني حسن على ان يقول ان المؤرخ الوحيد الذي لم يغفل ذكر مراثي الشعراء للرسول ﷺ في كتابه هو ابن هشام صاحب السيرة النبوية[٢] . وهذا القول ليس بصحيح تماما ، لأن هناك مؤرخاً آخر ايضا أعطى هذا الموضوع حقه الواجب ، هو محمد بن سعد فإنّه أورد في « طبقاته » مراثي الشعراء الكثيرين للرسول ﷺ في حين أن ابن هشام لم ينقل في « سيرته » إلا أشعار حسّان بن ثابت في رثائه ﷺ .

مراثي حسان للنبي ﷺ :

وليس من العجيب أن حسان بن ثابت له حظ أوفر من المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ لِمَا نعرف من كونه شاعر النبي ، واتصاله به وقربه منه الشديدين وتنصيبه نفسه للدفاع عنه وعن دعوته . فرُوي لحسان خمسة أشعار في هذا الموضوع[٣] وأطولها قصيدته الدالية التي تبلغ

(٢) الكتاب نفسه والمقالة نفسها ، ص ١٥٠ .

(٣) انظر هذه الأشعار في ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار صادر بيروت ص ٥٤ ـ ٥٩ ، ٦٣ ، ٩٤ ، السيرة النبوية لابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى النقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ـ دار احياءالتراث العربي ، بيروت لبنان ج ٤ ص ٣١٧ ـ ٣٢٢ ، كتاب الطبقات =

عدّة أبياتها ستّة وأربعين بيتا ومطلعها :

بِطَيْبَـــةَ رَسمٌ للرســول ومعهـــدُ   منير وقــد تعفــو الرسـومُ وتَهْمــدُ

ومراثي حسان كلها تصور بوضوح أثر التفجع البالغ بوفاة النبي ﷺ في نفس الشاعر ، وتنهمر فيهـا شـاعريّتـه الغزيرة عن سيل من عواطف الحزن والوجد الشديدة الصادقة ، فننقل هنا بعض الأبيـات من قصـائـده المتفرقـة على سبيـل المثـال لكي نرى كيف تـأثر حسّـان بن ثـابت بـوفـاة الرسول ﷺ وإلى أيّ حد تفجع به .

وجهي يقيـــك الترب لهفي ليتني   غُيبتُ قبلـك في بقيـع الغرقــد

بـأبي وأمي من شهـدتُ وفـاتـه   في يــوم الاثنين النبي المهتــــدي

فظللت بعــد وفـــاتـــه متبلّـــدا   متلـــددا يـــاليتني لم أولــــد

أأقيم بعـدك بـــالمـــدينـــة بينهم   يـــاليتني صُبّحتُ سَم الأســـود

يــا بكر آمنــة المبــارك بكرهــا   ولـدتــه محصنــة بسعــد الأسعــد

نــورا أضــاء على البريــة كلهـــا   من يُهد للنــور المبــارك يهتــدي

يــا رب فــاجمعنــا معــا ونبينــا   في جنـــة تثني عيــون الحُسّـــد

في جنّـة الفردوس فـاكتبهـا لنــا   يــاذا الجـلال وذا العـلا والسـودد

• • •

فليتنـــــا يــوم واروه بملحـــــده   وغيبــوه وألقــوا فــوقــه المــدرا

لم يترك الله منـــا بعــده أحـــدا   ولم يَعِشْ بعــــده أنثى ولا ذكرا

• • •

فبَكّي رســولَ الله يـــا عينٌ عبرة   ولا أعرفنك الـدهرَ دمعـك يجمـدُ

= الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي بتصحيح ادوارد سخـو ، دار المعرفـة للطبـاعـة والنّشر ، بيروت ، لبنان ـ ج٢ ق٢ ص٩٠ ـ ٩٢ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م مكتبة المعارف ، بيروت ، ج٥ ص٢٨٠ ، ٢٨١

ومالك لا تَبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمدُ
فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهرَ يوجد

ولم يكن حسان وهو يرثي رسول الاسلام معبّراً عن نفسه وحده . أو عن المسلمين بصفة عامة ، بل أيضاً صوّر مصيبة الأنصار في النبي ﷺ أدق تصوير حتى لقد خشي على مصير الأنصار بعد وفاته عليه السلام . وما أصدقه وهو يقول في هذا المعرض :

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المُغيَّب في سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلادُ فأصبحوا سُودا وجوههم كلون الإثمد

ولم يحزن بوفاة رسول الله ﷺ الناس فقط بل تفجعت عليه البقاعُ والبلاد والأماكن التي فقدت ماعهدت وعرفت في حياته . وصارت كلها موحشةً كئيبة الا بقعة معمورة بلحده ، هي البقعة التي ضمت جسده الطاهر . فيقول حسان :

وامست بلاد الحرم وَحشا بقاعها لغيبة ما كانت من الوحي تعهدُ
قفارا سِوَى معمورة اللحد ضافها فقيدٌ يبكيه بلاط وغَرْقَدُ
ومسجده فالموحشات لفقده خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم اوحشت ديار وعرصات وربع ومولِد

ولا عجب أن أزواج النبي ﷺ هنّ أشد الناس تفجعا بموته عليه السلام فبئسن ويئسن من الحياة حتى صرن كالرواهب الزّاهدات ، هكذا يقول حسان بن ثابت في هذين البيتين له :

أمسى نساؤك عطّلْن البيوتَ فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي

مراثي كعب بن مالك :

وعجيب جدا أن كعب بن مالك ـ وهو من نعرف منزلته عند

رسول الله ﷺ ودفعه الأذى عنه عليه السلام والقصائد الغراء التي قالها لأجل ذلك ـ لم يقل شعراً كثيرا في وفاته ﷺ ولم يُرو له بهذه المناسبة إلا ثلاثة أشعار صغيرة ، والشعر الأول[٤] مطلعه :

يا عين فابكي بدمع ذَرَى لخير البريّة والمصطفى

والثاني[٥] مطلعه :

وباكية حراء تحزن بالبكا وتلطم منها خدّها والمقلدا

والثالث[٦] مطلعه :

ألا أنعى النبيّ إلى العالمينا جميعا ولا سيما المسلمينا

ولكن محمد عبد الغني حسن لم يذكر الا الشعر الثاني فيظهر أنّه لم يقف على الشعرين الآخرين .

ومن الغريب أنّ ابن هشام لم يرو شيئاً من شعر كعب بن مالك في رثاء النبي ﷺ وهو الذي أورد في سيرته كثيراً من أشعار كعب في مناسبات أخرى وحفظها من الضياع . ونورد هنا بعض أبيات كعب نموذجا لشعره في رثاء النبي ﷺ :

فُجعنا بخير الناس حيا وميتا وأدناه من ربّ البرية مقعدا

وأفظعهم فقدا على كل مسلم وأعظمهم في الناس كلهم يدا

لقد ورثت أخلاقه المجد والتقى فلم تلقه إلا رشيدا ومرشدا

---

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، الطبعة الأولى مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٦ م / ١٩٨٦ هـ ، ص ١٧٣ ؛ طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٢ ، ٩٣ .

(٥) ديوان كعب بن مالك ص١٩٨ ، دراسات في الأدب العربي والتاريخ لمحمد عبد الغني حسن ، ص١٢١ .

(٦) ديوان كعب ص٢٨١ .

ألا انعى النبيّ لأصحـــابـــه ... وأصحـاب أصحـابـه التـابعينـا

• • •

الا انعى النبيّ الى من هـــدى ... من الجن ليلـــة اذ تسمعـونـــا
لفقـــد النبيّ إمـــام الهـــدى ... وفقـــد المـلائكـــة المنزلينـــا

مرثية عبد الله بن أنيس :

ومن الشعراء الذين رثوا رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس وكان من الصحابة الذين شهدوا بيعة العقبة ، ومن الأوائل الـذين تسـابقوا الى قتل ابن أبي الحُقَيق . وكان أيضاً شاعراً ، قد روى ابن هشـام بعض اشعـاره . وقد أورد محمد بن سعد شعراً له في رثاء الرسول ﷺ(٧) مطلعه :

تَطـــاول ليلى واعترتني القـوارع ... وخطبٌ جليـلٌ للبليـة جـامـعُ

ومن هذه القصيدة :

فلـو رَدَّ ميتـاً قتـلُ نفس قتلتُهـا ... ولكنّـه لا يـدفـعُ المـوتَ دافـعُ
فـآليت لا اثني على هلك هـالـكٍ ... من النـاس مـا أوفى ثبيرٌ وفـارعُ
ولكنني بــاك عليـــه ومُتبـعٌ ... مصيبتـــه إنّي الى الله راجـــعُ
وقـــد قبض الله النبيّين قبلــــه ... وعـادٌ أصيبت بـالرُّزى والتبـابـع

ومن هذه القصيدة أبيات يطلب فيها الشـاعر الى قريش أن يقلّـدوا إمارة المسلمين بعـد وفـاة النبي ﷺ واحـداً من الثلاثـة : أبي بكر ، وعُمر وعلي رضي الله عنهم ، وهي

فيـاليت شعري من يقـوم بـأمرنـا ... وهـل في قريش من إمـامٍ ينـازع
ثـلاثـة رهـط من قريش هُمُ هم ... أزمـة هـذا الأمر والله صـانـع
عليٌّ أو الصـديـق أو عُمَرٌ لهـا ... وليس لهـا بعـد الثـلاثـة رابـع

(٧) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٠ .

فإنْ قال منّا قائل غير هذه أبينا وقلنا اللهُ راءٍ وسامع
فيالقريش قلدوا الأمر بعضهم فإنّ صحيح القول للنّاس نافع

مرثية أبي سفيان بن الحارث :

ومن قائلي المراثي في النبي ﷺ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عمه عليه السلام ، وقد أسلم يوم فتح مكة ، وكان قبل ذلك من شعراء قريش الذين هجوا رسول الله ﷺ ، وبعد إسلامه صار من مؤيّدي الرسول ﷺ ودينه . فلما توفي رسول الله ﷺ رثاه أبو سفيان بأبيات رواها ابن كثير في تاريخه[8] ، وانفرد بذكرها ابن كثير ، ولم يذكرها ابن هشام او أحد من المؤرخين . ومطلع القصيدة :

أرِقْتُ فباتَ لَيْلِي لا يزولُ وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ

ومن هذه القصيدة :

لقد عظمت مصيبتُنا وجلّت عشيّةَ قيل قد قُبض الرسولُ
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبُها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرئيلُ

ومنها أيضا :

نبي كان يجلو الشكَّ عنا بما يُوحَى اليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسولُ لنا دليلُ

مرثية أبي ذُؤيب الهذلي :

ومما قيل في رثاء النبي ﷺ ستةُ أبيات رويت لأبي ذؤيب الهذلي[9] ومن

(٨) البداية والنهاية ج٥ ص٢٨٢ [وقد نقلها ابن كثير عن كتاب الروض الأنف (٢ : ٣٧٩ ـ ٣٨٠) للسهيلي] .

(٩) شرح شواهد المغني تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (لجنة التراث العربي ـ دمشق ١٩٦٦ م) ج١ ، ص٣٠ ، ٣١ [وانظر الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة أبي ذؤيب الهذلي ، والروض الأنف للسهيلي ٢ : ٣٧٩] .

هذه الأبيات :

كُسفت لمصرعه النجومُ وبدرُها وتَـزَعْـزَعَتْ آكامُ بطن الأبطح
وتحركت آجـامُ يثرب كلها ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرتُ الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح

مراثي أبي بكر :

الى الآن كنّا نبحث عن المراثي التي قالها رجال عُرفوا بالشعر ولا يُشك في كونهم شعراء ، ولكن ما بال أولئك الثلاثة الذين كانوا أشد الناس اتصالا بالنبي ﷺ وأكثرهم حظوة عنده ألم يقولوا بيتا في وفاة الرسول ﷺ ، وهي أفدح حدث نزل بهم وبالمسلمين ، بلى إنّهم أيضاً قالوا الشعر في رثاء النبي ﷺ ، وإن لم يكونوا شعراء بالمعنى المتعارف . فلا عجب في ذلك اذ نذكر أنّ الشعر كان أقوى وسيلة اتخذها العرب في ذلك الزمان للتعبير عن تأثراتهم وانفعالاتهم وعواطفهم ، كما لا عجب في أن وفاة الرسول كانت فجيعة عظيمة حلت بالمسلمين وصدمتهم صدما شديدا حتى إنّ الذين لم يكونوا شعراء منهم اندفعوا يقولون الشعر فيها .

وهذا أبو بكر الصديق قد رُويت له ثلاثة مقاطيع في بكاء حبيبه الرسول(١٠) فنذكر هنا بعض هذه الأبيات على سبيل المثال :

فكيف الحياةُ لفقد الحبيبِ وزينِ المعاشر في المشهدِ
فليت الممات لنا كلّنا وكنّا جميعا مع المهتدي

• • •

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غُيِّبتُ في جدثٍ عليّ صُخُورُ
فلتحدُثَنّ بدائعٌ من بعده تعيا بهنّ جوانحٌ وصدورُ

• • •

(١٠) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٨٩ ، ٩٠

ليتَ القيامةَ قامت بعد مهلكه ... ولا نرى بعده مالا ولا ولدا
والله أثني على شيء فجعتُ به ... من البرية حتى أدخل اللحدا
كم لِيَ بعدكَ مِن هَمٍّ يُنصِّبني ... اذا تذكرتُ أني لا أراك بدا

مرثية عمر :

وهذا عمر بن الخطاب يسكب حزنه الشديد البالغ لفراق النبي ﷺ في شعر له كله عاطفة عميقة وتفجع شديد . فهذا نصه كما ورد في « الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق » لأبي الحسن الباهلي[١١] :

مازلتُ مذ وُضع الفراش لجنبه ... وثوى مريضا خائفا أتوجعُ
شفقا عليه أن يزول مكانه ... عنّا فنبقى بعده نتفجع
نفسي فداؤك ! من لنا في أمرنا ... أم من نشاوره إذا نتوجع ؟!
وإذا تحل بنا الحوادث من لنا ... بالوحي من ربّ رحيم يسمع ؟
ليت السماء تفطرت أكنافها ... وتناثرت منها النجوم الطلع !
لمّا رأيتُ الناس هدَّ جميعَهم ... صوتٌ ينادي بالنعيّ فيسمع
وسمعتُ صوتاً قبل ذلك هَدّني ... عباسُ ينعاه بصوت يفظع
فَلْيبْكِه أهلُ المدائن كلها ... والمسلمون بكل أرض تجزع

مرثية علي بن أبي طالب :

وقد روى الباهلي في « الذخائر » خمسة أبيات قالها عليٌّ بن أبي طالب في بكاء النبي ﷺ[١٢] فهي كما يلي :

---

(١١) نقلا عن دراسات في الأدب العربي والتاريخ لمحمد عبد الغني حسن ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ والبيت الأول منه في جمهرة أشعار العرب تأليف أبي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي - دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، ص٣٧ .

(١٢) نقلا عن دراسات في الادب العربي والتاريخ ص١٦٥ . والبيت الأول منها في جمهرة أشعار العرب ص٣٧ .

ألا طَرَق النـــاعي بليــل فراعني ... وأرقني لمــا استقــل منــاديــا !
فقلت لــه لمــا رأيتُ الـــذي أتى ... أغير رسـول الله ان كنت نـاعيـا
فحقـق مـا أشفقتُ منــه ولم يبـل ... وكان خليلي عــزة وجمـــاليـــا
فـوالله مـا أنسـاك أحمـد مـا مشت ... بي العيسُ في أرض وجاوزتُ واديـا
وكنت متى أهبط من الأرض تلعةً ... أرى أثرا منـه جـديـداً وعــافيـا

مراثي النساء :

لم ينفرد الرجـال برثـاء النبي ﷺ بـل شـاركتهم النســاء أيضـاً في ذلك . ومصادرنا تروي بهذه المنـاسبـة أشعـاراً لفـاطمـة بنت محمـد ﷺ . وصفية بنت عبد المطلب ، وأروى بنت عبد المطلب ، وعاتكة بنت عبـد المطلب ، وهنـد بنت الحـارث بن عبـد المطلب ، وهنــد بنت أثــاثــة ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وأمّ أيمن .

فاطمة :

واما فاطمـة الزهراء فقـد رُويت لهـا ثلاثـة أشعـار في رثـاء أبيهـا . ومنها شعر ذكره أبو إسحاق الحُصري[١٣] ونقله الأستـاذ عمر رضـا كحـالـة في موسوعة « أعلام النساء »[١٤] . والأبيات كما يلي :

اغبرّ آفـــاق السماء وكُـــوّرت ... شمسُ النهـــــار وأظلم العصرانِ
فـالأرضُ من بعـد النبيّ كئيبـةٌ ... أسفــاً عليـــه كثيرةُ الرجفـــانِ
فليبكــه شرقُ البـلاد وغربهـــا ... وليبكـــــه مضر وكل يمـــــاني
وليبكـــه الطـور المعظم جـوه ... والبيت ذو الأستـــــار والأركان
يـا خـاتم الرسـل المبـارك ضـوؤه ... صلى عليـــك منزّلُ الفرقـــان

(١٣) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٣ م دار الجيل بيروت ، ج١ ص٧٠ [وانظر الروض الأنف ٢ : ٣٨٠] .

(١٤) ج٣ ص١٢٠٤ ، نقلا من دراسات في الأدب العربي والتاريخ ص١٦٦ .

والشعر الثاني يتكون من بيتين قالتها فاطمة وهي تقف على قبر النبي وتبكي[١٥] :

مـاذا على من شَمّ تربـةَ أحمـدٍ ألاّ يشمّ مدى الزمان غواليا ؟
صُبت عليّ مصائبٌ لـو أنهـا صبت على الأيـامِ صرن لياليـا

والشعر الثالث أيضاً مؤلف من بيتين قالتها وهي تقف على قبر أبيها :[١٦]

إنّـا فقدناك فقـدَ الارضِ وابلَهـا وغاب مذ غبت عنّا الوحيُ والكتبُ
فليت قبلك كان الموت صادفنـا لّما نعيت وحالت دونك الكثب

صفية بنت عبد المطلب :

وأما صفية عمة النبي ﷺ فلها أكبر نصيب من مراثي النساء في الرسول . وقد روى محمد بن سعد لها سبعة أشعار في رثاء النبي ﷺ[١٧] . وعلاوة على هذا ذكر الباهليّ في « ذخائره » قصيدة يائية لها في رثاء النبي ﷺ[١٨] . وليس في وسعنا أن ننقل هذه الأشعار كلها . ولذلك نكتفي بذكر أبيات متفرقة منها على سبيل المثال :

مـا لعينيّ لا تجـودان ريـا إذْ فقـدنـا خير البريـة حيّـا
يـوم نـادى الى الصـلاة بـلال فبكينـا عنـد النـداء مليـا
لم اجـد قبلهـا ولست بـلاق بعـدهـا غصّـة أمرّ عليـا

• • •

اذْ رأينـا بيـوتـه مـوحشـات ليس فيهنّ بعـد عيش حبيبي

---

(١٥) أعلام النساء لعمر رضا كحالة ، نقلا من دراسات في الأدب العربي والتاريخ ص١٦٧ .

(١٦) أعلام النساء ، نقلا عن دراسات .....ص١٦٧ .

(١٧) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٤ - ٩٦ .

(١٨) نقلا عن دراسات .... ص١٦٨ ، ١٦٩ .

اورث القلبَ ذاك حزنا طويلاً خالط القلب فهو كالمرعوب
ليت شعري وكيف أمسي صحيحا بعد أن بينَ بالرسول القريب

• • •

فأوحشت الأرضُ من فقده وأي البريـة لا يُنكبُ
فماليَ بعدك حتى المما ت إلا الجوى الداخلُ المُنصِبُ

• • •

فإمّا تُمسِ في جَدَثٍ مقيماً فقِدْماً عشت ذا كرم وطيبِ
وكنتَ موفَقاً في كل أمر وفيما ناب من حدث الخطوب

أرْوَى بنت عبد المطلب :

وروى ابنُ سعد لأروى بنت عبد المطلب عمة النبيّ الأخرى شعرين في رثائه عليه السلام[١٩] ، والأول مطلعه :

ألا ياعين ويحك أسعديني بدمعك ما بقيتِ وطاوعيني

والثاني مطلعه :

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءنا وكنتَ بنا برّا ولم تكُ جافيا

على أنّ ابن عبد البرّ قد نسب هذا الشعر الى صفية بنت عبد المطلب[٢٠].

ومن أبيات أروى :

وكنتَ بنا رَؤفا رحيما نبيّنا ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبيَّ لموته ولكن لهرجٍ كان بعدك آتيا
كأنّ على قلبي لذكر محمد وما خِفتُ من بعد النبيّ المكاويا
صبرتَ وبلّغتَ الرسالة صادقا وقمت صليب الدين أبلجَ صافيا

(١٩) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٢ .

(٢٠) كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، الطبعة الاولى حيدراباد ١٣١٨ هـ ، ص٢٠ .

فلو أنّ ربّ الناس أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمرنا كان ماضيا
عليك من الله السلامُ تحيّةً وأُدخلتَ جنّاتٍ من العَدْنِ راضيا

عاتكة بنت عبد المطلب :

وأما عاتكة بنت عبد المطلب عمة أخرى للنبي ﷺ فرويت لها ثلاثة أشعار في بكاء الرسول ﷺ [٢١] . واليكم بعض هذه الأبيات التي يتدفق فيها حزنها العميق لفراق النبي ﷺ :

عينيَّ جودا طَوالَ الدهر وانهمرا سكباً وسُحّا بدمع غير تعذير
ياعين فاسْحَنفري بالدمع واحْتفلي حتى المات بسَجْلٍ غير منزور

• • •

أعَيْني ماذا بعد ماقد فُجعتُمَا به تبكيان الدهر من وُلْد آدم
فجودا بسَجْلٍ واندبا كل شارق ربيع اليتامى في السنين البوازم

• • •

ياعين فاحتفلي وسُحّي واسجمي وابكي على نور البلاد محمد
أنى لكِ الويلاتُ مثلُ محمد في كل نائبة تنوبُ ومَشْهَدِ
فابكي المبارك والموفّق ذا التقى حامي الحقيقة ذا الرشاد المُرشدِ

هند بنت الحارث بن عبد المطلب :

ورثت رسولَ الله هند بنت الحارث بن عبد المطلب ابنة عمّه عليه السلام بأبيات رواها ابن سعد[٢٢] ، منها :

لقد أتتني من الأنباءِ مُعْضِلَةٌ انّ ابن آمنة المأمونَ قد ذهبا
انّ المبارك والميمون في جدث قد ألحفوه ترابَ الأرض والحَدَبا

(٢١) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٣ ، ٩٤ .
(٢٢) المرجع نفسه ص٩٦ ، ٩٧ .

أليسَ أوسطكم بيتــــاً وأكرمكم خـالاً وعمـاً كريـاً ليس مـؤتشبـا

هند بنت أثاثة :

قالت هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف ثلاثة أشعار في رثاء النبي ﷺ(٢٣) . ويكفينا هنا أن ننقل واحدا من هذه الأشعـار كما رواها ابنُ سعد دلالة على طبيعة شعرها :

قــد كان بعــدك أنبــاءٌ وهنبثــةٌ لو كنت شاهدهـا لم تكثر الخطبُ
إنّـا فقـدنـاك فقـد الأرض وَابلَهـا فاختَلْ لقومك واشهـدهم ولا تَغِبِ
قد كنتَ بـدرا ونوراً يستضـاء بـه عليـك تنزل من ذى العزة الكتبُ
وكان جبريـلُ بـالآيـات يحضرنـا فغـاب عنّـا وكلُّ الغيبِ محتجبُ
فقــد رُزئتُ أبـاً سهـلاً خليقتُــه محض الضريبـة والأعراق والنسبِ

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل :

وقد روى ابنُ سعد لعاتكة بنت زيـد بن عمرو بن نفيل قصيـدة في رثاء الرسول ﷺ(٢٤) ، منها هـذه الأبيـات التي تصور فيهـا حـالـة أزواج النبي ﷺ بعد انتقاله الى رحمة الله :

وأمْسَتْ نِســاؤكَ مـــا تستفيــقُ من الحــزن يعتــادُهــا دَيْنُهــا
وأمْسَتْ شــواحبَ مثــل النصــا ل قـــد عُطّلت وكبــا لــونُهــا
يعـالجن حـزنـاً بَعيـدَ الـذهـابِ وفي الصـــدر مكتنـعٌ حَيْنُهـــا
يضرّبْن بـــالكفّ حُرّ الـوجـوه على مثلـه جـادهـا شُـونُهـا

أمّ أيمن :

ولا تبقى من النساء القائلات الشعر في رثاء الرسول ﷺ الا واحدة

---

(٢٣) المرجع نفسه ص٩٧ .

(٢٤) طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٩٧ ، ٩٨ .

وهي أم أيمن مولاة النبي ﷺ فرويت لها أبيات تبكي فيها النبيّ ﷺ(٢٥) ، منها :

فلقد كانَ ماعلمتَ وصولا ولقد جاء رحمةً بالضياءِ
ولقد كان بعد ذلك نوراً وسراجاً يضيء في الظلماء
طيب العود والضريبة والمعد ن والخيم خاتم الأنبياءِ

أخلاق النبي ﷺ وشخصيته على ضوء المراثي

لنحلل الآن مراثي الشعراء للرسول ﷺ لنتبين كيف تصور وتبرز تلك الأشعارُ شخصيته عليه السلام وأخلاقه وشمائله . ومن البديهي أن المرثية التي قيلت في شخص ، تلقي أضواء على شخصيته وأخلاقه ، لأن الشاعر حين يرثي الفقيد يذكر في شعره محاسن أخلاقه ومميزات شخصيته ، عن عمد أو عن غير قصد . والشعراءُ يفعلون ذلك في المديح أيضا ، ولكنّ المدح كثيراً ما تشوبه عناصر التملق والتكلف والتظاهر وعدم الاخلاص . وأمّا المرثيةُ فقائلها يكون ، في أكثر الأمر ، صادقا مخلصا فيا يقول ، وبذلك يجيء شعره صورة صادقة حقيقية لشخصية الميّت وأخلاقه . فإذاً ، نستطيع أن نستمد صورة واضحة لشخصية النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله من المراثي التي قيلت فيه عليه السلام .

شرف نسبه :

وأول شيء لا بدّ أن يذكر حين ندرس شخصية رجل هو نسبه ، لانّه هو الأصل الذي تتولد منه . ومشهور أنّ النبي ﷺ كان قد وَلد في أشرف بيوت العرب أي بني هاشم ، في أشرف قبيلتهم ، أي قريش فهو أفضل العرب بيتاً ، وأعزهم نفراً . وأخلصهم نسبا قد ذكر هذه الحقيقة

(٢٥) المرجع نفسه ج٢ ق٢ ص٩٨ .

شُعراءُ المراثي للرسول ﷺ في أبيات متفرقة . ومنها[٢٦] :

لـــه حسب فـوق كل الأنـــا م من هــــاشم ذلـــك المُرتَجى
(كعب بن مالك)

أعيْنَي جُودا بـالـدمـوع السـواجم على المصطفى بالنّور من آل هاشم
(عاتكة بنت عبد المطلب)

أليس أو سَطَكم بيتـــاً وأكرمَكم خـالاً وعمّاً كريمـا ليس مؤتشبـا
(هند بنت الحارث بن عبد المطلب)

وحقيقةٌ أن محمداً ﷺ كان ابن آمنة قد وردت في هذين البيتين :

لقــد أتتني من الأنبــاء مُعضِلــة ان ابن آمنـة المـأمـون قـد ذهبـا
(هند بنت الحارث بن عبد المطلب)

يــابكر آمنــة المبــارك بكرهــا ولـدتـه محصنـة بسعـد الاسعـد
(حسان بن ثابت)

فضائل أخلاقه :

قد جمع الله في شخص النبي ﷺ من خصال الكمال ومكارم الأخلاق مالا يحيط بها حدّ ولا يحصرها عدّ . فقـال سبحـانـه وتعـالى في كتـابـه الكريم : ﴿ وإنّـك لعلى خلق عظيم ﴾[٢٧] . فقـد جـاء في « المُـوطّـأ » أن رسول الله ﷺ قال :« بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق » وقالت عائشـة رضي الله عنها : « كان خَلقه القرآن » .

وإنّ المراثي التي قيلت في رسول الله ﷺ تلقي الضـوء على كثير من محاسن أخلاقه عليه السلام وإن لم تذكرها جميعاً . ومـا أصـدق من قـال هذا البيت :

---

(٢٦) ذُكرت أسماء الشعراء بين القوسين .

(٢٧) سورة القلم الآية ٤ .

كان المصفاءَ في الأخلاق قد علموا وفي العفاف فلم نعدل به أحدا
(أبو بكر الصديق)

كان رسول الله ﷺ برّا ورؤوفا ورحيا الى الحد الأقصى . وهذا ما يذكره هذا البيت :

ألا يارسول الله كنتَ رجاءنا وكنتَ بنا برّا ولم تك جافيا
(أروى بنت عبد المطلب)

وكان صافيا طاهرا من جميع الأدناس الأخلاقية :

من فقد أزهر صافي الخلق ذي فخر صاف من العيب والعاهات والزورِ
(عاتكة بنت عبد المطلب)

وكان مثلا كاملا للبرّ والعدل والتقى والحلم والندى والحزم والعزم والدّعوة الى الخير والرحمة . فانظر الى هذه الأبيات كيف تصور هذه الأخلاق السّامية الشريفة :

على المُرتَضى للبر والعدل والتُّقَى وللدين والاسلام بعد المظالم
على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى وذي الفضل والداعي لخير التراحم
(عاتكة بنت عبد المطلب)

حازما عازما حليما كريما عائدا بالنوال برّا تقيّا
(صفية بنت عبد المطلب)

وأمّا الوفاء فلم يخلق له فيه نظير ، وهذه الحقيقة مذكورة في هذين البيتين :

ولامشى فوق ظهر الأرض من أحد أوفى بذمة جار أو بميعاد
(حسان بن ثابت)

أعفّ وأوفى ذمةً بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا ينكد
(حسان بن ثابت)

وكان قائدا مظفرا ذا شجاعة نادرة فيقول الشاعر :

وَاري الزنـاد وقـوّاد الجيـاد إلى يـوم الطراد اذا شُبّتْ بـأجـذال

(حسان بن ثابت)

وأما الخطة التي غلبت على أخلاق محمد ﷺ فهي الرحمة . وكيف لا وهو الذي قال عنه سبحانه وتعالى : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .[٢٨] فكان غاية في الرحمة والرأفة والعطف والشفقة والسماحة والعفو . وهذه الحقيقة مذكورة في الأبيات التالية :

فـاتـح خـاتم رحيم رؤوف صـادق القيـل طيب الأثـواب

مشفـق نـاصـح شفيـق علينـا رحمـة من إلهنـا الـوهـاب

(صفية بنت عبد المطلب)

رحمـة كان للبريـة طرا فهـدى من أطـاعـه للسـداد

(صفية بنت عبد المطلب)

فلقـد كان مـا علمتُ وصـولا ولقـد جـاء رحمـة بـالضيـاء

(أم أيمن)

عفوٌّ عن الزلات يقبـل عـذرهم وان يحسنوا فـاللهُ بـالخير أجودُ

وان نـاب أمر لم يقومـوا بحملـه فمن عنـده تيسير مـا يتشـدّد

(حسان بن ثابت)

وكان رسول الله ﷺ كما وصفه القرآن : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[٢٩] ، وهذه هي الفكرة التي يتضمنها هذا البيت لحسان بن ثابت :

عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا

---

(٢٨) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

(٢٩) سورة التوبة ، الآية ١٣٨ .

ومن مظاهر رحمة رسول الله ﷺ إسعاده للفقير والمعدم والضعيف ، وحمايته للحق ، وحمله كَلَّ الناس ونصرته على النوائب . فانظر هذه الابيات كيف تصور هذه الناحية من أخلاقه عليه السلام :

حامي الحقيقة نسّال الوديقة فكّ (م) كاكُ العُناة كريمٌ ماجد عال
على رسول لنا محض ضريبته ... سمح الخليقة عفّ غير مجهالِ
كشّاف مكرمة مطعام مَسْغَبة ... وهاب عانية وجناء شِمْلالِ
(حسان بن ثابت)

فابكي المبارك والموفق ذا التقى ... حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المُغَلل غله ... بعد المُغيب في الضريح المُلْحَد
(عاتكة بنت عبد المطلب)

ثمال المعدمين وكُلّ جارٍ ... ومأوى كل مضطهَد غريب
(صفية بنت عند المطلب)

ولذلك لما مات رسول ﷺ فقد الفقراء والمساكين كل خير كما يقول الشاعر :

نبِّ المساكين أنّ الخير فارقهم ... مع النبيّ تولّى عنهم سَحَرا
(حسان بن ثابت)

وأما اليتامى فكان تفجُّعهم أكبر ، لأنهم فقدوا بموته ﷺ كافلهم وربيعهم :

فجودا بسجل واندبا كل شارق ... ربيع اليتامى في السنين البوازم
(عاتكة بنت عبد المطلب)

محمد رسولاً لله :

درسنا الى الآن أخلاق محمد ﷺ وشمائله إنساناً . ونبحث الآن كيف تُلقي المراثي التي قيلت فيه ضوءاً على شخصيته نبياً مرسلاً من عند الله .

واما صفاته رسولاً لله فليس أدل عليها من هذه الآية الكريمة : ﴿ يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيرا ○ وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا ﴾ .(٣٠) والأبيات الآتية تبيّن هذا الجانب من شخصية رسول الله :

وكان بشيراً لنا منذراً ونوراً لنا ضوؤه قد أضا
فانقذنا اللهُ في نوره ونجّى برحمته من لَظَى

(كعب بن مالك)

على الطاهرِ المرسلِ المُجْتَبَى رسول تخيّره ذو الكرم

(صفية بنت عبد المطلب)

قد كنتَ بدراً ونوراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ
وكان جبريلُ بالآيات يحضرُنا فغاب عنّا وكل الغيب محتجب

(هند بنت أثاثة)

نبيٌّ كان يجلو الشكّ عنّا بما يُوحَى اليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسولُ لنا دليلُ

(ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)

ولا شك أنّ محمداً ﷺ أدى الرسالة ، وبلّغ ما أُنزل اليه من ربه على أحسن وجه . وهذا ما تقول الشاعرة :

صبرتَ وبلغتَ الرسالةَ صادقاً وقُمتَ صليبَ الدين أبلجَ صافيا

(أروى بنت عبد المطلب)

محمد خاتم الأنبياء :

ومن الحقائق التي قررها القرآن ، وأجمعت عليها الأمةُ الاسلامية كلّها أن محمداً ﷺ هو خاتم أنبياء الله ولانبي بعده . وقد ذُكرت هذه

(٣٠) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

الحقيقة في البيتين الآتيين :

يـا خـاتم الرسـل المبـارك ضـوؤه   صلّى عليـــك منزّلُ الفرقـــانِ
(فاطمة الزهراء)

طيب العـود والضريبـــة والمعـ   ـــدنِ والخِيم خـــاتم الأنبيـــاء
(أم أيمن)

الرسول ﷺ نوراً وسراجاً :

كثيراً ما وصف النبيُّ ﷺنوراً او ضياءً او سِراجاً يُستضاء به . وهذا نظراً لما وصف الله به محمداً ﷺ في الآيتين المذكورتين آنفاً ﴿ ياأيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدا .... ﴾ الخ فقد جعله سراجاً منيرا . والأبيـات الآتيـة قد استخدمت هذا المعنى :

من الـذي كان نـورا يستضـاء بـه   مبـارك الأمر ذا حـزم وإرشـاد
(حسان بن ثابت)

كان الضيـاء وكان النـور نتبعـه   وكان بعـد الإلـه السمـع والبصرا
(حسان بن ثابت)

نخص بـــا كان من فضلـــه   وكان سراجــا لنـــا في الـدّجى
وكان بشيراً لنــــا منـــــذرا   ونـوراً لنـا ضـوؤه قـد أضـا
(كعب بن مالك)

فلقـــد كان مـــا علمت وصـولاً   ولقـد جـاء رحمـة بـالضيـاء
ولقـــد كان بعـــد ذلـــك نـوراً   وسراجـــاً يضيءُ في الظلمـــاء
(أم أيمن)

نــوراً اضـاء على البريـة كلهـا   من يهـد للنّـور المبـارك يهتـدي
(حسان بن ثابت)

محمد أشرف الخلق :

وما خصّ الله تعالى به محمداً ﷺ من اخلاق كريمة ومحامد جميلة جعلته أفضل الخلق على الاطلاق وارفع الناس درجة ، واكرمهم منزلة عند الله . وهذا حق لا يقبل الجدال عند المسلمين كافة . ولم يغفل شعراء المراثي للرسول ﷺ هذه الحقيقة ، بل أوردوها في أشعارهم . فننقل منها بعض الأبيات على سبيل المثال :

على خير من حملت نـــاقـــةً وأتقى البريـــة عنـــد التقى
على سيّـــدٍ مـــاجـــدٍ جحفـل وخير الأنـــام وخير اللهـــا

(كعب بن مالك)

والله مـــا حملت أنثى ولا وضعت مثـلَ النبيّ رسـول الأمّة الهـادي

(حسان بن ثابت)

خيرَ البريـــة إنّي كنتُ في نَهَرٍ جـارفـأصبحتُ مثـلَ المفردِ الصـادي

(حسان بن ثابت)

أعظم النـاس في البريـة حقـا سيّـد النـاس حُبُّـه في القلـوب

(صفية بنت عبد المطلب)

وأنّـك خير من ركب المطـايـا وأكرمهم اذا نُسبـوا جُـــدودا

(هند بنت اثاثة)

فُجعنـا بخير النّـاس حيـا وميتـا وأدنـاه من ربّ البريـة مقعـدا

(كعب بن ثابت)

وجدير بنا أن نختتم هذا البحث ببيت قاله حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ من قصيدة له في رثائه عليه السلام :

ومـا فَقَـد المـاضون مثـلَ محمّـد ولا مِثْلـه حتى القيـامـة يُفْقَـدُ

نواة لِمُعْجَمِ الموسيقى

(القسم الثالث)

الدكتور صادق فرعون

موضوع مضادّ . موضوع مقابل — 300 - COUNTER SUBJECT (E.)

في شكل الفوغة (ره) — CONTRESUJET (Fr.)

صوت مذكّر ثاقب ـ تسمية أخرى لصوت الآلتو — 301 - COUNTERTENOR (E.)

وهو الصوت الأعلى عند الذكر ويندر أن تتوفر — CONTRE - TENOR (Fr.)

هذه الطبقة عند الرجال ، لذا يُلجأ إلى الصبيان قبل تبدّل صوتهم عند البلوغ .

رقصة ريفّية : رقصة إنكليزية قديمة تتسم — 302 - COUNTRY DANCE (E.)

بالمرح والبساطة والإيقاع الواضح . — CONTRE DANCE (Fr.).

١ ـ وَصْلَة أو جملة موسيقية في مقطوعة الروندو (كوپليه) — 303 - COUPLET (Fr., E.)

٢ ـ وَصْلَـة : قوس يصل نوطتين موسيقيتين ويقسمها بـالتسـاوي أو تعزف الثـانيـة أقصر من الأولى ويليها صمت بما يعادل ماقصر منها .

كورانت . الرقصة الراكضة : رقصة سريعة — 304 - COURANTE (Fr.)

من رقصات المتتالية (السويت) لها نموذجان — CORRENTE, CORANTO (It.)

افرنسي متأنق وايطالي عجول وسريع .

تصعيد . كرِشَندو . تعبير موسيقي يقصد به زيادة — 305 - CRESCENDO (It.)

شدّة الصوت الموسيقي بالتدريج . يرمز لـه بسهم ذي سـاعـدين ذروتـه في البـدايـة وفتحته الواسعة في أوج التصعيد .

النقد الموسيقي : ابتدأ مع ظهور الصحف — 306 - CRITICISM (E.) - OF MUSIC

في ألمانية وانكلترة وفرنسة في القرن السـابع عشر — CRITIQUE D´ART (Fr.)

وبدء القرن الثامن عشر . وقد راج النقد الموسيقي في كل من ألمانيـة والنمسـا واشتهر العديد من النقّاد ، وعلى سبيل المثال النـاقـد الشهير هـانزليـك في ڤينـا (من ١٨٤٨ حتى ١٨٩٥) الذي تشيّع لشومان وبراهمز وناصب العداء كلاً من ليست وڤاغنر .

العلاقة الخاطئة في السلّم الكروماتي : اذا ورد في فن الكتابة الهارمونية لأربعة أصوات نوطة دو دييز (على سبيل المثال) في أحد الأقسام ونوطة دو عادية في تآلف تـال في قسم آخر اعتبر ذلـك علاقـة خـاطئـة ، وهو أمر يجب تجنّبـه في علم الهـارموني . أمـا مايسمح بـه فهو أن يتّم هـذا التحوّل الكرومـاتي في نفس القسم مثلاً : دو دييز ـ دو عادية في قسم التينور .
307 - FALSE RELATION (E.)
FAUSSE RELATION CHROMATIQUE (Fr.)

السوداء : نوطة موسيقية ، مدتها الزمنية رُبْعُ المستديرة (ومنها اسمها بالألمانية : الرُبْع) ونصف البيضاء وضعف ذات السن .
308 - CROTCHET (E.)
NOIRE (Fr.)
VIERTEL (G.)

علامة السكوت التي تَعْدِلُ السوداء أو رُبْع الزفرة
309 - CROTCHET REST (E.)
SOUPIR (Fr.)

مجموعة : مجموعة من الأغاني تجمع بينها فكرة واحدة ـ أو موضوع واحد ، يغلب أن تكون أشعارهـا مكتوبـة من قبل شـاعر واحـد .. من أشهر هذه المجموعات : الطحّانة الجميلـة شعر ڤيلهلم موللر وموسيقى فرانز شوبيرت ، ورحلة الشتاء للشاعر والمؤلف نفسيهما .
310 - CYCLE (E. Fr.) SONG

الشكل الدائري : معناه العام شكل من التأليف الموسيقي ذي حركات متعددة كما في المتتالية أو الصوناته أو السيمفونية . أما معناه الخاص الذي تبنّته المدرسة الافرنسية فيقصد بـه مؤلف ذي عدة حركات تربط بينها مواضيع موسيقية مشتركة بين هذه الحركات .
311 - CYCLIC FORM (E.)
FORME CYCLIQUE (Fr.)

صنوج معدنّية : ذات قبضات جلدية يضرب الواحد منها
312 - CYMBALS (E.)

بالآخر أو أن يضرب على الصنج بمضرب مطاطي أو بفرشاة CYMBALES (Fr.)
معظمها ليس له طبقة صوتية محدّدة .

313 - CZARDAS أو CSÁRDÁS
تشارداش : رقصة هنغارية شعبية متنوعة الإيقاع . لها عادة قسمان الأول بطيء حزين سوداوي يدعى LASSU والثاني سريع متأجج يدعى FRISS . يتكرر هذان القسمان بالتناوب مع بعض التغيير والتبديل أصل الكلمة مشتق من « تشاردا » « الحانة » .

314 - D, (E., G.)
Ré (Fr.)
ره هي الصوت الثاني في مقام دو . تكتب تحت السطر الأول في سلم مفتاح صول .

315 - DA CAPO (It.)
(D.C.)
عود على بَدْء : الترجمة الحرفية لهذا التعبير « من الرأس » . ويقصد به أن يعيد العازف الأداء من بداية المقطوعة .

316 - Dal SEGNO (It.)
SIGNE DE RENVOI (Fr.)
إشارة الإعادة : حرفياً تعني « من الإشارة » وهي تكتب عادة هكذا 𝄋 وتدلّ على أن على العازف أن يعاود الأداء منذ تلك الإشارة حتى إشارة مماثلة أو حتى كلمة النهاية FINE .

317 - DAMPING PEDAL (E.)
SOFT PEDAL OF PIANO
المِدْوَس الخانق (للصوت) أو المدوس المُخَفِّف : مدوس في أسفل البيانو يُضعِفُ صوت الآلة وذلك بتقريب المطارق من الأوتار أو بدفعها جانباً فتطرق وتراً واحداً عوضاً عن طرق ثلاثة ولذا دعى هذا بالمدوس الوحيد الوتر UNA CORDA .

318 - DESCANT DISCANT (E.)
DÉCHANT (Fr.)
دسكانتوس ـ الغناء الطباقي المُرْتَجَلَ : تعبير موسيقي قديم يعود للقرن الخامس عشر ومابعد ، عندما كانت الجوقة تقوم بـ « الترتيل البسيط » بنوطاته الموسيقية المديدة وتآلفاته التامة وحركته اللحنية المتشددة ، فيقوم مرتّل (أو أحياناً إثنان) بغناء لحن حرّ مرتجل مزيّن ومذوّق بما شاء من نوطات طالت أم قَصُرَتْ مع حركات لحنيه حرّة

شريطة أن تتآلف مع لحن « الترتيل البسيط » ومع تآلفاته . ولذا دُعي :
DISCANTUS SUPRA LIBRUMو CONTRA PUNTO ALLA MENTE أي الغناء على
الكتاب والطباق الذهني وهو ما يقرب من مفهوم التقاسيم الشرقية التي تنقصها
البوليفونية (تعدد الأصوات) .

أما في الأزمنة الحديثة فلم يعد يترك للإرتجال مجال بل يؤلف المؤلف كل
المقاطع وتُغنّى حسب تعليماته . وهناك اصطلاح موسيقي آخر قريب في معناه
وهو FABURDEN وهو تحريف للاصطلاح الافرنسي FAUX BOURDON .

الديسيبيل : وحدة لقياس قوة الصوت وهي أقلّ فارق 319 - DECIBEL (E.)
في قوة الصوت أو شدّته يمكن للأذن البشرية أن تميّزه . DECIBEL (Fr.)

بثبات بعزم ومنها صيغة التفضيل 320 - DECISO (It.) DICISSIMO

باسلوب إلقائي . 321 - DECLAMANDO (It.) أو
DECLAMATO (It.)

دي كرشندو . تنزيل أو تناقص قوة الصوت 322 - DECRESCENDO (It.)
تدريجياً وهي عكس رقم (٣٠٥) يرمز له بسهم ذي ساعدين قسمه العريض في بداية
الجملة الموسيقية وذروته في نهاية التنزيل .

صوت عميق 323 - DEEP VOICE (E.)
VOIX GRAVE (Fr.)

الدرجة أو الشهادة التي تمنحها الجامعات أو المعاهد 324 - DEGREE (E.)
الموسيقية بعد اتمام الدراسة والتقدم للفحوص المختلفة DEGRÉ (Fr.)
تدعى الشهادة الأولى « البكالوريوس » والدرجة العليا هو « الدكتوراة » وهناك
درجات أكاديمية أخرى كالعضوية أو الزمالة . وتختلف الدرجات بين بلدٍ وآخر .

برقّة (ديليكاتو) ، تعبير موسيقي . 325 - DELICATO (It.)

تغيير « الوضع » في الآلة الوترية بعيداً عن العنق وقريباً 326 - DEMANCHER (Fr.)
من المِسْنَد .

327 - DEMI SEMIQUAVER (E.) ثلاثية الأسنان : علامة موسيقية تبلغ مدّتها
TRIPLE CROCHE (Fr.) نصف مدة ذات السنّين .

328 - DEMI SEMI QUAVER REST (E.) ثُمن الزفرة : علامة صمت تعادل مدتها
HUITIEME DE SOUPIR (Fr.) ثلاثية الأسنان .

329 - DESINVOLTO أو DESINVOLTURA (It.) بطلاقة

330 - DESK (E.) حاملة النص : توضع عليها أوراق الموسيقي ليتمكن العازف
PUPITRE (Fr.) من قراءتها في أثناء العزف .

331 - DESTO (It.) بيقظة ـ ببهجة

332 - DETACHE (Fr.) عزف متقطّع : طريقة في العزف على الكمان تكون فيه النوطات منفصلة في أدائها عن بعضها البعض ، وهي قريبة من « الستاكاتو » ولكنها أقلّ تقطعاً منها وهناك « المنفصلة الكبيرة » GRAND DETACHE وتعزف كل نوطة بكامل القوس ، و « المنفصلة الصغيرة » PETIT D. تعزف النوطة بأعلى القوس ، و « المنفصلة الجافة » SEC D. وتدعى المارتوليه MARTELE أي التي تضرب ضرباً شديداً .

333 - DETERMINATO (It.) بعزم وتصميم

334 - DEVELOPMENT (E.) تطوير اللحن أو الموضوع الموسيقي : في شكل الصوناته
DEVELOPPEMENT (Fr.) وهو أحد أهم أشكال التأليف الموسيقي ، يبدأ المؤلف ١ ـ بعرض مواضيعه الموسيقية . ٢ ـ بتطويرها . ٣ ـ بإعادتها .

335 - DEVOTO (It.) بإخلاص

336 - DIAPASON (E. , Fr. etc.) شوكة التسوية ـ الدوزنة ـ TUNINGE FORK أو مزمار التسوية أو تعيين الطبقة PITCH PIPE . يعني أصل الكلمة الإغريقي : خلال الكلّ والمقصود بالكلّ كل الأوتار أو الأصوات . وهي حالياً على شكل شوكة معدنية تشبه حرف U اللاتيني ولها مقبض في أسفلها إذا قرصناها أو ضربناها تعطي

صوت « لا » وهو بحسب التعريف الدولي العلامة الناجمة عن ٤٣٥ اهتزاز في الثانية في جو حرارته ١٥ درجة مئوية . وهناك مزمار صفير اذا نفخناه يعطي نفس الطبقة ومنه أربعة مزامير ملتصق بعضها ببعض كأسنان المشط تعطي أربع علامات مثلا صول - ره - لا - مي وهي العلامات التي تُسوّى (تدوّزنُ) بها آلة الكمان والمزامير أقلّ دقةً وأكثر تعرضاً للتغيّر والتلف بفعل الرطوبة .

337 - DIAPENTE (It., etc.)

بُعْدُ الخامسة التامة عند الإغريق .

338 - DIAPHONY (E.)
DIAPHONIE (Fr.)

تثنية الصوت : بدأ مفهوم الهارموني (الانسجام) بالظهور في القرنين التاسع والعاشر ، وربما قبل ذلك ، بأن يضاف إلى « الترتيل البسيط » لحن مماثل للحن الأساسي ولكنه يسير موازياً له وبعيداً عنه بمسافة خماسية أو رباعية تامة وهو مادُعي بـ « بمُثنّى الصوت » أو « الأورغانوم » . ومازال تسمع هذه الطريقة في الأغاني الشعبية لبلدان عديدة ومتباعدة مثل إسلنده والبرتغال وجنوب إفريقية .

339 - DIATONIC (E.)
DIATONIQUE (Fr.)

السلّم القوي - السلّم الدياتوني - في الموسيقي العالمية سلّمان : قوي أو دياتوني وكروماتي أو ملوّن ، ويقسم القوي إلى كبير (ماجور) وصغير (مينور) . يتألف السلّم القوي من سبع علامات موسيقية تفصل بينها مسافات ببُعْدِ صوتٍ أو نصف صوت . أما السلّم الدياتوني الصغير الهارموني (الانسجامي) فيحوي مسافة ثنائية مُزْدادة . بينما يتألف السلم الملوّن من أنصاف صوت فقط . وعلى هذا فهناك مقاطع وفواصل وائتلافات دياتونية تُبنى من علامات السلّم الدياتوني وهناك بالمقابل مقاطع وفواصل وائتلافات كروماتيّة (ملوّنة) تشتق من علامات موسيقية ليست جزءاً من السلّم الدياتوني .

340 - DICTION (E., Fr.)

تجويد . الإلقاء الجيد سواء في الغناء أم الكلام

فَضْلَةٌ : ١ ـ معناها في النظام الموسيقي الإغريقي القديم 341 - DIESIS (E., Fr.)
مسافة ربع الصوت . ٢ ـ في النظام الموسيقي الحديث : هي الفارق النظري الزهيد الذي يوجد مابين علامة سي رافعة (دييز) ودو أو مابين دو (دييز) رافعة و ره (بيمول) خافضة . ٣ ـ في اللغة الإيطالية هي الرافعة (الدييز) ذاتها .

مُتَلاشي ، مُتَبَدِّد ، مُضْمَحِلّ . تعبير موسيقي أدائي 342 - DILUENDO (It.)

منقوص ، منقوصة (للمسافة أو البعد) رَ بعدها 343 - DIMINISHED (E.)
DIMINUÉ (fr.)

السابعة المنقوصة (المسافة ـــ) : 344 - DIMINISHED SEVENTH (E.)
SEPTIÈME DIMINUÉ (Fr.)
غالباً ماتصادف مع العلامة السابعة (الحساسة) وهي في أسفل الإئتلاف ، فمثلاً في سلّم دو (الكبير أو الصغير) نرى الائتلاف التالي : سي ، ره ، فا ، لا بيمول (خافضة) . فالمسافة بين سي ولا خافضة هي المسافة السابعة المنقوصة . لذا يدعى هذا الائتلاف : ائتلاف السابعة المنقوصة . وأصل هذا الائتلاف هو ائتلاف « السائدة » مع المسافة التاسعة الصغيرة (مينور) حُذِفَتْ منه « السائدة » . وهو ائتلاف شائع الاستعمال في الانتقال من مقام إلى آخر .

خفوت تدريجي ومتزايد في الأداء الموسيقي ، 345 - DIMINUENDO (It.)
يرمز له بسهم ذي ساعدين فتحته الواسعة في البداية وذروته في نهاية الخفوت .

التقصير وعكسها الإطالة : أن يُعْزَفَ لحنٌ 346 - DIMINUTON (E., Fr.)
بنصف قيمته الزمنية . رَ رقم (٩٧)

بكثير (أكثر ـــ) : تعبير موسيقي أدائي 347 - DI MOLTO (It.)

من جديد 348 - DI NUOVO) It.)

منفصلة (حركة ـــ) عندما يتحرك اللّحن 349 - DISJUNCT (E.) (MOTION)
DISJOINT (Fr.) (MOUVEMENT)
أو الصوت قفزاً بفواصل صوتية
رَ رقم ـ ٢٨٣ .

بقنوط ، بيأس : تعبير أدائي 350 - DISPERATO (It.)

تنافر الأصوات ، أو التنافر ، هو عكس 351 - DISSONANCE (E., Fr.)

الوفاق أو التوافق الصوتي (رَ رقم ٢٨٨) أو DISCORD (E., Fr.)

فالائتلاف المتوافق يعطي الأذن متعةً وراحة واستقراراً . أما الائتلاف المتنافر فيترك في الأذن والنفس قلقاً وتململاً ورغبةً في بلوغ الوفاق والاستقرار . هناك تنافرات أساسية FUNDAMENTAL وهي ائتلافات متنافرة بحدّ ذاتها كائتلاف السابعة (صول ، سي ، ره ، فا) أو التاسعة أو الحادية عشر ، وهناك تنافرات غير أساسية ، عابرة ، تنجم عن تعليق SUSPENSION علامة أو أكثر (أي مدّها أو مطّ زمن أدائها) على ائتلاف تالٍ مما يعطي تنافراً لا يلبث أن ينقشع عندما يُسمَعُ هذا الائتلاف التالي صافياً بعد صمت هذه العلامة أو العلامات المُتَلَكّئة .

دي فيرتيمنتو ـ موسيقى للترويح : هي 352 - DIVERTIMENTO (It.)

قطعة موسيقية سهلة الاسلوب مرحة الأجواء ، تتألف من عدة حركات يغلب أن تكون كلها من نفس المقام أو أن تنتقل إلى المسيطرة أو إلى المقام الصغير (المينور) القريب والشكل الموسيقي للحركات من النوع الثنائي . تشبه المتتالية إلى حدّ بعيد إن لم تكن نفسها .

مُقسّم : في العزف الأوركسترالي ، قد تحوي مقاطع 353 - DIVISI (It.)

من جزء الكمان الأول ـ مثلاً ـ على نوطات مزدوجة آنية ، DIVISÉS (Fr.)

فينقسم عازفو الكمان الأول إلى فريقين يعزف كل منهما طبقة من هذه العلامات عوضاً عن محاولة عزفها سوية .

خاشع ، تقي ، وَرِع . 354 - DIVOTO (It.)

بخشوع بتقى بورع . DIVOTAMENTE (It.)

الموسيقى الإثنى عشرية ـ رَ رقم ٩٣ ـ 355 - DODECAPHONIC (E.)

عذب رقيق (دولشه) بعذوبة ، برّقة 356 - DOLCE (It.) DOLCEMENTE (It.)

(دولشمانته)

357 - DOLCISSIMO (It.) منتهى العذوبة والرقّة (دولشيسّمو)

358 - DOLENTE (It.) DOLENTEMENTE حزن ، أسى ومنها بحزن بأسى

359 - DOLORE (It.) ألم

DOLOROSO (It.) مؤلم

DOLOROSAMENTE (It.) بإيلام

360 - DOMINANT (E.) المسيطرة . هي العلامة الخامسة في السلّم الموسيقي سواء منه الكبير (ماجور) أو الصغير (مينور) وهي أهم علامةٍ بعد الأساس (القرار) .

361 - DOMINANT CADENCE (E.) وقف المسيطرة أو مَحَطّها : من ائتلاف الأساس أو أي ائتلاف آخر إلى المُسيطرة - رَ رقم ١٨٢ . DEMI - CADENCE (Fr.)

362 - DOMINANT CHORD (E.) ائتلاف المُسيطرة : يتألف من ثلاث علامات هي المسيطرة والحسّاسة وفوق الأساس ، ACCORD DE DOMINANTE (Fr.) مثلاً في مقام دو الكبير هي : صول - سي - ره

363 - DOMINANT SEVENTH (E.) سابعة المسيطرة : هو ائتلاف المسيطرة تضاف له علامة تحت المسيطرة هكذا : SEPTIEME DE DOMINANTE (Fr.) في مقام دو (الكبير والصغير سواء) صول - سي - ره - فا .

364 - DOPO (It.) (AFTER (E.)) بَعْدَ .

365 - DOPPIO (it.) (DOUBLE (E.)) ضُعْفٌ ، مضاعف . تعبير موسيقي مثلاً : DOPPIO MOVIMENTO ضُعف السرعة : سرعة مضاعفة .

366 - DORIAN MODE (E.) المقام الدوري : واحد من مقامات« الترتيل البسيط » الذي كانت تتقيد به الكنيسة ، وهو من ره إلى ره الأعلى كا تعزف على ملامس البيانو البيض (رَ مبحث المقامات) .

367 - DOT , DOTTED NOTE (E.) نقطة . علامة منقوطة : اذا وضعت النقطة

بعد العلامة ، أي أيمنها (إذ إن الكتابة الموسيقية تبدأ من POINTE(Fr.) الأيسر وتتجه نحو الأيمن) فانها تزيد مدتها بنصف مقدارها فالسوداء المنقوطة على سبيل المثال تساوي سوداء + ذات سن ولم يكن الأمر بهذه الدقّة حتى أيام باخ وهاندل وكثيراً ماكان يترك أمر تحديد هذه الإطالة لذوق العازف وتقديره فكان يَزيدُها تارة ويُنقِصُها أخرى . وقد لاحظ ليو پولد موتسارت (١٧١٩ ـ ١٧٨٧) ذلك وهو والد الموسيقار الخالد ڤولفغانغ أماديوس موتسارت ، فأدخل النقطة المضاعفة التي تزيد قيمة العلامة الزمنية بمقدار نصف وربع أي بمقدار ثلاثة أرباع وكان ابنه أول مؤلِّفٍ موسيقيٍ شهيرٍ يستخدم النقطة المضاعفة وهي نقطتان توضعان أيمن العلامة الواحدة إلى جانب أختها .

الأپوجياتورا المضاعفة ـ علامة التحلية 368 - DOUBLE APPOGIATURA (E. It.) المضاعفة : هي علامتان (مضاعفة) أو ثلاث علامات (مثلّثة) TRIPLE تكتب بحجم صغير قبل العلامة الأساسية لتعزف قبلها بسرعة ودون نبرة (رَ رقم ١١) وقبل الزمن القوي (رَ رقم ١٣٤) مثل علامة الحُلية القصيرة (أكسي كاتورا) (رَ رقم ١٣) رغم عدم قطع هذه العلامات بخط كما في الأخيرة ، وهي من علامات التحلية . ويختلف البعض في تفسير هذا التعبير بحسب الحقبة الزمنية التي استعملت فيها . وماسبق هو تعريف كارل فيليب إيمانويل باخ (١٧١٤ ـ ١٧٨٨) .

الحاجز المضاعف : خطان عموديان يقطعان خطوط 369 - DOUBLE BAR (E.) المدرّج الموسيقي الأفقية في نهاية المقطوعة DOUBLE BARRE (Fr.) الموسيقية أو في نهاية جزء من أجزائها . قد تُصادَفُ في نهاية المقياس (رَ رقم ١١٧) أو قبل نهايته إذ لاعلاقة له بالإيقاع . أما اذا وضعت نقطتان عوديتان أيسره فذلك دليل على نقطة التكرار أو الإعادة ، وتبدأ من المفتاح أو من الحاجز المضاعف السابق المنقوط .

كنطر باصون : آلة نفخ خشبية من عائلة آلة 370 - DOUBLE BASSOON (E.)

الأوبوا ، تشبه الباصون ولكنها ذات طبقة CONTRE BASSON (Fr.)
صوتية أثخن بمقدار ثمانية (أوكتاف) من شقيقتها CONTRA FAGOTTO (It.)
الأصغر : الباصون . وهكذا كلما ظهرت كلمة « مضاعف » أمام اسم آلة موسيقية في اللغة الانكليزية دلّ ذلك على آلة مشابهة ولكن أكبر حجماً وأثخن طبقة بمقدار ثمانية . ويلاحظ أن كلمة مقابل أو ضد CONTRE تستعمل لنفس الغرض في اللغات الفرنسية والإيطالية والألمانية .

371 - DOUBLE CHOIR (E.) الجوقة المضاعفة : تحوي عدداً متساوياً من الرجال
DOUBLE CHOEUR (Fr.) والنساء على أن تقوم الأقسام المختلفة من هذه الجوقة الكبيرة بالغناء موزعةً بشكل مستقلٍ ومتميّز .

372 - DOUBLE CONCERTO (E. ..) كونشرتو مضاعف : (رَ رقم ٢٧٨) مؤلَف موسيقي ، عادة في ثلاث حركات ، لآلتين موسيقيتين مع مرافقة الأوركسترا .

373 - DOUBLE COUNTER POINT (E.) الطِباقُ المضاعف : طِباق من جزئين أو صوتين قَلُوبٌ أي يمكن قلب الجزء العلوي إلى الأسفل وبالعكس مع بقاء تأثير موسيقي جيّدٍ . وعلى ذلك فَقِسْ : طباق مثلّث ومرّبع ومخّمس وكلها قَلُوبَةٌ ، أي يمكن قَلبُها .

374 - DOUBLE DOT (E.) النقطة المضاعفة : رَ رقم ٣٦٧ .

375 - DOUBLE FLAT (E.) الخافضة المضاعفة (بيمول مضاعفة) تخفض العلامة
DOUBLE BEMOL (Fr.) بمقدار نصفي صوت ـ أي صوتٍ كاملٍ ـ تكتب هكذا bb

376 - DOUBLE SHARP (E.) الرافعة المضاعفة (دييز مضاعفة) ويرمز لها x أمام
DOUBLE DIESE (Fr.) العلامة وترفعها نصفي صوت أي صوتاً كاملاً .

377 - DOUBLE STOPPING (E.) حبسُ الوترين : أي العزف على وترين بآن
DOUBLE CORDE (Fr.) واحد في الآلات الوترية المقوّسة (ذات القوس)

378 - DOUBLE SUSPENISON (E.) المدّ المضاعف : الاستمرار بأداء علامتين من

ائتلاف أول إلى ائتلافٍ تالٍ دون أن تشكلا جزءاً DOUBLE RETARD (Fr.)
من التالي مما يؤدي لحدوث تنافر مؤقت لايلبث أن يستقرّ عندما تهبط العلامتان صوتاً واحداً لتشكلا جزءاً من الائتلاف التالي .

ضربة اللسان المضاعفة : في العزف على 379 - DOUBLE TONGUING (E.)
الات النفخ الموسيقية ، يتم تقطيع مرور DOUBLE COUP DE LANGUE (Fr.)
الهواء إلى الآلة بحركة من اللسان ، ففي التقطيع البسيط يتمّ ذلك بحركة من اللسان تماثل مايحدث عند تكرار نطق حرف تْ (ته) ، أما ضربة اللسان المضاعفة فعند تكرار نطق (تكْ) وهناك الضربة المثلّثة وتتم بتكرار نُطق (تتكْ) أو (تكتْ) أو ماشابهها وتستعمل الأخيرتان في أداء المقاطع السريعة .

سحب القوس أو جرّه : يتمّ العزف على الآلات 380 - DOWN BOW (E.)
الموسيقية المقوّسة (ذات القوس) بجرّ القوس TIRE´ (ARCHET) (Fr.)
على الوتر من الأسفل نحو الأعلى وهو الجرّ أو السحب ويرمز له باشارة ⊓ فوق العلامة أو بدفع القوس من الأعلى نحو الأسفل ورمزه V فوق العلامة الموسيقية .

الدوكسولوجَيا (علم تمجيد الربّ) : هي التراتيل والطقوس 381 - DOXOLOGY (E.)
التي تمجّد الربّ ، ويقسم التمجيد إلى قسمين : الأصغر ويؤدّى في نهاية المزامير مثل GLORIA PATRI « المجد للآب » ، والأكبر ويترك في القُدّاس الكاثوليكي إلى الكاهن حتى ينطق بـ « وفي الأرض السلام » وعندها تدخل الجوقة . ويختلف التمجيد بحسب الكنائس المسيحية المختلفة . والكلمة مشتقّة من اليونانية DOXO المجْدُ و LOGOS مقالة أو خطبة .

السوپرانو الدرامي : السوپرانو هو أعلى 382 - DRAMATIC SOPRANO (E.)
طبقات الصوت عند النساء ، وله ثلاثة أصناف : الدرامي (الملحمي) والعاطفي LYRIC والملوّن COLORATURA . الأول هو أقواها صوتاً وحنجرة وقدرة على أداء الأدوار المسرحية الخطابية الحماسية . ولايذكر السوپرانو الدرامي إلا مقروناً باسم

الموسيقارين الخالدين : ڤاغنر (ايزولدة وبرونهيلده) وريتشارد شتراوس (إلكترا) . والثاني (العاطفي) أقل قوةً بقليل من سابقه ولكنه يتميّز بالدفء والعاطفة والعذوبة . والثالث : قد لايقلّ قوة عن الأول ولكنه سهل الحركة سريعها وواسع مدى الصوت ، يستطيع أداء أكثر المقاطع صعوبة وبلهوانية ، وقد اشتهرت به المدرسة الايطالية القديمة ومقلّدوها .

383 - DRUM (E.) — الطبل : آلة من آلات النقر تتألف من اسطوانة
TAMBOUR (Fr.) — مغطاة من طرفيها برقٍّ ، الطبل الصغير يقرع على وجهه العلوي بالمقارع أما الكبير فاذا قُرع عليه كان صوته كالرعد ويمكن قرعه بلطف فيعطي صوتاً خافتاً وهمهمة . ليس للطبل طبقة صوتية محدودة ، وهناك طبول قابلة للدوزنة .
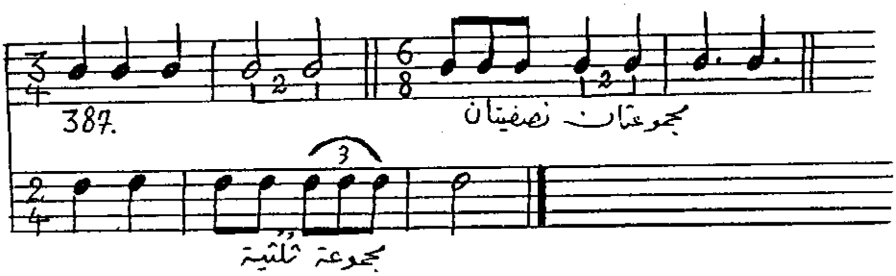
384 - DRUMSTICK (E.) — مِقْرَعة الطبل أو مطرقته
BAGUETTE DE TAMBOUR (Fr.)

385 - DULCIMER (E.) — دولسيَمر . آلة موسيقية وترية تشبه « القانون »
CYMBALON أو ZYMBALUM — الشرقي إلى حد كبير . سنطور غجري (رَ رقم ٢١٤)

386 - DUO (It. Fr.) — ثنائي . تأليف ثنائي : تطلق على أي عازفين يشتركان
DUET (E.) — في العزف سواء لوحدهما أم برافقة ، كذلك تطلق على المؤلفات الموسيقية التي تكتب لأدائها من قبل عازفين (مثلاً تأليف ثنائي لكانين) .

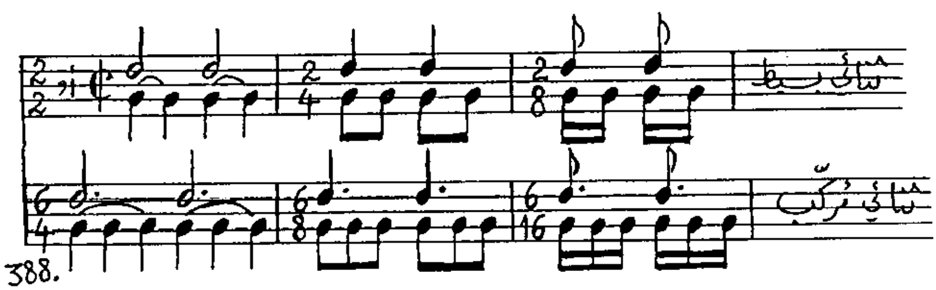
387 - DUPLET (E.) أو COUPLET — مجموعة نِصْفيّة : هي عكس المجموعة
DOUBLET (Fr.) — الثُّلُثيّة . فالثلثية هي مجموعة ثلاث علامات موسيقية أو مجموعة مايعادلها من علاماتٍ ومن سكتات تُعزف أو تُغنّى في نفس المدّة الزمنية التي تحتاجها علامتان من نفس القيمة . والنِصْفيّة هي مجموعة علامتين ، في مقطوعة

ثلاثية الزمن ، أو مايَعْدِلُهَا من علامة وسكتة تُؤدّيان في نفس المدة الزمنية التي تستغرقها ثلاث علامات يُوضع تحت الأُولى قوس عليه عدد ثلاثة ويوضع تحت الثانية (أو فوقها حسب اتجاه أذناب العلامات) قوس عليه عدد اثنان . وكلتاهما من مجموعات الإيقاع غير المُنتظَم التي تُضْفي جمالاً خاصاً على الموسيقى وتَدْفعُ الرتابةَ عن الإيقاع (رَ الشكل) .



388 - DUPLETIME (E.)
RYTHME A`2 TEMPS (Fr.)

ثُنائي الزمن أو الإيقاع : والزمن أو الإيقاع قد يكون ثنائياً أو ثلاثياً أو رُباعياً أو خماسياً والأخير قليل الاستعمال في الموسيقى الغربية وإن كان معروفاً ودارجاً في موسيقى الشرق (مثل إيقاع السماعي) . ولكل زمنٍ أو إيقاع أو وزنٍ شكلان : بسيط يحوي عدداً من العلامات البسيطة (أي غير المنقوطة) ومركّب يحوي عدداً مناسباً من العلامات المنقوطة (رَ الشكل) .

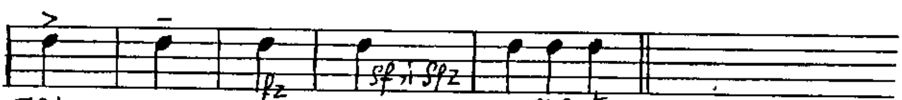


389 - DURAMENTE (It.)

بخشونة ، بصلابة ، بقسوة . تعبير موسيقي أدائي .

390 - DURATION (E.) المدّة ، المدّة الزمنية مثلاً لمؤلّف أو مقطوعة موسيقية .
DUREÉ (Fr.)

391 - DYNAMICS (E.) حركيّة الأداء : هي التعبير الموسيقي بخفت الصوت
DYNAMIQUE (Fr.) أو بتقويته ، فجأةً أو بالتدريج ولها علامات مختلفة مثل PIANO : P بخفوت وعلى قياسها PP أو PPP, و FORTE : f بقوة وهكذا ff - fff الخ و cresc. مختصر CRESCENDO و decresc. مختصر DECRESCENDO أو dim مختصر DIMINUENDO كذلك النبرات على العلامات الموسيقية (رَ الشكل) .



391.

392 - E (E. , G.) Mi (Fr.) مي : العلامة الثالثة في سلم دو .

391 - EAR (E.) OREILLE (Fr.) الأُذن : عضو السّمع . تتألف الأذن من ثلاثة أقسام : الأذن الظاهرة وهي التي تجمّع الاهتزازات الصوتية ، والأذن الوسطى وهي التي تنقلها وتوصلها إلى الأذن الباطنة التي تتلقّف هذه الاهتزازات وتُحلّلها بواسطة الغشاء القاعديّ إلى طبقاتٍ ثم تنقلها عبر عدد كبير جداً (قُرابة ٢٠,٠٠٠) من الألياف الدقيقة الطويلة إلى الدماغ بواسطة العصب السمعي . وإصابة الأذن ، في أي قسم من أقسامها ، ببعض الأمراض يؤدّي إلى سماع الشخص المصاب صوتاً أو أصواتاً مختلفة دون أن تكون هناك أصوات خارجية حقيقية أو أن يصاب المريض بالصمم الجزئي أو الكامل كأن يفقد القدرة على سماع بعض الأصوات دون بعضها الآخر ، كعدم سماع الأصوات الرفيعة (سريعة الاهتزاز) أو الأصوات الثخينة (بطيئة الاهتزاز) . وتختلف قدرة السمع مابين الناس كما تتبدّل هذه القدرة مع تقدّم السنّ . ومن أشهر المؤلفين الموسيقيين الذين فقدوا سمعهم كاملاً بيتهوفن وجبرائيل (غابرييل) فوريه .

ولاشك إن العناية بصحة الأذن أمر هام للمحافظة على القدرة السمعية لاسيا عدم التعرض للأصوات الشديدة كالانفجارات وضجيج الآلات والصخب الشديد ولو كان موسيقياً كذلك الامتناع عن تنظيف مجرى الأذن الظاهر بالأدوات الحادة كأعواد الكبريت أو ماشابه والاقلاع عن عادة التمخّط الشديد أو عن النفخ بعد سدّ المنخرين .

(للبحث صلة)

التعريف والنقد

ديوان شعر
عدي بن الرقاع العاملي
تح : الدكتور نوري حمودي القيسي
والدكتور حاتم صالح الضامن

عز الدين البدوي النجار

هذا ديوان طالما انتظره قارئ العربية ، منذ عرّف به الدكتور حسين علي محفوظ في مقاله عن مخطوطته منذ نحو من ثلاثين عاماً[1] . فنعته ، وبين من أمره ، وأثبت مطالع قصائده ، وخلف لدى قارئه شوقاً إليه[2] .

ثم لم تزل تترامى من دون ذلك الأيام ، حتى أتيح له في هذا العام الذي نحن فيه (١٩٨٧) أستاذان كريمان ، لهما في هذه الصناعة قدم ، وبإخراج طائفة من نصوص العربية ذات عدد ، منزلة وأثر ، هما الدكتوران نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن . فأبرزاه للناس على حين يأسٍ منه ، وأخرجا به نصاً تمس الحاجة إليه ، في غير فن من فنون الدراسة والبحث .

ولم أكن أدري ، وأنا أتشوق الكتاب ، كلما أذكرتْ به ناحيةٌ من نواحي القراءة أو البحث ، أني سأخط في الكلام عليه حرفاً بقلم ، في يوم من الأيام . وما كان من نقده ، مما تراه بين يديك ، فباتفاق كان ،

---

(١) مجلة المجمع العلمي ، المجلد : ٣٣ ، ص : ٥٢٠ ـ ٥٢٢

(٢) لاسيما أنه أخبر في خاتمة مقاله ذلك ، أنه فرغ من العمل في الديوان من وجوهه كلها : تحقيقاً ، وتقديماً شاملاً ، وتذييلاً ، وفهرسة .

لم أرده ، ولم أقصد إليه .

وفي الديوان بعد ، بصورته المطبوعة ، من وجوه الخلل والغلط ، ماإن عرضته على ماتعرف من فضل الرجلين ، لم يستقم لك إلا بمشقة وعسر ، وإلا بتكلف وتأويل . ولعل أغلاط الطباعة قد استبدت بجمهور مافيه ، مما صورته صورة الغلط ، وإن كان قد فصل من يد محققه على الصواب .

وعلى أن هذا ليس بمسقط بالمرة ، تبعة أغلاط الطباعة في نص ، عمن قام على هذا النص . من قبل أن إصلاح غلط الطباعة هذا ، هو من تمام أمر التحقيق ، لامحالة ، بل هو معرضه ومجلاه ، بل لايصح في الأذهان أصلاً ، أن يضن بما يحسب بالأيام ، في تصحيح مالعله قد أنفقت في إقامة نصه شهور أو أعوام .

والاستهانة بالكتاب ، من هذا الوجه ، أحد الأدواء التي استطارت بأَخَرة ، في جمهرة ماتخرج المطابع من كتب .

والمفارقة تامة ، والحال مستخرجة أقصى العجب ، حين يتعلق الأمر بكتاب في اللغة ، أو مايجري مجرى اللغة ، تصحيح ألفاظه ، هو أحد الغايات التي بناه عليها صاحبه ، وهو ، إذن ، أحد الأركان التي ينبغي أن يبنى عليها العمل على اخراجه ، ويتولاها ، ضرورة لازمة ، من ينتدب له ويعانيه .

وقد كان التدبير ، أن يقدم القول في جوانب من العمل فيها نظر ، وفي مسائل تتعلق بعدي بن الرقاع نفسه ، وفي غير ذلك ، مما هو ملتبس بالديوان ، معين على كشف غير قليل من مشكلاته . لولا معانٍ أحوجت إلى غيره ، وأوجبت أن يقدم ماحقه التأخير . ولعلي أفرد لما تركت ، كلمة تتلو هذه ، إن شاء الله .

وهذا حين أذكر بعض مالاح لي عند قراءة الديوان[٣] ، من غير استقصاء له ، إذ كان المقام يضيق عنه ، وإذ كان الغرض النص على طائفة منه ، تكون كالمنبهة على ماوراءه . ثم ماأذكره بعد ، محمول ، في جملته ، على أنه من قبيل واحد أو كالواحد . فإذا اعتدّه قارئه ، غلطاً من أغلاط الطباعة صرفاً ، أو سهواً محضاً ، كان ذلك له ، مابقي في يده الصواب فيه[٤] .

والمذهب فيما أورده ، أن أورده على حذف واختصار ، ثقة بمعرفة من يلقى إليه مثل هذا الضرب من الكلام ، وطمأنينة إلى أنه إنما يعارض نص المنقول من ديوان عدي بديوان عدي نفسه ، أو أن الأمر سيؤول عنده إلى أن يكون كذلك ، وإرادة أن استكثر ، في مساحة مقدرة معلومة ، من ذكر مايحتاج في الديوان إلى إصلاح ، للعلة التي عرفت .

• • •

١ / ص : ٤١ : جاء في شرح مطلع القصيدة الأولى في الديوان :

لمن الدارُ كعنوانِ الكتابِ هاجتِ الشوقَ وعيتْ بالجواب

عنوان الكتاب وعُلْوان وعُنْيان واحد ، وعنونته عنونة وخص به العنوان

---

(٣) وما ذكرته ، لايبلغ نصف ماقيدته على نص الديوان ، ولا يقاربه . وعلى أني لم أتجاوز نقد النص إلى سائر مافي المطبوع ، مما يتوقف عنده .وهو ، أيضاً ، إلى الكثرة ماهو .

ولولا أني أرى فيما أثبت ، ضرباً من المشاركة في تصحيح نص الديوان ، من أجل قارئه في طبعته هذه ، لم أثبته كله ، ولطرحت أكثره ، مجتزئاً بالتعريف بالعمل تعريفاً مجملاً ، ضارعاً إلى من قام عليه ، أن يعيد فيه النظر ، فإنه بذلك جدير .

(٤) ومن هذا أيضاً ، وهو من البدائه في هذا الباب من أبواب البحث ، أني في جمهور ماذهبت إليه ، إنما ذهبت إلى مارأيته صواباً ساعة كتبته ، لا أني أعتقد فيه ، على الإطلاق ، ذلك . وقارئه مسؤول بعد ، أن يعتبره بالذي تهيئه له أدواته . وإنما دفعت إليه ماحضرني ، خالصاً له ؛ صواباً ينتفع به ، أو استشكالاً ينتهي هو ، بمعرفته وبحثه ، إلى الصواب فيه .

لأنه أسرع درساً من داخله . عي بالجواب يعيا عيـاً وعيت . ورجل عي وعي ...

قلت : نص المطبوع مطـابق لمـا في المخطوط[٥] ، وفيـه ، ممـا يتوقف فيه ، أشياء : قوله : وعلوان وعنيـان ، إضـافتها إلى ضمير الكتـاب أجود لها ، ليطرد الكلام على سنن واحـد ، كقـولـه بعـد : وعنـونتـه عنـونـة ، فأضاف إلى ضمير الكتاب كما تراه .

وقوله : لأنه أسرع دَرْساً ، لم يعقب المحققـان على هـذا بشيء ، والمعروف في مصدر ماكان من قبيل عفاء الشيء واندثاره واضمحلاله أنه الـدروس لا الدرس . تقول : درس الشيء يدرس دروساً .

وقوله : عي بالجواب ... الكلام منقطع بعد قوله : وعيت ، وصلتـه كما يدل عليه ظـاهر النص : عي بـالجواب يعيـا عيـاً ، وعيت [المرأة] ، ورجل عي وَعَي ...

٢ / ص : ٤١ : وقال عدي ، وهو البيت الثاني من القصيدة نفسها :

لم تـزدكَ الـــدارُ إلا طربــاً والصبـا غير شبيـه بــالصـوابِ

قلت : هكذا جاءت قافية البيت في المطبوع : بـالصواب وموضعهـا من المخطوط[٦] ، فيما خـلا الألف والـلام منهـا ، دارس ذاهب . ولم يـذكر المحققان مأخذهما فيما أثبتاه . والـذي في المنـازل والـديـار[٧] ، وقـد أحـال المحققـان عليـه في تخريـج البيت : التصـابي . ومعنى البيت عليـه ، وهـو موافق لما جاء ههنا في الشرح[٨] :« الصبا والصبوة واحد ، وتصابيت : أي

(٥) صورة الصفحة الأولى منه على الصفحة : ٣٥ ، من الديوان .

(٦) على الصفحة الأولى نفسها .

(٧) ٢ / ٨٦ ، طبعة دمشق .

(٨) الديوان : ص : ٤٢ .

وقفت ، وفعلت مايفعل الصبي » . فهذا ينبغي أن يكون شرحاً للتصابي لا للصواب .

٣ / ص : ٤٤ : أنشد بيت أفنون التغلبي شاهداً على قولهم : رأمته رئماناً فهو مرؤوم ، أي عطفتُ عليه :

أم كيف تَقْنَعُ ماتعطي العَلُوقَ به
رئمانَ أنفٍ إذ ماضُنَّ باللبنِ

قلت : قوله : تقنع ، العلوقَ ، صوابه : ينفع ، العلوقُ . والبيت مشهور ، وينبغي أن يكون ماوقع فيه تطبيعاً بحتاً .

٤ / ص : ٤٥ : وجاء في شرح بيت منها : « ومنه يقال : شال الميزان ، إذا خفت إحدى كفتيه ، ويقال لقوم إذا خفوا الظعنَ : قد شالت نعامتهم .. »

قلت : قوله : ويقال لقوم إذا خفوا الظعنَ ، تحريف (أو تطبيع) ، صوابه : ويقال للقوم إذا خفوا للظعن . ومثل هذا في كلامهم كثير فاشٍ .

٥ / ص : ٤٩ : وقال عدي من القصيدة الثانية في الديوان :

ليت لي جيرةً كآل خليد
حسبي الذي ماتعي الأحسابِ

قلت : قوله : حسبي الذي . في عجز البيت ، تصحيف (أو تطبيع) ، صحته فيما أرى : حَسَني الدِّيْنِ ، ليكون وصفاً للجيرة الذين تمناهم عدي . يقوي هذا قول عدي بعد :

ظاهرو الأنس وَالعفاف اذا ما
لُزَّ بين البيوت بالأطناب

فوصفهم بالعفاف ، وهذا من ذاك ، كما تراه .

٦ / ص : ٤٩ : بيت عدي الذي أنشدناه آنفاً ، جاء في المطبوع هكذا :

ظاهرو الأنس والعفافِ إذا
مالزَّ بين البيوت بالأطناب

وحقُّ « ما » في قوله « مالز » أن تكون من تمام الشطر الأول ، ليصح شطرا البيت ، وهو من الخفيف .

٧ / ص : ٥٠ : وقال فيها :

دمية شافها رجالٌ نصارى   يوم فَقْح بماء كنزٍ مُذَابِ

« ... وشيفت الجارية : أي ألبست الحلي وجَلِيَتْ . وواحد النصارى نصران ، مثل سُكارى وسكران ، وقال في النسب : نصراني .. »

قلت : « فَقْح » في البيت ، هي : فِصْح ، و « جَلِيَتْ » في الشرح هي : جُلِيَتْ ، و « سُكارى » بضم السين ، على صحتها في ذاتها ، ينبغي أن تكون : « سَكارى » بفتحها ، ليصح التمثيل بها لـ : نصارى ونصران . وقوله في عبارة الشرح : وقال في النسب ، انما هي : وقالوا . وهي من عباراتهم المألوفة في هذه المواطن .

٨ / ص : ٥٣ : وقال فيها :

١قد دعاهم حتى تغلل لأياً   صوتُهُ من رؤوسهم في النقابِ

« تغلل وأنْغَلَ : اذا دخل في القوم .... قولهم : في النقاب: أي في آذانهم »

قلت : قوله : وأَنْغَلَ ، بقطع الهمزة وفتح اللام ، صوابه : وآنْغَلَّ ، بوصل الهمزة ، وتشديد اللام .

و « قولهم » صوابها : و « قوله » ، وإنما يريد قول عدي في البيت .

٩ / ص : ٥٤ : وقال فيها :

ضامرات على ذخائر كانت   جِرَّةً يأتدِ منْها باللعابِ

« ضامرات : أي ضامات ....[٩] السير ، تقول : جاء على بعير ....[٩] أي

---

(٩) النقاط في موضع كلام ذاهب في الأصل .

يسير عليه رويداً . يريد بالذخائر مايدخرن فيها من ثمائلها ، والثميلة : بقية العلف والماء في الكرش .

يأتد منها : أي يصرن .... لعابهن فيستر بطنها به . والجِرَّة : ماأخرجت من كَرْشها إلى فمها من العلف ، وكل ذي كَرْش يجتر . وتقول : قد أدمت الطعام وآدمته إذا جعلت له أَدَماً . وقال أبو العباس : قال شيخ لنا : إنما سمي آدم من قولك : أدمت الرجل بأهلي ، أي خلطته بهم ، وبيني وبين الرجل خلطة وعشرة » .

قلت : في النص مما يحتاج إلى إصلاح مواضع :

قوله : ضامرات ، في البيت وفي الشرح ، بالراء ، صوابه : ضامزات ، بالزاي . يقال : « ضمز البعير يضمز ضمزاً وضمازاً وضموزاً ، أمسك جرته في فيه ، ولم يجتر من الفزع ، وكذلك الناقة . وبعير ضامز : لايرغو ، وناقة ضامز : لاترغو . وناقة ضامز وضموز : تضم فاها ، لاتسمع لها رغاء »(١٠)

ثم هذا الذي في اللسان من قوله : « وناقة ضامز وضموز : تضم فاها ، لاتسمع لها رغاء » يستدرك منه على سبيل التقدير ، بعض ماسقط من شرح البيت ، ويكون من تمام الكلام حينئذ : « ضامزات : أي : ضامات [أفواههن] ... »

وقوله : فيستر بطنها به ، أراه : فَيَسْتَرِطْنَها به ، والاستراط : الابتلاع ، أو هو ابتلاع فيه سهولة . يقال : انسرط الشيء في الحلق : أي سار فيه سيراً سهلاً .

وجملة المعنى ، كما يدل عليه البيت ، إذ كانت النقاط في الشرح موضع كلام دارس كما تقدم : أن الإبل تُصَيِّر لعابها إداماً تأتدم به ، ليكون أسهل لابتلاعها إياه .

(١٠) اللسان : ضمز .

والاستراط قاله عدي في شعره ، قال في كلمة في مدح الوليد بن عبد الملك :

والأرضُ غائلةٌ للناس مهلكة فما ترى أحداً من أهلها امتنعا
حتى إذا استرطت جيلاً بأجمعهم لاقى الذي بعدهم من أهلها جشعا[11]

وقال في أخرى في مديح عمر بن الوليد :

كم استرط الدهر من أمة كأن البلاد بهم تخسف[12]

وقوله في موضعين من الشرح : كَرْش ، بفتح الكاف وسكون الراء ، صوابه : كَرِش بفتح الكاف وكسر الراء ، وكِرْش ، بكسر فسكون فيهما .

وقوله : أَدَماً ، بفتح الهمزة والدال ، صوابه : أُدْماً ، الهمزة مضمومة والدال ساكنة ، والأُدْم : مايؤكل بالخبز ، أي شيء كان .

وإنما ذهبت إلى أن صواب هذا الحرف في هذا الموضع هو : أُدْم ، كما ذكرناه ، من أجل أنه هو الموافق لرسم المطبوع ، وإلا فإن الإدام أعرف وأشهر ، وأدنى إلى أن يكون هو المستعمل في مثل مانحن بسبيله .

وقوله : وبيني وبين الرحل ، بالحاء ، فهذا تطبيع ظاهر ، صوابه : الرجل ، وإنما ذكرته ليكون شاهداً آخر من شواهد ماأومأت إليه في مقدمة هذه الكلمة ، من أمر الطباعة .

وقوله : « ... أدمت الرجل بأهلي : أي خلطته بهم ، وبيني وبين الرجل خلطة وعشرة » فههنا سقط لاشك فيه ، تقديره : « أدمت الرجل بأهلي ، أي خلطته بهم ، وبيني وبين الرجل [أُدْمة (أو : أدم) أي :] خلطة وعشرة » يقال : « بينهما أدمة وملحة ، أي خلطة »[13] و « الأدم : الألفة والاتفاق »[13]

(١١) ديوان عدي : ٢١٧ .
(١٢) ديوان عدي : ٢١٣ .
(١٣) اللسان : أدم .

١٠ / ص : ٥٨ : وقال فيها :

سوف يكفيك بعدهم إذ نأونا سَنِمَاتٌ قناعسٌ كالهضابِ
طَرَفاتٌ إذا استبحن مكاناً صاح فيهن يافعٌ كالغرابِ

طَرَفة وطرفات : تطرف المرعى .

قلت : قوله : طَرَفة وطَرَفات ، بفتح الراء ، صوابه : طَرِفة وطَرِفات ، بكسرها فيهما .

١١ / ص : ٦٠ : وقال من كلمة في مديح عمر بن الوليد بن عبد الملك :

خود من اللائي يَمُشْنَ تأوداً مشي المياه على الكثيب الأهيل

قلت :

صواب : يَمُشْنَ ، بضم الميم ، يَمِشْن ، بكسرها .

و « المياه » في عجز البيت ، تصحيف (أو تطبيع) غريب ، وإنما هي : المهاة . وعدي مما يكثر من ذكر المهاة في شعره ، على قلة ماانتهى إلينا منه . وأنا أذكر أبياته التي ذكر فيها المهاة ، وأعقب ، على تفيئة ذلك ، بإصلاح مايحتاج منها إلى إصلاح ، إذ كان هذا غرضاً ، قد بنيت هذه الكلمة بأسرها عليه .

قال عدي : (ص : ٥١ ، البيت : ١٠)

أو مهاة تبلج الليل عنها باللوى بين عالج فالجناب

وقال : (ص : ٩٨ ، البيت : ١٣)

من بين بكر كالمهاة وكاعب شفع النعيم شبابها فغذاها

وقال : (ص : ١٣٨ ، البيت : ١٤)

تجتلي ظلمة الخباء كما ينكشف الصبح عن مهاة الصريم

وقال : (ص : ١٧٩ ، البيت : ١٤)

علـــق القلب عرس ذاك وأنّى تُمَكِّنُ الرامي المهـــاة النـــوارُ

وقال : (ص : ١٩٥ ، الأبيات : ٣٠ ـ ٣٢)

وبيضـاء يصطـاد الغواة حـديثها ترى فـاحمـاً أحـوى وغيـلا مـوشما
رأت فزعاً في أهلهـا فـاستطـارهـا صراخ يقين ليس ظنـــــاً مُرَجَّما
كمثـل مهـــاة مـــاتحن قـلادة ولا معقـداً في ساقهـا مُتَخَـذَّمـا

قلت :

في وزن البيتين الثـالث والرابع ، على الصورة التي جـاءا بهـا ، اختـلال ، صحته في أولهما :

تجتلي ظلمــة الخبــاء كما يـــذ ... ..كشف الصبح عن مهاة الصريم

وفي الآخر :

علـــقَ القلبُ عِرْسَ ذاكَ وأنّى تُمْكِنُ الراميَ المهـــاة النـــوارُ

وقوله : متخذّماً ، في قـافيـة البيت الأخير ، بفتح الـذال المشـددة ، صوابه : متخـذِّمـاً ، بكسرهـا وتشـديـدهـا . وإنمـا يصف نعمـة وعبـالـة وامتلاء .

١٢ / ص : ٦١ ـ ٦٢ : وقال فيها :

أفـلا تنـاسـاهـا وتترك ذكرهـا إذ حملتـك إخـال مـالم تَحْمِـلِ
بعـذافر يشري الجـديـل كأنـه عير تصيف في نحـــائص ذبّــل
شُزّبٌ ذوابـلُ يتقين لبـــانـه وجبينـه بسنـابـك كالجنـدل

شُزَّب : ضـوامر .... جنـدل وجنـادل : جمع جنـدلـة ، وهي الحجر تملأ الكُميّن ، ومكان جَنَدِلٌ : كثير الجنادل ، وأنشد :

إن تبتغـوا منـا السـلاح فعنـدنـا سـلاح لنـا لايشترى بـالـدراهم
جنـــادل أمـلاء الأكف كأنهـــا رؤوس رجـال حلقت في مـواسم

قلت : في هـذا الـذي سلف أصنـاف من الغلـط ، ومـا يجري مجرى

الغلط : تصحيفاً ، وذهاباً عن الوجه في ضبط الكلم ، وترك تعقب لما في النص ، مما يحسن فيه التعقب ، أو يجب ، أو تطبيعاً في ذلك كله .

فقوله : مالم تَحْمِل ، في البيت الأول ، صوابه : مالم يُحْمَلِ .

وشُزَّبٌ ، بزاي مشددة مفتوحة وباء مضمومة ، في البيت وفي الشرح ، خارجة عن حد العربية ، مختل بها وزن البيت ، وإنما هي : شُزُبِ ، الشين والزاي مضمومتان ، والباء مخفوضة ، وهي من تمام صفة الأتن النحائص في البيت الثاني ، تابعة لها ، معنى وعربية .

وحق « ذوابلَ » على هذا أن تكون مخفوضة كالتي قبلها على الإتباع .

ونسق الموضع كله : ... في نحائصَ ذُبَّلٍ شُزُبٍ ذوابلَ يتقين ...

و « تملأ الكين » في شرح البيت ، تصحيف (أو تطبيع) غريب ، ووجه العبارة : وجنادل جمع جندلة ، وهي الحجر يملأ الكفين . يدل على هذا مافي البيت الشاهد ، بل البيت من أجله أنشد : جنادل أملاء الأكف ... وعلى أن مثل هذا لايحتاج إلى دليل .

وقوله في الشرح : ومكان جَنَدِلٌ ، بفتح الجيم ، هذا ، في هذا الحرف خاصة ، موضع بحث ، أرجو أن أعود إليه .

وقوله في البيت الشاهد : في مواسم ، المشهور المستفيض فيه : في المواسم

١٣ / ص : ٦٣ : وقال فيها :

حتى إذا رمت الهواجر في الثرى والنبت بعد بلولة وتربل

التربل : أن ينفطر النبت وتظاهر منه الحفرة ، وذلك في أيام الصَفَرِيّة ، وهي آخر القيظ وأول البرد . ويقال : قد تروح النبت وراح ...

قلت : قوله : أن ينفطر ، بعد الياء نون ، صوابه : أن يتفطّر ،

بعد الياء تاء ، والطاء مشددة مفتوحة .

وقوله : وتظاهر منه الحفرة ، فهذا تصحيف (أو تطبيع) غريب ، وجهه : وتظهر فيه الخضرة .

وقوله : الصَّفْرِية ، بسكون الفاء ، صوابه : الصَّفَرِية ، بفتحها .

جاء في اللسان : (ربل) و (روح) و (صفر) :

« ... وتربلت الأرض : اخضرت بعد اليبس ، عند إقبال الخريف . والرِّبل : ماتربل من النبات في القيظ ، وخرج من تحت اليبيس منه نبات أخضر » .

« وتروح الشجر وراح يراح ، تفطر بالورق قبل الشتاء من غير مطر . وقال الأصمعي : وذلك حين يبرد الليل ، فيتفطر بالورق من غير مطر . وقيل : تروح الشجر إذا تفطر بالورق بعد ادبار الصيف »

« والصَّفَرية نبات ينبت في أول الخريف ، تخضر الأرض ويورق الشجر ... وقال أبو حنيفة : الصفَرية : تولّي الحر وإقبال البرد ... »

١٤ / ص : ٦٤ : جاء في شرح بيت : التلعة مسيل الماء ، من ارتفاعِ بطنِ الوادي .

قلت : هكذا في المطبوع ، من ارتفاعِ ، بكسرة واحدة تحت العين ، على توهم اضافتها إلى : بطن . والكلام ههنا منقطع ، واتصاله بزيادة : إلى ، كما هو ظاهر ، ونسق الكلام : من ارتفاعِ [إلى] بطن الوادي .

وقد جاء شرح التلعة في غير موضع من الديوان ، مستوياً تاماً . قال في ص : ٤٢ : التلعة : المسيل من المكان المرتفع إلى بطن الوادي ، وقال في ص : ٨٣ : التلعة : مسيل مالرتفع من الأرض إلى بطن الوادي .

١٥ / ص : ٦٤ : وقال فيها :

حتى إذا اختلط الظلام وردنه ولقد بكين بهيبة وتجفلِ

فأتين مشترفاً يمد عَنَانَه ويدُ الغلام بطعنةٍ في المسحلِ

مشترفاً : يعني فرساً مشترفاً ، أي يمد العنان من طول عنقه واعتماره في اللجام ...

محصٌّ الشوى مامن يديه يخونه عظمُ الشظاة ولا انتشار الأبجلِ

محصّ : أي ممحص القوائم وهي الشوى ...

قلت : قوله في البيت الأول : بكين ، صوابه : يَكُنَّ . أي ان الاتن قد وردت الماء بعدما كانت متهيبة له ، مجفلة عنه .

وقوله : عَنانه : بفتح العين ، صوابه : عِنانه ، بكسرها . وعنان اللجام السير الذي تمسك به الدابة . فأما العَنان ، مفتوحة العين ، فالسحاب .

وقوله : ويدُ الغلام ، معنى البيت قاض أن الموضع : ويدَ الغلام ، مفتوحة الدال ، بالنسق على (عِنانَه) .

وقوله في سياق الشرح : واعتماره ، بالراء ، صوابه : اعتماده ، بالدال .

وقوله : محصّ ، بتشديد الصاد ، في البيت وفي الشرح ، فهذا مضطرب ذاهب مخل بوزن البيت ، والصواب فيه : مَحِصَ ، بفتح الميم وكسر الحاء وفتح الصاد (في البيت) بلا تشديد .

١٦ / ص : ٦٥ : وجاء في شرح : محص الشوى ... البيت ، شاهداً على الشوى بمعنى الهين من الأمر :

« وقال عروة بن الزبير حين نعي إليه ابنه :

وكنت إذا الأيـــــــام .

نكبـــــة أقـــول شـــوى ... »

قلت : هكذا جاء مابقي من البيت ، موضوعة مواده في غير مواضعها ، متروكاً ، كما جاء ، ناقصاً لاينشد له تمام . وتمامه على طرف الثام ، إذ كان في الموضع الذي خرج المحققان منه بيتاً شاهداً آخر ، أنشده الشارح بعقب هذا البيت ، وسنذكره بعد .

والبيت للبريق الهذلي يرثي أخاه ، في أبيات هي في شعره في ديوان الهذليين : ٣ / ٦٠ ـ ٦١ ، وإنما قاله عروة بن الزبير متمثلاً . ورواية البيت في ديوان الهذليين (٣ / ٦٠) وفي اللسان (شوى) :

وكنت إذا الأيام أحدثن هالكاً أقول شوى مالم يصبن صميمي

أي : أحدثن هلك هالك .

واستواء ماجاء ههنا في الشرح وتمامه :

وكنت إذا الأيام أحدثن نكبةً أقول شوى مالم يصبنَ صميمي

١٧ / ص : ٦٥ : وأنشد في شرح البيت نفسه شاهداً على الشوى بمعنى : رُذال الابل :

فإنك ماسليت نفساً شحيحة عن المال في الدنيا بمثل المجاوع

أكلنا الشوى حتى اذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

قلت : شطرا البيت الثاني على النحو الذي جاءا به في المطبوع مختلان ، واستواء انشادهما :

أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

والبيت من الطويل ، وهو في اللسان (شوى) كما ذكر المحققان ، على الصحة ، وكذلك هو في الأمالي : ٢ / ٢٠٩ ، وهو غير منسوب في الموضعين .

ثم البيتان ، باختلاف ترتيب ، لأبي يزيد العقيلي في اللآلي : ٨٢٨ . وسائر التخريج ، وذكر اختلاف النسبة ، فرغ منه الميمني رحمه الله في السمط .

١٨ / ص : ٦٧ : وقال فيها :

فرمى بــه أدبــارَهن غــلامُنــا لمــا استتب بــه ولم يستــدخــلِ

يريد : رمى بالفرس أدبار الحمر . استتب : سابغ في جريه .

قلت : « سابغ » التي في الشرح ، تصحيف (أو تطبيع) صوابه : تتابع . وتجد هذا بنصه في ص : ١٨٢ ، في شرح بيت عدي :

فعــلا الصلب فــاستتب إلى حيـ .... ـث تكـون الفرسان منه الفقـارٌ

قال في الشرح : استتب : تتابع .

(قلت : وفي هـذا البيت الأخير : فعلا الصلب ... موضع مشكل تركت الكلام عليه اختصاراً)

١٩ / ٦٧ : وقال فيها :

شُمْس جـوانـح يعتـدين وقـددنـا يهوي بفارسه هوي الأجدلِ

شُمْس : فيهن مقائد . جوانح : موائل في إحدى السفين .

قلت : شُمْس ، في البيت وفي الشرح ، بسكون الميم ، الأولى ضبطه بضمها وسكونها جميعاً .

وقوله : فيهن مقائد ، لم أعرف مـاهو ، وأنـا أخشى أنـه : فيهن تعـانـد ، وهو في معنى الشماس .

وقوله : موائل في إحدى السفين ، إنما هو : موائل في أحدِ الشِّقَّيْن .

٢٠ / ص : ٦٧ : وقال فيها :

يغتــالهن إذا السنــابــك أسهلت وإذا علــون حــزونــةً لم يفشــلِ

أي يغتال عدوهن بعدد أكثر منهم .

قلت : صحة العبارة : يغتال عدوهن بعدوٍ أكثر منه .

٢١ / ص : ٦٧ ـ ٦٨ : وجاء في شرح بيت منها :

القتار : ريح الشحم ، وهو الجميل . قال لبيد :

وغـلامٍ أرسلتـه أمـه بـألوكٍ فبـذلنـا مـاسـألْ
أو نهتـه فـأتـاه رزقـه فـاشتوى ليلـة ريـح واحتمـلْ

أي : اشتوى وأطبخ . وهو الصليب ، ومنه اشتق المصلوب ، قال الكميت :

وظـل شيـخ العيـال يُصْطلبُ

أي يستخرج الودك .

قلت : قوله في بيت لبيد : واحتمل ، بالحاء ، صوابه : واجتمل ، بالجيم ، من الجميل وهو الشحم ، ومن أجل هذا أنشد البيت .

وقوله : وأطبخ ، إنما هو : اطَّبَخَ .

وقوله : يُصطَلب ، فهذا سهو غريب . وكأنما اغتر المحققين ذِكْرُ المصلوب ، فذهبا بالحرف في بيت الكميت هذا المذهب الغريب ، وجعلاه (يُفْتَعَلُ) من الصلب أي : يصلب . هذا الذي يؤدي إليه ضبط مافي المطبوع . وإنما هو : يَصْطَلِبُ بالبناء لما سمي فاعله ، أي يستخرج الصليب ، وهو الودك ، أي الشحم ، كما جاء في الشرح .

٢٢ / ص : ٧٠ : وقال فيها :

ولرب مغتبـطٍ كريمٍ قـد غـدا من عنـده بَهِجـاً بنفخـةِ مُجْـزِلِ

الجزل : المكثر ، وأصله من الجزل ، وهو الحطب الغليظ . قال حاتم :

ولكن بهـا ذاك البقـاع فـمـا ...
قـدي بجـزل إذا أوقـدت لابضرام

قلت : لم أعرف ما « مغتبط » في صدر البيت ، وأنا أخشى أنها : « مختبـط » ، (والخبـط : طلبُ المعروف ، خبطـه يخبطـه خبطـاً واختبطه . والمختبط : الذي يسألك بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة)

وأنشدوا عليه :

وليس مانع ذي قربى ولا رحم   يوماً ولا معدماً من خابط ورقاً

وقوله : بنفخة ، بالخاء ، تطبيع ظاهر غريب ، صوابه : بنفحة ، بالحاء ، وهي العطاء . وغرابته أنه هكذا جاء ، أعني مجيئه بالخاء المعجمة ، حيثما مر في الديوان .

وبيت حاتم مغير تغييراً منكراً ، لفظاً ووزناً ، ووجه إنشاده :

ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي   بجزل إذا أوقدت لابضرام

والبيت أخل به شعر حاتم المطبوع ، وهو في اللسان (ضرم) برواية أخرى :

ولكن بهاتيك البقاع فأوقدي   بجزل إذا أوقدت لابضرام

(ثم رأيت البيت في مقاييس اللغة : ٣ / ٣٩٧ (ضرم) ، وأساس البلاغة (ضرم) على الوجه الذي أثبت .

وهو في الأساس مع آخر ، مصرحاً بنسبته إلى حاتم .)

٢٣ / ص : ٧٦ : وقال من كلمة في مديح الوليد بن عبد الملك بن مروان :

فذاك من أجدر الأشياء لو وألَتْ   نفس من الموتِ والآفات أن يَئلا

وألت : نجت ، والموئل : المكان الذي يلجأ إليه ، ومثله : الوزر والمصادر والصيصي . وقال : غزال راعه الصياد تحميه صياصيه .

قلت : قوله : والصيصي ، لم أعرفه ، وظاهر السياق أنه : الصيصية ، من أجل قوله بعد : صياصيه .

وقوله : غزال راعه الصياد ... فهذا بيت من الهزج ، سيق في الشرح مساق منثور الكلام لامنظومه . والبيت على هيئته التي تنبغي له :

غــزال راعــه الصيــا د ، تحميــه صيــاصيــه

٢٤ / ٧٩ ـ ٨٠ : وقال ، وأنشد أبو ثروان العكلي :

أأن زم أحمــال وفــارق جيرة عنيت بنا ماكان قولـك تفعلُ
ومن يسأل الأيام عهد صديقه وطول الليالي يعط ماكان يسأل
أراني لآتيــك إلا كأنمــا أسأت وإلا أنت غضبان تأتل
أردتُ لكيمــا لاترى لي عثرة ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

قلت : قوله : أحمال ، بالحاء ، صوابه : أجمال ، بالجيم .

وقوله : ماكان قولك ، بالقاف ، تصحيف (أو تطبيع) صوابه : ماكان نولك بالنون .

وقوله : أردتُ ، بإسناد الفعل إلى تاء المتكلم ، مزيل للبيت كله عن وجهه . ووجهه وصواب إنشاده : أردتَ ، بإسناد الفعل إلى تاء المخاطب .

والأبيات في الإبدال لابن السكيت : ٦٦ ، وأمالي القالي[١٤] : ٢ / ٤٣ ، وتهذيب ألفاظ ابن السكيت : ٢٩٢ ، عن أبي ثروان أيضاً باختلاف رواية . ومن اختلافها مما يدخل في غرضنا في هذه الصحائف قوله في البيت الثاني هناك : .. نأي صديقه .

ثم البيت الثالث في ألفاظ ابن السكيت : ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، وتهذيب اللغة : ١٤ / ٣٢٢ (لا : ١٣ / ٣٢٢ كما في حاشية محقق الابدال : ٦٦) ، والصحاح : (أتل) والبيتان الثالث والرابع في اللسان : (أتل) ، عن ثروان العكلي ، لا أبي ثروان .

---

(١٤) وهم محقق الابدال فجعل مافي الأمالي من إنشاد ثروان لأبي ثروان . ولعله أزلته حاشية الأمالي ، وفيها حكاية مافي اللسان فتسرع حين خرج أبياته ، ولم يتثبت ، وجعل مافي حاشية الكتاب لمتنه .

وظاهر عبارة اللسان موهم أن البيتين في الصحاح ، والذي في مطبوع الصحاح الثالث وحده كما رأيت ، وهو فيه من غير نص على من أنشده أصلاً .

٢٥ / ص : ٨٢ : وقال من كلمة في مدح الوليد :

إلا رواسي كلهن قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادها

« ... ويقال للسحاب أيضاً : ألقى أوراقه ، وألقى بعاعه ، وحل نطاقه .. »

قلت: «أشعل» في البيت، في نفسي منها شيء، أخشى أنها تصحيف «أثقب». و «أوارقه» في الشرح، تطبيع، صوابه: «أرواقه» .

٢٦ / ص : ٨٣ : وجاء في شرح بيت منها :

« ... والزِّمَعَة ، وهي أصغر من الشعبة . قال العُقيل : ... »

قلت : « العُقَيْل » غير معروف في أسمائهم . وينبغي أن يكون : العُقَيليُّ ، أي أحد بني عُقَيل ، وعقيل إحدى قبائل عامر . وهكذا يفعلون إذا لم يذكروا للرجل اسماً ، ينسبونه إلى قومه .

٢٧ / ص : ٨٩ : وجاء في شرح البيت الذي فيه ذكر السناد (... ميلها وسنادها) :

« وإذا كان توجيه مضموماً وآخر مكسوراً لم يكن سناداً ، ولايكون مع الاقواء نصب ، إلا أن تكون القافية موصولة فيها نحو قوله :

الحمد لله الذي يعفو ويشتد انتقامُه

يقضي القضاء فلا يرد يجوز في الخلق احتكامُه

في كرههم ورضاهم لايستطيعون اهتضامُه

قلت : قوله : موصولة فيها ، صوابه : موصولة بهاء .

وقوله : اهتضامُه ، في البيت الثالث ، بضم الميم ، فهذا اهتضام لحق العربية فيه ، وحجاب له عن المعنى الذي اجتلبت الأبيات كلها من

أجله . وإنما هو : اهتضامَه ، من أجل أنه مفعول (لايستطيعون) ، وهو موضع الاستشهاد في الأبيات كما تقدم . وما أجدر هذا أن يكون غلط طباعة صرفاً .

وفي البيتين الأولين من الأبيات المستشهد بها بعد ، من جهة الخلل في تصحيح القسمة في أشطار الأبيات ، ماكثرت في الديوان نظائره . وصحة مايجب في البيتين :

الحمـــد لله الـــذي ... يعفـو ويشتـد انتقـامـه
يقضي القضـــاء فـلا يردْ ... دُ ، يجوز في الخلق احتكامه

وهما ، مع الآخر الثالث ، من مجزوء الكامل .

٢٨ / ص : ١٠٣ : وقال من كلمة في مديح الوليد :

ألقت على متن الطريق جنينها ... بتنوفة قفرٍ يُحار قطاها
فغدت وأصبح في المعرِّس ثاوياً ... كالجِرْوِ مُلتفعاً عليه سَلاَها

يريد : أجهضت وغدت وخلفت جنينها . جراء : من أولاد السباع . ملتفعاً : ملتحفاً بالعرس . واللفاع ماالتحفت به واشتملت .

قلت : يُحار ، في البيت الأول ، بضم الياء ، هي : يَحار ، بفتحها . والمعرِّس ، في البيت الثاني ، بكسر الراء المشددة ، هو : المعرَّس ، بفتحها . والعرس في قوله : ملتحفاً بالعرس ، بالعين ، هي : الغِرس ، بالغين المعجمة .

و « الغِرس ، بالكسر ، الجلدة التي تخرج على رأس الولد أو الفصيل ساعة يولد ، فإن تركت قتلته . قال الراجز :

يتركن في كل منـــاخ أَبْسِ
كل جنين مشعر في غِرْسِ »[١٥]

(١٥) اللسان : غرس .

٢٩ / ص : ١١٠ : وقال من كلمة في مديح عمر بن الوليد :

وإن الحب بعدكَ غاب عني فلست أرى لغانية دلالا

ويقال : حُب وحِب بمعنى واحد . وقال :

أحب أبا مروان من أجل تمرةٍ وأعلم أن الرفق بالجار أرفق

ووالله لولا تمره ما حبَّبْتُهُ ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي : الغانية : المتزوجة ، وأنشد ابن الأعرابي :

أحب الأيامى إذ بثينة أيم وأحببت لما أن غنيتُ الغوانيا

أي : لما تزوجتُ .

قلت : بعدكَ ، في بيت عدي ، بفتح الكاف ، على التذكير ، هي : بعدكِ ، بكسرها . و « تمرةٍ » في أول البيتين الشاهدين ، هي : « تمرِه » مضافة إلى الضمير العائد على أبي مروان ، كقوله في البيت الثاني : والله لولا تمره ... فذكر تمراً ، لاتمرة واحدة . و « حبَّبْتُه » بتشديد الباء ، إنما هي : حَبَبْتُهُ ، بفتحها من غير تشديد ، بمعنى : أحببته .

هذا ورواية البيت الأول في اللسان (حبب) ، وقد أحال عليه المحققان :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق

وهي أجود مما هنا .

وقوله : « غنيتُ » في بيت جميل ، و « تزوجتُ » في شرحه ، بإسناد الفعل في الموضعين إلى تاء المتكلم ، غلط بحت ، صوابه إسنادهما إلى تاء المؤنثة المخاطبة .

٣٠ / ص : ١١٣ : وقال فيها :

جواد ليس قالاً حين يؤتى لطالب حاجة أبداً ألالا

رجل قال الرأي ، وقيل الرأي : اذا أخطأ .

قلت : هـذا الـذي في الشرح غلـط من جهتين : أن « قـال » و « قيـل » بـالقـاف ، تصحيف (أو تطبيـع) ، وإنمـا همـا : « فـال » و « فيل » ، بالفاء ، يقال (رجل فِيل الرأي والفراسة وفاله وفَيِّلَهُ وفَيْله ، إذا كان ضعيفـاً) .[16] وأن الشرح ، على هـذا ، ليس من معنى البيت في شيء ، وإنما معنـاه أن الممـدوح جوادٌ ليس (قـائلاً) لطـالب حـاجـة : لا . فوقعت : قـال ، في موضع : قـائـل . جـاء في اللسـان : (قـول) : « قال بعضهم لقصيدة : أنا قالها ، أي : قائلها »

٣١ / ص : ١١٥ : وقال يمدحه أيضاً :

بـانت سعــاد وليس الـود ينصرم وداخــلَ الهمّ مـــالم تمضــه سقمُ

قلت : قولـه : وداخل الهمّ ، صوابـه : وداخِلُ الهمّ . والهم الـداخـل والدخيل ، أحـد مـاأكثرت العرب من ذكره في أشعـارهـا . منـه في شعر عدي نفسه[17] :

منـع الرقـــاد مجمجم أضمرتُـــهُ بين الجوانـح والحجـابِ[18] دخيـلُ

٣٢ / ص : ١١٨ : وقال فيها :

مسطـارة بكرت في الرأس نشوتهـا كأن شـاربهـا قـــد مســـه لممُ

مسطارة : خمر النشوة والسكر .

قلت : هـذه عبـارة منهـال بعض ألفـاظهـا على بعض ، صحتهـا ونظامها : مسطارة : خمر ، والنشوة : السكر .

وعلى أن في البيت وفي الشرح مـاقـد كان يحسن بيـانـه ، لولا خوف التطويل .

(١٦) لسان العرب (فيل) .

(١٧) ديوانه : ٢٠٤ .

(١٨) في المطبوع : والحجابُ .

٣٣ / ص : ١١٨ : وقال فيها :

لولا اختباري أبا حفص وطاعته ... كاد الهوى في غداة البين يغترم

قلت : قوله : اختباري ، بالباء الموحدة ، تصحيف (أو تطبيع) صوابه : اختياري ، بالياء المثناة .

وقوله : يغترم ، بالغين المعجمة ، لأدري ماهو ، وأراه : يعترم ، بالعين المهملة ، من العرام ، وهو ههنا اشتداده وطغيانه ، حتى يغلب على أمر صاحبه .

٣٤ / ص : ١٢١ : وقال من كلمة في مدح الوليد :

فظللت مكتئباً كأن تذكري ... مما عَرِفْتُ بها توهمُ حالم

مكتئباً : حزيناً ، وهي الكآبة مثل الرأفة والرآفة .

قلت : قوله في البيت : عرفت ، أخشى أنها تصحيف : غَرِضْتُ ، والغرض (.. شدة النزاع نحو الشيء ، والشوق إليه . وغرض إلى لقائه يَغْرَضَ غَرَضاً فهو غَرِض : اشتاق[١٩]) . والشاهد على هذا من أشعارهم كثير .

وقوله في الشرح : وهي الكآبة مثل الرأفة والرآفة ، لايستقيم ، ذكر مصدراً ، ومثل له باثنين . وظاهر أن ههنا سقطاً يدل عليه المذكور ، وإنما صحة الكلامِ : وهي [الكَأْبَةُ] والكَآبة مثل الرأفة والرآفة . جاء في اللسان (كأب) : « كئِب يكأبُ كأباً وكَأْبةً وكآبة ، كنشأة ونشاءة ، ورأفة ورآفة » .

٣٥ / ص : ١٢٣ : وقال فيها :

ومن الضلالة بعدما ذهب الصبا ... نظري إلى حور العيون نواعم

يَذْعَرْن من صَلَعِ الرجال وَشَيْبِهم ... وَيَمِقْنَ شيمةَ كل أهيفَ عارمِ

---

(١٩) اللسان : غرض .

قلت : صواب مافي صدر البيت الثاني ، في ثلاثة المواضع : يُذْعرن من صُلْعِ الرجال وشِيْبِهم .

٣٩ / ص : ١٢٦ : وقال فيها :

وإذا قضى فَصْلٌ القضاء فلم تمل قربى عليه ولا ملامة لائم

قلت : جعل « فَصل » مصدراً ، وأسند قضى اليه ، وإنما هو : فَصَلَ ، فاعله وفاعل « قضى » جميعاً ممدوح عدي في هذه القصيدة ، الوليد بن عبد الملك .

٣٧ / ص : ١٢٧ : وقال فيها :

الواهب القينات أمثال الدمى مُتسجيات ظلال أسود فاحم

كل أمة قينة ، مغنية كانت أو غير مغنية ، وهي البغي ، والجمع : بغايا ، وهي الوليدة والغرة . قال مهلهل :

كل قبيل في كليب غرّه
حتى ينال القتلُ آلَ مرّه

قلت : قوله : متسجيات ، في بيت عدي ، لم أعرف ماهو (ولا قوله : متسحبات ، في رواية أخرى للبيت) . وانظر ، هل هو : متسخبات (بعد السين خاء معجمة وباء موحدة) أي جاعلات ماانسدل من شعورهن قلائد يتقلدنها ؟ وهذا من نعت المرأة ، إن صح ، أذهب في معاني الحسن ، وأشبه بما كانوا يهشون إليه ، من كل حسن مطبوع غير مصنوع . والسِّخاب ، والجمع سُخُب ، (قلادة تتخذ من قرنفل وسُك ومحلب ، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء) أو هو (كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن) (لسان العرب : سخب) .

وقوله : قبيل ، في رجز مهلهل ، تصحيف (أو تطبيع) ، صوابه : قتيل . والمعنى : لايبوء بكليب ممن قتل أحد ، أي لايكون له بواء ، إلا

أن يكون من آل مرة ، وهم رهط جساس ، قاتل كليب .

ورجز مهلهل أخرجه في الرسم هنا مخرج ماجاء في الديوان من سائر أعاريض الشعر ، ولم يميزه بالرسم الذي اختص به ماكان من الرجز ، على الصورة المعروفة في كثرة كثيرة من كتب العربية . وهذا قد كان غلط الطباعة أولى به ، لولا أنه قد جاء في فهرس الأشعار[٢٠] لا الأرجاز .

ومثله في الديوان رجز الأعرابية المشهور :[٢١] .

بني إن البر شيء هينُ
المنطق اللين والطعيمُ

ورجز حنظلة بن مصبح :

ياريها اليوم على مُبينِ
على مبين جردِ القصيمِ
. . . .

جاءا في الديوان (٩٠) هكذا :

بني إن البر شيء هين[٢٢]
المنطق اللين والطعيم

والآخر :

ياريها اليوم على مبينِ
على مبين جَردِ القصيم

وهما في فهرس الأشعار لا الأرجاز .[٢٣] وعلى أن الأبيات لو كانت من

(٢٠) ص : ٣٠٨ .

(٢١) على النون ضمة واحدة .

(٢٢) على النون ضمتان . وهذا دال على أن هذا في المطبوع شطر بيت لا مشطور رجز .

(٢٣) ص : ٣٠٧ .

الشعر لا من الرجز ، لم تصلح أن تكون شواهد على ماأنشدت من أجله . وإنما أنشدت ههنا شواهد على الإكفاء ، وهو ، في القوافي ، أن تتقارب مخارج الحروف ، أو تكون من مخرج واحد ، فتتشابه ، فتجيء في القصيدة الواحدة من الشعر ، أو الأبيات من الرجز ، فلا يفطن لها ، أو لايبالى بها ، لما كانت على تلك الصفة .

والشاهد في رجز الأعرابية وفي رجز حنظلة مجيء النون والميم جميعاً في الروي ، وقد كان ينبغي أن يخلص لواحد منهما .

٣٨ / ص : ١٢٧ : وقال فيها :

والخيلُ والنَّعَمُ المبين وطالما أعطى الجزيل وليس ذاك بعاتم

عاتم : أي : بطيء .

قلت : قوله : « والخيلُ والنَّعَمُ » بالرفع ، الوجه فيه النصب على الإتباع لما سلف في البيت الذي تقدمه . ونسق الكلام : الواهبُ القينات ، والخيلَ والنَّعَمَ ... و« المبين » لم أعرف ماهي ، وأنا أخشى أنها « المئين » يقوي هذا قوله في البيت : وطالما أعطى الجزيل ..

٣٩ / ص : ١٢٨ : وقال من كلمة في مدح عمر بن عبد العزيز :

عفت بعد أشباح الأنيس كأنما الشخوص بها خيلان حُرْض وعَجْرَمِ

الشبح : الشخص ، خيلان : جمع خال ، وحُرْض : أراد حُرُض ، فخفف .

قلت : شطرا البيت بهيئتها هذه التي رأيت مختلان ، صحتها :

عفت بعد أشباح الأنيس كأنما الشْـ ... شُخوص بها خيلان حُرْض وعَجْرَمِ

والبيت من الطويل .

وقوله في الشرح : « وحُرْض ، أراد حُرّض ، فخفف » ، تشديد الراء من : حرض ، ذهاب بالحرف وبشرحه في غير ماينبغي لهما ، وإنما

هو : حُرُض ، براء مضمومة غير مشددة ، وإنما التخفيف في المتحرك إسكانه .

وهذا في العربية كثير ، ومنه ، في هذا الديوان ، ماجاء في شرح بيت عدي : (١٥٥ ، ١٥٦) :

فترددن بالسماوة حتى كذبتْهن غُدْرُهَا والنِّهاءُ

... والغُدْرُ : جمع غدير ، وأصله : غُدُر ، فخفف .

٤٠ / ص : ١٢٩ : وقال فيها :

تخطين بطن الستر حتى جعلنه على الغرب شير المنتوي المتيم

الستر : وادٍ ...

قلت : الستر ، في البيت وفي الشرح ، هو : السرّ ، وهو علم على مواضع في بلاد العرب ، تعيين مايصلح منها لشعر عدي مبحث على حدة .

٤١ / ص : ١٣٠ : وقال فيها :

فما كان باب الحمد حتى لقيته بأخرس مكنونٍ ولا بمُصَتَّمِ

قلت : كان البيت مديحاً فأصارته « حتى » إلى الهجاء ، وإنما هي : حين .

٤٢ / ص : ١٣٠ : وقال فيها :

جمعت اللواتي يحمد الله عبده عليهن فليهنأ لك الخير واسلم

فأولهن البِرُّ والبِرُّ غالبٌ وما بك من غيب السرائر يعلم

قلت : قوله في البيت الثاني : وما بك من عيبٍ ... ، كأنه نفى عنه أن يكون به عيب ، وهذا على اضطرابه في ذاته ، مفضٍ بالبيت إلى الإقواء . وإنما هو :

وما يكُ من غيبِ السرائرِ يعلمِ

وهذا كقول زهير :

فــلا تكتمن الله مـــــافي نفــوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

وقوله :

ومهما تكن عنـد امرئ من خليقـة وإن خالهـا تخفى على النـاس تعلم

٤٣ / ص : ١٣١ : وقال فيها :

وعــــاشرة أن الحلـوم تــوابــع لحلمـك في فضـل من القـول محكم

قلت : فضل ، بالضاد المعجمة ، هي : فصل ، بالصاد المهملة .

٤٤ / ص : ١٣٢ : وقال فيها :

أنــا خــوا قليــلاً ثم نبــه نــومهم دعــاءً بُعَيْـدَ الفهم مــاض معمم

عمرسُ أسفـــار إذا استقبلت لـــه سَمــوم كحر النــــــار لم يتلثم

قلت : قوله : دعاءً بُعَيْـدَ الفهم ، مضطرب ذاهب ، من كل وجـه .

وإنمـا هو : دعـاءً بَعِيْـدِ النهم . والنهم : زجركَ الإبل تصيـح بهـا لتمضي .

(اللسان : نهم) .

وقولـه : عمرسُ أسفـار ، بـالرفع ، خفضـه على الإتبـاع أجـود لـه ، ونسق الكلام : دعاء بعيد النَّهم ، ماضٍ ، معممٍ ، عمرسِ أسفار ..

وقوله : سُموم ، بضم السين ، هي : سَموم ، بفتحها .

٤٥ ـ ص : ١٣٣ : وقال فيها :

إذا مــارمى أصحــابَــه بجبينــه دجــا الليلــةِ الظلمــاء لم يتكهم

شديـد صفـاق الكشح يلوي إزارَه بمنخرق عـــاري الشراسيف أهضم

قلت : أصحابَـه ، في البيت الأول ، بفتح البـاء ، هي : أصحـابُـه ، بضمها و « دجا » بالألف ، انما هي : « دجى » بالياء . و « يلوي إزارَه » في البيت الثـاني ، بفتح الراء ، وكأنهـا مفعـول : يلـوي ، مبنيـاً لمـا سمي فاعله ، إنما هي : يُلوى إزارُه ، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله .

٤٦ / ص : ١٣٤ ـ ١٣٥ : وقال فيها :

على منبر الوادي المقدس كلِّه يروح بقول ثابت المتكلم

المقدس : المبارك والمتكلم : المصدر في معنى التكلم ، يقال : تكلم تكلماً حسناً .

قلت : « كلِّه » في صدر البيت ، مكسورة اللام ، إن صحت فالوجه أن تكون مضمومتها . وأنا منها في ريب ، ولم يحضرني فيها ماينتهي بها إلى أحد الوجهين : النفي أو الإثبات

وقوله في الشرح : والمتكلم : المصدر ... إنما هو : والمتكلم : مصدر ...

وقوله : « .. تكلم تكلماً حسناً » البيت والشرح قاضيان أنها : ... متكلماً حسناً .

٤٧ / ص : ١٣٦ ـ ١٣٧ : وقال من قصيدة :

من لدن أن أجنني الليل حتى فضح الصبحُ واضحاتِ النجوم

بمنير يُعَصفِرُ الأفقَ منه لاح في أخريات جون بهيم

بمنير : يريد الصبح ، وقوله : يعصفر : أي تركته أحمر . والأفق جوانب السماء والأرض . وأخرياتها : أواخرها . والجون : الأسود ، عنى به الليل . والجون أيضاً في غير هذا الموضع : الأبيض ، وأنشد :

غير يابنت الجنيد لوني

مر الليالي واختلاف الجون

يريد النهار . وقال الأصمعي : عرض أنيس الجرمي درعاً فجعل لايرى صفاءها ، فقال : إن الشمس جونة ، أي شديدة الضوء ، قد غلب بياضها بياض الدرع .

قلت : قوله : يُعَصْفِرُ الأفق (« يُعصفر » فعل مضارع ، و

« الأفقَ » مفعوله) لايصح على هذا الوجه ، وهو ناب به موضعه من الكلام ، وإنما هو : تَعَصْفَرَ الأفقُ ، الفعل ماضٍ لازم ، والأفقُ فاعله . يدل على هذا ، في سياق العبارة كلها ، أشياء تركنا ذكرها طلباً للاختصار . وعلى أن الوجه إن شاء الله مارأيت .

ثم الذي في الشرح : « وقوله : يعصفر : أي تركته أحمر » ، صحة العبارة ، جارية مع ماتقدم في سنن : « وقوله : تعصفر : أي تركه أحمر » . أي ان الصبح قد ترك الأفق أحمر .

وقوله في الرجز الشاهد على الجون ، بمعنى الأبيض : يابنت الجنيد ، هو بأن يكون تحريفاً (أو تطبيعاً) أشبه . والذي في المصادر ، مما وقفت عليه ، : يابنت الحُلَيْس .

من هذه المصادر ماذكره المحققان : أضداد الأصمعي[٢٤] : ٣٦ ، والزاهر : ١ / ٣٥٧ . ومنها مما لم يذكراه : أضداد ابن السكيت : ١٩٠ ، وإصلاح المنطق : ٣٦٣ ، وتهذيب إصلاح المنطق : ٧٥٢ ، والمشوف المعلم : ١ / ٨٥ ، وأضداد أبي حاتم : ٩٢ ، وشرح المفضليات : ٧٤٧ ، ٧٨٠ ، ٨٢٢ ، وأضداد ابن الانباري : ١١٣ ، وشرح القصائد السبع

---

(٢٤) هو أول ثلاثة كتب في الأضداد ، نشرها أوغست هفنر سنة ١٩١٢ ، والآخران لأبي حاتم وابن السكيت .

وقد كنت هممت بكتابة كلمة على حيالها ، في بطلان نسبة هذا الكتاب إلى الأصمعي . إذ كانت مادته ذاتها ، منادية على نفسها بذلك ، وأنه لايعدو أن يكون نسخة من كتاب ابن السكيت . ثم بدا لي أن أنظر في كلام من ترجم للأصمعي من المحدثين ، فرأيت الدكتور رمضان عبد التواب قد سبق إلى ذلك ، ورأيته يذكر في ثبت كتب الأصمعي ، في مقدمته لكتابه الاشتقاق (٢٨) أنه كتب في هذا المعنى في مجلة المكتبة العراقية ، في مواضع ثلاثة منها ، ذكرها في مقدمته تلك . ونحن ، في مقامنا هذا ، لانحتاج إلى أكثر من تصحيح نسبة الكتاب ، وفي الذي ذكرناه كفاية .

الطوال : ٤٦٥ ، وأمالي القالي : ١ / ٩ ، والصحاح واللسان والتاج : (اون) و (جون)

وخبر الأصمعي في درع أنيس الجرمي ، مختل ههنا اختلالاً شديداً ، وهو بكماله ، عن الأصمعي ، في أضداد ابن السكيت : ١٨٩ ، وأضداد ابن الأنباري : ١١١ ـ ١١٢ ، وشرح السبع : ٤٦٢ ، وأمالي القالي : ١ / ٩ . ثم هو بلا نسبة في الفائق : ١ / ٢٤٨ ، والنهاية : ١ / ٣١٨ ، واللسان : جون .

وأنا أحكي مافي أضداد ابن السكيت (ص : ١٩٠) ، إذ كانت ألفاظه أشبه بما في ديوان عدي :

« قال الأصمعي : وعرض أنيس ، وكان فصيحاً ، على الحجاج درع حديد ، وكانت صافية ، فجعل لايرى صفاءها ، فقال : ليست بصافية ، فقال أنيس : إن الشمس جونة ، يعني شديدة الضوء ، حتى قد غلب ضوؤها بياض الدرع » .

٤٨ / ص : ١٣٩ : وقال فيها :

فتناسى الصبا بذات هبات ... تقتدي بعد ابنها بالرسيم

قلت : هكذا جاء البيت : « فتناسى » بياء بعد السين (ألف مقصورة) ، و « هبات » ، بالتاء المثناة من فوق ، و « ابنها » بالباء الموحدة . وإنما هو :

فتناسَ الصبا بذات هِبَابِ ... تقتدي بعد أينها بالرسيم

٤٩ / ص : ١٤٥ : وقال من قصيدة :

وصاحب غير نِكْسٍ قد نشأتُ به ... عن نومةٍ وهو فيها مُهمَدٌ أنق

نشأت به ، أي زجرته ونبهته من نومته فباعدته عنها . وروى أبو عمرو : قد نشأت به أي أيقظته ، قد أنشأه الله إذا أحياه الله . والمهمد : الساكت . أنق : معجب .

قلت : قوله في البيت : قد نشأت به ، بالشين ، عبارة الشرح دالة على خلافه ، وأنه إنما يشرح : قد نسأت به ، بالسين ، وأن تلك رواية في البيت رواها أبو عمرو .

وقوله في الشرح : قد أنشأه الله .. ، الأشبه بعبارتهم في مثل ما نحن فيه ، أن يكون تقدمها مما يتصرف من القول ما يناسب المقام ، وهو ههنا : يقال .

٥٠ / ص : ١٤٦ :

تربص الليلُ حتى قال شائمه على الرُّوَيْشدِ أو خرجائِهِ يَدِقُ

قلت : فاعل « تربص » السحابُ المفهومِ من سياق الأبيات ، لا « الليل » ، الليلَ ظرف التربص منصوب . والشيم إنما يكون للبرق والسحاب . جاء في اللسان (شيم) : « شام السحاب والبرق شيماً : نظر إليه أين يقصد وأين يمطر »

٥١ / ص : ١٥٠ : وقال في نسيب كلمة في مدح الوليد :

وإذا ما تبسمت لاح منها بَرَدٌ شافه لِثَاتٌ ظِماءُ

يريد : البرد ثغرها ، يشوفه شوفاً ، إذا حلاه وحسنه ، وشيفت الجارية إذا لبست الحلي وتزينت ...

قلت : عبارة الشرح بأسرها محتاجة إلى إصلاح ، وما أذكره ظاهر أنه اقتراح للصواب ، لا أنه نص فيه :

فقوله : « يريد : البرد ثغرها » ظاهر أنه : يريد بالبرد : ثغرها . وقوله : يشوفه شوفاً ، الكلام هنا منقطع ، وينبغي أن تكون صلته : [شافه] يشوفه شوفاً .

وقوله : إذا حلاه وحسنه ، حلاه ، بالحاء ، إنما هي : جلاه ، بالجيم . جاء في اللسان (شوف) : « شاف الشيء شوفاً جلاه ، والشوف : الجلو ، والمشوف : المجلوّ ، ودينار مشوف أي مجلو .. »

وقوله : وشيفت الجارية إذا لبست الحلي وتزينت ، فهذا لابد فيه من التصرف على وجهين ، أجتزي من الكلام عليهما بذكر مايصح فيهما :

وشيفت الجارية إذا [أ] لبست الحلي ، وزينت . وشيفت الجارية [وتشوفت هي] إذا لبست الحلي وتزينت . جاء في اللسان (شوف) : « وتشوفت المرأة : تزينت ، ويقال : شيفت الجارية تشاف شوفاً إذا زينت »

٥٢ / ص : ١٥١ :

بـزهـا الأمر أيّـد نَعِرَ النيـةِ   لا يُطْبِيـــــهِ إلا الخـــلاءَ

قلت : جَذْبُ « النية » إلى صدر البيت ، لتكون بأسرها من تمامه ، وضبط « يُطْبيه » على الصورة التي رأيت ، قد أخلا بوزن البيت إخلالاً فاحشاً ، وهذا فوق أن « يُطْبيه » في ذاتها غلط ، صوابه : يَطَّبيه . وصحة إنشاد البيت :

بـزهـا الأمر أيـد نعر النيْـ...   ـيَـة لايَطَّبيـــه إلا الخـلاء

٥٣ / ص : ١٥٢ :

آبـل لايـزايـل الجـزؤ حتى   ترد الصهب قبلـه والظبـاء

آبل : حاذق برعيه الإبل ، يحسن القيام عليها . الجزؤ : الاجتزاء بالرطب عن الماء .

قلت : قوله في البيت : الجزؤ . الهمزة على الواو ، صوابه : الجزءَ ، الهمزة على السطر .

وقوله : آبل : حاذق برعيه الإبل ، كأنه أضاف الرعي إلى الضمير العائد على (آبل) ، وإنما العبارة : آبل حاذق برعيةِ الابلِ . جاء في اللسان (رعى) : « يقال : إنه لترعيّة مال ، إذا كان يصلح المال على يده ، ويجيد رِعْيَةَ الإبل » . وعلى أن في « آبل » بعدُ مايتوقف فيه ،

وذلك أن النظر في شعر عدي ، وتدبر ماقالوه في هذا الحرف (اللسان : أبل) يكادان يفضيان الى أن الموضع « أَبِلّ » لا « آبِلّ » .

٥٤ / ص : ١٥٢ : وقال من كلمة في مديح الوليد بن عبد الملك :

يتغنى بهـــا على نَغِمٍ بـــالٍ ... في ضـواحي ريـاضهـا المكاءِ

المكاء : طوير في رجليه طول ، وفي أطراف رجليه توشم سواد ...

قلت : قوله في صدر البيت : ... على نَغِمٍ بالٍ ، بنون مفتوحة ، وغين مكسورة ، وميم مكسورة منونة ، مضطرب ذاهب ، من كل وجه . وإنما هو : على نُغْمِ بالٍ ، بنون مضمومة ، وعين ساكنة ، وميم مكسورة بلا تنوين ، على الإضافة إلى : بالٍ .

وقوله في الشرح : المكاء : طوير .. إنما تصغير طائر : طويئر ، أو : طويّر .

وقوله : توشم سواد ، إنما هو : توشيم سواد .

٥٥ / ص : ١٥٣ :

أفـلا تسعـــدُ الهمـومَ بعنسٍ ... رَسْلَـــةٍ حين تَعْرِضُ البيـــداءُ

كالصهـابيـةِ النَّحُـوصِ تـلاهـا ... واضـحُ الكاذنين فيـه انتحـاءُ

الصهابية : أتان وحشية في لونها صهبة ، والنحوص : الحائل ، تلاها : تبعها ، والواضح : الأبيض ، والكاذنان : اللحمتان اللتان في مؤخر الفخذين ، وهما من الظبي أشد بياضاً من سائر جسده ، انتحاء : اعتماد في عدوه .

قلت : لم أعرف ما الإسعاد في قوله في صدر البيت الأول : أفلا تسعد الهموم ، من أجل أنه في هذا الموضع من أبعد شيء يكون ، بل هو متعذر ممتنع . وهم إنما كانوا يعوذون بأقوى إبلهم على السير ، إمضاء للهموم ، ودفعاً لغوائلها عنهم ، لا إسعاداً لها عليهم . وقد قالوا :

أصدر همومك لايقتلك واردُها

وقالوا :

اضربَ عنك الهمومَ طارقَها ضربك بالسف قَوْنَسَ الفرسِ

وأقرب ماحضرني في الموضع أن يكون : أفلا تسعد ، تصحيف : أفلا تبعد . وعلى أني لست منه على ثقة ، من جهة لفظه لامن جهة معناه . ولعل في الأمر كله وجهاً آخر ، أو وجوهاً ، تضح لقارئه بعد ، ويستعلن له منها ماخفي علي .

وقوله في البيت الثاني وفي الشرح : الكاذنان ، بالنون ، إنما هو : الكاذتان بالتاء ، واحدتها : كاذة ، وجمعها : كاذات وكاذ . وفي الكاذتين والكاذ أقوال وفضل بيان ، تجدها مبسوطة في مواضعها من كتب اللغة .

٥٦ / ص : ١٥٤ :

يتعاقبنه بضرب ولاء لايقي حاجبيه منه وَقاءُ

فبضاحي لَبَانِهِ وذراعيه أخاديدُ مابهنَ غَباءُ

ضاحٍ : بارزه ، اللبان : مجرى اللبب ، أخاديد : آثار من رمحها إياه ، غباء : خفاء .

قلت : البيت الثاني ، بصورته التي جاء عليها في المطبوع ، مختل شطراه ، واستواؤهما :

فبضاحي لبانه وذراعيه أخاديد مابهن غباء

والبيت من الخفيف .

وقوله في الشرح : ضاحٍ : بارزه ، ظاهر أن عبارة الشرح لاتناسب المشروح ، وهي محتملة وجهين : ضاحي لبانه : بارزه ، و : ضاحٍ : بارز .

٥٧ / ص : ١٥٥ : وقال فيها :

ودنـا النجم يستقيـل وحـارت كل يـوم ظهيره شهبـاء

يريد بالنجم : الثريا إذا طلعت بالغداة في شدة الحر . وإذا طلعت عشاء فذلك البرد . وقال :

طلـع النجم عشـاء وابتغى الراعيُ كسبـا

حارت : أي ركدت .

قلت : قولـه في البيت : يستقيـل ، بيـاء بعـد القـاف ، إنمـا هـو : يستقل ، من الاستقلال . واستقلاله طلوعه وظهوره .

وقوله في البيت الشاهـد : وابتغى الراعيُ كسبـا ، على اليـاء ضمـة ، فـزع بـاليـاء في (الراعي) إلى الضم ، على نكارة ذلـك ، ليصـح وزن البيت ، فيما أحسب[٢٥] . بعد أن تصحف (كساء) الراعي إلى مـارأيت . وإنما البيت :

طلـع النجم عشـاء وابتغى الراعي كسـاء[٢٦]

وهو من مجزوء الرمل . وإنما ابتغى الراعي الكساء لما وجد البرد . وأشـد البرد عنـدهم إذا تـوسـط النجم السماء مع غروب الشمس . ومن صريـح ماجاء عنهم في ذلك ، وهو نص في الموضع كلـه ، الشرح والشـاهـد ، قول الراجز :

إذا الثريـا طلعت عشـاء

فبـع لراعي غنم كسـاء

والبيتان في الأضداد المنسوب إلى الأصمعي : ٣٠ ، وأضـداد ابن السكيت :

---

(٢٥) من قبل أنه قد أخل به فهرس الشعر أيضاً ، فلم يـذكر لافي البـاء ، كما يقتضيـه رسم المطبوع ، ولا في الهمزة ، إن كان ماهنا تطبيعاً .

(٢٦) جاءت جمهرة ألفاظ البيت في المخصص : ٩ / ١٥ ، كلامـاً منثوراً مسجوعـاً : إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء .

١٨٤ ، وأضداد ابن الأنباري : ٧٤ ، والجمهرة : ١ / ٣١٧ ، واللسان : بيع .

٥٨ / ص : ١٦٣ : وقال من كلمة في مدح عمر بن الوليد :

والأرض من أعلامها متواضع   وأعز عَمَّمَ رأسَه بعماء

قلت : صواب ثلاثة المواضع في عجز البيت : وأعز (العين المهملة بعدها زاي) : وأغر (الغين المعجمة بعدها راء) ، عَمَّم (بالبناء لما سمي فاعله) : عُمِّمَ (بالبناء لما لم يسم فاعله) ، رأسَه : رأسُه .

٥٩ / ص : ١٦٤ : وقال فيها :

نسياً تنوسي ليس يرفع رأسه   أبداً لتائرة ولا لعلاء

« ... التائرة : الشر يقع بين القوم ... »

قلت : التائرة ، في البيت وفي الشرح ، بالتاء ، صوابه : النائرة بالنون .

٦٠ / ص : ١٧٠ : وقال من كلمة في مديح الوليد :

بعد الشقاق وأضغان مبينة   وميتةٍ كان فيها حِينٌ من حانا

قلت : ميتة في عجز البيت تصحيف : فتنة ، و « حِين » إنما هي : حَيْن . والحَيْنُ الهلاك .

٦١ / ١٧٦ : وقال يرد على الراعي النميري :

فإنّك والشعر إذ تزجي قوافيه   كمبتغي الصيد في عِرّيسة الأسد

وما قضاعة عن نصري بنابية   إذا تسامت قروم الناس في لبَدِ

قلت : تشديد النون في قوله : فإنّك ، مخل بوزن البيت ، والوجه اسكانها . والبيت من البسيط . وشبيه ببيت عدي شاهدهم المشهور على (أنْ) خفيفة مفتوحة :

فلو أنكِ في يوم الرخاء سألتني   فراقك لم أبخل وأنت صديق

و « نابية » في صدر البيت الثاني تصحيف : نائية :

وما قضاعة عن نصري بنائية .

و « لَبدِ » في عجزه لم أعرف ماهو وأخشى أنه : « كَبَدِ » .

٥٢ / ص : ١٧٧ : وقال يمدح الاسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية :

ليت شعري هل تُخَبّرُني الديار   بيقين عن أهلها أين ساروا

أسفاً هيجت فما لك منها الـ   ـيوم إلا تفجعٌ وادّكارُ

لايجيب الأحياءَ من ليس حياً   والعَمَى عند غيره الأخبارُ

قلت : تُخَبّرُني ، في صدر البيت الأول ، مخلة بوزنه ، والوجه فيها : تُخْبِرَنّي .

و « العَمَى » في البيت الثالث ، بفتح العين والميم ، بعدهما ياء (ألف مقصورة) ، مصدراً ، تصحيف ، صوابه : العَمِي ، بفتح العين وكسر الميم ، بعدهما ياء ساكنة .

٦٣ / ص : ١٧٨ : وقال في هذه القصيدة :

فنأت وانثوى بها عن هواها   شَظَفُ العيش آبلٌ سيّار

رُبَّ إبل إذا اجتوى أرض قوم   شيعتاه هومه نعّار

(... ورجل مشيع ، إذا كان قوياً جريئاً ، أي كان له شيعة ، أي أصحاب وأعوان ...) .

قلت : (انثوى) في صدر البيت الاول ، بالثاء المثلثة ، هي : انتوى ، بالتاء المثناة . تطبيع .

و (شظَف) في عجزه ، بفتح الظاء ، هي : « شظِف » بكسرها .

و « رُبَّ » بضم الراء وفتح الباء المشددة ، وكأنها رب الجارة ، هي : رَبُّ ، بفتح وضم الباء المشددة ، أي مالك وصاحب . و « كان » في الشرح ، هي : كأن ، أي كأنّ له شيعة ، لا أنه قد كان له ذلك .

٦٤ / ص : ١٧٩ : وقال فيها :

حصر الناس أن ينالوا حماها وأرنّتْ بروضها الأمطار

حصِر الناس : أي ضاقوا أن ينالوها ، وحصر صدره : ضاق ، ومنه سمي السجن حَصْراً لضيقه ...

قلت : « أرنت » في بيت عدي ، بالنون ، هي : أربّت ، بالباء . و « حَصْراً » في الشرح ، تحريف (أو تطبيع) صوابه « حصيراً » . وقد جاءت على الصواب في ص : ٦٦ : .. والحصير في غير هذا الموضع : المحبس .

٦٥ / ص : ١٨٤ : وقال فيها :

ولدتهم حواض منجبات وألال الحواض الأحرار

حواض : عفائف .

قلت : حواض ، في البيت والشرح ، بالضاد المعجمة هي : حواصن ، بالصاد المهملة . وكذلك هي في بيت آخر لعدي ، وفي شرحه (ص : ٢٢٦) :

حواضن إلا أن يرى متعرض جبيناً أسيلاً أو بناناً مخضبا

جاء في اللسان : (حصن) : « وامرأة حَصان ، بفتح الحاء ، عفيفة بينة الحصانة والحِصْن ، ومتزوجة أيضاً ، من نسوة حُصُنٍ وحصانات ، وحاصن من نسوة حواصن وحاصنات »

٦٦ / ص : ١٨٦ : وجاء في خبر نزوله على عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وهو الاسوار ، « ... فأنزله رجل بالأسوار ، فأحسن إليه وداواه ، وحباه بفرس وعشر من النوق ، ومارّه وكساه ... »

قلت : مارّه في الخبر ، بتشديد الراء ، هي : مارَه ، بتخفيفها ، من الميرة ، وهي الطعام يمتاره الإنسان . أو يميره غيره .

٦٧ / ص : ١٨٧ : وقال في مديح الأسوار :

كم من فتى قد رأينا لاسوام لـه ثم اقتنى بعد ذاك المال واحتبرا

قلت : احتبرا ، بالحاء ، هي : اجتبرا ، بالجيم . جاء في اللسان (جبر) : « يقال : جبر الله فلاناً فاجتبر ، أي سد مفاقره » .

٦٨ / ص : ١٩٠ : وقال فيها :

تغشى الخباز وفيه حوله سعة وخيبة العين ألا تبصر الغَدَرَا

الخباز : اللين من الأرض ، فيه جحرة الجرذان واليرابيع ...

قلت : الخباز ، في البيت وفي الشرح ، بالزاي ، هي : الخَبَارُ ، بالراء .

٦٩ / ص : ١٩١ : وقال فيها :

ليت الذي مس رجلي كان عارضةً بحيث يَنْبُتَ منّي الحاجبُ الشَّعَرا

يقول : ليت الذي كان أصابَ رجلي ، كان شجة في وجهي .

قلت : سياق البيت وشرحه مفضيان ، لامحالة ، إلى أن « عارِضَةً » إنما هي : عارِضَهُ .

وقوله : يَنْبُتَ ، صوابه : يُنْبِتُ .

٧٠ / ص : ١٩١ : وقال فيها :

داويت ضيفك حتى قام معتدلاً وَرِشْتَه فرآه الناس قد جُبرا

جبر : سرر ، والجبرة : السرور .

قلت : جبر ، في البيت والشرح ، بالجيم ، هي : حُبِرا ، بالحاء . والجبرة ، بالجيم ، هي : الحبرة ، بالحاء ، وهي السرور . و « سرر » هي : « سر »

وعلى أن هذا إصلاح للبيت بحسب مايقتضيه الشرح . وفي البيت والشرح جميعاً كلام غير هذا ، موضعه في الكلمة التي تلي هذه إن شاء الله .

٧١ / ص : ١٩٤ : وقال عدي من قصيدة :

ونحن جنينـا الخيـل ستين ليلـة   ينـازعن في السير المطيّ المخزّمـا

قلت : « جنينـا » بـاليـاء المثنـاة ، هي : جنبنـا ، بـالبـاء الموحـدة (جنب الفرس يجنبـه جَنَباً فهو مجنـوب وجنيب : قـاده إلى جنبـه) . وكانت العرب مما تفعل ذلك ، تجنب الخيل ، إذا أبعدت الغارة .

٧٢ / ص : ١٩٦ :

فـأبن إليهم من نـدانـا بنعمــة   ولم نستبح سـوءاً ولم نغش مُجْرمـا

إبـاؤهم أن يشكروا الفضـل إننـا   صبحنا الرماح من أبي جـابر دمـا

قلت : قـولـه في البيت الأول : مُجْرِمـا ، بـالجيم ، صـوابـه : مَحْرَمـا ، بالحاء .

وقـولـه : « إبـاؤهم » لايتحصـل منـه معنى ، وأراه : أنـاؤهم ، أي : قصـاراهم وغـايـة أمرهم جـاء في اللسـان (أنى) : « قـال ابن السكيت : الإنى من الساعات ومن بلوغ الشيء : منتهاه ، مقصور ، يكتب باليـاء ، ويفتـح فيـه . وأنشـد بيت الحطيئـة : وآنيت العشـاء الى سهيـل » [أو الشعرى فطال بي الأناء]

٧٣ / ص : ١٩٩ :

يخـوض بنـا أرض العـدو فتى لـه   مــآثر لاتجـزي بهن مــآثر

لاتجزي : لاتقضي ، أي لاتقوم مقامهن . وفي الحديث : (أن أبـا بردة بن نيـار سـأل النبي ﷺ فقـال : إني ضحيت بجـذعـة من المعـزاء ، فقـال : كفَتْ ، ولا تجزي عن أَجْرٍ بعدك) أي : لاتقضي .

قلت : قوله : أَجْرٍ ، بجيم ساكنة بعدها راء ، صوابـه : أَحَـدٍ ، بحـاء مفتوحة بعدها دال .

٧٤ / ص : ٢٠١ : وقال فيها :

وفي كل حين يبتلين بغـــــارةٍ كما غَلِسَ الـودُّ القطـــا المتـواتر

قلت : قوله : كما غَلِسَ الودَّ ، تحريف غريب ، وإنما هو : كما غَلَّسَ الوِرْدَ . وتغليس الوِرْد : اتيان الماء بغَلَس ، وهو أول الصبح . وأنشد ثعلب (اللسان : غلس) :

يحرك رأساً كالكبَـاثَـةِ واثقـاً بِـوِرْد قطـاةٍ غَلَّستْ وِرْدَ منهـلِ

٧٥ / ص : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ : وقال من كلمة في مديح الوليد :

أرعى النجوم إذا تغيب كـوكب أبصرت أخرى كالسراج تحـول

ولقـد تعللني منعمـــة لهـــا بَوضٌ إذا تضع الثياب جميـل

بَرَدَ المقبـل من لـذاذة ثغرهـا حُمُش اللثـات كأنـه مصقـول

قلت : قوله في البيت الأول : أبصرت أخرى ، إنما هو : أبصرت آخر ، هكذا هو في المظان ، وهو الذي تبده به ألفاظ البيت .

وقوله : تحول ، بالحاء ، وبإسناد الفعل إلى مؤنث ، صوابه : يجول ، بالجيم ، وبإسناد الفعل إلى مذكر . والقول فيه كالقول في الذي قبله .

وقوله في البيت الثاني : بَوْضٌ ، بفتح الباء وبالضاد المعجمة ، صوابه : بُوص ، بضمها وبالصاد المهملة . والبوص العجيزة .

وقوله : بَرَدَ المقبل ... حُمُش ، إنما هو : يَرِدُ الْمُقَبِّلُ ... حَمْشَ . يرد : من الورود ، (والحماشة : الدقة ، ولثة حَمْشة : دقيقة حسنة)[1] .

٧٦ / ص : ٢٠٧ : وقال فيها :

فـوردن حين أجنّهن مجلّـل تتحير الأبصـار فيـه ظليـل

مـاءً ترقرقَ بـالعشي متـونـه فتراه عن دوح الريـاح يميـل

---

(١) اللسان : حمش .

متونه : أعاليه . ترقرقه : تحركه إذا درجت عليه الريح .

قلت : حق « ماءً » بالرفع أن يكون « ماءً » بالنصب ، من أجل أنه معمول : « وردن » في البيت الأول ، وإنما يذكر ورود العانة الماء .

وقوله : ترقرقَ ، بفتح القاف ، صوابه : ترقرقُ ، بضمها ، أي تترقرق متونه ، فحذف .

وقوله : عن دوح الرياح ، تصحيف (أو تطبيع) صوابه : عن درج الرياح ، ودرج الرياح : مرورها

٧٧ / ص : ٢٠٩ : وقال فيها :

إن الخلافة لم يكن ليطيقها إلا امرؤ للمعضلات حمول
بدْوء له مع دينه وتمامه علم إذا وزن الحلوم ثقيلُ

البدوء : السيد ، وأبداء الجزور : خير أنصبائها .

قلت : بُدْوءٌ ، مخلة بوزن البيت ، غير مطابقة للسياق . وإنما الحديث عن واحد ، وإنما هي : بَدْءٌ . جاء في اللسان (بدأ) : « والبدء : السيد ، وقيل : الشاب المستجاد الرأي ، المستشار ، والجمع : بُدُوءٌ » .

٧٨ / ص : ٢١١ : وقال من كلمة في مدح الوليد :

تَرامَى به مُشْرِفُ الجهلتينِ ضاهي السرارة مُسْتَجرِفُ

مشرف الجهلتين : جانبا الوادي ، السرارة : وسط الوادي ، مستجرف : له جرف .

قلت : قوله : « الجهلتين » في البيت وفي الشرح ، بتقديم الهاء على اللام ، صوابه : « الجلهتين » بتقديم اللام على الهاء . وجلهتا الوادي : جانباه .

وفي عبارة الشرح بعد ، سقط ، تقديره : مشرف الجلهتين : [المشرف :

العالي ، والجلهتان] : جانبا الوادي .

وقوله : ضاهي ... لم أعرف ماهو ، وأنا أخشى أنه : ضاحي . والضاحي البارز .

وفي البيت اختلال في شطريه ، واستواؤهما :

ترامى بــه مشرف الجلهتيـ ... ـــن ضاحي السرارةِ مُستجرف

٧٩ / ص : ٢١١ : وقال فيها :

فما بيضة بلْ أُدْحَيَّتها ربيع تحلّبَ أو صَيّفُ

يريد بيضة النعام ، شبه المرأة بها ، والأدحي : مبيض النعام ، وهو « أفعول » من دحوت ، لأنها تدحو برجليها ، أي توضع ثم تبيض .

مجلّلة من بنات النعا م بيضاء واضحة تلصف

مجللة : محركة ، يحركها الظليم بجؤجؤه لتستوي في موضعها . تلصف : تبرق .

قلت : قوله في البيت : أدْحَيْتها ، ظاهر أنه : أُدْحِيَّها ، وهو مبيضْ النعام ، كما جاء في الشرح .

وقوله في الشرح : لأنها تدحو : صوابه : لأنها تدحوه .

وقوله : توضع ، تحريف ، صوابه كما يدل عليه ظاهر الكلام : تدحوه . أي تدحوه ثم تبيض ، جاء في اللسان (دحى) « والأدحي ... مبيض النعام في الرمل ، وزنه أفعول من ذلك ، لأن النعامة تدحوه برجليها ثم تبيض فيه »

٨٠ / ص : ٢١٣ : وقال فيها :

ومن كان يخلف ميعاده فإن المنية لاتخلف

ومالا مريء أرَبٌ بالحياة عنها محيص ولا مصرف

قلت : قوله في البيت الثاني : أرَبٌ ، الراء مفتوحة ، والباء مضمومة

مشددة ، فهذا مختل البتة ، وإنما هو : أرِبٍ ، الراء مكسورة ، والباء مكسورة هي أيضاً ، أي : ذي أرب .

وفي صورة البيت على نحو ماجاءت في المطبوع ، إجحاف بالقسمة التي تقتضيها أوزان الأشعار ، والعدل من ذلك فيها :

وما لامرئ أرِبٍ بالحيا ة عنها محيص ولا مصرف

٨١ / ص : ٢١٦ : وقال يمدح الوليد بن عبد الملك :

طال الكرى وألم الهم فاكتنعا وما تذكَّرَ من قد فات وانقطعا

قلت : قوله : طال الكرى ...، تحريف ينقلب معه معنى البيت ، وإنما هو : طار الكرى .

وقوله : وما تذكَّرَ ، فَجَعَل « تذكر » فعلاً ماضياً ، إنما هو : « وما تذكُّرُ » ، على أنه مصدر ، مثله في أشعارهم كثير .

٨٢ / ص : ٢١٨ : وقال في هذه القصيدة :

لو أخطأ الموت شيئاً أو تخطأه لأخطأ الأعصمَ المستوعلُ الصدعا

قلت : فاعل « لأخطأ » في عجز البيت ، الضمير العائد على الموت . ومفعوله : الأعصمَ المستوعلَ :

لو أخطأ الموت شيئا أو تخطأه لأخطأ الأعصمَ المستوعِلَ الصدَعَا

٨٣ / ص : ٢١٨ : وقال فيها :

وقد تشبع همّي ذاتَ مُعْجِمة بُوَيزلٌ نابها لم يَعْدُ أن طَلَعا

قلت : صواب ثلاثة المواضع في صدر البيت : تشيع (بالياء) ، أي تعين ، ذاتُ (بالرفع) من أجل أنها فاعل : تشيع ، ذات مَعْجَمَة (بفتح الميم والجيم) يقال ناقة ذات مَعْجَمَة أي : ذات (قوة وسمن ، وبقية على السير)

٨٤ / ص : ٢٢٢ : وقال يمدح الوليد :

غشيتُ بعُفرى أو برَجْلتها ربعا رماداً وأحجاراً بقين بها سَفعا

رجلة : مسيل نبت البقل .

فما رُمْتها حتى غدا اليوم نصفَه وحتى امترت عيناي كلتاهما دمعا

قلت : قوله : بعُفْرَى ، بضم العين ، إنما هو : بعِفرى ، والموضع في معجم البلدان ، مستشهداً عليه بالبيت .

وقوله : برَجلتها ، بفتح الراء ، صوابه : برِجلتها ، بكسرها .

وقوله : سَفْعَا ، بفتح السين ، الصواب : سُفْعَا ، بضمها . والسُّفْعُ جمع : أسفع .

وقوله في الشرح : مسيل نبت البقل ، أراه : مسيل ينبت البقل .

وقولهَ في البيت الثاني : حتى غدا .. فجعل « غدا » من الغدو ، إنما هو : عدا ، بالعين المهملة ، أي تجاوز اليوم نصفَه .

٨٥ / ص : ٢٢٦ : وقال من كلمة في مديح عمر بن الوليد :

ظللت أريها صاحبيَّ ولقد أرى بها أهلها من بين غُمْرٍ وأشيبا

ومحتجبات بالستور كأنما تُجن بيوتَ الحي منهن ربربا

قلت : إضافة « صاحب » إلى ياء الاثنين مخلة بوزن البيت ، والوجه إضافته إلى ياء المتكلم . والبيت من الطويل .

و (بيوت) في عجز البيت الثاني ، بفتح التاء ، صوابه : بيوتُ ، بضمها ، هي فاعل تجن .

٨٦ / ص : ٢٢٦ : وقال فيها :

كأنا ورحلينا على أخدرية نحوص تباري طاوي الكشح أحقبا

أتِنا عهاد الأرض يرتعيانها من الضيف حتى أنسلا وتقوَّبا

أتِنا : أقاما ، والعهاد : المطر . تقوبا : تسقط الشعر عند سمنها ، يقال قَوْب ، للمواضع التي سقط منها الشعر .

قلت : قوله : أتِنا ، في البيت وفي الشرح ، بالتاء المثناة المكسورة ، حق التاء ، إن صح هذا الحرف في هذا الموضع ، أن تكون مفتوحة لامكسورة ، يقال (.. أتَن بالمكان يأتِن أتْنا وأتوناً ، ثبت وأقام به) (ل : أتن) ، وأراه غير صحيح ، من أجل أنه مخرج لصدر البيت عن وزنه ، وهو في هذه القصيدة من الطويل ، إلى الكامل . وأرى أن صواب الموضع : أبَنًا ، بالباء وبتشديد النون ، والبيت صحيح بها معنى ووزناً . جاء في اللسان : (بنن) : « وبنَّ بالمكان يَبِن بناً ، وأبَنَّ ، أقام به ، قال ذو الرمة :

أبن بها عَوْدُ المباءة طيب [نسيمَ البِنان في الكناس المظلل]

وأبى الأصمعي إلا : أبن ، وأبنت السحابة : دامت ولزمت ، ويقال : رأيت حياً مُبِنًا بمكان كذا : أي مقيماً ..)

وقوله : من الضيف ، بالضاد المعجمة ، هو : من الصيف بالصاد المهملة .

وقوله : تسقط الشعر ، ظاهر أنه : تساقط ، تطبيع .

وقوله : قَوْب ، بفتح القاف وسكون الواو ، صوابه : قُوَبَ ، بضم القاف وفتح الباء . وهذا على التشبيه بالقُوَبِ التي هي قشور البيض .

٨٧ / ص : ٢٢٨ : وقال فيها :

فأوردها لما انجلى الليل أودنا فِضى كنَّ للَجوْن الخواتم مشربا

الفضية : الماء المستنقع ، وفِضَا أصلها المد فقصر ، الجَوْن : الحمر تضرب ألوانها إلى السواد .

قلت : قوله في البيت وفي الشرح : الجَوْن ، بفتح الجيم ، صوابه : الجُون ، بضمها

وقوله : الخواتم ، بالخاء المعجمة والتاء ، إنما هي : الحوائم ، بالحاء المهملة والهمزة .

وقوله : الخمر ، بالخاء المعجمة ، صوابه ، الحُمُر ، بالحاء المهملة المضمومة ، وبضم الميم .

٨٨ / ص : ٢٣٠ : وقال فيها :

تقول واعلان العتاب ملامة أأجمعت هجراناً لنا وتجنبا
فقلت لها لابل تألّفني امرؤ وَوَرْيُ الزناد يحسب الحمد منهبا
يرى المال لايبقى لمن كان مانعاً وما المال إلا مستعاد ليذهبا
أبوه أمير المؤمنين وأمُّه بحجر بن عمرو خير كندة مَنْصَبا

قلت : قوله : وَوَرْيُ الزناد ، صوابه : وَرِيُّ الزناد . جاء في اللسان : (ورى) « يقال إنه لواري الزناد وواري الزند ووري الزند ، إذا رام أمراً أنجح فيه ، وأدرك ماطلب »

وقوله : وما المال إلا مستعاد ، بالدال ، صوابه : وما المال إلا مستعار ، بالراء . وهذا على مذهبهم في المال ، وهو في كلامهم كثير فاش ، ومنه بيت ابن مقبل :

فأخلفْ وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذي هو آكله

وقوله : وأمه بحجر بن عمرو ، بالباء ، صوابه : لحجر ، باللام . أي هي من ولده ، ومنتهى نسبتها إليه .

وقوله : مَنْصَبا ، بفتح الصاد ، صوابه : مَنْصِبا ، بكسرها . « والمنصب : الأصل ، وكذلك النصاب . يقال : فلان يرجع إلى نصاب صدق ومنصب صدق ، وأصله : منبته ومحتده »[٢٧]

٨٩ / ص : ٢٣٠ : وقال فيها :

أُحبِّرُ قولاً لن يحبِّرَ مِثْلَهُ له صاحب غيري ولو كان مَغْرِبا

---

(٢٧) اللسان : نصب .

قلت : قوله في صدر البيت : لن يحبَّر مثلُهُ ، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله ، صوابه : لن يحبّر مَثْلَهُ ، ببناء الفعل لما سمي فاعله ، وفاعله : « صاحب » .

وقوله : ولو كان مَغْرِبا ، بفتح الميم وبالغين المعجمة ، أراه : ولو كان مُعْرِبا بضمها ، وبالعين المهملة . والمعرب : المبين عن نفسه ، القادر على منطقه . ويحتمل أيضاً أن يكون : ولو كان مُغْرِبا ، بضم الميم وبالغين المعجمة قال (الأصمعي : أغرب الرجل في منطقه إذا لم يبقِ شيئاً إلا تكلم به)[٢٨]

٩٠ / ص : ٢٣١ : وقال فيها ، وهو آخرها بيتاً :

ثناء امرئ إن نال خيراً جزى به وليس على ما فاته مُتحوَّبا

متحوب : متوجع .

قلت : قوله : متحوَّبا ، بفتح الواو ، ظاهر أنه : متحوِّبا ، بكسرها .

٩١ / ص : ٢٣٤ : وقال من قصيدة :

وأدبروا ترتمي الأرض الفلاة بهم لبتة ثم ما عاجوا ولا عطفوا

قلت : قوله : لبتة ، في عجز البيت ، صوابه ، لنية ، وهي الوجه المنتوى .

٩٢ / ص : ٢٣٤ : وقال فيها :

وشمّرتْ بهمُ بُزَلٌ مُحَبَّسَة وحال دونهم الرَّبْوُ الذي عسفوا

قلت : « بُزَل » ، في صدر البيت ، مختل في ذاته ، مخل بوزن البيت ، وإنما هو :بُزْلٌ . و « مُحَبَّسة » بعد الميم حاء وباء ، إنما هي : مُخَيَّسة ، بعد الميم خاء وياء مشددة مفتوحة ، أي مذلّلة .

---

(٢٨) اللسان : غرب .

٩٣ / ص : ٢٣٧ : وقال فيها :

وبات يعدل عنها حد جؤجؤه مُعيرُها دفَّةُ والزور مُنْحرِفُ
كما يلازم دون الحنبلِ ابنتَهُ بنحرِهِ ويديه الأشمطُ الخَرِفُ

الحنبل : الفرو ، أي يلازم الظليم البيضة كما يلازم الأشمط الخرف ابنته دون فروته بنحره ويديه .

أثيبُها من بنات كنَّ قبلُ له ومن بنين فكلاً أذهبَ التلف

أثيبها : أعطيها ، ويقال للذي يصاب بمصيبة : أثابك الله منها الجنة . يقول : أعطي هذا الشيخ هذه الابنة ، ثواباً من بنين وبنات هلكوا قبلها فهو أشد حبه إياها .

حتى إذا نفض الأيام مرته واستوقد الهم في صدغيه والأسف

قلت : قوله : في البيت الأول : معيرُها ، بضم الراء ، حق العربية فيه أن يكون : مُعيرَها ، بفتحها .

وقوله : في صدر البيت الثاني : أُثيبُها ، بضم الباء ، ظاهر أنه : أثيبَها ، بفتحها .

وقوله في الشرح : فهو أشد حبه إياها ، هو هكذا مختل ، وصحة العبارة : فهو أشد [لـ] حبه إياها ، بزيادة اللام .

وقوله في البيت الثالث : نفض ، بالفاء ، إنما هو : نقض ، بالقاف .

● ● ●

وبعد ، فهذا آخر ماتيسر إثباته ، مما رجوت أن يصلح به بعض مافي المطبوع . والذي تركت أكثر مما أثبت ، وإنما انتخبت طائفة منه لتكون نماذج وأمثلة على أنواع ماوقع فيه من خلل .

ولولا هذا ، ولولا الرغبة في تكثير الفائدة بذكر الصواب ، لأسقطت أيضاً مما أثبت غير قليل .

والفضل ثابت بعد للأستاذين الدكتورين الكريمين ، كفاء ما أطرفا به القراء والدارسين ، من أثر ، هو عند المتطلع إليه ، كالدّرة الصدفية التي ذكرها نابغة ذبيان ، وجعل غواصها المبتهج بها ، مثلاً تسير به الركبان .



فقيد مجمع اللغة العربية
الأستاذ عبد الهادي هاشم
(١٩١٢ - ١٩٨٨ م)

فقيد المجمع

الأستاذ عبد الهادي هاشم

(١٩١٢ ـ ١٩٨٨ م)

الدكتور شاكر الفحام

أقوم مقامي هذا يُظِلُّني الخشوعُ ، ويملؤني الجزعُ والأسى ، لفقد أستاذنا الكبير عبد الهادي هاشم ، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه . فالرزءُ فاجع ، والمصابُ جَلَل ، ولئن تجمَّلْتَ بالصبر وحسن العزاء ، إن لفراق الحميم حُرْقةً لاتُدْفَع ، ولوعةً لاتُرَدّ . كان معنا فبان عنا الى جوار ربه الكريم ، فودَّعْنا فيه الأستاذَ العالم ، والمربي القدير ، والإداريَّ الكفيَّ ، والصديق الإنسان ، والرجلَ الذي أجمعت القلوبُ على حبه واحترامه ، للطفه ودماثته وصدقه وإخلاصه وحسن معشره ، وماتحلّى به من الخلق الطيب ، والتواضع الجمّ ، والإيثار والرفق .

وددتُ لو أسعفتني الكلماتُ ، وأنّى لي بها ، فأبسط سيرته الفاضلة ، وفيها مُتأمَّلٌ وذكرى . ولكن لئن أعجزني أن أفيه حقّه عليَّ ، وأعدّد مااضطلع به من أعمال ، وماحققه من منجزات في شتى الميادين ، طَوال حياته الحافلة بالنافع المفيد ، إني لاأتردد في أن أدلي بدلوي ، فأبكيه بكلمات قليلة ، هي دمعة محزونٍ آده الخطبُ ، وأُجْمل الحديثَ مكفكفاً من أطرافه . وإن الحديث عن الأستاذ هاشم فسيح المجال ، متعدد الجوانب ، ذو شجون .

● ● ●

● ألقيت هذه الكلمة في حفل تأبين الأستاذ الكبير عبد الهادي هاشم ، الذي أقامته وزارة الثقافة في مكتبة الأسد بدمشق في مساء يوم السبت ٢٠ / ٢ / ١٩٨٨ .

ولـد رحمـه الله في حـدود سنـة ١٩١٢ م (١٣٣٠ هـ) ، من أسرة دمشقية عريقة ، امتـدت أصولها في الأرض العربيـة ، وزكت فروعُها وسمقت ، لاتعرفُ غير العربيـة لسـاناً ، وغير العروبـة هـوىً ووطنـاً . وانصرف معظمُ أبنائها الى العلم والتجارة : طلبوا العلم استجابةً لما نُـدبوا اليـه : « إن الملائكـة لتضعُ أجنحتهـا لطـالب العلم » ، وتجرّدوا للتجـارة يبتغون بها مـاأحـلّ الله لهم من الرزق الطيب يقـومـون بحقه ويـؤدون التزاماته .

وشهد ، رحمـه الله ، في طفولتـه المبكرة أعراسَ الشـام التي شـاركت فيها الجماهيرُ العربية ابتهاجاً بتأسيس الدولة العربية التي رفرف عَلَمُها في سماء دمشق (في الثلاثين من ايلول ١٩١٨ م) . فهلّلت لها قلـوب العرب في كل أرض ، والتَفَّتْ حولها . وأصاخ السمعَ الى مالهج به الأهلون وقـادةُ العروبـة في مجـالسهم ومقـامـاتهم من أحـاديث الحريـة والاستقـلال ، وماتشوّفوا اليه من عودة العرب الى مسرح التاريخ بعد أن طـال غيـابهم عنه .

هـاهم أولاء العرب الأحرار قـد انـدفعوا يـؤسسون دولتهم الفتيّـة الحديثة ، منـاط آمـالهم ومرتكز نهضتهم ، ويرفعون قواعـدهـا ، والايمـانُ مـلءُ قلـوبهم ، والحمـاسةُ تعمر صـدورهم ، يُسرِعـون الخُطـا ، يطـوون المراحل ، يهيئون ويخططون وينسقـون الجهـود ليلحقـوا بركب الحضـارة العـالمي ويحققـوا في المـدة القليلـة مـاتتطلـع اليـه هممهم الكبيرة وآمـالهم العريضة ، ويشيّدوا حاضراً يليق بماضيهم المجيد .

ثم تهـاوى فُجـاءةً كلُّ شيءٍ أمـام عيني الفتى النـاشئ : وقعت غـدرةُ ميسلون المشـؤومـة (٢٤ تمـوز ١٩٢٠ م) ، فطـوّحت بـالآمـال العربيـة ، وزحفت جيـوش الاستعمار الفرنسي على الأرض الطـاهرة الطيبـة ، لتنشر

الدمار والرعب في كل مكان . وبدأت صفحةُ كفاح دامٍ مرير تصدى فيه الشعب العربي في سورية لمناهضة الاستعمار الفرنسي البغيض .

وأضرمت الأحداثُ الفاجعةُ جذوةَ الوطنية فتأججت في صدره ، رحمه الله ، وصاحَبَتْه في مراحل عمره ، تضيءُ له طريقه ، وتهديه في مواقفه ، يستمدُّ منها العون ليمضي إلى هدفه ثابت الخُطا ، لاتعوّقه المثبّطات ، ولاتفلُّ عزمَه العقبات .

لم يتهيّب أن يحدثنا عن واجبنا الوطنيّ في أحلك أيام الحرب العالمية الثانية ، وفي ظلّ الأحكام العرفية التي فرضها المستعمرون الفرنسيون . وهزّته انتصارات الوطن الكبرى فتغنّى فرحة الجلاء : « إن عيد الجلاء ، خالدٌ في العصور[1] » . وأشاد بوحدة القطرين : مصر وسورية[2] التي طمحنا جميعاً أن تكون نَواةَ الوحدة الكبرى ومحورها ، وقلعةَ العرب الحصينة ، لردّ عادية الاستعمار والامبريالية والصهيونية .

تلك بعضُ مواقفه الظاهرة ، أما المستسِرّةُ الخافيةُ فتتجلّى في ذلك التعشق للعرب وتراثهم وفضائلهم ، وفي حبه العربيةَ والتعلقِ بها ، والتحدثِ المستفيض عن خصائصها ومزاياها ، ثم في ذلك الدأب والعمل دون كلال ليؤدّي لأمته أجلَّ مايقوى على أدائه ، واثقاً بيومها الواعد ، مستشرفاً غدها المشرق الوضّاء .

ذكرتُ هذا في مطلع كلمتي ، لأني على مثل اليقين أنه مفتاحُ شخصية أستاذنا الكريم . لقد تملّك حبُّ الوطن قلبه ونفسه ، وملأ الغيظُ

---

(١) من كلمة للأستاذ عبد الهادي هاشم ، كتبها في ٢٠ / ٤ / ١٩٤٦ م بعنوان : (فرحة الدنيا وعرس الكون) ، ابتهاجاً بعيد الجلاء .

(٢) لقد عبّر الأستاذ هاشم عن الفرحة التي أترعت صدره بحديث له إذاعي (٢٣ / ٣ / ١٩٥٨) كان عنوانه (راية مظفّرة) .

على المستعمر الظالم صدرَه ، فعمل بصبر وجدّ ، وقدّم أقصى مايطيق ، وظلَّ ، طَوال حياته ، المؤمنَ بأمته ، الواثق بمستقبلها ، المتطلّع الى وحدتها وحريتها ومجدها ، حتى مضى لسبيله مشرع الراية ، وضّاء الجبين .

• • •

مازلتُ أذكرُ لقاءنا الأول للأستاذ الكريم ، طيّب الله ثراه ، وبرّد مضجعه . كان ذلك في أواخر عام ١٩٣٩ م ، والحربُ العالمية الثانية قد اشتعل أُوارُها ، واضطرمت نيرانُها . أقبل عائداً من فرنسا بعد أن روّى نفسه من مناهل المعرفة ، وقرأ ماشاء أن يقرأ ، وآب أوبة ظافرٍ مُنْجِح ، قد ملأ جَعْبَته من شهادات جامعته ، وثناء أساتذته ، وضَمَّ بُرْديه على ماثقف من علوم العربية وأدبها ، ثم ماجمع اليها من قراءات معمّقة في علوم التربية والفلسفة والألسن ومقارنة اللغات والتاريخ القديم ، ومن إلمامة وافية ببعض اللغات السامية الحامية ، ولاسيما الحبشية القديمة (الجِعز) .

وشاء لنا الحظ الطيب أن يعيَّن في حمص ليدرّسنا الآداب العربية . كنتُ طالباً في البكالوريا الأولى ، وبَهَرَنا الأستاذُ القادمُ : شابٌ في مقتبل العمر ، وريعان الفتوّة ، ساحرُ الحديث ، جميلُ الطلعة ، غايةٌ في الحزم والتيقّظ والتنظيم ، ضابطٌ لوقته أشدّ الضبط ، حتى إنه لا تُفلتُ منه دقيقة ، مُحَبَّبٌ الى طلابه ، فهو أستاذُهم هيبةً وجلالاً ، وصديقُهم أُلفةً وأُنساً .

وراعنا الأستاذُ الشاب بسعة معارفه ، وحسن تأتّيه ، ولطف مدخله ، فحبّب الينا التراث والعربية ، وحضّنا على المطالعة ، وقدّم

الينا كتبه الخاصة وما أكثرها . وتعلّق به طلابه مأخوذين بعلمه وأدبه ، مسحورين بحكمته وفطنته ومهارته ، وظلّوا الأوفياءَ له يذكرونه أجمل الذكر وأحلاه . كنا لا نكتفي بالمحاضرات التي يلقيها توطئة لامتحان البكالوريا ، وتهيئةً للنجاح فيه ، بل كنا نتبارى في كتابة تلك الفوائد التي كانت تتناثر وهو يتحدث ، وحين يُسأل ، ومازلتُ أحتفظُ بكراسين من فوائده .

قضينا على مقاعد الدرس سنة كاملةً نستمع اليه ونأخذ عنه ونتخرّجُ بعلمه وأدبه . وهاأنا ذا أعيد ذكراها على مسامعكم بعد ثمانٍ وأربعين سنةً ، أتمثلها أمام ناظريّ غضةً ناضرةً تنفح بأريجها العطر ، كأجمل ما تكون الأيام .

• • •

كان رحمه الله ، منهوماً بالعلم ، ظامئاً أبداً الى الاستزادة ، واسع الثقافة ، متنوّعَها ، لا يحدُّه اختصاصه عن الاطلاع والمتابعة لألوان المعرفة . يقول رحمه الله في كلمة له بعنوان (من آداب الأمم) : « ومن كان مثلي لايكاد يلتمس مباهج الحياة إلا في تضاعيف الكتب ، ولا يغريه منها إلا حديثُ أولي العقل الراجح والفكر النيّر ..... » .

وكان ، الى جانب ذلك ، يشقُّ على نفسه ، فلا يرضى بالهيّن اليسير ، بل يجشمها الصعب ، ويروضها على تذليل كل عقبة . عُني بالدراسات الأدبية واللغوية ، وتمهّر في دراسات فقه اللغة . ثم رأى أن يستزيد من معرفة اللغات السامية الحامية ليكون أصدقَ في الحكم ، وأدقَّ في تبيّن خصائص العربية ، فضمّ الى معرفة اللغة الحبشية الفصيحة (الجِعز) معرفةَ اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) واللغة العبرية . ثم

كان متقناً للفرنسية ، عارفاً بالانكليزية ، ملمّاً بالألمانية . ومكّنَتْه هذه المعارفُ اللغويةُ من الاضطلاع بدراسات جادّة خصبة في العربية والعبرية .

فقد توفّر على دراسة الفيلسوف اللغوي اليهودي (سعاديا غاوون) المعروف عند العرب باسم (سعيد بن يوسف الفيومي)[٣] ، وهيّأ رسالة باللغة الفرنسية بعنوان (سعاديا مترجم سفر أيوب) ، جعل قسمها الأول في دراسة ما نهض به سعاديا من ترجمة سفر أيوب الى العربية ، وتقويم عمله . وجعل قسمها الثاني في دراسة ما قام به سعاديا من شرح سفر أيوب وتقويمه . وكانت دراسة عميقة مبتكرة نال بها جائزة (باومان) . ونأمل أن يكتب لهذه الدراسة الهامة أن تترجم إلى العربية .

كذلك فان دراساته للغات السامية الحامية ، وهو المعنيّ بدراسة فقه اللغة ، قد أتاحت له أن يَقْوَى على تبيّن خصائص العربية ومزاياها ليزداد حباً لها واعتزازاً بها . يتحدث في مقدمة كتابه المخطوط في فقه اللغة عن مكانة اللغة وعظيم آثارها في صُنع الحضارة ، لينتقل بحديثه الى منزلة العربية فيقول : « وعربيتنا هي مستودع تراثنا ، ومرآة شخصيتنا ، وأساس قوميتنا ، وروح أمتنا ، وأداة ثقافتنا وفكرنا وشعورنا ، فما أحرانا بالتمسك بها والحرص عليها ، والانصراف الى دراستها

(٣) تحدث الأستاذ هاشم ، في الفصل الرابع من رسالته ، عن سعديا ومكانته الأدبية والثقافية ، وماكان له من مناشط في بعض جوانب المعرفة . وأشار الى ترجمته في الفهرست لابن النديم : « ... ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتكنين من اللغة العبرانية ، وتزعم اليهود أنها لم تر مثله ، الفيوميُّ ، واسمه سعيد ، ويقال : سعديا ، وكان قريب العهد ، وقد أدركه جماعة في زماننا . وله من الكتب : كتاب المبادىء ، .... كتاب تفسير كتاب أيوب ، ... » . ثم ذكر أن المسعودي في التنبيه والاشراف دعاه سعيد بن يعقوب الفيومي . ونبّه الأستاذ هاشم على أن يعقوب اسم جده .

وتفهم أسرارها ، وتبيّن خصائصها وسننها .... » .

ثم عاد فأكد تلك الصلة الوثيقة بين اللغة والقومية ، فقال في كلمة له بعنوان (اللغة والقومية) : « ولغتنا العربية هي العروة الوثقى التي تتمسك بها شعوبُ هذا الصقع من العالم . إنها هي التي اختزنت محامد ماضينا ، ومكارم تالدنا ، وضمّت روائع أدبنا ، وحفظت مفاخر ثقافتنا ، وطبعت تفكيرنا وشعورنا ، وعبّرت عن آلامنا وآمالنا ، إبان العسر واليسر ، في الماضي وفي الحاضر ، واستنقذت تراث البشرية الحضاري من الضياع والدثور . واننا لنعتقد جازمين أنها هي التي ستقرّب شعوب هذه الأمة بعضها من بعض ، وتجمع أيديهم على السرّاء والضرّاء ، وتشدّ أواصرهم ، وتوحّد مصايرهم ، وتستبدل بكياناتهم المشتّتة الممزّقة كياناً واحداً أو كالموحد ، يعمل لخيرهم ، ولخير البشرية جمعاء »[٤] .

ولقد دفعه حبه العميق للعربية أن سطّر البحوث ليكشف عن طبيعتها وقدرتها على الاستيعاب ومسايرة العصر وتلبية الحاجات المتجددة ، وأنّ لها من المؤهلات مايرقى بها ليجعلها في مقدمة اللغات الحضارية المعاصرة . ثمّ قدّم المقترحات في سبيل تيسير تعلّم النحو ، وتغيير أساليب تدريس العربية ، وتأليف الكتب الجديدة لتعليم العربية وآلاتها لأبنائها ولغير الناطقين بها ، لتسوغ العربيةُ لألسنة الملايين من أبناء آسيا وافريقيا ، كما تنبأ لها في مقالة جعل عنوانها : (لتكون العربيةُ لغة الأمم) .

• • •

اختارت منظمة اليونسكو الأستاذ عبد الهادي هاشم ليكون خبيراً

(٤) مجلة المعلم العربي (دمشق - تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٦١) : ٥

للمعارف في البلد الشقيق ليبيا ، بين سنتي (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ م) ، فقام بالمهمة خير قيام ، وأدّى أمانة العلم وحقّ الأخوة أحسن الأداء ، وخلّف آثاراً حساناً تُذْكر له فتُشْكر .

ثم عاد إلى سورية ، وتقلّب في مناصب عدة : تولّى الأمانة العامة لوزارة التربية ، ثم كان مديراً لدار الكتب الظاهرية ، ثم وُسِّد اليه رعايةُ التراث في وزارة الثقافة ، ليتسلّم من بعدُ منصبَ معاون الوزير .

ومثّل سورية في كثير من المؤتمرات العلمية والتربوية ، ولاسيا مؤتمرات اليونسكو ، والادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ومكتب التربية الدولي بجنيف ، ومؤتمرات المستشرقين .

فكان في كل ماأُسند اليه ونهض به لايرضيه إلا أن يبلغ الكمال ويوفي على الغاية . لم يكن ليكفيه أن يحسّ أنه موظّف قادر ، يُحسن أداء ماكُلِفه من عملٍ على خير وجه ، وانما كان يتملكه التملك الشديد شعورُه العميق أنه يؤدي رسالة لاوظيفة ، فعليه أن ينهض بتبعات ذلك كله ، وما يتطلبه من روح المبادرة والابداع والعمل الناشط المتواصل دون فتور ولا كلال حتى يبلغ البنيان تمامه .

تتبين ذلك وأنت تتأمل مسلكه في عمله ، وترقبُ تصرفاته مع زملائه والعاملين معه . وحسبي هنا أن أنقل فقرة من كلمةٍ له توجّه بها الى مديري المراكز الثقافية ، يستنهض هممهم لأداء المهمة التي نيطت بهم ، فهو يناديهم برفقٍ وتحبّب : « يارفاق الدرب الصاعد الجاهد ... » ، ليتابع من بعدُ فيقول : « لشدّ ما يُبْهجنا أن نلقاكم ... ونتلمس معكم خير السبل لأداء رسالة الوزارة رسالتكم ، ولايقوى على تبليغ هذه الرسالة ، والصّدْع بها إلا أولو العزم من المخلصين المؤمنين بحقّ أمتهم وبلدهم ، الذين يَرَوْن عملَهم .... وفاءً بحقٍ للوطن في أعناقهم ،

وأداءً لواجبٍ محتّمٍ يهون في سبيله كلُّ صعب ، ويرخص من أجله كلُّ غال .... »

كان في مسلكه وعمله قُدْوةً يُؤْتَسى بها ، وظلّت صلتّه بمن عملوا معه صلةَ الصديق الموجّه المرشد الناصح يرفُقُ بهم ويدلُّهم ، وينير لهم الطريق . وكأنما كان يَعني نفسه وهو يصف صديقاً زامله في الادارة : « ... يتألفهم بالكلمة الحلوة ، والجهد المخلص ، والعمل المتئد .... وتكون نظرته الثاقبة الذكية المتزنة هي التي توحّد شتيت آرائهم ... »

بل إنه ليعرب عن مسلكه الإعراب الواضح ، ويفصح عن طريقته التي ارتضاها في الادارة الافصاح البيّن فيقول في كلمةٍ له مودّعاً أصدقاءه وزملاءه في الوزارة : « ... ولكن يعزّيني عن ذلك أن ألقى منكم هذا الوفاء وهذا الودّ لرفيقٍ لكم ماأضمر لأحد منكم إلا الحبّ وإلا الأخوّة ، ولم يتعمد في حياته كلها أن يخون واجب الوظيفة أو الزمالة أو المواطنة .

لقد كنت في عملي أتمثل بالقول المأثور : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم معها حنُّوا اليكم ، وإن متّم بكوا عليكم . وأرجو أن أكون قد فعلتُ ذلك ... ما أذكرُ أنني أسأتُ عامداً الى زميل أو مواطن ، وما أعلمُ أنني قصّرت في أداء واجبٍ أُتيح لي القيامُ به .... »(٥)

ولقد عرف له زملاؤه والعاملون معه فضله ومزاياه ، وحفظوا له في نفوسهم أجمل الآثار وأطيب الذكريات .

هذه النظرة المتسامية للعمل ترتفعُ به وترفع صاحبه ليكون عملُه استجابةً لصوت ضميره ، وتلبيةً لنداء وطنه ، هي التي لفتت اليه الأنظار ، وأحلّته المحلّ اللائق ، فاذا هو في كثير من المؤتمرات التي شهدها

(٥) من كلمته التي ألقاها في الحفل الذي أقامته وزارة الثقافة لوداعه في ٩ / ١ / ١٩٧٤

مَناطُ الاهتمام ، ومحورُ العمل ودعامتُه . يعرف ذلك له كلٌّ من اطلع على محاضر المؤتمرات ولجانها ، وتتبّع أعمالَها وتوصياتها . وحسبي شهادةً واحدة أدلى بها الدكتور طه حسين رحمه الله في معرض كلمته التي قالها يخاطب بها رئيس الجمهورية السورية في مفتتح مؤتمر المجامع العربية الأول المنعقد بدمشق (٢٩ / ٩ ـ ٥ / ١٠ / ١٩٥٦ م)(٦) . قال بعد مقدمة جميلة أهدى فيها تحية العرب الى الوطن العظيم الذي هو أجدر الأوطان بأن يكون موئل العروبة وحاميها : « ..... ولا بدّ من أن يُرَدّ الحقُّ الى أهله ، ولا بدّ من أن أستأذن فخامتكم في إشارة موجزة الى تاريخ التفكير في عقد هذا المؤتمر . وأولُ تفكير في عقد هذا المؤتمر انما كان في اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، وكان الفضل فيه لممثل سورية العظيمة . في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي هاشم يمثّل سورية في اللجنة الثقافية ، وكنا نجتمع في (جدّة) ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه الفكرة . ولا غرابة في هذا ، فما رأيت الى اليوم ، على طول ما عاشرتُ السوريين ، وعلى كثرة من لقيتُ منهم في سورية ، وفي خارج سورية ، في البلاد العربية ، وفي خارج البلاد العربية ، ما رأيتُ أحداً كالسوريين لا ينسى العروبة ، ومجد العروبة ، ومستقبل العروبة . ما رأيتُ أحداً كالسوريين يذكر هذا دائماً ، ويستصحبه في حله وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزءٌ مقوّمٌ لكل عقل سوريّ ، وجزء مقوّم لكل قلب سوريّ ، وجزء مقوّم لكل ذوق سوريّ أيضاً .

كان الذي أوحى الينا بالتفكير في هذا المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٦٨٧ ـ ٦٨٨ ، مج ٣٢ : ٣

مصدر التفكير فيه ، في دمشق مهد العروبة وعاصمتها ، عاصمتها العظمى ، عاصمتها الصافية ، التي صفت فيها العروبة من كل شائبة ، وخلصت فيها العروبة للعرب .... »[٧] .

• • •

ولئن شغلت الادارةُ الأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله ، واستنفدت جُلّ طاقته ، وبذل لها جهده وكفايته ، إنه لم ينس نصيبه من البحث والدرس والتعليم والكتابة :

حاضر في كليتي الآداب والتربية بجامعة دمشق منذ عام ١٩٥٥ م ، وتخرّج به طلاب كثيرون ، تشهد ألسنتُهم وأقلامهم بجميل ماقدّم اليهم ، وعظيم ما أخذوا عنه ، وثقفوا من علمه الغزير ، وأدبه الجمّ . كانوا يئلون الى محاضراته ينهلون منها العذب النمير .

وألّف الأستاذ عبد الهادي وحقّق وترجم وكتب في الصحف والمجلات العربية الأدبية والتربوية ، وتحدث في الإذاعة المسموعة والمرئية ، وحاضر في عدة بلدان عربية :

ألّف بالفرنسية كتابه القيّم عن (سعاديا غاوون) ، وألّف بالعربية كتاباً في فقه اللغة ، كان خلاصة محاضراته لطلاب الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة دمشق .

وألّف أيام كان خبيراً للمعارف في ليبيا كتاباً مدرسياً تناول فيه تاريخ العرب منذ الجاهلية الى مشارف العصر الحديث ، سماه الوجيز في التاريخ (طرابلس ـ ١٩٥٣ م) .

---

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣٢ : ٢٢ ـ ٢٣ (كانون الثاني ـ ١٩٥٧ م) .

وحقق عدة كتب ورسائل . منها : كتاب اللمعة في صنعة الشعر[٨] ، وكتاب الموجز في علم القوافي[٩] ، وهما لكمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري ، ورسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار[١٠] لأمين الدين التنوخي ، وأعراس الشام[١١] (المنتزعةمن كتاب نسمات الأسحار في ذكر كرامات الأولياء الأخيار) للشيخ علوان الحموي .

ولخّص عن الفرنسية كتابي غابرييل كولان لينشرا في الاحتفال بذكرى مرور تسع مئة سنة على مولد الطبيب العربي الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر الإيادي الاشبيلي (٤٦٤ ـ ٥٥٧)[١٢] . أولهما : (ابن زهر ـ حياته وآثاره) ، وثانيهما : (التذكرة لأبي العلاء زهر)[١٣] .

وعلّق على كتاب (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره) للأستاذ محمد سليم الجندي ، وأشرف على طبعه ، فخرج في ثلاثة أجزاء (دمشق / ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ م) دانية ظلالُها ، وذلّلت قطوفُها تذليلا .

وعرّف بالكتب المحققة يقربها الى الناشئة ، ويحثهم على مطالعتها ،

---

(٨) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣٠ : ٥٩٠ ـ ٦٠٧ ، ٦٩٥ .

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٤٨ ـ ٥٨ (كانون الثاني ـ ١٩٥٦ م) .

(١٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٢٠٢ ـ ٢٢١ (نيسان ـ ١٩٥٦ م) .

(١١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣٢ : ٣٢٧ ـ ٣٣٧ (نيسان ـ ١٩٥٧ م) .

(١٢) كتاب اسبوع العلم الثالث عشر (دمشق / المجلس الأعلى للعلوم ـ ١٩٧٢ م) ـ الطبيب العربي الأندلسي عبد الملك بن زهر ، ص : ١١٣ ـ ١٣٩

(١٣) كان الأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله قد بيّن في كلمة له بعنوان : (حاجتنا الى الترجمة في نهضتنا الثقافية) ضرورة الترجمة للإفادة من معارف الأمم وثقافتها في نهضتنا ، ودعا الى وضع خطة نحدد فيها كيف نترجم ، وماذا نترجم ، لنجني من ثمار الترجمة الخير الذي نرجوه .

ويستدرك مافات محققيها :

تحدّث عن كتاب الخريدة للعماد الاصفهاني[١٤] ، وكان الدكتور شكري فيصل رحمه الله زميله في المجمع قد حققه . وتحدث عن مجلة معهد المخطوطات العربية[١٥] ، وكتاب مصادر الدراسة الأدبية[١٦] ....

ومن محاضراته التي طبعت محاضرتاه في الكويت : أولاهما بعنوان (ليث البحر أحمد بن ماجد) ، والثانية بعنوان (نحو ثقافة عربية أصيلة)[١٧] .

ولما فاجأت المنية الأستاذ الكبير عز الدين التنوخي عضو مجمع اللغة العربية (ت ١٩٦٦ م) ، وكان قد أوشك أن ينهي تحقيقه لكتاب معاني الشعر للأشنانداني ، نهض الأستاذ عبد الهادي هاشم فعكف على الكتاب ، واستكمل تحقيق أصله ولَحَقِه وذيلِه ، وقدّم له ، حتى ظهر في أبهى حلة (دمشق ـ ١٩٦٩ م) .

وفي مسوّدات الأستاذ هاشم الكثير الكثير من الموضوعات والتعليقات والأحاديث المذاعة التي نرجو لها أن ترى النور ، لما تمور به من الفوائد النفيسة ، والنظرات الجديدة المبتكرة .

وكان رحمه الله عضواً في هيئة تحرير مجلة التراث العربي بدمشق ، فكان شديد التدقيق في قراءة المقالات وتقويمها ، كثير التوقي والتأني حتى

---

(١٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٤٧٣ ـ ٤٧٩ (تموز ـ ١٩٥٦ م) .

(١٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٦٦٨ ـ ٦٧٠ (تشرين الأول ـ ١٩٥٦ م) .

(١٦) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٣١ : ٦٧١ ـ ٦٧٣ (تشرين الأول ـ ١٩٥٦ م) .

(١٧) محاضرات الموسم الثقافي الخامس (الكويت ـ ١٩٥٩ م) : ٨٩ ـ ١٣٦ ، المحاضرتان الخامسة والسادسة .

تأتي المقالات في المستوى الذي يرضيه عنها . ووجدتُ في مسوداته جملة صالحة من تلك التقارير التي كان يسطرها في تهذيب المقالات وتجويدها .

لابد هنا من أن أشير إشارة عابرة الى فضيلة تحلّى بها الأستاذ هاشم ، وعرفها له أصدقاؤه وخلصانه ، وهو أنه كثيراً ما كان يساعد من يلجأ اليه من الكُتّاب والمؤلفين فيرشدهم ، ويصحح ما ألّفوا ، ويكتب لهم الفصول الطويلة أحياناً ، ثم يوصيهم ألا يذكروا شيئاً عما قدّم اليهم ، وما قام به عنهم .

• • •

اختار أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ عبد الهادي هاشم زميلاً لهم (في ١٥ / ٢ / ١٩٦٨ م) ، تقديراً لعلمه وكفايته . (وصدر مرسوم تعيينه في ٦ / ٤ / ١٩٦٨ م) .

ولم يكن الأستاذ هاشم بالبعيد عن المجمع ، بل كان وثيق الصلة به ، تردّد عليه ، وشهد محاضراته في زمن الشبيبة ، وتتلمذ لأعلامه في سنوات انتسابه الى مدرسة الأدب العليا . واختاره الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع ليشارك في التهيئة لمهرجان أبي العلاء المعري الألفي (٢٥ / ٩ ـ ١ / ١٠ / ١٩٤٤ م)[١٨] .

ثم كان على رأس دار الكتب الظاهرية نحو أربع سنين (١٩٥٥ ـ ١٩٥٩ م) ، فكان يَلْقى الخالدين من رجال المجمع ، والأفاضل من العلماء الوافدين لزيارته . وكانت مجالسُ وندواتٌ أدبية ولغوية ،

(١٨) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (دمشق ـ ١٩٤٥ م) : ٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١٩ : ٥٦٢

جمعت في جناهـا الطيب : « غـذاء الروح ومتعـة العقـل وراحـة النفس »[١٩] . وفي مكتبه كانت لجنة المجلة والمطبوعات تعقد اجتماعاتها . يقول الأستاذ هاشم : « .... وكانوا يبيحون لي أن أخوض في الحديث معهم وكأني أحدهم ، ويشركونني في علمهم وإن لم أكن منهم .... »[١٩] . واستقبله زملاؤه في المجمع في جلسة علنية (في ٧ صفر ١٣٨٩ هـ / ٢٤ نيسان ١٩٦٩ م)[٢٠] .

شارك الأستاذ عبد الهادي هاشم في أعمال المجمع العلمية المشاركة الطيبة المثمرة . وكان عضواً في لجان المجمع الثلاث : اللجنة الادارية ، ولجنة المخطوطات وإحياء التراث ، ولجنة الأصول . وقد واظب على حضور جلسات مجلس المجمع ، واجتماعات لجانه ، يُخصب المناقشات بعلمه ، وصائب ملاحظه ، وشدة تنبهه ، لا يغفل عن أمر مهما صغر ، غيرةً على المجمع الخالد ، وحبّاً له ، وتشوفاً الى تقدمه ، وحفاظاً على مكانته العلمية الرفيعة .

قدّم للمجمع خلاصة خبرته ومعرفته : فحرّر التقارير ، وحبّر البحوث ، وهيّأ المذكرات ، ومثّل المجمع في بعض المؤتمرات فأحسن تمثيله . وعلى صفحات مجلة المجمع يطالعك جانب من نشاطه وجهده المبذول تحقيقاً لمقاصد المجمع وغاياته .

وواصل رحمه الله عمله في المجمع ، وشاركنا في آخر اجتماع عقده المجمع في حياته (يوم الاربعاء ٦ / ١ / ١٩٨٨ م) ، وأبدى ما عوّدناه من

(١٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٤٤ : ٩٥٢ ، ٩٥٥

(٢٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٤٤ : ٩٤٢

ملاحظه الدقيقة ، يعرضها بلطفه المعهود ، وبشاشته المحبَّبة . ولم نكن نعلمُ أنه جاء ليودّعنا ، وعلى فمه ابتسامته العذبة لاتفارقه ، وأننا لن نجتمع به في المجمع مرة أخرى .

• • •

وتوّج الأستاذ عبد الهادي هاشم أعماله الكبيرة بتوليه رئاسة تحرير الموسوعة الفلسطينية (١٩٧٥ ـ ١٩٨٣ م) ، فدأب على العمل ليل نهار ، وواصل المسيرة دون توقف ، وتغلب على كل المعوّقات ، وكان لاطلاعه الواسع ، وثقافته الشاملة ، ونشاطه الجمّ ، وصبره ومتابعته وتأنّيه ، ماأتاح له أن ينجز هذا العمل العظيم على خير وجه : كان يقرأ كل مقالة ، ويناقش أفكارها مع أصحابها ، ويدقق عباراتها ، حتى خرجت الموسوعة للناس (عام ١٩٨٤ م) في أربعة مجلدات عملاً رائعاً رائداً خالدا .

وكان رحمه الله ، وهو المدرك ماللموسوعات من شأن في تثقيف الناشئة وإمدادها بالمعرفة ، يتطلع الى ظهور موسوعات عربية أخرى تقدم للأجيال العربية زادها الفكري والعلمي والثقافي ، وتضيءُ لها دربها لتمضي في طريق النهضة ، وتستكمل أسباب التقدم ، يقول : « .... والكتابةَ عن فلسطين وتخصيصُ الموسوعة بها تمهيدٌ لاخراج موسوعات عن بلاد عربية أخرى ، ثم لاخراج موسوعة واحدة شاملة لجميع الوطن العربي .. ونرجو أن يكون ماتمّ صنعه في الموسوعة الفلسطينية خطوةً رائدة في هذا النهج تتلوها خطواتٌ أوسع مدى وأكثر شمولاً وأرحب أفقاً ... »[٢١] .

(٢١) الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الأول ، ص (ح) .

إن الموسوعة الفلسطينية مشاركة جادة لها شأنها الكبير في هذه المعركة المحتدمة ، لمناصرة حقنا العربي في فلسطين قضية العرب الأولى ، وهدم باطل الغزاة المعتدين . ولن يُنسى جليلُ ماقدمه الأستاذ عبد الهادي هاشم رئيس التحرير في هذا المضمار .

● ● ●

وحمد الناسُ للأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله مافُطر عليه من حميد الشمائل ، وطيب الأخلاق ، ولطف المعشر ، ودماثة الطبع ، والتواضع الجمّ ، والتلطف في استقبال قاصديه وحسن لقائهم ، وعفة لسانه ، ولين جانبه ، ورضا نفسه ، وبرّه بأقربائه ، وأكبروا فيه هذه الخصال الكريمة ، وأحبوه وأجلّوه لها .

وإذا لم يكن من همي أن أعدّد هذه الصفات الجميلة التي شهد له بها عارفوه وأصدقاؤه ، فاني غير مغفل التحدث عن خصلتين اثنتين ملأتا نفسي إكباراً للفقيد وإعجاباً به ، هما كرمه ووفاؤه :

فقد عرفته سخيّ اليد ، يبذل عن أريحية وطيب نفس ، ويعطي ويقدّم دون تحفظ .

وكان شديد الوفاء لأساتذته وأصدقائه وعارفيه ، يذكرهم بخير مايذكرون به ، ويتعهدهم ، ويلبيهم . ولا أريد أن أسوق الشواهد لذلك ، بل أكتفي بالاشارة الى كلماته التي تفيض كرماً ونبلاً ووفاء ، والتي قالها في رثاء أساتذته وأصدقائه الذين فقدهم ، ككلمته في أستاذه بلاشير ، وكلمته في رثاء الأستاذ خليل مردم ، وكلمته في رثاء صديقه الدكتور عمر شخاشيرو ، وكلمته في تأبين الأستاذ عز الدين التنوخي[٢٢] ،

(٢٢) أبّن الأستاذُ عبد الهادي هاشم الأستاذ عز الدين التنوخي في الحفل الذي أقامته

وكلمته في رثاء صديقه وقريبه الدكتور حكمة هاشم[٢٣] .

• • •

عاش الأستاذ هاشم رحمه الله طوال حياته وفياً للمثل العليا التي آمن بها ، ونذر نفسه لخدمتها ، وصدر في كل أقواله وأعماله عنها . وكان يدرك الادراك العميق أن نهضة الأمة رهينة بفضائلها وتمسكها بأخلاقها الحميدة ومبادئها الخيرة . يتبدى لك ذلك في كل ماصدر عنه وقام به . ولم يقبل ، على مافُطر عليه من سماحة الخلق ، وسعة الفكر ، ورحابة الصدر ، وعلى ماعُرِف به من اطلاع محيط بالمذاهب الأدبية والفكرية ، ذلك الانفصامَ المصطنع بين القيم الخلقية والاتجاهات الأدبية ، فهي في رأيه تمتح من منهل واحد . وخالف اولئك المروّجين للدعوات التي تتنكر لقيم الانسان ومُثُله ، يتحدث عن قطري بن الفُجاءة وزوجه ، فيذكر أنهما وقفا أشعارهما على الحضّ على الجهاد ، وقصراه على الدعوة لمذهب آمنا به عن اعتقاد واخلاص ، لا عن رغبة في مغنم ، أو رهبة من مغرم ، ثم يعقّب على ذلك ، مستمداً من معينه الخلقي ، وإيمانه بالقيم فيقول : « لمثل هذا فليكن الشعر الخالد الحر ، لاللتحلل من الخلق الكريم ، والحثّ على إنكار القيم والمثل والعقائد ، بحجة الاغتراب والضياع والعبث ، مما أخذ به بعضُ شعرائنا الناشئين في هذا العصر ، فلن يكتب

= وزارة الثقافة بدمشق في مساء يوم الخميس ٢٦ / ١ / ١٩٦٧ ؛ وقدّر الله أن يختار أعضاءُ المجمع الأستاذ هاشم خلفاً للأستاذ التنوخي في المجمع . وقد ألقى الأستاذ هاشم في حفل الاستقبال الذي أقامه المجمع في ٢٤ / ٤ / ١٩٦٩ م (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٤٤ ، ص ٩٥٢ ـ ٩٧٧) كلمة بليغة نوّه فيها بمآثر سلفه الأستاذ عز الدين التنوخي . رحمهما الله وأنزلهما خير المنازل ، في جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرض أعدت للمتقين .

(٢٣) مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٧ ، ص ٧٢٩ ـ ٧٣٣

الخلود لهذا الشعر المغترب الضائع العابث . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ... » .

وكان رحمه الله في سلوكه قدوة ، أخذ نفسه أخذاً صارماً بالمبادىء الأخلاقية . لم تغرّه مباهج الدنيا وفتنتها ، ولم يَحِد عما اختطه لنفسه ، ومضى على سننه ، يؤدي واجبه ، بل رسالته ، مغتبطاً ، قرير العين ، حتى وافته المنية في يوم الجمعة (١٩ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ / ٨ كانون الثاني ١٩٨٨ م) ، فلقي وجه ربه راضياً مرضيا .

لقد عُين الفقيد في مقتبل شبابه معلماً في المرحلة الابتدائية ، في قرية صغيرة من قرى غوطة دمشق (هي قرية دير سلمان) ، وجرت العادة يومئذ أن يُعرض على ناشئة الموظفين بيانٌ يُطلب اليهم فيه الإجابةُ عن أسئلة كثيرة ، منها رغبات الموظف ، ومايودُّ أن يكونه في المستقبل .

فماذا سجل الفتى الشاب رغبةً له في البيان الذي كتبه عام ١٩٣٣ م ؟

لم يتطلع الى منصبٍ كبير ، ولم ينشد جاهاً ولا كسباً ، بل قال : (أن أكون رجلاً كل الرجل) .

إنها كلمة تنبىء بما يملأ نفس الفتى من مُثُل . ولقد كان حقاً رجلاً كل الرجل في حياته كلها .

فليرحمك اللهُ الرحمة الواسعة ، وليجزك على مابذلت وضحيت أفضل الجزاء وأوفاه .

لازال ريحانٌ وفغوٌ ناضرٌ يجري عليك بمسبلٍ هطّالِ

﴿ إن المتقين في جناتٍ ونَهَر • في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ﴾ .

سيرة

الأستاذ عبد الهادي هاشم

في سطور

١ ـ هو الأستاذ عبد الهادي هاشم بن هاشم بن راغب .

٢ ـ ولد بدمشق (حي مئذنة الشحم) سنة ١٩١٢ م (١٣٣٠ هـ) ، تصحيحاً عن سنة ١٩١٤ م[١] .

٣ ـ بدأ دراسته في المدرسة الجقمقية[٢] بدمشق ، وانتقل بعدها الى مدارس أهلية وأجنبية ، وأتمّ دراسته الثانوية في مدرسة التجهيز (مكتب عنبر)[٣] .

٤ ـ نال شهادة البكالوريا السورية / القسم الأول في شهر حزيران ١٩٢٩ م .

٥ ـ ونال شهادة البكالوريا السورية / القسم الثاني ـ شعبة الفلسفة

(١) سجلت ولادة الأستاذ عبد الهادي هاشم في السجلات الرسمية عام ١٩١٤ ، ولما أراد التقدم الى شهادة البكالوريا الأولى في عام ١٩٢٩ م حالت سنه الصغيرة دون قبول الطلب ، مما اضطره الى تغيير سنة ولادته إلى عام ١٩١٢ م (تصحيحاً) .

وقد صدر بعد ذلك المرسوم التشريعي رقم ٢٤٧ تاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٦٣ م القاضي باعتاد تاريخ الولادة المثبت في احصاء سنة ١٩٢٢ م ، وابطال التعديلات الطارئة التي تمت بعده ، وذلك فيما يتصل باحالة الموظف على التقاعد . واستناداً لهذا المرسوم فقد أحيل الأستاذ هاشم على التقاعد في مطلع عام ١٩٧٤ م ، عند بلوغه سن الستين طبق احصاء سنة ١٩٢٢ م .

(٢) تقع المدرسة الجقمقية شمالي الجامع الأموي ، قرب ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي . انظر كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١ : ٤٨٩ ـ ٤٩٥ ، ومختصر تنبيه الطالب للعلموي : ٨٢ ـ ٨٣ ، وكتاب في رحاب دمشق للأستاذ محمد أحمد دهمان : ١٤٨ ـ ١٥٢ .

(٣) مكتب عنبر هو أول مدرسة ثانوية رسمية في دمشق . أنشأها العثمانيون في أواخر عهدهم ، وكان لها شأن كبير في تثقيف الناشئة . وقد أفرد الأستاذ ظافر القاسمي كتاباً برمته =

في شهر حزيران ١٩٣٠ م .

٦ ـ انتسب الى مدرسة الأدب العليا[٤] ، والى كلية الحقوق بالجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) ، وحصل على شهادة مدرسة الأدب العليا (شعبة الأدب العربي) في الدورة الأولى لسنة ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ الدراسية . وكان الأول بين رفاقه (رقم شهادته ٥٣ ، تاريخ إصدارها :

= للحديث عنها سماه : مكتب عنبر (بيروت ـ ١٩٦٤ م) ، وتحدث عنها الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه : حاضر اللغة العربية في الشام (القاهرة ـ ١٩٦٢ م) .

(٤) أنشئت مدرسة الأدب العليا بالقرار رقم ٣٦٨ تاريخ ١ / ٨ / ١٩٢٨ م الصادر عن رئيس مجلس الوزراء (محمد تاج الدين الحسني) ، وكان الأستاذ محمد كرد علي آنذاك وزير المعارف . وربطت ادارة المدرسة بالجامعة السورية . وكانت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . ولم تعمر المدرسة طويلا ، أغلقها الفرنسيون في العام الدراسي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ م (التقرير الرابع بأعمال المجمع العلمي العربي : ١١ ـ ١٢ ، التقرير السادس بأعمال المجمع العلمي العربي : ٣ ، ٣٥ ـ ٣٦ ، منهاج الجامعة السورية السنوي لسنة ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ م ، ص ٩ ـ ١١ ، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي / دمشق ، العدد الأول ـ تموز ١٩٨٤ م ، ص ٧٤) .

ومن الأساتذة الذي حاضروا في مدرسة الأدب العليا من أعضاء المجمع : الأستاذ شفيق جبري وكان مديراً للكلية ، والأستاذ محمد سليم الجندي ، والأستاذ عبد القادر المبارك والأستاذ عبد القادر المغربي . ويقول الأستاذ محمد كرد علي في تقريره السادس (ص ٣) إن اربعة من أعضاء المجمع يدرّسون في صفوف المدرسة .

وقد نشر الأستاذ شفيق جبري محاضراته التي ألقاها عن المتنبي والجاحظ على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد العاشر / ١٩٣٠ م / محاضرات المتنبي ، المجلدان الحادي عشر والثاني عشر / ١٩٣١ م ، ١٩٣٢ م / محاضرات الجاحظ) . ثم أصدرها في كتابين : المتنبي ، مالئ الدنيا وشاغل الناس (دمشق ـ ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) الجاحظ ، معلم العقل والأدب (دمشق ـ ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) .

خلّف إغلاق مدرسة الأدب العليا أسىً وأسفاً . ونجد صدى ذلك في الاهداء الذي قدّم به الأستاذ عبد الهادي هاشم اطروحته (الحطيئة) : « الى الزهرة التي نجمت في صحرائنا القاحلة ، تعهدها زارعوها بلبن قلوبهم وعصارة أفئدتهم ، حتى اذا استوت على ساقها تعجب الزراع ، وتبعث النور والحياة ، وتنشر الأريج والشذا ، لفحتها السّموم فأذوتها وأذبلتها ... الى كلية الآداب أرفع رسالتي هذه » .

١٥ / ٨ / ١٩٣٥ م) .

موضوع اطروحته التي تقدم بها لنيل شهادة المدرسة : (الحطيئة : حياته وشعره / دمشق ١٩٣٥ م) .

٧ ـ علّم في المدارس الابتدائية ، فكان معلماً في مدرسة دير سلمان بغوطة دمشق (٢١ / ١٠ / ١٩٣١ ـ ٣٠ / ٩ / ١٩٣٤ م) ، ثم أصبح معلماً في المدرسة الأموية بمدينة دمشق (١ / ١٠ / ١٩٣٤ ـ ٣٠ / ٩ / ١٩٣٦ م) .

٨ ـ أوفد الى كلية الآداب بجامعة باريس (الصوربون) في أواخر سنة ١٩٣٦ م ، لدراسة الأدب العربي ، ودرس فيها بعض اللغات السامية (لغة الجِعز ، وهي اللغة الحبشية الفصيحة) . كما انتسب الى معهد الدراسات الاسلامية العليا ، ومدرسة اللغات الشرقية الحية . وحصل على :

(١) شهادة دراسات المدنية الاسلامية من جامعة باريس .

(٢) شهادة مدرسة اللغات الشرقية الحية من جامعة باريس .

(٣) شهادة في اللغات السامية القديمة .

(٤) الاجازة في الآداب من جامعة باريس .

٩ ـ عاد الى دمشق عام ١٩٣٩ م ، ودرّس في المدارس الثانوية بحمص ودمشق ، ودار المعلمين بدمشق ، وانتدب للعمل في وزارة التربية ، وذلك في السنوات (١٩٣٩ ـ ١٩٤٦ م) .

١٠ ـ أوفد الى جنيف (سويسرا) عام ١٩٤٦ م ، فاستتم دراسة بعض اللغات السامية والحامية كالمصرية القديمة (الهيروغليفية) والعبرية .

١١ ـ نال في العبرية جائزة (باومان) لدراسة وضعها عن الفيلسوف

اللغوي اليهودي (سعاديا غاوون) المعروف عند العرب باسم (سعيد بن يوسف الفيومي) .

١٢ ـ اختارته منظمة اليونسكو ليكون خبيراً ثقافياً للمعارف في ليبيا (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ م) .

١٣ ـ عُين رئيساً للجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف بدمشق (١٦ / ٦ / ١٩٥٤ ـ ٢٥ / ٩ / ١٩٥٤ م) .

١٤ ـ عُين أميناً عاماً لوزارة المعارف السورية (٢٦ / ٩ / ١٩٥٤ ـ ١٢ / ٣ / ١٩٥٥) .

١٥ ـ أصبح مديراً لدار الكتب الظاهرية (١٢ / ٣ / ١٩٥٥ ـ ٢١ / ٢ / ١٩٥٩ م) .

١٦ ـ عُين مدير التراث في وزارة الثقافة ، ثم مدير الشؤون الثقافية ، ثم الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية (٢١ / ٢ / ١٩٥٩ ـ ٣١ / ١ / ١٩٧٠ م) .

١٧ ـ سُمي معاون وزير الثقافة (١ / ٢ / ١٩٧٠ ـ ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣ م) .

١٨ ـ أحيل على التقاعد في ١ / ١ / ١٩٧٤ م .

١٩ ـ كان أستاذاً محاضراً في كليتي التربية والآداب بجامعة دمشق منذ العام الدراسي (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ م) وحتى العام الدراسي (١٩٨٣ ـ ١٩٨٤) .

وكان يدرس طلاب كلية الآداب مادة فقه اللغة في شهادة الاجازة ، وفي الدراسات العربية العليا الأدبية واللغوية .

٢٠ ـ انتخبه مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٥ / ٢ / ١٩٦٨ عضواً عاملاً خلفاً للأستاذ عز الدين التنوخي . وصدر مرسوم تعيينه في

٦ / ٤ / ١٩٦٨ م ، وأقيم لـــه حفــل الاستقبـــال مســـاء يـــوم الخميس ٢٤ / ٤ / ١٩٦٩ م .

٢١ ـ سُمّي عضـــواً مـــؤازراً في المجمــع العلمي العراقي (١ / ١٢ / ١٩٦٩ م) .

٢٢ ـ كان عضواً في اللجنة الوطنيــة السوريــة لليونسكو ، وعضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

٢٣ ـ مثّل سورية في كثير من المؤتمرات العلمية والتربويــة ، ولا سيما مؤتمرات اليونسكو والادارة الثقافيــة بجـامعـة الـدول العربيــة ، والمنظمــة العربية للتربيــة والثقـافــة والعلوم ، ومكتب التربيــة الـدولي في جنيف ، ومؤتمرات المستشرقين في بروكسل وباريس .

٢٤ ـ نهض برئاسة تحرير الموسوعة الفلسطينية (١٩٧٥ ـ ١٩٨٣ م) ، فدأب على العمل ليل نهار حتى خرجت الموسوعـة الفلسطينيــة في أربعــة مجلدات عملاً رائعاً رائدا .

٢٥ ـ انتقل الى جوار ربه يوم الجمعة ١٩ جمادى الاولى ١٤٠٨ هـ / ٨ كانون الثاني ١٩٨٨ م .

آثار الأستاذ عبد الهادي هاشم

أولاً ـ مؤلفاته

١ ـ الوجيز في التاريخ (كتاب مدرسي) طرابلس ١٩٥٣ م .

٢ ـ سعاديا غاوون (بالفرنسية ، مكتوب بالآلة الراقنة) .

٣ ـ فقه اللغة (وهو الأمالي التي القاها على طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب ـ جامعة دمشق ـ غير مطبوع) .

ثانياً ـ جملة من مقالاته

أ ـ في مجلة المعلم العربي (دمشق ـ وزارة التربية)

١ ـ دورة اليونسكو التدريبية	ع ٣ / س٢ ـ ١٩٤٩ م
٢ ـ عصرنا الذهبي وأين نلتمسه	ع ١ / س ٨ ـ ١٩٤٥ م
٣ ـ اللغة والقومية	(ع ١ ـ ٢ / س ١٥ ـ ١٩٦١)

ب ـ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

[١] المقالات :

١ ـ كلمته في حفل استقباله	مج ٤٤ ص ٩٥٢ ـ ٩٧٧
٢ ـ حول صيغة (عصّر) من العصر	مج ٤٥ ص ٢١٩ ـ ٢٢١
٣ ـ كلمة في تأبين الأستاذ ، بلاشير	مج ٤٩ ص ٤٦٨ ـ ٤٧٢
٤ ـ تقديم الدكتور شاكر الفحام في حفل الاستقبال	مج ٥٠ ص ٨٩٢ ـ ٨٩٨
٥ ـ تقديم الأستاذ احمد راتب النفاخ في حفل الاسقبال	مج ٥٣ ص ٢١١ ـ ٢١٩
٦ ـ في تأبين الدكتور حكمة هاشم	مج ٥٧ ص ٧٢٩ ـ ٧٣٣

[٢] التعريف والنقد :

١ ـ خريدة القصر	مج ٣١ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٩
٢ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية	مج ٣١ ص ٦٦٨ ـ ٦٧٠
٣ ـ مصادر الدراسة الأدبية	مج ٣١ ص ٦٧١ ـ ٦٧٣

[٣] التحقيق :

١ - كتاب اللمعة في صنعة الشعر لابن الأنباري — مج ٣٠ ص ٥٩٠ - ٦٠٧ ، ٦٩٥

٢ - كتاب الموجز في علم القوافي لابن الانباري — مج ٣١ ص ٤٨ - ٥٨

٣ - رسالة الأنوار لأبي الفضل التنوخي — مج ٣١ ص ٢٠٢ - ٢٢١

٤ - أعراس الشام لعلوان الحموي — مج ٣٢ ص ٢٢٧ - ٣٣٧

٥ - أشرف على تحقيق كتاب (الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره) الذي نشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء (١٩٦٢ - ١٩٦٤ م) . وهو من تأليف الأستاذ العلامة محمد سليم الجندي (١٨٨٠ - ١٩٥٥ م) عضو مجمع اللغة العربية .

ج - مقالات أخرى

١ - فرحة الدنيا وعرس الكون — ٢٠ / ٤ / ١٩٤٦

٢ - العلوم عند العرب — ٢ / ١١ / ١٩٥٣

٣ - تأبين الأستاذ خليل مردم — ١٩ / ٨ / ١٩٥٩

٤ - ليث البحر أحمد بن ماجد

كتاب محاضرات الموسم الثقافي الخامس (الكويت - ١٩٥٩ م)

٥ - نحو ثقافة عربية اصيلة

٦ - خواطر في اللغة — ١ / ٤ / ١٩٦١

٧ - تحية شاعر عبقر — ٧ / ١٠ / ١٩٦٢

٨ - تأبين الأستاذ عز الدين التنوخي — ٢٦ / ١ / ١٩٦٧

٩ - في ذكرى هاينريش مان — ٢٨ / ٣ / ١٩٧١

١٠ - تلخيص كتابي :

ابن زهر - حياته وآثاره
والتذكرة لأبي العلاء زهر — للاستاذ غابرييل كولان — كتاب الطبيب العربي الأندلسي عبد الملك بن زهر الإيادي / المجلس الاعلى للعلوم بدمشق - ١٩٧٢ م

١١ - تأبين الأستاذ عمر شخاشيرو — ١٧ / ١٢ / ١٩٧٥

١٢ - تقرير حول معجم المصطلحات التقنية السينمائية .

١٣ - تقرير حول المصطلحات في فن الموسيقا

١٤ - مفهوم التعريب

١٥ - في تيسير النحو

١٦ - محمد (ﷺ) في بيته وبين أهله

١٧ - الأدب والقومية .

ثالثاً - طائفة من أحاديثه المذاعة

١ - المدرسة العادلية والمجمع العلمي	٢٤ / ٥ / ١٩٥٧ م
٢ - خمس وسبعون سنة في حياة دار الكتب الوطنية	٤ / ٧ / ١٩٥٧ م
٣ - مواقف البطولة في التاريخ الاسلامي	٣١ / ١٠ / ١٩٥٧ م
٤ - راية مظفرة	٢٣ / ٣ / ١٩٥٨ م
٥ - نشاط المجمع العلمي العربي	٣ / ٤ / ١٩٥٨ م
٦ - من عبث الجاحظ	٢١ / ٦ / ١٩٥٨ م
٧ - من آداب الأمم	٦ / ٧ / ١٩٥٨ م
٨ - من غزل الأعراب	٢ / ١ / ١٩٦٠ م
٩ - لغتنا بعد خمسين عاما	٢٣ / ٤ / ١٩٦٠ م
١٠ - جنود العلم المجهولون	١٠ / ٥ / ١٩٦٠ م
١١ - لتكون العربية لغة الأمم	٢٧ / ٨ / ١٩٦٠ م
١٢ - بين التقليد والتجديد	٢٠ / ٩ / ١٩٦٠ م
١٣ - شاعر جاهلي موهوب	١٥ / ١١ / ١٩٦٠ م
١٤ - من التقاليد الشعبية	١٩ / ١ / ١٩٦١ م
١٥ - حاجتنا الى الترجمة في نهضتنا الثقافية	٥ / ٧ / ١٩٦١ م
١٦ - ثقافة الشرق وثقافة الغرب	١٥ / ٩ / ١٩٦١ م
١٧ - لغتنا وقوميتنا	٤ / ١٢ / ١٩٦١ م
١٨ - الخوف والقلق	١٠ / ٣ / ١٩٦٢ م
١٩ - كتب البرامج	٢٢ / ٥ / ١٩٦٢ م
٢٠ - روضة الورد لسعدي الشيرازي	٢ / ٧ / ١٩٦٢ م
٢١ - التضامن	٣٠ / ١٠ / ١٩٦٢ م
٢٢ - انتشار العامية	شباط ١٩٧٤ م
٢٣ - خواطر في رمضان	ايلول ١٩٧٥ م
٢٤ - الرسول الانسان	٢٢ / ١ / ١٩٧٦ م
٢٥ - قطري بن الفجاءة	

المدرسة العادلية
والمجمع العلمي العربي

الأستاذ عبد الهادي هاشم

في دمشق الخالدة أحياءٌ جميلة كثيرة ، ولعل من أقدمها وأقدسها حيٌ (باب البريد) الذي نوّه به الشاعر عندما قال :

حوِّلْ ركابك عن دمشق فإنها بلدٌ تذِلُّ له الأسودُ وتخضعُ
مابين (جابيها) و (باب بريدها) قمرٌ يغيب وألف شمس تطلع

ضمّ هذا الحيُّ معالمَ شواهدَ على ماضي دمشقَ الأغرّ الحافل ، ومجدها الأعزّ الباهر ، كجامع بني أمية ، وضريح السلطان صلاح الدين ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة العادلية ، ومدارس أخرى كثيرة يطول تعدادها .

وسيدور حديثي في هذه الأمسية على واحدة من هذه المدارس ، في غابرها وحاضرها ، وأعني المدرسة العادلية ، مقر المجمع العلمي العربي اليوم . وقد أتحدث في فرصة أخرى عن جارتها ورفيقتها : المدرسة الظاهرية ، حيث تقوم دار الكتب الوطنية .

بدأ بانشاء المدرسة العادلية ملكٌ حبيب الى قلوب الدمشقيين منذ ثمانمائة سنة هو نور الدين بن زنكي . ثم جاء الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي فزاد في رقعتها ، وغيّر بناءها ، وأرادها مدرسة ضخمة فخمة جامعة . ولما أعجلته المنية عن اتمام ذلك قام ابنه الملك المعظم باتمام عمارتها ، ونقل جثة والده اليها ، وأودعها قبة هذه المدرسة .

● حديث للأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله ، بثته الاذاعة السورية في مساء يوم ٢٤ / ٥ / ١٩٥٧ م .

وكان الملك المعظم هذا ملكاً ولا كالملوك . كان عالماً فاضلاً ، محققاً حافظاً ، سعى في نشر العربية ، وشجع الناس على حفظها واتقان علومها ، وأجرى على العلماء الجرايات والأرزاق الراتبة ، وأخذ بيدهم وأكرمهم ، وكرّمهم ورعاهم ، ودعاهم الى الانصراف الى التدريس والترجمة والتأليف ، ولاسيا تأليف معجم عربيّ شامل ، يضمّ ماتوزعته كتب اللغة الموثوقة . وأنشأ في هذه المدرسة ـ التي سميت فيما بعد المدرسة العادلية على اسم والده ـ داراً للمطالعة عامرةً بالكتب التي وقفها عليها .

وقد غدت العادليةُ منذ عمارتها مثابة لأعلام العلماء ، ومثوى لأفاضل المؤلفين ، يدرسون فيها ويدرّسون ، ويَقرؤون ويُقرئون ، ويروون ويؤلفون . وإنا لنعلم أسماء الكثيرين من جلّة العلماء الذين نزلوها ، كما نعرف أسماء بعض الكتب التي أُلفت فيها . فمن هؤلاء العلماء ابن مالك النحويّ الشهير ، كان يدعو الناس الى دروسه ، وينادي على شباك العادلية : القراءاتِ ، القراءات ، العربية العربية .

ومنهم ابن خلّكان الذي أقام في العادلية أمداً من الزمن ، وأثرت عنه فيها أخبارٌ طريفة ، منها أنه كان اذا أرِق في الليل نزل من غرفته وجعل يطوف حول بِرْكة المدرسة وهو يتغنى :

أنـا والله هـالـكٌ   آيس من سـلامتي
أو أرى القـامـة التي   قـد أقـامت قيـامتي

ومن هؤلاء العلماء ابن خلدون ، فخر علماء العرب في القرن الثامن الهجري ، وأحد ماهدي علم فلسفة التاريخ ، وعلم الاجتماع في العصر الحاضر .

ومن الكتب العظيمة التي ألفت بين جدران المدرسة العادلية كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلّكان ، وهو من أفضل كتب

التراجم وأوثقها . ومنها كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) النورية والصلاحية لأبي شامة ...

وفي تاريخ هذه المدرسة أيام مشهودة مشهورة ، منها يومَ تدشينها سنة ٦١٩ هـ ، وقد وصفه بعض المؤرخين يومذاك . وكان مما قاله : « حضر السلطان المعظم ، فجلس في ايوان المدرسة ، وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين الحصري ، ثم شيخ الشافعية فخر الدين بن عساكر ، ثم القاضي شمس الدين الشيرازي ، ثم القاضي محي الدين بن الزكي . وجلس عن يسار السلطان الى جانبه مدرّس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم القاضي شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر . وجلس مقابل السلطان تقيُّ الدين بن الصلاح وغيره . ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء ، والناس وراءهم متصلون ملء الايوان . وكان مجلساً جليلاً .... واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي .... » .

تصبح العادلية منذئذ قبلة طلاب العلم وبغاة المعرفة ، يُهْرَعون اليها من أرجاء الأرض : قاصيها ودانيها ، في مشرقها ومغربها ، يملؤون رحابها ، ويعمرون بأصواتهم وقراءتهم أنحاءها ، ولهم دويٌّ كدويّ النحل ... ولكن دولاب الزمن يدور ، ويرين على عيون القوم سِنَةٌ من جهلٍ وتواكلٍ وفتور . وتصبح المدرسة العادلية في أواخر العهد العثماني داراً متداعية الأركان ، متهدّمة الجدران ، فيهاقاضٍ يسكنها ولايعمرها ، وحجراتٌ خاوية خالية ، وباحة ترتع فيها الهوامّ وسائمة الحيوان .

حتى اذا جلا الترك عن هذه الديار ، وقامت الحكومةُ العربيةُ فرعت اللغة وسَدَنَتَها ، جعلت العادلية مقراً للمجمع العلمي العربي ، وأذكت شعلة كاد ينطفىء أوارها ، وشدّدت عزائم أوشكت أن تَنِيَ وتفتُر ، وأرجعت

المدرسة الى سابق عهدها : مثوىً للأدباء ، ومجمعاً للعلماء ، وحصناً للغة وحرزاً لكنوزها الغالية .

وفي الثلاثين من شهر تموز عام ١٩١٩ م اجتمع المجمع العلمي العربي لأول مرة في المدرسة العادلية ، وعقد جلسة مشهودة فيها ، وقد حضرها طائفة من أعضائه ، ذهب بعضهم من بعدُ الى لقاء وجه ربه ، وأمدّ اللهُ ، وله الحمد والمنة ، في عمر الآخرين . فمن حضر يومذاك الأساتذة : محمد كرد علي ، وأمين سويد ، وسعيد الكرمي ، وأنيس سلوم ، وعبد القادر المغربي ، وعز الدين علم الدين التنوخي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، وديمتري قندلفت . وفي هذه الجلسة تقررت الاستعانة بأعضاء شرف ، منهم السادة : عبد القادر المبارك ، ومحسن الأمين العاملي ، وفارس الخوري ، وعبد الرحمن الشهبندر ، ومرشد خاطر .

باستقرار المجمع في العادلية عاد الى هذه المدرسة شيء من جلالها القديم وإشعاعها النيّر ، وأضحت مرة ثانية ندوة للعلماء يتباحثون فيها ويتذاكرون ، ويؤلفون وينشرون . فما يكاد يمرّ يوم لايدخلها فيه عالم عربي أو شرقي أو مستشرق أو مستعرب ، يلقى أعضاءَ المجمع ، أو يسأل عن كتاب ، أو يستفتي في معضلة ، أو يستزيد علما .

والمجمعُ دائبٌ منذ يوم اقامته على بلوغ أغراضه التي أُنشىء من أجلها ، ومنها البحث في علوم العربية وآدابها ، وجعلُها تتسع للعلوم والفنون ، وتتجارى مع اللغات الحية الأخرى . ومنها العنايةُ بالكتب مما خلّف الآباء والأجداد الذين عنا لعزتهم وجهُ الدهر ، ولكن عدت النوازل والخطوب على كتبهم وآثارهم ، فأخذ المجمع يحفظها ويحققها وينشرها . وتصدر المطابع في كل شهرين تقريباً كتاباً قيّماً نظر فيه بعض أعضاء المجمع ، وأعانوا على تحقيقه ونشره . ولعل أجلَّ عمل تصدى له في هذا

الميدان في عهده الأخير إقدامُه على نشر كتاب تـاريخ مـدينـة دمشق لابن عساكر ، وهو أثمن ماكتب في تاريخ هذه الديـار . وتبلغ أجزاؤه الثمانين . وهو ـ على عظم خطره وجليل قدره ـ لايزال مخطوطـا ، لم ينشر منـه إلا قليل لاينقع غُلّة ، ولايشفي علة . ويقوم الآن رهـط من أفـاضل المحققين باعداد أجزائه للنشر ، وقد ظهر بعضهـا محققـاً تحقيقـاً يرضى عنـه العلمـاء الأثبات .

وإلى جـانب هـذه الكتب التي مـافتىء المجمـع يـوالي إنشـارهـا منـذ سنوات ، يصـدر المجمع منـذ نشـأتـه مجلـة سلخت ستـاً وثـلاثين عـامـاً من عمرها ، وجاوزت صفحـاتهـا عشرين ألفـاً ، ضمت مقـالات وبحوثـاً قلَّ أن يوجد في مجلة أخرى مثلها في موضوعها .

وبعد ، فمراد الحديث عن المجمع رحب فسيح . واني لأرجو أن يكون في ماذكرته عنه غنيةٌ للمتخفف العجل .

مفهوم التعريب

الأستاذ عبد الهادي هاشم

المحمودُ اللهُ جلَّ جلالُه ، والمصلّى عليه محمدٌ وآله ، والمدعوُّ لـه الوطنُ ورجالُه .

أيها الأخوة

تخيَّر الداعون الى عقد نـدوة التعريب هـذه موضوعـاتٍ تتصل بغرض الندوة ، وجعلوها في أربعة مجالات . وسأتحدث بكلمـات موجزة عمـا ضمَّـه المجال الأول منهـا : مفهوم التعريب ، ولمـاذا التعريب ، وطبيعـة العربيـة وقدرتها على الاستيعاب .

☆ ☆ ☆

لكلمة التعريب في لسانـنا المبين دلالات كثيرة في القـديم والحـديث ، ترجع في جملتها الى معنى الايضاح والتبيين ، على أننا نكاد نقتصر في يومنا هذا على اثنين من هذه المعاني :

أمـا أولهما فهـو إدخـال اللفـظ الأعجميّ في الفصحى ، وصقلُـه على منهاجها ، وإنزالُه في أوزانها وأقيستهـا ، فـاذا دخل على العربيـة ولم يخضع لمقاييسها وأبنيتها ظلَّ دخيلاً غير معرب .

أما المعنى الشائع الثاني لكلمة التعريب فهو جعل الفصحى وحدها لغة الكتابة والخطابة والتعليم والاعلام ... واصطنـاعُهـا في الحـديث والترسل ،

● نص الكلمة التي ألقاهـا الأستـاذ عبـد الهـادي هـاشم ، رحمـه الله ، في نـدوة الثقـافـة العربيـــة للتعريب التي انعقـــدت في ليبيـــا (١٣ ـ ٢١ محرم ١٣٩٥ هـ = ٢٥ / ١ ـ ٢ / ٢ / ١٩٧٥ م) .

في الدار والسوق ، في المدرسة والجامعة ، في الاذاعة والمسرح ، في الجريدة والمجلة ...

وقد يؤول التعريبُ بهذا المعنى الى وصل الانسان العربي المعاصر بأسلافه الأوائل ، وبتراثه الغني ، وبجذوره الأصلية ، والى توثيق الأواصر بينه وبين آبائه في فكره وشعوره ووسيلة التعبير عنهما . فاللغةُ - كما قرره العلم - فكر وشعور ، تنمّي اللغةُ الفكرَ ، وينمّي الفكرُ اللغة ، يمدُّ كل منهما آفاق الآخر ، ويُرْحِبُ جَنَباتِه ومجالاته ...

وعربيتنا - كما تعلمون أيها الاخوة - هي مستودع تراثنا ، ومرآة حضارتنا ، وقوام شخصيتنا ، وصورة تفكيرنا وشعورنا ، ووسيلةُ التعبير عن عقلنا وحسّنا ، وأملنا في مستقبل أزهى وأزهر ، وأجلّ وأجمل .

وبين هذين المعنيين : معنى تعريب اللفظ ، ومعنى تعريب الحياة والفكر ، أواصرُ وثيقةُ العرى ، واشجة الصلات . فلا تعريبَ للحياة العربية والدخيلُ واغلٌ فيها ، والاعجميُّ غالب عليها ، ولاجدوى من تعريب اللفظ ولاداعي له اذا كانت العجمةُ والانسلاخ من الماضي غالبَيْن على العربي المعاصر .

ولعل الداعين الى ندوتنا هذه أرادوا مناقشة هذين المعنيين كليهما في اجتماعاتنا هذه .

☆ ☆ ☆

وقد يسأل سائل : ولم التعريب وقد تقاصرت الأبعاد ، وتقاربت المسافات، وتمازجت الثقافات، وامّحت، أو كادت، الفوارقُ بين الامم، وكثر الدعاة الى ازالة القوميات ، واذابة العصبيات ، وتحول البشر من التغاير الى التماثل ، ومن التمايز الى التكامل ، فتوحدّت أزياءُ ملابسهم ،

وأنماط مطاعمهم ومشاربهم ، وأشكال مساكنهم ، ووسائل نقلهم ، وكتابتهم واتصالاتهم ، وجِدّهم ولهوهم ، وإعلامهم وتعليمهم ، وتقاربت مذاهبهم الفكرية والثقافية والعلمية والأدبية والفنية والاقتصادية والاجتماعية ...

وقد يسوق السائلُ شبهات أخرى يريد بها أن يصرفنا عن التمسك بشخصيتنا وتراثنا ومقوّماتنا وروحنا وتفكيرنا وعقائدنا وخصائصنا التي ننفرد بها ونمتاز ....

وقد يغُرّ هذا البريقَ الخُلّب من المزاعم بعضَ الأغرار من نشئنا ، والجهال من بني قومنا ، فيدين به ويدعو اليه ولا يرى موجبا للتمسك بصفاء لغتنا ، ونهج تفكيرنا ، وأصالة شخصيتنا . ولهذا السائل وأمثاله نقول :

ماأعظم خسارةَ البشرية إذا زالت العربيةُ والعروبة من هذا المجتمع الانساني ، وماأحلك ظلامَ هذه الدنيا اذا غاب عنها لساننا العربي وفكرنا العربي وخُلُقنا العربي .

أما الدعوةُ الى وحدة البشر فلتكن ، ولكن لا على حساب حضارةٍ أنقذت الانسان من الظلام والظلم ، والجهالة والجهل ، والعودة الى الهمجية البدائية . فحضارتنا السابقة ـ ولغتُنا أداتُها ومرآتها ـ سارت بالانسان مراحل الى الأمام ، وحفظت له كرامته وانسانيته في آماد طويلة من الزمن ، واننا لنرجو أن تكون حضارتنا التي نقيم اليوم دعائمها ونوطد أسسها أجمل من تلك وأمثل ، فيتاح لعربيّ المستقبل أن يكون نبراسَ هداية ، ومنار حضارة ، وقبساً مشعاً يسير السارون على ضوئه .

وليس التماثلَ المرجو محوَ الفوارق وإزالة الالوان ، فما أقبحَ اللوحةَ الفنية إذا اقتصر مبدعها على لون واحد فيها ، ذلك أن جمالها في تنوع ألوانها وانسجامها ، كما أن روعة القطعة الموسيقية لاتكون الا في تباين

نبراتها ومقاماتها وأصواتها ، وماأنكر الأغنيةَ إذا كانت كلها نغماً واحداً رتيبا ، ﴿ ومن آياته خلقُ السماوات والأرض واختلافُ ألسنتكم وألوانكم ﴾ [سورة الروم ، الآية ٢٢] .

☆ ☆ ☆

وللغتنا خصائصُ لاتشركها فيها لغة أخرى ، ولها مقوّمات تؤهلها لأن تصبح في مقدمة اللغات الحضارية المعاصرة ، تعبيراً عن مستحدثات العقل البشري والشعور الإنساني ، وأداءً لكل مايود التعبير عنه العالِمُ والأديب والمثقف والمفكر والكاتب والخطيب والشاعر والناثر .

ولعل نظرة متكنة متمعنة في التاريخ تجلو هذه المقولة : فقد انساح العرب بعد الجاهلية في أقطار الأرض ، ينشرون دينهم ولغتهم وثقافتهم ، ويعلون راية التوحيد والايمان والعلم ، فتقبلت الأمم هذه الدعوة قبولاً حسنا ، واصطنعت هذه اللغة الشريفة في أدبها وفكرها وعقيدتها ، ورأت أن هذه اللغة وافية بأغراض الانسان في كل شأن من شؤون الحياة ، قادرة على السموّ به إلى أعلى مدارج الحضارة ، فتعربت هذه الأممُ ، واصطنعت هذه اللغة وآثرتها على لغاتها الوطنية ، بالرغم من رسوخ تلك اللغات في نفوس أبنائها وعقولهم أحقابا وأحقابا . وقد أعان لغتنا على أن تحل هذا المحل طبيعتُها المميزة لها ، وقدرتُها على استيعاب التعبير عن كل مايحيك في الصدر من الفكر والشعور .

ففي طبيعة العربية قدرة على النماء والبقاء ، والتطور وتقبل كل جديد ، والتواؤم مع كل مستحدث مبتكر ، بما أوتيت من سعة التصريف ، وسهولة الاشتقاق ، والمجاز ، والتضمين ، والتعريب ، هذا الى جانب وفرة الالفاظ والتراكيب ، ووفرة المعاني التي تؤديها هذه الألفاظ والتراكيب .

فالتصريف فيها هيّن يسير ، والتوسعُ في القياس والاشتقاق بأنواعه الخمسة يمكّن المرء من أداء المعاني المتقاربة المتمايزة بوضوح وجلاء ، مع بيان الفوارق الدقيقة فيما بينها : ومثال ذلك كلمة كبر فهي غير تكبر وهما غير استكبر وكابر ، وكذلك كتب وكاتب واستكتب واكتتب وكتّب ... وتعجزُ اللغات الأخرى عن أداء هذه المعاني بالقدر الذي تَقْوى العربيةُ عليه .

أما المجاز بنوعيه : الاستعاري والمرسل فقد فسح للغتنا مراد القول ، وأذِنَ للتطور أن ينوّع الدلالة على المعاني المتجددة في الموضوعات المختلفة ، والأزمنة المتعاقبة .

والتضمينُ وسيلة رائعة من وسائل سعة التعبير في العربية ، ومؤداه تحميلُ اللفظ معنى مقاربا لمعناه الأول ، ثم توسيعه والتوسعة عليه حتى يعبّر عن جميع المعاني التي تتجدد كل يوم .

وقد انفتح صدرُ العربية للدخيل : آوته وتقبلته في غير إفراط (خشية غلبته واستشرائه وتشويهه اللغة التي احتضنته) ، وقد أنزلت العربيةُ غالبا هذا الدخيل على أقيستها وأوزانها ، حتى اذا طال إلفها له عاملته معاملة العريب الأصيل ، فاشتقت منه وطوّرته وضمّنته وأخذت منه المعاني المجازية ، فأثْرت به وأفادت منه ، كألفاظ التدوين ، والتدنيق والإبراد،ولاغرو فاللغات تتقارض الألفاظ : تعير وتستعير ، وتأخذ وتعطي .

وقد يجدر بنا اليوم أن نفعل فعل قدمائنا اذا ماعرضت لنا مبتكرات في الحضارة والفكر ، وأن نعوذ :

(١) بالممات والمهجور والمهمل من ألفاظنا العراب ، نبث فيها الحياة من جديد ، حتى تؤدي المعاني التي نود ، كما فعلنا في كلمة : الإضبارة والخيالة .

(٢) فاذا تعذر ذلك بحثنا في تراثنا عن ألفاظ تقاربت دلالاتها معاني مستحدثات العصر ، نضمنها المعاني الجديدة ونسبغها عليها ونخصصها بها ، كما في السيارة والطيارة والهاتف .

(٣) فاذا أعجزنا ذلك ترجمنا الألفاظ الأعجمية الدالّة على المبتكرات الطارئة بما يقابلها من ألفاظنا ، فقلنا : النظامة Ordinateur ، والمحرك Moteur ، والمكثّفة Condensateur . .

(٤) وقد يتسع صدرنا للدخيل اذا شاع واستفاض على الألسن فنتقبله بعد ان نصوغه صياغة عربية ، ونلبسه لباسا عربيا ، ونجعله موائماً لأذواقنا وأصواتنا ، ملائماً لخصائص لغتنا كالفلم والغاز والرادار والمتر ....

(٥) فاذا استحال ذلك كله ـ وهذا قل أن يقع ـ قبلنا الدخيل على مضض ، الى أن يطوره الناطقون به الى لفظ عربي أو معرّب .

وهنا أبادر فأقول : انني أدعو الى المزيد من العناية بألفاظ الحضارة وتخليصها من الرطانة والهجنة ، فلا أستجيز الاستكثار في اللغة اليومية وفي الكتابة الادبية من الألفاظ المعربة أو الدخيلة ، وأود لو قدر لنا تصفية لغتنا الأدبية واليومية من هذه الضرائر . أما اللغةُ العلمية التي يقتصر استعمالها على فئة قليلة متخصصة من العلماء في المجلات المتخصصة والمعاهد العلمية المحضة فلا أجد حرجاً عند مسّ الحاجة من قبول المعرب فيها بشرط أن يكون موحدا في البلاد العربية كلها ، وألا نلجأ اليه الا عند عجزنا عن الوقوع على اللفظ الأصيل المناسب ، ولكن لاأحب لأجهزة التعليم والإعلام ولوسائل التعبير عن الفن المستحدث والثقافة الجماهيرية أن تصطنع مالا يمت الى الأصول العربية بنسبٍ واشج ، وسبب لاحب ، ككلمات التلفزيون والتلفون والستيلو والكنداشة .

وهنا أود أن الفت النظر الى الدخيل من الأساليب الـذي أخـذ يغزو ألسنتنـا وأقلامنـا ، فقـد نتسـامح في القليل من الكلم الواغل علينـا الـذي لا يشوّه معالم لساننا ، ولكنني أربأ بلغتنا أن تؤثر الترجمـة عن الأعجميـات في أسلوبها وتراكيبها ، فتعدل بها عن سننها ، وتجعلها صورة باهتـة تعكس الأعجميات فيها ، فما أشدّ نفوري مما ذاع على أقلامنـا وأفواهنـا من هـذه الأسـاليب كقولنـا : فلان **يحرق** المراحل لبلـوغ غـايتـه ، وفـلان **يلقي أمس** حديثا .

وبعد فهذه كلمات موجزات جئتُ بها توطئـة لأحـاديثنـا في هـذه النـدوة الكريمة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

انتخاب لجان المجمع الدائمة

نظر مجلس المجمع في جلسته الثامنة المنعقدة في (١٥ / ٦ / ١٤٠٨ هـ - ٣ / ٢ / ١٩٨٨ م) في لجان المجمع الدائمة وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المصطلح : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ١٣ / ن تاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٨ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ المهندس وجيه السمان
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور القرار .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ١٢ / ن تاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٨ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور القرار .

لجنة المجلة والمطبوعات : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ١١ / ن تاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٨ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
الأستاذ المهندس وجيه السمان
الأستاذ أحمد راتب النفاخ
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور القرار .

الملتقى الرابع

للسانيات العربية والإعلامية(☆)

يحي ميرعلم

درج مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية في الجامعة التونسية على سُنّة حميدة ، تجلّت في عقده أربع ملتقيات لسانية ، كان آخرها الملتقى الرابع حول اللسانيات العربية والإعلامية ، الذي انعقد في نزل البلڤدير بتونس في المدة مابين التاسع والثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٨٧ م . وقد شارك في أعمال هذا الملتقى مايزيد على خمسين باحثاً ومتخصصاً في هذا المجال العلمي الهام ، ينتمون إلى عدد من الدول العربية وبعض الدول الأوربية .

كان للتطور الكبير الذي شهدته ميادين العلوم التطبيقية والإنسانية ... ، بفضل انتشار استعمال الحاسوب ، لِمَا يوفره من إمكانيات واسعة في جمع المعلومات وخزنها ومعالجتها = بالغُ الأثر في توجيه أغلب موضوعات هذا الملتقى نحو الدراسات اللسانية التطبيقية التي ترمي أساساً إلى تحقيق الاتصال بين الإنسان والآلة عبر اللغات الطبيعة ، ويمكننا أن نميّز في هذه الدراسات ميدانين متداخلين ، هما :

أ ـ المعالجة الآلية للغات الطبيعية في شكلها المكتوب (القواعد الصرفية والنحوية والدلالية ...) وتسعى البحوثُ فيها إلى تمكين الحاسوب من التعامل مع الإنسان بواسطة اللغات البشرية لالغات البرمجة

(☆) أفدت في كتابة هذا المقال من حضوري ، ومن مطبوعات البحوث التي عالجها الملتقى وخصوصاً تقديم أعمال الملتقى للدكتور سالم الغزالي .

المختصّة ، وإذا ماتحقّق للآلة أن تفهم اللغات البشرية وتتعامل معها فإن طاقاتها العظيمة ستكون على طرف الثُّمام من جمهور الناس.وأهم ماتتمخّض عنه تلك البحوث تصميم برامج تمكّن الآلة العجماء من فهم الكلمات والجمل والنصوص ، ومن ترجمتها وتلخيصها وتصحيح الأخطاء اللغوية ، ومن المساعدة في تدريس العربية لغة ثانية لغير الناطقين بها ، بالإضافة إلى تطبيقات كثيرة غير لغوية تشمل ميادين علمية وصناعية وتجارية ..

إن جميع ماتقدّم يندرج تحت مايسمى بالذكاء الاصطناعي الذي يعدّ جزءاً من علوم الحاسوب أو الإعلامية ، والذي يسعى الباحثون فيه إلى تصميم أنظمة إعلامية قادرة على القيام بمهامّ معرفية ذات كفاية عالية ، وإلى وضع نماذج تمثّل عملية معالجة الإنسان للمعلومات .

٢ً ـ المعالجة الآلية للخطاب الشفوي التي يكون الصوت فيها لغة الحوار بين الإنسان والآلة ، ممّا يسمح لأكبر عدد من الناس بتبادل المعلومات مع الأنظمة الإعلامية ، وتتجه البحوث في هذا الميدان إلى تمكين الآلة من إنتاج الكلام الإنساني (تأليفه أو تركيبه) ، وإكسابها القدرة على فهمه وهو مايدعى تعرُّفَ الكلام .

وتجدر الإشارة هنا إلى ماأولته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من أهمية لمثل هذه البحوث التطبيقية في ميدان الإعلامية ، إذ وضعت استراتيجية عربية للإعلام والاتصال ، وأخرى لتطوير العلم والتقانة ، وقدّمت دعماً مالياً لبعض مركز البحوث العربية بغية وضع أنظمة آلية للترجمة ، وتحليل النصوص ، وتركيبها ، وغير ذلك ، وآزرت في إقامة عديد من الملتقيات العلمية ، كان آخرها الملتقى الرابع للسانيات العربية والإعلامية ، الذي ألخص أعماله والموضوعات التي تناولها موزّعة على أربعة حقول معرفية .

افتتح الملتقى الدكتور رضا السويسي رئيس قسم اللسانيات في مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس ، وتبعه الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ثم قدّم الدكتور سالم الغزالي أعمال الملتقى وموضوعات الباحثين واهتماماتهم في اللسانيات العربية والإعلامية . جرى بعد ذلك تقديم البحوث في جلستين صباحية ومسائية على امتداد أربعة أيام .

تناولت بحوث اليوم الأول موضوع المعالجة الآلية للكلام ، وأقتصر على إثبات أسمائها مقرونة بأسماء أصحابها ، وهي

- الوضع الحالي للمعالجة الآلية — جان كالان
- معالجة آلية للكلام مطبقة على اللغة العربية — عبد الحق مراد
- أطوال المصوتات العربية — جعفر عبابنه
- تركيب الكلام — اكزافيه رويت
- المعالجة الآلية لأوزان الشعر العربي — مصطفى حركات
- تعرُّف الكلام — بشير زوابي
- تقييم النظريات المطروحة للمعالجة الإعلامية للغة العربية
عبد المجيد دوغاش
- ظواهر تقنية — السيدة سلامي

أمّا بحوث اليوم الثاني فقد تناولت المعالجة الآلية للغة العربية ، وهي :

- نظام بيلاف . تطبيق على كشف الأخطاء وتصحيحها — جان كورتان
- التوليد الصرفي — يحي هلال (لم يحضر)
- ابتكار قاعدة معطيات معجمية للعربية قابلة للاستخدام من قبل نظام صرفي نحوي — جان بروسّيت وعبد الغني سارو

- نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسب
مروان البواب ويحيي ميرعلم ومحمد حسان الطيان
إشراف محمد مراياتي
- اللسانيات العربية وتمثيل النحو محمد بن طالب
- تركيب معجمي وتحليل بالحاسب للعربية المشكولة وغير المشكولة
فتحي دبيلي
- نحو كتابة صوتية عربية برنارد كوس ومنير زريغي
- ذاكرة معجمية ومعالجات معرفية لخطوط دلالية بلحسن بدر الدين
- نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي جعفر دك الباب
- تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل
عبد الرحمن حاج صالح (لم يحضر)

وأمّا بحوث اليوم الثالث فقد ناقشت موضوع الترجمة الآلية والمصطلحات ، وهي :

- الحالة الراهنة للترجمة الآلية جون سميث
- اللسانيات والمصطلحات في الترجمة الآلية نفيسة عبد الفتاح شاش
- معجم المصطلحات اللسانية الإعلامية
الطيّب البكوش ورضا السويسي وعبد المجيد بن حمادو
- في تقييس المصطلح محمد رشاد حمزاوي
- الإفهام والإبهام ودور وسائل الإعلام نهاد الموسى
- ترجمة عربية إلى الانكليزية . تجارب شخصية بيتر كلارك
- المجهودات التي بذلتها المنظمة في ميدان الإعلامية لتكون عوناً على خدمة اللغة العربية وتطوير المجتمع العربي (أليكسو)
- ملاحظات حول انعكاسات المعالجة الآلية على البحث المصطلحي
ليلى مسعودي

- التوليد الآلي لنظام المخطوطات العربية — جاك غراند هنري
- في الدراسات اللغوية بالجامعة التونسية — جمعة شيخة
- المعاجم في الترجمة الآلية — محمود إسماعيل صيني (لم يحضر)
- نظام لفهم اللغة العربية — ... المانكي وعلي ميلي

وأمّا بحوث اليوم الرابع فقد عالجت موضوع تعليم العربية بمساعدة الحاسوب ، وهي :

- في تعليم العربية لغة ثانية بمساعدة الحاسوب — رضا السويسي
- تدريس العربية لغير الناطقين بها بواسطة الكمبيوتر — أڤيكي شيفتيل
- ملقّن متعدّد اللغات لتعليم الإملاء العربي — عبد المجيد بن حمادو ومنصف شرفي وجميل فيكيه
- تعليم العربية لغة ثانية ومايتعلّق به — جوس كالبرت
- نظام للتعليم المساعد من أجل اللغة العربية — دليله سويلم
- مشكلات الرسم العربي الواقع والحلول — هادي نهر
- في تعليم اللغة العربية — فلاديمير شاغال

لقد عكس انعقاد هذا الملتقى حاجة العربية الملحّة إلى دراسات لسانية تطبيقية على العربية المكتوبة والمنطوقة كيا تلحق غيرها من اللغات الحيّة التي قطعت أشواطاً في المعالجة الآلية ، فبلغت مستويات متقدّمة في الترجمة الآلية وفهم الكلام وتركيبه وتحليله ... وهذا أمر جدّ ضروري ، وأيّ تَوانٍ فيه سيمكّن غيرنا من أن يفرض علينا قبول ماسينتجه من آلات تحاكي سلوكنا المعرفي بذكائها الاصطناعي ، فتفهم لغتنا وتقوم بترجمتها وتركيبها وتحليلها ... ولكنْ على نحوٍ مشوّه ، يعكس جهل مَنْ قاموا بمعالجتها من غير قومنا ، ممّا يهدّد أمننا الثقافي .

وفي الحقّ إن الفضل في نجاح هذا الملتقى - إضافة إلى جديّة تلك

البحوث وضرورتها - يعود إلى مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية الذي نظّم هذا الملتقى ، ووفر له جميع أسباب النجاح ، وأغدق على الباحثين المشاركين ماطوّق أعناقهم ، فهو جدير بكل شكر وتقدير .

ولاأحبّ أن أختم هذا المقال قبل أن أشير إلى أمرٍ ذي بال ، وهو أن بحوثاً عن العربية قدّمها باحثون من أبناء قومنا العرب باللغة الفرنسية ، على الرغم من قلّة المشاركين الأجانب ، ونحن إن عذرنا غير العرب على استخدامهم لغتهم ، فمن العسير أن نجد عذراً لإخوتنا الذين لجؤوا إلى الفرنسية في كتابة بحوثهم وتقديمها ، وأحببت ألاّ أفوّت الإشارة هنا إلى هذا الأمر ، لأن مثل هذه الظاهرة تكررت في عدد من المؤتمرات والمدارس العلمية العالمية التي عالجت اللسانيات العربية وغيرها ، واتخذت من غير العربية لغة لها ، وقد آن الأوان أن تعتمد تلك اللقاءاتُ العلمية اللغةَ العربية ، فتنسجم مع الموضوع الذي تعالجه ، وتأتسي بالمجالس والهيئات الدولية التي اتخذت العربية واحدة من لغاتها المعتمدة .

الكتب والمجلات المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق
خلال الربع الأول من عام ١٩٨٨

محمد مطيع الحافظ ـ غزوة بدير

أ ـ الكتب العربية

ـ **ابتهالات** (شعر) ـ آصف عبد الله ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **الإبل في الشعر الجاهلي** (دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث (١ ـ ٢) ـ د . أنور عليان أبو سويلم ـ الرياض ١٩٨٣ .

ـ **اتجاهات شعراء شمالي الأردن** (١٩٢٠ ـ ١٩٨٠) ـ محمود محسن فالح مهيدات ـ عمان ١٩٨٥ .

ـ **احتفال تحت الثلج** ـ حسن صقر ـ دمشق ـ ١٩٨٧ .

ـ **أدب أمريكا اللاتينية** (قضايا ومشكلات) (القسم الثاني) ـ تنسيق وتقديم سيزار فرناندث مورينو ، ترجمه عن الإسبانية أحمد حسان عبد الواحد ، راجعه د . شاكر مصطفى ـ الكويت ١٩٨٨ .

ـ **الأدب والمجتمع** ـ دافيد ديتشيز ، ترجمة عارف حديفة ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **استراتيجية محو الأمية في البلاد العربية** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٧ .

ـ **إعادة رتيبة لسيرة معاصرة** (قصص) ـ عبد الإله الرحيل ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **أعلامنا : محمد الخضر الحسين** ـ أبو القاسم محمد كرو ـ تونس ١٩٧٣ .

- **اقتصاديات الأقطار النامية** - هـ : مينيت ، ترجمة ميشيل عيلبوني - دمشق ١٩٨٧ .
- **إكمال الإعلام بتثليث الكلام** - (١ - ٢)- محمد بن عبد الله بن مالك الجياني ، رواية محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي - تحقيق ودراسة سعد بن حمدان الغامدي - مكة المكرمة ١٩٨٤ .
- **امرأة متلونة** (مجموعة قصص) - ملاحة الخاني - دمشق ١٩٨٧ .
- **أمير الانسانية والوطنية تركي بن عبد العزيز آل سعود** - عبد الحفيظ محمد - عمان ١٩٨٧ .
- **أناشيد الطفولة** (شعر للأطفال) - خضر عكاري - دمشق ١٩٨٧ .
- **انكسار الأحلام** (سيرة روائية) - محمد كامل الخطيب - دمشق ١٩٨٧ .
- **بناء المكانز وتطويرها** - بإشراف محمود أحمد إتيم - تونس ١٩٨٧ .
- **البيبليوغرافيا القومية التونسية** - دار الكتب الوطنية - تونس ١٩٨٦ .
- **تاريخ السينما السورية** (١٩٢٨ - ١٩٨٨) - جان الكسان - دمشق ١٩٨٧ .
- **التربية البنّاءة للأطفال** (من الفكر التربوي العالمي) - و . د . وول ، ترجمة عبد العزيز الشتاوي ومحمد عادل الأحمر - تونس ١٩٨٧ .
- **التربية البيئية في مناهج التعليم العام بالوطن العربي** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧ .
- **التربية واتجاهات الشباب** (نموذج القطر العربي السوري) - د . يونس ناصر - دمشق ١٩٨٧ .
- **الترجمة قديماً وحديثاً** - شحادة الخوري - تونس ١٩٨٨ .

- **تطور الدولة الحديثة** - جيان فرانكو بوحي - ترجمة محي الدين الشعراني - دمشق ١٩٨٧ .

- **تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي** - شحادة الخوري - بيروت ١٩٨٧ .

- **التفاعلات الكيميائية**- د . ابراهيم الزامل ، د . سليمان حماد الخويطر ، د . محمد عبد العزيز الحجاجي - المراجع د . يحي قدسي ، المحرر د . موفق شخاشيرو . - تونس ١٩٨٧ .

- **التقرير السنوي العاشر حول منجزات المجمع عام ١٩٨٦** - مجمع اللغة العربية الأردني - عمان ١٩٨٧ .

- **تنمية الكفايات البشرية عربياً في التعليم العالي والبحث العلمي** (المؤتمر الثالث للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي - تونس ١٩٨٧ .

- **التنويم المغناطيسي** - د . شرتوك - ترجمة وجيه أسعد - دمشق ١٩٨٧ .

- **الجد جد الأخضر** (أو الحرقوص) وطالب العلم - (قصص للأطفال) - آنا ماريا ماتوتي - ترجمة علي جابر - دمشق ١٩٨٧ .

- **جنوح الأحداث** (بحث اجتماعي ميداني ، نموذج القطر العربي السوري) - وليد حيدر - دمشق ١٩٨٧ .

- **الحاكم الهندي المفترس وقصص أخرى من آسيا** بأقلام آسيويين (قصص للأطفال) - عدد من المؤلفين - ترجمة نبيل أبو صعب - دمشق ١٩٨٧ .

- **الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن** - علي المحافظة - بيروت ١٩٨٧ .

- **حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام** - د . ممدوح عارف الروسان - إربد ١٩٨٦ .
- **حياة دون كيخوتي** ، نقلاً عن ميكال ده سرفنتس - ميكال ده أونامونو - نقله إلى العربية علي محمد جابر - دمشق ١٩٨٧ .
- **دراسات رؤوية** - محي الدين صبحي - دمشق ١٩٨٧ .
- **دراسات عن الشابي** - إعداد أبو القاسم كرو - طرابلس ١٩٨٤ .
- **دراسات في الشعر الجاهلي** - د . أنور أبو سويلم - عمان ١٩٨٧ .
- **الدليل العملي لإعداد التسجيلات الببليوغرافية لنظام المعلومات** - بإشراف محمود أحمد إتيم - تونس ١٩٨٧ .
- **الدليل العملي للتحليل الموضوعي والتكشيف** - بإشراف محمود أحمد إتيم - تونس ١٩٨٧ .
- **الدليل العملي لتصنيف الملفات الصحفية والمواد المكملة لها** - بإشراف محمود أحمد إتيم - تونس ١٩٨٧ .
- **دليل المترجمين ومؤسسات الترجمة والنشر في الوطن العربي** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧ .
- **دليل معلم القرآن الكريم في مرحلة التعليم الأساسي في الوطن العربي** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جمع مادة الدليل وصاغها د . محمد عبد الرحمن حامد (الفولي) - راجع الدليل . جعفر محمد عثمان خليل - تونس ١٩٨٨ .
- **دمشق (تاريخ وصور)** - د . قتيبة الشهابي - دمشق ١٩٨٧ .
- **دوي الموتى** (قصص) - حسن حميد - دمشق ١٩٨٧ .
- **ديوان أبي النجم العجلي (استدراك وتعليق)** - عبد الإله نبهان - عمان ١٩٨٧ .

- **ديوان ديك الجن الحمصي** (عبد السلام بن رغبان) - جمع وتحقيق مظهر الحجي - دمشق ١٩٨٧ .
- **ديوان النابغة الشيباني** - تحقيق د . عبد الكريم إبراهيم يعقوب - دمشق ١٩٨٧ .
- **الذرات والجزئيات** - د . فؤاد قنبور ، د . غازي عبد الوهاب درويش ، د . نعمان سعد الدين النعيمي - مراجعة د . موفق شخاشيرو .
- **الرسالة الالواحية** - الشيخ الرئيس ابن سينا - تحقيق وتعليق محمد سويسي - طرابلس .
- **ريلكة** - فيليب جاكوتيه - ترجمة صلاح الدين برمدا - دمشق ١٩٨٧ .
- **السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى** - د . حكمت فريحات - عمان ١٩٨٧ .
- **سيكولوجية اللعب** - د . سوزانا ميلر ، ترجمة د . حسن عيسى ، مراجعة د . محمد عماد الدين اسماعيل ، الكويت ١٩٨٧ .
- **الشابي : حياته وشعره** - أبو القاسم محمد كرو - طرابلس ١٩٨٤ .
- **صلاح الدين (ذكرى مرور ٨٠٠ عام على فتح القدس)** - عرفات حجازي - عمان ١٩٨٧ .
- **الصوتيات** - برتيل مالمبرج ، ترجمة د . محمد حلمي هليّل - الخرطوم ١٩٨٥ .
- **صيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧ .
- **ظاهرة التعويض في العربية وما حُمل عليها من المسائل** - د . عبد الفتاح أحمد الحموز - عمان ١٩٨٧ .
- **العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى (حطين وعين

جالوت) (دراسة تحليلية عسكرية) ـ العقيد الركن قاسم محمد صالح ـ عمان ١٩٨٧ .

ـ **عقود الهمز** ـ أبو الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق أ . د مازن المبارك ـ قطر ١٩٨٧ .

ـ **العلوم عند المسلمين** ـ إشراف حصة الصباح ـ الكويت ١٩٨٥ .

ـ **العيش بدون دواء** ـ ف . روماشوف وف . فرولوف ، ترجمة يوسف سلمان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **الغزو والتيارات المعادية للإسلام** (من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الاسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ـ ١٣٩٦) ـ الرياض ١٩٨١ .

ـ **الفروسية** (شعر) ـ أحمد الجاطي ـ الدار البيضاء ١٩٨٧ .

ـ **الفن الإسلامي في متحف الكويت الوطني** (مجموعة الصباح) ـ إعداد وتحقيق مارلين جنكينز ـ الكويت ١٩٨٣ .

ـ **فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم** ـ علي بن عبيد الله بن بابويه الرازي طهران ١٤٠٤ هـ .

ـ **فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية** ـ جان فونتان ـ أعد النص العربي حمادي صمّود ـ تونس ١٩٨٦ .

ـ **فهرس مخطوطات جامعة أم القرى** (الجزء الثاني) ـ إشراف د . ناصر عبد الله البركاتي ـ إعداد محمد بن عثمان الكفوي ، هاشم عبد الواحد أحمد ـ مكة المكرمة ١٩٨٧ م .

ـ **في ذكرى معركة حطين** ـ د . نور الدين حاطوم ، د . عادل زيتون ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **في عالم المراهق** ـ عدد من المؤلفين ، ترجمة د . عبد الله شحود

النظامي ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **في المعجمية العربية المعاصرة** (وقائع ندوة مائوية : أحمد فارس الشديان ، بطرس البستاني ، ورينحارت دوزي) ـ تونس ١٩٨٧ .

ـ **قاموس الجيب** (عربي روسي) ـ ف . م . بيليكن ـ موسكو ١٩٨٦ .

ـ **قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية** (محاولة تاريخية) ـ د . أحمد سليم سعيدان ـ عمان ١٩٨٧

ـ **القرن الخامس عشر الهجري** (دارسة تقويمية لأنشطة الاحتفاء به) ـ المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ـ تونس ١٩٨٧

ـ **قصص إلى أطفال شياطين** ـ جاك بريفير ، ترجمة غصون رفعت عرنوق ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **قصص مختارة** ـ ايفان بونين ، ترجمة محمود عبد الواحد ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **قضية المتمردة سوزان** (كوميديا من ثلاثة فصول) ـ هنري آرثر جونز ، ترجمة عيسى سمعان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **القلاع الإسلامية في الأردن** (الفترة الأيوبية المملوكية) ـ سعد محمود المومني ـ عمان ١٩٨٨

ـ **القمر يحب الأطفال** (مجموعة قصصية للأطفال) ـ محمد قرانيا ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **الكتاب السنوي للإحصاءات التربوية في الوطن العربي** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٨ .

ـ **كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإملائية** ـ محمد عادل عبد السلام الشريف الحسيني الخليلي ـ عمان ١٩٨٤ .

ـ **الكذبة** (كوميديا أصلية في أربعة فصول) ـ هنري آرثر جونز ، ترجمة

عيسى سمعان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **كسرة خبز تكفيني** (شعر) ـ دعد حداد ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **الكلب والشمس** (حكايات شعبية من العالم) حكايات غريو ـ ترجمة نسيم واكيم يازجي ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **كيمياء المركبات العضوية** د . موسى الناظر ، د . عادل جرار ـ راجعه د . صلاح يحياوي ، المحرر د . موفق شخاشيرو ـ تونس ١٩٨٧ .

ـ **لغز الخليج الأزرق** (قصص للأطفال واليافعين) ـ أنيد بلايتون ، ترجمة ممدوح قتلان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **المؤلفات الرياضية لشرف الدين الطوسي** : الجبر والهندسة في القرن الثاني عشر (١ ـ ٢) ـ تحقيق وترجمة رشدي راشد ـ باريس ١٩٨٦

ـ **مالم ينشر من كتاب العشرات للقزاز القيرواني** ـ د . حاتم صالح الضامن ـ بغداد ١٩٨٨ .

ـ **المبتدأ والخبر في القرآن الكريم** ـ د . عبد الفتاح الحموز ـ عمان ١٩٨٦ .

ـ **المباحث المرضية المتعلقة بـ (مَنْ) الشرطية** ـ ابن هشام المصري ـ حققها وألحق بها دراسة حول خبر اسم الشرط د . مازن المبارك ـ بيروت ١٩٨٧ .

ـ **المثل العليا والواقع (مقالات مختارة)** ـ محمد عبد السلام ـ ترجمة د . أدهم السمان ، أديب يوسف شيش ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **محاضرات في الثقافة الاسلامية** (منشورات مديرية الافتاء في القوات المسلحة الأردنية) عمان .

محاضرات الموسم الثقافي الثاني ـ جامعة مؤتة ـ ١٩٨٧ .

ـ **مختارات من القصة الانكليزية القصيرة** ـ عدد من المؤلفين ،

ترجمة خالد حداد ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **المختار من نوادر الأخبار** ـ محمد بن أحمد المقري ـ تحقيق د . أنور أبو سُويلم ـ بيروت ١٩٨٦

ـ **المسائل العضديات** ـ أبو علي الفارسي ـ تحقيق شيخ الراشد ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **معجم الحاسوب** ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ ١٩٨٧ .

ـ **مقتنيات جديدة مختارة** ـ مانويل د . كين ، ترجمة ومساعدة غادة حجاوي قدومي ، اشراف الشيخة حصة الصباح ـ الكويت ١٩٨٥ .

ـ **مكافحة الأمراض السارية في الإنسان** ـ جمعية الصحة العامة الامريكية ـ الاسكندرية ١٩٨٧ .

ـ **ملك الفضة (مسرحية)** ـ هنري آرثر جونز ـ ترجمة عيسى سمعان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **منعطف الرياضيات الكبير** ـ فايز فوق العادة ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **من كتاب الكامل** ـ محمد بن يزيد المبرد ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها محمد الدالي ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ـ المقريزي ـ (١ ـ ٣) اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها زهير حميدان ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **موسوعة حلب المقارنة** (المجلد الخامس) ـ خير الدين الأسدي ـ أعدها للطبع ووضع فهارسها محمد كمال ـ حلب ١٩٨٦ .

ـ **الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني** ـ عمان ١٩٨٧ .

ـ **الموسوعة العلمية الميسرة** : المجلد ٤ الجزء ١ ـ نخبة من

المؤلفين ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **النشرة العربية للمطبوعات لعام ١٩٨٥** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٥ .

ـ **نظرية الحضارة** ـ ادوارد ماركاريان ـ موسكو ١٩٨٧ .

ـ **النكت في تفسير كتاب سيبويه** (١ ـ ٢) ـ أبو الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتري ـ معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ١٩٨٧ .

ـ **ابن هانىء الأندلسي (متنبي المغرب)** ـ أبو القاسم محمد كرو ـ طرابلس ١٩٨٤ .

ـ **هل تعرف الفراشات (قصص للأطفال)** ـ روجيه ـ غي شارمان ، ترجمة لطيفة ديب عرنوق ـ دمشق ١٩٨٦ .

ـ **الوثنية في الأدب الجاهلي** د . عبد الغني زيتوني ـ دمشق ١٩٨٧ .

ـ **وفود القبائل على الرسول ﷺ وانتشار الإسلام في جزيرة العرب** ـ د . حسن جبر ـ الكويت ١٩٨٧ .

ـ **وقائع ندوة إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي** ـ جمعية المعجمية العربية بتونس ـ ١٩٨٥ .

ب ـ المجلات العربية

ـجامعة دمشق	٨	١٩٨٦	دمشق
ـالقانون	١ـ٢	١٩٨٦	دمشق
ـالقانون	٣ـ١٠	١٩٨٧	دمشق
ـالمجلة البطريركية	٧١، ٧٢ـ٧٣	١٩٨٨	دمشق
ـعالم الذرة	٥	١٩٨٧	دمشق
ـصوت فلسطين	٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢	١٩٨٧ـ١٩٨٨	دمشق
ـالآداب الأجنبية	٥٣	١٩٨٧	دمشق

ـالنشرة الاقتصادية	٣، ٤	١٩٨٧	دمشق
ـالموقف الأدبي	١٩٧، ١٩٩	١٩٨٧	دمشق
ـالمعلم العربي	٣، ٤	١٩٨٧	دمشق
ـدراسات تاريخية	٢٧، ٢٨	١٩٨٧	دمشق
ـالمعرفة	٣٠٤، ٣٠٥	١٩٨٧	دمشق
ـالثقافة	أيار	١٩٨٧	دمشق
ـالهند	٩٨، ٩٩	١٩٨٧ـ١٩٨٨	دمشق
ـنهج الإسلام	٢٩، ٣٠	١٩٨٧ـ١٩٨٨	دمشق
ـموريتانيا	١	١٩٨٨	دمشق
ـالضاد	٨ـ٩، ١٠، ١١، ١٢	١٩٨٧	حلب
ـمجلة بحوث جامعة حلب	٨	١٩٨٦	حلب
ـمجلة بحوث جامعة حلب	٩	١٩٨٦	حلب
ـنشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	ايلول ـ تشرين الأول، تشرين الثاني ـ كانون الأول	١٩٨٧	بغداد
ـالأبحاث	٣٣	١٩٨٥	بيروت
ـالأبحاث	٣٤	١٩٨٦	بيروت
ـالشراع	٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠	١٩٨٧	بيروت
ـالشراع	٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠	١٩٨٨	بيروت
ـتاريخ العرب والعالم	١٠٧، ١١٠	١٩٨٧	بيروت
ـالحياة الثقافية	٤٥، ٤٦	١٩٨٧	تونس
ـالحياة الثقافية	٤٧	١٩٨٨	تونس
ـاعلامات بيبليوغرافية	٣، ٤	١٩٨٦	تونس
ـالمجلة العربية للمعلومات	١	١٩٨٧	تونس
ـالمجلة العربية للبحوث التربوية	٢	١٩٨٧	تونس
ـالمجلة العربية للثقافة	١٢	١٩٨٧	تونس
ـالاعلام العربي	٩، ١٠	١٩٨٥ـ١٩٨٦	تونس
ـالمجلة العربية للتربية	١	١٩٨٧	تونس
ـالمجلة الجزائرية للعلاقات الدولية	٦، ٧	١٩٨٧	الجزائر
ـالثقافة	٩٦، ٩٧، ٩٨	١٩٨٧	الجزائر
ـالمنتدى	٥٢، ٥٣	١٩٨٧	دبي

ـالمنتدى	٥٤	١٩٨٨	دبي
ـالعرب	٩، ١٠	١٩٨٧	الرياض
ـالعرب	١١، ١٢	١٩٨٨	الرياض
ـعالم الكتب	٣	١٩٨٧	الرياض
الفيصل	١٣٠، ١٣١	١٩٨٧	الرياض
ـالفيصل	١٣٢	١٩٨٨	الرياض
ـالدارة	٢، ٣	١٩٨٧	الرياض
ـالقافلة	٣٥	١٤٠٧	الرياض
ـالمجلة العربية للدراسات اللغوية	١	١٩٨٦	السودان
ـمؤتة للبحوث والدراسات	٢	١٩٨٧	عمان
ـاليرموك	٢١	١٩٨٧	عمان
ـنشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني	٤	١٩٨٧	عمان
ـنشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني	٥	١٩٨٨	عمان
ـالعلم والتكنولوجيا	١٠	١٩٨٧	عمان
ـالعلم والتكنولوجيا	١١	١٩٨٨	عمان
ـدراسات	٨	١٩٨٧	عمان
ـأبحاث اليرموك	١	١٩٨٨	عمان
ـرسالة المعلم	٣، ٤	١٩٨٧	عمان
ـالتقييس	٥	١٩٨٧	عمان
ـمجلة مجمع اللغة العربية الاردني	٣١	١٩٨٦	عمان
ـمجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٣٢	١٩٨٧	عمان
ـنشرة أخبار التراث العربي	٣٣، ٣٤	١٩٨٧	الكويت
ـحوليات كلية الآداب	٤٩، ٥٠	١٩٨٧، ١٩٨٨	الكويت
ـكويت: الحياة الثقافية		١٩٨٦	الكويت
ـدار الآثار الإسلامية	٣، ٤	١٩٨٧	الكويت
ـأخبار التراث الإسلامي	١١	١٩٨٧	الكويت
ـمجلة معهد المخطوطات العربية	٢	١٩٨٧	الكويت
ـمجلة البحوث التاريخية	١	١٩٨٦	ليبيا
ـالشهيد	٦	١٩٨٥	ليبيا
ـالبحث العلمي	٣٦	١٩٨٦	المغرب

ـالمناهل	٣٥	١٩٨٦	المغرب
ـالوحدة	٣٧، ٣٨، ٣٩	١٩٨٧	المغرب
ـالوحدة	٤٠	١٩٨٨	المغرب
ـالمجلة الصحية		١٩٨٨	المغرب
ـمجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس	٩	١٩٨٧	المغرب
ـاللقاء	٥	١٩٨٧	ألمانيا
ـاللقاء	١	١٩٨٨	ألمانيا
ـتراثنا	٤	١٤٠٧	ايران
ـالثقافة الإسلامية	٩	١٤٠٧	ايران
ـالثقافة الإسلامية	١٥	١٤٠٨	ايران
ـسيريز	٤	١٩٨٧	ايطاليا
ـالدراسات الإسلامية	٤	١٩٨٧	باكستان
ـالنشرة الاخبارية لمركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية	١٥، ١٦	١٩٨٧	تركيا
ـبناء الصين	١٢	١٩٨٧	الصين
ـبناء الصين	١، ٢، ٣	١٩٨٨	الصين
ـالصين المصورة	١١، ١٢	١٩٨٧	الصين
ـالصين المصورة	١، ٢	١٩٨٨	الصين
ـعالم التغليف والبلاستيك	ايلول، كانون الأول	١٩٨٧	لندن
ـعالم الطباعة	ايلول،تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول	١٩٨٧	لندن
ـالصوفية المتجددة	١٢	١٩٨٧	لندن
ـالصوفية المتجددة	١، ٢، ٣	١٩٨٧، ١٩٨٨	لندن
ـهنا لندن	٤٦٨	١٩٨٧	لندن

جـ ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

- Littérature Chinoise ,1, 1988

- Le Prophète de L'Islam en tant qu'éducateur , Dr. Muhammad Hamidullah , 1987

- La Symbolique en Islam , Dr. Muhammad Hamidullah , 1986

- La Nouvelle Revue Internationale11, 1987 , 1,2, 1988

- Developpons La Cooperation Sud-Sud, Kim Il Sung , Coree, 1987

- Pour L' Amelioration et le Renforcement du Travail Sanitaire, Kim Il Sung, Coree, 1987

- Le Cinema et La Mise en Scene Kim Djeung Il, Coree, 1987

- Les Personnages et Les Acteurs , Kim Djeung Il, Coree, 1987

- Travailleurs et Cerveaux Arabes Immigres En Europe, Dr. Hayssam Safar, Paris, 1987.

Comptes Rendus de L'Académie Bulgare des Sciences , 40 , 1987, 41 1988.

- Coree , 9 , 11 , 12 , 1987

- La Chine , 8,9,10,11,12, 1987

- Dictionnaire de la Civilisation romaine , Jean Claude Fredouille, Paris.

- La nuit Sacrée, Tahar, Ben Jelloun, Paris, 1987.

- La Déesse Syrienne, Lucien de Samosate, Paris, 1980.

- Les Hommes de L' Islam , Louis Gardet, Paris, 1977.

- Les Grandes Dates de L' Histoire , Colin Mc Evedy, 1986.

- Les Grands Evénements du XXe Siécle , Paris.

* * *

- Chinese Literature , 1987

- Issues in the Islamic Movement , Kalim Siddiqui , U.K.,1986

- The Qur'an in Islam , Its Impact and Influence on The Life of Muslims, M.H. Ṭabāṭabā'i, U.K., 1987
- Enver Hoxha Selected works, Tirana, 1987.
- John Milton and the Arab - Islamic Culture, Eid Abdallah Dahiyat, Amman, 1987.
- Reflections of a Palestinian, Mohammad Tarbush, 1986.
- Durham University Journal, LXXX1, 1987
- Araby: Nordic Studies on the Arab and Islamic World
- Islamic Studies, 3, 1987
- Studies in Islam, XVIII, 1981
- Western Humanities Review, XLI , 1987
- Orient, XXII , 1986
- Muslim Education Quarterly, vol 5 , 1987
- Science in China, vol XXX , 9, 10, 11, 1987, vol, XXXI, 1, 1988.
- Journal Catalog, 1988

* * *

- Atti Della Accademia Delle Scienze Dell' Istituto di Bologna , Classe Di Scienze Fisiche . Serie XIV , 1984 - 1985
- Atti Della Accademia Delle Scienze Dell' Istituto di Bologna ,Classe di Scienze Morali , vol LXXIII , 1984 - 1985
- Atti della Tavola Rotonda Tenuta a Bologna il 26 giugno 1979 su Il Delta Del po , Sezione Idraulica, 1986
- Sprawozdania Z Posiedzeń Komisji NauKowych, Tom XXVIII ,

1984.

- Wissenschaftliche Zeitschrift der Humboldt- Universitāt Zu Berlin, 7, 8, 1987.

- Verlags Verzeichnis, Leipzig, 1987.

- Lettera dall'Italia, 8, 1987

- Primenjena Nauka, 11, 12, 1988.

- Boletin de la Academia Argentina de Letras, tomo LI, 1986.

- Ṭāhā Ḥusayn Memorie, Umberto Rizzitano,

- Zbornik radova, 2, 1987

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والستين

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ذو القعدة ١٤٠٨ هـ

تموز (يوليو) ١٩٨٨ م

إنها مخطوطة

زاد الرفاق

الأستاذ حمد الجاسر

سنحت لي سانحة زرت خلالها القاهرة ، بعد تقديم وصف المخطوطة المجهولة الاسم للنشر ، في هذه المجلة الكريمة[1] ، وكنت قد عرفت بأن مخطوطة من كتاب « زاد الرفاق » في دار الكتب المصرية ، ولما لم يتسنّ لي الاطلاع على هذه المخطوطة أثناء زيارة هذه الدار ذهبت الى معهد المخطوطات في القاهرة فوجدت النسخة مصورة فيها ، كما وجدت نسخة أخرى أقدم منها مصورة أيضا ، فتمكنت من الحصول على صورتيهما ، وقمت بدراستهما ومقابلتهما على المخطوطة التي وصفتها في المجلة ، فظهر لي من ذالك أن الثلاث النسخ لكتاب واحد هو « زاد الرفاق » لِلأَبِيْوَرْدِي ، إلاّ أن نسخة مكتبة (دير الاسكوريال) لاتحوي من الكتاب الا مايقارب الثلث الأخير منه ونقص في آخره يسير ، ولكنه لايحوي النص الذي ورد فيه اسم الكتاب ، كما ورد في النسختين الأخريين بهذا النص : (وقد أوردتَ وأصدرت ، وأكثرت حتى أضجرت ، وبعثت إليك بهذه الأوراق ، موسومة بـ « زاد الرفاق ») - نسخة لاللي في استنبول رقم ١٧٨٦ ص ٣٠٣ ، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٨٢ أدب ص ٦٢٣ - .

ومقدمة النسختين تتفق مع المقدمة التي ذكرها صاحب « كشف

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٦٣ ج ١ ص ٢٢ الى ٤١

الظنون[٢] " للكتاب المذكور ، وقد نص الذهبي على عَدِّه من مؤلفاته ، ونقل عن ابن الخشاب مانصه[٣] : (قرأت على عبد الرحيم بن الإخوة ثلاثةَ أجزاء من أول كتاب « زاد الرفاق » للأَبِيْوَرْدِيّ ، وهذا الكتاب ـ نَعَمْ واللهِ ـ باردُ الوضع ، مشوبٌ أدبه بفُضُولٍ من علوم لاتعد في الفضل ، دَالَّةٍ على أن الأَبِيْوَرْدِيّ كان مُمَخْرِقاً مُحِبًّا لأنْ يُرَى بعين مُفْتَنٍّ ، مُتَشَبِّعاً بما لم يُعْطَ) . انتهى . ومعروف أنَّ ابنَ الخشاب ـ مع ماوُصِم به من صفات يُرْبَأ بأهل العلم عنها كان يتطاول على الفضلاء منهم ، ويتنقص ذوي المنازل الرفيعة[٤] ـ وهذا لا ينافي تبحره بعلم النحو ، ومعرفته غيره من علوم أهل زمنه . ولعل أَكْثَر إنصافاً منه لهذا الكتاب أَحَدُ العلماء المتأخرين ، فقد نقل أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لكتاب « وفيات الاعيان » ـ ٤ / ٤٤٩ ـ في ترجمة الأَبِيْوَرْدِيّ ـ ماهذا نصه : بهامش (ن) بخط غير خط الأصل : (وقفت على مؤلف له سماه بـ « زاد الرفاق » واستصحبتهُ بحمد الله سبحانه وتعالى ، وهو من الكتب المتعة ، ويشتمل من نوادر الظرف والآداب على مايروق العيون ويُعجب الأسماع ، وحرره الفقير عارف) .

والواقع أن الكتاب لم يَخْلُ من التباهي وإبراز التمكن في العلم في مقام الافتخار ، ولكنه مع ذالك يحوي علما غزيراً ، وأدباً جَمّاً ، وليس

---

(٢) ص : ٩٤٥ ، وقد ورد فيه أن وفاة الأبيوردي سنة ٥٥٧ هـ ، وكذا عند ابن خلكان « وفيات الأعيان » ٤ / ٤٤٩ منصوصا على ذالك باللفظ (سنة سبع وخمسين وخمس مئة) ، ولكن أستاذنا الزركلي ـ رحمه الله ـ في « الاعلام » ـ ٦ / ٢٠٩ ـ خطأ هذا وقال : إنه من خَطَإِ الطبع . وقد تنبه الى هذا المستشرق بروكلمان فأشار إليه في ترجمة الأبيوردي في « دائرة المعارف الاسلامية » .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٢٩١

(٤) انظر ترجمته في « معجم الادباء » ١٢ / ٤٧ وما بعدها .

كما قال صديقنا الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم[٥] : (إن هذا الكتاب يشتمل على مناظرات مع أرباب النجوم ونقد لحججهم) . حقا ان فيه نصوصا قليلة في إبطال مزاعم من يعتقد بان للنجوم تأثيراً في الكون ، وفيه فصل مطول عن علم النجوم عند العرب يدل على سعة اطلاع مؤلفه في هذا الشأن ، ولكنه لايحوي مناظرات مع أرباب النجوم ، وإنما ساق ذالك مساق المبين لاستيضاح احد تلاميذه .

وهذا التلميذ وهو يدعوه في أول الكتاب : أخاً : (علام أيُّها الأخ ؟) ويعاتبه على جفائه وقلة زيارته ، وميله إلى (ارتشاف الأعذبين ، وتَلَهِّيه بقهقهة الإبريق) ويظهر أن هذا ممن أسرف على نفسه بمعاقرة بنت الحان ، حيث ختم الكتاب بنصحه عن الاقلاع عن ذالك (فما لك عقير العقار ، وهلا اقتديت بالصالحين الأخيار) . ويظهر أنه ينحو منحى الفلاسفة : (وانتهجت سنن سقراط في زهده فهو إمامك) .

وهذا الذي وجه اليه الأَبِيْوَرْدِي الكتابَ بشكل رسالة من أهل (جَنْزَةَ) قال عنه[٦] : (وقد فارقتَ الوطنَ لتكون في العِلْمِ ناراً على عَلَمٍ ، وتسودَ به في بلدتك وهي (جنزة) القاصرة عن الإحاطة بوصفها الألسنُ ، والآهلة بما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين ، وهي أول ارض مَسَّكَ ترابُها) .

وجنزة هذه على ماذكر صاحب كتاب « بلدان الخلافة الشرقية »[٧] :

---

(٥) هامش « إنباه الرواة » ٣ / ٥٠

(٦) الورقة الـ (٢٩٦) النسخة المصرية .

(٧) ص : ٢١٣

(من إقليم الرّان ، كانت تعرف بـــاسم كنجـــة وتسمى اليـوم اليزابيث بول Elizabetpol) .

وقد ذكر صاحب « معجم البلدان » جنزة بأنها أعظم مدينةٍ بـأَرَّانَ ، وعـد ممن خرج منهـا من أهـل العلم أبـا حفصٍ عمرَ بنَ عثمان بن شعيب الجنزي ، أديب فـاضـل متـدين ، قرأ الأدب على الأديب أبي المظفر الأَبِيْوَرْدِيِّ ببغـداد وهمـذان . ومثـل هـذا ورد في كتـاب « الأنسـاب »[٨] للسمعاني .

أفترى هـذا الجنزيّ هـو الـذي وجـه إليـه الأَبِيْـوَرْدِيُّ كتـابـه « زاد الرفاق » ؟! لولا وصفه بأنه (فـاضل متـدين) لصح هـذا ، ولكن يظهر أنَّ من أهل تلـك البلـدة من تَلَقَّى العلم عن الأَبِيْوَرْدِيِّ غَيْرَهُ أو أنـه أقلـع عما كان يعِيبُهُ ، وارتدى رداء من الفضيلة والدين لستر عيوبه .

ولا أدري هل الاستنتـاج من جملـة : (وترى حـاسـدك يـاأبـا المقيم للمقيم المُقْعِدِ ، وتكون لك يا مُسافِرُ كالزاد للمسافر) أن اسم ذالـك الجنزي (مسافر) وكنيته (أبو المقيم) ؟!

زمن تأليف الكتاب : يظهر أن الأَبِيْوَرْدِيَّ أَلَّفَ هذا الكتاب بعد أن بلـغ الأربعين سنـة من عمره ، على مـايفهم من هـذه الجملـة : (وقـد مُنِيتُ بِمُسَاوِرَةِ الحـاسـد ، في هـذا الزمـان الفـاسـد ، والعشرون تُرْضِعُني أَخْلافَها ، وهَلُمَّ جَرّاً إلى الأَربعين وقد ألبستني أَعْطَافَها)[٩] .

موضوع الكتـاب : هـو من كتب المحـاضرات التي تجمـع مختـارات منوعة من التاريخ والأدب ، ومقاطيع شعرية ، وأبحـاث لغويـة ، ويكاد يغلب سَرْدُ المفردات اللغوية على هذا الكتاب ، بحيث تشمل حَيِّزاً واسعـاً

(٨) ٣ / ٣٥٥

(٩) الورقة الـ ٦٨ النسخة المصرية .

منه ، مع تنوع محتوياته ، وإيراد كثير من الأمثال ، ومن غرائب الأخبار والأشعار القديمة والحديثة ، ويمتاز في ذالك على كثير من المؤلفات في هذا الشأن ، وبأنه ينقل عن نصوص أصيلة ، فهو ينقل عن خط أبي عُمَر اللغويّ صاحب ثعلب[١٠] ، وينقل عن خط صاحب « الأغاني »[١١] .

ومن طرائف القصص التي أوردها ولم أرَ لها ذكرا فيما اطلعت عليه من المؤلفات قوله[١٢] :

(وسألتني عن قصة صَولة في قول الشاعر :

سائِلُوا صولةَ هل نَبَّهْتَهَا ؟

فبذلت المستطاع من المساعدة والمرافدة في إيرادها ، وإنْ أفحش الشاعرُ فيما قاله ، وأمِنَتِ البائسةُ كَيْدَهُ واحتياله ، وكانت تُدْنيه لِمَا يُظهره من حسنِ سِيرة ، ولا تشعر فيما يخفيه من قبح سَريرة ، ولم يكن لها مُغَازِلاً ، فكيف ذكرها مُبْتَهِراً وهَازِلاً ، ولله در الكُمَيْت ، فقد سحرني بهذا البيت :

قبيحٌ بِمِثْلِيَ نَعْتُ الفتا ةِ إمَّا ابْتِهاراً وإمَّا ابتياراً

قال الشعبي : كانت لمعاوية جاريةٌ اسمها صولة ، وكانت ثقة عنده ، وكان الشعراء ينتابونها لكثرة عطائها ، وفيهم فتى ناسك ، وصولةُ تَميل إليه لديانته ، فقال لها ذات يوم : إني مُضيق ، فَخُذِي هذه الرقعة فإن رَأَيْتِ خلوةً فادفعيها إلى أمير المؤمنين ، فأخذتها فدفعتها إليه في بعض خلواته ، فقرأها ثم قال : ماأحسبه إلا كاذبا . فقالت صولة : حاشاه

(١٠) الورقة الـ (٢٥٠) النسخة المصرية .

(١١) الورقة الـ (٢٢٩) النسخة المصرية .

(١٢) الورقة الـ (٣) نسخة الاسكوريال

ياأمير المؤمنين !، مثله لايكذب ، بل هو صادق ، قال لها : أتدرين مافيها ؟ قالت : لا . قال : فاسمعي فإن كان صادقاً فقد هتك الله سترك على يديه ، قالت : مافيها ياأمير المؤمنين ؟ قال فيها :

سائِلُوا صَوْلَةَ هل نَبَّهْتَهَا بعدَ ما نامتْ بِعَرْدٍ ذي عُجَرْ ؟
فتبازَتْ فَتَبَازَخْتُ لَهَا جِلْسَةَ الجازر يَسْتَنْجِي الْوَتَرْ

فقالت : كذب عَدُوُّ الله ، وقد نسب بعضُ الأمويين هذا الشعر الى عبد الرحمن بن الحكم ، والشعبي أدى لما يعيه ، وأعلم بما يرويه ، وكم بارض فلان من هاد وهيد) .

وأضاف في موضع آخر[١٣] : (وقال عوانة : طلب ابنُ الزُّبير إلى معاوية حاجةً فلم يقضها ، وكانت لمعاوية مولاة ظريفة لها منه منزلة ، يقال لها صولة ، فوقف ببابها ، فمرَّ به عنبسةُ بنُ أبي سفيان ، فقال : مايقفك هاهنا ؟، ماهذا بموقف مثلك !! فقال ابنُ الزبير : إذا طَلَبْتَ الامور من أعاليها فأعيتْ فاطلُبْها من أسافلها ، وقال يحي بن سعيد الأموي : شُكِي الى عمر بن عبد العزيز عماله فشاور فقيل له : عليك بأهل العذر من الناس ، وقال ارسطوطاليس : لم يضع رئيسٌ صِناعَةٍ إلاَّ في شرِّ زمانٍ وأخَسِّ سلطان) .

ويتسع المجال لو حاولت تقديم أطراف من الأخبار أو الأشعار أو الحكم أو المفردات اللغوية التي يحويها هذا الكتاب ، ولعل الله أن يهيّىء له من يتولى تحقيقه ثم نشره ، ولا اجدر بذالك من علماء مجمعنا الكريم (مجمع اللغة العربية بدمشق) فلصاحب الكتاب آصرة تربطه بهاؤلاء العلماء الأجلَّة ؛ وفي الكتاب نفسهماينم عن طيب خيم ، وعن وفاء لبلاد الشام ولأهلها .

---

(١٣) الورقة الـ (١١٧) نسخة الاسكوريال

النسخ المخطوطة : عرفت منها ثلاثا : إحداها تقدَّمَ وصفُها ، وهي مكتبة (دير الاسكوريال) ، والثانية في تركية في (مكتبة لاللي) ، والثالثة في (دار الكتب المصرية) ، وعند مقابلة النسخ الثلاث اتضح لي أن كل نسخة منقولة عن أصلٍ مغاير لأصلي النسختين الأُخْرَيَيْنِ .

١ ـ نسخة لاللي (في اصطنبول) :

في المعلومات التي سجلتها بعثة التصوير من معهد المخطوطات انه صور سنة ١٩٤٩ م في استنبول في المكتبة السليمانية وأن رقم شريطه (١٠٥) ، وأن رقم الكتاب (١٧٨٦) ، وأنه نسب للزمخشري خطأً ، وأنه كتب في القرن السابع في ١٥٥ ورقة عنها ٣٠٤ من الصفحات قياس ١٩٤ × ١٣٢ في الصفحة ٢٣ سطرا بالقلم النسخي ، وكثير من الكلمات مضبوطة بالحركات ، ومع جمال الخط لايخلو من التحريف أو النقص في بعض الكلمات .

وفي طرة الصفحة الاولى (كتاب « زاد الرفاق » لجار الله العلامة) ثم أسماء بعض من ملكوا النسخة ، وهي تتفق في المقدمة مع ماورد في نسخة (دير الاسكوريال) التي تقدم وصفها وتنتهي بالبيتين :

إذا كنتَ يوما خائفا أو مُحَوِّلاً ولاقيت عمرانَ بن مرة فانزلِ
هو الغيث والشهر الحرام وضامنٌ لك الدهْرَ إنْ أنحى بنابٍ وكلكل

تم الكتاب .

ومن عيوب هذه النسخة عدم وضوح كثير من الصفحات في أولها ، إما لقدم الأصل ، أو لرداءة التصوير .

٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية :

رقمها في الدار ٥٨٢ ادب وتقع في ٣١٥ ورقة في الورقة صفحتان وفي الصفحة ١٩ سطرا والخط نسخي واضح ، وتزدان كثير من صفحات

الكتاب بحواشٍ توضح معاني بعض الكلمات ، أو تنسب الشعر لقائله ، أو تبين أصل إقتباس الشاعر ، ويظهر أنها نقلت عن نسخة قديمة ، إذ ورد في آخر حاشية الورقة الثالثة ماهذا نصه : (فلتحرر تلك الحاشية من مظانها ، فإننا لم ننقلها وأمثالها إلا حرصا على الفائدة واعتماداً على أنكم تحررونها وإلا فغالبها كما تروا (؟) ناقصة حيث انها قديمة الخط) . ووردت كلمات أخرى في نهاية بعض الحواشي بهذا المعنى ، وناسخ الأصل وكذا ناسخ الحواشي لايحسنان ماينقلان ، ولهذا قلّ أن تخلو صفحة من صفحات هذه النسخة من الأخطاء .

وآخرها بعد البيتين الواردين في نسخة لاللي : (تم كتاب « زاد الرفاق » بعون الملك الخلاق الذي يحق ان يُذهَّبَ بالتبر على الأحداق ، لا أنْ يُحَبَّر بالحبر على الأوراق ، على يد أفقر الورى وأحوجهم الى من يَرى ولا يُرى ، مصطفى الدمشقي الامام ، غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والآثام ، في دار السعادة اسلامبول العامرة في ١٢ جمادى الاول سنة ١٢٨٨) .

وفي هذه المخطوطة نقص ورقة أو ورقتين ، قد يكون ناشئا عن التصوير الذي كرر بعض الاوراق .

٣ ـ نسخة مكتبة دير الاسكوريال :

ـ تقدم وصفها ـ وهي لاتحوي من الكتاب سوى مايقارب الثلث من آخره ، حيث يبتدىء الخرم من الورقة الثانية بعد جملة : (وتزوج ابنة العنب بالغمام حتى ترى) والذي يتصل بهذه الجملة هو : (الفجر ينشر ضفيرته) ولكن الذي في هذه النسخة هو : (منه وبدا نجيث القوم) والجملة هذه تقع في الصفحة الـ (١٨٥) من نسخة لاللي ، والصفحة الـ (٣٨٢) من نسخة دار الكتب المصرية ، فكأنها تنقص هذا العدد من

الصفحات في أول الكتاب ، أما آخره فإن آخر صفحة منه وهي الصفحة الـ (١٧٠) تنتهي بكلمة : (وقول امية :

والشمسُ تطلع كلَّ آخر ليلة) .

ويتبعها في النسختين الأخريين : [(حمراءَ يُصبح لونُها يَتَوَرَّدُ)] ثم مايقارب ورقة واحدة هي آخِرُ الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين. أخا عباد الله إن لست أخا فيه
بثينة أو بالغ الثريا رقيبها، علام أيها الأخ وقاك الله المحذور ولقاك في معاتبك
السرور تتعامى النجم ورقيبه في المقاطعة ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطاولة
فالك على النجم متجنيا وبصفته العذر مستهزئا ومتى ابتدعت هذه القطيعة حتى تمثل
فيما تقول ابن أبي ربيعة: أيها المنكح الثريا سهيلا، عمرك الله كيف يلتقيان، هي شامية إذا ما استقلت
وسهيل إذا استقل يمان. فتجافيت عن وصلها بهذا الأنس من خصائصه ولست تقي به وقال
النابغ مقالا يضمه: فإن نزحت دارك تراخت أخبارك أو قربت مزارك لم يؤمن
صدك وازورارك. وكم زرتني مبكرا وعمتني مغتبقا ومهجرا وضربت إلي أكباد
المطي وطويت عرض البلد النطي بمائية الأخفاف عن شعف الذرى بالية أيديها رحابا جنوبها
فادبر عن بزك وأقبل هريرك وأذقتني مرارة البين وبلت إلى رنات الأعدين
والنسك قهقهة الأباريق وأضربت صفحا عن رعاية التصديق وللإخاء حق لا يهدر
وللكرام ذمة لا تخفر وأنت تلتحف بجلباب الظلام وتزوج ابنة العنب بابن الغمام
حتى ترى الفجر بشر صغيرته وتسمع ذا الرعثات برفع عقيرته ويهز عطفك مطوقة بكاليا
وأنت مترنم بقول أبي نواس: تحوت من اللص المغير بسيفه، إذا ما رآه بالتجار سبيل
وأصلت حمارا على عجزه، فراح بأثوابه ورحت أميل. وكأنه نظر في استعمال الميل إلى
أبيات زيد الخيل: يا بني الصيداء ردوا فرسي، إنما يفعل هذا بالذليل
عودوا مهري الذي عودته، دلج الليل وإيطاء القتيل، أحمل الزق على منسجه
وأخير الرمح نشوان أميل. وأنا أدرع الغياهب وأتبع بعيني الكواكب وما يزيد الليل
الطويل ويمده من الناس إلا من تيم أو أنا. وأتيت مسجور الجوانح بهم تجرتني نار في
مرسوم الرداء بدمع تغرقني تياره وتنادمني أشجان تبرح بالطرف الساهر وتذكر
نشوان يغرد بقول الشاعر: وكأن النديم يكرع بالزهرة مكنون مهجة المريخ وينشد أبيات
وحين وقد تصوبت بنات نعش وندمان صبنقه بجيد، كريم الحياء ورحب المعطن.

أول الكتاب في مخطوطة (لاللي باستنبول)

ثيابهن البرود وبلغ عليا رضي الله عنه قول عمرو بن العاص اضربكم وما ارى ابا حسن
كفى بهذا حزنا من الحزن فقال علي رضي الله عنه لقد تركك مكاني وهو يعرفه ولكنه
كما قال الاول: ابعد الوهي ترقعين وانت مبصرة. وقال نصر بن سيار ارجيكم
الدخول في طاعة الكرمانية وهي شاذة وزاهم فلان الاربعين وزورت الشي
في نفسي وقالت الاعرابية للاسليح [illegible] وصريح وسام الطريح ويقولون
لا آتيك السمر والقمر وقال الفراء افرش الرجل صاحبه لوا اغتابه وضربه فرنيقة
ولسان كمقراض الخفاجي وشبا فلان على يمين كاذبة وهو اسوق مالح [illegible]
بعض الاعراب لا عدلن بك كما تعدل المعاني بالمشم وبنو فلان تردخ عليهم
سنابنا من اموالهم وشحر فلان حراب هذا البلد قال ابو المكارم والعرب سطام
الحارثي وقال ابو حاتم هذا الشي ميحا اذاك اي على قرب وان امرهم لفي مناد و
[illegible] بحنوب هذا الا باسلايق الشوع وهو يغمز من لسانه في اعراض الناس وجارت
العاديات وبها السافي الدما وروى ابن الاعرابي قول مرة بن محكان السعدي
تنشنش للحال عنها وهي باركة كما تنشنش كفا قاتل سليا بالقاف وقال الاصمعي
بالفا كان يقول السلب لحاء الشجر وبالمدينة سوق يقال لها سوق السلابين قد
يلي ان الفاتل الذي يفتل الليف فقال ثعلب اخطا ابن الاعرابي والصحيح ما قال
الاصمعي واما قوله يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي اليك رحال القوم والقربا
فمعناه انهم نزلوا بفناء لا يرتاع جاره فامنوا ولم يفتقروا الى مضاجعة السيوف
[illegible] فضمت رحالهم ومعها سيوفهم المعروفة اذ عشا من النزول على امتهم كفتهم ان
يستصحبوا السيوف عندكم ويقال مر فلان فلم يكلم اي لم يكره وقال الغساني [illegible]
له كلاما كتكلم القداحين وهي ناقة تملا الهم وادعة وسالتني عن منكر ونكير و
احببت الوقوف على راي اهل الجاهلية فيهما وقد كفاك هذا السؤال ما كان عليه كعب
بن لؤي وزيد وورقة وقس وامية فانهم نظروا وهم من ذوي العقول الراجحة
دون ذوي الحيرة والضلالة المحسوبين في عدد الانعام كابن شعوب في قوله شعر

الناس واهمت بني شيبان يقولون الاسعدي سطام الحارثي [illegible]

~~[illegible]~~ قاله

الصفحة الـ (٢٧١) من مخطوطة (اللآلي)

اذا كنت يوما خائفا او محولا ولاذ بت عمر بن مرة فانزل
من الغيث والشهر الحرام وضامن لك الدهر ان تحيى بناب وكلكل



الصفحة الأخيرة من مخطوطة (لالالي)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد ... شعر

احقا عباد الله ان لست لاقيا بثينة او تلقى الثريا رقيبها

علام ايها الاخ وقاك الله المحذور ولقاك في مقاصدك السرور تضاهي

النجم ورقيبه في المقاطعة ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة فمالك

على الحجر مصرا وبمطية الغدر مستقرا ومتى ابتدعت هذه الطبيعة

حتى تمثل فينا بقول ابي ربيعة شعر

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا ما استقل يمان

فتجافيت عن وصل بعد الانس من خصايصه وكيف تغني به وفاء التابع بقلادة

فان نزحت دارك تراخت اخبارك او قرب مزارك لم يؤمن صدك وازورارك

وكررت تثنيبكا وبممتني معتبا ومهجرا وضربت الى اكباد المطي وطويت

هو لذي الرمة شعر

بانيه الاحفاف عن شعب الذرى سال تواليها رحاب جنوبها

فادبر عز برك واقبل فجريك واذقتني مرارة البين وملت الى ارتشاف

وامتلك قهقهة الابريق واضربت صفحا عن رعاية الصديق

أول الكتاب في (مخطوطة دار الكتب المصرية)

لابيات من صدر القصيدة للعتابي تلوم على ترك الغنى باهلية طوى الدهر كل طرف والد

رأت حولها النسوان يرفلن في الكسى مقلدة اعناقها في القلائد لسرك لي سه ما بالي جعفر

من الملك اما بالي يحيى بن خالد وان امير المؤمنين اعضه مقصها بالمرهفات البوارد

دون محمي مطمئنة ولم اتجشم هول تلك الموارد وان جسيمات الامور

فانصحت بالذي تحفظ

اورد الراغب الى ان هذا العلم سامية رتبه غير متدانية شعبه ولا يقتعد الرئاسة فيه

قيل للعتابي لم لا الا من وفر العناية عليه وتابع الدؤوب في الوصول اليه شعر

تقصد لامير تخدم وان جسيمات الامور مشوبة بمستودعات في بطون الاساود

فقال لاني اراه يعطي والا سيحار فيه بعد المنزله ويوجب الحظوة ويجذب بضبع خامله عند

لغير حسنة ولا بد ويفتل النفاق الالسنة الحافلة عليه وهذرات الالسن الجذلات لديه

آخر بلا ساسية ولا فيعظم قدره ويفخم امره وتخضع له ابيات الاعناق وتلوي اليه الاعنة

ذنب ولست ادري اي الرجلين انا الاحداق شعر خدم العلى فخدمنه وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

ولستا يرجونه ومن تحككه وجد شائلا في الميزان وناكصا على عقبيه عن مبارأة الاقران

مقدار خاطريه وهو الذي قال الامونة وان توزعت على فكره المعاني لم يطلع عليه غاربها ولا اربع على عازبها

اسرك اني ملت اليك ومتى حضر المشاهدة الجامعة عض في الباهات على شكيمه وان تفرد الملاوم

فقالت بلى فقال وانا امير المؤمنين ضاحي ادبه والجاه البعي الى السفه ولطيف يعوم في غمرات الشبه شعر

عصي فقالت لا وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فقال اراك تحسني وهو على غباوته في عيش وريق والفاضل في رزاياه وضيق شعر

بلبس مطمئنة من الثياب تراضينا بحكم الله فينا لنا ادب وللتعني مال

فلبون ومن احرز في عمله قصب السبق وتقدم على نظرائه بواجب الحق عن بزها

قال ابو نواس

فاذا بدا فنادى محاسنه اياديه صاغية وابن عاشية كادية الاغنية وحفي بجزيل نوالته احوانه

نشر البراعة الاحلاق وعم بجميل عوائده جيرانه ومن اشتهر براجحة ونبله لم يمد الى الاقصى

وقال اسحاق بن الصابي شديد كله ودعى حرمة جاره ولم يخله من عوارفه ونباره وبينا

يامن بدائع حسن صورته نسبة العلم والقربه وهي توفي على وشائج القرب في الرتبه فلم تؤثر

ثنت البراعة الاحداق

الصفحة الخامسة من مخطوطة (دار الكتب المصرية)

اما سمعتم قول الليثي

الا من مبلغ داب ابن كرز ... ابا الخنساء رائدة الظليم

فلا تفخر باحمر واطرحه ... فما يخفى الاغر من البهيم

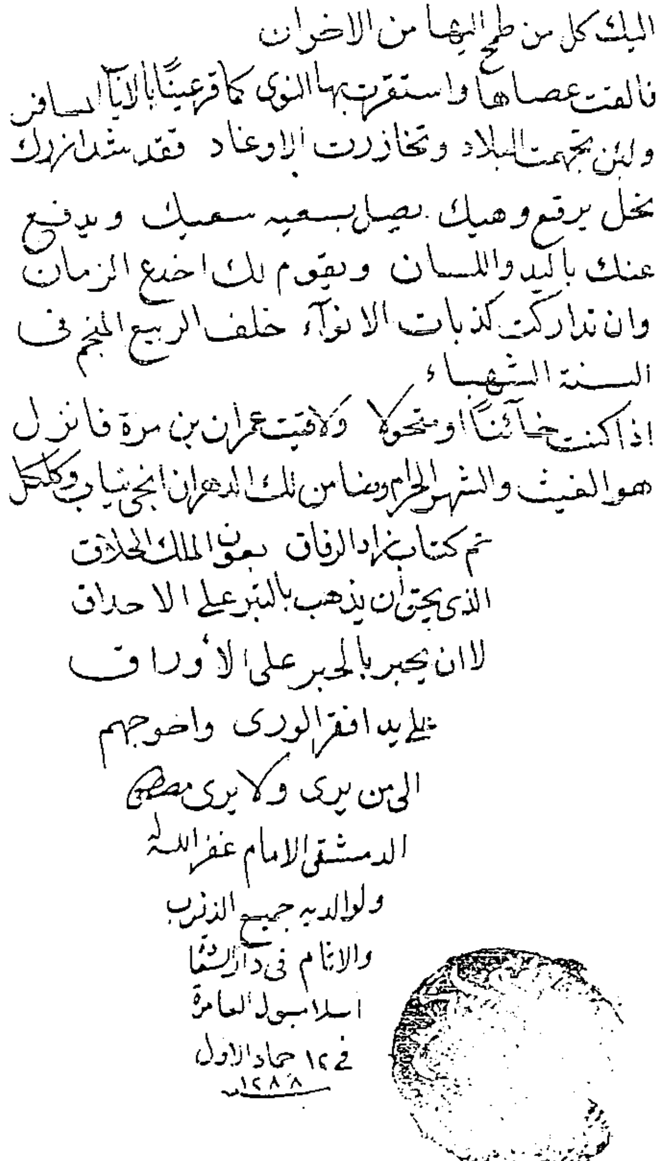
فعبد الله شر من ابيه ... كراع زيد في عرض الاديم

وهو داب بن كرز بن عبد الرحمن الله بن احمر وقال الاعشى لعلقمة بن علاثة واراد اليمن اعقد لي حبلا قال اعقد لك من بني عامر قال لا يغني عني قال من قيس قال لا قال فما انا بزائدك فاتى عامر بن الطفيل فقال اجيرك من خلق الله اجمعين الجن والانس ومما يأكل ويشرب وان هلكت حتف انفك فديتك علي بكل بعير هلك بعيران وبكل متاع اثنان فاجاره فاستلحم طريق اليمن حثيثا وفي المسافرة لا يحفل بالا ومن امثالهم ليس له في بردة اخماس وقد اضنه بالعترسة قال العجاج وهو اذا الاقى الصعاب عترسا ومنه العنتريس والحزم ارفع من الحزن والحزن اغلظ ويقال ارض فيها حزونة ولا يقال حزومة وقد احزن القوم وقال الغنوي

عندنا ناجمة من عبدي بني عامر وبرق عمل

وقال ابو عمرو تباطل القوم بينهم وقال قرقبية ام البهلول

الصفحة الـ ٤٢٤ من مخطوطة (دار الكتب المصرية)



اليك كل من طمح اليها من الاخوان
فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
ولئن تجهمت البلاد وتخازرت الاوغاد فقد شد ازرك
بخل يرقع وهيك يصل بسعيه سعيك ويدفع
عنك باليد واللسان ويقوم لك اخدع الزمان
وان تداركت كذبات الانواء خلف الربيع المنجم في
السنة الشهباء
اذا كنت خائنا او محولا ولاقيت عمران بن مرة فانزل
هو الغيث والشهر الحرام وما من تلك الدهر ان انجى شباب وكلكل
تم كتاب زاد الرفاق بعون الملك الخلاق
الذي يحق ان يذهب بالتبر على الاحداق
لا ان يحبر بالحبر على الاوراق
على يد افقر الورى واحوجهم
الى من يرى ولا يرى مصطفى
الدمشقي الامام عفر الله له
ولوالديه جميع الذنوب
والاثام في دار السعادة
اسلامبول العامرة
في ١٢ جماد الاول
١٢٨٨

الصفحة الأخيرة من مخطوطة (دار الكتب المصرية)

سطوة الشاعر ولغة الشعر

الدكتور إبراهيم السامرائي

لا أدري كيف يكون لي أن ادرك قول الخليل بن أحمد لابن مناذر الشاعر : « إنما أنتم ، معشر الشعراء ، تبعٌ لي ، وأنا سُكّان السفينة ، إن قرّظتكم ورضيت قولكم نَفَقتمْ وإلا كَسَدتم »[1] . قد أستغربُ قولة الخليل هذه ، ولا أستبعدها ، ذلك أني أعرف زهد الخليل بنفسه ، وبعده عن الزهو والكبر.[2] ولكني أعود الى نفسي فأدرك أن هؤلاء الرجال الكبار قد تمرّ بهم ساعاتٌ يعرفون فيها لأنفسهم علوّ مكانتها فيكون منهم شيء من التنفّج لا يوصلهم الى الزهو المقيت . ولعل من هذا ما كان من خبر خلف الأحمر (وهو فوق كونه شاعراً يعد بحق في جملة علماء الشعر)[3] .

أقول هذا وأذكر ما كان من قول الخليل ، ثم أذكر ما كان من خبر خلف الاحمر إذ قال له رجل : « ما أبالي اذا سمعتُ شعراً استحسنتُه ما قلتَ أنتَ وأصحابُك فيه ، (وهو يريد بأصحابه علماء الشعر) . فقال له : اذا أخذتَ درهماً تستحسنُه ، وقال لكَ الصيرفيّ إنه ردي ، هل ينفعك اسحسانُك إياه[4] ؟ » وكأن الخليل وخلفاً الأحمر على شهرتها في

---

(١) الأغاني ١٨ / ١٨٤ (ط . دار الكتب)

(٢) جاء في « نزهة الالباء » ص ٤٧ : قال النضر بن شميل « أكِلَت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه ، وهو في خُصّ لايُشعَر به » .

(٣) كالخليل بن أحمد والأصمعي . انظر المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري ص ٦

(٤) العمدة ١ / ١١٧ ، الموازنة ١ / ٣٩٢ ثم قال الآمدي في معنى قول خلف شارحاً : « ... حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم ، او تصريف دراهم بدينار ، أو ابتياع ثوب ، أو شيء من الآلة ، لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على =

اللغة كانا من علماء الشعر، ولهما في نقده ومعرفته الخبرة التي يحتاج الشعراء أن يعرفوها. ومثل الخليل وخلف جماعة أخرى من أهل الأدب واللغة.

والجاحظ يذهب الى هذا الذي أشرت إليه حين قال: « وطلبتُ علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لايحسن إلاّغريبه، فرجعت الى الأخفش فوجدته لايتقن إلا اعرابه، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلاّ ما اتصل بالأخبار وتعلّق بالأيام والانساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات »[٥].

والجاحظ يقر أن أدباء الكتاب ومنهم الحسن بن وهب[٦] ومحمد بن عبد الملك الزيات[٧] من أهل العلم بالشعر ونقده، وإن كان للثاني شعر معروف اشتمل عليه ديوان صغير[٨].

ولقد تبين فيما نقلناه من النصوص أن اللغويين والأدباء الاقدمين كانوا نقّاداً، وهم أهل معرفة ودراية بصناعة الشعر، وإن كانوا لا يقولون الشعر. واللغويّون النقاد والأدباء الكتاب قد اضطلعوا بمهمة النقد، وكان لهم قول يعتد به إعلاء الشاعر وخفضه.

حاجتك، ولِمَ لّما خفت الغبينة في مالك فأذعنت وسلمت وأقررتَ بقلة المعرفة، لم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلّم العلم بالشعر الى أهله؟ فان الضرر في غبن العقل أعظم من الضرر في غبن المال». الموازنة ١ : ٣٩٣ ـ ٣٩٤ [وكلمة خلف الأحمر أوردها ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ١ : ٧]

(٥) الكشف عن مساوئ المتنبي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٦) الحسن بن وهب من الكتّاب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وليَ ديوان الرسائل. انظر وفيات الاعيان، / ٤١٥ ـ ٤١٦

(٧) اديب شاعر كان وزيراً للمعتصم والواثق، سجنه المتوكل، وتوفي في سنة ٢٣٣ هـ. انظر وفيات الأعيان ٥ / ٩٤ ـ ١٠٣

(٨) نشر ديوانه جميل سعيد في بغداد.

على أني أخلص من هذا التمهيد الى أن الشعراء أنفسهم كانوا نقاداً يتقنون صنعتهم ، ويدركون أن غيرهم من أهل المعرفة لايبلغون مبلغهم في معرفة الشعر . قال الصاحب بن عباد : وحدثني محمد بن يوسف الحمّادي قال : حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال : يا أبا عبادة ، أمسلم بن الوليد أشعر أم أبو نواس ؟ فقال بل أبو نواس ، لأنه يتصرف في كل طريق ، ويتنوّع في كل مذهب ، إن شاء جدّ ، وإن شاء هزل ، ومسلم يلتزم طريقاً واحداً لايتعدّاه ، ويتحقق مذهباً لايتخطّاه ، فقال عبيد الله : إن أحمد بن يحي ثعلباً لايوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، ممّن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وإنما يعرف الشعر من دُفع الى مضايقه . فقال : وَرِيتْ بك زنادي ياأبا عبادة ، لقد حكمتَ في عمّيكَ حكم أبي نواس في عمّيه جرير والفرزدق ، فإنه سئل عنهما ففضّل جريراً ، فقيل له : إن أبا عبيدة لايوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم أبي عبيدة ، وإنما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر ».[9]

وقد ذهب الشعراء الى هذا ، وكأنهم أبوا على أهل النقد من اللغويين والأدباء أن يكون لهم رأي صائب فيهم ، وفي هذا يحسن بنا أن نعرض لما وقع للفرزدق مع عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، قال يونس : « .... وكان (أي ابن أبي اسحاق) يردّ كثيراً على الفرزدق ، ويتكلم في شعره ، فقال فيه الفرزدق :

فلو كانَ عبدُ الله مولىً هجوتُهُ ولكن عبدَ الله مولى مَواليا

---

(٩) الكشف عن مساوئ المتنبي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

فقال ابن أبي اسحاق : ولقد لحنْتَ أيضاً في قولك : « مولى مواليا » ، وكان ينبغي أن تقول : مولى موالٍ ، والحليف عند العرب مولى ، ومنه قول الأخطل ....

ومما رواه أبو عمرو بن العلاء : أن ابن أبي اسحاق سمع الفرزدق ينشد :

وعضُّ زمانٍ ياابنَ مروانَ لم يدَعْ من المال إلا مُسحَتاً أو مُجَلَّفُ

فقال له ابن أبي اسحاق : على أي شيء ترفع « أو مجلّف » ، فقال : على ما يسوؤك وينوؤك .... » .[١٠]

أقول : ومن هنا نفهم ما كان الفرزدق يشعر به من سطوة الشاعر ، ذلك الشعور الذي جعله يقدم على شيء من رداءة التأليف ، وهو غير مبال بما يقوله اللغويون وما عابوه عليه . ومن ذلك ما ورد في قصيدة مدح بها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل خال الخليفة هشام بن عبد الملك :

وما مثلهُ في الناس إلاّ مملَّكاً أبو أمِّه حيٌّ أبوه يُقاربُه[١١]

وقد عدَّ النقاد هذا البيت من فاسد التأليف ، وصار من شواهدهم في هذا الباب . ومثل هذا بيته الذي ورد في قصيدة مدح بها الوليد بن عبد الملك :

الى مَلكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ أبوه ولا كانت كليبٌ تُصاهرُه[١٢]

---

(١٠) نزهة الالباء ص ٢٧ ـ ٢٨

(١١) سقط البيت من الديوان ، وأضافه الصاوي الناشر ص ١٠٨ نقلاً عن الأغاني وغيره .

(١٢) شواهد العيني ١ / ٥٥٥ ، وفي الديوان ص ٣١٢ ، والأغاني (بولاق) ١٩ / ١٥

على أن هذه المداخلة في الكلام كانت مما يُعجب النحويين كقوله :

تعالَ فان عدهدتَني لا تخونُني ... نكنْ مثل من يا ذئبُ يصطحبانِ

وقوله :

إنا وإيــاك إن بلّغنَ أرحلَنا ... كمن بواديه بعد المحل ممطورِ(١٣)

واذا كان عبد الله بن أبي اسحاق قد ناله شيء من هجو الفرزدق له لأنه لم يسكت عمّا وقع للفرزدق من خطأ ، فان الفرزدق على سطوته التي عرف بها ، وهي سطوة الشعراء الكبار ، قد أذعن لِما وَجَّه إليه من نقد . لقد « أقوى » الفرزدق في بيت له جاء بقافية مضمومة فقال فيها :

على عمائمنا تُلقى وأرحلنا ... على زواحفَ تُـزْجَى مُخُهـا ريرُ(١٤)

لقد ضمّ الفرزدق « رير » فوقع في الإقواء ، ولكن ابن أبي اسحاق رواها « رير » بالكسر تصحيحاً للفرزدق ، ولم يكترث لما كان من الفرزدق معه . وكأن الفرزدق أقرّ بما صنع ابن أبي اسحاق فعاد للبيت وغيّر من قافيته لتسلمَ من الإقواء فقال : على زواحفَ نزجيها محاسيرِ(١٥)

على أن أبا عمرو بن العلاء كان يرى في شعر الفرزدق ثروة عظيمة من العربية . ولا يعني شيئاً كبيراً أن يكون الفرزدق قد عرض له الإقواء ، فقد عرض لشعراء العصر الجاهلي شيء منه ، فلم يسلم منه شعر النابغة في قوله :

(١٣) الأغاني ١٩ / ١٥ ، [ديوان الفرزدق : ٨٧٠ ، ٢٦٣]

(١٤) انظر : طبقات الشعراء ص ٧ ، والموشح ص ١٠٠ ، والشعر والشعراء ص ٢٥ وفيها ان ابن أبي اسحاق كان قد عاب على الفرزدق إقواءه ، وفي رواية أخرى ان الذي عابه على ذلك هو عنبسة بن معدان الفيل . [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ١٧] .

(١٥) كذا في الديوان (ط . الصاوي) ص ٢٦٣ ، [طبقات فحول الشعراء ١ : ١٧]

فبتُّ كأنّي ســـاورتني ضئيلـــة من الرُقْش في أنيابها السّمُّ نــاقعُ

وكأنّ « الضرورة » ألجأت النـابغة الى قولـه « نـاقع » بـدلاً من نصبـه على الحال[١٦](٦) .

أقـول : وليس شيئـاً أن يعيب عبـد الله بن أبي اسحـاق مـا كان من الفرزدق من مخـالفـة القيـاس وفسـاد التـأليف ، ذلـك أن خصـوم ابن أبي اسحـاق أخـذوا عليـه ضعف عربيتـه على تشـدّده في تحري الصواب ونقـده للشعراء .[١٧]

واذا كان الفرزدقَ قـد بلغ هـذه المكانـة في شعره ، وأنـه وقف من ابن أبي اسحـاق مـوقفـه الـذي أشرنـا إليـه ، فقـد كان في الـوقت نفسـه يحسب لأقوال النحويين واللغويين ما تستحق من الحساب . ومن هذا ما كان منه في قصيدته التي مدح فيها أخواله بني ضبـة ، وفخر بفعلـه حصين بن أصرم قـاتـل ابن الجـون الكنـدي ، لأنـه أبى أن يقرب اللحم ويتنـاول الخمر حتى يقتله ، فقال فيها :

غـــداةَ أحلّت لابن أصرَمَ طعنـــةٌ حصينٍ عبيطـاتَ السـدائفِ والخمرُ

(١٦) الكتاب لسيبويه ٢ / ٢٢٣ ، أقول : ومن الاقواء في شعر النابغة قولـه في الـداليـة « وبذاك خبّرنا الغرابُ الاسودُ » ، وفي شعر امرئ القيس وطرفة وعنترة شواهد في الإقواء .

[(٦) جاء في كتاب سيبويه (ط . بولاق) ١ : ٢٦١ : « .... وذلك قولك : فيها عبد الله قائماً ، وعبد الله فيها قائماً .... فصار قولك : فيها ، كقولك : استقرّ عبـد الله ، ثم أردت أن تخبر على أيـة حـال استقرّ فقلت : قـائمـا . فقـائم حـالٌ مستقرٌ فيهـا . وان شئت ألغيت فيهـا ، فقلت : فيها عبد الله قائمٌ . قال النابغة :

فبتُّ كأني ســـاورتني ضئيلـــة من الرقش في أنيـابهـا السمُّ نـاقـعُ

وقال الهذلي :

لادرَّ دري إن اطعمتُ نـــــازلكم قرف الحتيّ وعنـــدي البُرُّ مكنـوزُ

كأنك قلت : البرُّ مكنوزٌ عندي ، وعبد الله قائم فيها .... / المجلة] .

(١٧) انظر ارشاد الاريب ٢ / ٣٧١ ، [معجم الادباء (ط مصر) ٧ : ٨٦ ترجمة بكر بن حبيب السهمي] وانظر : غاية النهاية ١ / ٤١٠

بنصب «طعنة» ورفع «عبيطات» وهذا مما لم يرضه الكسائي، فغيّر الفرزدق روايته هذه فقال :

عـداةَ أحلّت لابن أصرَمَ طعنـةً حصينِ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ(١٨)(2)

أقول : الشعر صنعة وشاعرية ، وكأني أقدّم الصنعة لأنها ثقافة وعلم ، ثم تأتي الشاعرية معتمدةً على محصول الشاعر من صنعته . واذا كان الشعر صنعة فهي جهدٌ ومعاناة ، قال الراجز القديم :

الشعر صعبٌ وطويل سُلّمُهْ
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلَمُهْ
زلّتْ به الى الحضيض قَدَمُه
يريد أن يُعربَه فيعجمهْ

وقد « سُئل رؤبة عن الفحل من الشعراء فقال : هو الراوية ، يريد أنه اذا روى استفحل . وهو القائل :

لقد خشيتُ أن يكونَ ساحرا راويةً مَرّاً ومَرّا شاعرا

استعظم حاله حتى قرنها بالسحر »(١٩) .

(١٨) انظر الكامل للمبرد (ط . رايت) ص ٢٠٩ وقد وردت هذه الرواية في الديوان ص ٣١٧

[(2) رواية المبرد في الكامل ان الفرزدق أنشد يونس بن حبيب بيته بنصب (طعنة) ورفع (عبيطاتٌ ... والخمرُ) على القلب ، لأن الكلام اذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار .

ولكن الكسائي النحوي حين أنشد يونسَ بن حبيب البيتَ رفع (طعنة) ونصب (عبيطات ...) ثم رفع (الخمر) على معنى : وحلّت له الخمرُ . فقال له يونس : ماأحسن ماقلت .

ثم قال المبرد : والذي ذهب اليه الكسائي أحسنُ في مَحْض العربية . وان كان انشاد الفرزدق جيداً / المجلة] .

(١٩) كفاية الطالب ص ٤٤ (لابن الأثير ، من منشورات جامعة الموصل ، سنة ١٩٨٢) ، وفي العمدة ١ / ١١٤ : « وسئل رؤبة عن الفحولة ، قال : هم الرواة » .

=

ومما رُوي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سأل « غالباً » أبا الفرزدق عن الغلام الذي يصحبه ، فقال غالب : ابني ، قال : ما اسمه ؟ قال : همّام ، وقد روّيته الشعر ياأمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً ، فقال : أقرئه القرآن ، فهو خير له . فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته في نفسي ، حتى قيّد نفسه بقيد وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه[٢٠] . وذكر ابن سلاّم : أن راوية الفرزدق حدّثه قائلاً : « إنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق »[٢١] . وقيل : ان الفرزدق سمع رجلاً يقرأ : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ، والله غفور رحيم » ، فقال : لاينبغي ان يكون هذا هكذا ، فقيل له إنما هو « عزيز حكيم » ، قال : هكذا ينبغي ان يكون[٢٢] » .

وقد يدلّنا على سعة علم الفرزدق ماحُكِيَ من أن رجلاً سأل الحسن البصري فقال : « ياأبا سعيد ، الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله ، لايعقد اليمين ؟ فقال الفرزدق : لاشيء ، فقال الحسن : وما علمك بذلك ؟ قال : أو ماسمعتَ ماقلت ؟ قال الحسن : وماقلت ؟ قال :

= وكانوا : « يسمون الشاعر الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره « خِنذيذاً » أي تاماً ، ويجعلون الشاعر الراوية أول الشعراء قدراً » . المصدر السابق .

(٢٠) الاغاني (ط . دار الكتب) ٢١ / ٢٨٣ ، ٣٩٥ ، والخزانة (تحقيق هارون) ١ / ٢٢٢

(٢١) الشعر والشعراء ٢ / ٤٩٠ ، والبيان والتبيين ١ / ٤٦ . [الشعر والشعراء ١ / ٧٠ ترجمة امرئ القيس ، ولم يرد ماذكره ابن سلام في البيان والتبيين . وانما ورد فيه (١ : ٣٢١) : « ... فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه (في أبي عمرو بن العلاء) مثل هذا القول .... وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس / المجلة]

(٢٢) الأغاني ٢١ / ٣٦٢

قلت :

ولستَ بمأخوذٍ بشيءٍ تقولُه   اذا لم تعمّد عاقدات العزائمِ

قال : فسكت الحسن »[٢٣] .

وقد كان لثقافة الشاعر إشارات كثيرة في أشعار الأقدمين ، فهذا معقّر بن حمار البارقي يقول :

الشعرُ لبُّ المرء يعرضُهُ   والقولُ مثل مواقع النَّبْلِ

منها المقصّر عن رميّتِه   ونوافذ يذهبنَ بالخَصْلِ[٢٤]

وها هو ذا الأخطل يقول :

ان الكلامَ من الفواد وإنّما   جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا[٢٥]

ومما نُسبَ الى طرفة والى حسّان بن ثابت :

وان أشعرَ بيت أنتَ قائلُه   بيتٌ يقال اذا أنشدتَه صَدَقا

وإنما الشعرلبُّ المرء يعرضُهُ   على المجالس إنْ كَيْساً وإن حمقا[٢٦]

قلت : ان الشعر صنعة فنية ، وشاعرية ، وقد تكلّمت عن الصنعة وأدواتها ، فما الشاعرية ؟

زعم الشعراء أنّ الشعر يأتيهم وحياً وإلهاماً ، ومن هنا أشاروا الى شياطينهم ، وان لكل شاعر شيطاناً يُلهمه ، أو رئياً من الجنّ يوحي إليه ، فيقول الشعر . أشارَ الأعشى الى شَيطانه « مِسحَل » فقال :

وما كنتُ ذا خوفٍ، ولكن حَسِبتُني   اذا مِسحَلٌ يُسدي ليَ القولَ أفرَقَ

(٢٣) نور القبس للمرزباني ص ٤٠ ـ ٤١ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦ ، والبيت في ديوان الفرزدق ٢ : ٨٥١]

(٢٤) العمدة ١ / ٩٧ ، وانظر الخزانة ٢ / ٤١٠

(٢٥) الشعر والشعراء ١ / ٢٤١

(٢٦) الاغاني ٩ / ١٦٠ ، والشعراء ١ / ٢٣٥ [العمدة لابن رشيق ١ : ٩٥]

شريكان فيما بيننا من هَوادةٍ صَفيّان إنسيٌّ وجِنٌّ موفَّقُ
يقول فلا أعيا بقولٍ يقولُه كفاني لاعِيٌّ ولا هو أخرق(٢٧)

وقال أيضاً :

دعوت خليلي مِسْحَلاً ودَعَوا له جِهِنّام بُعْداً للغويّ المذمَّمِ(٢٨)

وقال :

حباني أخي الجنّيُّ نفسي فداؤه بأفيحَ جياشِ العشيّات مرجمِ(٢٩)

ويذهب عُوَيف القوافي الى أبعدَ من هذا فيذكر أن رِدْفه ، أي تابعه من الجنّ قد دعا القوافي فأجبْنَه وارعوَيْنَ لصوته فيقول :

دعاهُنّ رِدْفي فارعَوَيْنَ لصوتِه كما رُعتَ بالجوتِ الظِّماءَ الصَّواديا(٣٠)

ويعزو الفرزدق حُسن شعره الى « شيطان أشعر خلق الله » فيقول :

كأنها الذهبُ العِقْيان حبَّرَها لسانُ أشعرِ خلْقِ الله شيطانا(٣١)

وأما ابو النجم الراجز فيرى ان شيطانه غيرَ شياطين الشعراء فهو يفوقهم ، فيقول في هذا إن شيطانه أقوى من شياطين الشعراء لأنه « ذكر » ، وشياطين غيره إناث :

إني وكلُّ شاعرٍ من البشَرْ شيطانُه أنثى وشيطاني ذكَرْ
فما رآني شاعرٌ إلا استتَرْ فعلَ نجوم الليل عايَنَّ القَمَرْ(٣٢)

(٢٧) جمهرة أشعار العرب ص ٦٢

(٢٨) رسائل أبي العلاء ص ٦٦ ، [ديوان الأعشى : ١٢٥]

(٢٩) الحيوان ٦ / ٢٢٦ [ديوان الأعشى : ١٢٥]

(٣٠) الخزانة ٦ / ٣٨٢ ، ويقال للبعير : « جوت ، جوت » ، اذا دعوته الى الماء .

(٣١) الحيوان ٦ / ٢٢٧

(٣٢) الحماسة البصرية ١ / ٨٠ ، أقول وفي « رسائل المعرّي » و « ديوانه اللزوميات » و « رسالة الغفران » مايشعر أن المعري ينكر هذا ويستبعد ان يكون للشاعر رئيّ من الجن يصدر عنه . انظر : رسائل ابي العلاء ص ٦٥ ـ ٦٦ ، وشروح سقط الزند ٢ / ٩١٧ ، ولزوم مالا يلزم ٢ / ٥٣٩ ، ورسالة الغفران ص ٥٥٢ . وقد أشار ابو العلاء الى أن الجنيّ ، واسمه الخيتعور ، من قبيلة من الجن دعاها بني الشيصبان ، ولعل هذا شيء ابتدعه المعري .

فهو يفاضل بين شيطانه ، وشياطين الشعراء الآخرين . والى شيء مثل هذا ذهب أعشى سُلَيْم حين وصف شيطان الفرزدق بأنه لم يكن قدوة بين شياطين الشعراء فقال :

ومـا كان جنّيُ الفرزدقِ قـدوةً … ومـا كان فيهم مثـل فحـلِ المُخَبَّـل
ومـافي الخوافي مثـل عمرو وشيخـه … ولا بعدَ عمروٍ شاعر مثل مِسحَلِ[٣٣]

وقال صبيّ بدويّ :

إنّي وإنْ كنتُ صغيراً سِنّي … وكان في العين نبُـــوٌّ عنّي
فـإنّ شيطـانـي أميرُ الجنّ … يـذهب بي في الشعر كلَّ فنّ
حتى يُـزيـلَ عنّيَ التظنّي[٣٤]

أقول : كأن توهّم الأقدمين لشيطان الشاعر ، أو جنّيّه ضرب من وهم يوشك أن يكون اعتقاداً أسطورياً ، ذلك أن ذهاب هذا الصبي البدوي الى أن شيطانه « أمير الجنّ » يشير الى تجسيم هذا التصور في ذهنه ، ان هذا التجسيم يوحي أن صاحبه طراز خاص من البشر بحيث اصطفاه شيطانه أو جنّيّه ليحتل هذه المكانة . ومن هنا كان الشاعر الكبير هو « الفَذّ » وهو « الخِنْذيذ » ، وان شعره « رُقْيَةُ شيطان » لأنه مؤثر تأثير السحر . ومن أجل هذا كان عجب جرير من أن « رُقَى شيطانه لم تستفزّ » عمر بن عبد العزيز :

رأيتُ رُقَى الشيطـانِ لاتستفِـزُّه … وقد كان شيطاني من الجنّ راقيـا[٣٥]

ويرى جرير أنه أشعر الشعراء ، وان شيطانه لذلك قد « اكتَهَلَ » وأنه « إبليس الأباليس » ، فيقول :

(٣٣) الحيوان ٦ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٣٤) الخصائص ١ / ٢١٧ ووردت الأشطار مع اختلاف في الوحشيات ص ١١٩ ، وانظر رسائل ابي العلاء ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٣٥) ديوان جرير ص ١٠٤٣ (ط . دار المعارف بمصر) .

إني لَيلقي عليَّ الشعر مكتهـــلٌ من الشيـاطين إبليسُ الأبـاليسِ(٣٦)

وذهب احد الشعراء الى أنه اذا عرض له الشعر أطلعَتْـه الجنُّ على أشعـارهـا فيصطفي منها مايُريد بعد أن يوردَها عليه شيطانه ، فيقول :

وكنتُ اذا مـــاأردتُ القريضَ تخبّرُني الجنُّ أشعـــارَهـــا

أروضُ صِعـــابَ قـــوافي القريــ ــض حتى تَـذلَّ فـأختـارَهـا

قـوافٍ يـورّدُهـا صـاحبي اليَّ وأكفيــهِ إصــدارَهـا(٣٧)

لقد رأينا الشاعر يعزو شاعريته الى شيطانه أو جنيّه ، وان الجنّ تعرض عليه الشعر فيختار منه أجوده ، ولكنـه لم ينس أنه صانعٌ مـاهر ، وان قوافيه تُـدرك الخفي من المعـاني . لقد ذهب طرفة بن العبد الى أن شعره أدرك الخفي من المعاني فهو يدخل في مـداخل لاتصل اليها مغارز الإبَر فيقول :

رأيت القـوافي يتَّلجْنَ مَـوالجـاً تَضايقُ عنهـا ان تَـولَّجها الإبَرْ(٣٨)

وهذه القدرة التي تصل إليها القوافي دليل صنعة خـاصة لايصل إليهـا إلا الشـاعر الخِنـذيـذ ، وصنعتـه هـذه هي عمـل صعب لايُدركـه إلا الشـاعر الشـاعر . ومن هنـا حـقّ للفرذدق ان يصرّح أنّ مـايعـانيـه من ألم في قلع ضرسٍ له أهونُ عليه من وضع القافية في موضعها(3) .

---

(٣٦) ربيع الأبرار ١ / ٣٨٤ ، ولم أجد البيت في طبعتي الديوان .

(٣٧) الاشباه والنظائر للخالديين ٢ / ١٤٩ .

(٣٨) حلية المحاضرة ١ / ٢٥٧ .

[(3) جاء في البيان والتبيين للجاحظ (١ : ١٣٠ ، ٢٠٩) : « وقال الفرزدق : أنا عند النـاس أشعرُ العرب ، ولربّما كان نـزع ضرس أيسر علي من أن أقـول بيت شعر » . وجـاء هـذا القـول في الشعر والشعراء ١ : ٢٦ ، والأغـاني ٢١ : ٣٦٥ ، والعقـد لابن عبـد ربـه ٥ : ٣٢٧ ، وأنساب الاشراف ١١ : ٦١ ، ومحاضرات الأدباء ١ : ٥٢ ، والكشكول ٢ : ٤١٥ / المجلة] .

واذا كان للشاعر هذا الإدراك من الصنعة ، فذلك موضع فخره .

ومن هنا دُعيَت قصائد زهير بن أبي سلمى بـ « الحوليّات » ، ذلك أنها تقتضيه جُهْدَ عامٍ ينظمها ويبقى ملازماً لها ، مجتهداً في إتقان صنعته ، فحق له أن يقول :

فأبلغْ ، ان عرضتَ لهم ، رسولاً   بني الصيداء إنْ نَفَع الجوارُ
بأنّ الشعر ليس له مَرَدٌّ   اذا وَرَد المياهَ به التِجارُ[٣٩]

ويبقى شعره متعة الركبان يُنشدونه في ظعنهم فيقول :

أولى لهم ثم أولى ، أن تُصيبَهُمُ   مِنّي بواقرُ لاتُبقي ولا تَذَرُ
وأن يطلّل ركبانُ المطيّ بهم   بكلّ قافيةٍ شنعاءَ تشتهرُ[٤٠]

وقال في مثل هذا أيضاً :

إني سترحَلُ بالمطيّ قصائدي   حتى تحُلَّ على بني ورقاءِ
يتوارثون بقاءَها مدحاً لهم   رهنٌ لآخرهم بطول بقاءِ[٤١]

ولقد كثر فخرهم بالشعر وسيرورته حتى صار نهجاً يسلكه الشعراء على تفاوت أقدارهم ، قال المسيَّب بن علس :

فلأهدينّ مع الرياح قصيدةً   مني مُغلغَلةً الى القَعْقاعِ
تردِ المياهَ فلا تزالُ غريبةً   في القومِ بين تمثُّلٍ وسَماعِ[٤٢]

وقصيدته هذه تقوم مقام رسالة « مغلغلة » يبعث بها الى القعقاع ، وهي بقدر ماتكون أداة تبليغ تكون في الوقت نفسه مادة فنيّة تُحرز لها البقاء والخلود ، يتمثل بها القوم منشدين . ومثل هذا قول الأعشى :

وإن عِتاق العيسِ سوف يزورُكم   ثناءٌ على أعجازهنّ مُعَلَّقُ

(٣٩) شعر زهير بن ابي سلمى ص ٩٢ .

(٤٠) المصدر السابق ص ٩٥ .

(٤١) حلية المحاضرة ١ / ٤٢٣ .

(٤٢) الاغاني ١٦ / ١٦٨ .

بـه تُنْفضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقَدُ أنساعُ المطيِّ وتُطلَقُ(٤٣)

وتقرأ قولَ الشاعر تميم بن أبيّ بن مُقبل فتلمح قدرةَ الشعر في شاعرية صاحبه وسطوته ، قال الشاعر :

اذا متُّ عن ذكر القوافي فلن تَرَى لها تالياً مثلي أطبَّ وأشعرا

وأكثرَ بيتاً مارداً ضُرِبَتْ له حُزونُ جبال الشعر حتى تيسَّرا

أغرَّ غريباً يمسحُ الناسُ وجهَه كما تمسَحُ الأيدي الأغرَّ المُشهَّرا(٤٤)

والشاعر يُطري شعره فيذهب الى أن الناس يُنشدونه معجَبين متمثّلين كما يُعجَبون بالجواد « الأغرّ المشهّر » فيروحون يمسّحون بأيديهم غُرّته .

وكأنّ الفخرَ بالشعر وبناء القوافي من موادّ الفخر المفضّلة ، لا يختلف درجةً عن الفخر بالنَسَب وبالصفات الحميدة ، فأنت تجد جمهرة من شعرائهم قد أشاروا الى هذا في بناء قصائدهم . ومن هؤلاء قول جرير :

وإني لقوّالٌ لكلّ غريبةٍ وَرودٍ اذا الساري بليلٍ تَرَنَّما

خَروجٍ بأفواهِ الرواةِ كأنها قَرَى هُندوانيٌّ اذا هُزَّ صمّما(٤٥)

وقال أيضاً :

وإني لَهاجيهم بكلِّ غريبةٍ شرودٍ اذا الساري بليل ترنّما

غرائبَ ألّافاً اذا حانَ وِرْدها أخذْنَ طريقاً للقصائد مُعْلَما(٤٦)

وقال ذو الرمة :

---

(٤٣) ديوان الأعشى (شرح د . محمد محمد حسين) ص ٢٢٣ .

(٤٤) الأغاني ١ / ٣٣٨ و ١ / ٣٥٥ وطبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٧٥ [لم ترد الابيات الثلاثة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ولكنها وردت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٤٢٧ ، ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ٥١٢ ، وحلية المحاضرة للحاتمي ١ : ٤٢٥ ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١٣٦] .

(٤٥) نقائض جرير والفرزدق ١ / ٦٢ .

(٤٦) نقائض جرير والفرزدق ١ / ٦٣ .

فأصبحتُ أرميكم بكلّ غريبةٍ … تجدُّ الليالي عارَها وتَزيدُها
قوافٍ كشامِ الوجهِ باقٍ حَبَارُها … اذا أرسلتْ لم يبقَ يوماً شرودُها
توافَى بها الركبانُ في كلّ موسمٍ … ويحلو بأفواهِ الرواةِ نشيدُها[٤٧]

وللفرزدق حديث في القصائد يتناشدها الركبان كسائر الشعراء ممّن استشهدنا بشعرهم، وغيرهم كثير، قال:

واذا القصائدُ أوضَعَتْ ركبانُها … بالغَورِ وهي مُمِرَّةُ التحبيرِ
علِمتْ هَوازنُ أنّه قد غرَّها … شعراؤها وغُواتُها بغرورِ
نَبَحَت كلابُ الجنّ لَمّا أجحَرتْ … فَرَقاً لدى مُتَبهْنِسٍ مَضْبورِ
لمّا رَأَيْنَ صلابةً في رأسِهِ … أقعَيْنَ ثم صأَيْنَ بعدَ هريرِ[٤٨]

فالركبان تسرع وهي تنشد بقصائده فينجحر الشعراء ويُقعون كالكلاب.

ودأبُ الشعراء هذا في الفخر بشعرهم قديم، فحُمَيد بن ثور، من شعراء العصر الاسلامي المتقدّم يشير الى أن قصائده كانت موضعَ سَمر الرواة في تشهيرها بخصومه:

قصائدُ يَستحلي الرواةُ نشيدَها … ويلهو بها من لاعبِ الحيّ سامرُ
يعَضُّ عليها الشيخ إبهامَ كفّه … ويَخزَى بها أحياؤكم والمقابرُ[٤٩]

وهم يفخرون بما كان لهم من عناية في تخيّر قوافيهم وتهذيبها وبنائها كما في قول ذي الرمة:

وشعرٍ قد أرقتُ له غريبٍ … أجنِّبُه المسانِدَ والمحالا
فبتُّ أقيمه وأقدُّ منه … قوافيَ لاأعدُّ لها مثالا[٥٠]

---

(٤٧) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠.

(٤٨) نقائض جرير والفرزدق ٢ / ٩١٤.

(٤٩) أمالي ابن الشجري ١ / ٣٢٤، وانظر الحماسة البصرية ٢ / ٢٧٤ [وديوان حميد بن ثور الهلالي: ٨٩].

(٥٠) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ٣ / ١٥٣٢ ـ ١٥٣٣.

وقال عديّ بن الرقاع العاملي :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أُقوِّمَ ميلَها وسِنادَها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيمَ ثِقافُه مُنآدَها
وأبيتُ حتى ما أسائل عالماً عن حرف واحدةٍ لكي ازدادها[٥١]

والى هذا المعنى ذهب كثير من الشعراء مفتخرين بشعرهم ، وما كان لهم من العناية في بنائه ونسجه . وكأن هذه الصنعة التي كلفت الشعراء عناية فائقة لاتفسد عليهم قولهم في « شياطين الشعراء ، وان هذه كانت تلهمهم ماكانوا قد أبدعوا فيه . وهذا يعني أن « الإلهام » ، أيّاً كان لنا أن نوجّهَه ، غيرُ الصنعة والعناية بها ، وكلاهما مما يُهيِّىء للشاعر مادته وشاعريته التي حبته سطوته وقوته . أقول : كأن لغة الشاعر وتصرفه بها وما يكون له من شاعرية موهوبة قد أوحى كلُّه الى الشاعر أنه صانع الابداع في حيز اللغة التي يملكها ويتصرف بها .

وكأني أذهب من هنا الى شيء غير الذي ذهب إليه علماء الشعر مما أسموه « ضرورة » شعرية فعقدوا له الرسائل وصنفوا فيه الكتب . وإني لأستبعد هذا المصطلح الذي ينصرف الى مساوىء الشاعر ولايبعد عما ندعوه فساد التأليف . ومن هنا أعطي مصطلحاً يعني « الاضطرار » ، والاضطرار يومىء الى الضُر والضرر . ومن هنا ايضاً قيل في صاحب « الضرورة » : إنه ارتكبها ، كأنها ذنب يقترفه صاحبه ، ألا ترى أنهم قالوا : ضرورة حسنة أو مقبولة ، وأخرى قبيحة . وليس الحسن والقبح إلاّ الابتعاد عن العربية نحواً وأبنية .

---

(٥١) الشعر والشعراء ٢ / ٥١٦ . والبيان والتبيين ٣ / ٢٤٤ ، وديوان عدي بن الرقاع من منشورات المجمع العلمي العراقي . أقول : أبيات عديّ هذه التي تدل على مبلغ عنايته بشعره تذكّرنا بقول ابي تمام :

خذها ابنة الفكر المهذّب في الدجى والليل أسود رقعةِ الجلبابِ

وكأني أنظر الى « الضرورة » على أنها مما يريد أن يفرضه الشاعر الفذّ مستظهراً بشاعريته ، مستعصماً بها ، وليس ما يقوله النحويون واللغويون شيئاً إزاء ما يرسله هذا الصانع الاستاذ في فنه . ألا ترى ان« الضرورات » قد عرضت للفحولة من الشعراء ، فأما غيرهم من النظّامين فهم يكدّون ليبتعدوا عنها ليستحقوا رضا النحويين .

ولم يدرك أهل البلاغة أن للشعر لغة خاصة ، وذلك لأنهم أشاروا الى ما يقدح في الفصاحة ، ولم يستشهدوا على ذلك إلا بما جاء منها في الشعر . لقد قالوا في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُملَّكاً أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربُهْ

إنه من أقبح الضرورة ، وأهجن الألفاظ ، وأبعد المعاني ، ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه : « وما مثله في الناس حتى يقاربه إلاّ مملّك أبو أمّ هذا المملك ، أبو هذا الممدوح ، فدلّ على أنه خاله[٥٢] .

جاء في « العقد الفريد » : «.... أبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ، ومد المقصور ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، وصرف مالا ينصرف ، وحذف الكلمة مالم تلتبس بأخرى »[٥٣] .

وربما كان مفيداً لنا في معالجة ماأسميناه « ضرورة » على أنها شيء من قوة الشاعر ، ماورد من قول الخليل : « الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاءوا ، وجاز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده »[٥٤] .

---

(٥٢) الكامل ١ / ١٨ ، الموشح ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٥٣) العقد الفريد ٤ / ١١ ـ ١٢ .

(٥٤) روضات الجنّات للخوانساري ص ٢٨٠ .

أقول : ولهذا ذهب الأعلم الشنتمري الى أن الشعر « يحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحراز فائدة ولا تحصيل معنى »[٥٥] ، كالذي جاء في بيت الفرزدق المتقدم . وقال سيبويه : « .... فإن قلت : كيف زيداً رأيت ، وهل زيدٌ يذهب ؟ قبح ولم يجز إلا في شعر »[٥٦] ، وجعل سيبويه من يقول : « إن تأتني آتيك » قبيحاً ، وجوّزه في الشعر[٥٧] ، أي أن مايجوز في الشعر لايجوز في سعة الكلام . وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي : « والاضطرار يجعل الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع » .[٥٨] .

أقول : وقول ابن جني : « ان الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع » يدلنا على أن الشاعر صاحب لغة خاصة يتصرف في أمرها ، وينطق بالجديد الذي لم يطرق أسماع المعربين ، وهم راضون مطمئنون . ويتوسع ابن جنّي قليلاً فيقول : « والشعر موضع اضطرار ، وموقف اعتذار ، وكثيراً ما يحرّف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المُثُل عن أوضاع صيغها لأجله »[٥٩] . ويقف المبرّد على قول جرير :

« لقد ولد الأخيطلَ أمُّ سوء »

فيقول : « إنما جاز للضرورة في الشعر جوازاً حسناً ، ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزاً على بعد »[٦٠] .

---

(٥٥) تحصيل عين الذهب ١ / ٢٩ .

(٥٦) الكتاب ١ / ٥١ .

(٥٧) المصدر السابق ١ / ٦٨ ، وقال ايضاً (الكتاب ١ / ٢٧٧) في الكلام على بيت كثير : « لعزّةَ موحشاً طَلَلُ » ، وهذا كلام أكثر ما يكون في الشعر وأقل ما يكون في الكلام .

(٥٨) الخصائص ١ / ٣٩٦ [قال ابن جني : واعلم ان الشاعر اذا اضطُر جاز له ان ينطق بما يبيحه القياس ، وإن لم يرد به سماع] .

(٥٩) الخصائص ٣ / ١٨٨ .

(٦٠) المقتضب ٢ / ١٤٨ .

أقول : وقول المبرد : « انما جاز للضرورة جوازاً حسناً » يومىء ان الجواز هنا من صنعة الشاعر المفلق ، وهي مدركة للحسن . وقد يتجاوز الشاعر هذا الذي يقرّ حسنه النحاة فيكون منه ما كان لجرير في قوله :

ولو ولَدتْ قفيرةُ جرو كلبٍ لسبَّ بذلكَ الجَروِ الكلابا

قال ابن شرف القيرواني : « ... فنَصَبَ « الكلاب » بغير ناصب ، وقد تحيَّلَ له بعض النحويين بكلام كالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع »[٦١].

وقال في هذا ابن جنّي : « قيل هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يعتدّ به أصلاً ، بل لا يثبت الا محتقراً شاذاً »[٦٢] .

أقول : وجرير يدرك أن الذي قاله يجانب المشهور من الصواب ، ولكنه يصرُّ عليه ، ولا يكترث لما يكون من أقوال النحويين . وهذا يعني أنه يملك الحق فيما يقول ، وأنه يفرض اللغة في سعتها وفي ضيقها ، وكنا قد رأينا نظائر ذلك في شعر الفرزدق ، وما كان له مع النحويين . ويدلنا على ما ذهبنا إليه من انّ « الضرورة » قد عَرَضت لكبار الشعراء جاهليين وإسلاميين . وكأني أعدّ من التزيّد ما جاء منه في شعر لبيد وطرفة وعنترة وامرىء القيس وأضرابهم . وهل يكون لي ان أنسب الى « الضرورة » واقدح في بيت للشاعر لبيد ، وهو قوله :

« دَرَسَ المَنَا بمتالعٍ فأبانِ »[٦٣]

ويريد : المنازل .

---

(٦١) أعلام الكلام ص ٣٧ .

(٦٢) الخصائص ١ / ٢٩٧ ، وفي « شرح المفصل » لابن يعيش ٧ / ٧٥ ـ ٧٦ أقوال للنحويين في البيت واختلافهم فيه .

(٦٣) الخصائص ١ / ٨١ .

وفي رجز العجاج ، وهو الذي حفظ لنا الكثير من شوارد العربية ، في قوله :

« أوالفاً مكّةَ من وُرْق الحمي »[٦٤]

وليس لي أن أقول ان العجاج اضطره الوزن فغير « الحَمام » وجعله « الحَمي » مراعاة للوزن.

والذي أراه أن شيئاً من هذا عرفه العرب ، ولم يصل الينا . وأنا استظهر بقول أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[٦٥] . ويدلنا على ان الذي قيل ، وعُدَّ من الضرورة ، شيء عرفه العرب ماكان من قول أبي الاسود الدؤلي :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غالَه في الحبِّ حتى وَدَعَهْ[٦٦]

فقد خفَّف أبو الاسود الدال في « وَدَعَه » ، والكثير فيها أن الفعل مضاعف ، وظنّوه ضرورة ، وفاتهم أنّ من القرآء من قرأ « ما وَدَعك ربُّك وماقَلَى » .

ثم كيف لي أن أقولَ بالضرورة في قول الأعشى الكبير :

« وما قَصَدت من أهلها لسوائكا »

لقد جعل سيبويه قول الأعشى « سوائكا » ضرورة ، لخروجها عن الظرفية لأنها ظرف لديه وقد جعل من الضرورة أيضاً قول خطام المجاشعيّ :

« وصاليـاتٍ ككمـا يُـؤثفَيْنْ »

لاستعمال الكاف اسماً بمعنى « مِثل » فأدخل حرف الجر عليه . وقد أضاف

(٦٤) ديوان العجاج ص ٢٩٥ .

(٦٥) نزهة الالباء ص ٢٣ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٥] .

(٦٦) الخصائص ١ / ٣٩٦ .

سيبويه فقال : « فعلوا ذلك لأن معنى « سواء » معنى غير ، ومعنى الكاف معنى « مثل »[٦٧] . وكأن سيبويه التمس وجهاً في قول الشاعرين .

وهل لي أن أعد من الضرورة ما ورد في أرجوزة جرير وهو قوله .

إني امرؤ يَبني ليَ المجدَ البانْ أندبُ مجداً غير مجدِ ثُنْيانْ[٦٨]

وأراد الباني . وكيف يكون ضرورة قول الأخطل :

جزاء يوسفَ إحسانٌ ومغفرةٌ أو مثلما جُزْيَ هارونٌ وداودُ[٦٩]

أقول : كيف لنا أن نعدّ ذلك ضرورة ، وقد ورد نظير قول جرير في لغة التنزيل ، قال تعالى : « فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداعِ الى شيء نُكُر »[٧٠] . وأما قول الأخطل « جُزْيَ » باسكان الزاي فمن لغة العرب ، وتميم قرؤوا «بما رَحْبَت»[٧١] بإسكان الحاء، وهي لغتهم في الفعل الثلاثي، وبها قرأ زيد بن عليّ . ومثل هذا قراءة أبي السمال في « حَسْنَ »[٧٢] بإسكان السين وهي لغة تميم[٧٣] .

وهل لي ان أحمل على الضرورة بيتاً للمتنبي كان مطلعاً لقصيدة له من قصائده المحجّلة ، وهو :

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا وبُكاكَ إن لم يجرِ دمعُك أو جرى

أمر الفؤادَ لسانَه وجُفونَه فكتمنَه وكفى بجسمكَ مُخبرا[٧٤]

---

(٦٧) الكتاب ١ / ٣٢ [١ / ١٣ ، ٢٠٣ ط بولاق] .

(٦٨) ديوان جرير ص ٢٩٠ .

(٦٩) شعر الأخطل ٢ / ٧٧٠ .

(٧٠) سورة القمر ، الآية ٦ .

(٧١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

(٧٢) سورة النساء ، الآية ٦٩ .

(٧٣) البحر المحيط ٣ / ٢٨٩ ، وانظر غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ٢١ .

(٧٤) شرح ديوان المتنبي ٢ / ١٦٠ .

وليس لي أن أقول ان الالف في « تصبرا » جاءت من نون توكيد ساكنة للوقف ، وهي كالألف في قوله تعالى « وليُسجَنَنْ وليكونا »[٧٥] ، لأن الفعل سبق بـ « لم » ، والتوكيد لايلحق المنفي . ومن هنا لابدّ لي أن أقول : ان بيت المتنبي على شاكلة الشاهد النحوي :

يحسَبُه الجاهلُ مالم يعلَما ‏ ‏ ‏ ‏ شيخاً على كرسيِّه مُعَمَّماً[٧٦]

أقول : كيف لي أن أحمل بيت المتنبي ، وهو مطلع جميل ، على الضرورة وأراني اذهب الى أبعد من هذا فلا أحمل قوله أيضاً على مخالفة القياس :

فلا يُبرم الأمرَ الذي هو حاللٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا يحلل الأمرَ الذي هو مبرِمُ

أقول هذا لأني أعرف ان المتنبي يعرف العربية ووجوهها ، ولهذا لا بد أن يكون فك الإدغام ضرباً من كلامهم أو كلام إحدى قبائلهم ، وأنا استظهر على هذا بفك الادغام في الألسن الدارجة . ان بعض هذه الألسن تلتزم بالإدغام في حين أن غيرها تفكّ الادغام ، فمنهم من يقول : « حالِل » و « شادِد » وآخرون يقولون في جهة أخرى : « حالّ » و « شادّ » .

إن المتنبي هو الذي يقول :

أنا الذي نظرَ الأعمى الى أدبي ‏ ‏ ‏ ‏ وأسمَعَتْ كلماتي من به صَمَمُ
أنامُ ملءَ جُفوني عن شوارِدِها ‏ ‏ ‏ ‏ ويَسهَر الخلقُ جَرّاها ويختصمُ

أقول : الذي يذهب الى هذا الحد مزهواً ، وله الحق في ذلك ، لا يأبه لما يقوله أهل اللغة والنحو . وبعد فإني أختم هذا الموجز فأقول : لقد رأينا مكانة الشاعر القديم حين يرسل شعره فيفرض على السامعين صنعته متصرفاً ومجدِّداً ، وذلك كله يتأتى مما يشعر به سطوة المفلق المهلم ، فهو ذو فنٍ وأصالة .

---

(٧٥) سورة يوسف ، الآية ٣٢ .

(٧٦) الكتاب لسيبويه ٣ / ٥١٦ [٢ / ١٥٢ ط بولاق] .

ظاهرة وقف الكتب

في تاريخ الخزانة المغربية

الدكتور احمد شوقي بنبين

الحديث عن ظاهرة وقف الكتب في الخزانة المغربية يدعو بالضرورة إلى الحديث عن هذه الظاهرة في المشرق لأن ظهورها كان هناك ولأن الخلاف بين الفقهاء في جوازها أو منعها قد تم في تلك الربوع وأخيراً لأن الوقفيات المغربية لا تختلف كثير الاختلاف عن أخواتها في المشرق .

وأقول في البداية إن الباحث في هذا الموضوع يجب أن يكون فقيها متضلعا من الفقه ، وقانونيا محيطا بمبادئ القانون ، أما أنا فليست لي المؤهلات الفقهية ولا التكوين القانوني لمعالجته ، ولكن شفيعي في ذلك هو اهتمامي بالكتب والمكتبات ، وغايتي القصوى هي إثارة المشكلة ووضعها بين أيدي الباحثين الذين يملكون من المؤهلات السابقة ما يمكنهم من تناول هذا الموضوع واعطائه ما يستحق من الاستيفاء والبحث .

فباستثناء إشارات الفقهاء الموجزة إلى هذه الظاهرة في كتبهم الفقهية وباستثناء ما قاله عنها المرحوم يوسف العش في أطروحته الجامعية[1] فإن

● ألقي هذا العرض بمناسبة الحفل التكريمي الذي أقيم تكريماً للأستاذ الكبير والعالم الجليل سيدي أحمد الشرقاوي إقبال المراكشي في مراكش يوم السبت ١٤ آذار (مارس) ١٩٨٧ .

(١) انظر : يوسف العش : Les bibliothèques arabes Damas 1967 وانظر كذلك أطروحتنا الجامعية : . Histoire des bibliothèques au Maroc .

الموضوع يبقى بحاجة إلى دراسة ، وربما إلى دراسات لسد ثغرة من أهم الثغرات في تراثنا العربي .

سأحاول إذاً في هذا العرض أن أتحدث بإيجاز عن بداية هذه الظاهرة في المشرق ثم في المغرب ، يتلوها دراسة وثيقة وقف أنفذُ من خلالها إلى إلقاء بعض الضوء على وضعية وبناء الوقفية المغربية ، ثم أختم الحديث بكلمة أتساءل بها عما يمكن أن تؤدي إليه دراسة هذه الوقفيات من خدمة لعلمٍ من أهم علوم المكتبات هو تاريخ الكتاب المخطوط (His- toire du Livre Manuscrit)

من القضايا التي أثارت جدالا كبيرا بين فقهاء المسلمين في العصور الاسلامية الأولى قضيةُ الوقف ، والسببُ في ذلك يرجع إلى عدم ورودها في القرآن الكريم ، وبالتالي إلى وجودها ظاهرةً مجردة في السنة النبوية ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام اقتصر في تعريفه للوقف على ذكر حقيقته فقط وترك التفصيلات والتأويلات للفقهاء ، فأدى ذلك الى اختلافهم في مشروعية الوقف . فمنهم من أجازه ، ومنهم من لم يقل بجوازه ، ومنهم من قبله في حالات ورفضه في أخرى . وكانت الكتبُ من بين أنواع الموقوفات التي احتدم حولها الصراع بين العلماء ، لأن وقفها لم يثبت الا بالعرف كما سنرى فيما بعد .

حتى القرن الهجري الثاني كان الفقهاء والعلماء ينسخون أو يستنسخون المصاحف ويضعونها في المساجد تقرباً الى الله ، اقتداء بما صنعه الخليفة الراشد عثمانُ رضي الله عنه الذي نسخ أربعة مصاحف أو ستة ووزعها على الامصار كما هو معروف . يروى في كتب التاريخ أن أبا عمرو الشيباني[٢] نسخ ثمانين مصحفا ، ووضعها في مساجد الكوفة ، وروى

(٢) الفهرست لابن النديم : ٦٨ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٦٥ .

السيوطي[٣] أن المفضل الضبي كان عالما بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس وكان يكتب المصاحف ويضعها في المساجد تكفيراً لما كتبه بيده من أهاجي الناس . فهذان العالمان الجليلان وغيرهما من الفقهاء وضعوا المصاحف في المساجد ابتغاء مرضاة الله دون التعبير عن عملهم هذا بالألفاظ الدالة على ظاهرة الوقف . فلما بدأت حركة التأليف في القرن نفسه وظهرت تآليف في التفسير والفقه والأدب واللغة وغيرها ، وارتأى بعض العلماء وضع هذه الكتب في المساجد على غرار المصاحف ليستفيد منها الطلبة منعهم علماء آخرون ، معتمدين في موقفهم المعارض هذا على عدم وجود هذه الظاهرة في كل من الكتاب والسنة ، بل أصبح وقفُ القرآن نفسه موضع نقاش بين هؤلاء الفقهاء مما جعل بعضهم يرفضه كما صنع ابن همام الحنفي مثلا[٤] .

ولما أجاز جمهور الفقهاء ظاهرة الوقف حددوها بالاشياء التي لها صفة الدوام كالاراضي والبنايات وما شابه ذلك ، ولم يجيزوا وقف ما يفتقر الى هذه الصفة كالكتب لانها تبلى وتندثر . وبعد نقاش طويل أجازوا وقف المصاحف اقتداء بالخليفة الراشد عثمان وبالمسلمين من بعده ، ولم يرد هذا الجواز بالنصّ ، بل إنه قد ورد بالعرف ، والثابتُ بالعرف كالثابت بالنص ، وهذا العرف يعززه قوله عليه الصلاة والسلام : ماراه المسلمون حسنا فهو حسن .

وبعد عملية جواز وقف المصاحف انتقل النقاش إلى وقف باقي أنواع الكتب ، فمنهم من رفض وقفها مطلقا كمحمد بن سلامة الحنفي ، ومنهم من أجازه عموما استدلالا بالحديث الشريف الذي اعتمده الفقهاء في جواز

(٣) السيوطي : بغية الوعاة (ط ١٩٠٩ م) : ٣٩٦ .

(٤) فتح القدير ٥ : ٥٠ .

ظاهرة الوقف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

واعتماداً على هذا الحديث وتطبيقاً لمبدأ العرف أجازت هذه الفئة من الفقهاء وقف الكتب ، ولكن أي نوع من الكتب يقول أحد الحنفيين نصير بن يحي (ت ٢٦٨ هـ) : « يجري على الكتب ما يجري على المصاحف ، لأنها تدعو إلى الدين ، وتساعد على فهمه » . ويستفاد من موقف هذا الفقيه الحنفي أن الكتب التي أجاز وقفها هي كتبُ الدين المرتبطة بالقرآن الكريم ككتب التفسير ، وكتب الحديث ، وكتب الفقه ، وغيرها ، أما كتب العلوم الأخرى كالفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، أو كتب علوم الأوائل عموما ، كما كان القدماء يقولون فإنها مستثناة من الوقف ، وقد عبر عن هذا الرأي صراحة عدد آخر من الفقهاء ، بل أفتى بعضهم بإحراق هذه الكتب فضلا عن وقفها(٥) .

وبالإضافة إلى كتب الأوائل نص الفقهاء على أن كتب التوراة والأناجيل لا توقف ، لأن وقفها يتنافى مع الغاية المثلى التي ترمي إليها هذه الظاهرة الدينية وبالتالي لأنها مبدلة ومنسوخة(٦) .

---

(٥) ابن أبي عامر حاجب المؤيد بالله الأندلسي أحرق كتب الأوائل باستثناء كتب الطب والرياضيات التي يحتاجها المسلمون ، ولاتتدخل بطبيعتها في علوم الشرع . أما الماوردي فيعد الفلك والفلسفة علمين محرمين ، لأنهما يتعارضان مع المبادئ القرآنية .

(٦) اكتفى بعضهم بأنها مبدلة ولا يقول منسوخة ، لأن تلاوة المنسوخ من كتب الله وآياته ليس بمعصية ، فإن في القرآن منسوخا يتلى ويكتب كغير المنسوخ . وعلى الرغم من موقف الفقهاء من وقف كتب هذه الديانات فإن الخزانات العربية في المشرق الاسلامي ومغربه ملأى بهذه الكتب . كان الخلفاء يقبلون هذه الكتب هدايا ، ويضعونها في خزائنهم . وقد أهدى المستشرق الهولندي اربانيوس Erpenius إنجيلاً بالعربية للخليفة السعدي زيدان الذي قبله ووضعه في خزانته التي آلت كما نعلم إلى الاسكوريال بإسبانيا :

انظر .De Castries : Sihm. 1ereseue Pays-Bas. III. P.359

وانظر كذلك Deverdun : Marrakech des Origines à 1912. t1 P. 435

امتد الخلاف حول هذه الظاهرة نحو قرنين من الزمان قبل أن يقبل جمهور الفقهاء بوقف الكتب عموما ، ومع ذلك لا يتوانى هؤلاء الفقهاء في أن يشيروا في كتبهم الفقهية إشارات قد توحي دائما بالاضطراب والتشكك وعدم الاطمئنان ، فأحدُ المتأخرين من المالكية وهو الدسوقي المتوفَّى عام ١٢٣٠ هـ يقول في الجزء الرابع من حاشيته على الشرح الكبير للخرشي : « والكتب يصح وقفها على المذهب فهي مما فيه الخلاف ، وذلك عندنا جارٍ في كل منقول ، وإن كان المعتمد الصحة . »[٧] .

أما في المغرب فإن الخلاف بين الفقهاء لم يقم حول ظاهرة وقف الكتب لأنها أصبحت من المسلمات ، بل كان الخلاف قائما حول وضعية الكتب الموقوفة نفسها ، الشيء الذي أدى إلى صدور فتاوى متعلقة بهذه الظاهرة ، وجمعها في كتب النوازل كالتي يضمها الجزء السابع من كتاب المعيار المعرب للونشريسي .

ولئن كنت أريد أن أتحدث عن بداية هذه الظاهرة في المغرب ، إنني لا أستطيع ذلك ، لأن مصادر تراثنا المغربي لا تفصح عن ذلك كل الافصاح . يقول الانصاري في حديثه عن خزائن الكتب بمدينة سبتة « وكان منها [الخزانات] في زماننا [القرن الثامن الهجري] سبع عشرة خزانة ، تسعٌ بدور الفقهاء والصدور كبني القاضي الحضرمي ، وبني أبي حجة ، وأشباههم ، وثمانٍ موقفةٌ على طلاب العلم ، أقدمُها الخزانةُ الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة : خزانة الشيخ أبي الحسن الشّاري المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله وهي أول خزانة

(٧) حاشية الشرح الكبير ٤ : ٧٧ .

وقفت بـالمغرب على أهـل العلم نفعـه الله بهـا . »[٨] فمعنى الـوقف في هـذه الفقرة غير واضح لأنـه يمكن أن يفهم منـه أن هـذه الخزائن المـوقفـة على طلاب العلم هي خزائن يرتادهـا عـامـة النـاس ، وإن فرضنـا أن الوقف هنا جاء بمعناه الفقهي فأقدمُ خزانة تكون قد وقفت حسب هـذا النص ، تعـود الى العهـد المـوحـدي الـذي هـو عصر أبي الحسن الشّـاري الغـافقي (٥٧١ ـ ٦٤٩ هـ) . وهنـاك نص آخر في القرطـاس لابن أبي زرع عن القرويين يمكن أن يستفاد منه أن هذه الظاهرة كانت معروفـة في المغرب منذ العهد المرابطي[٩] .

أمـا الكتب الموقوفـة التي لا تزال مصـونـة بخـزانـاتنـا المغربيـة فـإن أقدمها يرجع إلى العهد الموحدي : مثل كتاب الانجاد لابن أصبع وكتـاب التمهيد لابن عبد البر اللذين وقفها الخليفةُ الموحـدي عمر المرتضى في القرن السابع الهجري على خزانة مدرسة القصبة بمراكش . والمخطوطـان معـا من محفوظات خزانة ابن يوسف بمراكش .

والمرجـح عنـدنـا أن وقف الكتب قـديم في المغرب ، فقـد ثبت أن خلفاء بني أمية بالأندلس ، وعلى الأخص منهم عبد الرحمن النـاصر وابنـه الحكم المستنصر صاحب الخزانة المشهورة كانوا يرسلون مجموعات من الكتب لاغناء خزانـة القرويين ونشر العلم بحـاضرة فـاس ، والطـابعُ العـام الـذي كانت تتسم به هذه المكتبـة يحملنـا على الاعتقـاد بـأن الكتب المهـداة من طرف الخليفتين كانت في إطـار الـوقف . ولهـذا يحتمـل أن يكـون وقف الكتب في المغرب أقدم مما كان يظن[١٠] .

(٨) الانصاري : اختصار الاخبار ص ١٤٥ ، في : Héspéris t. XII. 1931

(٩) ابن أبي زرع : القرطاس ص ٤٣ .

(١٠) يوجد بخزانة القرويين : شرح الفصوص في صناعة الطب للفارابي ، نسخ للناصر الاموي بقرطبة بالاندلس . ونسخ المختصر لابي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري لخزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر . انظر : عبد الهادي التازي : جامع القرويين ١ : ١٢٤ .

بعد هذا المدخل التاريخي الوجيز عن ظهور هذه الظاهرة في المشرق ، وبالتالي في المغرب ، أنتقل إلى الحديث بشيء من التفصيل عن تطور وقف الكتب وبناء الوقفيات في الخزانات المغربية انطلاقا من وقفية مغربية تم اختيارها لانها تمكننا من إبراز جميع جوانب هذه الظاهرة في المغرب . ووقفيتنا المختارة هي وقفية ابن خلدون التي بثها في الجزء الخامس من كتاب العبر الذي حبسه على خزانات القرويين في نهاية القرن الهجري الثامن . ولم يبق من هذه النسخة الموقوفة الا الجزآن الثالث والخامس الذي يحمل نص الوقفية . وقد بقيت النسخة كاملة بالخزانة المذكورة حتى القرن الحادي عشر الهجري حيث يذكرها أحمد المقري في نفح الطيب بقوله : « ورأيته بفاس وعليه خطه في ثماني مجلدات كبار جدا وقد عرف في آخره بنفسه وأطال » .[١١] .

وربما بقي الكتاب كاملا بهذه الخزانة حتى القرن التاسع عشر الميلادي بحيث يستفاد من بحث العالم السويدي « دي حمصو » (di Hemso) الذي كان قنصلا لبلاده بطنجة في بدء القرن الماضي[١٢] أن هناك نسخة كاملة من كتاب العبر لابن خلدون عليها خطه[١٣] ولما وضع

(١١) احمد المقري : نفح الطيب ٦ : ١٩١ (ط . دار صادر) . نسخة العبر تتكون من سبعة أجزاء ، أما الجزء الثامن المذكور في نص المقري فهو الذي خص به ابن خلدون نفسه ، والمسمى رحلة ابن خلدون شرقا وغربا ، وقد حقق منذ بدء الخمسينات بعناية المرحوم محمد بن تاويت الطنجي .

(١٢) كان دي حمصو di Hemso من أكبر علماء السويد ، يتقن عددا من اللغات ، منها الفرنسية والانكليزية والايطالية ، كما كان عضواً في عدد من الاكاديميات من بينها الاكاديمية الفرنسية (Inscriptions et Belles Lettres) وكانت له خزانة كتب مهمة تضم أربعة آلاف كتاب مطبوع (4000) وثلاثمائة (300) مخطوط ، من بينها خمسون مخطوطا عربيا .

(١٣) انظر : Account Of The Great historical Work of the African philosopher Ibn Khaldun. Di Hemso. P.5 1833

العـالمـان « الفرد بيـل » (Alfred Bel) والشيـخ عبــد الحي الكتــاني أول فهرست لخـزانـة القرويين عـام ١٩١٨ لم يـذكرا فيـه إلا الجـزأين الثـالث والخـامس . فيحتمل إذاً أن تكون الأجزاء الأخرى قـد ضـاعت في النصف الثـاني من القرن التـاسع عشر . ونسخـةُ العبر الموقوفـة هـذه على خـزانـة القرويين نسخها مصري يدعى عبد الله بن حسن ولد الفاخوري . وهـذه النسبة معروفة في مصر حسب المستشرق ليفي بروفنسال(١٤) .

أما نص الوقفية فقد كتبه العدلان المذكور اسماهما في آخره من إملاء ابن خلـدون نفســه . وفي أسفـل الـورقـة شهـادة ابن خلـدون وتصحيحـه للـوقف بخـط يمينـه . وكتب في أعلى الـورقـة عبـارة الشيـخ عبــد الحي الكتاني التالية : طالع فيه مستعيره محمد عبد الحي الكتاني عافاه مولاه .

وقد تم اختيارنا لهذه الوقفية لأنها من أقـدم الوقفيـات المغربيـة ومن أكثرها استيفاء لأركان وشروط الوقف .

نص وقفية ابن خلدون*

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

---

(١٤) ليفي بروفنسال : الصحيفة الأسيوية (Journal asiatique) ١٩٢٣ ، حسب الجزأين الباقيين فإن النسخة التي حبسها ابن خلدون على القرويين توافق النسخـة التي طبعت بمطبعة بولاق عام ١٨٦٨ م . وهي منسوخة عن الأصل لأنه جاء في الورقة الأخيرة مـا نصـه : « من الأصل المعتمد لمؤلفه » .

* اسم النـاسخ لهذه الوقفية : عبد الله بن حسن ولد الفـاخوري . والخـط المكتوب بـه من طرف ابن خلدون خط مغربي يظهر للعين لأول وهلة .

وقـد تفضـل المستشرق الفرنسي ليفي بروفنســال (Levi-ProvenÇal) فنقـل نص هذه الوقفية إلى اللغـة الفرنسيـة : انظر مجلـة الصحيفـة الأسيويـة (Journal asiatique) ١٩٢٣ .

وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ المحقق أوحد عصره وفريد دهره قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الامام أبي عبد الله محمد بن خلدون الحضرمي المالكي ، أمتع الله المسلمين بحياته ، ونفعهم بعلومه وبركاته ، وهو مؤلف هذا الكتاب ، جميع هذا الكتاب المسمّى بكتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر المشتمل على سبعة أسفار هذا أحدها وقفاً مرعياً وحبساً مرضياً على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة قاعدة بلاد المغرب الاقصى ، ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ونسخاً ، وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة بحيث لا يخرج حَرَمَها الا لثقة أمين ، بِرَهْنٍ وثيق لحفظ صحته ، وأن لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد الى موضعه ، وجعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة . وقف لله على الوجه المذكور لوجه الله الكريم وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأشهد عليه بذلك في اليوم المبارك الحادي والعشرين لشهر صفر المبارك عام تسعة وتسعين وسبعمائة حسبنا الله ونعم الوكيل .

أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة ولي الدين الواقف المسمى فيه أمامه لله تعالى على نيته الكريمة بما نسب إليه فيه وتشهدت عليه به في تاريخه ، وكتبه أحمد

أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العالم العامل العلامة قاضي القضاة بما نسب إليه أعلاه ، أمتع الله تعالى به وتشهدت عليه بذلك ، وكتبه محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم

بن علي بن اسماعيـــل المـــــالكي

الحمد لله ، المنسوب إليَّ صحيح

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون



صورة نص الوقفية من الجزء الخامس من كتاب العبر

البسملة والتصلية

وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق

استخدم ابن خلدون ستة أفعال مترادفة كلها تدل على معنى الوقف ، وأعتقدُ أن السبب في هذا التعدد هو الخلاف بين الفقهاء في صيغة الوقف . فالجمهور يرى أن الوقف يتحقق بلفظ « وقف » ، واختلفوا في صحته بالألفاظ الأخرى كحبس وسبل وغيرهما ، منهم من أجازه ومنهم من منعه . ويعتقد بعض المحدثين أن الوقف يتم بكل لفظ يدل عليه حتى باللغة الاجنبية ، لان الألفاظ وسيلة للتعبير ، وليست غاية في نفسها[(١٥)] . ولهذا بدأ ابن خلدون وقفيته باستعمال فعل الوقف الثلاثي الذي قبله جمهور الفقهاء للتعبير عن صيغة الوقف . ولم يستعمل « أوقف » الرباعي لأنه لغة رديئة باتفاق معاجم العربية[(١٦)] . كما أنه لم يستعمل « وقف » بالتشديد لأنه غير وارد في الاستعمال المجازي لهذا الفعل[(١٧)] .

ثم قال و « حبس » بتشديد الباء وهو الصحيح عند علماء اللغة ولم يستعمل « أحبس » مع أنه صحيح كذلك ، غير أن استعماله نادر كما أنه لم يستخدم « حبس » الثلاثي ، لأن استعماله رديء حسب علماء اللغة :

---

(١٥) محمد جواد مغنية : الفقه على المذاهب الخمسة ص ٥٩٠ ط ١٩٧٧ .

(١٦) يلاحظ أن عدداً كبيرا من الوقفيات التي وقفت ، تستعمل « أوقف » الرباعي ، كما يلاحظ أن بعض كتب التراث كنفح الطيب للمقري تستعمله في شكله الرباعي .

(١٧) لاحظت « وقف » بالتشديد في كتابات المستشرقين : استعمله ليفي بروفنسال في « اختصار الأخبار » للانصاري الذي حققه كما استعمله دوزي Dozy في ملحقه على المعاجم العربية (مادة وقف) . وأعتقد أن استعمال وقف بالتشديد هو استعمال عامي ، وربما لهذا السبب استعمله المستشرقون .

يقول الزبيدي في تاج العروس : « الفصيح أحبس وحبّس ، وحبسه مخففا لغة رديئة »[١٨] .

والسبب في استعمال ابن خلدون للفظ التحبيس يرجع في رأيي الى أن الكلمة حديثية : قال عليه الصلاة والسلام لابن الخطاب رضي الله عنه لما سأله عما يصنع بالارض التي أخذها بعد خيبر : « حبس الأصل وسبل الثمرة » ومصطلح التحبيس هو المستعمل في كتب الفقه المالكي ، وابن خلدون مالكي المذهب : وأعتقد أن السبب في استعمال كلمة التحبيس عند المالكية يرجع إلى أن علماء هذا المذهب يقولون بالوقف الموقت بمعنى أن الشيء الموقوف محبوس صاحبه عن التمتع به لمدة معينة مع احتفاظه بملكية الشيء الموقوف فهو تحبيس فقط ، أما إذا كان الموقوف مؤبداً فتخرج الملكية عن الواقف ، ويسمى وقفا وليس تحبيسا ، ولهذا نلاحظ أن كلمة التحبيس هي المستعملة في الدول الاسلامية التي ساد فيها المذهب المالكي كالغرب الاسلامي وافريقية .

كما نلاحظ كذلك أن الكلمة دخلت اللغة الفرنسية[١٩] وأخذت مكانها في المعاجم[٢٠] والسبب في اعتقادي يرجع إلى أن الفرنسيين لما تمت لهم السيادة على الدول العربية في شمال افريقية ، وجدوهم يستعملون كلمة

---

(١٨) تاج العروس : مادة حبس .

(١٩) حبس = Habous , Hobous

الموقوف عليه = Habousant

الموقوف = Habousé

(٢٠) انظر :

- La Grande encyclopédie: art.Habous

- Grand Larousse encyclopédique

- Nouveau larousse illustré.

التحبيس فاستعملوها في مؤلفاتهم[٢١] .

ثم قال : « وسبل »

والتسبيل هو التصدق في سبيل الله ، ولقد حرص ابن خلدون على استعمالها مرادفاً آخر للوقف ، لأنها كلمة قرآنية اعتمدها بعض الفقهاء في جواز الوقف عموما ، وحديثية لقوله عليه الصلاة والسلام : « حبس الأصل وسبل الثمرة » .

ثم قال : وأبد .

والتأبيد هو التخليد[٢٢] والدوام والاستمرار ، واتفق جمهور الفقهاء على اشتراطه في صيغة الوقف ، الا المالكية فإنهم أجازوا أن يكون الوقف مؤبدا وموقتا[٢٣] . يقول الخرشي : « ولا يشترط في صحة الوقف التأبيد » ، وأعتقد أن استعمال ابن خلدون لفعل التأبيد هو تأكيد لتخليد هذا الوقف ودوامه وألا تراجع فيه كما هو جائز في المذهب الحنفي .

أما التحريم فإنه يمنع الواقف من التمتع بالشيء الموقوف كما يمنع الشيء الموقوف من البيع والهبة والإرث وغيرها . واستعمال فعل « التحريم » في وقفيات الكتب نادر جدا ، ويحرص ابن خلدون على استعماله زيادة في تأكيد عدم التراجع عن الشيء الموقوف .

---

(٢١) أمثال : Milliot; Mercier; clairer وغيرهم . ونلاحظ أن الانكليز الذين تمت لهم السيادة على الشرق قد استعملوا كلمة « وقف » المستعملة في كتب الفقه والقانون عند المشارقة . ودخلت هي بدورها معاجم اللغة الانكليزية حيث نجدها مثلا في المعجم الكبير : Encyclopédia Britanica .

(٢٢) قد نجد في بعض الوقفيات المغربية عوض عبارة « وقف مؤبد » عبارة « وقف مخلد » كما جاء في وقفية الأمير أبي عبد الله الوطاسي المثبتة في نسخة من صحيح البخاري وقفها على خزانة القرويين .

(٢٣) إذا أطلق الواقف صيغة الوقف فإنه يحمل على التأبيد لأنه الأصل في الوقف .

وختم ابن خلدون هذه السلسلة من أفعال الوقف بالتصدق لأن الوقف قبل كل شيء هو نوع من أنواع الصدقات حث الشارع على فعلها تقرباً إلى الله سبحانه .

وابن خلدون يعلم أكثر من غيره ما جاء في مغازي الواقدي عن الحوار الذي دار بين المهاجرين والانصار حول أول صدقة موقوفة في الاسلام ، فقال المهاجرون : صدقة ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الأنصار : صدقة النبي ﷺ[٢٤] . والمقصود بالصدقة الوقف استدلالاً بقوله عليه الصلاة والسلام من الحديث الشريف الذي رواه الامام مسلم : « صدقة جارية » .

يبدو أن استعمال هذه المترادفات للتعبير عن الوقف من طرف ابن خلدون يدل على تأكيده على استمرارية ودوام ما وقفه من جهة ، وعلى حرصه على إرضاء جميع الاتجاهات الفقهية من جهة أخرى[٢٥] . وتكاد تنفرد وقفية ابن خلدون باستعمال هذا العدد من المترادفات في العالم الاسلامي ، وأغلبُ الوقفيات سواء في المغرب أو في المشرق لا تستعمل أكثر من فعلي الوقف والتحبيس للتعبير عن صيغة الوقف .

وبعد ذكر الصيغة التي هي الركن الأساسي في الوقف[٢٦] ، انتقل ابن خلدون إلى ذكر الركن الثاني وهو اسم الواقف ، ولا يصح الوقف دون ذكره ، وذلك بقوله « سيّدنا ومولانا العبدُ الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق ، أوحد عصره ، وفريد

---

(٢٤) إن أول صدقة موقوفة أراضي مخيريف التي أوصى بها إلى النبي ﷺ فوقفها النبي ﷺ .

(٢٥) ابن خلدون المالكي يعيش في مصر حيث ملتقى المذاهب الفقهية كلها .

(٢٦) أركان الوقف أربعة : الصيغة ، الواقف ، الموقوف ، الجهة الموقوف عليها .

دهره ، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون ..... وبركاته » . ثم قال « وهو مؤلف هذا الكتاب المسمى بكتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر المشتمل على سبعة أسفار هذا أحدها وقفا مرعيا وحبسا مرضيا . . » .

بهذه الجملة يذكر ابن خلدون الركن الثالث من أركان الوقف وهو ذكر الشيء الموقوف ، والشيء الموقوف هنا هو كتاب العبر في التاريخ .

أما الركن الرابع وهو الجهة الموقوف عليها فجاء في قوله : « وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة » .

فهذه الاركان الاربعة ضرورية في كل وقف وتكفي وحدها لجواز وقف الكتب كما ينص على ذلك الخرشي في شرح مختصر خليل والدسوقي في حاشيته على هذا الشرح[٢٧] ، وكل الوقفيات المغربية التي وقفت عليها تشتمل على الصيغة والواقف والكتاب أو الكتب الموقوفة وأخيرا الجهة الموقوف عليها . ففيما يخص هذا الركن الأخير استخلصتُ من استقرائي لعدد من الوقفيات ولرصيد من كتب التراث العربي بالمغرب أن المغاربة ملوكا وعامة قد دأبوا على وقف الكتب على المؤسسات ذات الصبغة العمومية كالمساجد ، والزوايا ، والمدارس العتيقة ، وخزانات المساجد الجامعة وغيرها . وأقتصر على الأمثلة التالية القليلة : نسخ الخليفةُ الموحدي عمرُ المرتضى قرآناً في عشرة أجزاء ووقفه على خزانة مسجد ابن يوسف بمراكش[٢٨] . وبنى أبو الحسن المريني عددا من المدارس في مختلف

(٢٧) الدسوقي : الحاشية ٤ : ٥ .

(٢٨) حتى بداية الاستقلال (١٩٥٦ م) لم يبق فيما أعلم من هذا القرآن الا الأجزاء الرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر . ووقفت بالمصادفة على الجزء السابع من هذا القرآن معروضاً بخزانة المتحف البريطاني بلندن . (انظر ما كتبه الأستاذ المنوني عن هذا القرآن بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٨ م) .

بلاد المغرب وحبس عليها كتبا ، ينص على ذلك ابن مرزوق في كتاب (المسند الصحيح) : « هذا ما حبس في جلها (المدارس) من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة فلا جرم كثر بسبب ذلك العلم وعدد أهله وثواب المعلم والمتعلم في ميزان حسناته بلغه الله بذلك[٢٩] وحبس أبو عنان المريني مجموعة من الكتب اختارها من خزانته الخاصة على المدرسة التي بناها بفاس ، ولا تزال الوقفية التي زخرفت على باب هذه المؤسسة ماثلة الى اليوم . أما ما وقفه الملوك السعديون والعلويون ووزراؤهم وعلماؤهم من كتب على مختلف الخزانات المغربية فكثير ، وأكبر عملية وقفية في هذا الاطار تلكم التي قام بها السلطان المولى عبد الله العلوي حينما وزع خزانة جده المولى اسماعيل التي كانت تضم اثني عشر ألف كتاب على خزانات المغرب . ولا يزال بعض كتبها مصونا بخزانة جامع القرويين . ولم يقتصر المغاربة على اختلاف طبقاتهم في اختيار الجهات الموقوف عليها على المؤسسات المغربية بل امتد تحبيسهم الكتب في سبيل الله الى جهة الشرق . يقول المقري في نفح الطيب : كان السلطان أبو الحسن المريني كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه ، وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال وأوقف عليها أوقافا جليلة ... وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة »[٣٠] . وقد أورد ابن الوردي الوقفية بكاملها في الجزء الثاني من تاريخه[٣١] .

(٢٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ٣٥ في Hespéris ١٩٢٥ حبس أبو الحسن نسخة من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الذي حققه محمد حجي أخيرا ، على خزانة مدرسة عدوة الاندلس عام ٧٢٨ هـ . ولا يزال هذا المخطوط الذي نسخ على رق الغزال محفوظا بخزانة القرويين بفاس .

(٣٠) المقري : نفح الطيب ٤ : ٣٩٩ .

(٣١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٣٨٤ .

ويروي الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في كتابه المخطوط (المكتبات الاسلامية)[٣٢] ، أن السلطان العلوي المولى عبد الله بن اسماعيل وقف ثلاثة وعشرين مصحفاً على المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، يوجد من بينها المصحفُ الذي نسخه عقبة بن نافع من مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنهما[٣٣] .

وبالاضافة الى المؤسسات العلمية سواء في المغرب أو في المشرق فان المغاربة قد حبسوا الكتب على الأسر والعلماء . بعد وفاة العالم الكبير محمد بن عبد السلام الفاسي ١٢١٤ هـ اشترى السلطان المولى سليمان العلوي خزانته وحبسها على أولاده . وجاء في الوقفية المثبتة على الورقة الأولى من كتاب تفسير الجلالين بتصحيح السلطان أن الخزانة تنتقل الى أحباس خزانة القرويين بعد انقراض جميع أفراد أسرة هذا العالم . وهذا اللون من الوقف يطلق عليه الفقهاء الوقف المعقب[٣٤] .

بعد استيفاء الأركان الأربعة في الوقفية انتقل ابن خلدون الى وضع الشروط التي يشترطها الواقف ، والتي يجب أن تطبق تطبيقا كاملا ، ولا يجوز مخالفتها الا لضرورة ، أو لحاجة لأنها ترجمان ارادته وقصده . يقول الفقهاء : « شرط الواقف كنص الشارع[٣٥] » بمعنى أن ألفاظ الواقف كألفاظ الشارع في وجوب الاتباع دون تغيير ولا تأويل . يقول ابن

---

(٣٢) عبد الحي الكتاني : المكتبات الاسلامية ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط . رقم ٣٠٠٢٥ ص ٢٣ .

(٣٣) حبس الخليفة المريني أبو يعقوب يوسف مصحفاً على مكة المكرمة عام ٧٠٣ هـ .

(٣٤) العابد الفاسي : الخزانة العلمية ص ٥٧ .

(٣٥) اختلف الفقهاء في هذه العبارة : يقول الحنابلة : شرط الواقف كنص الشارع في الفهم والدلالةلا في وجوب العمل به واتباعه .

خلدون : « وقفا مرعيا وحبسا مرضيا على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة » .

يستفاد من هذه العبارة أن الواقف فسح المجال لكل الطلبة الموجودين بفاس لا لطلبة جامع القرويين فقط لأنه يعلم أن للفقهاء آراء متباينة في هذه القضية ، فلو خص بتحبيسه طلبة القرويين لما أمكن غيرهم من طلاب المؤسسات العلمية الأخرى بفاس القراءةَ والاستفادة من الكتاب المحبس : يقول ابن عابدين : اذا وقف مصحف على مسجد معين ، لا جامع ، فلا يقرأ فيه الا سكان الحي ، واذا وقفت كتب على مدرسة لا يقرأ فيها الا طلبة المدرسة[٣٦] . فان كان ابن خلدون قد وقف كتاب العبر على مؤسسة معينة هي خزانة القرويين فانه تلافياً لتأويلات الفقهاء ، قد سمح لكل طلبة فاس بل حتى الطلبة الذين يفدون على فاس قاعدة بلاد المغرب الأقصى كما يقول أن ينتفعوا به . وتخصيصُ ابن خلدون طلبةَ العِلْمِ بتحبيسه يستفاد منه منع المتفقهين ودعاة العلم من الاستفادة من الكتاب . وهذه الظاهرة معروفة في الوقفيات الشرقية ، فلو قال : وقفا مؤبدا على جميع المسلمين كما يصنع بعض الواقفين ، دفعاً لكل التباس وتأويل ، لأمكن لكل الناس قراءة الكتاب بما في ذلك المتفقهون ودعاة العلم . والملاحظ أن مثل هذه العبارة التي تخص جميع المسلمين تكون غالباً في المصاحف الموقوفة . أما عبارة طلبة العلم فتخص في الغالب الأعم خزانات المدارس أو الزوايا أو المساجد الجامعة كالقرويين بفاس ، وابن يوسف بمراكش .

ثم قال : « ينتفعون بذلك قراءةً ومطالعةً ونسخا » .

---

(٣٦) الحاشية ٣ : ٣٨٧ .

يسمح ابن خلدون بقراءة الكتاب ومطالعته ونسخه ، فلو قال ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ، وسكت عن النسخ لما وجب أن ينسخ الكتاب ، جاء في المعيار للونشريسي أن الفقيه أحمد القباب سئل عن وقفية اشترط فيها الواقف أن يقرأ كتابه ويطالع فقط ولم يذكر النسخ فهل يجوز نسخه . قال : اذا لم تذكر الوقفية النسخ فلا ينسخ الكتاب .. ثم أضاف : إن القاضي ابن رشد الجد ألقي عليه نفس السؤال فكان الجواب ما قلت[٣٧] .

وعلى الرغم من موقف العالمين المالكيين الجليلين فان جمهور الفقهاء يرى امكانية نسخ المخطوطات الموقوفة[٣٨] .

ويستمر ابن خلدون في وضع شروطه قائلا : « ... ولا يخرج حرمها الا لثقة أمين ، برهن وثيق يحفظ صحته وألا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد الى موضعه » .

العادة في الكتب الموقوفة أنها لا تخرج من الجهة الموقوف عليها ولا تعار ، وعدد كبير من الوقفيات تشتمل ضمن شروطها على عبارة منع الخروج والاعارة ، زيادة في التأكيد[٣٩] ، وذلك من أجل الحفاظ عليها

(٣٧) الونشريسي : المعيار المعرب ٧ : ٣٧ .

(٣٨) يمكننا أن نتساءل عن الأسباب التي تدعو الواقفين الى عدم السماح بالنسخ ، الشيء الذي يبعدنا قليلا عن الموضوع . انظر ابن حجر : لسان الميزان ١ : ١٦٣ [ليس في الموضع المذكور من لسان الميزان شيء يتصل بالمسألة التي عرض لها الأستاذ الباحث / المجلة] .

(٣٩) يأتي التعبير عن منع الخروج بصيغ أخرى ، كما جاء في وقفية الجامع الكبير للسيوطي الذي حبسه المنصور الذهبي على خزانة القرويين : قال : « لا يقرأ الا في قاعة المطالعة بالخزانة المذكورة .. » .

ليستفيد الناس منها عوض استغلالها من طرف انسان واحد (biblio Faphie) ، وكم عانت المكتبة العربية عموما من هذه الآفة التي بددت الكثير من مصادر تراثنا ، فالقدماء كانوا دائما يتمثلون بقول الشاعر :

لا تعيرنّ ما حييتَ كتاباً واجعل الصمت إن سئلت جوابا
كم صديق أعرته من كتاب أفسد الود ان طلبت الكتابا

وعلى الرغم من العواقب التي تتسبب فيها هذه الآفة فإن بعض الواقفين من العلماء ، رغبةً في نشر العلم ، يسمحون باعارة كتبهم التي وقفوها كما صنع ابن خلدون في وقفيته هذه ، ولكنه حِفاظاً على صحة الكتاب ، اشترط شروطا لذلك :

١ - يعار الكتاب لثقةٍ أمين ، ويقصد عالما معروفا بصدقه وأمانته .

٢ - على الرغم من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها هذا العالم المستعير للكتاب فلا بد له من وضع رهن بالخزانة (كتاب أو مال يكون له قيمة الكتاب الموقوف[٤٠]) .

٣ - لاينبغي أن تتجاوز مدة اعارته شهرين ، وهي المدة التي يرى ابن خلدون أنها تكفي لنسخه أو مطالعته .

هذه هي الشروط التي تتوفر عليها وقفية ابن خلدون ، أما الوقفيات المغربية فهي بدورها تتضمن الشروط نفسها ، أو تختلف عنها قليلا . فبعض الواقفين مثلا يسمح باعارة الكتاب ، ويشترط على المستعير أن يقرأ آيات قرآنية معينة ترحماً عليه وعلى والديه ، وربما على المسلمين جميعا . واحترامُ شروط الواقف واجب باتفاق الفقهاء ولم تتميز الوقفية

---

(٤٠) قد يحدث أن الواقفين الذين يشترطون الرهن في مقابل الاعارة يخصون به الأغنياء فقط ويستثنون الفقراء الثقات . وقد يسمح الواقفون بخروج الكتاب الموقوف بدون رهن كما صنع السلطان العلوي المولى عبد الحفيظ في وقفياته .

العربية وحدها بهذه الظاهرة بل الواقفون في أوربا[٤١] سواء في العصر الوسيط أو في العصر الحديث يشترطون شروطا ، وتطبق بالحرف مع وجود بعض الخلاف ، فالوقفية العربية شرقية كانت أم مغربية تشتمل على شروط الواقف ، وتكتب على ورقة من أوراق المخطوط[٤٢] ، أما الهبةُ أو الوصية عند الأوروبيين اذا كانت مخطوطا لا تينيا واحدا فلا تضم أبداً شروطاً بل تقتصر على ذكر الجهة المهداة اليها[٤٣] . أما اذا كانت الهبة مجموعة من الكتب فإنها تأخذ طابعا قانونيا ، ويكتب عقدٌ يضم شروط الواهب أو الموصي[٤٤] . وهذه الطريقةُ الوسيط لا تزال تطبق اليوم في الخزائن الأوربية بحيث تحترم شروط الواهب . فالكاتب الفرنسي أنتول فرانس Antole France - بين عدد كبير من العلماء الذين وهبوا مكتباتهم الى المؤسسات العلمية الفرنسية - قد أهدى خزانته الخاصة الى المكتبة الوطنية بباريز ، واشترط ألا توزع ، وألا تخضع للترقيم العام الداخلي لهذه المكتبة ، وتبقى مجموعة وترقم ترقيما خاصاً . وبالفعل قبل شرطه ودخلت الكتب الخزانة المذكورة وأصبحت تشكل مجموعة خاصة بذاتها ، يقال لها مجموعة انتول فرانس (Fonds Anatole France) كما يقال مجموعة باريس (Fonds Barrès) وغيرها .

(٤١) ليس عندهم وقف ولكن عندهم الهبة (ex-dono) اذا تمت العملية في حياة الواقف أو الوصية (legs) اذا كانت بعد وفاته .

(٤٢) بعض الوقفيات لا تحمل شروطا .

(٤٣) المخطوطات التي أهديت الى خزانة جامعة الصوربون تحتوي بالاضافة الى أركان الوقف على ثمن الكتاب ، (انظر Histoire Générale de Paris., (3 vol. 186874 Collection de documents: Leopold Delisle .

(٤٤) هذه الظاهرة معروفة في الشرق بحيث يسجل الوقف عند قاضي البلد ، ويكتب عقد يضم جميع الشروط .

ثم قال [ابن خلدون] : « وجعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة » .

بهذه العبارة تتعرض الوقفية لقضية التسليم وهو ما يسمى عند الفقهاء بالقبض[٤٥] وهو بالاضافة الى الحوز أو الحيازة ضروري لتمام الوقف ولزومه عند المالكية[٤٦] . فتسليم كتاب العبر قد تم بالنيابة ، لأن ابن خلدون كان مستقراً بالقاهرة حيث يتضح ذلك في مقدمة كتابه « المقدمة » حين قال : « أتحفت بهذه النسخة خزانة مولانا السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني ... وبعثته الى خزانتهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حاضرة ملكهم وكرسي سلطانهم ... »[٤٧] .

والتسليم بالنيابة معروف في تاريخ الخزانات المغربية بحيث كان الخلفاء والملوك وهم أكثر الناس وقفا للكتب ينيبون عنهم الوزراء القضاة أو الأدباء والفقهاء ورجال الحاشية لتسليم الوقف . فالسلطان محمد بن عبد الله وقف مجموعة من الكتب على المسجد الكبير بطنجة ، وأناب عنه في ذلك القاضي آيت التايدي والناظر مفرج[٤٨] . واناب عنه الفقيه العلامة سيدي عبد العزيز بن حمزة لتسليم كتاب شرح الحَطّاب في ثمانية أجزاء على خزانة ضريح أبي العباس السبتي ، كما جاء في وقفية هذا الكتاب[٤٩] . وكذلك فعل السلطان المولى سليمان العلوي حين أناب عنه

(٤٥) القبض هو أن يتخلى الواقف عن الشيء الموقوف .

(٤٦) أغلب الوقفيات المغربية تشتمل على العبارة التالية : « وبسط (الواقف) يد قيم الخزانة على حوزه فحازه » وهي عبارة تدل على القبض والحيازة .

(٤٧) ابن خلدون : مقدمة كتابه « المقدمة » .

(٤٨) Maillard: Bibliothèque de la Grande Mosquée de Tanger. In (R.M.M t2 P355 Année 1918) .

(٤٩) الخزانة الصبيحية بسلا : المخطوط رقم ٢٣ .

الفقيه الحبيب بن عبد الهادي السجلماسي في تسليم كتاب « نسيم الرياض » الذي وقفه على خزانة مسجد الرصيف بفاس[٥٠] .

أما فيما يخص صفة المتولي الذي تم له تسليم كتاب العبر بالنيابة فيستفاد من عبارة الوقفية أنه القيّم ، لأن المصادر تحدثنا بأن أبا عنان لما أقام بناية هذه الخزانة عام ٧٥٠ هـ عين على رأسها قيّماً لرعايتها دون الافصاح عن اسمه أو هويته . قال الجزنائي : « وعيّن لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها »[٥١] .

وقد جرت العادة في تاريخ الخزانات المغربية أن الكتب الموقوفة على المؤسسات العلمية تسلم للقيم مباشرة ، بخلاف المصاحف وبعض الكتب الدينية التي توقف على المساجد ، فانها تسلم لناظر الأحباس . أما الملوك فيسلمون الكتب الموقوفة للقيمين وللقضاة لأنهم كانوا يكلفونهم في نفس الوقت السهر على العناية بالخزانات ، ومراقبة المسؤولين عنها كالنظار والأمناء . فالسلطانُ المولى عبد الرحمن العلوي كلف القاضي عبد الهادي بن عبد الله التهامي العلوي مساعدة قيم خزانة القرويين . وكذلك فعل السلطان الحسن الأول (١٨٩٤ م) حينما أرسل ظهيرين الى قاضي فاس محمد العلوي المدغري وحميد بناني يحثهما فيهما على مساندة القيم والناظر في اصلاح خزانة القرويين[٥٢] .

---

(٥٠) العابد الفاسي : الخزانة العلمية ص ٦٥ .

(٥١) الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ٧٦ .

(٥٢) العابد الفاسي : الخزانة العلمية ، ص ٧١ الخليفة أحمد المنصور الذهبي السعدي يسلم القاضي نسخة من الجامع الكبير للسيوطي في ستة أجزاء حبسها على خزانة جامع القرويين .

انظر فهرس خزانة جامع القرويين لمحمد العابد الفاسي .

ثم تقول وقفية ابن خلدون : « وقف على الوجه المذكور لوجه الله الكريم وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين » .

هنا يشير ابن خلدون الى الغاية التي من أجلها وقف هذا الكتاب وهي ابتغاء مرضاة الله ، ورجاء ثوابه الكبير . وهذه هي الغاية القصوى التي يهدف اليها كل واقف . ويختم ابن خلدون وقفيته بعبارة الاشهاد وتصحيح الوقف على غرار الوقفيات المغربية ، فقال : « وأشهد عليه ذلك » بمعنى أنه كان حاضرا وشاهدا على ما كتب .

والاشهادُ في الوقف هو اشهاد عادي بسيط أو اشهاد رسمي بحضور عدلين . فالاشهاد الأول هو أن يشهد انسان أن كتاباً أو مجموعة من الكتب وقفها صاحبها بحضوره على مؤسسة معينة ، وعدد الأشهاد غير محصور ابتداء من شاهد واحد الى أربعة أو خمسة شهود ، ويمكن للواقف أن يستغني عن الاشهاد ، والكتب التي يشهد على وقفها تكون في الغالب الأعم من الكتب المهمة والنادرة ، كما ينبغي أن يختار الشهود من الفقهاء والعلماء أو من عِلْيَة القوم .

أما الاشهاد الرسمي فيتم بحضور عدلين لاثبات أصالة الوقف ومشروعيته ، كما جاء في وقفية ابن خلدون هذه ، حيث يشهد عدلان هما : أحمد بن علي بن اسماعيل المالكي ومحمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم . وقد وردت وقفيات باشهاد عدل واحد(٥٣) .

كما وردت وقفيات أخرى بدون اشهاد عدلي تماما فتكون عبارةً عن وقف استرعائي ، بمعنى أن الاشهاد قد تم عند قاضي البلد ، ويقتصر في

---

(٥٣) حبس الوزير المريني الطريفي كتاب « الملتقى » على المسجد الجديد بفاس ، وتشتمل الوقفية على اشهاد عدل واحد ... والمخطوط محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم ١٧٢ .

الوقفية المكتوبة في الكتاب الموقوف على ذكر الأركان الأساسية في الوقف ، وغالباً ما يحصل هذا بالنسبة للكتب التي يقفها الملوك ، فيكلفان القضاة بهذا العمل . أما ابن خلدون فقد حرص على اعطاء وقفه أكثر ما يمكن من الاثبات والمشروعية ، وذلك باحضار عدلين . ويذيل شهادتها بشهادته الخاصة لتصحيح ما كتب واثباته ، فسطرت يمينه على أسفل الورقة ما نصه : « المنسوب اليّ صحيح ، وكتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون » .

ويلاحظ على اشهاد ابن خلدون لتصحيح الوقف شيئان :

١ ـ لم يقل ابن خلدون : أشهد للتعبير عن الشهادة ، بل اقتصر على عبارةٍ تدل على الاشهاد كقوله المنسوب اليّ صحيح ، وهذا جائزٌ عند المالكية[٥٤] ، فهم لا يشترطون لأداء الشهادة لفظاً معيناً ، فيكفي فيها كل صيغة تدل على علم الشاهد بها كما فعل ابن خلدون ، أما باقي المذاهب فانها لا تجيز غير لفظ : أشهد للتعبير عن الشهادة .

٢ ـ يضع ابن خلدون توقيعه لتصحيح الوقف على أسفل ورقة الوقفية ، اقتداء بالخلفاء المرينيين الذين أهدى اليهم الكتاب ، والذين اعتادوا أن يذيلوا وقفياتهم بتوقيعاتهم الخاصة لاثبات الوقف[٥٥] .

وظاهرة التوقيع على أسفل الوقفية شائع عند المغاربة عموما[٥٦] ،

---

(٥٤) ابن فرحون : تبصرة الحكام ٢ : ٤٣ .

(٥٥) ظاهرة توقيع الخلفاء على وقفيات الكتب معروفة في الشرق : نسخة من كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، محفوظة بإحدى خزانات اصطنبول ، كان قد وقفها الخليفة العثماني سليمان القانوني ، ووضع تصحيح الوقف عليها بيده : انظر : يوسف العش : Les Bib-

(٥٦) الخليفة الموحدي عمر المرتضى يضع توقيعه على أسفل الوقفية المثبتة في الجزء الأول والرابع من القرآن الذي خطه بيمينه ، وحبسه على خزانة مسجد ابن يوسف بمراكش .

باستثناء الخلفاء السعديين ، فانهم كانوا يضعون تصحيحاتهم على أعلى الورقة . حيث لا تزال بعض الكتب التي وقفوها على الخزانات المغربية شاهدة على ذلك[٥٧] .

وبالاشهاد تنتهي وقفية ابن خلدون كما هو الشأن بالنسبة للوقفية العربية عموما ، أما حجم هذه الوقفية فكان حسب هوى هذا العالم الجليل ، وحسب ما أراد أن تشتمل عليه من شروط وغيرها . ولم يكن أبداً طول أو قصر الوقفيات مقياسا لأهمية الكتاب الموقوف أو لعدم أهميته ، فكم من كتاب مهم اقتصر واقفه على وقفية صغيرة ، وكم من كتاب لم يكن ذا قيمة كبيرة أطال واقفه في الوقفية المثبتة عليه . ولنختم الآن هذا العرض بالحديث عما يمكن أن تؤدي اليه دراسة الوقفيات من خدمة لتاريخ الكتاب ، وبالتالي لما يسمى بالتحقيق العلمي الحديث .

دراسة الوقفيات من الجوانب التي تفيدنا في تاريخ الكتاب تقتضي بداءة الوقوف على هذه الوقفيات ، وحصر المخطوطات التي تحملها في كشاف ببليوغرافي . ومثل هذا الكشاف وغيره ككشاف المخطوطات المؤرخة من العمليات المكتبية التي تفتقر اليها الخزانات العربية عموما . وبعد القيام بهذا العمل الببليوتيكو نومي الأساسي يمكن للكوديكولوجي أو المختص في علم المخطوطات ، والفيلولوجي الباحث في توثيق النصوص ونشرها الاعتماد على وثائق الوقفيات لاثبات تاريخ النصوص المؤرخة ، وتحديد تاريخ غير المؤرخة منها .

وتبحث الوقفيات في هذا الاطار من جانبين : الجانب التاريخي ،

---

(٥٧) تحتضن خزانة القرويين نسخة من الجامع الكبير للسيوطي في ستة أجزاء حبسها المنصور الذهبي السعدي ، وفي أعلى الورقة تصحيح المنصور للوقف بخط يمينه . وفي أسفل الوقفية كتب : وبحضور مشاهدين سلم الكتاب للقاضي ليضعه بالخزانة ، ثم توقيع العدلين .

والجانب الباليوغرافي أو الخطي ، إن صح التعبير . ففيما يخص الجانب التاريخي فان الخزانات العربية عموماً والمغربية خصوصا ، تشتمل على رصيد هام من المخطوطات غير المؤرخة ، وأخرى مجهولة المؤلف ، أو العنوان ، أو مجهولة المؤلف والعنوان معا . ففي كلتا الحالتين واعتماداً على المخطوطات الحاملة لوثائق الوقف فانه يمكن تأريخ أو تعريف نسبة كبيرة من هذه المخطوطات . ومما يساعد الكوديكولوجيين أو المهتمين بعلم المخطوطات في دراستهم المخطوطية هذه ، هو وجود هذه الوثائق الوقفية على ظهر الأوراق الأولى من المخطوطات ، وأحياناً في وسطها ، الشيء الذي تفتقر اليه المخطوطات اللاتينية الوسيطية ، كما توجد هذه الوقفيات في بعض أجزاء المخطوط أو في جميع أجزائه : فوقفية القرآن الذي حبسه الخليفة الموحدي المرتَضَى توجد على الأجزاء العشرة(٥٨) . ووقفيةُ الأمير أبي عبد الله الوطاسي توجد في الجزء السابع من نسخة البخاري الأربعينية التي حبسها على القرويين ، أما وقفيةُ ابن خلدون موضوع هذه الدراسة فوجدت في الجزء الخامس من كتاب العبر . والغالب على الظن أن أجزاء أخرى من الكتابين السابقين كانت حاملة لوثيقتي الوقف المذكورتين . فمن مزايا تعدد نسخ وثائق الوقفيات في أجزاء المخطوطات أنها تبقى مع ما بقي مصونا من أجزاء مخطوط معين .

فالوقوف على اسم الواقف أو الخزانة الموقوف عليها يساعد في الغالب الأعم على تحديد تقريبي للزمن وربما للمكان الذي نسخ فيه المخطوط المجهول التاريخ أو النسب كما يمكن الوقوف على هذه الوقفيات من

(٥٨) لم يبق الا وقفيتا الجزء الأول والرابع : أثبت Deverdun في كتابه Marrakech des origines à 1912 أن الوقفية الموجودة على ظهر الورقة الأولى من الجزء الأول هي وحدها من خط الخليفة والأخريات المثبتة في باقي الأجزاء من خط كاتبٍ للخليفة .

تصحيح تاريخ مخطوط معين . فكم من مخطوط مؤرخ اطمأن اليه محققه ، فثبت بعد دراسة المخطوط دراسة كوديكولوجية أنه نسخ في زمن تفصله قرون من التاريخ المثبت عليه . فلا يكفي أن نؤرخ للنساخة وحياة النساخ ، بل يجب البحث في سلوكهم وأمزجتهم ، بل ربما أخضعناهم لنظرية الجرح والتعديل ، التي طبقت على رواة الحديث واللغة ، حتى نقبل أو نرفض لا التواريخ فقط بل حتى شكل النصوص التي نسخوها .

أما الجانب الباليوغرافي أو الخطي فيمكّن الباحث في المخطوطات أن يحل رموز كتابة طالما ظل صاحبها مجهولا ، بمعنى أن مؤلف مخطوط مجهول المؤلف يكتشف من خلال مقابلة خط وقفية له عليها اسمه بكتابة هذا المخطوط . وتسمى هذه العملية الهولوغرافيا Holographie . على أية حال فغاية كل من الكوديكولوجيين أو المختصين في علم المخطوطات ، والباليوغرافيين أو المختصين في علم الخطوط القديمة من دراستها لهذه الوقفيات في اطار تاريخ الكتاب هي خدمة ما يسمى بتاريخ النصوص ، الذي يكوّن المرحلة الأولى والأساسية لما نسميه اليوم بالتحقيق العلمي . فهل خضعت مخطوطاتنا العربية المحققة الى عملية تاريخ النصوص كما خضعت لها المخطوطات الغربية ، على الرغم من الفوارق الموجودة بين التراثين العربي والافريقي اللاتيني ؟ ما أظن ذلك . ولقد آن الأوان لانشاء معهد للبحث وتاريخ النصوص على مستوى العالم العربي تستغل فيه جميع المعطيات المخطوطية كالوقفيات والتمليكات ، في سبيل دراسة تاريخ المخطوطات ، وبالتالي تاريخ النصوص . ولا يحق لنا أن نمارس التحقيق العلمي دون ممارسة الكوديكولوجيا وتاريخ النصوص مسبقا .

نواة لِمُعْجَمِ الموسيقى

(القسم الرابع)

الدكتور صادق فرعون
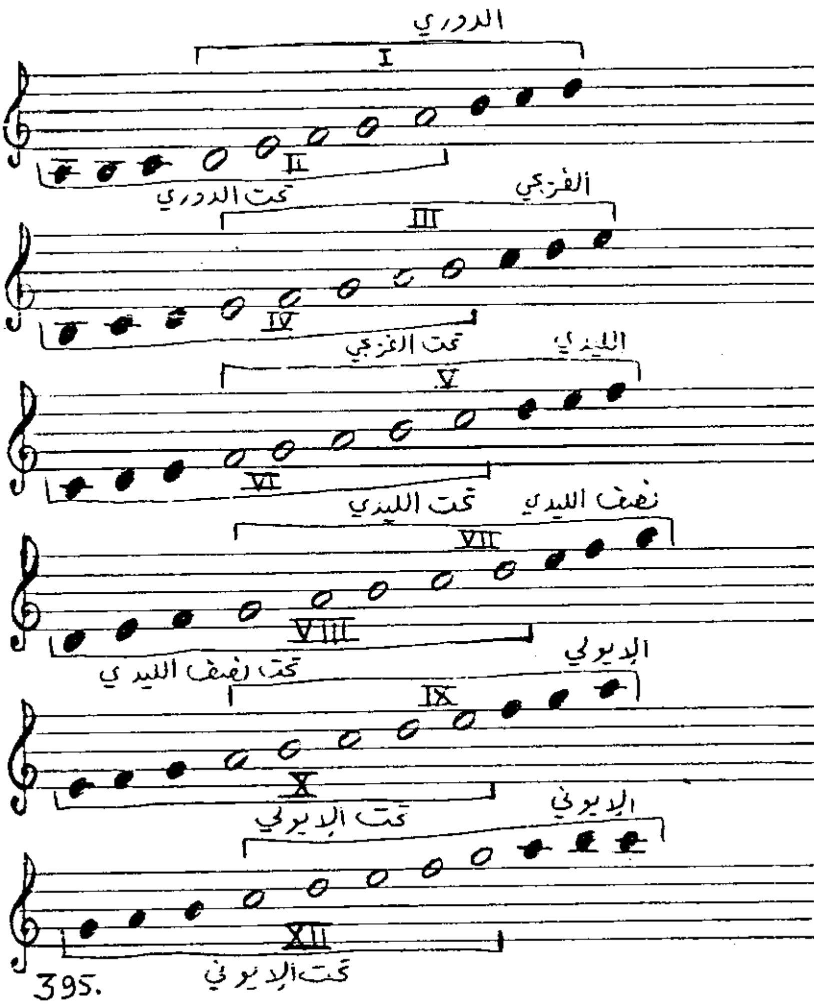
394 - EAR TRAINING (E.)
CULTURE AURALE (Fr.)

تدريب الأذن ، التدريب السمعي : فرع هام من فروع التربية الموسيقية يهدف إلى التعرّف على العلامات الموسيقية المختلفة ، كأن يعزف الأستاذ نوطةً على البيانو أو على أية آلة موسيقية أخرى ويطلب من تلميذه تسميتها ، ثم يتطوّر الأمر إلى عزف علامتين سوية أو بالتتالي ليتعرّف عليها وعلى البُعْد بينهما ثم بعد ذلك إلى عزف ائتلافات موسيقية مختلفة وهكذا ، كذلك الأمر بالنسبة للإيقاع بعزف نماذج ايقاعية مختلفة السهولة والصعوبة والتعرف عليها وإعادتها حتى يبلغ الطالب درجة من الحسّ الموسيقي إنه اذا قرأ مقطوعة موسيقية مكتوبة يستطيع أن يتصوّرها ويسمعها بذهنه وعقله دون حاجة إلى عزفها ، والدرجات العليا من التدريب الموسيقي السمعي هي التي تفسّر كيف ألّف بيتهوفن أعظم مؤلفاته الموسيقية وهو مصاب بصمم مطلق لذا قيل الموسيقيّ هو الذي يستطيع أن يسمع بعينه وأن يرى بأذنه .

395 - ECCLESIASTICAL MODES (E.)
MODES ÉCCLÉSIASTIQUES (Fr.)

المقامات الكَنَسِيّة : (رَ رقمي ٩٩ و ٢٣٦) . نُسِبَت إلى الكنيسة المسيحية الغربية لأن الكنيسة لعبت دوراً هاماً في تطويرها وتثبيت قواعدها رغم انها هي نفس المقامات التي كانت تستعمل في موسيقى الشعوب الأوربية وفي مؤلّفات موسيقييها لما يربو على أحدى عشر قرناً . لقد اعتمدت الكنيسة المسيحية الغربية هذه المقامات أساساً لها منذ حوالي العام ٤٠٠ ميلادية عندما كان الترتيل

البسيط هو السائد وحتى بداية ظهور الهارموني (الانسجام أو الكساء اللحني) من العام ٩٠٠ وحتى ١٤٠٠ ميلادية . واستمرّ تأثير هذه المقامات حتى عهد پالسترينا (١٥٢٥ ـ ١٥٩٤) ومازال أثرها ملموساً حتى عهد باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) الذي أرسى أسس السلّم الموسيقي الجديد المُعدّل .



تاريخها : تأثرت هذه المقامات بموسيقى الإغريق وبالسلّم الموسيقي الذي وَضَعه فيثاغورث وبالرغم من أن هناك فوارقاً بين السلّم الحالي وبين سُلّم الإغريق فقد صار من المتعارف عليه ان يُتخَذ السلّم الحاليّ أساساً للبحث بقصد التسهيل . يمكننا أخذ فكرة عن هذه المقامات بالعزف على الملامس البيض لآلة البيانو . أما الملامس السود فهي اضافات مُسْتحدثة نتركها جانباً في البداية . كان للإغريق سبع سلالم موسيقية تأثرت بها الكنيسة الغربية وعندما قرّر أمبروز أسقف ميلانو (قُرابة ٣٤٠ ـ ٣٩٧ م) تنظيم موسيقى الكنيسة وترتيبها اعتمد أربعة مقامات فقط تبنّاها فيا بعد البابا غريغوري (غريغوري الكبير قرابة ٥٤٠ ـ ٦٠٤ م) وأضاف اليها أربعة أخرى فصارت ثمانية مقامات ، وفي وقت لاحق أضيفت أربعة أخيرة ليغدو المجموع اثنى عشر مقاماً .

طبيعة المقامات : تختلف المقامات باختلاف الأبعاد بين العلامات . ففي السلّم الحديث لايختلف دو الكبير ، مثلاً ، عن ره الكبير في أي من هذه الأبعاد بل يختلف فقط بالطبقة واذا عُزِفَ كلّ منها على حدة قد لايستطيع المستمع أن يلحظ اختلافاً بينهما إلاّ اذا كانت عنده القدرة السمعية المُطْلَقَة على التعرّف على الطبقة . أما الاختلاف بين المقامات الكنسية فهو اختلاف في الطبيعة كما يختلف حالياً السلّم الحديث الكبير (ماجور) عن الصغير (مينور) أي إنه اختلاف في النكهة .

المقامات الأمبروزية أو الأصلية : أربعة مقامات . يتألف كلّ منها من ثماني علامات : الأولى والخامسة منها ذاتا أهمية بارزة فالخامسة هي التي تسيطر على جوّ المقام وهي العلامة التي تُتلى عليها التراتيل الكنسية ، وعندما يريد الكاهن ختم سرده الطقوسي فانه يحطّ إلى العلامة الأولى لذا دعيت الأساس أو القرار وهي مشتقة من الراحة والاستقرار والختام .

المقام الأمبروزي الأول : من علامة ره حتى ره التي تعلوها ، كما تعزف على الملامس البيض للبيانو ، والمسيطرة أو السائدة هي « لا » وهو المقام الدوْري DORIAN .

المقام الثاني : من علامة مي حتى مي التي تعلوها والمسيطرة كانت السي ثم صارت فيما بعد الدو وهو المقام الفريجي PHRYGIAN .

والثالث من فا إلى فا والمسيطرة هي الدو وهو المقام الليدي LYDIAN .

والرابع من صول إلى صول والمسيطرة هي الره ، ويجدر بنا أن نذكّر إن العلامات هي دوماً البيض من ملامس البيانو فالفا هنا عادية لامرفوعة ولامخفوضة وهو المقام نصف الليدي MIXOLYDIAN . أما استبدال السي بالدو كسيطرة في المقام الفريجي فلأنّ الموسيقيين الأقدمين اعتبروا علامة السي هذه عابرةً غير مستقرّة لاتستحق كبير تقدير أو احترام فهي تسعى جاهدة كي تلحق بالتي بعدها (علامة دو) ولذلك اعتبرت الدو مسيطرة بدلاً عنها .

الاستطالات الغريغوارية : قام البابا غريغوري الكبير باعادة ترتيب المقامات الأصلية وباعادة تصفيفها بحيث تغدو المسيطرةُ قراراً أو أساساً وعلى هذا خرجت أربعة مقامات دُعيت بلاغية PLAGAL أي مُنحرفة أو مائلة وهي من لا إلى لا ومن سي إلى سي ومن دو إلى دو ومن ره إلى ره وسُمّيت بالترتيب : تحت الدوري ، تحت الفريجي تحت الليدي وتحت نصف الليدي . ثم صارت بعض التراتيل البسيطة تتعدى حدود مقام ما إلى نظيره المائل فظهرت المختلطة .

نظام غلاريانوس : بعد حوالي تسعماية وخمسين عاماً من عهد البابا غريغوري ، قام كاهن سويسري يدعى هنريكوس غلاريانوس بدراسةٍ لأوضاع الموسيقى الكنسية خَلُص منها إلى أنه يجب أن يوجد اثنى عشر مقاماً لاثمانية فقط وذلك باضافة أربعة مقامات جديدة وهي من لا إلى لا - المقام الإيولي AEOLIAN - وإمالته من مي إلى مي . ومن دو إلى دو - المقام الإيوني IONIAN - وإمالته من صول إلى صول ورفض مبدأ إحداث مقام من سي إلى سي لما اتهمت به من اهتزاز وعدم استقرار . وهنري هذا هو الذي أعطى هذه المقامات اسماءها الإغريقية رغم عدم صحتها أو دقتها

وهكذا يمكننا تلخيص ماسبق إن استتباب المقامات تمّ على ثلاث مراحل : الأولى على يد أمبروز في القرن الرابع والثانية على يد غريغوري (أو غريغوار) في القرن السادس والثالثة على يد غلاريانوس في القرن السادس عشر وقد قدّم كل منهم أربعة مقامات (رَ الشكل)

تطوّر المقامات وتفكك نظامها : كان الأقدمون يتفادون غناء المسافة الرابعة المُزادة (فا ـ سي) وذلك بخفض الأخيرة (سي) نصف صوت مما أدى إلى ظهور علامة موسيقية جديدة ، كما أدّى ذلك إلى إمكانية غناء المقام ذاته مرفوعاً مسافةً رابعة أو مخفوضاً مسافة خامسةً دون حدوث أي تغيّر في المسافات بين الأصوات (في السلّم الحديث تحوّل دو الكبير إلى فا الكبير) . ثمّ عمد الأقدمون إلى تفادي الرابعة المُزادة برفع علامة الفا نصف صوت . وفي البداية لم تكنْ توضع شارة للخفض بل يترك الأمر للمرتّل ، ثم ظهرت علامة الخفض ـ البيمول ـ دفعاً للّبْسِ ، وكانت أول علامة تكتب على الدليل (سي بيمول ، مخفوضة) ثم ظهرت الدييز ـ الرافعة ـ (فا دييز) وهكذا تتالى ظهور العلامات الخافضة والرافعة مما أدى ذلك لتفكك عرى المقامات واندفاع المقامين الإيوني (الكبير) والإيولي (الصغير) نحو المقدّمة . ويبدو إنّ من أسباب بروز هذين المقامين وتراجع المقامات الأخرى هو أنهما أكثر ملاءمة للإكساء الصوتي (الهارموني) ، وهكذا اندمجت كل المقامات تدريجياً وذابت في هذين المقامين وظهرت المفاتيح التي تدلّ على السلّم الموسيقي الذي يتبع أحد المقامين : الكبير (الإيوني) أو الصغير (الإيولي) ، ولكلٍ من هذين المقامين اثنتا عشرة طبقة بحسب أنصاف الصوت الاثنى عشر بعد تعديل السلّم الموسيقي بجعل المسافات بين أصواته متساوية ، صوت أو نصف صوت . والطريف في الأمر أن المقام الإيوني (الكبير) قد تسلّل خفية ، وقبل عهد غلاريانوس ، إلى الموسيقى الشعبية واستعمله الشعراء الجوّالون في غنائهم مما أكسبه اسم المقام العابث الفاسق الداعر (MODUS LASCIVUS) ولاشكّ إن الموسيقى الغربية قد فقدت بعضاً من جمالها بفقد هذه المقامات ولكنها ربحت بالمقابل ربحاً كبيراً بادخال

الهارموني (الإنسجام أو الإكساء الصوتي) والطباق (الكنترابنط) وغيرهما من فنون الموسيقى البوليفونية مما يتلاءم مع نفسية انسان العصر وفكره أكثر من الموسيقى اللحنية المونوفونية (وحيدة الصوت) كالموسيقى الشرقية ، ونأمل ألاّ يُساء فهم مثل هذا الكلام على أنه قدح بموسيقى الشرق أو تمجيد لموسيقى الغرب بل هو اعتراف بحقيقة واقعة ، ولا يكون تقدّم الشعوب بتجاهل المصاعب وتفاديها بل بمواجهتها والتغلّب عليها . ولقد أثبت الفكر العربي أصالته عبر القرون وأثبت مقدرته على تمثّل كل غريب وجديد وعلى الخروج منه بنتاج عربي أصيل متميّز . وتشكّلُ الموسيقى العالمية الحديثة شكلاً من أشكال هذه التحديات العديدة الكبيرة التي لايحلو تحدّيها والفوز عليها إلا لعظماء القلب والفكر ، وهو مانأمل إنه حادثٌ في المستقبل القريب .

قد يستغرب البعض أن يجرّنا الحديث عن المقامات الكنسية إلى الحديث عن الموسيقى العالمية ككلّ . والجواب على ذلك إن هذه المقامات القديمة لم تكن في يوم من الأيام مقصورةً على الكنيسة وحدها ، فقد كانت كلّ ألحان الشعوب تُصاغ من هذه المقامات ذاتها ، وهذا لايعني ألاّ يُعتَرَفَ للكنيسة المسيحية الغربية بفضلها في تصنيف المقامات وترتيبها بل وفي تشجيع معظم مؤلفي الغرب أن يكتبوا أروع المؤلفات الموسيقية الدينية المؤمنة حتى لم يعد سماعها وأداؤها حكراً على الكنائس بل صار موفوراً للانسانية جمعاء تستمتع بها وتتأثر بصدق مشاعرها الروحانية متخطّية بذلك حدود اللغات والأمم والعقائد . نقف عند هذا الحدّ خيفَةَ أن نكون قد تخطّينا حدود الغاية المطلوبة ، والله من وراء القصد .

396 - ECHAPPE (Fr.) — الهاربة أو المنفلتة (العلامة أو النوطة ـــ)

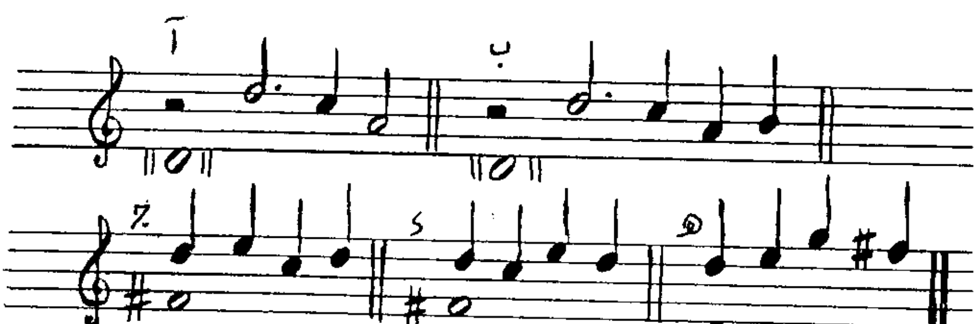
ESCAPE NOTE (E.)

CHANGINEG NOTE (E.)

NOTA CAMBIATA (It.)

العلامة المتغيّرة أو المتبدّلة : صيغة نغمية تتميّز بقفزة ثلاثية ـ أي ذات بُعْد ثلاثي ـ بعيداً عن علامة عابرة ، لاتشكّل جزءاً

رئيساً من الائتلاف . كان الشكل القديم المستعمل في العهد البوليفوني يتألّف من ثلاث علامات ـ نوطات ـ كما في الشكل آ ، والعلامة الهاربة في هذا المثال هي ـ لا ـ . ثم استبدلت هذه الصيغة بأخرى تتألف من أربع علامات ـ ب ـ . أما في عصر الطباق الموسيقي (الكنترابنط) أي منذ عهد باخ وهاندل ومن تلاهما فقد ظهرت ضروب أخرى من هذه الصيغ كما في الأمثلة ـ جـ و د و هـ ـ . وعندما تتجه العلامة المتغيّرة في اتجاه معاكس لاتجاه الحركة السّلمية فانها قد تُدعى الهاربة أو المنفلتة . ففي المثال جـ يمكننا أن نسمّي دو هاربةً لأنها نازلة مع أن الاتجاه السّلمي (ره ـ مي) كان صاعداً واذا تلتها علامة تعود بالنغم إلى العلامة الأصلية دُعيت هذه (العلامة الآيبة) وهي (ره) الأخيرة في المثالين (جـ و ـ د) . رَالشكل



396..

397 - ELECTRIC GUITAR (E.) القيثار الكهربي (تابع القراءة)

GUITARE ÉLECTRIQUE (Fr.)

398 - ELECTRIC INSTRUMENTS (E.) الآلات الموسيقية الكهربية :

هي اختراعات حديثة العهد ، تقسم إلى صنفين رئيسين : الأول ينجم الصوت فيه عن استعمال قدرة كهرطيسيّة (كهربية ـ مغناطيسية) ونقله عبر الأثير . والثاني ينجم الصوت فيه عن ذبذبات كهربية تحدث في الآلات الموسيقية نفسها ولذا تُدعى بالآلات نصف الكهربيّة .

الآلات الالكترونية 399 - ELETRONIC INSTRUMENTS (E.)

مرثاة : أغنية أو مقطوعة يغلب عليها طابع الحزن والكآبة . 400 - ELEGY (E.)

ÉLÉGIE (Fr.)

طريقة وضع الشفتين وإطباقهما 401 - EMBOUCHURE (Fr. ,E., etc.)

على فم الآلة الموسيقية في العزف على آلات النفخ النحاسية . أصل الكلمة افرنسي ، لذا قد يقصد بها في اللغة الفرنسية فم آلة النفخ نفسه .

البوق الانكليزي : آلة نفخ خشبية من عائلة 402 - ENGLISH HORN (E.)

الأوبوا ، وهي الثانية في ترتيب هذه العائلة : COR ANGLAIS (Fr.)

فالأبوا من طبقة السوپرانو والبوق الانكليزي من طبقة الآلتو وتنخفض طبقته الصوتية بمقدار بُعْدٍ خماسي عن الأبوا . وأخفض علامة فيه هي السي التي تكتب تحت أسطر المدرّج الموسيقي ولكنها تصوّت (مي) التي تقع تحت السي بخمس علامات . لذا فالبوق الانكليزي من آلات التحويل : أي أن نوطاته الموسيقية تكتب أعلى بخمس علامات من العلامات الحقيقية . ونظراً لأنه أطول من الأوبوا فان قصبته تتّصل به بأنبوب معدني رفيع ومعوجّ ليسهل وصولها لفم العازف . لهذا دعيت هذه الآلة بالفرنسية البوقَ المعوجّ أو المزوّى COR ANGLE ثم أسيئت كتابة هذه الصيغة وحوّرت مع الزمن إلى ANGLAIS فكانت رميةً للإنكليز من غير رام .

بدأ استعمال البوق الانكليزي في عهد غلوك وموتسارت ولكن لم يستتبّ موقعه في الأوركسترا إلاّ في عهد ڤاغنر . للبوق الانكليزي صوت رخيم وعاطفي ، وتأثيره بليغ في المقاطع الموسيقية البطيئة الممدودة .

الأبعاد المتعادلة : كانت 403 - ENHARMONIC INTERVALLES (E.)

نُظُم الموسيقى الاغريقية INTERVALLES ENHARMONIQUES (Fr.)

القديمة تؤمن بوجود أبعاد أو مسافات صوتية ضئيلة بين بعض العلامات . وبعد ادخال السلّم الموسيقي المعدّل صارت هذه الأبعاد المتناهية في الصِغَر وهمية أكثر منها

حقيقيّة ، فعلامة سي دييز (رافعة) هي نفس علامة (دو) وكذلك فا دييز (رافعة) هي نفس علامة صول بيمول (خافضة) لاسيا حين العزف على آلة البيانو . وعلى هذا الأساس يستطيع الموسيقي أن ينتقل من سلّم موسيقي إلى آخر بأن ينتقل من علامة على أنها فا (دييز) إلى علامة تتلوها ومعادلة لها ولكن يتخيّلها المؤلف على أنها صول بيمول ويتابع بهذا التصور الجديد للسلّم ، ويدعى ذلك بالانتقال المعادل .

404 - ENHARMONIC SCALE (E.) السلّم المعادل : يرتكز في أساسه على ماسلف من كلام . فالسلّم الموسيقي صول بيمول ماجور (الكبير) هو السلّم المعادل لفا دييز ماجور (الكبير) .

405 - EPISODE (E.,Fr.) وصلة ، فِقْرة : في الروندو هي المقاطع الموسيقية المختلفة التي تؤدّى بين اللازمة المُعادة . ففي روندو يتألف من مقاطع ,C , A , B , A A , D , A تُدعى الأقسام D , C , B وصلات أو فقرات وكانت تُدعى بالفرنسية COUPLETS (رَ 303) . أما في الفوغة (رَ الشكل الموسيقي) فبعد أن تدخل الأصواتُ الواحد تلو الآخر تؤدّي « الموضوعَ » نفسه بشكل متتابع يلاحقُ فيه كل داخلٍ من سبقه ، وبعد أن ينتهي « عَرْضُ » هذا الموضوع ، تستطرد الأصوات أداءها بعزف (أو بغناء) أفكار موسيقية MOTIFS جديدةٍ أو مستقاة مما سبق من موسيقى وكأنها تناقش الموضوع الموسيقي وتفنّده وتعتصر منه ماكَمُنَ فيه من جمال موسيقي وطرافة ، وكثيراً ماتجد في ذلك فرصة مواتية للانتقال إلى سلمٍ موسيقي آخر .

405 - EQUAL TEMPERAMENT (E.) السلّم المعدّل بالتساوي ، أو المتعادل :
TEMPERAMENT ÉGAL (Fr.) الترجمة الحرفية لهذا المصطلح الموسيقي هو المِزاج المتعادل ويقصد به هنا السلّم الموسيقي .

اذا درسنا السلّم الموسيقي بشكل حسابي علم - صوتي وجدنا إن الثّمانية (البُعْد

الثماني أو الأوكتاف) يتألف من اثني عشر نصف صوت . أما الخماسية الكاملة (البُعد أو المسافة الخماسية) أو التامّة فلا تتألف من سبعة أنصاف صوت فقط بل من ٧,٠١٩٥٥٠٠٠٨٦٥٤ نصف صوت . ينجم عن هذه الزيادة الطفيفة على العدد التام (٧) أن تتواجد سلسلة لامتناهية من أصوات جديدة يفصل بين كل واحد منها ومايليه ٧ + ذلك الكسر المتناهي في الصغر المؤلّف من اثني عشر رقماً ، الأمر الذي يخلق مشكلة عويصة بالنسبة للپيانو وللآلات الوترية ذات الملامس ألا وهي الحاجة إلى عدد هائل من الأوتار يُسوّى (يدوزن) كل منها على الخماسية الكاملة التي تزيد عن سابقتها بـ ٧ أنصاف صوت + ذلك الكسر العشري المذكور : (دو ـ صول ـ ره ـ لا ـ مي ـ سي ـ فا دييز ـ دو دييز ـ صول دييز ـ ره دييز ـ لا دييز ـ مي دييز ـ سي دييز) وهكذا دواليك بعدد الثانيات (الأوكتافات) المطلوبة . والمخرج العملي الوحيد من هذه المعضلة هو استعمال وتر واحد لكل من الصوتين القريبين جداً من بعضهما (مثلاً دو وسي دييز ؛ فا دييز وصول بيمول الخ) ويكون ذلك بأن تقسم الثانية (الأوكتاف) إلى اثني عشر نصف صوت متساوية ، وهو حلّ وسط وعملي وإنْ لم تنطبق أصواته على تلك الناجمة عن دراسة الصوت بشكل علمي وهو أسهل تطبيقاً واستعمالاً . يظن البعض إن يوحنا سيباستيان باخ هو الذي اخترع هذا السلّم ، والواقع إنه قد استعمل في عدة بلدان أوروبية منذ القرن الخامس عشر ، ولكن تأثير باخ كان بليغاً عبر القرون عندما ألّف في العام ١٧٢٢ كتابين يحويان (٢٤) مقدمة وفوغة للپيانو (كلاڤير) مستخدماً هذا السلّم فكانت هذه المقطوعات حُجّة خالدة في تثبيت دعائم السلّم المعدّل .

407 - EQUAL VOICES (E.)
A'VOIX E'GALES (Fr.)
VOCI EGUALI (It.)

بأصوات متماثلة : يقال عن مقطوعة غنائية (كورال) تكتب الأدوار فيها لأصوات من نفس الطبقة ، مثلاً لصوتين أو أكثر من طبقة السوپرانو ..

408 - ESALTATO (It.) متحمّس ، متوتّر : مصطلح موسيقي أدائي .
EXALTED, EXCITED (E.)
EXCITE' (Fr.)

409 - ESCAPE TONE (E.) العلامة الهاربة أو المنفلتة
(رَ 396) .

410 - ESPRESSIVO (It.) معبّر

411 - ESSENTIAL NOTE (E.) علامة أساسية : علامة موسيقية
NOTE ESSENTIELLE (Fr.) تشكّل جزءاً أساسياً وضرورياً
للإئتلاف بعكس العلامة العابرة أو الممدودة (المعلّقة) أو التزيينية التي تعتبر علامات غير أساسية .

412 - EUPHONIUM (E.) TUBA TENOR توبا تينور : تتألف التوبا
EUPHONION أو BARYTON (G.) من مجموعة من آلات النفخ النحاسية
BOMBARDA (It.) كبيرة الحجم ، غليظة الطبقة (باص) . وقد برزت
أهميتها ورسخت دعائمها في الأوركسترا في عهد فاغنر الذي استعمل منها ثلاثة أنواع : ١ً ـ التوبا التينور وهي من آلات التحويل (سي بيمول) وهي اليوفونيوم . ٢ً ـ التوبا الباص (الجهيرّ) مفتاحها فا ، وكلا الصنفين قريب في تركيبه من البوق ولكن لُمعة التوبا أوسع . ويصنع بعضها للفرق العسكرية بشكل دائري واسع يَدخِلُ العازف جذعه فيه ليسهل حمله والسير به .
٣ً ـ كونترباص توبا (الأجهر) : وهي أكبرها حجماً وأغلظها طبقة ، قطعتها الفموية كالقديح ومفتاحها (دو) وأخفض علامة تؤديها هي مي بيمول تحت مدرّج فا بخمس مسافات . وللتوبا أسماء وأشكال عديدة أخرى تختلف بين بلد وآخر وعصر وآخر نحجم عن ذكرها خيفة الإطالة والإملال .

413 - EURYTHMICS (E.) الانسجام الإيقاعي : هو التناغم بين

الموسيقى وحركات جسم الانسان . EURYTHMY(E.)

مصطلح أطلقه أتباع الفيلسوف الألماني رودولف شتاينر (١٨٦١ ـ ١٩٢٥) واعتبروه فناً جديداً وإن لم يطلع بجديد في عالم رقص الباليه . كذلك روّج له إميل جاك ـ دالكروز في سويسرا .

414 - EVADED CADENCE أو BROKEN, DECEPTIVE, FALSE, INTERRUPTED(E.) CADENCE EVITE'(Fr.)

الوقف المبتور أو المُجْتَنَب أو الكاذب : محطّ عابر في أثناء ترتيل جملة موسيقية ، من المسيطرة (صول) إلى ماتحت المتوسطة (لا) في مقام دو .

415 - EXERCISE(E.) EXERCICE(Tr.) UEBUNG(G.)

تمرين ، تمارين : مقطوعات موسيقية مؤلّفة لآلة موسيقية ما ، غايتها تدريب أصابع العازف أو حنجرة المغنّي أكثر من العناية بمحتواها الموسيقي .

416 - EXPOSITION(E.,Fr.)

العَرْضُ : هو أداء « الموضوع » ، الأول أو الثاني ، ـ عزفاً أو غناءً ـ في الشكل « الثنائي المُرَكّب » (الذي يُدعى أيضاً « شكل الصوناته ») .

أما في الفوغة فالعرض هو أداء الموضوع من قِبَلِ « الأصوات » المختلفة (سواء أكان « الصوت » معزوفاً أم مُغَنّى) واحداً بعد الآخر حتى تُتِمَّ كل « الأصوات » أداء موضوعها .

417 - EXPRESSION(E.,Fr.)

التعبير : في الأداء الموسيقي هو تلك اللمسات العديدة التي يُضفيها العازف من عنده ولاسيا اذا اكتفى المؤلّف الموسيقي بكتابة العلامات الموسيقية لاأكثر ، مثل درجات القوة والخفوت والسرعة وتبديل السرعة من إسراع أو إبطاء . بدأت علامات التعبير الموسيقي بالظهور في إيطاليا في القرن السابع عشر عندما نشر ماتسوكي D. MAZZOCCHI في العام ١٦٣٨ مجموعة من المارديغال وعليها اشارتا F و p . ونظراً لاشتهار المدرسة الموسيقية الايطالية وذيوعها وانتشارها في تلك العصور فقد نشرت معها التعابير الموسيقية الايطالية ،

وكان استعمال هـذه التعـابير في البـدايـة مقتصـداً وموجزاً ثم ازداد مع ظهور الحركـة الرومنتيكية . ثم حـاول العـديـد من المؤلفين الموسيقيين كتـابـة التعـابير الموسيقيـة بلغـاتهم فـالافرنسيون ـ من أمثـال آل كوپران وديبوسي ـ كتبـوا بـاللغـة الفرنسيـة والألمان ـ من أمثـال شومـان وڤـاغنر وغيرهـا كُثُرٌ ـ بـالألمـانيـة وهكـذا حتى صـار يتـوجب على المـوسيقي أن يتعلّم هـذه التعـابير بلغتهـا ليتمكّن من أداء المـؤلفـات المـوسيقيـة حسب رغبـات مـؤلّفيهـا . ثم ظهر شطـط في استعمال هـذه التعـابير من اشارات وكلمات وجُمَلٍ جعلت الموسيقي مقيّداً لا يكاد يستطيع التعبير عن ذاته من خلال المؤلَّف الموسيقي الذي يؤديه مما حدا بالعازفين إلى اعتبار هذه التعابير للدلالة والتوجيه لا للتكبيل والتقييد ..

هناك تعابير تُحدّد سرعة المقطوعة وثانية لتبيان أداء الجُمَل الموسيقيـة وثـالثـة تبيّن النبرات والشدّات ورابعة توضح تموّجات السرعة من تسارع وتبـاطؤ ، تعجيل وتلكؤ ، وخـامسـة تحـدد استعمال القوس في الآلات الوتريـة المقـوّسـة وأخرى ترسم تصاعد الجُمَل الموسيقية وتخافُتَهـا ... يتّضح من دراسـة تـاريخ الموسيقى إن الاهتمام بكل مظاهر التعبير الموسيقي وأشكاله لم يَـكُ ملموسـاً في العهود القـديـمة من التطـوّر الموسيقي ولكنـه تطوّر وتنـامى بشكل تـدريجي ومتواصل ، وهو مـا يفسّر تفضيـل باخ للكلاڤيكورد على الهـارپسيكورد وتفضيل الموسيقيين للپيـانو عنـد ظهوره على الكلاڤيكورد نظراً للإمكانيـات التعبيريـة الأفضـل والأوسع التي تتميّـز بهـا كل آلـة موسيقية خلفت سالفتها . كذلك أدّى تطوّر « الشكل الموسيقي » ونضجـه المتمثّل في الشكل « الثنـائي المُرَكّب » (أي شكل الصـونـاتـه) إلى ازديـاد متطلّبـات الأداء والتعبير . وتبرز في هذه المراحل التاريخيـة المتتـاليـة أسماء أعلام متميزين من أمثـال باخ وهاندل ـ هايدن وموتسـارت ـ بيتهوڤن ـ برليوز ـ ڤـاغنر وريتشـارد شتراوس بـالنسبـة لـلأداء الأوركسترالي وهكـذا حتى شكا بعض المـؤلّفين الحـديثين (مثـلاً ستراڤنسكي) من أن مـوسيقـاه تُعـزَف بطريقـة تفيض تعبيراً وعـاطفـة ! وهـو مالا يرغبون به ومالم يعنونه .

418 - EXPRESSIONISM (E.)
EXPRESSIONISME (Fr.)

المدرسة التعبيرية : اذا اعتُبِرَتْ المدرسة الإنطباعية اتجاهاً فنياً يحاول وصف مظاهر الحياة والوجود كما يراها الفنان من الخارج ، فالتعبيرية حسبما يراها المروّجون لها هي محاولة لرسم مظاهر الحياة كما يراها الفنان من داخله . لذا يرى البعض إن المدرسة الانطباعية هي مدرسة « واقعية » بعكس التعبيرية التي تؤكد على « الذات » .

بشّر للتعبيرية في الرسم الرسّام الروسي كاندنسكي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٤) وفي الموسيقى صديقه آرنولد شونبرغ (١٨٧٤ ـ ١٩٥١) الذي حاول منذ بداياته القذف بقواعد الموسيقى جانباً قبل أن يطلع علينا بالمدرسة اللامقامية التي رمت بالسلّم الموسيقي الدياتوني عرض الحائط ، أو هكذا خُيّلَ لها في محاولات تخريبيّة خبيثة مريضة . لاشك إن المدرسة التعبيرية محاولة من المحاولات الكثيرية واللامتناهية في التجديد لاأكثر . واذا كان الأمر لايعدو مجرّد تجديد فلاشك إن كل الموسيقيين الخالدين كانوا مجددين في عصرهم إذ أدخلوا جديداً في عالم الفن والتعبير الانساني دونما وجود رغبة خبيثة في تهديم كلّ ماأتى به الأولون ولنذكر على سبيل المثال من بين أعاظم المجددين : باخ وهاندل ـ هايدن وموتسارت ـ بيتهوڤن ـ ڤاغنر وبرليوز وليست ـ وغيرهم .

419 - EXTEMPORISE (E.) EXTEMPORIZATION.
IMPROVISER (Fr.) IMPROVISATION,

ارتجل (قسّم) الارتجال (التقاسيم) :

كان الارتجال في الموسيقى يُعتبر ، لقرن خلى ، فناً رفيعاً وبالغ الأهمية . وقد تراجع بالتدريج مع تحسّن الكتابة الموسيقية حتى تضاءل دوره في الموسيقى الكلاسيكية ولكنه لم يزل قائماً في موسيقى الجاز وعند الشعوب الشرقية وهو مايعرف في بلادنا بالتقاسيم .

نظرة تاريخية : بدأ الارتجال بالظهور في القرن الثاني عشر وتطوّر حتى القرن

السابع عشر في التراتيل الكنسية عندما كان يصدح (أو تصدح) مُغني السوپرانو على هواه في أثناء « الترتيل البسيط » فيرتّل حسبما تسعفه قريحته بأنغام تساير التركيب الهارموني للترتيل . ودُعي ذلك DESCANT أو DISCANT أوDE'CHANT اللحن المضادّ أو المقابل أو الحرّ .

أما بالنسبة لموسيقى الآلات فقد كانت بعض المقطوعات كالتوكاتا TOCCATA والفانتازيا FANTASIA والمقدّمة PRELUDE وغيرها عبارة عن مقطوعات يرتجلها المؤلّف الموسيقي في وقتها وكثيراً مالم تكن لتجد فرصتها للبقاء بكتابتها موسيقياً ، ويظهر على ماسجّل منها طابع الارتجال والعفوية .

وكان ارتجال عازفي الآلات في أوروبا القرن السابع عشر يُدعى تقاسياً DIVISIONS ولاندري كيف يمكننا تفسير اضمحلال فن التقاسيم في الغرب وبقائه ، على بساطته وعفويته إن لم نَقُلْ على بدائيته ، في الشرق .

كذلك كان يتّضح طابع الارتجال في « الباص المُرَقّم » الذي كان يؤديه عازف الهارپسيكورد حسبما يحلو له ، وما كان عليه إلاّ أن يتقيّد فقط بالإئتلافات التي كانت تحدّد بأرقامها المعروفة . كذلك التزيينات التي كان يكتب بعضها المؤلف الموسيقي نفسه وكان يترك للمغني أو العازف حقّ إضافة مايحلو له من هذه التزيينات .

وقد كانت العادة في عهد باخ وهاندل أن يقتصر المؤلّف الموسيقي في كتابة مقدّمة PRELUDE المتتابعة الموسيقيةعلى بضع ائتلافات متتالية ويترك للعازف حرّية نسج مقدمة على أساسها . ولما لاحظ المؤلفون البونَ بين ماكان يجول في فكرهم وبين مايعزفه العازفون المرتجلون صاروا يكتبون مقدّماتهم كاملةً .

والكادنزا CADENZA مثال على الارتجال الموسيقي إذ كان ومازال يعطى الحق للعازف المنفرد في نهاية حركة الكونشرتو أن يرتجل مقاطع موسيقية تعتمد على ألحان الحركة نفسها ، وكانت تلك اللحظات فرصة ثمينة للعازف كي يُظهر براعته في

العزف والتأليف ، بل صار المشهورون من العازفين يطبعون ماتتفتّق عنه قرائحهم كي يعزفها من شاء من العازفين الأقل موهبة في هذا الفن .

يعتبر القرنان الثامن عشر والتاسع عشر عصر ازدهار موسيقى الارتجال ، وكانت قدرة الموسيقي على الارتجال تعتبر ميزاناً لتقييمه ، فقد عُرِفَ عن باخ الكبير أنه كان يجلس إلى أرغنّه ساعة أو ساعتين يعزف ماتفيض به قريحته دون توقف أو تلكؤ ، وكانت مُرتَجلاته تأخذ أشكالاً موسيقية محددّة : مقدّمة ثم فوغة ثم مقطوعة خفيفة ثم مقدّمة « كورال » ثم فوغة مرة ثانية وهكذا ... وكان الكثيرون يرون إن الموسيقى المرتجلة كانت أروع بكثير وأعمق أثراً في نفوس المستمعين من الموسيقى المكتوبة والمحضّرة .

وقد اشتُهرَ موتسارت منذ صغره ببراعته في الارتجال . ويروى عن بيتهوفن إنه كان يجلس إلى البيانو فيتناول أي لحن يُعطى له مهما كان بسيطاً فيخلق منه أروع الموسيقى حتى كان الكثيرون يتأوهون ويجهشون بالبكاء . وقد حاول العديد من مشاهير الموسيقيين في عهده أن ينافسوه في فن الارتجال هذا في أمسيات مشتركة كانت مساجلاتها الموسيقية تشدّ انتباه المستمعين وتُذكي حماسهم وتأثرهم .

وقد اشتهر فرانز ليست بقدرته الفائقة على ارتجال المقطوعات الموسيقية الرائعة التي تعتمد على أي لحن يقدّمه أيٌّ من الحضور . واشتهر كذلك أمثال سيزار فرانك وسان سن وغيرهما كُثُر في الارتجال على الأرغن والبيانو .

والارتجال في الغرب ، مَثَلُه مَثَلِ التقاسيم في بلادنا حتى يومنا هذا ، تتناقص فيه عوامل الجِدّة والعفوية مع الإعادة والتكرار وتصبح لدى كل موسيقي جُمَل وتعابير موسيقية محددة وثابتة يكررها في كل مناسبة على أنها مرتجلة وبنت وقتها وهي في الواقع محفوظة مُعادة مكرورة .

وقد راج في وقت من الأوقات فن الارتجال الثنائي يقوم به موسيقييان اثنان في آن واحد كما كان يفعل موتسارت مع كليمانتي CLEMENTI وبيتهوفن مع ڤولفل

WOELFL وموشلز MOSCHELES مع مندلسون على آلتي البيانو وكذلك بيتهوفن مع ريس RIES على آلتي البيانو والكمان . والأغلب أن ماكان يحدث هو أن يبدأ الأول بأداء مقاطع موسيقية معينة فيرافقه الثاني ثم يتبادلان الموقع بأن يقوم الثاني بأداء مقاطع موسيقية بنفس الأسلوب أو مع بعض التعديل فيه فيرافقه الأول بما يتلاءم مع ذلك من ائتلافات أو أنغام مقاربة . ولاشك إن هذا الارتجال المزدوج كان يتطلّب الكثير من الذوق والخيال وسرعة البديهة .

420 - ELECTRO - ACOUSTIC (E.) — كهرصوتي

ELECTRO - ACOUSTIQUE (Fr.)

421 - EMISSION (E., Fr.) — بثّ ، إرسال

422 - ETHNOMUSICOLOGY (E.) — علم موسيقى الشعوب : يهتم بدراسة تأثير الأعراق والثقافات والمجتمعات على الموسيقى وتطورها وبالعكس .

ETHNOMUSICOLOGIE (Fr.)

423 - EXPERIMENTAL MUSIC (E.) — موسيقى تجريبية .

EXPÉRIMENTAL (MUSIQUE) (Fr.)

424 - EXTENSION (E., Fr.) — مدّ ، بسط ، تمديد .

F

425 - F (E., G.) — فا : هي العلامة الرابعة في سلّم دو الكبير أو الصغير . وقديما وحسب نظام غيدو داريتسو GUIDO D'AREZZO كانت الفا هي العلامة الرابعة من أي سلّم كبير والعلامة السادسة من أي سلم صغير (مينور) .

FA (Fr.)

للبحث صلة

الصيد

تاريخه ، مصطلحاته ، كتبه

الدكتور صادق آئينه وند

لقد اعتنى الانسان بالصيد والطرد منذ ماقبل التاريخ . عرفه الانسان الأول منذ أن أحس بالجوع ، فاتخذه وسيلة لتحصيل قوته . « اذاً فقد كانت الحاجة الى الغذاء واستدامة الحياة ، هي الدافع الأول للصيد »[1] ، الذي عرفته كلّ الأمم في بداوتها ، وصورته كل الشعوب في آدابها الأولى .

« وفي أقدم النصوص البشرية نجد صدى لهذا الصراع بين الانسان والحيوان ، فلقد عرضت ملحمة كلكامش لذكر الصياد ، وصيد الظباء ، وحمر الوحش . كما أن التوراة أخبرتنا أن نمرود وابنه كوش قد مارسا الصيد ، ومثلهما اسماعيل (ع) . ومن حديث لابن الكلبي عن دخول الخيل جزيرة العرب نفهم أن سليمان (ع) كان لهجا بالصيد ، حاذقا فنونه . »[2]

ثم تطور الدافع الى الصيد بتطور الانسان مدنياً وحضارياً ، فلم يعد حاجة غذائية أو حياتية فقط ، بل حاجة وسلوى وترفاً ولذة . وعرفته شعوب الشرق في تواريخها ، مادة حياة أو مادة متعة .

---

(١) الدكتور ممدوح حقي ، الصيد والطرد عند العرب ، مقدمة ص ٨ .

(٢) الدكتور عباس مصطفى الصالحي ، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني ، ص ١٤ . نقلاً عن سفر التكوين ، أنساب الخيل ، مناهج السرور للفاكهي .

الفرس ذوو قدم راسخة في فن الصيد وآدابه ، ودراية واسعة بضواريه وجوارحه ، وسبق ملحوظ في الاهتداء الى وسائله وآلاته ، فقد روي أن أول من صاد بالبازي أحد ملوك فارس[٣] .

والجاحظ يقول : « ان البازي أعجمي »[٤] . والمنكلي يؤكد أولية العجم في تضرية البازي وتأديبه وحسن القيام عليه ، فيروي عن أصحاب التجربة قولهم : إن البازي لايصلح له من الأشياء الا القفاز وهو مما ابتكرته العجم[٥] .

والفرس أيضاً هم أول من ضرّى الزُّمّج ، وكانوا يذمون من لا يصيد به ، ويقولون : انه ناقص المعرفة بالصيد ، وذكر الحكماء من العجم أن أحد الملوك وهو « أردَشِير » نظر يوما الى صورة البازي والى الزُّمّج فعرف الزُّمّج بمشابهته للبازي فضرّاه على الصيد ، ولم يشاركه في تضريته وتأديبه أحد . وقيل أيضاً : انّ أول من ضرى اليُؤيُؤ على الصيد واصطاد به ملك من ملوك فارس هو « بَهْرام جُور » (هو ابن يَزْدجِرْد وقد ولي الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م) وذلك لأنه شاهد يؤيؤاً يطارد قُبَّرَةً ويراوغها ويرتفع وينحط معها ، فما تركها الى أن صادها فأعجبه ، وأمر به فأُدّب وضرّي ثم جعل يصيد به[٦] .

---

(٣) الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، الصيد عند العرب ص ١١ .

(٤) الحيوان ، ج ٦ ، ص ٤٧٨ [قال الجاحظ : « والبازُ والفهدُ من جوارح الملوك ، والشاهين والصقر والزُّرّقُ واليؤيو . وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازي ، لأن ذلك من عمل البازيار ، ويستهجن حمل الصقور والشواهين وغيرها من الجوارح . وما أدري علة ذلك . إلا أن الباز عندهم أعجمي ، والصقر عربيّ » . / المجلة] .

(٥) المخطوطة ، (ورقة ٥٩ أ) .

(٦) النويري ، نهاية الارب ، ج ١٠ ، ص ١٩٩ .

والجاحظ يتحدث[٧] عن ولع ملوك فارس بالصيد فيقول : « وزعموا ـ وكذلك هوفي كتبهم ـ أن ملوك فارس كانت لهجةً بالصيد ، الا أن (بهرام جور) هو المشهور بذلك في العوام » . ومن مظاهر ولع الفرس بالصيد ما روي من أن « فِيرُوز بن قُبَاذ » (ولي الحكم بعد أبيه قباذ وقتل في حرب القياصرة) الملك الفارسيّ ألح في طلب حمار أخدريّ[٨] .

« وكانت ملوك الاعاجم تجمع أصناف الحيوان في حظائر ، وتدخل أصاغر أولادها عليها وتعرفها صنفا صنفا منها ، لكيلا يُنسبوا الى الجهل إذا كبروا ولم يكونوا رأوها في صغرهم »[٩] .

وكانت للملوك فارس رحلات صيد صاخبة يحتم عليهم العرف أن يقوموا بها ، فقد جاء في كتاب « قصة الحضارة » لِول ديورانت : « أن حياة الملك الفارسي كانت مثقلة بالواجبات والتبعات التي لا آخر لها ، فقد كان يُنْتظر منه أن يخرج الى الصيد والقنص بلا خوف ، وكان يخرج اليه في هودج مزركش تجره عشرة من الجمال وعليه ثيابه الملكية ، وكانت تحمل عرشه سبعة جمال وتُقلّ شعراءه ومنشديه مائة جمل ، وقد يكون في ركابه عشرة آلاف فارس ، وكان عليه ـ كما يبدو من النقوش السَّاسَانية ـ أن يواجه بنفسه وَعْلاً أو نَمِراً أو أسداً »[١٠] .

---

(٧) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٨) الحمارُ الأخْدَري : نسبة الى أخْدَر وهو فرس كان لأردشير فتوحش وخرجت من نسله حمر رائعة الشكل عظيمة الجسم . (الصيد عند العرب ، ص ١٥) .

(٩) الصيد عند العرب ، ص ١٦ . نقلاً عن البيزرة [كتاب البيزرة ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي ، ص ٢٢ / المجلة] .

(١٠) قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الرابع (الترجمة العربية) ، ص ٢٨٥ .

وكانت للصيد آدابه عند الفرس ، « فكان الملك من ملوك فارس اذا عمد الى الركوب للصيد دفع أصحابُ ركابه سوطه الى بطانته - وهم خاصته - ودفعته الخاصة الى الخدم ، وأدخله الخدم الى موضع نسائه فناولته اياه امرأة ثيّب ، وخرج من عندها وهو بيده ... وكانت الجوارح تنتصب على كنادرها[1] من ناحية وساده نحو رأسه ، والضواري - وهي الكلاب والفهود وبنات عرس - من ناحية ممدّ رجليه ، والخيل أمامه أو عن يمينه ، وكل من شهد معه الصيد حاش عليه العانة والسرب ،[١١] حتى يكون الملك يتصيدها ، أما هم فيتصيدون سائر الوحش والسباع مالم ينهوا عن ذلك »[١٢] .

فصاحب المصايد يقول عند الحديث عن كيفية امساك الجارح واطلاقه : « ان ملوك فارس كانت تحمل البازي على اليسار وكان من « الآيين »[١٣] أن يأتي البازيار والجارح على يساره ، فيعارض الملك ورأس كل واحد منهما الى كفل الآخر ، فيحوله من يساره الى يسرى الملك ، ثم أردف يقول : وهذا هو مذهب العرب في امساك الجوارح »[١٤] .

وكان ملوك فارس يخصون بيوتهم بجلود الأسود والنمور ويتفاءلون ويتشاءمون لدى خروجهم الى الصيد[2] .

[(1) جاء في تاج العروس (كندر) : « والكندرة : مجثم البازي الذي يُهيأ له من خشب أو مَدَر . وهو دخيل ، ليس بعربيّ » / المجلة] .

(١١) العانَةُ : قطيع من حُمُر الوحش ، والسِّرْبُ : القطيع من الظباء .

(١٢) بازيار العزيز بالله الفاطمي (ظنا) ، البيزرة ، تحقيق ، محمد كرد علي ، ص ٢٩ .

(١٣) الآيين : القواعد المتبعة .

(١٤) كشاجم ، المصايد والمطارد ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس ، ص ٦١ .

[(2) الصيد عند العرب : ١٨ نقلاً عن المصايد والمطارد : ١٧٢ ، ٢٣٨ / المجلة] .

الصيد عند الروم

كان الروم ـ وهم الأمة الثانية التي اختلط بها العرب ـ مغرمين بالصيد أيضاً ، سباقين الى تضرية بعض جوارحه وتأديبها فهم أول من لعب « بالشواهين » ولم يسبقهم الى اقتنائها أحد[١٥] .

روى المسعودي في مروج الذهب عن هاشم بن حديج قال : « خرج (قسطنطين) ملك مقدونية يتصيد بالبزاة حتى انتهى الى خليج بُنطس الجاري الى بحر الروم ، فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد ، فنظر الى شاهين يتكفأ على طير الماء ، فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته وجرأته على صيده ، فأمر باصطياده ، فضرّاه فكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين »[١٦] .

ثم ان أول من لعب بالعقاب الروم أيضا[3] ، فهم حين رأوا شدة أسر هذا الجارح وافراط سلاحه قال حكماؤهم عنه : « هذا طائر لايقوم خيره بشره » ، ثم ضرّوه وجعلوا يهدونه الى ملوك الأمم الأخرى »[١٧] .

وكان قياصرة الروم يتبادلون الهدايا من الجوارح والضواري مع أكاسرة الفرس ، فقد روي : « أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها

(١٥) الصيد عند العرب ، ص ١٩ . نقلاً عن « القانون في البيزرة » .

(١٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

[(3) الذي جاء في المصادر العربية : « وأول من صاد بها أهلُ المغرب » . انظر المصايد والمطارد لكشاجم : ٩٩ ، والصيد والطرد عند العرب : ٤٠ ، ونهاية الأرب للنويري ١٠ : ١٨٢ / المجلة] .

(١٧) انظر : المصايد والمطارد ، ص ٩٩ ، ونهاية الارب ج ١٠ ص ١٨٣ ، والصيد عند العرب : ١٩

كسرى فأرسلت على ظبي عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، فانصرف مسروراً ، وجوعها ليضرّيها ، فوثبت على صبيّ له فقتلته ، فقال كسرى : « وَتَرَنا قيصر في أولادنا بغير جيش » ، ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمراً وكتب اليه أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش ، وكتم ما صنعت العقاب ، فأعجب قيصر بحسن النمر ووافق صفته ما وصف من الفهد وغفل عنه ، فافترس بعض فتيانه فقال : « صادَنا كسرى ، فان كنّا صدناه فلا بأس بذلك »[١٨]

الصيد عند العرب

ولقد كان للصيد ـ بمعناه العام ـ عند العرب في جاهليتهم مكانة هامة ويبدو أن الأمر بدأ في صورة حاجة اقتصادية ، ثم لم يلبث أن تطور الى متعة عند من يجدون الكفاية المعيشية[١٩] .

ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب ، وانما كان متعة من متع النفس ، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم ، وهم أشد ما يكونون حاجة الى الرزق والمتعة والتدرّب الدائم على القتال[٢٠] .

ذكر صاحب البيزرة في باب : (من كان مُسْتَهتراً[٢١] بالصيد من الاشراف): «اسماعيل بن ابراهيم النبي صلى الله عليهما، قال رسول الله ـ

(١٨) مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ [المصايد والمطارد : ٩٩ ، نهاية الأرب ١٠ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ، الصيد والطرد عند العرب : ٤٠ ـ ٤١ / المجلة] .

(١٩) البلدي ، الكافي في البيزرة ، تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور ، مقدمة ص ٦ .

(٢٠) الصيد عند العرب ، ص ٢٣ .

(٢١) المُستَهْتَر : المُولع (مختار الصحاح)

صلى الله عليه وعلى آله وقد رتب الانصارَ فنصب خمسين رجلاً منهم في وادٍ وقال : ارموا يابني اسماعيل فقد كان أبوكم رامياً . وكان اسماعيل عليه السلام مولعاً بالقنص محبّاً له ، متعباً نفسه فيه ، مباشراً لعمل آلات الرّمي »[٢٢] .

وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول الكريم صلوات الله عليه كان صاحب صقور يصيد بها « وكان إسلامه عند منصرفه من صيد ، وعلى يده صقر ، وجاء في الحديث : أن حمزة كان صاحب قنص فرجع يوما من صيده فقالت له امرأة كانت رأت ما نال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من أذى أبي جهل : يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع أبو الحكم اليوم بابن أخيك ، فمضى على حاله ، وهو معلّق قوسه في عنقه ، حتى دخل المسجد ، فألفى أبا جهل ، فعلا رأسَه بقوسه فشجّه ، ثم قال حمزة : ديني دينُ محمدٍ ، أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢٣] .

وأما رؤساء العرب فمنهم لَقيط بن زُرارة ، ومنهم عَمرو بن الجَون الكِندي ، ومنهم مَعَدّ بن عَدنان ، وهو أول من طرد الوحش على الخيل ، ومنهم هام بن وَبرة ، ومنهم مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نَزار ، ومنهم أخوه طابخة ، وشُغف بالصيد أيضاً عديّ بن زَيد ، ومنهم كُلَيب بن رَبيعة الذي يضرب به المثل في العزّ فيقال : أعزّ مِن كُليب ، ومن الصيادين عرف الكُسَعي الذي يضرب به المثل في النّدامة ، وممن اقتنص طَرَفةُ بن العَبْد في صباه ، ومن الصَعاليك السليكُ بن سُلَكَة ، والشَّنْفَرَى كانا يسبقان الخيل ويصيدان الظباء عَدْواً ، وتَأَبَّطَ شرّاً . وممن عرف

(٢٢) البيزرة ، ص ٤٠ [جاء في صحيح البخاري ٤ : ٤٥ : « مرّ النبيّ ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي ﷺ : ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ... / الجلة] .

(٢٣) البيزرة ، ص ٤٠ ، والسيرة لابن هشام ، ص ٣١٢ .

بـالقنص كـذلـك المُنْتَشر ، وأوفى بن مَطَر وعـامِر بن عَنْتَرة . ومنهم بنـو جماز بن مالك بن النّصر الأزدي[٢٤] .

الصيد في صدر الاسلام

لما جاء الاسلام برسالتـه الشـاملـة لشؤون العقيـدة والحيـاة ، وأخـذ العرب يبنون حياتهم الجديدة على أسسه وتعاليمـه ، ويحكّمون شريعتـه في جميع ما يأتون وما يذرون ، لم يكن بدعاً أن يسـألوا الرسول صلوات الله عليه عن حلّ الصيد وحرمته ، وأن يقفوا على رأي الاسلام في هـذا الأمر الحيوي الهامّ ، وهم الـذين جعلوا يتحرّجون من كل مـا كان في الجـاهليـة خشية أن يكون للإسلام منه موقف آخر غير ما ألفوه وما تَعامَلوا به[٢٥] .

فقـد رُوي أن زيـد الخير وعـديّ بن حـاتم سـألا النبي صلـوات الله عليه ، فقالا : « انا نصيد بالكِلاب والبُزاة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحلّ لنا منها »[٢٦] . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَـكَ مَـاذَا أُحِلّ لَهُم ؟ قُل أُحلّ لَكُم الطَّيِّبَـاتُ وَمَـا عَلَّمْتُم من الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمـونهنَّ مّمـا عَلَّمكُمُ اللهُ ، فَكُلُـوا مِمّـا أَمْسَكْنَ عليكم واذكروا اسمَ اللهِ عليـه واتَّقـوا اللهَ إنّ اللهَ سريعُ الحساب ﴾[٢٧] .

ومضى المسلمون على ذلك زمن الرسول الكريم وخلفائه الأربعـة . ثم آل الأمر الى بني أميـة ، وغـدا المسلـمون في بسطـة من العيش ، وسعـة في الأرض ، وسطوة في الملـك . فنظر الأمويـون الى الأمـور نظرة جـديـدة

(٢٤) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثـاني الهجري ، ص ١٤ ـ ١٥ . نقلاً عن مناهج السرور (المخطوطة) .

(٢٥) الصيد عند العرب ، ص ٢٨

(٢٦) الصيد والطرد عند العرب ، ص ٢٧

(٢٧) سورة المائدة ، الآية : ٤

وصيروا الخلافة الاسلامية ملكاً عضوضاً[٢٨] .

ومن الأمويين ، كان معاوية ، وابنه يزيد ، وسليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، مشغوفين بالصيد . وقد كان يزيد - كما يقول المسعودي - صاحب طربٍ وجوارح وكلاب وفهود[٢٩] ، وكان مولعاً بالصيد مبتدعاً فيه ، فهو أوّل من حمل الفهود على ظهور الخيل .

فقد جاء في (أنس الملا) : « أن بعض الخلفاء - وهو هشام بن عبد الملك - وكان مولعا بالصيد - قد انفرد عن صحبه فساقته قدماه الى بيت شعر فيه أعرابي وعنده فرس ارتبطه ، وكان من هشام ما أحفظ الأعرابي فتشاجرا فأغلظ هشام القول للأعرابي ، فوثب الأعرابي على فرسه وطعن هشاما برمحه فشجعه وأدماه »[٣٠] . بل ان هشاماً ذهب الى أبعد من ذلك فرسم في قصره للصيد رسماً خاصاً به واختار للمنصب الجديد الغِطْريف بن قُدامة الغَسَّاني ، وكان يُسمّى صاحب صيد هشام بن عبد الملك .

ولما آل الأمر الى بني العباس ، كانت متع الصيد ولذاذاته في طليعة ما أقبلوا عليه . ومما زاد في هذا الإقبال عظم مكانة العنصر الفارسي في الدولة الجديدة . والفرس - كما رأينا من قبل - ذوو شأن في الصيد عظيم ضرّوا جوارحه ، وراضوا ضواريه ، وأتقنوا فنونه ، وأحكموا آلاته ، فلما صار لهم في المجتمع الجديد مقامُ الريادة والتوجيه نقلوا اليه كل ما كان

---

(٢٨) الصيد عند العرب ، ص ٣٢ [الملك العضوض : الذي فيه عسفٌ وظلم للرعية ، كأنه يعضهم عضاً - انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٤٤٣ - ٤٤٤ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - مادة عضض / المجلة] .

(٢٩) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٥٦ (الطبعة الاوربية) .

(٣٠) أنس الملا ، (ورقة ١٠ ب) .

لديهم في هذا المجال[٣١] .

قال صاحب البيزرة : « ومن خلفاء بني العباس كان أبو العباس السفاح شديد اللهج بالصيد ، ناشئاً ومكتهلاً »[٣٢] . وقال أيضاً : « وركب المنصور يوماً في صدره[٣٣] مُشَهَّرَةً[٣٤] مشمراً من ذيله ، وعلى يده باز حتى عبر الجسر بادئاً ، وانكفأ فعبر الآخر راجعاً ، وتبينه الناس فلما عاد واستقر به مجلسه قال للربيع : ما قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال ؟ قال : عجبوا منها . قال : إنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهب ، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبذل فيه ، فأحببتُ أن يكون مني ما رأيتَ ، فمتى فعل مثلَه منا فاعلٌ بعدي قال الناس : قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة »[٣٥] .

وكان المهدي محمد بن عبد الله مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ والبعد من التبذل مشغوفاً بالصيد لايكاد يُغِبُّه[٣٦] . ومن أخبار رحلات صيد المهدي ما رواه كشاجم من أن المهدي كان في رحلة صيد ومعه علي بن سليمان وأبو دُلامَة ، فأثير أمامهم ظبيٌ فرماه المهدي فأنفذه ، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله . فقال أبو دُلامة :

قد رَمَى المَهديُّ ظَبْياً شَكَّ بالسَّهم فُؤادَهْ

---

(٣١) الصيد عند العرب ، ص ٣٨ .

(٣٢) البيزرة ، ص ٤١

(٣٣) هكذا في الأصل ، لعلها في صيده ليستقيم المعنى .

(٣٤) مُشَهَّرَة : المعنى غير معلوم ، لعلها من أشهَرْتُ فلاناً : جعَلْتُه شُهْرَةً (شرح القاموس المحيط) .

(٣٥) البيزرة ، ص ٤٢ ـ ٤٣

(٣٦) البيزرة ، ص ٤٣

وعلي بن سليـــــــــــا نَ رَمَى كلبـــاً فَصـــادَهْ
فَهَنيئـــــــــــاً لهما كُـ ـــلُّ امرئٍ يـــأكل زادَهْ[٣٧]

وكان للرشيد حظ من الصيد لا كمداومة المهدي لـه، واستهتـاره بـه، وكان يرتاح لـه اذا حضره ارتيـاحـاً شـديـداً ، حتى تحمله الأريحيـة على ركض فرسه ، والشدّ في اثر الطريدة[٣٨] . ثم آل الأمر من بعد الرشيد الى ابنـه محمـد الأمين . « فـوجّـه إلى جميـع البلـدان في طلب الملهّين ، وضمهم اليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس في ابتياع فُرْه الدواب وأخذ الوحوش والسباع وغير ذلك »[٣٩] .

وكان المعتصم أشدَّ خلفاء بني العباس ولعاً بالفروسيّـة والصيـد ، فقـد قال عنه كشاجِم : « إنـه كان أكثر خلفـاء بني العبـاس محـالفَـة للصيـد ، وأخفّهم فيه ركاباً ، لتوفُّر همّته على الفروسيّة وما شاكلها[٤٠] » .

ولم يكن المتوكل الذي ولي الخلافة أقلّ من أبيه المعتصم تعلّقاً بالصيد وإقبالاً عليه ، وان كان لا يدانيه في فروسيته وشجاعته[٤١] .

وفي زمن المعتضد بلغ الاستهتار بالصيد غايته وعدا طوره ، فالخليفة قد ورث عن المعتصم قوته وولعه بالفروسيـة وشغفـه بـالصيـد . ولـما آلت الخلافة من المعتضد الى ابنه المكتفي لم يكن الولد دون أبيه ولعا بـالصيـد واستهتاراً به ، فقد ورث عن أبيه الخلافة وورث معها جوارحه وضواريـه وبيازرته وفهّاديه وكلاّبيه[٤٢] . قال مؤلف البيزرة : « ولم يتـأخر المكتفي

(٣٧) المصايد والمطارد ، ص ١٦٦ .
(٣٨) البيزرة ، ص ٤٣ .
(٣٩) تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، [الصيد عند العرب : ٤٨] .
(٤٠) المصايد والمطارد ، ص ٥ ، [الصيد عند العرب : ٤٩ ـ ٥٠] .
(٤١) الصيد عند العرب ، ص ٥١
(٤٢) الصيد عند العرب ، ص ٥١ ـ ٥٤

عن مـذهبـه في الصيـد ، إلا أنّـه كان أكثر مـا يـدمنـه الصيـد بـالفهـد والعُقـاب ، وهمـا سبعـا الضـواري والجـوارح ويبـاشر ذلـك بنفسـه ، ويمتهنهـا[٤٣] فيـه ، لشـدّة الشغف بـه والارتيـاح اليـه ، أخبرني بـذلـك « شَهْرَام »[٤٤] وكان خصيصاً به لمعرفته بالصيد وحسن أدبه »[٤٥] .

(٤٣) يمتهنُ : يَبْتَذل ، من امتهنت الشيءَ : ابتذلته . (مختار الصحاح) .

(٤٤) اسم فارسي وهذا يدل على أن الفرس كانوا مازالوا يتولون مثل هذه الأعمال حتى عهد المكتفي ، على الأقل .

(٤٥) البيزرة ، ص ٤٨ ، [وانظر المصايد والمطارد لكشاجم : ٧ ، والصيد عند العرب : ٥٤] .

الملحق الأول

طائفة من مصطلحات علم البيزرة والصيد والفروسية

١ ـ **الأخيّة** [كأبيّة] عود في حائط أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة . [ويقال فيها : الآخية بالمد وتخفيف الياء كآنية ، وبالمدّ وتشديد الياء] .

٢ ـ **الأُشْنان** : حمض تغسل به الأيدي والثياب[1] .

٣ ـ **الإطْلاق** : ارسال السهم عن القوس .

٤ ـ **الإكْديش** : (الكِديش) هو من الخيل خلاف الجواد [مولدة] .

٥ ـ **أمير آخُور** : هو الذي يشرف على اصطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والابل وغيرهما مما هو داخل في حكم الاصطبلات . (كلمة فارسية) . [آخور (بالفارسية) : مكان علف الحيوانات] .

٦ ـ **إيتار القوس** : أن تجعل للقوس وترا .

٧ ـ **البَرْنيّة** : إناء من خزف .

[(1) جاء في معجم الألفاظ الزراعية (ص ٥٨١ ـ ٥٨٢) : « الأشنان Salicorne وهو جنس نباتات من الفصيلة السرمقية ، تنبت بريةً في بادية الشام خاصة . منها الأُشنان العشبي S. herbacea ، والأشنان الدغلي S. fruticosa ، ويطلق الأُشنان في القديم والحديث على نبات بضعة أجناس من السرمقيات ....

وكانوا يستخرجون القلي من هذه النباتات ، وكلها لغوياً من الحمض . ولها أسماء عامية كثيرة » .

والحمضُ : ماملح وأمرّ من النبات ، الواحدة حمضة ، تأكله الإبل عند سآمتها من الخُلّة ، وهي ماحلا من النبات / الجلة] .

٨ـ البَعْجُ : الشقّ بالسكّين أو السّيف .
٩ ـ البَكْرَة : خشبة مستديرة في وسطها محَزّ ، يُسْتقى عليها .
١٠ ـ البَلْطَةُ : ضربٌ من الفؤوس (تركية) .
١١ ـ البُوق : شيء مجوف مستطيل ينفخ فيه ويزمر .
١٢ ـ البَيْـزَرَة : حرفـة البيزار ، وقيـل : هي علم أحـوال الجـوارح من حيث صحتهـا ومرضهـا ومعرفـة العلامـات الـدالـة على قوتهـا في الصيـد . (كلمة فارسية) .
١٣ ـ التّذْكِيَة : الذبح ، أو النحر عند الفقهاء .
١٤ ـ التركاش : (تَرْكِش) الكنـانـة (كلمـة فـارسيـة) [انظر شفـاء الغليل ـ تركش] .
١٥ ـ التّسْمية : أن يذكر اسم الله على الذبيحة حينما يتشاغل بالذبح .
١٦ ـ الجَارُوفَة : شبكة طويلة تنشر في البحر على سعة مئـة أو مئتين أو أكثر من الأمتـار يصطـاد بهـا مجموعـة يتعـاونون على سحبهـا الى البرّ بعـد امتلائها بالصيد .
١٧ ـ الجَامُ : إناء من فضة .
١٨ ـ الجَامَكِيّة : (الجَوْمَك) : رواتب خدّام الدولة ، والكلمة مؤلفـة من (جـامَـهْ + كِي) جـامـه : بمعنى لبـاس ، وكِي : أداة النسبـة (كلمـة فارسية) .
١٩ ـ الجَوْكَان : العصـا المعقوفـة الرّأس التي يضرب بهـا الفـارس الكرة في بعض الألعاب معربها « الصولجان » (كلمة فارسية) .
٢٠ ـ الجَوْكَـةُ : الجماعـة من النـاس ، الفـوج (كلمـة تركيـة) [جـاء في القاموس المحيط : الجَوْقَةُ : الجماعة منا / المجلة] .
٢١ ـ الحَذْفُ : الرّمي .

٢٢ ـ **الحَلْبَةُ** : الدُّفْعة من الخيل في الرهان . وخيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة (القاموس) .

٢٣ ـ **حَلْقَةُ الصّيد** : المكان الذي يريدون الصيد فيه ويراقبون فيه الطرائد .

٢٤ ـ **الحَمَرُ** : شبه التخمة . يقال حَمِر الفرسُ (كفرح) : تَخِم وسنق وبشم من أكل الشعير ، أو تغيرت رائحةُ فيه .

٢٥ ـ **الخِتْل** : جُحر الأرنب .

٢٦ ـ **الخُرْج** : وعاء من الشعر أو غيره ، ذو عدلين ، يوضع على ظهر الدابة .

٢٧ ـ **الخُفّ** : مايلبس بالرجل ، وهو من اللِّبْد ونحوه وقاية من أظفار النّمر وغيره من السبع .

٢٨ ـ **خَرْكَاه** : القبة والخيمة الواسعة المدورة (كلمة فارسية) .

٢٩ ـ **الخِلال** : عود يزال به الطعام الذي بين الأسنان .

٣٠ ـ **الخَنْجَر** : السكين .

٣١ ـ **الدِّبْق** : غراء لزج ينشر على قضبان دقاق ، يصاد به الطير والذباب ونحوهما .

٣٢ ـ **الدَّبُّوس** : عصا من خشب أو حديد لها رأس كالكرة .

٣٣ ـ **الدِّرْع** : ثوب أو قميص من زرد الحديد يلبس في القتال وقاية من سلاح العدو .

٣٤ ـ **الدَّرَق** : ضربٌ من التِرَسة (جمع تُرْس) ، الواحدة : دَرَقة ، تتخذ من الجلود .

٣٥ ـ **الدَّفّ والدفيف** : تحريك الطائر جناحيه ورجلاه بالأرض ، وهو يطير ، ثم يستقلّ .

٣٦ ـ **الرّائض** : من يروض الحيوانات الصائدة .
٣٧ ـ **الرّشَقُ** : القوس السريعة السهم ، الرشيقة . وما أرشَقها : ماأخفَّها وأسرع سهمها .
٣٨ ـ **الرفرفة** : بسطُ الطائر جناحيه .
٣٩ ـ **الرُّمّة** : قطعة من الحبل .
٤٠ ـ **الزُّرْق** : الأسنّة ، سُميت بذلك للونها . والمزراق من الرماح : رمحٌ قصير وهو أخفُّ من العَنَزَة .
٤١ ـ **الزِّق** : كل وعاء من الأُهُب اتخذ لشراب ونحوه .
٤٢ ـ **الزناد** : أداة يضغط عليها بالاصبع فتطلق القذيفة .
٤٣ ـ **الزّناقُ** : رباط تحت حنك الدابة في الجلد .
٤٤ ـ **السَّبَق** : مايجعل من المال رهناً على المسابقة . فمن سبق أخذه ، والجمع أسباق .
٤٥ ـ **السَّفُّود** : حديدة دقيقة يشكّ فيها اللّحم ليشوى .
٤٦ ـ **السّندان** : مايطرق الحداد عليه الحديد . معرّب (شفاء الغليل) .
٤٧ ـ **السَّيْرُ** : مايقد من الجلد طولا .
٤٨ ـ **السّيف البَدّاوي** : سيف منسوب الى البادية .
٤٩ ـ **السّيف القَلْجُوري** : سيف استخدمه المماليك في حروبهم .
٥٠ ـ **الشَبَكَةُ والشُّبّاكُ** : شَرَكة الصائد التي يصيد بها في البر والماء .
٥١ ـ **الشَرَكُ** : حبائل الصيد وما ينصب للطير . واحدته شَرَكَة .
٥٢ ـ **الشّكال** : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .
٥٣ ـ **الصَّوَارِيخ** : سهام من النفط يرمى بها في الحصار لاحراق البيوت .

٥٤ ـ **الصَّوْلَجَان** : العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها الفـارس الكرة في بعض الألعاب .

٥٥ ـ **الصَّيْد** : المصيد . أو ماكان ممتنعاً ولا مالك له (القاموس) .

٥٦ ـ **الصِّيَرة** : حظيرة الغنم والبقر .

٥٧ ـ **ضابِطُ الأمر** : القائد والحاكم بأمور الجيش .

٥٨ ـ **الضَّوَاري** : من الحيوانات ، السباع كالأسد والذئب ونحوهما .

٥٩ ـ **الطَّرْقُ** : الفحل المستعمل للضراب .

٦٠ ـ **الطَّرِيدَة** : ما طردت من صيد أو غيره .

٦١ ـ **العُصْفُـور** : عظم نـاتىء في جبين الفرس [وهمـا عصفوران يَمْنَـة ويسرة . وقيل : هو العُظَيم الذي تحت ناصية الفرس بين العينين] .

٦٢ ـ **الغِلْمَان** : هم الذين يتصدون لخدمة الخيل . والغلام في اصل اللغة : الذي طرَّ شاربه .

٦٣ ـ **الفَخُّ** : المصيدةُ التي يصاد بها . والجمع فخاخ وفخوخ .

٦٤ ـ **الفَرَاهَة** : الجمال والحسن . [والفراهة : النشاط . يقال : دابة فارهة أي نشيطة حادّة قوية] .

٦٥ ـ **الفَرَس العَرُوف** : الفرس الصبور .

٦٦ ـ **الفَهَّاد** : الذي يعلم الفهد الصيد ويمرّنه عليه

٦٧ ـ **الفوق** : موضع الوتر من السهم .

٦٨ ـ **القَانِص** : الصّائد .

٦٩ ـ **القَرَبوس** : القسم المقوس المرتفع من قـدام المقعـد ومن مـؤخرتـه في السرج .

٧٠ ـ **القُرْدُ والقُراد** : دويبـــة تتعلـق بـــالبعير ونحـوه ، وهي من العنكبوتيات .

٧١ ـ **القَرَعة** : التُّرس .
٧٢ ـ **القُفّاز** : حديدة مشتبكة يجلس عليها البازي .
٧٣ ـ **القِلادةُ** : ما يجعل في العنق ، يكون للانسان والفرس والكلب والبَدَنَةِ التي تُهدى ونحوها .
٧٤ ـ **القِمَاط** : حبل يُشد به قوائم الشاة عند الذبح ، وكذلك الحبلُ الذي يجمع بين يدي الأسير ورجليه .
٧٥ ـ **القَوْس** : آلة رمي السهام .
٧٦ ـ **الكَبّاش** : صاحب الكباش .
٧٧ ـ **الكَلاّب** : معلم الكلاب الصيد .
٧٨ ـ **الكَلاَل** : التعب ، الاعياء في الفَرَس .
٧٩ ـ **الكُمّ** : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، يجعلونه من اللّبْد ، وقايةً من أظفار النّمر .
٨٠ ـ **الكُمّة** : القلنسوة المدوّرة لأنها تغطّي الرأس .
٨١ ـ **الكَنْدرةُ** : مجثم البازي .
٨٢ ـ **الكَوّاخ** : هو الذي يتخذ الكوخ لتربية الغزال .
٨٣ ـ **الكَوَاسِب** : الجوارح .
٨٤ ـ **اللُبّادةُ** : قَباء من لُبود ، يقي من أظفار النمر .
٨٥ ـ **اللِّجام** : مايجعل في فم الفرس من الحديد مع الحَكَمَتَين والعذارين والسير .
٨٦ ـ **المَدّ** : بسط القوس .
٨٧ ـ **المزراق** : رمح قصير . (انظر كلمة : الزرق) .
٨٨ ـ **المَسْرَجَة** : القنديل الذي فيه الفتيلة والدهن .

٨٩ ـ **المصير** : المِعَى يصنعون منه الوتر ، والجمع أمصرة ومُصْران ، وجمع الجمع مصارين .

٩٠ ـ **المُصَفَّح** : درع مُغَطّى بالصفيح .

٩١ ـ **المِعْرَاض** : سهم ليس له ريش ، دقيق الطرفين ، غليظ الوسط ، يصيب بعرضه دون حده .

٩٢ ـ **المِغْرَفَةُ** : الأداة التي يُغْرف بها .

٩٣ ـ **المَقْبِضُ** : ما قبضت عليه بجمع الكفّ من كل شيء ، مثل مقبض السكين والقوس والسيف .

٩٤ ـ **المِقْرَعَة** : السوط .

٩٥ ـ **المِنْجَل** : آلة حديدية عقفاء يقضب بها الزّرع وغيره .

٩٦ ـ **المِنْسَر والمَنْسِر** : هو للطير الجارح مثل المِنْقار لغير الجارح . وقطعة من الجيش تمرُّ قدام الجيش الكثير .

٩٧ ـ **النافجة** : وعاء المسك ، أي الجلدة التي يتجمع فيها .

٩٨ ـ **النَّصْل** : حديدة السهم والرمح والسيف والسكين .

٩٩ ـ **النَّطْع** : الأدم .

١٠٠ ـ **الوَبَر** : هو للابل والأرانب ونحوهما كالصوف للغَنَم .

١٠١ ـ **الوهدة والوهد** : الأرض المنخفضة والجمع وهاد .

الملحق الثاني

الكتب التي ألفت في الصيد والبيزرة والحيوان

ألف ـ باللغة العربية

- أحكام الفرس والخيل ؟ تحت رقم : ٣٨٨٧ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) .
- أرجوزة الاقنوم في مبادىء العلوم ، لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي . (الجزائر / ١٩٥٩) [انظر الكافي في البيزرة : ٤٠ / المجلة] .
- الاعتبار ، لأسامة بن منقذ ، حرّره فيليب حتّي (الولايات المتحدة ، جامعة برنستون / ١٩٣٠) .
- الأقوال الشافية في الخيل وما يتعلق بها ، لملك اليمن علي بن داود من بني رسول ، مجهول المكان . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
- انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، لحمزة فتح الله (دمشق ، مكتبة الظاهرية ؟) .
- أنس الملا بوحش الفلا ، لمحمد بن منكلي (باريس ، فريعون ١٨٨٠ م) [انظر الكافي في البيزرة : ٣٩ / المجلة] .
- الأيد في الصيد ؟ مجهول المكان . انظر : الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي .
- البيزرة ، لابراهيم البصري ، ألف في زمان هارون الرّشيد وعنه ينقل محمد بن منكلي في كتابه « أنس الملا ... » مجهول المكان . [انظر الكافي في البيزرة : ٣٥ / المجلة] .

- البيزرة ، لبازيار العزيز بالله الفاطمي (ظناً) ، تحقيق محمد كرد علي (دمشق ، المجمع العلمي العربي / ١٩٥٣ م) .
- التبيان لما يحل ويحرم من الحيوان .. أنظر : نوادر المخطوطات العربية ، للدكتور رمضان ششن .
- تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والانسان ، طبع في الاسكندرية . انظر : معجم الحيوان ، لأمين معلوف (ملحق المصادر) .
- تهذيب الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي - دار الرفاعي ، ١٩٨٣ م) .
- الجارح من الطير ، لجهم بن خلف المازني . انظر : الفهرست ، لابن النديم .
- الجمهرة في علوم البيزرة ، لعيسى بن حسان الأسدي ، تحت رقم ٣٨١٣ ، مكتبة آياصوفيا . انظر : تاريخ الادب العربي ، لبروكلمان ، ج ٤ . [انظر الكافي في البيزرة : ٣٨ / المجلة] .
- الجوارح والبزدرة ، أو الجوارح وعلوم البزدرة ، لأبي بكر بن يوسف القاصي ، تحت رقم : ٢٨٣١ المكتبة الوطنية بباريس . انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ٤ ونوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
- الحجج البيّنات في علم الحيوانات لأحمد ندى ، طبع في مصر سنة ١٨٦٧ . انظر : معجم الحيوان لأمين معلوف ، ملحق المصادر .
- الحمام لأبي عبيدة . انظر : الفهرست لابن النديم .
- حياة الحيوان للدميري (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .
- حياة الحيوان (الثدييات) ، لحسين فرح زين الدين وتوفيق محمد أبو طرة (القاهرة ، دون تاريخ) .

- حيوانات لبنان البرية والمائية ، لادوارد غالب (بيروت ، الجامعة اللبنانية / ١٩٧١) .
- حيوانات وطيور بلاد الشام من النقب الى حلب ، لأحمد وصفي زكريا (دمشق ، المركز الجغرافي الفلسطيني ، ١٩٨٣) .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة / ١٩٤٥) .
- الحيوان في الادب العربي ، لشاكر هادي شكَر (بيروت ، مكتبة النهضة العربية / ١٩٨٥) .
- خواص الحيوان(؟)
- الخيل والبيطرة ، لأبي خزّام الخُتّلي ، تحت رقم : ٣٦٠٧ مكتبة آيا صوفيا بتركيا . انظر : تاريخ الادب العربي ، لبروكلمان ، ج ٤ .
- الدر المطابق في معرفة السوابق ، في الخيل وتعليمها ومعالجتها ، نسخة منه في السلطانية بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
- رسالة الطرد ؟ نشرها محمد قاسم مصطفى في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ٢١ سنة ١٩٧٥ . انظر معجم المخطوطات المطبوعة ، للدكتور صلاح الدين المنجد .

[رسالة الطرد لأبي الحسن علي بن أبي الطيب الباخرزي مؤلف دمية القصر ، وقد نشر الأستاذ محمد قاسم مصطفى رسالة الطرد في مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٢١ الجزء الثاني ، سنة ١٩٧٥ م ص ٢٦٦ - ٢٨٨ ، مع مقدمة للمحقق ، ص ٢٥٦ - ٢٦٥ / المجلة] .

- رسالة في الصيد بالجوارح ، لابي بكر بن الحسن القاسمي العلوي (٨٤٨ / ١٤٤٤) تحت رقم ٢٨٣١ المكتبة الوطنية بباريس . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، لاحسان عباس وعبد الحفيظ منصور . ص ٣٩

- رسالة في الصيد ، لمحمد بن سليمان التنكابني . انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، للشيخ آغابزرك الطهراني ، ج ١٥ .
- رسالة في الصيد والذبائح ، للمولى محمد تقي النوري (توفي سنة ١٢٦٣ هـ) انظر : الذريعة ، ج ١٥ .
- رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد ، للبَخْشي ، نسخة منه في السلطانية بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا . [طبع الكتاب بحلب سنة ١٩٣٠ م ، بعناية الأستاذ محمد راغب الطباخ / المجلة] .
- روضة السلوان ، لابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (٩٢٠ / ١٥١٤) وهي قصيدة عينية على بحر الطويل . مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٤٠ .
- رياضة الصيد بالصقور ، للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (أبو ظبي / ١٩٧٦ م) .
- الزند الواري في معرفة الجوارح والضواري ؟ وقيل انه في آيا صوفيا . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة . نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
- شرح طبائع الحيوان لأرسطو ، ترجمة الشيخ أحمد فارس من الانكليزية ، طبع في مالطة سنة ١٨٤١ .
- شعر الطرد ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس / ١٩٧٤ م) .

الشقائق النعمانية ، لمحمد بن أبي رأس (في الصيد) وهو شرح روضة السلوان ، مجهول المكان . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

ـ صيد البحر ، لعبد المنصف محمود (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٧ م) .
ـ صيد البحر في الفوائد المتفرقة والنكات الدقيقة ، لجعفر بن اسحاق الموسوي (توفي ١٢٦٥ هـ) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .
ـ الصيد عند العرب ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة / ١٩٨٣ م) .
ـ الصيد والجارح ، لابن المعتز . انظر الفهرست لابن النديم .
ـ الصيد والطرد عند العرب ، تحقيق الدكتور ممدوح حقي (دمشق ، دار النشر للجامعيين / ١٩٦١ م) .
ـ الصيد والقنص ؟ تحت رقم : ٢ / ٢٩٤ ، المكتبة الوطنية بطهران . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
ـ الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور عباس مصطفى الصالحي . (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / ١٩٨١ م) .
ـ طباع الحيوان ، لأرسطو ، ترجمة يوحنا بن البطريق ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي (الكويت ، وكالة المطبوعات / ١٩٧٧ م) .
ـ طب الطيور في تربية الصقور وتدريبها ومعالجتها ؟ مجهول المكان . انظر : فهرس المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
ـ الطيور العراقية ، بشير اللوس (بغداد / ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ م) .
ـ الطيور المصرية ، لعبد الله النجومي وآخرين (القاهرة / ١٩٥٠ م) .
ـ طيور مصر ، لأحمد حماد الحسيني (القاهرة / ١٩٥٤ م) .
ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لمحمد بن محمود الطوسي (في القرن السابع والثامن) انظر : پرندگان ايران ، مقدمة ص ٣ .
ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، للقزويني ، زكريا بن محمد بن

محمود (٦٠٠ ـ ٦٨٠ هـ) (بيروت ، دار صادر) .

ـ عقد الجمان ، لعبد الله بن جبرئيل بن بَختيشوع ، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية . انظر : معجم الحيوان ، لامين معلوف ، ملحق المصادر .

ـ عنوان الديوان في أسماء الحيوان ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الخضري ، (توفي ٩١١ هـ) تحت رقم : ٨٣٧٧ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري (دمشق ، مجمع اللغة العربية / ١٩٦٩ م) .

ـ عين الحياة ، لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (توفي سنة ٨٢٧ هـ) . تحت رقم : ٣٢٨٥ ، المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .

ـ فرائد السلوك في مصايد الملوك ، لابن نباتة الحموي الفارقي ، وهي أرجوزة مزدوجة . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٤٠ .

ـ الفروسية والبيطرة ، لأبي خَزّام الخُتّلي (كان حيّاً قبل سنة ٢٨٩ هـ) تحت رقم : ٧١ المكتبة الظاهرية بدمشق .
انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) لمصطفى سيد الصباغ .

ـ الفروسية وركوب الخيل ومعرفة أنواعها وعللها ؟ مجهول المكان .
انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لاحمد تيمور باشا .

ـ فصول في التاريخ الطبيعي من مملكتي النبات والحيوان ، ليعقوب صروف (القاهرة ، / ١٩٣١ م) .

ـ القانون الواضح في البيزرة ، ذكره ابن الاكفاني في كتابه « ارشاد القاصد » مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ ـ ٣٩

ـ قطر السيل في الخيل ، للبلقيني ، نسخة منه عند أحمد تيمور باشا . انظر : نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .

ـ القنص بالصقر بين المشرق والمغرب ، للدكتور عبد الهادي التازي (الرباط / ١٩٨٠ م) .

ـ الكافي في البيزرة ، لعبد الرحمن محمد البلدي ، تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / ١٩٨٣) .

ـ كامل الصناعتين ، البيطرة والزرطقة (الزردقة) ، لابي بكر بن البدر البيطار (كان حيّاً قبل ٧٤١ هـ) تحت رقم : ٢٠ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) .

ـ كتاب الحيوان ، لابن قتيبة الدينوري (٢٧٠ هـ) . انظر : پرندگان ايران مقدمة ص٣ .

ـ كتاب الصيد ، لأبي محمد الوشا (توفي ٢٨٠ هـ) . انظر : الذريعة ج١٥ .

ـ كتاب الصيد ، لمحمد بن مسعود السلمي السمرقندي . انظر : الذريعة ج١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح ، لعلي بن مهزياز الأهوازي . انظر : الذريعة ج١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد علي بن عباس العاملي ، توجد نسخة منه في خزانة الشيخ علي بن محمد رضا كاشف الغطاء . انظر الذريعة ج١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح ، لأبي الفضل الصابوني . انظر : الذريعة ج١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح ، لأبي جعفر محمد بن أورمة القمي . انظر :

الذريعة ، ج١٥ .

- كتاب الصيد والذبائح ، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن سنان الزاهري (توفي ٣٢٠ هـ) انظر : الذريعة ، ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لميرزا محمد بن محمد رضا القمي . انظر : الذريعة ، ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمي توفي (٢٩٠ هـ) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد علي البلاغي ، توجد نسخة منه في خزانة الشيخ علي كاشف الغطاء . انظر : الذريعة ج ١٥ .
- كتاب الصيد والجارح ، للفتح بن خاقان (٢٤٧ / ٨٦١) . انظر : الفهرست لابن النديم ص ١٣٠ .
- كتاب البزاة والصيد ، لأبي دلف (٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م) . انظر : الفهرست لابن النديم ، ص ١٣٠ .
- كتاب الجوارح والصيد بها ، لأحمد الطيب السرخسي (٢٨٦ هـ / ٨٩٩) انظر : الفهرست لابن النديم ص ٣٢١ .
- كتاب الجوارح والصيد ، لابن المعتز (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) انظر : الفهرست لابن النديم ص ١٣٠ .
- كتاب البيزرة ، لكشاجم (القرن الرابع) وهو غير كتاب المصايد والمطارد ومنه مصورة بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن ، تحت رقم : ٢٠٩١ . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .
- كتاب الصيد ، للخالديين (القرن الرابع) ، مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .
- كتاب البازي ، لبدر الدين بكتوت بن عبد الله ، الظاهري الأشرفي

(٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٤ م) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ .

ـ كتاب منافع الطير ، (كتاب الطيور) . للحجاج بن خيثمة ، ومنه نسخة في المكتبة البودلية بأكسفورد تحت رقم : ١٤٨ (MARSH) ونسخة في المكتبة التيمورية تحت رقم : ٢ (فروسية) . انظر : نوادر المخطوطات العربية لاحمد تيمور باشا ، ومقدمة الكافي في البيزرة ، ص٣٥

ـ كتاب المصايد ، للطبيب عيسى الرقي (من أطباء سيف الدولة الحَمْداني في القرن الرابع) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .

ـ كتاب الطرد ، لأحمد بن أبي طاهر (طيفور) (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) . انظر : الفهرست ، لابن النديم ص ١٦٣ .

ـ كتاب البيزرة ، للسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٩ .

ـ كتاب السير والطير ،؟ وقيل انه في برلين . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ .

ـ كتاب الفريد في تقييد الشريد ،؟ قيل في برلين . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ص ٣٨ .

ـ كتاب البزدرة في تربية سباع الضواري ؟ قيل في توبنغن . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ص ٣٨ .

ـ كتاب الطير ، لأبي عمر يوسف بن هارون الرمادي الأندلسي .

ـ كتاب الحيوان ، للكندي .

ـ كتاب في البيزرة ،؟ كتبت في القرن التاسع ، تحت رقم : ١٨٠٤ في مكتبة المغنيسيا بتركيا . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، للدكتور

رمضان ششن ، ج ٣ .

ـ كتاب الخيل ، أو فضل الخيل ، لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي (توفي ٧٠٥ هـ) تحت رقم : ٨٦٩٥ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) [طبع كتاب فضل الخيل بمدينة حلب ، سنة ١٩٣٠ م ، باشراف الاستاذ محمد راغب الطباخ / المجلة] .

ـ كتاب الخيل ، لعبد الملك الأصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦ هـ) تحت رقم : ٢٤ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم ...) [طبع غير مرة / المجلة] .

ـ كتاب منافع الحيوان ، لعلي بن عيسى (طبيب الخليفة المعتمد على الله) تحت رقم : ٦٧ : ٢ غوطا . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج٤ .

ـ كتاب الفروسية وشيات الخيل ، لأبي خزّام الختّلي ، تحت رقم : أول ١٣٠٥ المتحف البريطاني . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج٤ .

ـ كتاب الفروسية واستخراج الخيل العربية في البنود السليمانية ،؟ تحت رقم : ١٥٥٠ ، مكتبة شهيد علي في تركيا . انظر : نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، للدكتور رمضان ششن ، ج ٣ .

ـ كتاب الزردقة في معرفة الخيل وأجناسها وأمراضها (مصور منه في السلطانية بالقاهرة) . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

ـ كتاب في البيطرة ، ملون الصور ، نسخة منه بخزانة خليل آغا بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

ـ كشف الأسرار عن حكم طيور والأزهار ؟
ـ مباهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد ، لزين الدين عبد القادر الفاكهي (٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م) ومنه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم : ٢٨٣٤ [انظر الكافي في البيزرة : ٤٠ / المجلة] .
ـ مباهج الفكر ومناهج العبر ، للوطواط ، جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحي الوراق الكتبي (٦٣٢ / ٧١٨ هـ) منه نسخة في دار الكتب المصرية ، علوم طبيعية تحت رقم : ٣٥٩ .
ـ المصايد والمطارد ، لكشاجم ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (بغداد ، دار المعرفة . ١٩٥٤) .
ـ معالجة الطيور ، لأبي نصر معد ، نسخة منه في الفاتح بالآستانة .
انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
ـ معجم الحيوان ، لأمين معلوف (بيروت ، دار الرائد العربي ، بدون تاريخ) .
ـ منافع الحيوان ، لعلي بن عيسى بن علي .
ـ المنصوري في البيزرة ، ضاع معظمه ، ومؤلفه من القرن السابع الهجري ، ومنه نسختان في المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم : ٥٤٥٢ ، ٥٤٣٣ وقد حققه ، عبد الحفيظ منصور ونشره في مجلة الشرق ١٩٦٨ .
[انظر الكافي في البيزرة : ٣٩ / المجلة]
ـ منية الصيادين ، لعبد اللطيف الكرماني ، نسخة منه بآياصوفيا .
انظر : نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها ، لأحمد تيمور باشا .
ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري (٦٣٤ هـ / ١٢٥٦ م) ترجمت منه مختارات الى اللغة الفارسية . انظر : معجم الحيوان ، لأمين معلوف ، ملحق المصادر .

- نزهة الزمان في طبائع الحيوان ،؟ تحت رقم : ٧٥٩٢ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .
- نزهة الملوك والسادات بالطيور والجوارح والجياد الصافنات ، راجع : الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي .
- نزهة النفوس والأفكار في خواص النباتات والحيوان والأحجار ،؟ تحت رقم : ٩٢١١ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .
- الوحوش ، لابي زيد النحوي . انظر : الفهرست لابن النديم ، ص ٨٧ .

باء - باللغة الفارسية

- أحكام الحيوان ، لفصيح الدين بن قمر الدين ، تحت رقم : ٢ ق ف ١ ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن ترقي اردو ، كراچي .
- ارشاد العباد الى أحكام الذبائح والاصطياد ، لأحمد بن سيد درويش قادري نقوي ، تحت رقم : أ ق ف ١٦ المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن ترقي .
- انتخاب فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم :١٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- أنواع حيوانات ، لفيض الله ، تحت رقم ٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخة هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- أنيس الأمراء ، لمحمد حسين فرزند سيد جواد حسيني كرماني ، تحت رقم : ٣٤١ مكتبة كلية الآداب بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي

خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٦٣٤١ ، مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد ، انظر : فهرست . نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ج ١ .
- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم :٦٣٤١ ، مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٤٢٨ ، مكتبة كَنج دانش في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٣٦٧٠ مكتبة كَنج دانش في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش . لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N.M. 1957 - 912 / 6 المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان ، كراچي ، لسيد عارف نوشاهي .
- بازنامه = دستور الصيد ، لمحمد رضا فرزند خواجه يوسف ، تحت رقم : ٦٩٦٢ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، لأبي الحسن علي بن أحمد النسوي ، تحت رقم : ١٨ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- بازنامه ، لعرب نجفي (؟) ، تحت رقم : ٨٧٩٢ المكتبة الرضوية بمشهد .

انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس تحت رقم : ٤٠٦ متحف ايران القديمة بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ناشناس ، تحت رقم : ١ / ٥٠٧ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٢ : ٢٣٤ و ٤ : ٨٣ مكتبة سپهسالار بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه منظوم ، لسلطان يعقوب فرزند سلطان حسين بهادرخان ، بازدار وأميرشكار ، تحت رقم : ٤ / ٣٠٦٥ ، المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه منظوم ، ناشناس ، تحت رقم : ٥٧٣٥ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ناصري ، ليتمور ميزراي حسام الدولة ، طبع في طهران ، دون تاريخ .

ـ بازنامه ، لأبي سعيد ، تحت رقم : ٦٣٤١ مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ، كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، لجمال الدين أديب ، تحت رقم : ٦٣٤١ مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ پرندگَان ايران ؟ (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٦٢ هـ) .

ـ پستانداران ايران ، لدكتور اسماعيل اعتماد (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٥٥ هـ) .
ـ تحفة الفرس ، لقاضي حسن بن خواجه محمد ، تحت رقم : N. M. 1961 -1111 ، انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان ـ كراچي ، نگاشته : سيد عارف نوشاهي .
ـ تذكرة صيديه = خواص الحيوان ، لشيخ محمد علي حزين لاهيجي ، تحت رقم : N.M. 1961-732. انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي ثاكستان ـ كراچي نگاشته : سيد عارف نوشاهي .
ـ التذكرة في علم البزدرة ، لمحمد علي فرزند علي شوشتري ، تحت رقم : ١ / ٥٤٦ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
ـ ترجمة حياة الحيوان دَميرى ، لملا عبد المجيد فاوجي وملا محمد ، تحت رقم ٧٠٥ ، مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
ـ ترجمة حياة الحيوان (دَميري) لشاه محمد قزويني ، تحت رقم : ٣٢٧٠ مكتبة سپهسالار بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
ـ ترجمة عجايب المخلوقات (قزويني) ، لملا عبد الرشيد معروف به بايزيد البستكي ، تحت رقم : ٣٥٤ ، مكتبة الآصفية بتركيا . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
ـ جانورنامه ، لمحمد تقي فرزند هاشم أنصاري كاشاني ، تحت رقم : ٧٠٧ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- جانورنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٢٨٠٤ المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخة هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- جوار حنامه إمامية في قوانين الصياد = صيد المراد في قوانين الصياد ، لابن يار محمد عرف خدايارخان داود عباسي ، تحت رقم : .N. M 804- 1957 ، انظر ، فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- حواصيل وبوتيار ، لدكتور أمير حسن يزدكَردي (طهران ، دانكَشاه طهران ، ١٣٦٥) .
- الحيوانات التي تحلي (؟) بلا خلاف في مذهب الشافعي ، لأفضل الدين سمناني ، ترجمة ناشناس ، تحت رقم : ٤ / ١٣٥٦ . المكتبة الوطنية في باريس . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خاص (خواص) الحيوانات ، ناشناس ، تحت رقم : ٦٥٧ المكتبة الوطنية بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي . لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص جانوران ، ناشناس ، تحت رقم : ٥٣٧٤ . مكتبة كَنج دانش . اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص الحيوان : لمحمد علي حزين فرزند أبو طالب زاهدي كَيلاني ، تحت رقم : ٣ / ٢٣٥٦٢ ، المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص الحيوان ، لمحمد تقي فرزند خواجه محمد تبريزي ، تحت

رقم : ٢١٧١ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- خواص الحيوان ، لملا علي كامي ، تحت رقم : ١ / ٢٣٨٧ ، المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي . لأحمد منزوي ، ج ١ .

- خواص الحيوان ، ناشناس ، تحت رقم : ٧٣٠ ف المكتبة الوطنية بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- راحة الفَرَس ، ناشناس ، تحت رقم : ١١٩١٨ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- راهنماي پستانداران ايران (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٥٥ هـ) .

- رسالة صيدية ، ؟ نسخة منه موجودة عند الشيخ شرف الدين بتُسْتَر . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

- رسالة في الصيد وآدابه ومحسناته ، لمولى محمد سليم الرازي ، انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- رسالة في الصيد والذبائح ، لمحمد بن الحسن الشيرواني . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- الرسالة الصيدية ، للقاضي فيض الله البغدادي المتخلص بحاجي ، نسخة منه موجودة ضمن مجموعة من موقوفة البروجودي في النجف . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

- الرسالة الصيدية ، للشيخ محمد علي الشهير بالشيخ الحزين ، نسخة منه موجودة في مكتبة الخوانساري . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

ـ شكار ، لمجد الدين فرزند محمد شفيع هاشمي عباسي ، تحت رقم : ٣١٧٥ المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ شكار ، لمحبعلي ملقب به خان خاص ، تحت رقم : ٢ / ٥٤٦ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ شكارنامه ايلخاني ، لخواجه علي بن محمد نيشابوري ، المعروف ، بأبي الجوارح . انظر : الذريعة ، ج ١٤ .

ـ شكارنامه ايلخاني ، لعلي بن منصور حلواني ياخوافي ، تحت رقم : ١٦٨١ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست كتابهاي خطي كتابخانه ملك ، ج ٣ لـ : ايرج افشار ، محمد تقي دانش پزوه ، محمد باقر حجتي ، أحمد منزوي .

ـ شكارنامه ، لمحمد شمس ، تحت رقم : أ ق ف ٢٣ المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن تَرقي أردو ، كراچي لسيد عارف نوشاهي .

ـ شكارنامه ، ناشناس ، كتبه لسلطان بديع الزمان بهادر خان ، تحت رقم : ١٤٨٥ ـ ٩١٦ ـ ٧٣٨٥ ـ ٨٠١٥ ، مكتبة كَنج دانش ، اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صفات الحيوان : لمنصور فرزند حسن ابراهيم ايجي شبانكاري ، تحت رقم : ٢٤٧ ، المكتبة الوطنية بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صيد = شكارنامه ، لحسين فرزند روح الله حسيني طبسي ، تحت رقم :

١٥٥ مكتبة الاصفية بتركيا . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- صيد = رسالة در ... فيض الله تفرشي ، تحت رقم : ٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- صيد ، (صيديه = رسالة درشكار) ؟ ، تحت رقم : ٤ / ٢٣٨٤ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- صيد نامه ، لمولى محمد سليم رازي ، تحت رقم : ١ / ٦٤٠٢ مكتبة سپهسالار . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- صيدنامه ملكشاهي : لخواجه علي بن محمد نيشابوري ، المعروف بأبي الجوارح عمله بأمر خواجه نظام الملك الطوسي . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- صيد مرواريد ، لمحمد علي سديد السلطنة ، طبع بطهران سنة ١٣٠٨ هـ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- صيدوذباحه ، ؟ تحت رقم : ٥٢٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست كتابهاي خطي كتابخانه ملي ملك ، لـ : ايرج افشار ، محمد تقي دانش پزوه ، محمد باقر حجتي ، أحمد منزوي .

- صيديه ، لسعد الدين هروي ، تحقيق محمد سرفراز ظفر (اسلام آباد ، مركز تحقيقات فارسي ايران وباكستان ، ١٩٨٤) .

- الصيدية ، لحسين طبسي ، (صدر جهان) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- الصيد والذبائح ، لسيد حسين الحسيني الطبسي ، نسخة منه عند الميرزا

محمد علي الأردوبادي وأخرى عند مكتبة الملك بطهران ، تحت رقم : ١٦٤٤ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- فَرَس نامه ، لسعادت يارخان رنكَين دِهلوي ، تحت رقم : N. M. 14 / 655 - 1957 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1113 ، انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1112 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فَرهنك جانوران ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1650 / 4 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست ...

- فرهنك نامهاي يرندكَان درلهجه هاي غرب ايران (لهجه هاي كُردي) ، لدكتور محمد مُكري (طهران ، أمير كبير ، ١٣٦١ هـ) .

- فيل نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1957 - 1057 / 17 ، المتحف الوطني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ...

- فيل نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1957 - 955 / B ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر فهرست ...

- كبوتر نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1972 - 35 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست ...

- كتاب الصيد والذبائح ، لمولى علي القارپوز آبادي ، طبع في طهران سنة ١٢٨٨ هـ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح وخواص الحيوانات ، لشيخ محمد علي بن أبي طالب الزاهدي . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح وأحكامها ، لشيخ علي بن الحسين الكربلائي نسخة منه في مكتبة المرعشي بقم . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ مارهاي ايران ، لدكتور محمود لطيفي (طهران ، سازمان حفاظت محيط ، زيست ، ١٣٥٥ هـ) .

ـ منافعات جانوران ، لمحمد يوسف كرماني ، تحت رقم N. M. 1965 -167 ، المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي موزه ملي باكستان ـ كراچي ، لسيد عارف نوشاهي .

ـ منافع حيوانات ، لجالينوس حكيم ، تحت رقم N. M. 1958 -262 / 13 ، المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست ...

ـ منافع حيوان ونبات ، ؟ تحت رقم : ١ : ٥٣٤ في مكتبة شخصية في أمريكا . انظر فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ منافع الحيوان ، لزين الدين محمد فرزند حسين موصلي حنفي ، تحت رقم : ١٥٦ ، المكتبة الوطنية في وينا . انظر فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

مصادر البحث

١ ـ الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي (دمشق ، دار النشر للجامعيين ، دون تاريخ) .

٢ ـ الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور عباس مصطفى الصالحي (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨١) .

٣ ـ الصيد عند العرب ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس ، ١٩٨٣) .

٤ ـ الحيوان ، للجاحظ ، عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت ، دار احياء ، التراث العربي ، ١٩٦٩) .

٥ ـ أنس المَلابوحش الفَلا ، لمحمد بن مَنْكلى بُغا ، مخطوطة رقم ١١٥ المكتبة المركزية في جامعة طهران .

٦ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٣٣) .

٧ ـ قصة الحضارة ، لول ديورانت ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين (القاهرة ، لجنة ـ التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧١) .

٨ ـ البيزرة ، لبازيار العزيز بالله الفاطمي (ظنّاً) ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٣) .

٩ ـ المصايد والمطارد ، لكشاجم أبي الفتح محمود بن الحسن الكاتب ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (بغداد ، دار المعرفة ، ١٩٥٤) .

١٠ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، تحقيق شارل پلا (بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٦) .

١١ ـ الكافي في البيزرة ، للبَلَدي عبد الرحمن بن محمد ، تحقيق ، احسان عباس وعبد الحفيظ منصور (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٣) .

١٢ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام عبد الملك الحميري ، تحقيق ، مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي (بيروت ، دار القلم ، دون تاريخ) .

التعريف والنقد
المستدرك
على دواوين شعراء العرب المطبوعة

الدكتور شاكر الفحام

نشر الأستاذ الدكتور رضوان محمد النجار في مجلة معهد المخطوطات العربية مقالة مطولة ، جعل عنوانها : (المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة)[1] .

والاستدراكُ على الدواوين ، وضمُّ ماأغفلته ، أمرٌ له شأنه وخطره في باب جمع الشعر ، إلا أنه يستدعي الكثير من الجهد والصبر في التتبع والاستقصاء ، الى جانب مايوجبه من الدقة والرويّة والتثبت وطول الدربة بأساليب القدماء ، وما يتطلبه من التذوق الأدبي والبصيرة في النقد . فقد وقع في كتب الأدب والمحاضرات والمختارات ، لأسباب شتى ، شيءٌ من الاضطراب في نسبة الشعر الى غير شاعر حيناً ، وطيّ النسبة حيناً ، وتلفيق البيت من مصراعي بيتين مختلفين جاءا في قصيدة واحدة أو في قصيدتين . فلم يكن بدٌّ لمن يتصدى لهذه المهمة من أن يُعِدَّ نفسَه لعملٍ شاقٍّ مُضْنٍ ، ويتزوّدَ له فيحسن التزوّد ، ويرتّب مستدركاته في جُذاذاتٍ تهديه في عمله ، وأن ترفده حافظة قوية تُعينه وتُرشده ، فلا يفوته ماتعدّدت نسبته ، أو أُغفلت . إن ولوج هذا الباب صعبٌ عسير ، تزلُّ فيه الأقدام . ولا مندوحة لمن ينهض بهذا العبء الثقيل ، بعد أن

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ (ج ١ ، ج ٢) ، مج ٣١ (ج ١ ، ج ٢)

يأخذ له أهبته ، ويستكمل أدواته ، من أن يوطّن نفسه على أن خطوته في هذا الباب لن تكون الأخيرة ، وستتبعها خطوات تكمل مابدأه ، تتضافر لها جهودُ العلماء ، تنقّب في كتب التراث الكثيرة ، لتهتدي الى ماتناثر من أشعار ندّت عن جامعي الدواوين ومصنفيها ، ولم يفطن لها المستدرك الأول .

وفي الحقّ أن الدكتور رضوان النجار قد أنصب نفسه ، وبذل طوقه في مستدركاته ، فأصاب حيناً ، وأخطأ حيناً . وللمصيب أجران ، وللمخطىء المجتهد أجر .

لاأريد في كلمتي أن أتتبع كل ماعرض له الأستاذ الباحث وأتى به ، وإنما أنا مكتفٍ بالوقوف عند أمورٍ بدا لي أن لابدّ من التعرّض لها وايضاحها لتكتمل صورة البحث .

● ● ●

وأول هذه الأمور : الطريقة التي انتهجها الباحثُ في التثبت من صحة استدراكه .

لقد بلغ عدد الشعراء الذين استدرك الأستاذ الباحث على دواوينهم خمسة وأربعين شاعراً . وقد أوضع الباحثُ الطريقَ الذي انتهجه في عمله فقال : « لم أكتف بالنظر في طبعة واحدة من طبعات ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، ولكن أتتبع جميع طبعات ديوانه ، إن امكنني ذلك ، وإلا نظرتُ في أكثرها ، وأحدثها ، لعلمي أن الطبعة الجديدة تستوعب الطبعات السابقة ، وتستدرك عليها »[٢] .

١ ـ كنتُ أتمنى أن يشير الباحث الكريم وهو يستعرض (في باب

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ (سنة ١٩٨٦ م): ٢٩٩ ـ ٣٠٠

المصادر والمراجع) ديوان شاعر تعددت طبعاته ، الى الطبعة او الطبعات التي ارتضاها واعتمدها ، لأنها تشتمل على ماجاء من أشعار في طبعات الديوان الأخرى ، وتضمّ اضافات وزيادات من شعر الشاعر لاتوجد في سواها . ومن أجل ذلك كانت الأَوْلى بالرجوع اليها واعتمادها ، ليضمّ اليها ماتمّ استدراكه .

ولكن الباحث الكريم لم يجشم نفسه هذا العناء ، وسَرَدَطبعات الديوان دون تعليق ، وكأنها على قدم المساواة ، فأَوْهَم قارئه الذي لم يتبين الفروق بين الطبعات . ولو أضاف الباحث الفاضل كلمة أو كلمات إزاء طبعة الديوان أو طبعاته التي آثرها ، لأزاح عن قارئه العنت ، ودلّه على المراد ، ولم يتركه نهباً للظنون والشكوك .

٢ ـ وكان من ذلك أنه كان يعود حيناً الى طبعة من طبعات الديوان لاتشتمل على شعر الشاعر كله ، بل يعود حيناً الى طبعة لاتضمّ إلا جزءاً يسيراً من ديوان الشاعر ، ويهمل الرجوع الى الطبعة التي تستوعب ماجاء من أشعار في الطبعات الأخرى وتزيد عليها ، وهي عتيدة حاضرة بين يديه . وقد عرضتُ مثلاً لذلك في الفقرة التي تناولتُ فيها الاستدراك على شعر الفرزدق .

٣ ـ وكان من ذلك أنه كان يشير في بحثه الى طبعة من طبعات الديوان ، فاذا عدتِ إلى باب المصادر والمراجع وجدته قد أثبت طبعة سواها . وقد أتيتُ بمثل لذلك في الفقرة التي تناولتُ فيها الاستدراك على شعر بشار .

٤ ـ وكان من ذلك أنه أشار في مواضع كثيرة من بحثه الى ديوان الشاعر دون أن يحدّد الطبعة التي يعنيها . فقد استدرك بيتين لدعبل الخزاعي من كتاب (الجمان في تشبيهات القرآن) ، ثم أشار الى ورود

البيت الثاني منها في ديوان دعبل (ص ١٠٨ ق ١٤٢) ، وعدتُ الى المصادر والمراجع لأتبين الديوان المقصود ، فإذا هو يورد طبعتي الديوان : أولاهما للأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم ، والثانية للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر[٣] .

وددتُ لو ذكر الباحث الفاضل طبعة الديوان المعنيّة ، بعد أن حدّد رقمي الصفحة والقصيدة فيها .

وهذا الخللُ شائع في معظم تعليقاته . يردُّك الى ديوان الشاعر دون ذكر الطبعة ، فاذا عدتَ الى المصادر والمراجع طالعتك عدة طبعات من الديوان ، وحرت : أيّ الطبعات عناها الباحث الفاضل ؟

٥ ـ ومن المآخذ التي لايجوز إغفال الحديث عنها : موضوع الشعر المختلف في نسبته .

لقد تضافرت أسباب شتى أدت الى عزو الشعر الواحد الى غيرما شاعر . يطالعك ذلك في مختلف كتب الأدب والمحاضرات والمختارات وأمثالها . ولا يجوز للدارس الباحث ، وهو يجمع الشعر أو يستدرك عليه أن يغفل هذه الروايات ، مكتفياً بنسبة الأبيات أو البيت الى شاعر واحد فقط . بل لابدّ له من ذكر الروايات جميعا . وله أن يروّي ويناقش بعدُ ليتحقق ويتثبت من النسبة ، أو يرجح ويختار ، أو يتوقف دون أن يقطع برأي .

هذه قضية أساسية لايجوز التحلل منها ، حين نجمع الشعر ، أو ننقد ماجمع ، ونمحّصه ، ونستدرك عليه ، ليكون القارىء أو الدارس على بيّنة من أمره ، قد عرف ماثبت صحة نسبته الى الشاعر ، وما اختلف في نسبته الى غيرما شاعر ، وما وهم بعض العلماء في نسبته الى الشاعر .

---

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ٣٣٨

ولكن الأستاذ النجار لم يُعِرْ هذه الناحية اهتماماً ، واقتصر في الشعر الذي عزته الرواياتُ الى غيرما شاعر ، على نسبته الى شاعر واحد في الأعم الأغلب ، بدل أن يدلَّ على أنه من الشعر المتعدد العزو ، الذي نسبته الروايات الى عدة شعراء . وستجد أمثلة شتّى لذلك .

٦ ـ ومن المآخذ أن الدواوين المجموعة قد تضمُّ اليها عن طريق الوهم والخطأ ، ماليس من شعر الشاعر ، ولم ينسبه ناسب اليه . فالناقد المتصدّي للاستدراك على الدواوين لامناص له من أن يشير الى هذا الشعر الغريب الواغل ، الذي لاصلة له بصاحبه المنسوب اليه . وهذا أيضاً مما لم يُعْن به الباحث الفاضل .

٧ ـ ويبقى أن أشير بعدُ الى المأخذ الأهمّ ، وهو أن الأستاذ الباحث لم يستطع أن يفي دائماً بما وعد به من ذكر طبعات الدواوين الجديدة التي تستوعب سابقاتها ، وتستدرك عليها[٤] . وقد ضربت لذلك مثلاً في الفقرتين اللتين تناولت فيهما الاستدراك على شعر الراعي النميري ، والقحيف العقيلي .

● ● ●

وثاني الأمور التي بدت لي أن الأستاذ الباحث قد تناول شعر خمسة وأربعين شاعراً ، وهذا العدد الكبير لم يدع للباحث فرصة التقصي والتتبع في استدراكه مهما بذل وجهد . وكان من الأَوْلى أن يقتصر الباحثُ على شعر عدة من الشعراء قليلة ، فيجعله همّه ووكْده ، ويبيت له بين الكتب ، يقرأ وينقّر ويسجل ، ليعود بصيد وفير .

(٤) لستُ مع الأستاذ الباحث في اطراد هذه القاعدة . فبعض الجديد أحياناً لايستوعب كل ماسبقه من طبعات ، لمقاصد يراها المحقق او الناشر . وفي طبعات طائفة من الدواوين التي قامت بها دار صادر ببيروت مثلٌ لذلك .

لقد كانت مستدركات الباحث قليلة ضئيلة ، اذا استثنينا ماوقع عليه في كتاب (منتهى الطلب) من شعر حميد بن ثور الهلاليّ .

ولن أتقصّى عمل الباحث الفاضل في مستدركاته ، فالكلام في ذلك يطول ويتشعب ، وانما هي شواهد انتقيتها تدلُّ على ماوراءها . وقديماً قيل : لمحة دالّة .

أولاً ـ الاستدراك على شعر الفرزدق

استدرك الدكتور رضوان على شعر الفرزدق المطبوع ثلاثة أبيات :

١ ـ أولها قول الفرزدق :

إذا ماقلتُ قافيةً شروداً   تنحّلَها ابنُ حمراء العجانِ

وقد استمدّه من كتاب المرصّع لابن الأثير ، وذكر أنه مما فات الديوان الذي جمعه كرم البستاني وطبعه في بيروت ، والجزء الأول من ديوان الفرزدق المخطوط المصوّر[٥] .

وبيتُ الفرزدق المذكور آنفاً مما فات ديوان الفرزدق حقاً بجميع طبعاته . وممن أورده من العلماء أبو عبيدة معمر بن المثنّى في كتاب النقائض . وذكر (بيفان) محقق النقائض أن البيت جاء أيضاً في لسان العرب (مادة نحل) ، وأنه لم يرد في ديوان الفرزدق الذي طبع قسمَه الأول المستشرق الفرنسي (ريشارد بوشيه) ، ثم قام المستشرق الألماني (يوسف هل) بطبع تتمته[٦] .

قلتُ : وجاء بيت الفرزدق في الصحاح والتاج (نحل) ، فاللسانُ أخذه عن الصحاح ، والتاج أخذه عن اللسان .

---

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٣٣٢ ـ ٣٣٣

(٦) كتاب النقائض ١ : ١٢٥

٢ ـ وثاني الأبيات قول الفرزدق :

إني ضمنت لمن أتاني ماجنى   وأبي وكان وكنتُ غير غدورِ

وقد استمدّه الدكتور النجار من كتاب سيبويه ، ومعاني القرآن للفراء ، وشرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي ، وشرح الأعلم الشنتمري المنشور في حاشية كتاب سيبويه ، والانصاف في مسائل الخلاف ، ولسان العرب (مادة قعد)[٧] .

والبيتُ مما فات الديوان المطبوع كما قال الأستاذ الباحث . وممن أورده الفراء في معاني القرآن ، ذكره في ثلاثة مواضع ، اهتدى الباحث لموضعين منها (معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٦٣ ، ٣ : ٧٧) . والموضع الثالث أتى به الفراء (معاني القرآن ١ : ٤٣٤) شاهداً في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [سورة براءة ، الآية : ٣٤] ، وأورده الامام الطبري (جامع البيان ٢٦ : ٩٩) في تفسير قوله تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) [سورة ق ، الآية ١٧] .وذكره الأزهري في التهذيب (مادة قعد) . وعن التهذيب أخذه صاحب اللسان .

٣ ـ وثالث الأبيات قولُ الفرزدق :

نُبّئت عبدَ الله بالجوّ أصبحت   كراماً مواليها لئيماً صميمها

استمدّه الباحث من كتاب سيبويه وشرح الأعلم الشنتمري (في حاشية كتاب سيبويه)[٨] .

والبيتَ مما فات الديوان المطبوع . وأورده الأعلم الشنتمري أيضاً في كتابه : النكت في تفسير كتاب سيبويه (١ : ١٧٣) .

(٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ (سنة ١٩٨٧ م) : ٢٦٧ ـ ٢٦٨

(٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩

- وقد لاح لي في التعليق على هذا الكلام وجهان :

أولهما يتصل بالدواوين المطبوعة التي وأل اليها الباحث . لقد كان بين يديه من دواوين الفرزدق المطبوعة : طبعة صادر ببيروت ، وطبعة الصاوي بالقاهرة ، ومصورة الجزء الأول من ديوان الفرزدق الصادرة بدمشق[٩] .

ولم يتبين لي سرُّ رجوع الأستاذ النجار الى هذه الطبعات الثلاث في باب الاستدراك على دواوين الشعر المطبوعة . إن لديوان الفرزدق جملة طبعات ، ذكرتُ منها في دراسة لي قديمة[١٠] : طبعة في أوربا ، وطبعة في مصر بالمطبعة الوهبية ، وطبعتين في بيروت بالمكتبة الأهلية ، وطبعة الصاوي بمصر ، وطبعة دار صادر ببيروت ، ونقدتها جميعاً ، مبيناً مالها وما عليها . وخلصتُ من ذلك الى ان طبعة الصاوي بمصر ، على مافيها من مآخذ ونقص ، هي أكملها في باب رواية شعر الفرزدق[١١] .

ولا يجوز للأستاذ النجار ، وهو يستدرك على الدواوين المطبوعة ، أن يعود إلا الى أكمل الدواوين المطبوعة ، وهو ديوان الفرزدق الذي أخرجه الأستاذ الصاوي بمصر ، ليقع استدراكه الموقع الذي يريده له من ضمّ زيادة ندّت عن جميع جامعي ديوان الفرزدق .

إني أحبّذ تعداد طبعات ديوان الشاعر ، على أن تشفع كل طبعة بكلمة صغيرة تدلُّ على مكانها في جمع شعر الشاعر . ثم يضمّ الى ذلك اشارة الباحث الى طبعة الديوان او الطبعات المختارة ، لأنها أكملُ وأوفى ،

---

(٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٣٤١ ، مج ٣١ ج ١ : ٢٧٧

(١٠) هي دراسة نلت بها درجة الدكتوراه عام ١٩٦٣ م ، ثم نشرتُها بعنوان (الفرزدق) عام ١٩٧٧ م (دمشق - دار الفكر) .

(١١) الفرزدق : ٢١٢ - ٢٢٩ ، وانظر ذخائر التراث العربي الاسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن ٢ : ٧٤٣ - ٧٤٤

فيكون الاستدراك عليها مجدياً ، له موقعه وشأنه في باب جمع الشعر وما يتلوه من الاضافات والزيادات .

ـ لقد بينتُ في مقدمة مصورة الجزء الأول من ديوان الفرزدق التي أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٥ م ماتضمَّنه هذه المصورة من شعر الفرزدق . قلت : « وهذه المخطوطة هي الجزء الأول من نسخةٍ يكون تمامها في ثمانية أجزاء أو عشرة .... عدد أوراق المخطوطة (٩٦) ورقة ، تشمل أربعاً وثلاثين منظومة مابين قصيدة ومقطعة ، غير مرتبة على الحروف . عددُ أبياتها جميعاً اثنان وعشرون وست مئة بيت . وهي أقدم مانعرف من مخطوطات الديوان .... وقد سقط منها ورقة واحدة ، تسبق الورقة الأخيرة ، وسقط بها المقطوعة الخامسة والثلاثون ... »[١٢] .

ولقد نشر مجمع اللغة العربية بدمشق هذه المصورة اعتزازاً بها ، لما تفرّدت به من المزايا والحظوظ التي أُتيحت لها ، فرأى من الخير أن يضعها بين أيدي العلماء والباحثين ليطلعوا على نمطٍ من أنماط الضبط والتدقيق التي سلكها الأجداد في حرصهم على العلم ، وتحرّيهم في روايته صحة النقل ، ودقة الضبط ، وبيان اختلاف الروايات .

ومما ظفرت به هذه النسخة أنها كانت بخط أحمد بن أحمد ابن أخت الشافعي ، وهو المشهودُ له بالتجويد خطاً وضبطاً . ومن محاسنها مقابلة الامام الرماني ، وقد أثبت ذلك في يمين الصفحة الأخيرة بقوله : « قابلتُ أحمد بن أحمد . وكتب علي بن عيسى النحويّ بخطه في شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وثلثمائة »[١٢] .

---

(١٢) ديوان الفرزدق ـ الجزء الأول (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٦٥ م) : ١ ، ٣ ـ ٤ ، ٧ م .

إن هذا العرض يكشف عن أن هذا الجزء الصغير من ديوان الفرزدق لايصلح للعودة اليه في باب المستدرك على الدواوين ، الذي عرض له الأستاذ الفاضل .

ـ أما ديوان الفرزدق الذي أصدرته دار صادر ببيروت ، فقد كنتُ بيّنتُ أنه « صورة من الديوان الذي طبعه الأستاذ الصاوي بمصر ، ولكنه يختلف عنه باختزال أكثر مقدمات القصائد ، وحذف كثير من الشروح القديمة التي أوردها الرواة من أمثال محمد بن حبيب والسكّري ، وإسقاط جزء من القصائد لأنه لايحسن أن يقرأه الطلاب لما فيه من فحش .... »[١٣] .

وهذا البيان كافٍ ليصدّنا عن هذه الطبعة ، في باب الاستدراك ، وأن نكتفي بأصلها الذي أُخذت عنه وهو طبعة الصاوي بمصر .

وأما ماذكره الأستاذ الباحث من احتمال أن يكون الأستاذ كرم البستاني قد أسقط البيت الأول من المستدركات عن قصد[١٤] ، فما هو إلا حسنّ ظن منه ، لأن الأستاذ البستاني لم يكن بين يديه إلا طبعه الصاوي ، أثبت منها ماأثبت ، وحذف ماحذف ، دون بحث في المصادر الأخرى . والصاوي لم يثبت البيت المذكور ، فتابعه البستاني حذو القُذّة بالقُذّة .

والوجه الثاني الذي طالعني في كلام الباحث إنما هو اكتفاؤه باستدراك ثلاثة أبيات على ديوان الفرزدق المطبوع . وذلك قليل في جَنْب ماللفرزدق من شعر غزير متناثر في بطون الكتب ، مما أخلّ به الديوان المطبوع .

---

(١٣) الفرزدق : ٢٢٨ ـ ٢٢٩

(١٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٢٣٢

وسأسوق هنا جملة من شعر الفرزدق مما أورده صاحب الأغاني في كتابه خاصة ، ولم يُذكر في الديوان المطبوع ، دون أن أعرض لما تفرق من شعره في كتب الأدب الأخرى ، وهو كثير . ولا أزعم أن ماجئتُ به هو كل ماتفرد به كتاب الأغاني مما لم يرد في الديوان ، ولكنني أرجو أن يكون جامعاً لجلّ هذا الشعر .

ولم أعْنَ بتخريج هذه الأبيات التي جاء بها صاحب الأغاني في المصادر والمراجع الأخرى ، فذلك غرض ثانٍ غير الذي قصدت إليه . وانما غايتي من سرد هذه الأبيات التي استمددتها من كتاب واحد أن أبين المصاعب الجمّة التي تعترضُ من ينهدُ للاستدراك على الدواوين ، إذا لم يعدّ للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته : من الصبر الجميل ، والسهر الناصب ، والاطلاع الواسع ، والتهدّي الى المظانّ ، والمتابعة دون كلال .

طائفة من أبيات الفرزدق المستدركة
على الديوان المطبوع بمصر ، بعناية الأستاذ الصاوي
مما رواه صاحب الأغاني خاصة

(١)

وخير الشعر أكرمُه رجالا   وشرُّ الشعر ماقال العبيدُ[١٥]

(٢)

كانت عُراضتك التي عرضتنا   يوم المدينة زَكْمةً وسُعالا[١٦]

---

(١٥) الأغاني (ط . دار الكتب المصرية) ١ : ٣٣٨

(١٦) الأغاني ٤ : ٣٨٧ ، قال ابو الفرج صاحب الأغاني : « والعراضة : الهدية » .

(٣)

. . . . وانت ابنُ صغرى لم تتم شهورها[١٧]

(٤)

بني عـاصمٍ لاتُلجئـوهـا فـانكم ملاجىء للسوءات دسمُ العمائمِ[١٨]
بني عـاصمٍ لـو كان حيّـاً أبـوكم لـلام بنيـه اليـوم قيسُ بن عـاصمِ

(٥)

ولـولا أن تقـول بنـو عـديّ أليست أمُّ حنظلـة النّـوارُ[١٩]
أتتكم يـابني ملكان مني قـوافٍ لاتقسّمُهـا التجـارُ

(٦)

لبئس العبء يحملـه زهير على أعجـاز صِرْمتـه نَـوارُ[٢٠]
لقـد أهـدت وليـدتُنـا اليكم عـوائرَ لاتقسّمهـا التجـارُ

---

(١٧) الأغاني ٨ : ٥٠

(١٨) الأغاني ٩ : ٣٢٥ ، ٢١ : ٢٩١ ، وجاءت روايـة البيت الثـاني في النقـائض (٢ : ٨٠٣) :

بني عـاصم لـو كان حيـاً لـديكم لـلام بنيـه اليـوم قيس بن عـاصم

(١٩) الأغاني ٩ : ٣٢٥ ، ١٨ : ٢٠ ، ٢١ : ٢٩١ ، وقد جاء البيتـان في الـديوان (ط . الصاوي) ١ : ٣٣٩ ، برويّ منصوب . وروايتهما في الديوان :

لـولا أن تقـول بنـو عـديّ أليست أمُّ حنظلـة النـوارا
إذن لأتى بني ملكان قـولٌ إذا مـا قيـل أنجـد ثم غـارا

(٢٠) الأغـاني ٩ : ٣٢٦ ، وتحسن الاشـارة الى مـا بين عجـز البيت الثـاني والعجـز في النتفة السابقة من تشابه .

(٧)

فـــإن تغضب قريشٌ ثم تغضب　　فــإن الأرضَ ترعــاهــا تميمٌ[٢١]
همُ عـــددُ النجــوم وكلُّ حيٍّ　　ســوامٍ لاتُعَــدُّ لهم نجــومُ
فلـــولا بنتُ مرٍّ من نـــزارٍ　　لمــا صــحَّ المنــابتُ والأديمُ
بهــا كثُرَ العــديـدُ وطــاب منكم　　وغيرُكُمْ أحــــــذُّ الريش هيمُ
فمهــلاً عن تــــذلُّــلِ من عَــزَزْتم　　بخــولتـــه وعــزَّ بـــه الحميمُ
أعبـــدَ الله مهـــلاً عن أذاتي　　فـــاني لاالضعيفُ ولا الســؤومُ
ولكني صفــــــاةٌ لم تُـــوَبَّسْ　　تــزلُّ الطيرُ عنهـــا والعُصُــومُ
انا ابنُ العـاقر الكوم الصفــايــا　　بصـــوأرَ حيث فتّحت العُكــومُ

(٨)

تروّحت الركبــانُ يــاأمَّ هــاشم　　وهنَّ منــاخــــاتٌ لهنَّ حنينُ[٢٢]
وخُيِّسْنَ حتى ليس فيهن نــافــقٌ　　لبيـــعٍ ولا مركـــوبُهن سمينُ

(٩)

لعمرُك مــامــزينــة رهــط معنٍ　　بــأخفــافٍ يطــأن ولا سنــامِ[٢٣]

(١٠)

اذا مــاالمــزونيــاتُ أصبحن حُسّراً　　وبكّيْنَ أشلاءً على عقر بــابـلِ[٢٤]
فكم طــالبٍ بنتَ الــملاءة إنهـــا　　تـذكُّرُ رَيْعانَ الشبــاب المزايـلِ

---

(٢١) الأغاني ٩ : ٣٢٨ - ٣٢٩

(٢٢) الأغاني ٩ : ٣٣٠

(٢٣) الأغاني ١٢ : ٥٨

(٢٤) الأغاني ١٣ : ٢٧٠ - ٢٧١

(١١)

فمن يـكُ خـائفـاً لأذاة شعري فقـد أَمِن الهجـاءَ بنـو حَرامِ[٢٥]
همُ قـادوا سفيههمُ وخـافـوا قـلائـدَ مثـلَ أطـواق الحمـامِ

(١٢)

كم قـال لي ابنُ أبي شيخ وقلتُ لـه كيفَ السبيلُ الى معروف ذبيـانِ[٢٦]
إن القلـوص إذا ألقت جـآجئهـا قُدّام بـابـك لم ترحـلْ بحرمـانِ

(١٣)

تمشي تبختر حـول البيت منتخيـاً لو كنتَ عمرو بن عبـد الله لم تـزدِ[٢٧]

(١٤)

وللخلـق مثلـك مـام ولمثلهم في مثل مـانـالت فـزارة تطمـعُ[٢٨]

(١٥)

لعمري لئن كانت بجيلـة زانهـا جريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خـالـدُ[٢٩]

(١٦)

فلـو كنتَ ضبّيـاً عرفتَ قرابتي ولكنَّ زنجيـاً غليظـاً مشـافره[٣٠]

(٢٥) الأغاني ٢١ : ٢٩٦
(٢٦) الأغاني ٢١ : ٣٠٣
(٢٧) الأغاني ٢١ : ٣٠٤
(٢٨) الأغاني ٢١ : ٣١١
(٢٩) الأغاني ٢١ : ٣١٣
(٣٠) الأغاني ٢١ : ٣٣٢ ، وقد روى الأستـاذ الصـاوي في الـديوان (١ : ٤٨١) مطلع القصيدة طبقاً لرواية سيبويه في الكتاب (١ : ٢٨٢) : =

مَتَتُ لـه بـالرحم بيني وبينـه فـألفيتُـه مني بعيـداً أواصرُه
وقلتُ امرؤٌ من آل ضَبَّةَ فـاعتزى لغيرهِمُ لـونَ استـه ومحـاجرُه
فسوف يرى النوبيُّ ماكتدحت له يـداه اذا مـاالشعر غنت نـواقره
. . . .

وانظر بقية الأبيات (وهي خمسة ، فالمجموع تسعة أبيات) في كتاب الأغاني (٢١ : ٣٣٢) .

(١٧)

الى الأبرش الكلبيّ أسندتُ حاجةً تـواكلها حيّـا تميم ووائـلِ[٣١]
على حين أن زلّت بيَ النعلُ زلّـةً وأخلف ظني كلُّ حـافٍ ونـاعلِ
فـدونكها يـاابن الـوليد فـإنها مفضّلـة أصحـابها في المحـافل
ودونكها يـاابن الـوليد فقمْ بها قيامَ امرىءٍ في قومه غير خـامل

(١٨)

لقـد وثب الكلبيُّ وثبـةَ حـازم الى خير خَلْق الله نفساً وعنصرا[٣٢]
إلى خير أبنـاء الخليفـة لم يجـد لحـاجتـه من دونهـا متـأخرا
أبى حلفُ كلبٍ في تميم وعقـدُهـا لمـا سنّت الآبـاءُ أن يتغيّرا

فلـو كنت ضبيـاً عرفت قرابتي ولكنّ زنجيٌّ عظيمَ المشـافرِ
وعلّق عبد القادر البغداديّ على رواية الكتاب بقوله (خزانة الأدب ٤ : ٣٧٩) : « ... واعلم ان قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين ، وصوابه : ولكنّ زنجياً غلاظاً مشافره .... » ، وانظر شرح شواهد المغني للسيوطي (٢ : ٧٠١ ـ ٧٠٢) ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي (٥ : ١٩٨ ـ ٢٠٠) .

(٣١) الأغاني ٢١ : ٣٣٦

(٣٢) الأغاني ٢١ : ٣٣٦

(١٩)

ومن كان ياعيسى يؤنّب ضيفه فضيفُك ياعيسى هنيءٌ مطاعمُهْ[٣٣]

(٢٠)

أنت وهبتَ زائداً ومزيدا[٣٤]
وكهلة . . . .

(٢١)

قتلتُ قتيلاً لم ير الناسُ مثلَه أقلّبه ذا تُومتين مسوّرا[٣٥]
[أربعة أبيات]

(٢٢)

نعتٌ لنا من الورهاء نعتاً قعدتَ بد لأمك بالسبيلِ[٣٦]
[بيتان]

(٢٣)

اذا ما ادَّبَبَ الأنقاءُ فوقي وصاح صدى عليٌّ مع الظلام[٣٧]
فقد شمتت أعاديكم وقالت أدانيكم من اين لنا المحامي

---

(٣٣) الأغاني ٢١ : ٣٤٩
(٣٤) الأغاني ٢١ : ٣٥٦
(٣٥) الأغاني ٢١ : ٣٦٩
(٣٦) الأغاني ٢١ : ٣٨٤
(٣٧) الأغاني ٢١ : ٣٨٦

(٢٤)

وما ولدت مثل العديل حليلةً قديماً ولا مستحدثات الحلائل[٣٨]
وما زال مذ شدت يداه إزاره به تفتح الأبواب بكرُ بن وائلِ

فذلك سبعة وخمسون بيتاً ونصف بيت ، اخترتها من متناثر شعر الفرزدق في كتاب الأغاني دون سواه ، مما أخلّ به الديوان الذي نشره الأستاذ الصاوي . ولم أشر الى الخلاف في الرواية الذي يُحِلُّ شطراً بدل شطر . فمثلُ هذا الخلاف لاصلة له بموضوعنا الذي نعرض له .

ثانياً ـ الاستدراك على شعر الراعي النميري

جُمع شعر الراعي النميري ثلاث مرات :

الجمع الأول : (شعر الراعي النميري وأخباره) ، قام به الأستاذ ناصر الحاني رحمه الله ، وطبع بدمشق عام ١٩٦٤ م .

الجمع الثاني : (شعر الراعي النميري) ، قام به الأستاذان هلال ناجي ونوري حمودي القيسي (بغداد / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

الجمع الثالث : (ديوان الراعي النميري) ، أعدّه وهيّأه الأستاذ راينهرت فايبرت (بيروت / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

ويبدو أن الأستاذ النجار لم يطلع إلا على الجمع الأول[٣٩] . ولذلك استدرك ما استدرك ، وبلغ ما استدركه (١١) بيتاً . ولو قُدّر له أن يطلع على الجمعين : الثاني والثالث لرأى أن ما أتى به من مستدرك هو قُلٌّ من كثر ، وغيضٌ من فيض مما حفل به الجمعان المذكوران آنفاً[٤٠] .

---

(٣٨) الأغاني ٢٢ : ٣٤٣

(٣٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ (سنة ١٩٨٧ م) : ٤٤١

(٤٠) ذكر الأستاذان ناجي والقيسي (شعر الراعي النميري : ٤١ ـ ٤٢) أن المستشرق =

١ ـ يذكر الأستاذ الباحث قول الراعي :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا   اليك ولكنّا بقرباك نبجح[٤١]

وهو بيت من قصيدة طويلة يمدح بها الراعي بشرَ بن مروان ، أورد منها صاحب منتهى الطلب (٥٧) بيتاً[٤٢] .

٢ ـ ويورد قول الراعي :

وهاب جنان مسجورٍ تردّى   من الحلفاء واتّزر اتّزارا[٤٣]

وهو بيتٌ من قصيدة طويلة يمدح بها الراعي سعيد بن عبد الرحمن . أورد منها صاحب منتهى الطلب (٥٧) بيتاً[٤٤] .

٣ ـ استدرك ثلاثة أبيات أولها :

وكم جشمنا اليكم من مؤدية   كأن أعلامها في آلها القَزَع[٤٥]

والأبيات الثلاثة من قصيدة روى منها صاحب منتهى الطلب (٣٤) بيتاً[٤٦] .

٤ ـ استدرك أربعة أبيات أولها :

يمسي ضجيع خريدةٍ ومضاجعي   عضبٌ رقيق الشفرتين حسام[٤٧]

الايطالي جيوفاني اومان قد تصدّى لجمع شعر الراعي ، وأصدر منه مستلتين (١٩٦٤ م ، ١٩٦٦ م) . وكذلك ذكر المستشرق راينهرت فايبرت في دراسته عن ديوان الراعي (WS ، ص ٣٧ ـ ٣٨) . أما صاحب ذخائر التراث العربي الاسلامي (١ : ٥٣١) فقد اكتفى بايراد جمع الحاني ، وجمع ناجي والقيسي .

(٤١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٤

(٤٢) شعر الراعي النميري : ٩١ ـ ١٠٠ ، ديوان الراعي النميري : ٣٤ ـ ٤٤

(٤٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٥

(٤٤) شعر الراعي النميري : ٦٥ ـ ٧٥ ، وديوان الراعي النميري : ١٤٠ ـ ١٥١

(٤٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٥

(٤٦) شعر الراعي النميري : ١٢٨ ـ ١٣٣ ، وديوان الراعي النميري : ١٥٥ ـ ١٥٩

(٤٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٦

والأبيات مذكورة في جمعي شعر الراعي المذكورين آنفا . وقد شكّ الأستاذ راينهرت فايبرت في نسبة الأبيات الى الراعي[٤٨] .

٥ ـ استدرك بيتين أولهما :

وللحق فينا خصلتان فمنها ذلولٌ وأخرى صعبةٌ للمظالم[٤٩]

وقد أوردهما فايبرت في جمعه[٥٠] .

٦ ـ ومن غريب الاتفاق أن الدكتور خليل أبو رحمة كان قد نشر بحثاً في مجلة معهد المخطوطات العربية بعنوان (مع شعر الراعي النميري)[٥١] ، تحدث فيه عمن عُني بشعر الراعي النميري من باحثي العصر الحديث . ثم وَقَفَ عند جمع الأستاذ الحاني ، والجمعين اللذين جاءا بعده ، ووزان بينها ونقدها ، مبيناً أن عمل فايبرت هو أتمّ أعمال جامعي شعر الراعي في العصر الحاضر[٥٢] .

ولعل من نافلة القول أن أشير الى أن صنيع الأستاذ خليل ابو رحمة يختلف في مقاصده عن عمل الأستاذ النجار ، لأنه يتناول جميع ما صنعه الباحثون في العصر الحاضر ليعرض له ناقداً ومقوّما . أما عمل الأستاذ النجار فقاصر على استدراك الأشعار التي لم ترد في أكمل دواوين الشاعر جمعاً واستيعاباً ، وإلاّ فَقَدَ الاستدراكُ معناه ومرماه . وقد بينتُ فيما ذكرتُ آنفاً أن كل ما استدركه من أبيات قد ورد في جمع الأستاذ فايبرت .

(٤٨) شعر الراعي النميري : ٢٤١ ، وديوان الراعي النميري : ٣١٠

(٤٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٦

(٥٠) ديوان الراعي النميري : ٢٥٥

(٥١) مجلة معهد المخطوطات العربي ، مج ٣٠ ج ١ (سنة ١٩٨٦ م) : ٣٩١ ـ ٤٢٣

(٥٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢

كنتُ أتمنى وقد اطلع الأستاذ النجار على مقالة الدكتور خليل أبو رحمة التي صدرت قبل سنة من صدور مقالته في الاستدراك على شعر الراعي أن يبادر الى طيّها ، بعد أن تبين له أن جمع الأستاذ فايبرت قد جاوز ما استدركه أشواطاً بعيدة .

٧ - ويستطرد بنا البحث لنقول : إن الدكتور خليل قد أورد طائفة من مستدركاته على شعر الراعي النميري للأستاذين ناجي والقيسي[٥٣] . وهي مستدركات قد وردت جميعاً في ديوان الراعي النميري لراينهرت فايبرت .

ثم انه استدرك عدة أبيات على جمع فايبرت[٥٤] .

(١)

أول مستدركاته :

ونحن كالنجم يهوي في مطالعه وغوطة الشام من أعناقها صَدَرُ

استمده من معجم ما استعجم للبكري .

قلتُ : لا يُسلَّم للأستاذ الكريم هذا الاستدراك ، فالبيت الذي أورده قد أصاب قافيته التحريف . وهو من قصيدة دالية مدح بها الراعي عبد الملك بن مروان ، أورد منها صاحب منتهى الطلب (٦٣) بيتاً . ومطلعها :

بان الأحبة بالعهد الذي عهدوا فلا تمالَكَ عن أرضٍ لها عمدوا

وصوابُ البيت الذي جاء محرّف القافية :

ونحن كالنجم يهوي من مطالعه وغوطةُ الشام من أعناقنا صَدَدُ[٥٥]

---

(٥٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٠٤ - ٤١٠

(٥٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣

(٥٥) شعر الراعي النميري : ٨٢ - ٩١ (البيت ٥٥) ، ديوان الراعي النميري : ٥٤ - ٦٦ (البيت ٥٥) .

(٢)

والمستدرك الثاني قول الراعي :

كأن مواضع الصردان منها منارات بدين على خمار

استمده من اللسان (مادة صرد) .

قلتُ : وقد أورد الزبيدي في التاج البيت نفسه نقلاً عن اللسان .

وهذا البيت مثل سابقه ، قد وقع في قافيته التحريف ، ورويُّ البيت هو الدال ، كما جاء في تهذيب الأزهري ، وعنه نقل صاحب اللسان ، فتسلل التحريف الى البيت . وهذه هي رواية البيت كما جاءت في تهذيب الأزهري (مادة صرد / ١٢ : ١٤١) :

كأن مواقع الصردان منها منارات بنين على جماد

والبيت بروايته الصحيحة قد جاء في ديوان الراعي النميري (ص ٧٧) .

(٣)

والدكتور خليل لا يُعنى كثيراً بتصحيح التحريف . فقد جاء بيتُ للراعي محرفاً في طبعة كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الاصبهاني وهو :

شفائي أن تختصّني بكراهةٍ وتدرأ عني الكاشحين الأعاديا

فنقله الأستاذ فايبرت محرفاً كما جاء في طبعة كتاب الزهرة[٥٦] ، ثم نقله الدكتور خليل محرفاً ايضاً[٥٧] . والبيتُ بهذه الرواية يبرأ شطره الأول من شطره الثاني ، والصواب :

شفائي أن تختصني بكرامة وتدرأ عني الكاشحين الأعاديا

وشتان الكراهة والكرامة .

---

(٥٦) ديوان الراعي النميري : ٢٨٩

(٥٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٠٩

(٤)

ونتجاوز استدراك الدكتور خليل الثالث ، إذ لا شيء يؤكد أن البيت المستدرك للراعي النميري ، ونقف عند الاستدراك الرابع . يقول الدكتور خليل : « وفي سنة ١٩٨٢ م صدر الجزء الأول من (رسائل أبي العلاء المعري) بتحقيق الدكتور احسان عباس ، وفيه أن الراعي كان يشبّب بامرأة يقال لها هند . وفيها يقول :

ألا يـا هنـد هنـد بني عمير أرثٌ حبلُ وصلك ام جديدُ
زكا لـكِ صالحٌ وخلاكِ ذمٌّ وصبّحكِ الأيامنُ والسعودُ
وأبغضُ من وضعتُ اليه فيه لساني معشرٌ عنهم أذودُ[٥٨]
ولستُ بسائل جارات بيتي أغيّابٌ رجالك ام شهودُ

ويبدو أن المعري انفرد برواية هذه الأبيات ، فلم أعثر عليها في مرجع آخر . ولم يقع عليها فايبرت في المراجع التي اعتمدها[٥٩] » .

والنص كما أورده الدكتور خليل موهم . فالحقُّ الذي لامرية فيه أن المعري أورد البيت الثاني من الأبيات الأربعة في رسالته الإغريضية قال : « أقول لك ما قال أخو بني نمير لفتاة بني عمير :

زكا لـكِ صالح وخلاكِ ذمٌّ وصبّحكِ الأيامنُ والسعودُ » .

وجاء في التعليق الذي يُظَنُّ أنه للمعري : « ع : أخو نمير : الراعي الشاعر ، واسمه عبيد بن حصين .... وفتاة بني عمير : امرأة كان يشبّب بها يقال لها هند . وفيها يقول :

ألا يـا هنـد هنـد بني عمير أرثٌ حبلُ وصلكِ أم جديدُ »[٦٠] .

---

(٥٨) جاء في طبعة الرسائل : « اليه فيه » . ونقله الدكتور خليل دون تصحيح . والصواب : « اليَّ فيه » .

(٥٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٣

(٦٠) رسائل أبي العلاء المعري (بيروت ـ ١٩٨٢ م) ١ : ١٩١ ، وانظر رسالة =

وأضاف الدكتور احسان عباس في ختام التعليق : [قلتُ : لا وجود للبيت ولا أثر للقصيدة في المجموعات الأربع التي قام بها جامعو ديوانه] .

ثم قال شارح الرسالة الإغريضية أبو عبد الله محمد البكراباذي : « أخو بني نمير : لعله أراد النميري الشاعر .... وأظن هذا البيت من القصيدة التي منها :

وأبغضُ من وضعت اليَّ فيه لساني معشرٌ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جارات بيتي أغُيّابٌ رجالك ام شهودُ »[٦١]

وهذا النص قاطع الدلالة في أن البيتين الأخيرين انما ساقهما أبو عبد الله البكراباذي في شرحه ، ظناً منه أنهما من القصيدة التي أورد المعري في رسالته بيتاً منها ، وذكر في شرحه بيتاً آخر منها فحسب .

ولعل هند بني عمير التي شبب بها الراعي النميري هي هند بني سعد التي قال فيها :

تذكر هذا القلب هند بني سعد سفاهاً وجهلاً ما تذكر من هند[٦٢]

فقد ذكر ابو الفرج أن راعي الابل جاور بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فنسب بامرأة منهم من بني عبد شمس[٦٣] .

ويذكر النسابون في كتبهم : عمير بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم[٦٤] . ويبقى أن نضيف أن أبا الفرج حين تحدث عن هذه

= الاغريض وتفسيرها ، لأبي العلاء المعري ، تح الدكتور السعيد السيد عبادة (القاهرة ـ ١٩٧٨ م) : ٦٦ ـ ٦٧

(٦١) رسائل ابي العلاء المعري (بيروت ـ ١٩٨٢ م) : ١٩١ ـ ١٩٢

(٦٢) ديوان الراعي النميري : ٧٤ ، الأغاني ٢٤ : ٢١٤

(٦٣) الأغاني ٢٤ : ٢١٣

(٦٤) جمهرة النسب لابن الكلبي ١ : ٢٣٤ ، ٣٥٤ ، جمهرة انساب العرب لابن حزم :

المرأة السعدية التي تغزل بها الراعي النميري ، وأنها من بني عبد شمس ، أشار ايضاً الى انها من بطن يقال له بنو وابش (او بنو وابشي) من بني عبد شمس . ولم تذكر كتب الانساب ومعجمات اللغة التي بين أيدينا صلة بني وابش (او بني وابشي) ببني عمير بن عبشمس بن سعد[٦٥] .

وأما قول الدكتور خليل : « ويبدو أن المعري انفرد برواية هذه الأبيات فلم أعثر عليها في مرجع آخر » ففيه مقال . جاء في حماسة أبي تمام : « وقال عقيل بن عُلَّفَة :

تناهوا واسألوا ابن أبي لبيد ... أأعتبه الضبارمةُ النجيدُ
ولستم فاعلين إخالُ حتى ... ينال أقاصي الحطب الوقودُ
وأبغضُ من وضعت اليَّ فيه ... لساني معشرٌ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جارات بيتي ... أغيّابٌ رجالكِ أم شهودُ
ولستُ بصادرٍ عن بيت جاري ... صدور العَيْر غمّره الورودُ
ولامُلْقٍ لذي الودعات سوطي ... ألاعبهُ وريبته أريدُ »[٦٦]

وقد شرح الامام المرزوقي الأبيات وفسّر معانيها ولم يزد على ذلك شيئا . أما الإمام التبريزي فقد أضاف : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي نمير القتالي من بني مرة . جاء بهما أبو تمام صلة في هذه الأبيات وليسا منها »[٦٧] .

والقتالي : نسبة الى قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان[٦٨] .

---

(٦٥) انظر جمهرة ابن دريد وتكلمة الصغاني ولسان العرب وتاج العروس (مادة / وبش) .

(٦٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ : ٤٠٠ ـ ٤٠٣

(٦٧) شرح التبريزي ١ : ٢١١

(٦٨) جمهرة ابن الكلبي ٢ : ١١٣

وروى ابو عبد الله النمري البيتين السادس والخامس . وقدّم للبيت الخامس بقوله : « ويروى فيها :

ولستُ بصادر عن بيت جاري صدور العير غمّره الورود »[٦٩]

(٥)

ومن مستدركات الدكتور خليل :

هم الذروة العليا وكاهلها ومن سواهم هم الاظلاف والزمع والختلُ

وقد استمده من كتاب : الفوائد المحصورة في شرح المقصورة لابن هشام اللخمي . ثم اضاف : « والبيت في عمل فايبرت (ص ١٥٦) مع اختلاف »[٧٠] . والبيت الذي أشار اليه الدكتور خليل في جمع فايبرت هو قول الراعي في مديح قومه القاطنين بالشام حين نزع اليهم ، وأحب الخروج للمقام بينهم :

قومٌ هم الذروة العليا وكاهلُها ومَنْ سواهم هم الأظلاف والزَّمَعُ

ولا بدّ لي من بعض التعقيب :

إن شروح المقصورة لابن هشام اللخمي التي وصلت الينا تختلف فيما بينها . وهذا الاختلاف يتصل بالزيادة والنقص حيناً ، وتباين العبارات وتنوع الصيغ حيناً آخر .

ومن أمثلة هذا الاختلاف البيتُ الشاهد . فقد أورد محقق الفوائد المحصورة البيت في متن الكتاب ، ثم أشار في الحاشية الى ان نسختي المدينة من شرح ابن هشام اللخمي أوردتا للراعي بيتاً بديلاً هو :

قومٌ هم الذروة العليا وكاهلها ومَنْ سواهم هم الأظلافُ والزَّمَعُ

(٦٩) كتاب معاني أبيات الحماسة لأبي عبد الله النمري : ٨٦ - ٨٧

(٧٠) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٣

وتدلُّ القراءة المتأنية للتعليقات والحواشي التي أثبتها الأستاذ المحقق أن نسختي المدينة أدقُّ وأصحُّ من المخطوطة التي اتخذها الأستاذ المحقق اصلا .

كذلك فقد طبع شرح المقصورة لابن هشام اللخمي طبعة ثانية . وقد اجتمع للأستاذ المحقق تسع نسخ لشرح ابن هشام ، اختار منها للمقابلة والتحقيق ست نسخ[٧١] . وقد أطبقت النسخ المخطوطة كلها على الاستشهاد ببيت الراعي الذي أوردته نسختا المدينة[٧٢] .

ثم اني عدتُ الى مخطوطتين من مخطوطات شرح ابن هشام في دار الكتب الظاهرية بدمشق : المخطوطة ذات الرقم ٣٣٤٥ ، والمخطوطة ذات الرقم ٧٤١٠ ، فوجدتها لاتذكران إلا قول الراعي :

قوم هم الذروةُ العليا وكاهلها ومن سواهم هم الأظلافُ والزَّمَعُ

والبيت المذكور من قصيدة أورد منها صاحب منتهى الطلب (٣٤) بيتاً[٧٣] .

أما البيت الذي أورده الدكتور خليل (على رويّ اللام) فقد ترجح لديّ أنه هو هو بيت الراعي الذي جاء على روي العين ، ثم اصابه التحريف على ايدي النساخ . وليس هو إلا الظن . وان الظن لا يغني من الحق شيئا .

٨ ـ أحببت أن اختم فقرة الاستدراكات على شعر الراعي بفوائد التقطتها من تعليقاتي على هامش نسختي من ديوان الراعي النميري :

---

(٧١) ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية ... لمهدي عبيد جاسم (بيروت ـ ١٩٨٦ م) : ١٠٥ ـ ١١٢

(٧٢) ابن هشام اللخمي : ٣١٠

(٧٣) ديوان الراعي النميري : ١٥٥ ـ ١٥٩ (البيت ١٢) ، شعر الراعي النميري : ١٢٨ ـ ١٣٣ (البيت ١٢) .

(١)

قال الراعي في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عشيـــة يـــدخلـون بغير اذن على متـوكلٍ أوفى وطـــابـــا
خليــل محمـــد ووزير صِـــدْقٍ ورابـع خير من وطئ الترابـــا[٧٤]

والبيتان لم يردا في مجموعات أشعار الراعي .

وفي معنى قـول الراعي أن عثمان رضي الله عنـه هـو خير النـاس بعـد النبي ﷺ وصـاحبيـه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قـال الـوليـد بن عقبة بن أبي معيط (أو نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان) :

ألا إن خير النـاس بعـد ثلاثـة قتيلُ التجوبيّ الذي جاء من مِصْرِ
ومـــالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غُيبت عنا فضول أبي عمرو[٧٥]

(٢)

جاء في معجم البلـدان (سروج) : « .... وقيل لأبي حيـة النيري : لِمَ لا تقول شعراً على قافية الجيم ؟ فقال : وما الجيم بأبي أنتم ؟ فقيل له : مثل قول عمك الراعي : ماؤهن يعيج[٧٦] . فأنشأ يقول :

---

(٧٤) جاء البيتان في تاريخ مدينـة دمشق لابن عسـاكر (ترجمة عثمان بن عفـان) ، والبدايـة والنهـايـة لابن كثير ـ انظر مجلـة مجمع اللغـة العربيـة بـدمشق ، مج ٦٢ ج ٤ (١٩٨٧ م) : ٦٧٠ ـ ٦٧١

(٧٥) انظر مـا قيـل حـول البيتين وصـاحبهما في كتـاب القصيدة الـدامغـة : ٤٠٠ ، والقاموس المحيط (مادة ت ج ب ، ج و ب) ، وتـاج العروس للزبيـدي (مـادة ت ج ب ، ج و ب) ، والصحاح للجوهري (مادة ج و ب) ، ولسان العرب (مـادة ج و ب) ، وفصل المقـال في شرح كتـاب الأمثـال لأبي عبيـد البكري : ٤١٤ ـ ٤١٥ ، ونسب قريش للمصعب الـزبيري : ١٠٥ ، ومروج الـذهب للمسعـودي ٢ : ٣٥٥ ، والاصـابـة لابن حجر (كنـانـة بن بشر / ٣ : ٣١٨ ، الـوليـد بن عقبـة / ٣ : ٦٣٨) ، ومجمـل اللغـة لابن فـارس (مـادة ت ج ب / ١ : ١٤٥ ـ ١٤٦) ، والأغاني ١٦ : ٣٢٤

(٧٦) صوابها : ماؤهن تجيج ، كما يأتي بعد .

ولما رأى أجبالَ سنجار أعرضت يميناً وأجبالاً بهنّ سروجُ
ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت حيازيمُ محزون لهنّ نشيجُ » .

ولعلّ في عبارة ياقوت بعض الوهم والخلل نتداركه مما جاء في كتابي القوافي وحِلْية المحاضرة .

روى ابو الحسن الأخفش الاوسط في مقدمة كتابه القوافي : « وقالوا لأبي حية : أنشدنا قصيدة على القاف قال :

كفى بالنأي من أسماء كافِ وليس لحبها اذ طال شافِ

ولم يعرف القاف »[٧٧] .

وروى أبو علي الحاتمي في حِلْية المحاضرة ، قال : « أخبرنا النوفلي قال : اخبرنا ابن أبي طاهر قال : قيل لأبي حية النميريّ : أتعرف مثل قول أبي ذؤيب :

سقى أمَّ عمرو كل آخر ليلة حناتمُ سودٌ ماؤهنّ ثجيجُ[٧٨]

فأنشد لنفسه :

ولما رأى أجبال سنجار أعرضت يميناً وأجبالاً بهن سروجُ
ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت حيازيم محزونٍ لهن نشيجُ

قال ابن ابي طاهر : وهذا المعنى مما سبق اليه أبو حية ، فلم يشاركه فيه أحد .... »[٧٩]

(٧٧) كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، تح الأستاذ احمد راتب النفاخ (بيروت ـ ١٩٧٤ م) : ٤ ، لسان العرب (مادة ـ قفا) .

(٧٨) ديوان الهذليين (القاهرة ـ ١٩٤٥ م) ١ : ٥١ ، شرح أشعار الهذليين (القاهرة ـ دار العروبة) ١ : ١٢٨

(٧٩) حلية المحاضرة للحاتمي (بغداد ـ ١٩٧٩ م) ٢ : ٤٥ ، والبيتان وردا في شعر أبي حية النميري (دمشق ـ ١٩٧٥ م) : ١٢٥ ، نقلاً عن معجم البلدان .

(٣)

جاء في معجم البلدان (فيحان) : « .... وفَيْحان : موضع في بلاد بني سعد . وقيل : واد . قال الراعي :

أورعلةٌ من قطا فيحان حلأها من ماء يثربة الشبّاك والرَّصَدُ

. . . .

حيث التقى السهلُ من فَيْحان والجَلَدُ

والجلد : الارض الصلبة » .

ذكر ياقوت بيت الراعي ، وهو من قصيدته الدالية الشهيرة في مديح عبد الملك بن مروان[٨٠] . ثم وليه في معجم البلدان بياض ، جاء عقبه عجز بيت ، هو في وزن البيت السابق وعلى رويّه .

لم استطع أن أهتدي الى صدر البيت ، ولم أعرف صاحبه . وانما أثبتُّه مؤمّلاً أن يوفّق احد العلماء الباحثين لمعرفة ماعسر عليّ والتوى .

(٤)

جاء في كتاب القصيدة الدامغة : « ... ويدل على ذلك قول عبيد الراعي وقد مدح خالد بن عبد الله القسري :

فما سنّها من حميريّ متوّج ولا من معدّ حين عدت فضولُها

سواك الى ان كنت انت سننتها كذاك لكم عرض البلاد وطولُها »[٨١] .

وأنا في شكٍّ من نسبة البيتين الى الراعي النميري .

ثالثاً ـ الاستدراك على شعر القحيف العقيلي

جُمع شعرُ القحيف العقيلي ثلاث مرات :

(٨٠) ديوان الراعي النميري : ٥٤ ـ ٦٦

(٨١) القصيدة الدامغة : ١٠٩ ـ ١١٠

الجمع الأول : قام به الأستاذ الدكتور فريتس كرنكو ، ونشره في مجلة المجمع الأسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣ م) .

والجمع الثاني : نهض به الأستاذ العلامة حمد الجاسر ، ونشره في مجلته الغراء : العرب (١٩٦٧ م) .

والجمع الثالث : تولاه الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٨٦ م)(٨٢) .

ويبدو أن الأستاذ النجار لم يطلع إلا على الجمع الأول(٨٣) . ولذلك استدرك ما استدرك ، وبلغت مستدركاته (٢٩) بيتاً . ولو أتيح له أن يطلع على الجمعين الثاني والثالث لتبين أن ماجاء به قليل في جنب ما جاء به الجامعان الفاضلان : الأستاذ العلامة حمد الجاسر ، والأستاذ الدكتور الضامن .

١ ـ أورد الأستاذ الباحث أربعة أبيات مطلعها :

خليليَّ ما صبري على الزفرات   وماطاقتي بالشوق والعبراتِ(٨٤)

وذكر أن البيتين الثالث والرابع لم يردا في الديوان الذي جمعه كرنكو ، فاستدركهما الأستاذ من كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني .

لقد جاءت هذه المقطوعة التائية من شعر القحيف خمسة أبيات في الجمعين الثاني والثالث . والبيت الخامس هو :

إذا مِشْن قُدّام البيوت عشيّةً   قصار الخطا يرفلن في الحبراتِ(٨٥)

(٨٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ج ٣ (١٩٨٧ م) : ٦١٥ ـ ٦٢٩ ، وقد ذكر الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه : ذخائر التراث العربي الاسلامي (١٩٨٣ م) ٢ : ٧٥٢ ، جمع الأستاذ كرنكو فقط .

(٨٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٤٠

(٨٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٧

(٨٥) مجلة العرب (س١ ، ج ٥) : ٤١٠ ـ ٤١١ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥

٢ ـ أورد بيتين أولهما :

متى ما تُحط خبراً بنا ياابن عاصم تجد لي رجالاً من بني العمّ حُسّدا[٨٦]

والبيتان قد جاءا في الجمعين الثاني والثالث[٨٧] .

٣ ـ استدرك الأستاذ الباحث قصيدة من ثلاثة وعشرين بيتاً ، مطلعها :

ديـار الحيّ تضربها الطلالُ من الخافي بها أهلٌ ومالُ[٨٨]

وذكر أن ثمانية أبيات منها وردت في الديوان الذي جمعه الأستاذ كرنكو .

إن القصيدة قد وردت في الجمع الثاني للأستاذ العلامة حمد الجاسر ، وفي الجمع الثالث للأستاذ الدكتور الضامن ، وقد بلغ عدد أبياتها في جمع الأستاذ الضامن خمسة وعشرين بيتاً[٨٩] .

٤ ـ يوضح هذا العرضُ أن الأستاذ الباحث لم يستدرك على شعر القحيف المجموع شيئاً . بل إن الجمعين الثاني والثالث قد أوردا ما لم يورد . وانما كان استدراكه منصبّاً على الجمع الأول ، وهو جمع قد مضى عليه زهاء خمسة وسبعين عاماً (كان الجمع الأول في عام ١٩١٣ م ، كما ذكرنا آنفا) .

٥ ـ وكنتُ تحدثتُ عن القحيف العقيلي ومجموعات شعره[٩٠] ، وبيّنت أن أبياتاً من تائية القحيف التي يفخر فيها بيوم النشّاش قد اختلطت

(٨٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ : ٤٥٧

(٨٧) مجلة العرب (س١ ، ج ٥) : ٤١٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٣٧

(٨٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩

(٨٩) مجلة العرب (س١ ، ج ٦) : ٥٥٣ ـ ٥٥٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٤٢ ـ ٢٤٧

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ (١٩٨٧ م) : ٦١٥ ـ ٦٢٩

بأبيات من شعر بشار بن برد العقيلي بالولاء . وذكرتَ بعد ذلك قول بعض الأدباء ان بشاراً أغار على بيت للقحيف ، وضمّه الى ميميته الشهيرة[٩١] .

ثم اني الحقتَ بالأبيات التائية التي افتخر فيها القحيف بيوم النشاش بيتاً رابعاً استقيتُه من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، وهو قوله :

تشكُّ نميرٌ بالقنا صفحاتهم وكم ثَمّ من نَذْرٍ لها قد أُحلَّتِ[٩٢]

لقد قال الأستاذ الباحث في مطلع مستدركاته : « .... واليوم تجمعت لي مجموعة من أبيات الشعر ومقطوعاته وقصائده ، لشاعر أو أكثر ، صنعت دواوينهم ، وطبع بعضها عدة مرات . وقد خلت هذه الدواوين من هذا الشعر الذي عثرت عليه في كتب التراث المخطوطة التي خرجت لترى النور .... لم أكتف بالنظر في طبعة واحدة من طبعات ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، ولكن أتتبع جميع طبعات ديوانه إن أمكنني ذلك ، وإلا نظرتَ في أكثرها وأحدثها ، لعلمي أن الطبعة الجديدة تستوعب الطبعات السابقة ، وتَستدرك عليها .... »[٩٣] .

ولكن الأستاذ الكريم لم يقو على النهوض بهذا العبء الثقيل .

(للبحث صلة)

(٩١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ : ٦١٧ ـ ٦١٨

(٩٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ : ٦٢٦

(٩٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠

آراء وأنباء

الأستاذ محمد أحمد دهمان

(١٨٩٩ - ١٩٨٨ م)

الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ محمد أحمد دهمان ، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه ، وجهٌ مشرقٌ من وجوه هذه الجمهرة الكريمة من علماء دمشق الذين تفتحت نفوسُهم لمبادئ النهضة العربية التي دعا اليها الروادُ الأوائل وعملوا لها وضَحّوْا من أجلها .

نشأت هذه الجمهرةُ الفتية في ظلال الدعوة العربية : يملأ الايمانُ قلوبهم ، وتعمر الحماسةُ صدورهم ، ومضوا يبشرون بفجر العروبة الذي طال تطلعُهم اليه ، وعمل كلٌّ منهم في الميدان الذي يُسِّرَ له ، ليعود للعروبة مجدُها الزاهر ، وللعرب حضورُهم في ساحة التاريخ ، ومشاركتُهم في صنعه .

ولد الأستاذ محمد دهمان سنة ١٨٩٩ م (١٣١٧ هـ) في حارة الشطي بحي العمارة بدمشق فرعاه والده الشيخ أحمد دهمان (١٨٤٤- ١٩٢٧م)، وكان من قراء دمشق وعلمائها ، قد أتقن القراءات العشر ، وعُني بالتعليم ، وافتتح مكتبا لتعليم الأولاد في المدرسة العادلية الصغرى[1] .

وتعلم الأستاذ دهمان القراءة والكتابة وهو في نحو الثامنة من عمره ،

☆ ألقيت هذه الكلمة في حفل تأبين الأستاذ محمد أحمد دهمان الذي أقامته وزارة الثقافة في مكتبة الأسد مساء يوم السبت ٢٣ / ٤ / ١٩٨٨ م (٦ رمضان ١٤٠٨ هـ) .

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١ : ٤٠٦ - ٤٠٨

فألحقه أبوه بمكتب الشيخ عبد القادر المبارك (١٨٧٨ ـ ١٩٤٥ م)[٢] ، فأمضى فيه سنتين ، لينتقل الى المدرسة الجقمقية فيقضي فيها أربع سنوات ، أهّلته ليقرأ بعد ذلك على شيوخ عصره في حلقاتهم العلمية .

ويذكر الأستاذ دهمان من شيوخه الذين أفاد منهم الشيخَ أبو الخير الميداني (١٨٧٥ ـ ١٩٦١ م)[٣] الذي تعلم على يديه في المدرسة الجقمقية ، والشيخَ محمد القطب (ت ١٩٢٧ م)[٤] الذي قرأ عليه بعد عهد الطلب . أما الشيخُ الذي ترك في نفسه أبلغ الأثر فهو الشيخ عبد القادر بدران (١٨٤٨ ـ ١٩٢٧ م) مهذّب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ومؤلف كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال[٥] .

عرف الشيخ بدران بالعلم الواسع والعقل النير وحب الاصلاح . دعا الى العدالة الاجتماعية ، وندد باستئثار أصحاب الاقطاع بخيرات الأرض وحرمان الفلاحين المنتجين من حقهم فيها ، وعانى في سبيل ذلك ، وتحمل الأذى ، والنفي من بلدته (دوما) . وقد غرس في نفس تلميذه دهمان البذور الطيبة العلمية والاصلاحية لتنبت أحسن نبات وأنماه .

ولكنّ الأستاذ دهمان لم يكتف بما حصّل ، وأكبّ على القراءة والمطالعة حتى غدت ديدناً له وعادة ، فألِفَ الكتبَ وأحبّها ، وواصل الدرسَ والقراءة ، « واتكأ على نفسه ، لىبلغ بثقافته المستوى الذي كان يتشوف له ، وشقّ طريقه الصعب وحده ، ينهلُ من الينابيع ، يحرّقه لاستكمال المعرفة ظمأٌ لايرتوي »[٦] .

---

(٢) تاريخ علماء دمشق ٢ : ٦٠٥ ـ ٦٠٨

(٣) تاريخ علماء دمشق ٢ : ٧٢٠ ـ ٧٣٢

(٤) تاريخ علماء دمشق ١ : ٤٢٩ ـ ٤٣٠

(٥) تاريخ علماء دمشق ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٤

(٦) مقدمة كتاب علم الساعات : ٤ م

وتنوعت ثقافة الأستاذ دهمان واتسعت معارفه لكثرة قراءاته وشدة تتبعه وتدقيقه : اطلع على العلوم الدينية وعلوم العربية ، وتعلق بعلم التاريخ ، وشغفته مدينة دمشق بآثارها وأوابدها ومساجدها ومدارسها ومكتباتها وجبلها قاسيون : « كانت دمشق ومازالت كل دنياي »[٧] فعُني بها ووقف لها كثيراً من جهده ووقته .

وإذا تتبعتَ ماقام به الأستاذُ دهمان راعك فيه هذا النشاط والدأب ، لاتعرفُ همَّتُه التعبَ ولا الكلال ، ولا يَهِنُ عزمُه أمام الصعاب والعقبات . تراه متفائلا أبدا ، جاداً مندفعاً لايتوقف . وتستطيع أن تتبين أن أعماله تدور حول قطبين يرتبط أحدهما بالآخر :

أولهما : نشرُ العلم والمعرفة ، وإحياءُ التراث الأصيل ، والكشفُ عن مآثر الحضارة العربية .

والثاني : دعوةٌ الى التقدم ، واستشفاف روح المستقبل ، ومحاربة الخرافة والبدع ، والعمل على اجتثاث التخلف والجمود .

تصدّى في مطلع شبابه مع أصدقائه الذين يشاطرونه الرأي لتلك الدعوة المسمومة التي نادت بهجر المدارس ومحاربة العلوم ، فكتب في الصحف وخطب مندّداً مسفّهاً ، ودعا الطلابَ الى بيته يعلّم ويوجّه ، وناله في سبيل ذلك من الأذى ماناله . ولم ير بدّاً من أن يتابع طريقه ، فأصدر مجلة (المصباح) منبراً لآراء دعاة العلم والاصلاح ، وكتب في مجلة التمدن الاسلامي ، ومجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي آنذاك) .

وأسس مكتب الدراسات الاسلامية في المدرسة العادلية الصغرى ،

---

(٧) في رحاب دمشق : ٧

وأخذ هو وطائفةٌ من كبار رجال الفكر والثقافة والآداب يلقون محاضرات في الأدب العربي والثقافة الاسلامية[٨] ، كذلك فقد حاضر في ردهة المجمع العلمي العربي .

ورأى من الوسائل المجدية لمحاربة الخرافة والجمود نشرَ الكتب الأصول محققةً مقرَّبةً الى الناشئة ، فأصدر :

١ ـ كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (دمشق ١٣٤٥ هـ) .

٢ ـ وكتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (دمشق ١٣٤٧ هـ)[٩]

٣ ـ وكتاب سنن الدرامي (دمشق ١٣٤٩ هـ)

٤ ـ وكتاب البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي (دمشق ١٣٤٩ هـ)

٥ ـ وكتاب المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (دمشق ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م) .

ثم ألّف في هذا الباب كتابه : دراسات في الثقافة الاسلامية (دمشق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) تناول فيه علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعلم التوحيد والكلام ، وأصول الفقه ، بأسلوب سهل ميسّر واضح ، فقرّبها الى القراء ، وأخذ بيدهم ليمضوا في الطريق اذا شاؤوا الاستزادة .

---

(٨) دراسات في الثقافة الاسلامية : ٥ ـ ٦

(٩) كتاب منهاج القاصدين للامام عبد الرحمن بن الجوزي ، اختصره من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . ثم اختصر ابنُ قدامة المقدسي كتاب منهاج القاصدين لابن الجوزي .

وتوفر الأستاذُ دهمان على دراسة التاريخ ، وتاريخ دمشق خاصة ، وجعل ذلك همّه وشغله الشاغل ، فحقق وألّف كتباً جوّدها وأتقنها حتى كانت الغاية في الدقة . « إنه يقف في طليعة أولئك العلماء العارفين بتاريخ دمشق وخططها ، يتمثل صورتها القديمة ، ويعايش أحداثها وتاريخها ، ويقصُّ عليك من أنباء آثارها وماضيات أيامها حديث المتقن الفطن الذي جهد واستقصى ، وأوعب واستوفى »[١٠] .

مما حققه من المؤلفات التي عرضت لتاريخ دمشق فقدمها ميسرة سائغة للواردين :

١ ـ مدارس دمشق للإربلي (دمشق ١٩٤٧ م)[١١]

٢ ـ المروج السندسية (الفسيحة) في تلخيص تاريخ الصالحية لابن كنّان (دمشق ١٩٤٧ م)

٣ ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون الصالحي (دمشق ١٩٤٩ ـ ١٩٥٦ م)

٤ ـ المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (دمشق ١٩٦٣ م)

٥ ـ إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى لابن طولون الصالحي (دمشق ١٩٦٤ م) .

٦ ـ رحلة الأمير يشبك الدوادار (دمشق ١٩٨٦ م) (العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك) .

وتحقيقاتُ الأستاذ دهمان وتعليقاته التاريخية والأثرية تجلو لك صورته حقا ، إنها صورة الأستاذ المحقق المؤرخ النقادة النافذ البصيرة ،

---

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٥ ص ٨٤٤ .

(١١) أدرج الكتاب بعد ذلك في كتابه (في رحاب دمشق) .

يستحضر الماضي بكل جوانبه ، ويتمثل ناسه بعواطفهم وأفكارهم ومطامحهم ، ويتقصى ويتدبر وهو يتحرى الكشف عن الأسباب والدوافع . مازلتُ أذكر ماأحسستُ به وأنا أطالع كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الذي حققه . وكان مما قلته آنذاك في كلمة لي : « ..... وتبدّى لي الشيخُ رائعاً حقاً ، بدقته وغزارة علمه وكثرة مراجعه وإحاطته بموضوعه ومعرفته بدمشق ومواضعها القديمة حتى لكأنها بين يديه يتخيَّلها بأسواقها وناسها وحركتها الدائبة وقصورها وجوامعها وأبوابها وأنهارها وكل مايحيط بها . يَضُمُّ الى ذلك رؤيةً بصيرة ناقدة تتبين روح العصر ، وتؤمن بالتقدم ، وترنو الى المستقبل . إنه شديد الحرص على الآثار الروائع ، يؤذيه ماأصابها من إهمال ، فهو يدعو لحفظها وصونها من عبث العادين عليها ، ولا يتمالك أن ينال بوخزاته اولئك المرائين المتظاهرين بالورع ، يخفون في أنفسهم من الجشع مالا يبدون ، وأن يُنددَ باولئك المقصرين في واجبهم لايبالون المصير الذي يتهدد أوابد دمشق وتحفها الخالدات ... »[١٢] .

وقد شَفَع الكتابَ المحقَّقَ بمخطّط الصالحية ومواقعها الأثرية ، وهذا وحده من روائع المنجزات التي تدلّ على ماينطوي عليه الأستاذ دهمان من حب المعرفة ، وإيثارها ، وما يبذل من الطاقة والجهد ، وما يتحلى به من الصبر والدأب لتحقيق مايطمح اليه من الدقة وبلوغ الحقيقة ، ووضع لبنة جديدة في صرح تاريخ دمشق وصالحيتها .

لقد كان رحمه الله متأنّياً ، يروّي في عمله ، لايتسرع ولا يعجل ، ولا يصدر الحكم إلا بعد طول تأمل . قضى في تحقيق القلائد الجوهرية ووضع المخطط زهاء عشر سنوات فأعطى من بعدها العطاء الكريم .

(١٢) مقدمة كتاب علم الساعات : ٤ ـ ٥ م

ويضمُّ الأستاذُ دهمان في أغلب الاحيان الى تحقيقاته وتعليقاته الدقيقة مقدماتٍ تحلّل مضمون الكتاب ، وتكشف عن مراميه ، وتدلُّ على موقعه من الكتب التي تماثله ، وتبرز مكانة مؤلّفه العلمية . ويضيف الى ذلك حيناً نصوصا نادرة تكمل موضوع الكتاب وتسدُّ نقصه . ومن أوضح الأمثلة لهذه الخطة التي ارتضاها الاستاذ دهمان في التحقيق كتابُه رحلة الأمير يشبك الدوادار .

فقد عرّف بالمخطوطة والمؤلّفِ محمد بن محمود الحلبي ، ثم وطّأ للنص المحقق بتمهيد ذكر فيه تاريخ الإمارة الدلغادرية (ص ١٩ ـ ٣٠) ، وأضاف للكتاب المحقق عدة نصوص تعينُ على فهم الرحلة وتكشف عن مقصد صاحبها ، وتجيب القارئ عن كثير من الأسئلة التي تطرحها الرحلة . (ثورة شاه سوار/ص ٣١ ـ ٦١ ، طمع الدول المجاورة بالماليك/ص ١٦١ ـ ١٧٧ ، تردي العلاقات بين المماليك والعثمانيين/ص ١٧٩ ـ ٢٠٠ ، تحسن العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية/ص ٢٠١ ـ ٢٢٦ ، النزاع بين المماليك والعثمانيين ص ٢٢٧ ـ ٣١٠) .

والى جانب تحقيقات الأستاذ دهمان وتعليقاته الرائعة المفيدة فقد كتب وحاضر في تاريخ دمشق التي استهوته واستفرغت جُهْدَه ووُكْدَه ، وحبّر مقالاتٍ قيمةً في وصف مساجدها ومدارسها وقبابها ومحلاتها وتُربها وآثارها ، كما تحدث عن جوانب من حياتها العلمية ونظمها الادارية ...

وقد ضم كتابُه : في رحاب دمشق (دمشق ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) جزءاً من هذا النشاط العلمي .

أما الجامعُ الأموي فقد بذل له من اهتمامه ماجعله يفرده بكتابٍ على حدة .

وخصّ الاستاذُ دهمان عصرَ المماليك في دمشق بعناية خاصة ، فقد

أدرك مالهذا العصر من أهمية بالغة تتطلب الدراسة والتحليل[١٣] ، وألف في ذلك كتابه : ولاة دمشق في عهد المماليك (دمشق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م) واستهلَّ الكتابَ ببحث ضافٍ تحدث فيه عن المماليك وجهاز حكومتهم في القاهرة ودمشق[١٤] .

وتتجلى في كتابات الأستاذ دهمان صفاتُ المؤرخ النزيه الثقة ، ذي النظرة الثاقبة النافذة . يقول : « من ينابيع المعرفة التي نهِلْتُ منها في ظلال دمشق كان عطائي العلمي . فما أعطتني إياه هذه المدينةُ الخالدة من علم وتجارب وصور ، قدمتُهُ دراساتٍ وبحوثاً لم أتوخَّ منها إلا أن تكون مرآة صادقة لتراث دمشق وتاريخ دمشق ونذرت نفسي للتعريف العلمي الصادق بدمشق ... »[١٥] .

وكان له الموهبة الفذة في استحضار صورة الماضي حيةً ، واستشفاف الأسباب الخفية العميقة التي كانت تحرك الأحداث ، والتعرف الى الدواعي التي تكمن وراء نسج الاساطير وحوك الخرافات وأحاديث الأسمار .

يتحدث عن جبل قاسيون وما حيك حوله من أساطير ، وما وُضع له من أحاديث ، فيفسر الأسباب النفسية العميقة التي تستسر وراء هذه الأساطير وتلك الأحاديث ، والتي تشفُّ عما كان يخالج أهل دمشق من حب عميق لبلدهم ، وتعلق شديد بوطنهم ، يدفعهم للمفاخرة به ، والاستماتة في الذود عنه ، وتشويق الناس لزيارة أرضهم المقدسة التي

(١٣) إعلام الورى : ٥ ـ ٧ ، مجلة الثقافة الاسلامية ، ع ١٥ (١٤٠٨ هـ) : ٢٨٢ ـ ٢٨٤

(١٤) ولاة دمشق في عهد المماليك : ٦

(١٥) في رحاب دمشق : ٧

ضمت من الفضائل ما جعلها رابع المدن المقدسة[١٦] .

ويذكر وصية الملك الظاهر بيبرس أن يدفن على الطريق السابلة قريباً من داريا ، ولكن الملك السعيد يأبى ذلك ، ويبتاع دار العقيقي ليجعلها مدفناً لأبيه .

لم يمرّ المؤرخُ الفطن النقادة بهذا الخبر مروراً عابراً ، بل وقف يحلّله ، ويكشف عن بواعثه الخفية التي جعلت الملك السعيد يخالف وصية أبيه ، ثم يجلو لك ما يستتر وراء هذه المخالفة . إنها رغبةُ الملك السعيد ورغبة المماليك جميعا أن يظهروا في عيون الناس أنهم أصحاب الحكم الشرعيون ، وأنهم ورثةُ الأيوبيين ، لا مماليكَ اغتصبوا السلطة من أسيادهم دون وجه حق ، بل إن لهم من شرعية الملك وأبهته ما لهؤلاء الملوك الأيوبيين . ومن هنا أراد الملكُ السعيد أن يدفن أباه في بقعة تحيط بها قباب أعاظم الملوك الأيوبيين : السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك العادل والملك الأشرف[١٧] .

ومن نشاط الأستاذ دهمان في التاريخ العام توفُّره على تحقيق كتاب (إنباء الغمر بأنباء العمر) لابن حجر العسقلاني نشر جزأه الأول (دمشق ـ ١٣٩٩ هـ) مع مستدركات عبد الباسط الحنفي ومحمود العيني ، واستطاع بما بذل من جهد أن يجلو الكتاب أقل خطأ وتصحيفا[١٨] .

ومن نشاطه كذلك إشرافه وتعليقاته المفيدة على ترجمة كتاب الدول الاسلامية (دمشق ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ م) لستانلي لين بول ، مع اضافات بارتولد وخليل أدهم . والكتابُ ثبت قيّم سرد فيه صاحبُه الدولَ

---

(١٦) في رحاب دمشق : ١١ ـ ١٢

(١٧) في رحاب دمشق : ١١٥ ـ ١١٦

(١٨) أنباء الغمر ١ : ١١ م

الاسلامية مستفيداً من النصوص التاريخية ، ومن الكتابة على المسكوكات النقدية . وهو في ذلك يشابه في بعض الوجوه معجم الأنساب لزامباور .

ويُضَمُّ الى ذلك النشاط كتابُه معجم الألفاظ التاريخية ، وقد عرض فيه للألفاظ التي شاعت في نظم الادارة وكتب التاريخ في عصر المماليك ، وفسرها ، وذكر أصولها ومآخذها[١٩] .

ويتفرد الأستاذ دهمان رحمه الله بعمل فذّ هو تحقيقه لكتاب علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الساعاتي . لم يكتف بتحقيق الكتاب على جلالة ذلك ، بل سارع كعادته في نِشْدان الكمال ، فذيَّله بمقالاتٍ لارشميدس وسواه في الساعات ، ثم قدَّم له بمقدمة ضافية تبلغ نحو مئة صفحة ، تحدث فيها عما قام به العرب والمسلمون في صناعة الساعات ، وَوَصَف جملةً من الساعات العربية ، وذَكَرَ المشهورين من المهندسين الميكانيكيين العرب .

لقد كان الاستاذ دهمان في حياته ومسلكه قدوة ومثلاً . كان واسع الأفق ، حرَّ التفكير ، دعا الى التفلت من إسار الجمود والتخلف ، ووقف نفسه للعلم والتعليم زهاء سبعين عاما . كان متفائلاً أبدا ، تطالعك في بُرْدتيه عزيمةٌ لاتعرف الكلال ، وصبرٌ لاتخالطه السآمة . لم تلن قناته يوم زحفت اليه الأسقام ، وضعف بصره ضعفاً شديداً ، بل ظلَّ كالعهد به ، يتحدث اليك عن أعماله ومؤلفاته ، وعما أنجزه وما يزمع إنجازه من مشروعات ملكت عليه نفسه ، واستأثرت بجهده واهتمامه ، فتنفذ كلماتُه الى قلبك بصدقها ، وتُكْبِر فيه هذه الحماسة ، وهذا التصميم .

لقد نذر نفسه للعمل الجادّ النافع ، دأب عليه في صمت وتواضع عرف بهما ، وقدَّم لبلده خير ما عنده .

---

(١٩) مجلة الثقافة الاسلامية ، ع ١٥ (١٤٠٨ هـ) : ٢٨٢ ـ ٣٠١

ولقد شعر بالرضا كلّ الرّضا ، وبالتقدير أجمل التقدير يوم أقامت وزارة الثقافة له ولصحبه الثلاثة في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٨٣ م حفل تكريم ، ومنحوا أوسمة الاستحقاق السورية من الدرجة الاولى ، مشفوعة بكلمة السيدة وزيرة الثقافة التي جاء فيها : « لتكن هذه الأوسمة بعضاً من تقدير هذه الأمة لمفكريها ، وبعضاً من التكرمة والوفاء من هذا الشعب لمؤرخيه » .

وأجاب الاستاذ دهمان بلسان الشكر : « كم أطيبُ اليوم نفساً بهذه البادرة الكريمة في حفل تكريمٍ رعاه قلبُ قائد عظيم : الرئيس حافظ الأسد ، فقد عَرَفَ قدرَ العلم فكرَّمَ أهلَه ، فكان لي من ذلك أسمى الفخر .... »[٢٠]

وظل الأستاذ دهمان الفارسَ المُعْلِمَ في الساحة ، لم يترجّلْ حتى وافاه اليقين في يوم الاثنين ٧ / ٣ / ١٩٨٨ ، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه . إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب .

(٢٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٨ (١٩٨٣ م) : ٦٣٧ - ٦٤١



فقيد المجمع

الدكتور أحمد عبد الستّار الجواري

رسمه الأخير

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري(*)

العضو المراسل في مجمع دمشق

١٩٢٥ ـ ١٩٨٨ م

بقلم
د . عدنان الخطيب

لقد نعمت بصحبة فقيد العربية **أحمد عبد الستار الجواري** ، في المؤتمرات السنويّة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لعدة سنوات خلت . كان الفقيد اثناءها خير إنسان يصادق ، وخير رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا ما أوينا إلى الفندق نستجم فيه . تتحدث معه فيفيدك حديثه ، وتتحدث إليه فتراه مصغياً إليك بكل جوارحه ، وإذا حدثك فألفاظه منتقاة تخلو من الحشو والابتذال ، وإذا حدثته أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث ، يجامل محدثه ، على أنه ينفر من الغلو في المجاملة ، وإذا جرّ الحديث إلى النقد ، رأيته ينتقد برفق ولين مبتعداً عن الغيبة والتجريح .

وأنا لست أدري ما الذي ذكّرني **بموقف أحمد شوقي من حافظ إبراهيم** عندما نُعيَ إليّ **الصديق أحمد عبد الستار الجِواري** ؟!

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغَر سناً من أمير الشعراء أحمد شوقي . غير أن رحمة الله استأثرت بحافظ قبل شوقي ، فرثى أمير الشعراء

(*) نعى إلينا المجمع العلمي في القطر العراقي الشقيق العضو العامل فيه الدكتور أحمد عبد الستار الجواري العضو المراسل في كل من مجمعي دمشق وعمان ولما كان الفقيد عضواً عاملا في مجمع القاهرة ، أقام له مجمعها حفل تأبين بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٨٨ وكلف الزميل الدكتور عدنان الخطيب تأبينه فألقى الخطاب المنشور أعلاه .

زميله حافظا بقصيدة استهلها بقوله :

قـد كنت أوثر أن تقـول رِثـائي يـا منصفَ المـوتى من الأحيـاءِ
لكن سَبَقْتَ ، وكلُّ طـولِ سـلامةٍ قَـدرٌ وكل منيّـةٍ بقضـاءِ
الحقُّ نـادى فـاستجبتَ ولم تـزل بـالحـقِّ تحفِـلُ عنـد كلِّ نـداءِ

☆ ☆ ☆

وقبل عـامين ، وفي إحـدى جلسـات مؤتمر الـدورة الثـانيـة والخمسين لمجمع اللغة العربية ، وقف الدكتور أحمد عبد الستـار الجواري على منصة المجمع ، مع ثلة من العلماء ممثلين لعدد من الأقطار العربية ، وكنتُ بينهم الأخير ، **وقفنا يكرمنـا المجمع بإعلان ضمنـا إلى صفوف رجالـه** المناضلين عن الفصحى الذائدين عن لغة الذكر الحكيم .

ووقف الأستاذ الجليل **عبد السلام هارون الأمين العـام للمجمع** يقول باسمه : « ليس كنزاً واحداً هذا الذي نقدمـه إلى مجمع اللغـة العربيـة بالقاهرة ، وإلى دنيا التقـدير والتكريم ، إنـه عِقْـد من الكنوز لا يقـدره الثمن ، ولا يقاربه التعداد والإحصـاء لمـا حواه من درّ ، واشتمل عليـه من ركاز ... »

☆ ☆ ☆

وقبـل أن تنـدمـل جراحنـا بـوفـاة كبير المكرّمين الـدكتـور حسني سبح رئيس مجمع دمشق ، فجـأنـا من ينعى الـدكتـور أحمـد عبـد الستـار الجواري . لقد كان فقيدنا الجديـد ، فقيـد مجمعنـا الخـالـد بجهود أعضـائـه العاملين ، ثانيَ المكرّمين في الدورة قبل الماضيـة ، تلبيـة لـدعوة الحقّ إلى لقائه ، رحمهما الله وحفظ الآخرين ذخراً للعربية ، إنه خير مسؤول .

☆ ☆ ☆

إن وفاة عالم من العلماء خسارة كبيرة للعلم وأهله ، فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين من العلم فالخسارة أجلُّ من أن تقدّر ، لذا كانت خسارة العربية بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري جسيمة جسيمة .

لقد كان فقيدنا أحمد واحداً من عصبة من العلماء الأجلاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العِراض في خدمة العربية والذود عن الفصحى ، تحدوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغة شرفها الله بالذكر المبين **الحفاظ عليها واجب ديني ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .**

لقد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجواري يوم الجمعة في الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف للثاني والعشرين من كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان في أوج عطائه الفكري وكامل نشاطه الذهني .

وكان فقيدنا قد ولد في مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذي يصادف يوم الثاني والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته في الثانية والستين وستة أشهر من العمر ، تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيد بمحلة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة بيوتاتها ، الأصلية في انتمائها العربي ، ولد في بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلي بالأخلاق العربية المحمودة من حمية ووفاء ودماثة خلق ، واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البرّ والمعروف .

أتم الفقيد دراسته الابتدائية والثانوية في الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدي قدامى شيوخها : طه

الراوي ومهدي البصير وعبد الوهاب عزام وزكي مبارك ، كما تابع العلم على شيوخه يومئذ في بغداد أمثال : قاسم القيسي وحمدي الأعظمي .

وحاز الفقيد في تخرجه بدار المعلمين العالية على مرتبة الشرف ، فأوفدته وزارة المعارف بعثة علمية إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصيله العالي ، حتى حاز درجة (الإجازة) مع الامتياز سنة ١٩٤٥ ثم على درجة (الماجستير) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧ حاملاً تقدير كبار أساتذته في مصر : طه حسين وأحمد أمين ، وأحمد الشايب ومصطفى السقا وأمين الخولي وأندادهم .

☆ ☆ ☆

وعاد فقيدنا إلى بغداد فعيّن مدرساً للنحو في دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب إلى كلية الآداب في القاهرة مجدداً للحصول على شهادة (الدكتوراه) ، فلما نال هذه الدرجة بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى التدريس في بغداد ، حتى إذا ما نجحت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ عُيّن مديراً عاماً لوزارة التربية فمارس وظيفته الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميداً لكلية الشريعة وأستاذاً في كلية التربية حتى عام ١٩٦٢ يوم انتخب نقيباً للمعلمين في الجمهورية العراقية .

وأسهم الفقيد بالحركة السياسية التي قامت بثورة الرابع عشر من رمضان في شباط - فبراير - سنة ١٩٦٣ فصار وزيراً للتربية والتعليم حتى شباط - فبراير - سنة ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٨ انْتُخب للمرة الثانية نقيباً للمعلمين ، وفي تموز (يوليو) من السنة نفسها عين من جديد وزيراً للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عيّن وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية . ثم

نقل وزيراً للتربيــة حيث بقي حتى سنــة ١٩٧٥ ، ثم عيّن وزير دولــة فوزيراً للأوقاف حتى سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيد بحكم المناصب التي كان يتولاها في كثير من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأسهم في أعمالها وتحرير توصياتها حتى غدت له مكانة مرموقة في المحافل والهيئات العربية ، معروفاً بخلقه القويم وتمسكه بالمبادىء التي يحث عليها الإسلام ، وبحرصه الشديد على الالتزام بأهداف الأمة العربية ومصالحها .

☆ ☆ ☆

وانتخب المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ الفقيد أحمد عبد الستار الجواري عضواً عاملاً فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة عضواً مراسلاً ، وفي سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع القاهرة عضواً عاملا فيه بعد أن ظل سنوات عديدة يشارك في مؤتمراته السنوية ، وقد استقبله الأستاذ الجليل عبد السلام هارون في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثلو معلمي الأقطار العربية قد اختاروا الفقيد سنة ١٩٦٩ رئيساً لاتحاد المعلمين العرب وظلوا يجددون انتخابه حتى نهاية عام١٩٨٢ .

إن للفقيد عدداً من المؤلفات والأبحاث مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع نفر من زملائه في تحقيق بعض كتب التراث وفي وضع عدد كبير من المصطلحات في مختلف العلوم .

☆ ☆ ☆

إن نظرة واحدة في ماتركه الفقيد من مؤلفات ، وكلها قيم مفيد ، تعطينا فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه وشدة إيمانه وعظم

جرأته في مخالفة علماء النحو العمالقة ، وبين يدي الآن كتابه « **نحو القرآن** » وهو خير شاهد على ما أقول .

ذكر الفقيد وهو يقدم كتابه إنه ثمرة من ثمرات التأمل والإمعان في العبارة القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان بدأ بممارسة ما كتبه ابن هشام في شرحه على الألفية وفي كتابه مغني اللبيب ، من دقة العبارة واستبعادٍ للفضول في الأسلوب وفي القاعدة النحوية ، حتى تكشفت له حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد النحو مستندين إلى مالايرق إلى المألوف الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا إلى القياس والاستنتاج الذي لا يقوم على أساس موضوعي .

وانتهى الفقيد بعد كل هذا ، إلى القول : « كان **خليقاً** بمن وضعوا **النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو** » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع من زملاء رأوا في أفكاره أموراً جديرة بالبحث والدراسة ، مما حمله على اصدار كتابه الملمع إليه ، عالج فيه أحد عشر مسألة من مسائل النحو العويصة في أحد عشر فصلا ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر لأنهما عمادُ التركيب وأحد أصوله وصورة الإسناد فيهما بينة ولا خلاف على وجوب ذكر طرفيهما بالفعل أو بالقوة ، فإن حُذف أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتماً حتى يقوم ركنا الجملة في الكلام .

وضرب الفقيد أمثلة كثيرة مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ، ذاكراً إعراب النحاة للجمل الاسمية فيها مع تقديرهم لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفاً تمسكاً بجزأي الجملة في القواعد التي وضعوها للجملة

الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير مالم يذكر منها ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره في النفس » فالزمخشري لما أراد إعراب قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ ☆ مَتَاعٌ في الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرجِعُهُم ...[1] ﴾ قال ، « أي افتراؤهم هذا **منفعةٌ قليلة في الدنيا** » .

وينهي الفقيد تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التي يُؤتى بها في حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يصفها أو يُسند إليها .

الثاني : الاكتفاء بمجمل ما يدلّ عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفي فصل عقده الفقيد لبحث مسألة (**حذف القول**) مما يكثر وروده في القرآن الكريم ، وهو أشبه ما يكون بلوحة أسقط منها مالا حاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضاً ضرب من ضروب الانقطاع الذي يحمل السامع أو القارئ على توقع أمر ذي بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدْراً من الانتباه والاهتمام مثل الذي يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ ☆ إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ☆ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾

قال الزمخشري في كشافه (ج ٣ ص ١١٥) : « إنّ هؤلاء محكي بعد قول مضمر » يقول الفقيد أحمد عبد الستار الجواري تعقيباً :

(١) سورة يونس آية ٦٩ ـ ٧٠

« إن في هـذا الأسلـوب الجميـل اكثرُ من مظهر واحـد من مظـاهر الفنيـة التعبيريـة ، فهـو مركب من الحـذف النحـوي والايجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده في العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التـأمل فقـد عـددتُ أكثر من عشرين موضعـا لم يرد فيهـا فعل القول بلفظـه أو بمعنـاه ، على الوجـه الـذي وضـع النحـاة حـدوده حين بحثـوا مسـألـة (إنّ) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم في الحكاية ومقول القول ...

أليس في ما يسبق القول المحكي من الكلام ما يوحي به ؟

هـذا أمر تنبـه لـه غير واحـد من البـاحثين في مسـائل النحو ونقـد مناهجه ، ولعلّ أولهم في عصرنـا هـذا المرحوم الأستـاذ إبراهيم مصطفى في كتابه الجليل (إحياء النحو) »

☆ ☆ ☆

إنّ موت أحمد عبد الستـار الجواري فجـأنـا وآلمنـا وإنّـا على افتقـاده لمحزونون ، ونرجو أن يتغمده الله برحمتـه ورضوانـه ﴿ وَمَـا عِنْـدَ اللهِ خيرٌ وأبقَى ﴾ سائليه عزّ وجلّ أن يعوّض العربيةَ ومجمعَ اللغـةِ خيراً ، إنّـهُ خيرُ مسؤول .

﴿ وَقُلِ اعْمَلـوُا فَسَيَرى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُـهُ والـمُـؤْمِنُـونَ وسَتُرَدُّونَ إلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

انتخاب لجنة الأصول

نظر مجلس المجمع في جلسته العاشرة المنعقدة في (١٨ / ٩ / ١٤٠٨ هـ - ٤ / ٥ / ١٩٨٨ م) في لجنة الأصول وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور القرار .

(قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٣٥ / ن تاريخ ١٠ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ - ٢٦ / ٥ / ١٩٨٨ م)

المؤتمر الإقليمي

للإعلامية والتعريب(*)

يحيى ميرعلم

شهدت السنوات المُنْصَرِمة من العقد الجاري تطوّراً كبيراً في مجال معالجة اللغة العربية بالحاسوب ، وذلك لأهمية تطبيقاتها وتعدُّدها من جهة ، وللتطوّر الذي حقّقته معالجة اللغات الأجنبية محكيّةً ومكتوبةً من جهة أخرى ، يؤكّد هذا انعقاد بضعة مؤتمرات علمية دولية تناولت العلاقة بين اللغة والحاسوب في صورها المختلفة ، مثل بعض ملتقيات المدرسة العربية للعلوم والتكنولوجيا : الحلقة الخريفية الأولى للسانيات التطبيقية ومعالجة الإشارة والمعلومات (الرباط من ٢٦ أيلول إلى ٥ تشرين الأول ١٩٨٣) ، والمدرسة الصيفية السابعة للمعلوميات واللسانيات العربية التطبيقية (الزبداني ٢٣ ـ ٣١ تموز ١٩٨٥) . وندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي (الكويت ١٤ ـ ١٦ نيسان ١٩٨٥) ، والملتقى الرابع للسانيات العربية والإعلامية (تونس ٩ ـ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٧)[1] ، والندوة الدولية لنقل تكنولوجيا الحاسوب إلى اللغة العربية (عمّان ٢٢ ـ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٧) ، والمؤتمر الإقليمي للإعلامية والتعريب (تونس ٩ ـ ١٢ آذار ١٩٨٨) وهو موضوع المقال ، ومؤتمرات أخرى عربية وأجنبية ذات صلة بما تقدّم .

قام على تنظيم هذا المؤتمر المعهد الإقليمي للعلوم الإعلامية والاتصالات عن بعد في تونس ، وقصد من وراء ذلك استعراضَ ما تمّ

(*) شارك الكاتب في أعمال هذا المؤتمر بتقديم بحث (نظام التحليل الصرفي العربي بالحاسب) نيابة عن فريق العمل المؤلَّف من مروان البواب ويحيى ميرعلم ومحمد حسان الطيان ، والمشرف الدكتور محمد مراياتي .

(١) انظر مقالة عنه للكاتب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٣، ج٢، ص٣٤٦.

التوصّل إليه في مجال المنتوجات الإعلامية ، وتقديمَ ما أُنجز من أعمال في مراكز البحث العربية والعالمية ، فكان بذلك منتدى للباحثين ورجال الصناعة ، ممّا سمح للمشاركين بتبادل الآراء والتفكير في التوجهات المستقبلية لمثل هذه الدراسات التطبيقية وانعكاساتها على عالم الصناعة ، وأتاح لهم فتح سبلٍ للتعاون فيما بينهم وصولاً إلى تحقيق اكتساب التكنولوجيا ، وتوثيق الخبرات والبحوث التي جرى تقديمها . وكان مِمّا جعل ثمار نتائج هذا المؤتمر يانعة دانية القطاف ما وفّره لها المعهد المذكور من أسباب النجاح علمياً ومادياً ومعنوياً ، خصوصاً اعتماده ثلاث لغات لساناً للمناقشات والبحوث وهي (العربية والانكليزية والفرنسية) ، وذلك باعتماد الترجمة الفورية إلى تلك اللغات ، جاءت أوفى ما تكون دِقّةً وجودةً ، تمكّن من خلالها جميع المشاركين عرباً وأجانب من الإفادة على أفضل وجه .

جرى في المؤتمر تقديم ما يربو على عشرين بحثاً وثمانية عروض تبيانية ، قدّمها باحثون ومتخصّصون ينتمون إلى جامعات ومراكز علمية ومؤسسات تجارية وصناعية من عشرة بلدان عربية وأجنبية ، في إحدى عشرة جلسة اشتملت كل واحدة منها على ثلاثة بحوث ، تندرج تحت تطبيقات الذكاء الاصطناعي واستخدامات الحاسوب في معالجة اللغة العربية ، وفيما يأتي ثَبَت بأسماء البحوث والعروض المقدّمة في المؤتمر موزّعةً على محاورها الأساسية (الجلسات) ، وقد شفعتُ كل بحث باسم مُقَدّمه إمّا كان واحداً ، وبأسماء منفّذيه إمّا تعدّدوا ، وأتبعتُ ذلك باسم الجهة التي يعملون فيها ، وفي هذا توثيق للبحوث بنسبتها إلى ذويها والجهات التي تعود إليها ، وتلبية لحاجة المتخصصين والفنيين الذين لا تقلّ عنايتهم بصاحب البحث وجهته عن عنايتهم باسمه .

أ ـ النشر المدعوم بالحاسوب :

١ ـ منهج لصوغ أنظمة النشر « داسك توب »

مراد طائلي ـ عبد الله السلامة ـ أحمد الطائي

معهد علوم الكمبيوتر والبيانات ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض .

٢ ـ من معالجة النص إلى التأليف الالكتروني .

حياة محمود . المركز القومي للإعلامية ـ تونس

٣ ـ معالجة النص والنشر الالكتروني بالأحرف العربية واللاتينية .

د . هاينز بيترسن . جامعة التكنولوجيا ـ آخن ، المانيا

ب ـ نظام إدارة قواعد البيانات :

٤ ـ استرداد البيانات العربية ، ما هي وكيف ؟

د . نبيل علي . العالمية للتكنولوجيا المتطورة ـ القاهرة .

آمال الشامي . مؤسسة البراجية بالعالمية ـ الكويت .

٥ ـ تجربة تعريب نظام لإدارة قواعد البيانات .

محمد القاسمي . جامعة الدول العربية ـ تونس .

٦ ـ البحوث المصطلحة واستخدام بنوك المعلومات .

ليلى المسعودي . كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المغرب .

ج ـ عرض تبياني :

أ ـ التعرف الشامل على الحروف العربية واللاتينية .

ماهر خماخم . المعهد الإقليمي للعلوم الإعلامية والاتصالات عن بعد ـ تونس .

ب ـ قواعد صورية لتحليل تراكبي آلي وتطبيقات أخرى .

أفرهارد ديترز . كلية الآداب ـ الجامعة الكاثوليكية ـ هولندا .

جـ ـ الرسم الطيفي الرقمي .

آمال بن سليمان . الشاذلي الفهري . المعهد الإقليمي ... ـ تونس .

د ـ من معالجة النص إلى التأليف الالكتروني .

حياة محمود . المركز القومي للإعلامية ـ تونس .

٤ ـ معالجة اللغات الطبيعية :

٧ ـ نظام فهم اللغة العربية الطبيعية .

حسني المحتسب . محمد الخياط . جامعة الملك فهد ـ السعودية

٨ ـ نظام لفهم اللغة العربية الطبيعية .

د . الحجازي .و د . العابد . وحمادة

المركز المصري للبحوث ـ القاهرة .

٩ ـ نظام التحليل الصرفي العربي بالحاسب .

مروان البواب . يحيى مير علم . محمد حسان الطيان . د . محمد مراياتي (مشرفاً) .

مركز الدراسات والبحوث العلمية ـ دمشق .

١٠ ـ كورتاكس : نظام مراجعة وتصحيح رسم النصوص العربية .

عبد المجيد بن حمادة ـ كلية العلوم والتصرف ـ صفاقس ـ تونس .

٥ ـ التدريس المدعوم بالحاسوب :

١١ ـ نظم التدريس المبنية على المعرفة .

د . ناصر الشيخ ـ جامعة الملك فهد ـ السعودية

١٢ ـ كيف ننتج برمجيات تعليمية .

د . محمد رجب الجابري ـ وزارة التربية ـ الأردن .

١٣ ـ صياغة نظام معلومات للتدريس (نظام الصرف العربي بالحاسوب) .

العيد البوزيدي . المعهد الوطني للإعلامية ـ الجزائر .

٦ ـ نُظُم ومحطات العمل :

١٤ ـ تصنيف غامض لمستخدمي الكمبيوتر العربي كشرط أساسي لصوغ البرامج المركزة للمستخدمين .

د . منصف قلالة . د . واينفورد بالن . جامعة رادنغ ـ انكلترا .

١٥ ـ مجمع متفاعل لبرنامج باسكال العربي .

د . أحمد محجوب . حسن مذكور . معهد علوم الكمبيوتر والبيانات ـ السعودية .

١٦ ـ نظام ملان .

منصف ملوكة . فتحي عمارة . المعهد الوطني للبحوث الإعلامية ـ فرنسا .

١٧ ـ ملاءمة نظام عامل للغة العربية .

عقيل سيد علي . المعهد القومي للإعلامية ـ الجزائر

٧ ـ عرض تبياني :

أ ـ محيط يونكس / عربيكس .

أندري بلوتي . إ . م . ت . نيوجرسي ـ أمريكا .

ب ـ جورج أنستاسيديس . تاكساس أنسترينتس ـ لوبي ـ فرنسا

ج ـ التعريب والشفافية

محمد عز الدين ، مؤسسة سيوس - باريس
د ـ د . ناصر عبد الله . جامعة الملك سعود ـ الرياض .

٨ ـ تعرُّف الحروف :

١٨ ـ قارئة عناوين مبنية على نظام التعرف البصري للحروف البريدية العربية .
د . عدنان نوح . ن . علا . معهد الهندسة ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض .

١٩ ـ تعرُّف الحروف العربية في الكتابة المتصلة الأحرف .
د . سياد حيدر . علي خواجة . معهد علوم الكمبيوتر والهندسة ـ الظهران

٢٠ ـ تعرُّف الحروف العربية واللاتينية الشامل بالبرمجة الدينامية .
ماهر خماخم . المعهد الاقليمي للعلوم الإعلامية .. ـ تونس .

٢١ ـ تعرُّف الحروف العربية بالهندسة التراتبية .
د . نور الدين اللوز . المدرسة القومية للمهندسين ـ تونس .
كريم بوحليلة . المركز القومي للإعلامية ـ تونس .

٩ ـ المعالجة الآلية للكلام :

٢٢ ـ تركيب الكلام العربي باستخدام جزئيات من مقاطع صوتية .
د . يوسف الإمام . مركز الكويت للعلوم لمؤسسة إ ، ب . م ـ الكويت .

٢٣ ـ نظام عربي للانتقال من النص إلى الكلام .
د . الشافعي . د . أحمد . د . المرزوق . جامعة الملك فهد ـ السعودية .

١٠ - علم المصطلح :

٢٤ - إشكالية المصطلح العربي بين الوضع والاستعمال

عبد اللطيف عبيد . معهد بورقيبة للغات الحية - تونس .

- التقييس المصطلحي دولياً وعربياً ووطنياً .

زهير المراكشي . المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية - تونس .

١١ - التعاون الاقليمي في مجال التكنولوجيات الحديثة :

محمد عبد اللطيف . وزارة المالية - الإمارات العربية المتحدة .

(د . سمير فخرو . د . محمد رجب الجابري . عبد اللطيف عبيد) .

إن أهمية انعقادِ مثل هذه المؤتمرات العلمية ، وإنجازِ مثل هذه البحوث الهامة ، والاستمرارِ فيهما = ينبع جميعُ ذلك من حاجة العربية المُلِحّة إلى هذه الدراسات التطبيقية التي تجتمع في نهاية المطاف لتكوّن قاعدةَ معلومات أو نظاماً خبيراً يشتمل على قواعد العربية : الصرفية ، والنحوية،والصوتية ، والدلالية ، والتركيبية ، والمعجمية ، والإحصائية ... ، فتلحق بركب ثورة المعلوميات التي وسمت هذا العصر بطابعها . وحين يتحقّق هذا فإن كثيراً من التطبيقات اللغوية ستغدو واقعاً ملموساً بعد أن كانت مجرد أحلام تداعب خيال الفنيين واللغويين ، من مثل : الترجمة الفورية العالية بين لغتين أو عدّة لغات ، وفهم الكلام ، وتحليله ، وتركيبه ، (تحويل النصوص المكتوبة إلى أصوات محكية ، وتحويل الأصوات المحكية إلى نصوص مطبوعة كما في الآلات الراقنة الذكية التي ستخرج على الناس قريباً) ومثل صناعة المعاجم العامّة والمتخصّصة ، وتعليم العربية ، واكتشاف أخطاء اللغة والتشكيل والصرف وتصحيحها ، وفهرسة الكتب ، واختزال النصوص ، والاسترجاع

الذكي للمعلومات الهائلة ، وتطبيقات لغوية مُحْتَمَلة ستُمليها الحاجة وقادمات الأيام ، لم تأخذ طريقها اليوم إلى أفكار الناس وأحلامهم .

وأحسب أن تحقيق ما تقدّم أو بعضه لن يكون على وجهه إلاّ إذا انعقدت مصاهرة علمية بين اللغويين والفنيين (مهندسي المعلوميات) فيشدّ كلٌّ منهم عَضُدَ الآخر ، وهو ما تتكررّ الدعوة إليه في مثل هذه المؤتمرات .

من مخطوطات

كتاب الجمل في اللغة لابن فارس
في مكتبات ايران

عبد العزيز الطباطبائي

١ ـ مخطوطة في مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد رقم ٣٦٨٦ ، كتبت سنة ١٠٦٣ في نهايتها بلاغ بالمقابلة والقراءة والتصحيح .

٢ ـ مخطوطة كاملة في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقم ٢١٤ ، كتبها بابا علي بن حاج حمزة بن خليل بابا الحنفي برسم قامع البدع محمود بن خضر أحمد قاضي مدينة سيدي هارون ، وفرغ منها غرة رجب ٨٦٥ ، وصفت في فهرسها ٢ / ٤٤٧ .

٣ ـ المجلد الاول الى حرف الصاد من مخطوطات القرن السابع ، بخط ثلثي مشكول في ٢٣٤ ورقة في مكتبة البرلمان السابق رقم ٤٦٨٢ ، ذكرت في فهرسها ١٣ / ٦٤ .

٤ ـ المجلد الثاني من حرف الضاد للنهاية من مخطوطات القرن السابع كتبه أبو سعيد نصر بن محمد بن علي بن سلم بواسط العراق ، من مخطوطات مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد برقم ٧٨٩٧ ، واظنه متمم المجلد الاول المتقدم الذي في مكتبة البرلمان لتشابهما في الخط والحجم وغير ذلك .

٥ ـ قطعة في مكتبة البرلمان السابق ، من مخطوطات القرن السادس رقم ٣٩٨١ ، معروضة في معارضها .

٦ ـ المجلد الثاني من حرف الفاء للنهاية في المكتبة المركزية لجامعة

طهران رقم ٢٠٣ في ٢٥٧ ورقة ، ذكر في فهرسها ٢ / ٤٤٧ ، كتبه هبة الله بن حسين بن أحمد القصيري وفرغ منه في شهر رمضان سنة ٤٧٩ ، وبأوله تملك أبي الخير نصر بن علي بن نصر بن الحسين الازدي .

٧ ـ المجلد الثاني من حرف الضاد للنهاية في ٢٥٣ ورقة في مكتبة ملك الاهلية العامة في طهران رقم ٣٤٦ ، كتبه محمد بن موسى الخوئي في مدينة سلماس بخط نسخي مشكول ، وفرغ منه يوم الخميس غرة صفر سنة ٤٥٧ ، والنسخة مقابلة على نسخة مقروءة على المؤلف ومقروءة أيضاً على الشريف عزيز الهاشمي البصري ، وعليها خط محمد بن حمزة الطالقاني بشرائه لها في نيسابور في محرم سنة ٥٤٦ .

٨ ـ مخطوطة في مكتبة الأستاذ مجتبى المينوي في طهران ، كتبت في القرن الرابع ، وعليها قراءة على بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السلمي على اسماعيل بن أبي منصور الجواليقي سنة ٥٣٨ .

وقراءة سعيد بن صالح بن عبد الله الجمالي عليه أيضاً ، فرغ من قراءتها عليه في مستهل شعبان سنة ٥٥٩ .

وعليها قراءة الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون عليه أيضاً في سنة ٥٧٣ .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٨

محمد مطيع الحافظ - غزوة بدير

أ - الكتب العربية

- **بيوت عمّان الأولى** - الجامعة الأردنية - د. طالب الرفاعي، المهندسة ربا كنعان - عمان ١٩٨٧ .

- **التنبيه على سبيل السعادة** - الفارابي - تحقيق ودراسة د. سحبان خليفات - عمان ١٩٨٧ .

- **تاج العروس من جواهر القاموس (الجزء الرابع والعشرون)** - محمد مرتضى الزبيدي - تحقيق مصطفى حجازي - الكويت ١٩٨٧ .

- **تدبير الإكسير الأعظم** (أربع عشرة رسالة في صنعة الكيمياء) - جابر بن حيان - تحقيق بييرلوري المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية دمشق ١٩٨٨ .

- **تطور التعليم في البحرين** في الفترة من ٨٣ / ١٩٨٤ - ٨٥ / ١٩٨٦ - قسم التوثيق التربوي ، وزارة التربية والتعليم في دولة البحرين - البحرين ١٩٨٦ .

- **تقارير عن شرقي الأردن عام ١٩٣٤** - الجامعة الأردنية - إعداد وجمع وتحرير د. محمد عبد القادر خريسات - تقديم د. محمد عدنان البخيت - عمان ١٩٨٧ .

- **تقارير عن شرقي الأردن عام ١٩٣٥** - الجامعة الأردنية - إعداد وجمع وتحرير د . محمد عبد القادر خريسات - تقديم - د . محمد عدنان البخيت - عمان ١٩٨٦ .

- **تقريب التهذيب في علم المنطق** - محمد التقي الحسيني الجلالي - النجف الأشرف ١٤٠٠ هـ .

- **تكنولوجيا الكهرباء** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - روبرت أرنولد ١٩٨٥ .

- **تكنولوجيا المركبات الآلية** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - عدد من المؤلفين - ١٩٨٥ .

- **تكنولوجيا ميكانيكا الآلات** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - عدد من المؤلفين - ١٩٨٥ .

- **ثَبَت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي** - دراسة وتحقيق د . عبد الله العمراني - بيروت ١٩٨٣ .

- **الجداول الفنية للكهرباء** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - آلويس شيللر - ١٩٨٥ .

- **الجداول الفنية للمركبات الآلية** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - هـ . جيرشلر - ١٩٨٥ .

- **الجداول الفنية للمعادن** - المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية - هيرمان جوتر وإدوارد شاركوس - مراجعة رولف لوبيرت - ١٩٨٥ .

- **الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء** - لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني - أعده للنشر بإيضاح بعض غوامضه وإعداد فهارسه وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب الأستاذ حمد

الجاسر ـ الرياض ١٩٨٧ .

ـ **الحساب الفني للكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ هيرمان كراتو وجان رولف ريرينك ـ ١٩٨٥ .

ـ **الحساب الفني لميكانيكا الآلات** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ـ ١٩٨٥ .

ـ **الحساب الفني لميكانيكا المركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ فيلهيام ولف وورودي كيرجر ـ ١٩٨٥ .

ـ **الدلائل** ـ الحسن بن البهلول ـ تحقيق د . يوسف حبي ـ مراجعة د . محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ١٩٨٧ .

ـ **ديوان ابن فُركون** ـ تقديم وتعليق محمد بن شريفة ـ الدار البيضاء ١٩٨٧ .

ـ **رجال النجاشي** ـ أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي ـ قم ١٤٠٧ هـ .

ـ **الرسم الفني للكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **الرسم الفني للمركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **الرسم الفني للهندسة الميكانيكية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي** ـ تيخو نوفا ـ موسكو ١٩٨٧ .

- **طبيعة الحياة** - فرانسيس كريك - ترجمة د . أحمد مستجير - مراجعة د . عبد الحافظ حلمي الكويت ١٩٨٨ .
- **العلامة الدكتور عمر فروخ** - لجنة تكريم العلامة الدكتور عمر فروخ - تقديم وجمع وتحقيق د . حسان حلاق - بيروت ١٩٨٨ .
- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة** - محمد بن أيوب بن الضريس البجلي - تحقيق غزوة بدير - دمشق ١٩٨٨ .
- **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية** - ياسين محمد السواس - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٧ .
- **الفيزياء الكلاسيكية والحديثة** (٢ - ٣) - كينيث و . فورد مجمع اللغة العربية الأردني - عمان ١٩٨٥ .
- **كيم ايل سونغ** (المؤلفات) (الجزء الثاني) - بيونغ يانغ - كوريا ١٩٨٠ .
- **مرض القلق** - د . دافيد . ف . شيهان - ترجمة د . عزت شعلان - مراجعة د . أحمد عبد العزيز سلامة - الكويت ١٩٨٨ .
- **معالم من حضارة وادي الرافدين** - د . خليل سعيد - الدار البيضاء - ١٩٨٤ .
- **المعاني الكبير في أبيات المعاني** - الدينوري - (دراسة تحليلية اعداد د . أبو الحسن عبد الله الخطيب - القاهرة ١٩٨٥ .
- **معلمة الملحون** (القسم الثاني من الجزء الأول) - محمد الفاسي - الرباط ١٩٨٧ .
- **مقالات يحيى بن عدي الفلسفية** - دراسة وتحقيق د . سحبان خليفات - عمان ١٩٨٨ .
- **مقاليد علم الهيئة** - لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني - تحقيق

وترجمة ماري تيريز دي بارنو - المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات الشرقية - دمشق ١٩٨٥ .

- ندوة مناهج اللغة العربية في التعليم ماقبل الجامعي - جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض - ١٤٠٥ هـ .

- نظرة عامة في مباحث الكيمياء الحيوية - هاربر تأليف عدد من المؤلفين - ترجمة د . أحمد محمد خير كرزة - حلب ١٩٨٣ .

ب - المجلات العربية

- مجلة جامعة دمشق	٣	١٩٨٧	دمشق
- عالم الذرة	٦	١٩٨٨	دمشق
- المجلة البطريركية	٧٤ - ٧٥	١٩٨٨	دمشق
- المعرفة	٣٠٦ - ٣٠٧	١٩٨٨	دمشق
- المعلم العربي	١	١٩٨٨	دمشق
- صوت فلسطين	٢٤٤ ، ٢٤٥	١٩٨٨	دمشق
- الثقافة الباكستانية	١٠	١٩٨٨	دمشق
- الهند	١٠٠	١٩٨٨	دمشق
- الضاد	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	١٩٨٨	حلب
- مجلة بحوث جامعة حلب	٨	١٩٨٦ - ١٩٨٧	حلب
- نشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	كانون الثاني - شباط	١٩٨٨	بغداد
- الضاد	١	١٩٨٨	بغداد
- سومر	٣٨	١٩٨٢	بغداد
- العلم والتكنولوجيا	١٢	١٩٨٨	بيروت
- تاريخ العرب والعالم	١١١ - ١١٢	١٩٨٨	بيروت
- الأبحاث	٣٥	١٩٨٧	بيروت
- الفكر العربي	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩	١٩٨٧	بيروت
- الفكر العربي	٥٠	١٩٨٨	بيروت

ـ الشراع	٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧	١٩٨٨	بيروت
	٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢		
	٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥		
ـ مجلة المعجمية	١	١٩٨٥	تونس
	٢	١٩٨٦	تونس
ـ المجلة العربية للعلوم	١٠	١٩٨٧	تونس
ـ الحياة الثقافية	٤٨ ، ٤٩	١٩٨٨	تونس
ـ الوثائق العربية	٩ ـ ١٢	١٩٨٣ ـ ١٩٨٧	تونس
ـ نشرة المعلومات	٣٥	١٩٨٧	تونس
ـ المنتدى	٥٥	١٩٨٨	دبي
ـ العرب	١ ، ٢	١٩٨٨	الرياض
ـ عالم الكتب	١	١٩٨٨	الرياض
ـ الدارة	٤	١٩٨٨	الرياض
ـ الفيصل	١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦	١٩٨٨	الرياض
ـ دراسات	٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١،		
	١٢	١٩٨٧	عمان
ـ دراسات	١	١٩٨٨	عمان
ـ المكتبة	١٠٤	١٩٨٧	عمان
ـ المكتبة	١٠٥	١٩٨٨	عمان
ـ نشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني	٦	١٩٨٨	عمان
ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني	٣٣	١٩٨٧	عمان
ـ اليرموك	٢٢	١٩٨٨	عمان
ـ المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية	٦٢	—	القاهرة
ـ ديوجين	٧٦	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢	١٩٨٧	القاهرة
ـ الثقافة العالمية	٢٥	١٩٨٥	الكويت
ـ حوليات كلية الآداب	٤٦	١٩٨٧	الكويت
ـ حوليات كلية الآداب	٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤	١٩٨٨	الكويت
ـ أخبار التراث الإسلامي	١٢	١٩٨٧	الكويت
ـ نشرة أخبار التراث العربي	٣٥	١٩٨٨	الكويت

ـ دراسات أدبية ولسانية	٤	١٩٨٦	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦١	١٩٨٦	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	١٩٨٧	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦٨	١٩٨٨	المغرب
ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية	١٣	١٩٨٧	المغرب
ـ الكتاب المغربي	٤	١٩٨٦	المغرب
ـ الوحدة	٤١ ، ٤٢ ، ٤٣	١٩٨٨	المغرب
ـ الأكاديمية	٤	١٩٨٧	المغرب
ـ المناهل	٣٦	١٩٨٧	المغرب
ـ اللقاء	٢	١٩٨٨	ألمانيا
ـ فكر وفن	٤٦	١٩٨٧	ألمانيا
ـ الثقافة الإسلامية	١٦	١٩٨٨	ايران
ـ الدراسات الإسلامية	١	١٩٨٨	باكستان
ـ بناء الصين	٤ ، ٥	١٩٨٨	الصين
ـ الصين المصورة	٣ ، ٤	١٩٨٨	الصين
ـ البعث الإسلامي	١ ، ٣	١٤٠٨	الهند

جـ ـ باللغات الأخرى

- La Santé publique , Corée , 1983.

- Livres et Revues d'Italie 1- 2 , 1986.

- Littérature Chinoise, 2, 1988.

- Comptes Rendus de L'Académie Bulgare des Sciences 2,3,4 , 1988.

- Bulletin d'Etudes Orientales , XXXVII , XXXVIII , 1985 - 1986.

- La Nouvelle Revue Internationale , 3 , 1988.

- Coree , 3 , 1988.

- La Chine , 1,2,3, 1988.

* * *

- Science in China , 2,3,4, 1988.
- Hamdard Islamicus , 1, 1988.
- The Muslim World , 3-4, 1987.
- The Image of al - Ma^carri as an Infidel among Medieval and Modern Critics , Tahir K. AL - Garradi , 1987.
- Western Humanities Review 3 - 4 ,1987.
- New Times , 18 , 1988.
- Studies in the language of Qoheleth , Bo Isaksson , 1987.
- Abstracts , 3,4, 1987.
- Peasant Studies , 3, 1987.
- Studies in Islam , 3,4, 1981.

* * *

- Lettera dall'Italia , 9, 1988.
- Gjuha Jonë , 3,4, 1987.
- Studime Gjeografike , 2, 1987.
- Boletin de la Asociacion Española de Orientalistas XXIII, 1987.
- Folia Orientalia , XXIV , 1987.
- Sprawozdania z posiedzeń komisji . Naukowych , 1 -2 , 1985.
- Rocznik Oddzialu Pan W Krakowie za Rok , 1985.
- Studime Filologjike , 2,3, 1987.

- Studime Historike , 2,3,1987.

- Studia Albanica , 2, 1987.

- Wissenschaftliche Zeitschrift der Humboldt - Universität zu Berlin, 8,9,10,1987, 1,2, 1988.

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والستين

الجزء الرابع ٤٣٠ المجلد الثالث والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

صفر ١٤٠٩ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٨ م

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي

في مخطوطة عُمَانية كانت مجهولة

الأستاذ حمد الجاسر

وصف المخطوطة :

هي مخطوطة أخرى مشابهة للمخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد ، ونشر عنها « ديوان عدي بن زيد العبادي » سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ـ الحلقة الثانية ـ من (سلسلة كتب التراث) التي تصدرها (وزارة الثقافة والإرشاد) العراقية[١] .

وهذه المخطوطة تحوي :

١ ـ قطعة تقع في ١٧ صفحة من مقدمة « جمهرة أشعار العرب » تبتدىء من : « ذكر ما حُكِيَ عن الشعراءِ أيُّهُمْ أجودُ شعراً : خبرُ زُهير بنِ أبي سُلْمَى ، قال الذينَ قَدَّمُوا زهيرا »[٢] إلى : « وهذا أول ما افتككنا من أشعارهم التسع والأربعين ، وهو سِمْطُهُ ، ونسبه : امْرُؤُ القيس بن حُجْرٍ » ، وساق نسبه إلى هود النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بياض في آخر الصفحة ـ من ص ١ الى ص ١٧

٢ ـ يبدأ الكلام هكذا : (وقال امْرُؤُ القيس بنُ حُجْرٍ) ـ وبعد سياق نسبه إلى قحطان وتعليلِ اسمِ مَذحِجَ : (قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري[٣] ، قرأتُ شِعْرَ امرىء القيس على أبي جعفرٍ محمدِ بن حَبيب ،

---

(١) ص ٢٢ / ٢٣ مقدمة الديوان ـ وانظر مجلة « العرب » س ٢٢ / ٨٤٨ ـ ٨٤٩

(٢) في مطبوعة (جامعة الإمام محمد بن سعود) من « الجمهرة » من ص: ١٨٦ إلى ٢٣٧

(٣) في الأصل (اليشكري) خطأ .

وأبي يوسف يعقوب بنِ السِّكِّيتِ ، وإسحاق بن إبراهيم الزِّيادي ، وأبي حاتِمٍ السِّجستانِي ، وأبي الحسن الطُّوسي ، وكان يقال لامرئ القيس المَلِكُ الضِّلِّيلُ ، وماتَ بأنقِرَة في بلاد الروم منصرفاً من عند قَيْصر ، وهو الأول من الطبقة الأولى من الجاهلية ، قال أبو سعيد الحسنُ بنُ الحسين السكري[٣] : قرأتُ قصيدةَ امرئ القيس هذه على أبي حاتِمٍ والزِّياديِّ وعبدِ الرحمن بنِ أخي الأصمعي ، وأولها :

قِفا نَبْكِ منْ ذِكْرَىَ حَبيبٍ ومَنْزِلِ

ـ المعلقة المعروفة ـ كاملة في (٩١) بيتاً وبعدها : (وقال أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ الحسين السكري[٣] : قرأتُ قَصيدَةَ امرئ القَيْس على المَرْزُبانِيِّ وعلى أبي حاتم وأولها :

أَلاَ انْعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البَالي وهل يُنْعِمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي؟

ثم بعد هذه القصيدة يَرِدُ شعرُ امرئ القيس ، مبثوثةً في ثناياه أخْبارُهُ ، وفي مقدمة أكثر القصائد ذِكْرُ رواتها مع الإشارة إلى اختلافهم فيها .

وآخره ـ ص ٧٦ ـ : قال أبو سعيد : أخبرني أبو حاتم قال : مما زَعَمَ أبو عُبَيْدة أنَّهُ محمولٌ على امرئ القيس قصيدةٌ قرأتُ منها أربعة عشر بيتاً في صفة الخيل ، وهي ثلاثون بيتا ولم يُثْبِتها الأَصْمَعِيُّ أولها :

صَحَا القلبُ عن ذكرى لَميسَ فأقصرا وجُنَّ بهـا مـا جُنَّ ثُمَّتَ أبصرا

وقرأت عليه سبعة أبيات زعم أنها مما يُحْمَل على امرئ القيس أولها :

الخيرُ ما طلَعَتْ شَمْسٌ ومَا غربَتْ مُعَلَّقٌ بَنَواصي الخَيْلِ مَعْصُوبُ

وقرأتُ عليه ثمانيةَ أبياتٍ من واحدةٍ زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه وهي ثلاثون بيتا أولُها :

صَرَمَتْكَ بَعْدَ تَواصُلٍ دَعْدُ وبدا لِدَعْدٍ بعضُ ما يَبْدُو

وقرأتُ عليه خمسة أبياتٍ من واحدةٍ على الباءِ ، زعم أنها مما يُحْمَلُ

عليه ، وهي ثلاثون بيتاً أولها :

لِمَن الـدِّيـارُ[٤] تَعَفَّتْ ذُو حُقُبْ بِجَنـوبِ القَـوِّ أقـوَتْ فـالْخَرِبْ

وقرأتَ عليه خمسةَ عشر بيتاً من واحدة على اللام مما يُحْمَلُ عليه يقول فيها :

وغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ جُنَّتْ تِلاعُهُ وَأَبْرَزَ عَنْ نَوْرٍ كَتَوشِيَةِ الرَّقْمِ

وقرأتَ عليه ستة أبيات من واحدة على[٥] مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :

وقَدْ أغْتَدِي قَبْل ضَوْءِ الصَّبَاح بِمُنْجَرِدِ الشَّدِّ مُسْتَجْمِعِ

قال أبو عُبَيْدَة : ويُرْوَى لِامْرِئِ القيس قصيدةٌ مصنوعَةٌ زعم الناس أنها لِحَمَّاد ، أولها :

ذَكَرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا[٦] فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيدَا

قال أبو حاتم : ومما يُحْمَلُ على امْرِئِ القيس مِنَ الشعر أكْثَرُ من الصحيح فنون المحمول(؟) عليه قال : أهل الكوفة مثل حماد وجناد وابن الخصاص[٧] ، قال : أفْسَدُوا شِعْرَهُ ، ومما يُحْمَل عليه وليس له فيما زعموا منه إلاّ بيت واحد :

إنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الأَشْقَيْنِ مَصْبُوب

وهو شعرٌ حسنٌ ليس له منه إلا هذا البيت ، لاشك أنه له ، ومما أثبتَ

---

(٤) لعل الصواب : (الدار) .

(٥) لعل الصواب : (على حرف العين) .

(٦) دخله الخرم ، وفي ديوانه (أذكَرْتَ) .

(٧) كلمة (مثل) ليست واضحة . وجناد قال عنه ياقوت في « معجم الأدباء » : « جناد بن واصل الكوفي » : .. لاعلم له بالعربية ، كان يُصَحِّف ، ويكسر الشعر . ولا يميّز بين الأعاريض المختلفة .. من علماء الكوفة القدماء ، وكان كثير الحفظ ، في قياس حمّادِ الراوية . انتهى ، والجصاص ـ لم أميز اسمه هل هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل هو بالصاد المهملة أو الضاد المعجمة ،فضْلاً عن معرفته .

أبو عُبَيدة لامرئ القيس ولم يجىء[٨] الأصمعي ، قال أبو عبيدة قال [ ][٩] :

أبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ إذَا مَا لَقِيتَهُمْ وأبْلِغْ بَنِي لُبْنَى وأبْلِغْ تُمَاضِرَا
وأبْلِغْ وَلاَ تترك بني ابنةِ مِنقَرٍ أُقَرِّرُهُمْ إنِّي أُقَرِّرُ جابرَا
أحَنْظَلَ لَوْ كُنْتُمْ كراماً صَبَرْتُمُ وحُطتُم ولا تَلْقى التَّمِيمِيَّ صَابِرَا

قال أبو سعيد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثني محمد بن جعفر - رجل من أهل الحديث - قال : كان امرؤ القيس رجلاً[١٠] مُفَرَّكاً ، فتزوج امرأةً من طيّئ[١١] فلما [[١٢]] سبق إلى قلبها ما كان يسبق منه إلى قلوب النساء فأيقظته من نومته ، وقالت : يافتى الفِتْيَان أصْبَحْتَ فاغدُه ، فقام فإذَا الليلُ على حالِهِ مُعْتَكِرٌ ، فلما وضع جنبه قالت : يافتى الفِتْيان أصبحتَ فاغْدُهْ ، فقام فإذا الليلُ على حالِهِ ، فعلم أنَّ ذالك ضجر منها فجعل يقول : أَصْبِحْ لَيْلُ . فلما برق الفجرُ قال لها : قد رأيتُ ما صَنَعْتِ مُذ الليلة ، فأنت الطلاق ، فأخبريني ما كرِهتِ منِّي ، قالت : كرهتُ والله منكَ ثِقَلَ صدركَ وخِفَّةَ عَجُزكَ ، وأنَّكَ سريعُ الْهَرَاقة ، بطيءُ الإفاقة . قال بلى[١٣] أخبرُكِ عَنْكِ ؟ قالت : بلى [[١٤]] ما أعفيتني قال : أنتِ والله النَّاتئةُ الجَبْهة ، الحديدةُ الرُّكبَة ، الواسعة الثُّقْبَة ، السريعة[[١٤]] فجعل يقول لها : لعنك

(٨) في الأصل (سحى) مهملة من النقط .
(٩) كلمة غير واضحة .
(١٠) في الأصل (رجل) .
(١١) في الأصل (طى) .
(١٢) كلمة غير واضحة ، ولعلها (زُفَّتْ) .
(١٣) كذا ولعل الصواب : (أفلا أخبرك) .
(١٤) كلمة غير واضحة .

الله ، وتقول له : لعنك الله ـ تمّ ماوجدته من ديوان امرئ القيس ، والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه محمد ... ـ من ص ١٩ الى ص ٧٧ ـ

٣ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال أبو يوسفَ يعقوبُ بن السِّكِّيتِ قال : كان حديثُ طرفة) ثم ساق نسبه الى عدنان ، وأورد طرفاً من أخباره مشوباً بشعره ، مَبْدوءًا بقوله : (قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ، ولا أعدل ، ولا أكثر فرسانا من بني ثعلبة) واسترسل في سرد الأخبار ، تتخللها أشعار كثيرة لطرفة ، ثم بدأ يسرد القصائد أولها :

لَوْ كانَ في أملاكنا أحَدٌ   يَعْصِرُ فينا مثلَ ما نعصرْ

وقد يشير في أول القصيدة إلى الاختلاف في روايتها كأن يقول : (لم يروها الأصمعيُّ ، وأثبتها أبو عُبيدة وأبو عَمْرو) أو أن يقول : (ولم يروها الأصمعيُّ ولا أبو عُبيدة ، ولا أبو عَمْرو) .

وآخر الشعر ، هذه القصيدة التي قال عنها : (وقال طرفة ، ولم يروها الأصمعيُّ ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عَمْرو) :

ألا أيّها الغادي تَحَمَّل وصيَّةً   إلى خالدٍ مِنّي وَإنْ كان نائِيَا

في (٢٢) بيتا ـ وتبدو فيها آثارُ الصنعة ـ وبعدها (آخر شعر طَرَفَة بن العبد في جميع الروايات ، والحمد لله حق حمده) ـ من ص ٧٨ الى ص ١١٧ ـ .

٤ ـ وفي آخر ـ ص ١١٧ ـ بعد البسملة : (قال زُهيرُ بن أبي سُلْمَى) وبعد سياق نسبه ، إلى نزار بن معدّ بن عدنان المُرّي الغطفاني(١٥) ، يمدح

(١٥) كذا وليس زهير مُرّياً ولا عطفانياً ـ بل مُزَنيٌّ ـ كا ورد فيا ساق من نسبه .

الحارث بن عوفٍ وهَرِمَ بنَ سِنان المُرِّيَّيْن :

أمِنْ أمِّ أوفَى دِمْنَـــــةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ـ المعلقة ـ

ثم شعر زهير مسروداً بدون ترتيب على الحروف ، وليس فيه ما يشير الى جامعه ، وقد ورد في مقدمة إحدى القصائد ـ ١٥٦ ـ : (قال زُهير يعاتبُ أمّ كعب امرأته وهي كَبْشَه بنت عمّار من عبد الله بن غطفانَ لم يَرْوِهَا المُفضّلُ وهي من كتاب حماد [(١٦)]

فيمَ لَحَتْ إنْ لَــوْمَهَــــا ذَعِرُ ؟ أحميت لَــوْمــــاً كأنــــهُ الإبَرُ

وآخره : (قال زهير لبني الصَّيداء :

ولقـــــــدْ نَهيتُكُمُ وقلتُ لكم : لا تَقْرَبُنَّ فــوارِسَ الصَّيْــــداءِ

ثم ثلاثة أبيات ، بعدها : (تمّ ديوانُ زهير بن أبي سُلمى المُزني ـ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا ـ) ـ من ص ١١٧ الى ص ١٦٠ ـ .

٥ ـ بعد البسملة والاستعانة : (وقال النابغة الذُّبياني يمدح النُّعمان بن امرئ القيس بن النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، والنابغة اسمه زياد بن معاوية ـ ثم سياق النسب إلى نزار ـ :

يـا دارَ مَيَّةَ بـالعَلْيَـاء فـالسَّنَـدِ أقوتْ فطال عليها سالِفُ الأمَدِ

بعدها أخبارٌ تتعلق بالنابغة عن أبي عَمْرو ، وابنِ الأعرابي ، وأبي عُبيدة تتخلّلُها أشعارٌ كثيرة له ، وتنتهي بما هذا نصه : (وقال يعتذر إلى النعمان وهم بنو الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، وزعموا أنه هجا الملك في قوله :

خَبّروني بَنِي الشَّقِيقــة مــايـ ـــنَـعُ فقمــاً بقَرْقَرٍ انْ يَـزُولا

(١٦) كلمة غير واضحة .

ثم ستة أبيات وينقطع الكلام ببياض الصفحة ـ من ص ١٦١ الى ص ١٩٩ ـ .

٦ ـ بعد البسملة : (وقال الأعشى واسمه ميمون ـ وبعد سياق النسب إلى عدنان ـ قال يمدح الأسود بنَ المنذر ـ أخو النعمان بن المنذر ـ أم الأسود من تيم الرِّبَابِ ، وكندة يزعمون أنه الأسود الكندي ثم أحد بني الار ... :[١٧]

مـا بُكَـاءُ الكبيرِ بـالأطـلالِ ؟ . . . .

يتبعها الشعرُ خالياً من الأخبار والشروح ، أو الإشارة إلى جامعه ، سوى إيرادِ خبر يوم (سَاتِيدَمَا) ومَسِيرِ قَيْصَرَ إلى كِسْرَى أَنُوشِرْوانَ ، وذِكْرِ مدحِ الأعشى إياسَ بنَ قبيصةَ الطائيَّ بالقصيدة التي مطلعها :

مَـاتَعيفُ اليـومَ في الطيرِ الرَّوَحْ   من غُرابِ البينِ أو تيْسٍ بَرَحْ

وفيه أخبار منسوبةٌ إلى أبي عُبَيدَةَ ذاتُ ارتباطٍ ببعضِ القصائد .

وفي مقدمة إحدى القصائد : (لم يَرْوِهَا أبو عُبيدَةَ ولا ابنُ حَبِيب ، ورواها أبو عَمْرٍو)

وفي مقدمة أخرى : (رواها أبو عُبَيْدَةَ وأبو عمرو ، وخالدُ بن كلثوم) .

وآخر الشعر : (قال أبو عُبيدة : أنشدنا أَبُوعمرِو بْن العلاءِ للأعشى بيتين يعتذر فيهما في مدحه شيبانَ :

مَتى تَقْرِنْ اَصَمَّ بِحَبْـلِ أَعْشَى   يلحـا في الضلالـةِ والخسـارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئـاً يراهُ   وليس بسـامـعٍ منّي حِـواري

وقال الأعشى :

لقـد أَذُمُّ أصحـابي   وقـد يُصْبِـحُ بـالقيّ[١٨]

(١٧) كلمة غير واضحة وقد تكون (الأرقم) .

(١٨) كذا ولم أجده في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور م محمد حسين .

ثم بياض مقدار سطر كتب في وسطه (لعله مُنقطع) وتحته : (آخرُ شعر الأعشى . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا ـ من ص ٢٠١ إلى ص ٣٣٨ ـ .

٧ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال لَبيدُ بنُ رَبيعة) ـ وسياق نسبه إلى عدنانَ ثم معلَّقتَهُ ، ثم شعره خالياً من الأخبار والتعليقات التي تفصح عن جامعه وآخره القصيدةُ التي آخرها :

وَجَدتُ الجَاةَ والأكَال فِينا وعادِيٌّ المآثِرِ والأرُومِ

في ثلاثة وعشرين بيتا ثم (تَمَّ ، آخرُ ماوجدته من شعر لَبيدِ بن ربيعة ، والحمد لله رب العالمين) ـ من ص ٣٣٩ الى ص ٤٠٣ ـ .

٨ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي الا بالله العلي العظيم ، قال بشرُ بن أبي خازم) وسأفصِّلُ عنه الحديث بَعْدُ ـ من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٥٧ ـ .

٩ ـ بعد البسملة : (وبه ثقتي ، وقال عَبيدُ بن الأبرَصِ الأسديُّ بن جُشمِ بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسَدِ بن خُزَيْمة ـ ويقال : إنه كان يَخْطُبُ بهذه القصيدة في الجاهلية ، في عروض النوع الأول من البسيط :

إنْ بُدِّلَتْ من أهلها وُحُوشاً وغيَّرتْ حَالَها الخُطُوبُ

أَقفرَ من أهلِهِ مَلْحُوبُ فالقُطْبِيَّاتُ[19] فالذَّنُوبُ

ثم سرد أشعار عَبيدِ خالية من الإضافات ومن ذِكر جامعها . وآخرها : قال محمد بن عمرو الشيباني : كان من حديث قتل عبيدٍ : أنَّ المنذرَ بنَ ماءِ السماءِ بَنَى الغريَّيْن ، وآخر الخبر : (وأَبَى أن ينشِدَهُمْ شيئاً فأمر به فقُتِل . آخر شعر عبيد بن الأبرص ، تَمَّ ما وجدته) ـ من ص ٤٥٨ الى ص ٤٧٩ ـ .

---

(١٩) في الأصل : (فالقطنيات) ، وكذا ورد هذا البيت ثانياً ، ومحلُّه الأول .

١٠ ـ بعد البسملة : (وبه ثقتي وهو حسبي وقال عديّ بن زيد) ـ وسياق نسبه الى عدنان ـ ثم شعره على مانشر الأستاذ محمد جبار المُعَيْبد ـ من ص ٤٨٠ الى ص ٥٠٤ ـ ، وفي آخره : (وجدتُ في النسخة مكتوباً أنَّ جميع الزيادات المضافات على هذا الشعر قد اختار المؤلف ما صح معه أنهن لهم ، وطلع من المضافات والله أعلم ، تمت الدواوين بعون الله .... وكان تمامه على يد العبد الفقير لله تعالى ربيعة بن هلال بن ربيعة بن هلال بن رجب بن عريمة في ضحى الاثنين لتسع ليال خلت من شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين سنة من هجرة الرسول عليه السلام لمالك قرطاسه الملك الأعظم .... فلاح بن المحسن بن سليمان بن مظفر بن سليمان بن نبهان ....) باختصار .

وآل نبهان هاؤلاء من سلاطين عُمان في القرن العاشر الهجري ، وفلاحٌ هذا على ماذكر العلامة ابن حُمَيْدٍ السالميُّ في « تحفة الاعيان »[٢٠] تولّى الحكم من سنة (٩٧٣) الى سنة (٩٨٠) ، ومن هنا يَتَّضحُ أن تاريخ الكتابة هذه هو سنة (٩٧٢ هـ) ، فهل هذا تاريخ نسخ هذا القسم من هذه المجموعة ، سيأتي ما يؤيده ـ وقد أُلحِق بالمجموعة من الأوراق ما تُشبهُ كتابتُه كتابتها ـ من ص ٤٨٠ الى ص ٥٠٤ ـ تحوي :

١١ ـ قصائد لا رابط بينها سوى ورودها في جمهرة أشعار العرب ، منها اثنتان من (المنتقيات) هما :

قصيدة المُرَقِّشِ بن ربيعة بن سعد :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ دمعُ عينكَ يَسْفَحُ ؟ غَدَا من مقامِ أَهْلُهُ فَتَرَوَّحُوا

وقصيدة دُريد بن الصِّمَّة :

أَرَثَّ جَديدُ الحَبلِ من أُمِّ مَعْبَدِ ؟ بعاقبةٍ وأخلفتْ كُلَّ مَوعِدِ

(٢٠) ج٢ص٣٣٦ ـ الطبعة الأولى .

وثلاث من (المذهبات) :

قصيدة حسان بن ثابت مقدمة بجملة : (وقال حسان بن ثابت ـ وهذه المذهبات ـ :

لَعَمْرُ أَبيكَ الخيرِ حقًّا لَمَا نَبَا ... عليَّ لساني في الخُطُوبِ وَلاَ يَدِي

وقصيدة عبد الله بن رَوَاحة :

تذكَّرَ بعدما ما شَطَّتْ نجودا ... وكانت تَيَّمَتْ قلبي وَليدا

وقصيدة قيس بن الخَطِيم :

أتعرفُ رَسماً كاطراد[٢١] المذاهِبِ ... لِعَمرَةَ قَفْراً غير موقف راكِبِ

ثم : وقال الشجوي (؟) :

مراضَى نحنُ ليس لنا طَبيبُ ... ومَهْجُورينَ ليس لنا حَبيبُ

في احد عشر بيتا ، فبياض شمل ثلثي الصفحة الـ (٥١٣)

ثم لامية العرب « المعروفة للشَّنْفَرَى[٢٢] ، وهي آخر هذه المجموعة ـ والقصائد هذه من ص ٥٠٥ إلى ص ٥١٧ ـ .

وآخر المجموعة كتاباتٌ تتضمن أسماء بعض مالكيها ومنها : (هذا لخادم إمام المسلمين بَلْعَرَب بن سلطان بن يوسف أعزه الله تعالى ورضي عنه ، وهو الخادم الأقل سعيد بن عبد الله بن محمد بن ماجد بن أحمد بن سليمان ، كتبه سعيد بيده) .

وهذه الكتابة حديثة بالنسبة لكتابة المخطوطة ، وتحتها كتابةٌ قد رُمِجَتْ ، لم يتضح منها سوى التاريخ (نهار الأحد عشر ليال خلون من شهر جمادى سنتين وستين سنة وألف سنة من الهجرة) تتعلق باسم احد مالكي النسخة .

---

(٢١) في الأصل : (باطراد) .

(٢٢) مصدرة بـ (وقال الشاعر الأديب المشفر (؟) بن مالك الأزدي) .

إن اسم بَلْعَربِ بن سلطان يُؤيِّدُ أن تاريخ الكتابة هو ماتقدمت الإشارة اليه ، سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة ، لأن بَلْعرب هذا من حكام عُمان المشهورين ، الذين تولَّوا الحكم بعد بني نَبْهان الذين كُتبت النسخة باسم أحدهم فلاح بن محسن ، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن حميد السالمي في « تحفة الاعيان »[٢٣] أن بلعرب بن سلطان بويع في ١٦ ذي القعدة سنة احدى وتسعين وألف (١٠٩١) ، فكأن هذه النسخة من المخطوطة توارثها اثنان من حُكَّامِ عمان فلاح بن الحسن سنة (٩٧٢) ثم بَلْعَربَ بن سلطان .

وقد بقيتْ في عُمان حتى استقرت الآن في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مسقط ، تحمل الرقم ١٣٣٢ / ٢ ز .

وقد اطَّلَعْتُ عليها حين زرتُ هذه الدار في يوم الأربعاء ١٠ / ٣ / ١٤٠٧ هـ ، وطلبتُ من أخي الأستاذ يحي البشر - الملحق التعليمي لبلادنا - طلبت منه المساعدة في تصويرها ، فكان أن اتصل بالسيد الجليل فيصل بن علي بن فيصل - وزير التراث القومي والثقافة - في سلطنة عمان ، فأَفْضَل زاده الله فضلا وتوفيقا بصورة منها ، ومن كتاب « مختصر معجم الأدباء » للتكريتي .

وهذه المخطوطة تقع في (٥١٧) صفحة ، في الصفحة (٢٠)سطرا ، والخط نسخيٌّ حسن ، والكلمات مشكولة بالحركات ، ولكن الناسخ لا يبصر موضعَ قدمه ، فهو كثيراً مايصحف الكلمات والأسماء المعروفة .

وفي بعض الصفحات بياضٌ يدل على أنه قد ينقل عن أصل ناقص ، أولم تتضح له الكتابة ، وقد يشير في بعض الهوامش إلى نقص النسخة التي ينقل عنها ، وقد يفسر بعض الكلمات في الهامش[٢٤] .

(٢٣) ج٢ ص٤٦ .

(٢٤)انظر ص (٤٩٦) .

ومع ما تقدم ففي الدواوين التي ضَمَّتْها هذه المجموعة ما هو جدير بالدراسة .

وهذه المخطوطة أقدم من المخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عَدِي بن زيد » التي هي في المكتبة العباسية لأسرة آل باش أعيان في البصرة ، وقد يستفاد بمقابلة المخطوطتين فيما يراد التثبت منه من محتوياتها .

ولقد كتب الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عدي » في وصف تلك المخطوطة التي اطلع عليها ، وفيها ديوان بشر بن أبي خازم - ما نصه[٢٥] : (هذه النسخة من ديوان بشر تختلف عن الديوان الذي طبعه الدكتور عزت حسن بزيادة (١٣) قصيدة ، مما يستوجب إعادة طبع الديوان) .

وكان الأستاذ الدكتور عزة حسن قد طبع ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي عام (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) ، ثم أطلعه الأستاذ محمد جبار المعيبد على زيادات نسخة آل باش أعيان في البصرة ، فألحقها الدكتور عزة حسن في آخر الديوان حين أعاد طبعه بدمشق (ص ٢٨٥ - ٢٩٨) .

وقد بلغ عدد ما ألحقه ست قصائد وثلاث مقطعات ونتفة ، عدةُ أبياتها جميعا خمسة وخمسون ومئة بيت .

- وقد قابلت ديوان بشر (الطبعة الثانية) بالنسخة المخطوطة التي تحويها المجموعة العمانية ، فاتضح لي أن في المخطوطة أشعاراً تزيد على ما جاء في طبعة الديوان الثانية ، التي أضافها ووجدت مقدمات لبعض القصائد في المخطوطة لا ذكر لها في مطبوعة الأستاذ المحقق الدكتور عزة حسن .

(٢٥) ص٢٣ هامش .

ويلاحظ أن تلك المقطوعات والقصائد ملحقةً بديوان الشاعر بِشْرٍ ، بصيغة تدل على أن الديوان من عمل انسان لم تثبت لديه تلك الزيادات ، أو أنه لم يطلع عليها ، فقد جاء في آخر الديوان الذي يبتديء من الصفحة الـ (٤٠٥) وينتهي بالصفحة الـ (٤٥٧) ، جاء في الصفحة الـ (٤٤٣) مانَصُّهُ : (هذا آخرُ شعرِ بشرٍ في رواية أبي العباس ، وما يجيءُ بعدَ هذا من غير روايته) ، ثم أورد قصائد ومقطوعاتٍ ورد منها في مطبوعة الدكتور عزت حسن خمسٌ هي ذوات الأرقام : (٢٧ / ٢٨ / ٣٤ / ٤٣ / ٤٥) .

ولا بُدَّ من التساؤل عن (أبي العباس) هذا الذي روى شِعْرَ بشرٍ ، ليس في هذا الديوان مايوضح المَعنِيّ به ، ولكنه يروي عن ابن الأعرابي إذ يقول في مقدمة القصيدة الـ (٢٦) من الديوان المطبوع ص ١٢٣ - في المخطوطة ص ٤٣٨ - : (وقال بشر بن أبي خازم ولم يَعْرِفْها ابنُ الأعرابي ، وأبو عمرو يرويها لبشر ، وغيرُ أبي عمرو يدخِلُها في كتاب أوس ، وإذا دخلتْ في شعر أوس فهي أتم وأكثر) ويرد اسم الأخفش والمُفَضَّل في سياق بعض الأخبار المتعلقة بالشعر ، فهل أبو العباس هذا هو أحمد بن يحيي المعروف بثعلب (٢٠٠ / ٢٩١ هـ) لقد عمِلَ ثعلبٌ قطعة من دواوين العرب على ماذكر ياقوت[٢٦] ، ومنها « ديوان عدي بن الرقاع العاملي » الذي حققه الأستاذان الجليلان الدكتور نوري حَمُّودِي القيسي ، والدكتور حاتِم صالح الضامن ، ونشره (المجمع العلمي العراقي) . ولكن عمل ثعلب لا يقتصر على إيراد الشعر ، بل يضيف إليه إيضاحَ غوامضه ، فهل جرَّده من الشرح أحد نُسَّاخ شعرِ بشر ؟ ! .

---

(٢٦) « معجم الادباء » لياقوت : ٥ص ١٤٤ .

ويلاحظ أنّ مطبوعة الدكتور عزة حسن تزيد سبع مقطوعات[٢٧] أبياتها (٤٩) ، كما أن في بعض القصائد أبياتاً كثيرة لم ترد في المخطوطة ، التي تزيد فيها بعض القصائد أبياتاً يسيرة . وأضاف الدكتور أبياتاً عثر عليها في مصادر ذكرها وهاهو ما ورد في المخطوطة العُمَانية من الشعر ومقدماته مما لم أرَهَ في المطبوعة :

(١)

وغزا بشرٌ طَيِّئاً ثم بَنِي نبهان فَجُرِحَ فأُثْقِلَ جريحاً ، وهو يومئذ يحمي أصحابه ، وإنما كان في بني والبة ، فأسرتْهُ بنو نبهان فخبأته كراهةَ أن يبلغ أوساً ، فبلغ أوساً أنه عندهم فكتموه ، فقال : والله مايكون بيني وبينكم خيرٌ أبداً حتى تدفعوه إليّ ، وهم يكرهون أن يقتُلَه ، فلما أبوا عليه أعطاهم مِئتي بعير ، وأخذه فجاء به فأوقد له ناراً ليحرقه ، وكان آلى إنْ قَدرَ عليه أن يحرقه ، قال الأخفشُ : فحدثني بعضُ بني أسدٍ فقال : لم تكن ناراً ، ولكن أدخله في جِلْدِ بَعير حين سلخه ويقال : في جلدِ كَبْشٍ ثم تركه حتى جفّ عليه ، فصار فيه كأنه عصفور ، وبلغ ذالك أمّ أوسٍ وهي سُعْدَى بنت حصين ، وكانت سيدةَ قومِها ، وقدْ أَسَنّتْ فخرجَت إليه فقالت : ماتريد أن تصنَع ؟ قال : أُحرقُ هذا العدو لله الذي شتمنا . قالت : قَبّحَ اللهُ رَأيَك ، وقَبّحَ أقواماً يَسَوِّدُونك أو يقتبسون من رَأيك !! واللهِ لكأنما أخذت به رَهْدَناً[٢٨] أما تعلمُ منزلَته في قومه ؟ خَلِّ سبيلَهُ ، وأكْرِمه ، فإنه لايَرْحضُ عنك ماقَدْ قال فيك غيره ، وايمُ اللهِ لو فَعَلْتَ مااستقلتهم أنتَ ولا قومك أبدا ، فحبسه عنده ، وداوى جِراحه ،

(٢٧) هي ٦ / ٩ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٩ / ٤٢ .

(٢٨)الرهدن : نوع من الطيور أصغر من العصفور .

وكتمه مايريد أنْ يصنعَ به فقال : ابعثْ إلى قومِكَ لِيفْدُوك ، فإنّي قدْ اشْتَرَيتُكَ بمئتي بعير . فأَسَلَ بِشْرٌ إلى قومِهِ ، فهيّؤوا فِداءه وبادَرَهُمْ أوسٌ فكساه من كسوة اليمنة ، وغير ذالك ، وحمله على نَجيبهِ الذي يركب عليه ، وسار معه حتى بلّغه أرضَ غطفان ، فجعل بِشْرٌ يَمْدَحُ أوْساً وأهلَ بيته ، مكان كُلِّ قصيدة هجاهم بها قصيدة يمدحه بها ، وقال بشر بن أبي خازم يمدح أوسا :

كفى بالنَّأي مِنْ أسماءَ كافي ... وليس لحُبّها إذْ طالَ شافِي[٢٩]

(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

تنكّرتِ المنازلُ من سُلَيمى ... برامَةَ فالكَثيبِ إلى برام
فَسَفْحِ ضَرِيَّةٍ فَخَليفِ صُبْحٍ ... فَنَخْلِ الكَعْبَتَيْنِ إلى سَمَام
عفَاها كلُّ مُنْسَكِبٍ هزيمٍ ... كأنّ رَبابَهُ زَبَدُ النَّعَام
دياراً قد تَحِلُّ بها سُلَيمى ... كأنّ مُجَاجَها صفوُ المُدام
فَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِذَاتِ لَوْثٍ ... مُوَثَّقةٍ من النُجُبِ السَّوام
سَبُوحِ المِرْفَقَينِ إذا اسْبَطَرّتْ ... عُذافِرَةٍ تَخيَّلُ في الزِّمام
كأن البرْسَ يَنْفُخُ في بُراها ... إذا ابتلَّ الجديلُ من اللُّغام
كأنّ الرحْلَ مِنْها فوقَ جابٍ ... أقبِّ البَطْنِ من وحشِ السِّقام
مُضَبَّرَة كأنّ الرّحْلَ منها ... على ذي عانَةٍ نَعِرِ الغَرام
يشجُّ بها الحُزُونَ وتَتَّقِيهِ ... بسُمْرٍ كالمَداكِ من السُّلام
لهُ زَجَلٌ إذا اسْتَذْكَى عَلَيها ... كأنّ سَحيلَهُ شكوى غُلام

---

(٢٩) القصيدة التاسعة والعشرون في الديوان - ١٤٢ - ونقل المحقق عن « مختارات ابن الشجري » : ٢ / ٢٦ قال أبو محمد الأخفش : مدح بشر أوساً وأهل بيته مكان كُلِّ قصيدةٍ هجاهُمْ بها قصيدةً ، وكانَ هجاهم بخمس ، فمدحهم بخمس ، فمن ذلك قوله : كَفَى بالنّأي - .

يُرَجِّعُ في الصُّوَى بِمُهَضَّماتٍ ... بجين الصدر (؟) من قَصَبِ الْكلام
فَدَعْ ذَا عَنْكَ واغْمِدْ في قَوافٍ ... مُحَبَّرَةٍ إلى شَرِّ الأَنَامِ
إذا ما قيلَ: أينَ لئامُ طَيٍّ ... أشارَتْ بالأَكُفِّ إلى ابْنِ لأمِ
لعَمْرُكَ إنَّ حارِثَةَ بْنَ لأْمٍ ... ضَعِيفُ الرُّكْنِ من قومٍ لئامِ
فَبِئْسَ مُنَاخُ ضَيْفانٍ جِياعٍ ... إذا انْتابُوهُ في غَلَسِ الظَّلامِ
أتوعِدُني بِقَوْمِكَ يابن سُعْدَى ... وَمَا بيْنِي وَبيْنَكَ من ذِمامِ
وأنتَ أَذَلُّ مَنْ يَمشي عليها ... إذا ما الْحَرْبُ شَبَّتْ للضِّرامِ
متى ما أدْعُ في أَسَدٍ تُجِبْني ... على خَيْلٍ مُسَوَّمَةٍ كِرامِ
تَعَادَى نَحْوَ دَاعِيها سِراعاً ... كما انْسَلَّ الْفَرِيدُ مِنَ النِّظامِ
جَنَبْناها إلى الأَعْداءِ شُعْثاً ... فصارت بعد بُدْنٍ كَالْحِلامِ
هُمُ تَرَكُوا عُتَيْبَةَ مُسْلَحِبّاً ... عليهِ العَاكِفَاتُ من الهَوامي
وَيَوْمَ هَوَازِنٍ أشرَعْنَ فيهمْ ... بِطَعْنٍ مثلَ تَشقيقِ الهِدامِ
وعُتَيْبَةُ أوْجَرُوهُ ذاتَ خِرْصٍ ... كأنَّ بصَدْرِه شِعَلُ الضِّرامِ
وأفْلَتَ حاجِبٌ تحت العَوَالِي ... على شَقَّاءَ يَطْعَنُ في اللِّجامِ
وجَمْعُ بَني كِلابٍ ألصقوهُمْ ... بأطرافِ المطانِبِ والخِيَامِ

(٣)

وقال بشرٌ يمدحُ عَمْرو بن إياس ، وأمُّ إياس بنتُ عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْلِ بن شيبان ، وأمها أمامة بنتُ كِسْرِ بنِ كعْبِ بن زُهَيْرٍ التَغلِبي ، زَوَّجَتْها من عمرو بن حُجْرٍ آكِلِ الْمُرارِ الكِنْدِي ، وكان أبوها غائباً فولدتْ له عَمْرو بنَ المنذر بن ماءِ السماء ، فأراد بِشْرٌ عَمْراً هذا ابنَ هند ، وهو ابن المنذر :

إنَّ الفُـؤادَ بـآلِ كَبْشَـةَ مـدنفٌ   قطَعَ القَرِيْنَةَ غُـدْوَةً مَنْ تَـألَّفَ[٣٠]

(٤)

كان غلامٌ من الأبناءِ، والأبناءُ وَائلةُ ومُرَّة ومازنٌ وغاضِرةُ وسَلُولُ بنو صعصعة ، وكُلُّ وَلَدِ صعصعة غير عامرٍ يسمون الأَبْنَاء ، وأمّا سَلُولَ فإنها سلولُ بنت شيبان بن ذهل بن ثعلبة تزوجَها مُرَّةُ بن صعصعة فولدتْ له عَمْرًا ، فغلبتْ عليهم سلول، فرمَى الغلامُ الأبناويُّ بِشْرًا بسَهْمٍ فأثخنَهُ ، والغُلامُ من بني وائلة بن صعصعة ، وانَّ بشراً أَسَرَ الغُلامَ الوائليّ وعرفَ بشرٌ أنه مَيِّتٌ ، فاتى (؟) بشرٌ الغلامَ في بعض الطريق فأطلقه ، وقال : انْطلِقْ فأَخْبِرْ أَهْلَكَ أنك قَتَلْتَ بِشْرَ بن أبي خازم ، فسار الغلام وبلغ .

وقال بشر بن أبي خازِمٍ :

أُسائِلَـةٌ عُمَيْرَةُ عن أبيهـا   خِـلالَ الجيشِ تعترِفُ الرِّكابـا[٣١]

(٥)

قال : وغزا بشر بن أبي خازم أرض اليمامة ، وقد كانوا (؟) بني حنيفة أَسَروا سُمَيْراً أخاه ، فأطلقوه وأكرموه ، فلما دنا من أرض اليمامة قالت بنو أَسَدٍ : اغزُ بني حَنيفة ! فقال : إنَّ لهم عندي يداً ، ماكنتُ

(٣٠) القصيدة الحادية والثلاثون من الديوان - ١٥٢ - وانظر ص ٢٣ حيث تجد للمحقق الدكتور عزت حسن كلاما طويلا حول عَمْرو بن أمّ إياسٍ ممدوح بشرٍ في هذه القصيدة ، وفي القصيدة السابعة ، بدون الإشارة إلى هذه المقدمة التي لَمْ تَخْلُ مِنَ الغُموض ، إذ كيف يكون الزَّوجُ عمرو بنَ حُجْر ، والابنُ الممدوحُ عَمْرو بنَ المُنْذِر ؟ وإنَّما ابنُها من عمرو الحارثِ الملكِ - انظر « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج٢ ص ٢٠٨ - تحقيق العظم - .

(٣١) القصيدة الخامسة في الديوان - ٢٤ - وقد نقل المحقق في الحاشية عن « مختارات ابن الشجري » ٢ / ٣١ - نَحْوَ ما تقدم ، وزاد الأمر إيضاحاً بتسمية القاتل من عِدَّةِ مصادر - .

لأغـزُوَهُمْ وأغـارَ على بني يشكُر ، وبني ذُهْـلِ بن ثعلبـة ، وبني قيس بنِ ثعلبة ، فغَنِمَ وأصابَ من بني قيسِ بنِ ثعلبة ، وقال بشر بن أبي خازمٍ في ذالكَ :

جَنَّبْتُهـا قُرَّانَ إنّ لأهلهـا عليّ هَـدِيًّـا أوْ أموتَ فـأُقْبَرا[٣٢]

(٦)

وقد كان بشر قال في مَنَّـةِ بني حَنِيفـة على أخيـه سُمَيْرٍ ، ولقي عنـد رجل من بني حنيفة ناساً من بني حنيفة ؟ يطلبون في أسَارى لهم فطلبَ فيهم بشْر حتى فداهم ، وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

لقـدْ دافَعت عَلْقمـةَ بنَ عَمْرو تُجاهَ البـابِ مُجْتَمَعَ الخُصُومِ[٣٣]

(٧)

وكان من حـديثِ يـومِ قُـلابَ أنّ بِشْرَ بنَ عمرو مَرثَـد بن سعـد بن مـالـك ، أخـو بني سعـد بن ضُبَيْعـةَ بن قَيْسِ بن ثعلبـة بن أبي قيس بن ثعلبة ، ومعه عمْرو بن عبد الله مُسانـدة ويـدعى ذا الكَفّ الأشَلّ ، لأنـه كان أشَلّ ، وكان بِشْرٌ سَيِّدَ بني مَرْثَدٍ يومئذ وقد كان أصابَ في بني عـامرٍ فملأ يديه ، فلمـا دَنَوا من قُلاب ـ وقُلابُ جَبَل ـ قـال لـه عمرو بن عبـد الله : إنّي أراك تأخذها كأنّك تريد أن تعتَسِف الناس ؟ قال : أريـد أن أجتَزِعَ قُلابَ ، حتى أخرج في نـاحيـة أرض بني تميم ، فـإنـه أقرب قـال : فإنّ وراء هذا الجبل بني أسَدٍ ، قـال : مـاأبـالي من لقيت !! وكان رجلاً عظيمَ الكِبْرِ ، فنهاه فأبى ، فقال عمرو : إني مـائلٌ نحو اليامـة فمـال ومعـه بنو سعد بني ضبيعة ، وخرج بشر بن عمرو في بني قيس بن ثعلبة ، ومعه

(٣٢) وهي القطعة العشرون في الديوان ـ ٩٨ ـ .

(٣٣) القطعـة الرابعـة والأربعون في الـديوان ـ ٢١٧ ـ ولم يشر المحقق الكريم الى سبب قولها .

ثلاثةً من ولده ، وكانوا فرساناً ، ومعه ناس من بني مرثَدٍ وغيرهم ، وكانت عقابٌ تَجِيء وتقع على خيل بني أسد ، فتصيح صيحتين ، فقال كاهن بني أسد : إنها تبشركم بغنيمة باردة فلم يعلم بنو أسد حتى هجم عليهم بشر ، وقد مَلأ يَدَيه من نَعَمِ بني عامر ، فثارتْ إليه بنو أسدٍ برماحهم ، فقتلوا بِشْراً وثلاثةً من بنيه ، صابَرُوا معه ، وقتلوا رهطاً من بني مَرْثَد وغَيرهم ، وهزموهم وأصابوا ماكان في أيديهم . وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

ألا هل أتاها كيف ضارَبَ قومُها بِجَنْبِ قُلابٍ إذ تَدانى القَبائِلُ[٣٤]

(٨)

قال وكان بشر جعل على نفسه ألاّ يَنَبّاً بغريبة من بني أسد الدهر ، إلا طلبها حتى يردها ، فابتنى (؟) بامرأة من بني أسدٍ لم يَدْرِ ماصنعَتْ ، ولم يَدْرِ مَنْ ذهبَ بها حتى طرقَ ليلة من الليالي أناسَ ؟ لايعرفها فلم يزل بهم الذكْرُ ؟ حتى قالت ، انا والله الذي ذكرت ، قال : أفلا تتطلقين ؟ فباتَتْ وقالت كيف أذهبُ وأدَعُ ولدي ؟ ، فقال في ذالك ـ ولم يعرفها ابنَ الأعرابي :

أجارَتنا إنْ جَدَّ ذالك فارْتَعي يُوَدِّعْكِ مِنّا وامِقٌ لَمْ يُوَدِّعِ
أَبَعْدَ ليالينا بِذي النُّعْفِ نلتقي وبعدَ مَصيفٍ بالثاني ومَرْبَعِ
وأعجَبها عندَ ابْنِ عَجْلان هَجْمَةٌ مُعَاوِدَةٌ أكل العِضاهِ الْمُقَطَّعِ
وعِلي يُضِيء بالمتان كأنها (؟) يغالب موتى جلدها لم يمزع (؟)

(٩)

يوم اتقتنا عُقَيْلٌ بالحريش هَوى كُلُّ الفريقين مَحروبٌ ومَسْلُوبُ[٣٥]

(٣٤) المقطوعة السابعة والثلاثون في الديوان : ١٧٥ .

(٣٥) البيت الأخير من المقطوعة الثامنة ـ في الديوان ٤٠ ـ .

هذا آخر شعر بشر ، في رواية أبي العباس ، ومايجيء بعد هذا من غير روايته .

قال : أنفذَ أوس بن حارثة لأخذ بشرٍ عمرو بن كُرَيبٍ أحَدَ مصابيح الظلام ، فأخذه وأقبل به إلى أوس ، قال : يابشرُ غنّنا بما قلتَ فإنه[٣٦] سيغني بما هو مفعولٌ به ، فأنشد بشرٌ يقول[٣٧] :

(١٠)

وقال بشر بن أبي خازم :

ولقد تَمنّانا عُتَيْبةُ فاصْطَلَى … من حزبِها بسَعيرِها المُتَضَرِّمِ
إذْ غادَرتْهُ الخَيلُ عندَ مَجالِها … في صَدْرِهِ قِصَدُ القَنا المُتَحطِّمِ
ولقد حَبَوْنا عامراً مِنْ خَلْفِهِ … يَوْمَ النِّسارِ بطَعْنَةٍ لَمْ تُكْتَمِ
كانا له عاراً وَشَيْناً باسْتِهِ … أبْقَتْ بها ضَخْماً كشِدْقِ الأَعْلَمِ
ونَجَا طُفَيلٌ في الغُبارِ وما حَمَى … ماخَلْفَهُ مِنْ مُجْحَرٍ مُسْتَلْحِمِ
وابْنُ الشَّرِيْدِ قَدِ اسْتَمَرَّ بِطعنةٍ … بِمُجَرَّبٍ صافي الحديدةِ لَهْذَمِ
كانتْ جوًى في جَوفِهِ حتّى قَضَى … مِنْها فَدُلِّيَ في قَليبٍ مُظلِمِ

(٣٦) كذا ولعل الصواب : وظن بأنه الخ .

(٣٧) قطعة الرجز الـ ٤٣ ـ في الديوان ٢١٥ ـ فرد عليه عمرو بن كريب :

إنّكَ يابِشْرُ لفي وَهْمٍ وَهَمْ … بِزَجْرِكَ الطَّيْرَ على إثْرِ النَّدَمْ
فاصبِرْ على شَرِّ شآبيبِ الرِّهَمْ … وقَطعِ كفَّيْكَ وثَنِّي بالقَدَمْ
وباللِّسانِ بَعْدَها وبالأشَمْ … إنَّ ابْنَ سُعْدَى ذُو عِقابٍ ونِقَمْ
مِثْلُ الحريقِ في الأباءِ المُضْطَرِمْ … يُهْدَى إليهِ من مَواهيبِ القِسَمْ
كُلُّ أَمُونٍ ذاتُ لَوْثٍ وَعُقُمْ

وأشار المحقق الكريم إلى خبر هذه المساجلة اذ نقل ـ ص ٢١٥ ـ عن « مختارات ابن الشجري » : ٢ / ٢٥ بعض هذا الرَجَزِ بعد رَجَزِ بشر .

وَزَرٌ حَبَاهُ بِهَا ولولا سابحٌ نَجَّاهُ من طعن الصِّمِلِّ الهَيْضَمِ
لَثَوَى مع الهُلاَّكِ غيرَ مُوَسَّدِ يَنتابُ شِلْوَهُ كُلُّ سَبْعٍ شدْقَمِ
وَسَمَتْ لِحُجْرٍ قَبْلَ ذاك جُموعُنا بالسَّمْهَرِيِّ وكُلِّ عَضْبٍ مِخْذَمِ
بأكُفِّ كُلِّ مُعَاوِدٍ يومَ الوَغَا حَامٍ حَقيقَتَهُ كريمِ المَقْدَمِ
يرْمونَهمْ بلبانِ كُلِّ طِمِرَّةٍ مَحْبوكةٍ مِثلِ الهَرَاوَةِ صِلْدِمِ
وبكلِّ أجْرَدَ سابحٍ ذي مَيْعَةٍ مُتَنَخَّلٍ من آل أعْوَجَ يَنْتمي
[كانت](٣٨) إذا خَضَبَ الدِّماءُ نحورَها شكتِ الجراحَ إليهمُ بتَحَمْحُمِ
وجَرَت على مكرُوهِها فتقدَّمتْ عاداتُها الأولى وقيلَ لها : اقدمي
وهَوى ابْنُ أمِّ قطَامِ بين رِماحِنا يكبو صَريعاً لليدينِ ولِلْفمِ
[فأزال](٣٨) عنهُ ملكَهُ وأقادَهُ حَيْنٌ بمنزِلةِ الأذَلِّ الألأمِ
وأخابني قَيْسٍ طَعَنَّا طَعنَةً بِشْرَ بْنَ عَمْرٍو، نَضْحُها كالعَنْدَمِ
[قد](٣٨) زارنا بقُلاّبَ في مَلْمومَةٍ يَمشونَ في حلَقِ الحديدِ المُحْكَمِ
فأبرزن(٣٩) جمعَ بني ضُبَيْعَةَ كُلَّهمْ وسَقَتْ بني عِجْلٍ بمُرِّ العَلْقَمِ
رَجَعوا بكَبْشِهمُ رَجيعاً مُثْبَتاً قَدْ زَوَّدُوهُ طَعْنَةً في المِخْزَمِ
تَركوا عَميدَ بَني لُجَيْمٍ ثاوِيا رَهْنَ الضباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ
فُجِعَتْ به طُرًّا لُجَيْمٌ كُلُّها وبكَتْ عليه بالعيونِ السُّجَّمِ
وابنُ الجَديعَةِ كان كاهِنَ قَومِه قَدْ قلَّدُوه كلَّ أمْرٍ مُعْظِمِ
يَغْزو بتَيْمِ اللاَّتِ لا يَعْصُونَهُ شيئاً فَيَرْجِعُ جيشُهُم بالمَغْنَمِ
فَقتَلْنَ سَيِّدَهُم وأدْبَرَ جَمْعُهُمْ لا يَدْفَعونَ لمرهَقٍ عن مَحْرَمِ
حتى أطاعوهُ فأوهنَ جَمْعَهُم يومَ اللِّقاءِ بكل وِرْدٍ ضَيْغَمِ
وكذاكَ نَسْقي السُّمَّ كُلَّ قَبيلَةٍ قِدْماً ويُقْتَلُ ذُو اللِّواءِ المُعلِمِ

(٣٨) ما بين المربعات [...] لم يتضح في التصوير .
(٣٩) كذا ولعل الصواب : فأبْرَزْنَ .

ويَلِيْنَ جانِبُنا لأهلِ وِدادِنا وإذا أتانا جارِمٌ لم يُسْلَمِ
حتى يُدافِعَ مالُنا وبِلادُنا عنه فَيَرْجِعَ وافراً لم يُكْلَمِ

(١١)

وقال بشر يمدح بني ثُمامة بن أُثال بن أبي حبيبة ، وذالك لأنهم كانوا أسروا أخاه فأنعموا عليه :

لما أتى قرّان أشـ لَمَ ودقه وثوى ودامْ(٤٠)

(١٢)

قال : وغزَتْ بنو أَسَدٍ هَوازِنَ ، ثم بني جُشَمٍ وسَعْدِ بن بكر ، فصبرت لهم جُشَمُ وسَعْدُ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتّى أصيبَ في بني جُشَمٍ وبكرٍ ، وأصابتْ بنو أَسَدٍ لهم إبلاً . وقال بِشرُ بن أبي خازم :

لم تَرَ عَيْني ولم تَسْمَعْ بِمِثْلِهِمُ حَيّا كَحَيٍّ لَقِيناهُمْ بِبُسْيَانا(٤١)

(١٣)

أورد المحقق الفاضل في زياداته قصيدة بشر الرائية (الديوان : ٢٩٧ ـ ٢٩٨) ، وفي المخطوطة ثلاثة أبيات سقطت من المطبوعة . أولها :

سار بالجيش فاستباح بني كعـ ـبٍ على رغمهم وحلَّ الديارا

ويقع بين البيتين السابع والثامن في المطبوعة .

أما البيتان الآخران فهما :

وتسامت كماتها لضرابٍ وأثارت مع العجاج غبارا
لهف نفسي على سمير اذا ما ركب الخيل أدرك الاوتارا

وموضعها بين البيتين ١٥ ، ١٦ في المطبوعة .

---

(٤٠) القطعة (٩) من الزيادات في الديوان (ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧) ، دون اشارة إلى خبرها .

(٤١) القطعة الـ (٤٥) ص٢١٨ في الديوان ـ بدون اشارة الى خبرها .

الاختلاف بين المخطوطة والمطبوعة :

هناك اختلاف بينهما في ترتيب القصائد ، فالمطبوعةُ مرتبةٌ على الحروف بخلاف المخطوطة ، وفي ترتيب بعض أبيات القصائد ، وفي ورود بعض أبيات أخرى في إحداها وخلو الثانية منها ، والكثير من ذالك في المطبوعة ، إذ يظهر أن المحقق الكريم أضاف من الكتب أبياتاً كثيرة .

ومن أمثلة الاختلاف أبيات وردت في القصيدة الـ (٢٣) من المطبوعة ص (١٠٩) فيها إقْواءٌ ، وقد وردتْ في المخطوطة (٤٥١) باعتبارها قطعة منفصلة ، لاصلة لها بتلك القصيدة .

وقد ذكر الأستاذ المحقق المقطوعة في زياداته (الديوان ص ٢٩٦ رقم ٧) دون أن يشير الى ان أبياتها قد اختلطت بالقصيدة الـ (٢٣) .

أما القصيدة الـ (١٦) في المطبوعة ص (٨٠) فقد وردت في المخطوطة (٤١٢) ولكنَّ كثيراً من أبياتها ترك الناسخ لها بياضا ، قد يكتب صدر البيت أو عجزه ويترك باقيه ، ومن أمثلة الاختلاف في هذه القصيدة بعد البيت الـ (١٦) ص (٨٤) :

أبو صِبيةٍ شُعْثٍ تَطيفُ بِشْخصِهِ كوالِحُ أَمْثالُ اليعاسِيبِ ضُمَّرُ

بعد هذا في المخطوطة :

فأرسلَها حتى إذا كِدْنَ رَدَّها عَن [ثم بياض]
فَعَضَّ على إبْهامِهِ وتَقاذَفَتْ به أربع لم توتِهِ حينَ يَخضُرُ

البيتان لم يردا في المطبوعة .

وفي المطبوعة البيت الـ (١٩) ص (٨٥) :

فلو كنتَ إذ خفتَ الضياعَ أسرتَه بقادم عصرٍ قبلما هُوَ مُسْرُ ؟

وقال المحقق في الحاشية (مسر : هكذا رسمت هذه الكلمة في الأصلين المخطوطين ولم نعرف ماهي) .

أما في المخطوطة فنصه :

ولو كنت إذ خفت الضياع أَسَرْتَـه   بِقـــادِمِ عَيْرٍ قبلَما هُـــوْ مُسَيَّرُ

وعلى الياء شدة ويستقيم الوزن باسكان واو (هو) .

ومن الاختلاف أيضاً القطعة الـ (٩) ص (٤١) في المطبوعة : لاتوجد في المخطوطة ولكن فيها قطعة تتفق معها في المعنى والوزن والقافية ، وتزيد عليها بيتا واحداً . وقد أوردها الأستاذ المحقق في زياداته (الديوان ص ٢٨٧) ولم يشر الى هذا الاتفاق بينها وبين سابقتها في المطبوعة وزناً وقافية ومعاني .

وسأكتفي بذكر الاختلاف في الكلمات بين المخطوطة والمطبوعة مُشيراً إلى أنّ المحقق الكريم نقل عن كتاب « مختارات ابن الشَّجَري » في الحواشي فأكثر النقل عن الاختلاف بين ماورد في هذا الكتاب وبين ماورد في المخطوطة التي اعتبرها أصلاً لمطبوعته هذه . ويظهر انّ ابن الشَّجَري اعتمد على أصلٍ مماثل للأصل الذي نُقِلَتْ عنه المخطوطة اذ كل الكلمات التي أوردها المحقق الكريم عن ابن الشجري مخالفة لأصله تتفق مع ماورد في هذه المخطوطة ، لذالك اكتفيت بما نقله المحقق في تلك الكلمات .

كما أنني لم أُشِرْ إلى ماظهر لي أنه من أخطاء الناسخ ـ وما أكثر أخطاءه !! ـ مما خالف به ماورد في المطبوعة ، وانما نقلتُ ماتَّضَحَ لي عدمُ الخطأ فيه ، ومنه مانقله المحقق في الحاشية ، واشَرْتُ بالرقم الأول إلى صفحة المطبوعة ، والرقم الثاني إلى رقم البيت من الشعر :

	المخطوطة	المطبوعة
٨/٨	وما ضَمَّ أجْمَادُ الحُوار	وما ضم أجوازُ الجِواء
١٤/١٠	بادي الضغينة	بادي الظعينة
١٥/١٠	وينصره.. الى الرّوع	وينصرنا.. الى النصر
٢٤/١٢	نَصْرٌ من يتغيب	لَوْمٌ من يتغيب
٢٥/١٢	أباتوا لسرجان	أباتوا بسَيْحان
٢٨/١٢	والدّما تتصَبّبُ	والدّماءُ تَصبّبُ
١٤/١٧	جَرْيَ المُنْقيات	جَرْيَ المُبْقيات
١٥/١٧	تذكر منًّا	تذكر منها
١٦/١٧	يشوب(٤٢)	يثور
١٩/١٨	تفزعُ من خَوف	تفرأ من هول
٢١/١٩	مستبطِنُو البِيض	مُسْتَحْقِبو البِيض
٣/٢٥	وأنّ أباك قد لاقاه قِرنٌ	فإن أباك قد لاقى غلاما
٤/٢٥	لم يكن نكسا لغابا(٤٣)	لم يكن يكسى لغابا
١/٣٣	فَيَثْقُبُ	فَمِثْقَبُ
٤/٣٥	تَكَفْكَفُ	تكفأ(٤٤)
١٦/٣٨	ضاحية	ضامزة
٢٣/٣٩	قُطّب	شُزّب
١٨/٤٦	مال أو نجاح	مالي أو صلاحي

(٤٢) وفوقها : (خ : يثور) .

(٤٣) وفوقها : (معابا) .

(٤٤) وأشار المحقق إلى أن (تكفكف) تصحيف .

	المخطوطة	المطبوعة
٢/٤٩	ولم يَغْبَر بِجوّ الدار[٤٥]	وليس مُبِينٌ في الدار
٢/٤٩	مَباءةُ ظاعِنٍ	مَبيتُ ظعائنٍ
٤/٤٩	في نَحرِي	مُنْهَمِرَ
٦/٥٠	اللجاجة..وقلبك..شحيح	الصبابة..وقبلك..سجيح
٨/٥٠	كَجَثْوِ النمل	كَجُثٌ النمل
١٠/٥٠	ارتفع	ارتفد
١١/٥١	بِأُبارَياتِ[٤٦]	بِأُرَينِبَاتِ
١٣/٥١	كلاب أبي دُجانة	يخبُّ بها جَداية
١٢/٦٤	عَشيًا	ومحض
١٦/٦٥	الظُّوارُ	الصوار
٢٢/٦٦	وطول الحبس	طوال الدهر
٢٥/٦٧	وشب لطيّئِ الجبلين حَرْبٌ	وشبت طَيّئُ الجبلَيْنِ حربا
٢٧/٦٨	كجادع أنفه	كهادم عزه
٣١/٦٩	وانزل قومه سعد بن عمرو	وأنزلَ خوفُنا سعداً بأرض
٣١/٦٩	بخرج لاتمار ولا تجار	هنالك إذْ تجير ولا تجار
٣٢/٧٠	صُحَارٌ فالقصِيمة	عُقَيْلٌ بالمرانة
٣٤/٧٠	ضَمَرَتْ بِحَرَّتِها سليم كما ضمر	ضمزت بِجِرَّتِها سُلَيْمٌ كما ضمز
٢/٨١	تزلُّ الطير.. بأرجائه	يزل الغفر.. بجافاته
٤/٨١	هي الهم.. أعسر	هي العيش.. أعصر

(٤٥) (نعر نحو) بدون نقط .

(٤٦) أباريات : موضع لايزال معروفا بقرب رمل عالج (النفود الكبير ، حيث مَرَبُّ حُمُرِ الوحش) انظر الاسم في « المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية » - قسم شمال المملكة - .

	المخطوطة	المطبوعة
٥/٨٢	إذْنات عنك دارها	إنّ ليلى وشأنها
٥/٨٢	وقد يعتدى للمرء ما	وإن وعدتك الوعد لا
٦/٨٢	بعوجاء مرقال تروح وتبكر	إذا لم يكن فيه لذى اللب معبر
٧/٨٢	لَيَاحٌ أخو قَفْرٍ يُراح ويمطر	بِحَرْبَةَ مَوْشِيُّ القوائم مُقْفِرُ
١٠/٨٣	أسيل كأنه	عروق كأنها
١٢/٩١	لاقَيْتَ	لَلَقِيْتَ
١٤/٩٢	.. عيينة يوم خرص	عتيبة ذات خرص
١٥/٩٢	المساعر من نمير	المشاعب من نمير
١٥/٩٢	فما جعلوا على كعب	وقد هَتَّكْنَ منْ كعب
١٦/٩٢	.. فما حلبوا بها	غداة أَتَيْنَهُمْ
١٧/٩٢	فَنَشْنَاهُمْ	شَجَرْناهُم
١٧/٩٢	تدق نساؤهم منها النُّحُورا	مثقفة بها نفري النُّحُورا
١/٩٤	مِنْ حَفِير	بالجفير
٢/٩٤	تلعبت.. بها ومنها	تلاعبت.. الموج منها
٤/٩٥	وُشم النواشِرُ	وُشِم الرواهش
٨/٩٥	يَسَرٍ يَسيرُ	يَسَرٍ يَسُورُ
٩/٩٦	الشقيقة يوم كِير	الشعيبة يوم كير
١٢/٩٦	طلب.. شفانا	نقض.. شفاها
٤/٩٨	عند اللقاء	عند الجدود
٨/١٠١	بِسُرْبَةَ	بِحَرْبَة
١٠/١٠٢	المَحَارِ يثيرها	الصناع قرائن
١٠/١٠٢	إثارة نَبَّاش	إثارة مِغْطاش

	المخطوطة	المطبوعة
١١/١٠٢	وباقي نَصِيٍّ	ونبذ خصال
٢٠/١٠٤	عشوة	شعلة
٢١/١٠٤	الفنيق الفادر	الفنيق الجافر
٣/١٠٧	مع النجم حَمَّاءَ	مع النسر فتخاءَ
١٠/١١٠	نبوا كما نبأ المفرح باليفاع	نتوءاً اذا ما الآل خفّقَ لارتفاعِ
١٤/١١١	زهته الريح من	مرته الريح في
١/١١٣	رسمها	ربعها
١١/١١٥	لم يمنحوك.. واسع	لم يمنعوك.. نافعٌ
١٦/١١٧	سهل المباءة	عند التفاضل
٨/١١٩	حُوٌّ في الخدور	من بين الخدور
٦/١٢٤	مثل الهلال	شبها للبدر
٥/١٣٠	فالطلول	فالطلوع
٦/١٣٠	بأكناف الديار قَطاً	بعرصتها حمامات
٧/١٣١	وكثرة ذكرها	ولا ذكراكها
٩/١٣١	تُجِنّ هَمّاً	نَجِيّ همٍّ
١٠/١٣١	بلوى حُنَيٍّ	بلوى حُبَيٍّ
١٤/١٣٢	من عيدان.. النعام	من غمدان.. البغال
١٧/١٣٣	حين يقرَعُها	حين يفزعها
١٩/١٣٣	سلوا عنا القبائل من معد	فسائل عامرا وبني نمير
٣/١٣٧	حزمي واهب	حزمي واحف
٨/١٣٩	فوق العماية	خلف المناطق
١٢/١٤٠	كصليف القدح	كصليف القدّ

	المخطوطة	المطبوعة
٥/١٤٣	ينوش الغض	ينشن الغصن
١١/١٤٥	وخَلّة آلف.. هجرا	وحاجة آلف.. صرما
٢٤/١٤٨	أو بشرج.. في كهاف	أو بشوط.. ذي كهاف
٢٧/١٤٩	تغنيه	يغنيه
٢/١٦١	تنكر.. فشرح	تغير.. فشرق
٥/١٦٢	ولم تنعق	ولا مدت
٩/١٦٩	وحُبٌ	وحق
١٢/١٦٩	مُسْلَحِبٌ	مُتْلَئِبٌ
٥/١٧٢	خَضِل	خاضل
١٢/١٧٣	بصقيل	بغموس
١/١٧٥	ضارب	ناوأ
٥/١٧٦	والعلي	منهم
١٩/١٩١	نعاما بوَجْرَة.. ترد	نعاما بخطمة.. تطعم
٦/١٩٣	واطلاؤها	وأولادها
٦/١٩٣	أمثال الخُدَاري	أمثال خُدَارَى
٧/١٩٤	جفر ابن ضمضم	جفر ييم
٢٣/١٩٨	وقد نقب	وقد بلي
٢٥/١٩٨	قام حرباء	صام حرباء
٢٨/١٩٩	برحلي أمامها	برحلي أمامه
٢٤/٢٠٧	برقة عيهم	برقة عيهل
٤/٢١٨	للرحمن دَرُّهُم.. جي	لله أمُّكُم.. جمع
١٧/٢٢٣	طيّيء عَدَّتْ	عَدٌّ من عمرو

علماء قفصة
في عصر ابن راشد

الأستاذ ابو القاسم محمد كرو

عاش الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن راشد القفصي بين القرنين السابع والثامن الهجريين .. وعلى التحديد من منتصف القرن السابع إذ يرجح انه ولد في العقد الخامس منه الى وفاته سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م . فهو اذن من المعمرين اذ عاش زهاء التسعين سنة .

ومن حسن حظ ابن راشد أن هذه المدة التي عاشها - وهي زهاء القرن - قد كانت من أكثر العهود أمنا واستقرارا .. لا في بلده قفصة فقط بل وفي افريقية (أي تونس) بوجه عام .

وذلك باستثناء الحملة الصليبية الثامنة على تونس بقيادة لويس التاسع عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م ، وبعض الفتن الداخلية وأخطرها حركة ابن مرزوق الدعيّ الذي زعم أنه الفضل بن يحي الواثق الحفصي ، فاستولى على السلطنة الحفصية بعض الوقت ، زاحفا من الجنوب وقادما من طرابلس حيث ظهرت فيها دعوته ، وتمكن من الاستيلاء على العاصمة نفسها (٦٨١ هـ / ١٢٨٣ م) ، بعد أن بايعته معظم المناطق والمدن ، بما فيها مدينة قفصة وتوابعها . الا انه بعد القضاء عليه عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م عاد الأمن والاستقرار ليشمل البلاد من جديد وليمتد ظله الى آخر أيام ابن راشد .

ولكن من سوء حظ ابن راشد أن هذه المدة نفسها قد كانت بداية

الانحدار والتدهور في حياة هذه المدينة ، لا في الميادين الاقتصادية والاجتماعية فقط ، بل في الميادين العلمية والأدبية أيضاً . وذلك خلافا لما كانت عليه تلك الميادين نفسها ، في هذا العصر ذاته ، بتونس العاصمة وبعض المدن البحرية الأخرى ، التي ازدهرت فيها الصناعة والتجارة ، وشهدت نهضة علمية وأدبية كبيرة بفضل هجرة الأندلسيين اليها ، وبفضل عائداتها المالية من الصادرات والمبادلات التجارية ومن القرصنة كذلك .

ومعلوم أن هذه المدينة قد أخذ نجمها في الأفول منذ تولى أمرها الموحدون في منتصف القرن السادس . ولا سيا بعد أن هدم سورها التاريخي الحصين أبو يعقوب يوسف المنصور عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

وكنت تحدثت عن هذه النكبة عام ١٩٨١ م - في ملتقى ابن منظور السادس - وكان مما قلته آنذاك : إن أي مدينة بلا سور - في تلك العصور - هي مدينة بلا حياة !

وحقاً فان حضارة هذه المدينة ، بكل مظاهرها ، قد أخذت في التراجع والانحطاط مع مطلع القرن السابع ، ولم ينته هذا القرن حتى أصبحت مدينة قفصة قرية زراعية همُّ أهلها أن يعيشوا في سكون ومذلة ، خشية طمع الطامعين ونقمة السلطة المركزية ، هذه السلطة التي لم يكن يعنيها شيء سوى الجباية واستنزاف الخيرات .

وهذه الحقيقة يؤكدها لنا وجود حامية عسكرية دائمة وحاكم قويّ ، غالباً ما يكون أحد أبناء السلطان الحفصي نفسه .

ولئن أعيد بناء السور أكثر من مرة بطريقة عشوائية وبسيطة ، إن هدمه وتخريب الواحة - وهي المصدر الوحيد للرزق والحياة - كان دائما

سياسة الوعيد والعقاب والاذلال من كل الغزاة والثائرين وحتى من ممثلي السلطة المركزية نفسها .

وهكذا كان القرن السابع قرن التراجع والتدهور في حياة هذه المدينة ، وبالتاكيد كانت القرون التالية اكثر سوءاً واستمراراً في الهبوط والتخلف .

يقول شاهد عيان ، وهو الحسن الوزان المعروف بـ (ليون الافريقي) الذي زارها بعد ثلاثة قرون من نكبتها ، يقول : « وعاد اليوم عمران قفصة كاملا ، لكن ليس فيها شوى بناءات متواضعة باستثناء بعض المساجد . أزقتها واسعة جدا وكلها مرصوفة بالحجر الاسود كنابلي وفلورنس ، والسكان متحضرون لكنهم فقراء ، لأنهم مثقلون بالإتاوات من قبل ملك تونس[1] » .

وهكذا يمكننا ان نستخلص حقيقتين كبيرتين واضحتين في حياة ابن راشد وحياة هذه المدينة في عصره .

الحقيقة الأولى : تراجع المدينة المتواصل في شتى مظاهر الحياة والحضارة ، وبالخصوص الحياة العلمية والأدبية .

الحقيقة الثانية : ما عاناه ابن راشد من ضيق وتنغيص لحياته الشخصية في هذه المدينة ، بعد ان عاد اليها ـ بعزم ثابت على الاستقرار ـ اواخر القرن السابع ، عاد اليها عالماً كبيرا وقاضيا يمثل السلطان والشريعة في ربوعها .

فقد وجد الفرق شاسعاً بين ما كانت عليه حياتها العلمية والأدبية في طفولته وفجر شبابه بها منتصف القرن نفسه وبين ما آل اليه أمرها مع

نهاية القرن عندما عاد اليها مزهوّاً بعلمه ، متطلعاً الى الاشعاع والعطاء .

ومن يقرأ الرائع الأخاذ لربوع بلده وماتميزت به هذه الربوع من جمال في الطبيعة وتنوع في الثار والخيرات - مما ينم ويعبر بصدق عن حب ابن راشد لمدينته وشغفه بها وحنينه الدائم اليها ، من يقرأ هذه المشاعر الزاخرة بالحب والفياضة بالاعجاب يستغرب ، غاية الاستغراب ، من تحول ذلك كله الى ضيق وكآبة في بلده ، وتوجع وشكوى من أهله .. بلغت به الى حد قول الشعر والاستشهاد به في وصف الحالة ، وكأنها كارثة أو محنة ليس لها مخلص أو نهاية .

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ　　أعني الحطيئة لاغتدى حراثا
تصدا بها الأفهام بعد صقالها　　وترد ذكران العقول اناثا[1]

والحق أن الشاعر - سواء اكان ابن راشد او غيره - قد صوّر فعلاً ، في هذين البيتين ، مأساة التاريخ في هذه المدينة ، أو قل ، ان شئت ، مأساة هذه المدينة مع التاريخ .

فهذه المدينة التي كانت مركز علم واشعاع ونور .. قد اصبحت بؤرة ظلام وجهل وجمود .. وبعد أن كانت مصنع العلماء والادباء والابطال .. صارت مزرعة متخلفة يعيش رجالها كالنساء في مستوى عقولهم (نساء القرون الوسطى - طبعا) لاهمّ لهم سوى التناحر وخدمة المتسلط والاستسلام الكامل الى الجهل والخوف والاستخذاء .

[(1) البيتان لأبي تمام الطائي من قصيدته التي مدح بها مالك بن طوق ومطلعها :
قف بالطلول الدارسات عُلاثا　　أمست حبالُ قطينهنّ رِثاثا
انظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١ ، ص ٣١٤ - ٣٢٥ / المجلة] .

والواقع ان التاريخ ـ في عصر ابن راشد ـ لم يحدثنا عن حياة هذه المدينة بشيء أفضل من ذلك .

واذا قلنا ان ابن راشد هو آخر العلماء والأدباء الافذاذ والكبار الذين أنجبتهم هذه المدينة طوال القرن السابع وما بعده فاننا لا نكون قد ظلمنا احدا او تجاوزنا الحقيقة .

وبالطبع فإننا نستثني عالما واحدا هو العلامة الموسوعي أحمد بن يوسف التيفاشي الذي توفي عام ٥٦١ هـ / ١٢٥٣ م ، أي عندما أبصر ابن راشد النور في هذه المدينة ، وبدأ يحبو فوق ترابها . لكن التيفاشي القفصي كان عندئذ قد هاجر هو الآخر من هذه المدينة بعد أن تولى فيها القضاء وعزل منه ، تماماً كما حدث لابن راشد بعده بنصف قرن .

ومن المفارقات الأخرى أن التيفاشي قد كان في الثالثة من عمره عندما حلت نكبة الموحدين الكبرى بهذه المدينة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م . وان شفاعة أبيه القاضي يوسف التيفاشي هي التي أنقذت سكان المدينة من الابادة ، وإن لم تنقذ سورها الحصين وغابتها الشاسعة الرائعة من الدمار والاتلاف .

لقد أنجبت هذه المدينة (قفصة) في القرن السابع عالمين كبيرين : التيفاشي وابن راشد ، تميز كل منهما بالنبوغ والتفوق ، وبالعلم الغزير والشهرة الواسعة .

فقد بلغت مؤلفات ابن راشد ستين مجلدا .. شملت ما يقرب من عشرين عنوانا وموضوعا .. عرفنا منها احد عشر عنوانا توزعت بين الفقه والاصول والتفسير والأدب والعربية وتعبير الاحلام الذي هو احد فروع علم النفس الحديث .

اما مؤلفات التيفاشي فقد بلغت زهاء الخمسين مجلدا بينها موسوعته البالغة اربعين مجلدا .. ولكن لم يصلنا منها سوى مجلدين تحت اسم جديد وضعه لها ابن منظور بعد ان اختصرها في عشر مجلدات بعنوان « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس »[٢] .

كما وصلتنا خمسة كتب أخرى للتيفاشي .. واحد منها في « الاحجار والمعادن النفيسة » واثنان في الطب والحياة الجنسية والرابع في الطب النبوي والخامس في الموسيقى والرقص .

لكن مدينة التيفاشي وابن راشد ، رغم النكبات والتراجع المستمر لم تصب أبداً بالعقم او المحل في حياتها العلمية والادبية ، وهذا ما يعكس صورة اخرى أجمل وأدق من صورة الفلاحة والعقم التي عبر عنها ابنُ راشد في حالات غضبه على أهل بلده .

ولئن لم تنجب قفصة أفذاذاً من طراز ابن راشد والتيفاشي طوال القرنين السابع والثامن ومابعدهما . إنها أنجبت عشرات آخرين منذ القرن السابع وحتى نهاية القرن الثالث عشر .

ويجب الاعتراف هنا بأن مستوى هؤلاء جميعا كان دائما متوسطا او دون المتوسط .

والظاهرة الثانية التي تميز بها جميع من جاء بعد ابن راشد من العلماء والادباء هي النزوح عن هذه المدينة وعدم البقاء فيها الا اضطرارا . والاستثناء الوحيد الذي يذكر في هذا السياق هو نبوغ عدة أجيال من أسرة واحدة ، هي أسرة ابن عقيبة التي أنجبت عددا من العلماء والأدباء كانت لهم مكانة مرموقة في عصرهم ، وتفوقوا في الأدب والتصوف وعلوم الشريعة وفي الرياضيات ، وكان بينهم شعراء .

وبما أننا حددنا الامتداد الزمني لموضوعنا بعنوان (علماء قفصة في

عصر ابن راشد) فاننا سنقتصر على :

اولا ـ ضبط قائمة بأسمائهم على مدى القرنين السابع والثامن ، بحيث تشمل كل من عاش ولو مدة قصيرة من حياته في هذين القرنين . وسيشمل هذا كل من ولد في السادس ومات في السابع كالتيفاشي ، وكل من ولد في الثامن وتوفي في التاسع كابن عقيبة والمخزومي .

ثانيا ـ سنشير بايجاز واقتضاب كاملين الى ذوي الشهرة والمكانة الكبيرة منهم ، على أمل العودة اليهم بالتفصيل في مناسبة قادمة ، أو في الكتاب الموعود عن علماء قفصة وشعرائها .

ثالثا ـ ان معظم الذين سأذكرهم لم تصلنا معلومات واسعة او مفصلة عنهم . بل ان عددا لايقل عن نصف القائمة الآتية لم يرد عنه في المصادر الموثوق بها سوى سطر او سطرين ، وفي أحسن الظروف نسب له بيت أو بيتان من الشعر .

رابعا ـ الكثير منهم لم نصل الى ضبط تاريخ ميلاده أو وفاته .. واحيانا لم نعرف الا القرن الذي عاش فيه .. وقد نستنتج ذلك من القرائن فقط .

والآن .. سنبدأ مع مطلع القرن السابع .. وعلى التحديد بمن كانت وفاتهم في بدء هذا القرن ، وهم :

١ ـ أبو الحجاج يوسف القفصي الشافعي (٦٠٣ هـ / ١٢٠٧ م)

٢ ـ ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن هراوة الشافعي (٦٠٩ هـ / ١٢١٣ م)

٣ ـ أبو علي الحسن بن ابراهيم بن عمران القفصي (٦١٠ هـ / ١٢١٤ م)

٤ ـ محمد الشقراطيسي (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م)

٥ ـ الجمال بن القفصي (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م)

٦ ـ عبد الله القفصي (ق ٧ هـ / ١٣ م)

٧ ـ أحمد بن يوسف التيفاشي (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)
٨ ـ محمد بن عبد الله الهواري (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م)
٩ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي زكريا البلوي (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م)
١٠ ـ القفصي التبي (ق ٧ هـ / ١٣ م)
١١ ـ أبو إسحاق إبراهيم القفصي المحدث (ق ٧ هـ / ١٣ م)
١٢ ـ عبد اللطيف القفصي الشاعر (كان حياً ق ٧ هـ / ١٣ م)
١٣ ـ أبو بكر بن حرز الله بن حجاج (ق ٧ هـ / ١٣ م)
١٤ ـ القفصي المغربي = كان من اكابر العلماء (- ؟ -)
١٥ ـ الامام العالم فخر الدين علي بن القفصي (ق ٧ هـ / ١٣ م)
١٦ ـ الفقيه الأديب علي بن عسيلة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م)
١٧ ـ محمد شمس الدين بن سليمان القفصي (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م)
١٨ ـ محمد بن يوسف بن الصالح الدمشقي شمس الدين القفصي
(٧٠١ـ٧٧٤هـ/١٣٠١ـ١٣٧٢م)
١٩ ـ عبد الله بن عبد الرحمن القفصي المالكي (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)
٢٠ ـ محمد بن محمد بن سليمان القفصي والد علم الدين الآتي
(٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م)
٢١ ـ أبو مدين شعيب العمراوي القفصي (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)
٢٢ ـ ابنته فاطمة (- ؟ -)
٢٣ ـ ابنه علي (- ؟ -)
٢٤ ـ البرهان إبراهيم القفصي (كان حيا ٨٠١هـ / ١٣٩٨ م)
٢٥ ـ محمد بن مسافر القفصي (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م)
٢٦ ـ ابو بكر عبد الله السني (كان حيا ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م)
٢٧ ـ علم الدين محمد بن محمد القفصي ـ قاضي قضاة المالكية بدمشق
(٧٥٠ ـ ٨٠٥ هـ / ١٣٤٩ ـ ١٤٠٢ م)

٢٨ ـ محمد بن مسافر العامري القفصي (ق ٩ هـ / ١٥ م)
٢٩ ـ أبو يحي أبو بكر بن عقيبة (٧٥٠؟ ـ ٨٢٨ هـ / ١٣٥٠ ـ ١٤٢٥ م)
٣٠ ـ محمد القفصي المخزومي المحدث (٧٧٦ ـ ٨٤٢ هـ / ١٣٧٤ ـ ١٤٣٨ م)

هؤلاء ثلاثون علما من أعلام قفصة طوال القرنين السابع والثامن .. وهو عدد ليس قليلا بأي حال وعلى أي مستوى كان . ومع أن أيّ واحد منهم لم يبلغ مكانة ابن راشد في الفقه والاصول ، أو مكانة التيفاشي في الطب أو الادب او التاريخ او الجغرافيا او البلاغة او العلوم الاخرى فإن أكثرهم كان في مستوى أمثاله في ذلك العصر . كما ان عددا منهم قد تولى مناصب التدريس والافتاء والقضاء ، ليس في مدينة قفصة بل في القاهرة ودمشق وحلب وحماة وغيرها من مدن الشرق . وبينهم كذلك شعراء ومؤلفون في الفقه والحديث والتصوف ، وفي اللغة والنحو والصرف وتفسير القرآن .

ولايتسع المجال لأن نتعرف عليهم أو نعرف بهم جميعاً ولو بايجاز .. لذلك سأكتفي بتقديم عدد قليل منهم نماذج عن الباقين :

مع مطلع القرن السابع نلتقي باثنين من علماء الحديث القفصيين .. ترجم لهما أكثر من واحد من مؤلفي كتب الطبقات .

وعلم الحديث ، رواية وتأليفا وتدريسا ، عريق لدى علماء قفصة ... فقد ابتدأ مع الحارث بن أسد القفصي (تلميذ الامام مالك) في القرن الثاني الهجري واستمر الى الشيخ تاج الآجري في القرن الثالث عشر ، بل والى الحسين بن المفتي من أعلام القرن الرابع عشر .

اما العالمان المعنيان هنا .. فهما :

١ ـ أبو الحجاج يوسف القفصي

٢ ـ أبو اسحاق ابراهيم القفصي

وقد ترجم لكليهما عبد العظيم المنذري في كتابه الرائق « التكملة لوفيات النقلة » . كما ترجم لكل منهما الذهبي وأبو شامة والعيني وابن الفرات والمقريزي .

ولئن شكك المنذري في ان أبا الحجاج القفصي لم يحدث بشيء .. لقد ترجم له مجاراة لغيره من المؤلفين .. فقال :

« وفي الثامن من صفر (٦٠٣ هـ / ١٤ / ٩ / ١٢٠٦ م) توفي الفقيه الأجل ابو الحجاج يوسف القفصي الشافعي المنعوت بالفخر بمصر .

ومولده في سنة سبع او ثمان وخمسين وخمسمائة (١١٦١) تفقه على مذهب الامام الشافعي وحصل منه طرفاً جيداً . وولي التدريس بالمدرسة السيفية التي بسوق الغزل بمصر[٣] .

واجتمعتُ معه . وما علمته حدث بشيء . وكان فاضلا بارعا نبيلا .

وقفصة بفتح القاف وسكون الفاء مدينة بقرب القيروان حدث من اهلها غير واحد[٤] .

والمنذري (ت ٦٥٨ هـ) من الرواة والمؤرخين الثقات لأهل الحديث .

وقد ترجم ايضا لمعاصره الآخر الذي لقيه في دمشق وهو أبو اسحاق ابراهيم القفصي فقال عنه ما يلي :

« وفي احد الربيعين (سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) توفي الشيخ الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن هراوة القفصي الشافعي بدمشق »[٥] .

لم يفصل المنذري شيئا عن مشاركة أبي اسحاق القفصي في الحديث ، وان كان قد تبسط في ذكر مشايخه الذين التقاهم وأخذ عنهم في مصر وبغداد ودمشق حيث استقر نهائيا واشتغل مدرسا للحديث والفقه الشافعي الى وفاته بها .

وبوسعنا أن نضيف الى معلومات المنذري عن صاحبنا أن بعض مشايخه في دمشق قد أدركهم أيضاً ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي . ولا نشك ايضا في أن التيفاشي قد اجتمع بأبي اسحاق القفصي في دمشق مع مطلع القرن السابع ، وذلك لان التيفاشي أدرك بدمشق الشيخ تاج الدين الكندي (٦١٣ هـ) وأخذ عنه . ولعل ابا اسحاق كان ايضا من شيوخ التيفاشي في الوقت نفسه .

والأهم من هذا كله هي الآثار الحديثية التي سجلها أبو اسحاق وسمعها عنه تلامذة في دمشق .. ثم انتقلت الى الشيخ علي النوري الصفاقسي (١١١٨ هـ) وبقيت محفوظة في مكتبته بصفاقس الى العصر الحاضر ، وآلت الآن الى دار الكتب الوطنية .

فقد أفادني الصديق البحاثة الشيخ محمد محفوظ (حفظه الله) قبل نقل المكتبة الى تونس - في مراسلات قديمة بيننا - أنه توجد في مكتبة الشيخ النوري سماعات حديثية كتبت وسمعت من الشيخ أبي اسحاق القفصي في مدرسة الحنابلة بسفح قاسيون بظاهر دمشق . وان آخرها مؤرخ باليوم الثاني من ربيع الاول عام (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) ، ا هـ .

اما شافعية هذين الشيخين فيمكن اعتبارها ناتجة عن ظروف التعليم المشرقي او اقتناصاً للمناصب حيث كان المذهب الشافعي هو السائد والمؤهل لمناصب التدريس والقضاء وذلك الى النصف الثاني من القرن

السابع اذ أنه كان المذهب الرسمي الوحيد لدولة الأيوبيين . ومن منتصف هذا القرن أحدثت مناصب متوازية للمذاهب السنية الاربعة وخاصة للمالكي ، سواء في التدريس أو القضاء . وكثير من المغاربة المهاجرين الى الشرق كانوا ينقلبون الى المذهب الشافعي لضمان وظائف لهم . لكننا سنلاحظ ان القفصيين اللاحقين قد بقوا على مالكيتهم بل وتقلدوا وظائف التدريس والقضاء على مذهبهم المالكي في كل من القاهرة ودمشق وغيرهما من مدن الشرق.

٣ ـ عبد اللطيف القفصي الشاعر .

في نهاية القرن السابع الهجري كان قفصيّ آخر يعيش في القاهرة ..، وكان الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد من أشهر علمائها وفقهائها .. وهو الآخر من المهاجرين اليها ، اذ كانت نشأته بقوص (عاصمة الصعيد) .

وفي سنة ٦٩٥ هـ تولى ابن دقيق العيد منصب قاضي القضاة الشافعية .. وبقي في منصبه الى وفاته سنة ٧٠٢ هـ . وكان ـ على جلالة علمه وهيبة منصبه ، عطوفا بشوشا مع الجميع بمن فيهم من أصحاب اللسان الخبيث والهجائين من الشعراء .. وكان بين هؤلاء شاعر قفصي لم نعرف من أخباره وأشعاره سوى بيت واحد استهل به قصيدة في هجاء قاضي القضاة ابن دقيق العيد المذكور . وقد روى لنا القصة كاملة الشيخ كال الدين الادفوي في كتابه : « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد » . وكان صديقا للشاعر فنقل عنه مباشرة الحكاية التالية :

« وقال عبد اللطيف بن القفصي : هجوته مرة (أي ابن دقيق العيد) فبلغه ، فلقيته بالكاملية فقال : بلغني أنك هجوتني ، أنشدني ،

فانشدته « بليقه » اولها :

قـــاضي القضــاة عـزل نفســـه لمـــا ظهر للنــــاس نحســـه

الى آخرها ، فقال : هجوت جيدا »[٦] .

ولـلاسف لم نجـد بـاقي القصيدة ولا أي خبر أو معلومـة أخرى عن شـاعرنـا القفصي . ولولا هـذه الحـادثـة وتسجيل الادفوى لهـا وارتبـاطهـا بمنصب قـاضي القضـاة ، لمـا أمكن ان نعرف لا اسم الشـاعر ولا تـاريخ شعره . ويمكن القـول ان شـاعرنـا قـد كان بقيـد الحيـاة في آخر سنـوات القرن السـابع ، ولا نعلم متى توفي ، ولعلـه كان في سن كمال الـدين مؤلف الكتاب لانه كان صديقا له . وتوفي كمال الدين عـام ٧٤٨ هـ . وان كونـه صديقا له ومعاصراً لابن دقيق العيد ويـذهب الى المـدرسـة الكامليـة التي هي من أهم المدارس الايوبية وأشهرها ، كل هـذا يشير الى مكانـة الشـاعر العلمية والأدبية في مكانه وزمانه .

٤ ـ أبو الحسن علي بن عسيلة .

في سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م أي سنـة واحـدة قبيل وفـاة ابن راشـد ، يفيدنا ابن القنفذ في وفياته بأن عـالمـا قفصيـاً آخر معـاصرا لابن راشـد ، وربما كان من منافسيه أو مزاحميه على منصب قـاضي المـدينـة ، قـد توفي بقفصة . ولكنـه لم يعطنـا أي بيـانـات ولا تفـاصيل عن حيـاة الرجل او مكانته أو مؤلفاته ، ان كانت له مؤلفات .

وقد يعود ذلك الى نوع التـأليف الواردة فيـه الوفـاة ، اذ أن خطـة المؤلف تقوم على ترتيب الوفيات وضبطها بالعقود والسنوات دون الترجمـة لأصحابها . غير أنه نعت صاحبنـا الجـديـد ببعض النعوت التي تشير ـ بلا ريب ـ الى أن الرجـل كان من كبـار العلمـاء والادبـاء .. وهـذه الإشـارة

لا تؤخذ فقط من ادراج الرجل بين كبار المشاهير والعلماء المنسقين في الكتاب ... بل ومما عبر عنه المؤلف من صريح النعوت والمراتب حيث قال عنه ما يلي :

« وفي التي تليها (أي تلي سنة ٧٣٤ هـ) توفي الشيخ الفقيه الأديب ابو الحسن علي بن عسيلة بقفصة »[٧]

اذن .. صاحبنا فقيه وأديب ومدرج بين كبار العلماء والادباء ، ووفاته كانت بقفصة ، فهو لم يهاجر من بلده .

وفي السياق نفسه ، كتب ابن القنفذ مباشرة عقب حديثه عن ابن عسيلة ، كتب عن ابن راشد ما يلي :

« وفي سنة ست وثلاثين وسبع مئة توفي الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن راشد البكري القفصي بتونس . وأخذ عن شهاب الدين القرافي وغيره في العشرة الثامنة من المائة السابعة وله مصنفات ، منها شرحه لمختصر ابن الحاجب في الفقه ومنها الفائق في الاحكام والوثائق في سبعة أسفار وغير ذلك »[٨] .

ترون معي أنه زاد ابن راشد اسمين من كتبه ، ولكنه خص ابن عسيلة بالاديب ، أما الفقه فكلاهما فقيه .

ونجد اسم ابن عسيلة يرد في كتب الوفيات الأخرى بنفس الصيغة والأوصاف .. وقد أضيف له مرة نعت القاضي . ولعلنا نعثر يوماً على المزيد من المعلومات عنه . على انني اكاد اجزم بانه ليس اقل من ابن راشد ادبا وفقها ، وان لم يصل الينا شيء من آثاره .

٥ ـ شمس الدين القفصي

بعد ابن عسيلة وواحات قفصة ومحيطها نعود الى الهجرة والنزوح

مرة اخرى .. فعلماء قفصة كلهم تقريبا ـ الا النوادر ـ يحبون الرحلة والاغتراب . وكثال جديد على ذلك . نمضي مع الزمن عشرين سنة اخرى ، وبالتحديد الى سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م ونختار هذه المرة مدينة دمشق ، وهي ثالثة العواصم التي كانت تجذب ، على الدوام ، أبناء هذه المدينة بعد القاهرة ومكة .

يقول ابن حجر في كتابه « الدرر الكامنة »(٩) ما يلي :

« محمد بن سليمان بن أحمد القفصي شمس الدين المالكي . قدم من المغرب ، وله فضيلة تامة ، فسكن دمشق وناب في الحكم . وكان تفقه بمصر ورحل الى دمشق في آخر صفر سنة عشرين وسبع مئة . وصار بصيرا بالأحكام . مات في شوال سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م » .

ونيابة الحكم تعني هنا أنه كان يتولى منصب قاضي قضاة المالكية بالنيابة . وهذا المنصب بالذات تولاه قفصيون آخرون من بعد شمس الدين وارتقى بعضهم الى منصب قاضي القضاة مثل الشيخ علم الدين القفصي المتوفى بدمشق ايضا عام ٨٠٥ هـ .

على ان عبارة ابن حجر توهم أن شمس الدين لم يتولّ منصبه الا بعد العشرين والسبع مئة ، بينما هو يريد أن يوضح فقط ان شمس الدين كان دائم التنقل بين القاهرة ودمشق ، ثم انقطع في دمشق من سنة عشرين . وتفيدنا مصادر اخرى ، ولا سيما الذهبي والنعيمي الدمشقي ، أن شمس الدين القفصي قد ناب في حكم المالكية من سنة تسع عشرة وسبع مئة .

والجدير بالذكر هنا ان الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة قد اجتمع به في دمشق وأكد لنا أنه كان يباشر القضاء في المدرسة الصمصامية(١٠) .

٦ ـ محمد القفصي

سنبقى في دمشق مدة أخرى ، ونمشي مع الزمان واحدا وعشرين عاما حيث بلتقي مع قفصي آخر تولى هو أيضاً نيابة الحكم المالكي بها ، ولكنه كان الى ذلك من أهل الحديث ، بل ومن كبار المحدثين حتى تأهل لأن يتولى مشيخة الحديث بالمدرسة السامرية بدمشق .

ومشيخة الحديث لم تكن من المناصب العلمية الصغيرة ، اذ لا تسند الا لكبار العلماء الذين بلغوا درجة عالية من العلم والنزاهة والمقدرة الفائقة على التبليغ والتعليم .

وصاحبنا الجديد هو محمد بن محمد بن يوسف بن الصالح الدمشقي القفصي ، ويلقب ايضاً بشمس الدين .

لا نعلم اين ولد ، واكبر الظن ان أباه هاجر من قفصة الى دمشق ، وولد هو بها عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م وكانت وفاته بها ايضا في ربيع الأول من عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م عن ثلاث وسبعين سنة ، كما سجلت لنا ذلك مصادره[١١] .

وكالعادة لا تمدنا هذه المصادر باكثر من ذلك فليس لنا ـ والحالة هذه ـ ان نجتهد او نفترض .. اذ لا اجتهاد بدون وثيقة .

٧ ـ عبد الله القفصي

نقترب أكثر من حدود تونس، ونمكث قليلا بالقاهرة لنسجل حضور أحد علماء قفصة بها ، وانتصابه في محاكمها ومساجدها ومدارسها مفتياً ومدرساً وموقعاً لدى قضاتها . أي مسجلا لمحاضرها وعقودها . ولا شك انه كان على درجة كبيرة من العلم والفقه والتدين حتى صار مرجعا يعتمد عليه المسلمون المعاصرون له في شؤون دينهم ودنياهم .

ولئن لم يترك ـ على ما يبدو ـ مؤلفات أو آثاراً علميـة من أي نوع ، إن عنايـة ابن حجر والسيوطي وغيرهمـا من المؤرخين بـه ، لهـا ـ بـدون شـك ـ دلالـة واضحـة على اهميـة الرجـل ومكانتـه في عصره . قـال عنـه اكثرهم :

« عبـد الله بن عبـد الرحمن القفصي المـالكي .. كان مشهـورا بـالعلم منصوبا للفتوى . وكان يوقع عند الحكام . مـات في ثـالث رمضـان سنـة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م »[١٢] واثنى عليه ابن حجر في الدرر[١٣] .

٨ ـ ابن عقيبة

أبـو يحي أبـو بكر بن عقيبـة القفصي المتـوفى بقفصـة عـام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م .

الحـديث عن ابن عقيبـة بـايجـاز واختصـار يكـون فيـه اجحـاف وعقوق ، لان التفاصيل عنه كثيرة والمصادر متعددة ، وله أشعـار وبحوث كثيرة في الفقه والنحو واللغـة وتفسير القرآن ، يمكن ضبطهـا والاستفـادة منها في الترجمة له والتعريف به على أوفى صورة ممكنة . يضاف الى ذلـك اننا وثقنـا أسماء خمسـة آخرين من أسرتـه ، كان لهم أيضـا دور في الحيـاة العلمية والادبية على مدى قرن ونصف قرن من الزمان .

لذلك نترك الحديث عنه وعنهم جميعـا الى بحث مستقل في منـاسبـة اخرى .

ونشير فقط الى ظـاهرة ممتـازة اختصت بهـا هـذه الأسرة ، وهي أنهم جميعـا مكثوا في قفصـة ، ولم يغتربـوا عنهـا الا للتعليم بتـونس . ثم كانـوا يعودون لمدينتهم . فكانوا لذلك اكثر تعلقا بارضهم ، واشعـاعـاً بين أهلهم وعشيرتهم

ونضيف هنا أن جدهم الاعلى كان معاصرا لابن راشد .. وولد أبو يحي ـ صاحب الضريح والمزار المعروف بقفصة ـ منتصف القرن الثامن ، أي بعد نحو عشرين عاما من وفاة ابن راشد .

الاحالات والتعاليق

(١) وصف افريقيا ص ١٤٤

(٢) طبع الأول في الاستانة عام ١٢٩٨ ، بعنوان « نثار الازهار » ، وأعيد الطبع مع الجزء الثاني في بيروت عام ١٩٨٠

(٣) مصر : يقصد بها عاصمتها القاهرة .

(٤) ج ٢ ص ٩٨ ـ ٩٩ ط٣

(٥) ج ٢ ٢٤٧ ط٣ بيروت ١٩٨٤ م

(٦) الطالع السعيد ص ٥٨٦ والوافي جـ ٤ ص ٢٠٦

(٧) وفيات ابن القنفذ ص ٥٥

(٨) المرجع نفسه ص ٥٥

(٩) ج ٤ ص ٦٧ ، وانظر المقريزي (السلوك ٢ / ٨٨٥)

(١٠) مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين ، [رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٧ ط القاهرة ١٩٢٨ م / المجلة]

(١١) شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣٦ ، والدارس في تاريخ المدارس ح ١ ص ٧٢ ـ ٧٤

(١٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ . ذيل الديباج ص ١٤٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٤٢

(١٣) ج ٢ ص ٣٧٥

مشروع

معجم مصطلحات الآثار

الأستاذ يحي الشهابي

كان مكتب تنسيق التعريب بالرباط قد بعث الى مجمع اللغة العربية بنسخ من :

(١) مشروع معجم مصطلحات الجغرافيا

(٢) مشروع معجم مصطلحات الاقتصاد

(٣) مشروع معجم مصطلحات القانون

(٤) مشروع معجم مصطلحات الآثار

(٥) مشروع معجم مصطلحات الموسيقى

لابداء الرأي فيها قبل عرضها على مؤتمر التعريب السادس .

وقد أحال المجمع مشروعات المعاجم على الأساتذة الخبراء المتخصصين ، وتلقّى تقاريرهم التي وافى بها مكتب تنسيق التعريب ، كي تكون في متناول الأساتذة المتخصصين المجتمعين في مؤتمر التعريب السادس لمناقشة مشروعات المعاجم المذكورة آنفاً واقرارها .

وقد رأت لجنة المجلة أن تنشر جانباً من هذه التقارير ، لتفسح المجال للأساتذة المتخصصين كي يدلوا بدلوهم في مبحث من أدقّ المباحث ، يتصل باختيار المصطلح الملائم .

واننا نبدأ بتقديم الملاحظ التي سطرها الأستاذ يحي الشهابي حول مصطلحات الآثار .

[لجنة المجلة]

الملاحظات وفق أرقام مصطلحات مشروع المعجم

٤- قالوا : دير ، ونفضل لها كلمة بيعة ، وندع كلمة دير له COUVENT . — ABBAYE

١٩- قالوا : تمثال بدون رأس ونفضل كلمة « جِلْف » (البدن لا رأس له) فنقول : تمثال جلف ، ولا نكتفي بالشرح — ACE'PHALE

٣٤- ذكروا انها ظلة التمثال ولم أجد لها ذلك وانما هي بناء ثانوي ، بناء صغير — EDICULE

٥٣- عرفوها : الساحة العامة في المدينة اليونانية . ساحة الندوة عند اليونانيين ، ونفضل تعريبها « أغورة » ولها أيضاً كلمة عُقْر ، او رحبة — AGORA

٦٥- قالوا : حنية . قلنا هي القبة او القبوة او الحجلة وهي فرجة ضمن جدار كانت العرب في الاندلس تجعل فيها سرير العروس . اما الحنية فهي VOUSSURE . — ALCOVE

٧٣- ذكروا انها : سبيكة . ومن البديهي انها : مزج وخلط وأشابة ، أما السبيكة فهي LINGOT — ALLIAGE

٧٩- قالوا : ارجواني . ونرى انها القطيفة ويدعونها في دمشق : سالف العروس ، ولاتمت بصلة الى الأرجوان فهو GAINIER ، و ARBRE DE JUDE'E — AMARANTE

١٦٩- ذكروا انها : بائكة ، عقود ARCADE
ولم نجد للبائكة هنا معنى وهي ليست عقوداً ،
ونحبذ لها كلمة طاق .

١٧٠- طاق معمّى ، بدلاً من بائكة ARCADE AYEUGLE
جدارية كما ذكر .

٢٢٨- اقرّوا لها ضجة العقد ، والأقرب : VOUSSOIR
فقرة العقد .

٢٤٣- قالوا : أرمة وشعار ورنك ، ARMOIRIES
ونفضل حذف كلمة رنك لأنها تقابل كلمة
BLASON

٢٤٩- قالوا : مزغل ، وهي دارجة . ولكن MEURTRIÈRE
المرمى هو الأعم .

٢٧٧- ذكروا أنها : جرّة كبيرة ، وهي ليست ARYBALLUS
جرّة بمعناها المتداول ، وانما هي حقّة الزيت .
وهي عبارة عن وعاء زجاجي ضيق الرقبة
كروي البطن .

٢٨٥- قالوا : رمح قصير . قلنا هي المزراق . SAGAIE
وهي أيضاً زج الرمح . والمزراق هو الرمح
القصير .

٣٠٩- اقروا لها كلمة مخرز اطلاقاً ، ونفضل POINÇON
كلمة منقاش تخصيصاً فهي المخرز لحفر الأختام
وقوالب سكّ النقود .

٣١١- قالوا : بلطة بحدّين ، البلطة BIPENNE

المـزدوجـة ، الطبر المـزدوج . وقلنـا : هي الحـدأة ، اي الفـأس ذات الرأسين ، ويستحسن الأخذ بها بدلاً من البلطـة HACHE ، أمـا الطبر فهو المفرد من الحدأة .

٣٢٥ـ ذكروها معرّبة : بلداكين (أي الحرير البغـدادي) ، وهي أيضـاً وهـو الأهم : مظلة الكاهن ومظلّة العرش . BALDAQUIN

٣٢٧ـ قالوا : عرّادة (آلة حربية) . BALISTA
والعرّادة منجنيق صغير لرمي الحجارة .
اما الكلمة هنا فلها منجنيق السهام .

٣٦٣ـ قالوا : نقش قليل البروز ، BAS-RELIEF
نحت بارز . وهي فعلاً كذلك ، ورأينا لها كلمة نحيتة ، ومنحوتة ، لأنها في واقعهـا لوح حجري نحتت عليه أشكال ناتئة .

٣٧٢ـ قالوا : أسكوب ، رواق ، بلاطة ، TRAVE'E
المسافة بين الأعمدة . ونرى الاكتفـاء بـالمسـافـة بين عارضتين .

٤١٢ـ جعلوا لها كلمة نصل . والأصح القول LIMBE
حـافـة كحـافـة مسيل الابريـق ، وترك كلمـة نصل لـ LAME ، وكلمة DARD لنصل الحـاجز ، وهي زخـارف على شكل السهـام تثبت في أعلى الحاجز .

٤١٤ـ قالوا : حصن صغير . ونرى BLOCKHOUSE

أن تُخَصَّ بكلمة المنعة ، ونترك مصطلح حصن صغير لـ FORTIN

٤٢١- ليست ازاراً لحائط سفلي كما وردت في مشروع المعجم ، وانما هي نتوء مسطح مستطيل تحت قواعد الأعمدة . والانكليزية فيها BOARD-BASE أي اطار القاعدة ، او إزار القاعدة ، والأفضل القول : نعل القاعدة . PLINTH

٤٢٩- قالوا : مدماك LIEN, ATTACHE
(في البناء) ، رباط . ولها على ما نرى رباط فقط ووثاق اما المدماك فله ASSISE .

٤٤٠- قالوا : كابولي . والكابول : CORBEAU
حِبالة الصائد ، واختيارنا : وصلة حاملة ، ومسند ناتئ .

٤٤١- جاءت : كتيفة جدارية . CONSOLE MURALE
ونضيف لها : حاملة .

٤٤٣- في المعجم : نحاس أصفر وهي فعلاً LAITON
نحاس أصفر والمقابل المفضل : صفر وشَبَه .

٥٠٢- قالوا : يقطين . واليقطين هو : الثمر . CALEBASSE
أما هنا فلها : طاسة قرع ، أو دُبّاءة . وهذه أصح لأنها القرعة تجفف لأغراض شتّى .

٥٢١- قالوا : ظلة العرش او السرير . DAIS (D'UN TRÔNE)
قلنا الظلّة هي المظلة الضيقة ، او ما يستظل به من حرّ أو برد . اما السديل وهو ما اخذنا

بـه لـ DAIS فهو مـا أسبل علي الهودج او نحوه ، وهو ستر حجلة المرأة ، فالسديل هنـا أقرب الى المراد .

٥٤٣ـ ذكروا انها مدماك القمة في الجدار . ومعناها في العمارة طنف يقي الحائط وقع المطر ويسهل عملية انسياب الماء وهو : الزِّيف . CHAPERON

٥٥٠ـ قالوا : عقيق احمر . قلنا هي البهرمان ، أو الياقوت الارجواني وردت في نخب الـذخـائر للانصـاري ، وتحقيـق الأب الكرملي . ESCARBOUCLE

٥٥٦ـ هو العقيق الأحمر ، وله بالعربية : يَنَع وهو معروف . CORNALINE

٥٩٤ـ في المعجم : حيوان خرافي (برأس وصـدر انسـان وجسم الفرس) اي انهم جعلـوا التعريف بدل المصطلح ونرى تعريب الكلمـة : قنطور ، قنطورس ثم شرحها . CENTAURE

٦٠٢ـ قالوا : خوذة حديدية . ونفضل إحياء كلمة : تَرْكـة ، وهي الخوذة من حـديـد تخصيصاً ، فثمة أسماء عديدة للخوذة ولها أنواع . CERVELIERE

٦٠٩ـ ذكروا انها : حاجز (في الكنيسة لجوقة المرتلين) ، قلنـا : عرفت معربـة بـ كـورس وخوروس لدى القساوسـة ، وتطلق ايضاً على سدة الكورس وليست حاجزاً . CHOEUR

٦١١- ذكروا انها غمد السيف ، غطاء . ولم نجدها بهذا المعنى ، فلها معان عديدة أهمها بالنسبة لنا غِفَارة وهي رداء الكاهن . اما الغمد فله طبعاً FOURREAU و GAINE . CHAPE

٦٣٠- قالوا : كائن خرافي ، الوهم . وهو اسم اطلق على حيوان خرافي له رأس السبع وجسم العنز وذنب التنين فلم لا نسميه « شمير » مثلاً . CHIMERE

٦٦٢- جاءت : درابزين حجري . ونرى ان نقرر لها كلمة « تصوينة » المولّدة ، فهي دارجة ومعروفة في المشرق العربي ولعلها كذلك في المغرب العربي . CLAUSTRA

٦٩٥- قالوا : هبوط ، سقوط ، قلنا : الخسف هنا أقرب الى المراد . AFFAISSEMENT

٧٣٦- كرروا استعمال كلمة : كابولي ولم أجدها في اي مرجع الا الكابول : حبالة الصائد ، ونرى للكلمة هنا : دعامة حلزونية . اما كلمة CONSOLE الانكليزية هنا فهي بالفرنسية تعني حاملة . AILERON

٨١٦- وردت : حلية صورتها الجانبية موجيّة . ونفضل لها : زخرف مموّج . CIMAISE

٨٢٥- وردت : رمحيّ الشكل ، وهو زخرف سهمي الشكل فله : زخرف سهمي . DARD

٩٠٧- جاءت : ثنائية العمود . ويخشى هنا الالتباس فمعنى الكلمة ذو العمودين ، اي البناء او المعبد لهما في الجبهة عمودان . DISTYLE

٩٥٣- قالوا : كاهن (عند قدماء الانكليز) ، ونرى اضافة وعند الغاليين والارلنديين وتعريب الكلمة : درويد . DRUIDE

٩٥٧- قالوا : سكن الكهف ، والصواب : ساكن الكهوف . TROGLODYTE

٩٦٣- قالوا : سدّ ترابي ، ومقترحنا : سطح ، رصيف . TERRASSE

٩٧٣- قالوا : وجه ملكي على العملة ، وليس من الضرورة ان تدل على وجه ملكي فهي صورة شخص تكون غالباً على العملة والأوسمة والمداليات . فالأوْلَى : صورة .... EFFIGIE

٩٩٢- قالوا : مزغل ، ونرى انها الكوّة والفرجة . EMBRASURE

١٠٦٩- عرّفوها بانها جرّة ذات وجه بشري ، والجرة الجوفاء لحفظ رماد الموتى . والجرّة كما هو معروف اناء له بطن كبير وعروتان والأصح هنا استعمال كلمة : مرمدة ، ولها أيضاً : قارورة وإجّانة . URNE À FACE HUMAINE

١٠٧٥- قالوا : سيف قصير معقوف . قلنا : لها كلمة « مِشمل » وهو سيف صغير . FALICHON

١٠٩٠- عرّفوها بثوى قديس . CHÂSSE
والأفضل ان تقول « مذخّر » لأنها تدل على
علبة الذخائر المقدسة ، وفيها رماد أو بقايا
القديس .

١٠٩٩- جاءت : تمثال صغير . ونرى FIGURINE
وضع المصطلح ثم الشرح وهذه تدل فعلاً على
تمثال صغير فهي الدمية .

١١٤٧- قالوا : المدماك الأول السفلي EMPATTEMENT
قلنا : هي « الرّهْصُ » ، وهو من الحائط أول
صف منه .

١١٦٦- وردت على انها نافورة . FONTAINE
وهي السبيل والمنهل والينبوع والعين الخ ..
وكلها لها والنافورة درجت لـ JET D'EAU

١١٧٦- ذكروا انها نقش شبكيّ ، ويضاف FRETTE
لها معنى آخر : طوق حديدي ، حزام .

١١٨٥- جاءت على انها القوصرة . وهذه FRONTON
لغة وعاء من قصب ، والكلمة تدل على جبهة
البناء أو ناصيته ، وتكون على اشكال مثلثة
ومنحنية ومنكسرة . ورأينا لها : جبهة البناء
وناصيته .

١١٩٤- قالوا : حلية مدورة ، GODRON, CANNEAU
وهي ليست كذلك ، وانما هي نوع من
الزخارف ليست مدورة تخصيصاً والأفضل

لها : زخرف مفصص وجمعها مفصصات .

١٢٠٢ـ قالوا : عقيق يشبه الياقوت . GRENAT

قلنا : هو البنفش ، والبجاديّ ، وهو حجم كريم رمانيّ اللون .

١٢١٠ـ حقيقي كما ذكروا . نفضل لها AUTHENTIQUE

أصلي وأصيل .

١٢٣٥ـ قالوا : تزجيج . GLAÇURE, VITRIFICATION

والأفضل الفصل ، فالأولى : تمويه بالمينا ، والثانية : تزجيج .

١٢٤١ـ قالوا : ميل المزوَلة . انها المزولة بدون ميل GNOMON

١٢٤٤ـ وهي التجويف في النحت ، وليست طوق العمود . GORGE

وليست طوق العمود .

١٢٥٢ـ قالوا تحبب . والأفضل : حبحبة . GRANULATION

١٢٦١ـ ذكروا انها مصبّعات ، وهي في واقعها GRILLAGE

شبكة من شريط أو نحوه على النوافذ وغيرها ، ولها بالعامية الدارجة في المشرق « شعرية » . اما حالة وضع هذا الشريط فهي تشبيك .

١٢٦٢ـ ليست مرحاة . وانما حجر الرحى والطاحون ايضاً . MEULE

١٢٦٦ـ قالوا : غريب الشكل (زخرف) . MARMOUSET

قلنا لعل تثبيت مسخ أو مسيخ أوفق مع الشرح .

١٢٨٩ـ قالوا : قيثار . وكان العرب في الاندلس HARPE

يطلقون عليها اسم سنطور وسنطير .

١٣١٢- يضاف الى تعريفها : الكتابة الهيراطية ، HIRATIQUE
معناها الآخر الأهم وهو كهنوتي ، مقدس .

١٣٣٦- ذكروا انها وقاء ، غطاء الرأس . TABLIER
والكلمة الفرنسية تدل على سطح أو سطيح الجسر وعلى صدار يتخذ للوقاية من الوسخ . والأصح لها : سطيح الجسر وصدار .

١٣٤٣- قالوا : تفاوت في اللون والواقع انها فروق NUANCE
بسيطة في اللون ولها كلمة « شية » وهي كل لون يخالف معظم لون الشيء وجمعها شيات .

١٣٥٠- قالوا : بهو أعمدة (مسقوف) ، والأصح بهو معمّد . HYPOSTYLE

١٣٩٦- تفاريج (المسافة بين عمودين) ENTRECOLONNEMENT
وردت بالجمع وهي تفرجة للمفرد .

١٤١٤- قالوا انه اليشب والصحيح « اليشم » JADE
وهو حجر كريم ابيض ضارب الى الخضرة أما اليشب فهو JASPE .

١٤٢١- هو اليشب لا اليشم وهو نوع من الحجر الخلقيدوني JASPE
تكثر فيه الحمرة .

١٤٢٥- قالوا : كهرمان اسود والواقع انه « السَبَج » ، JAIS
وهو مادة قيرية صلبة لامعة قابلة للالتهاب .

١٤٣٠- قالوا : ربط جانبي (للسطوح) ولم اجد AFFRONTEE

لها هذا المعنى وانما هي تقابل ، تجابه ، تناظر .

١٤٣٢ـ ذكروا انها تعشيق : وهي ربط ووصل وتركيب اما التعشيق فلها EMBREVEMENT . ASSEMRLAGE

١٤٣٣ـ جعلوها رافدة ، وهي خشبة معترضة في في هيكل البناء فلها عارضة . اما الرافعة فهي POUTRELLE . SOLIVE

١٤٥١ـ قالوا : مفتاح العقد ، وهي « الغلق » حجر يجعل في وسط العقد او القبة . CLE' DE VOÛTE

١٤٥٦ـ يضاف اليها معنى آخر : مِنقاش POINÇON

١٥١٨ـ جاءت : رمح ثلاثي الرأس ، وهي مذراة ثلاثية أو شوكة ثلاثية وليست رمحاً وهي رمز نبتون إله البحر . TRIDENT

للبحث صلة

قضية إعجاز القرآن

عند الجاحظ

الدكتور وليد قصاب

ولدت علوم العربية حول القرآن الكريم؛ فقد كان نزوله - معجزة عقليةً خالدة على محمد صلى الله عليه وسلم - مبعث نهضة فكرية لم يعرف العرب مثيلاً لها. وكأنما كان هذا الكتاب العظيم الجذوة التي أوقدت في النفوس روح البحث والتأمل، وخفرتها الى النظر والتأليف. فبدأت توضع العلوم، وتقعّد القواعد، خدمةً للقرآن الكريم، وإمعاناً في تفهّمه، ومعرفة أحكامه، ورغبةً في استكناه أسراره ودقائقه. ثمّ راحت شُعَب البحث تضرب في كلّ اتجاه، وتنسرب إلى كل غاية. يقول ابن خلدون - وقد ذكر أن علم البيان حادث في الملّة بعد علم العربية واللغة: «واعلم أن ثمرة هذا الفنّ إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدّلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال[1] ..»

وكان من أبرز ماتجهت إليه عناية المسلمين من شأن القرآن البحث في روعة بيانه، وسحر بلاغته ونظمه، بعد أن وقع عليهم التحدي، وأقرّوا بهذه العظمة، وهو ماعُرف بإعجاز القرآن. وكان المتكلمون - وعلى رأسهم المعتزلة - من أبرز الطوائف التي بحثت في قضية الإعجاز؛ فقد أخذت هذه الطائفة على نفسها مهمّة الدفاع عن الإسلام، والردّ على خصومه ومعارضيه، وكانت هذه المهمة تقتضي منهم أن يعرفوا كتاب

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٧٦٢

الله - الذي هو مادة هذه العقيدة - معرفة عميقة ، ليردّوا عنه شُبَه الخصوم من ناحية ، وليظهروا مافيه من وجوه التفوّق والرفعة التي جعلته معجزاً خارجاً عن طَوْق البشر من جهة أخرى . وكان الجاحظ المعتزليّ واحداً من هؤلاء ، ومن أبرزهم ، وأسبقهم إلى الكلام المنظم في مسائل القرآن الكريم وبلاغته وإعجازه ، وقد ترك عدداً من الكتب في هذا المجال . منها كتاب (نظم القرآن) وكتاب (آي القرآن) وكتاب (خلْق القرآن) وكتاب (المسائل في القرآن) ولكنّ هذه الكتب جميعها - باستثناء قطعة من كتاب (خَلْق القرآن) نُشرت ضمن رسائل الجاحظ - مفقودة للأسف الشديد ، ولانكاد نعرف عنها شيئاً ، ولو وصلتنا - أو بعض منها على الأقل - لتوقّعنا من أبي عثمان حديثاً ذا شأن في هذه القضية المهمة .

ولكن الجاحظ قد ترك لنا في تضاعيف مؤلفاته التي وصلتنا - طريقته في الاستطراد - عدداً لابأس به من الآراء والنظرات التي تتصل بقضية إعجاز القرآن ، وقد حاولنا لملمة شمل هذا الشتات المبعثر من آراء الجاحظ ودراسته وتقويمه للخروج بفكرة عن تصوّره للإعجاز .

القرآن حجّة للرسول : أعلن الجاحظ أن القرآن الكريم حجّة من حجج النبوة ، وهو إحدى معجزات محمد عليه السلام ، وهو معجزة بلاغية عقلية ، وهو المعجزة الرئيسية الكبرى التي وقع بها التحدي ، وإنما كان على هذه الصفة بالذات لأنّ سنة الله في الكون قد جرت أن تكون معجزات أنبيائه - وهي في العادة أمور تخالف السُّنن الكونية ، وتشذ عن النواميس الطبيعية - أموراً من جنس ماالستحكم في زمانهم ، وغلب على خاصتهم ، حتى يكون ذلك أعمق في الحجة ، وأبلغ في الدليل ، وأبعد عن أن يتخذ المبطلون منه سبيلاً إلى اختداع الضعفاء . كانت معجزة موسى -

عليه السلام - إبطال السحر ؛ لأنه « كان أعجبُ الأمور عند قوم فرعون السحرَ ، ولم يكن أصحابه قطّ في زمان أشدّ استحكاماً فيه منهم في زمانه ... وكذلك زمن عيسى - عليه السلام - كان الأغلبُ على أهله ، وعلى خاصة علمائه الطبَّ ، وكانت عوامُّهم تعظّم على ذلك خواصّهم ، فأرسله الله - عزّ وجلّ - بإحياء الموتى ؛ إذ كانت غايتهم علاجَ المرضى ، وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غايتهم علاجَ الرمد[٢]..». وكانت معجزة محمد - عليه السلام - في ميدان البلاغة والبيان ؛ وذلك في دهر « كان أغلبُ الأمور عليهم ، وأحسنُها عندهم ، وأجلُّها في صدورهم ، حسنَ البيان ، ونظمَ ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به ، فحين استحكمت لفهمهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ، وفاق الناسَ خطباؤهم ؛ بعثه الله ، عزّ وجلّ ، فتحداهم بما كانوا لايشكّون أنهم يقدرون على أكثر منه[٣] .. »

وقد راح محمد - عليه السلام - يتحدّاهم به منذ أول لحظة ، ثمّ أن يأتوا بسورة واحدة من مثله ، وراح يقول لقريش خاصّة ، وللعرب عامّة « مع مافيهما من الشعراء والخطباء والبلغاء والدُّهاة والحُكَماء ، وأصحاب الرأي والمكيدة ، والتّجارب والنظر في العاقبة : إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبتُ في دعوايَ ، وصدقتم في تكذيبي[٤] » ولم يكن القوم الذين ينازلهم محمد - عليه السلام - قوماً عاديين ، إنهم شكِسون خصِمون ، لايسكتون على ضيم ، ولا ينامون على مَوْجِدَة ، وقد هبّوا ينازعونه من كل سبيل « هَجَوْه من كلّ جانب ، وهاجَى أصحابَه

(٢) حجج النبوة ، ضمن رسائل الجاحظ : ٣ / ٢٧٩

(٣) المصدر السابق وصفحته

(٤) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٣

شعراءهم ، ونازعوا خطباءهم ، وحاجُّوه في المواقف ، وخاصموه في المواسم ، وبـادَوْه العـداوة ، ونـاصبـوه الحرب ، فقتـل منهم ، وقتلـوا منـه[٥] » ولكنهم ـ على ذلك كلّه ـ لم يعـارضوا القرآن ، ولم يتكلّف ذلـك خطيب ولا شاعر ، مع أن ذلك أهون من الحرب والقتال والإخراج من الديـار . لجؤوا إلى الأشقّ العسير ، وسكتـوا عمـا هـو من بضـاعتهم ، سكتـوا عن المعـارضـة ، والكـلامُ صنعتهم « وهـو سيـد عملهم ، فقـد فـاض بيـانهم ، وجاشت به صـدورهم ، وغلبتهم قوّتُهم عليـه عنـد أنفسهم ، حتى قـالوا في الحيـات والعقـارب ، والـذبـاب والكـلاب ... وكلّ مـادبٍّ ودَرَج ، ولاح لعينٍ ، وخطر على قلب ، ولهم بعـدُ أصنـافُ النظم ، وضروب التـأليف ، كالقصيد ، والرجز ، والمزدوج ، والمجانس ، والأسجاع ، والمنثور[٦] .. »

ماالسر في سكوت العرب عن المعارضـة وقـد صـكّ التحـدي أسماعهم بإلحاح وشدة ؟ إن هذا أمر قد شغل بال الجـاحـظ كثيراً ، وسيشغل بـال كثيرين بعد ذلك . وما كان يمكن الجاحظ المعتزليّ الجدِل أن يتجـاوزه ، مع أن التاريخ يحدّثنا ـ كما أشار الجاحظ نفسه إلى ذلـك ـ أنـه قـد جرت بعض المعـارضـات[٧] ، وأن العرب لم يسكتوا سكوتـاً مطلقـاً . ولكنْ لعل أبـا عثمان كان يحسّ أنهـا لم تبلـغ حجم التحـدي ، ولم تبـذل العرب فيهـا مابذلتـه في الأشقّ الأصعب ، وهو الحرب والقتـال ، ولـذلـك راح يلتمس للأمر مسوّغـاً ، وقـد وقـع على احتمالين اطمأن إليهما . أحـدهمـا أن يكـون القوم قـد أدركوا ميزة القرآن البلاغيـة ، وعظمـة نظمـه وتـأليفـه ، وأنـه لاقِبَل لهم به وإن جهِدُوا ، فأدركوا عجزهم « وأن مثل ذلك لايتهيّأ لهم ،

(٥) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٤

(٦) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٣

(٧) انظر الإتقان : ٤ / ١١، وإعجاز القرآن : ٣٢ بعض من حاولوا المعارضة

فرأوا أن الإضراب عن ذكره ، والتغافل عنه في هـذا البـاب ، وإن قرّعهم به أمثلُ لهم في التـدبير ، وأجـدر ألا يتكشّف أمرهم للجـاهل والضعيف ، وأجـدر أن يجـدوا إلى الـدعوى سبيلاً[٨] » فيزعموا أنهم كانوا قـادرين ـ لـو شاؤوا ـ على أن يأتوا بمثله ، وهو ماحكاه تعالى عنهم بقوله : « وإذا تُتلى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنـا مثل هـذا) [الأنفـال : ٣١] ، والاحتمال الثاني أن يُطبقوا على ترك معارضته وهم يقدرون عليهـا ، وهو أمر مرفـوض لمن كان لـديـه أدنى مسكـة من عقـل ؛ « لأنـه لايجـوز على العـدد الكثير من العقلاء والـدُّهـاة والحكـاء ـ مع اختلاف عِلَلهم ، وبُعْـد هِممهم ، وشـدة عـداوتهم ـ الإطبـاقَ على بـذل الكثير ، وصون اليسير[٩] » أي اللجـوء إلى الحرب والقتـال ، وترك المعـارضـة والمضـاهـاة وهمـا ممـا يحسنون . وإذن فلم يبقَ إلا الاحتمال الأول ، وهـو أن القـوم قـد أدركـوا علوّ كعب القرآن الكريم في البلاغـة والنظم ، وأحسوا بعجـزهم التـام عن الإتيـان بمثلـه ، أو بسورة واحـدة من مثلـه ، فسكتوا إيثـاراً للسلامـة ، وحتى لاينكشف أمرهم أمام الناس .

الجاحظ والصرفة : ولقد كان يمكن الجاحظ أن يتوقّف عنـد هـذا الحدّ ، وألا يتورّط بعد ذلك في حديث زائف عن فكرة ظاهرة الفسـاد ، وهي (فكرة الصرفة) مهما كان اتجاه حـديثـه عنهـا ، ولكن روح الجـدل التي طبعت المعتزلـة عـامـة والجـاحـظ خـاصـة ، حملتـه على ضرب من التفلسف الفكريّ إن صحّ التعبير ، فأحسّ ـ أو وَقَرَ في نفسه أن أحداً قـد يحسّ ـ أن التعليل السـابق لسكوت القـوم عن المعـارضـة لايكفي وحـده لتسويغ هـذا الأمر المهم ؛ فقـد يكون الأدنى إلى التصور أن تكون لأهـل

(٨) حجج النبوة : ٣ / ٢٧٥

(٩) حجج النبوة ٣ / ٢٧٦

الفصاحة والبيان محاولات جادة في مضاهاة القرآن الكريم ، وأن يحاولوا أن يماروا فيها بعد ذلك ، ويدّعوا ـ إفكاً ـ أن لها ميزة وفضلاً ، وهذا ـ فيما تقدّر ـ فضلاً على تأثر الجاحظ بأستاذه النظّام الذي كان أول من تَحدّث عن الصرفة ، هو الذي حمله على أن يتبنّى هو الآخر الحديث عنها ، وأن يجد فيها مَفْزِعاً يعينه على حلّ المعضلة السابقة

على أن الفرق بعيد بين مفهوم الصرفة عند النظام ومفهومها عند تلميذه الجاحظ ، فقد زعم النظام « أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صَرفوا عنه ضرباً من الصرف[١٠] » . فالإعجاز في الصرفة « أي أن الله صرف العرب عن معارضته ، وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، لكنْ عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات[١١] » وعنده أن الحجة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب[١٢] .. وهو رأي فاسد واضح التهافت لم يشايع النظامَ عليه إلا طائفة من المعتزلة كعباد بن سليمان ، وهشام الفُوَطي[٦] . وكان الجاحظ أوّل من نقضه ، وبيّن فساده ، وكان أحد الأسباب التي حملته على وضع كتابه (نظم القرآن) كما سنوضح بعد قليل ، ولكن الجاحظ لم يستطع أن ينجو من تأثير فكرة الصرفة الزائفة هذه ، ولعله وجد فيها ـ كما ذكرنا ـ حلاً لمعضلة سكوت القوم عن معارضة القرآن ، فإذا كانت صرفة النظام ترى أن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثله لولا أن صُرفوا عن ذلك بأمر خارجيّ ، فإن صرفة الجاحظ ترى أن القرآن الكريم في قمة لايبلغها أحد ، وهو معجز من ناحية نظمه وتأليفه ، وهو حجة

---

(١٠) إعجاز القرآن : ٦٥

(١١) الإتقان : ٤ / ٧

(١٢) فضل الاعتزال : ٧٠

[(٦) كان أبو محمد بن حزم، وهو ظاهري المذهب، من القائلين بالصرفة / المجلة] .

للرسول - ﷺ - من هذه الناحية ، وإنما سكت العرب عن معارضته عجزاً ، وإذا كان العجز وحده لايكفي مسوّغاً للسكوت المطلق فإن ذلك يحمله على أن يرى أن الله قد صرفهم عن هذه السبيل ، وذلك لمصلحتهم . فالصرفة عنده ضرب من التدبير الإلهي ، والعناية الربانية ، جاءت لخير المسلمين ، ولدفع الشُّبه والشكوك التي يمكن أن تنتشر بينهم من جراء معارضة لاقِبَل لهم بها ، إذ لايعدم الأمر أناساً جهالاً ، أو متشككين معاندين ، أو ضعفاء العقول أغراراً ، تنطلي عليهم بعض مزاعم أهل الزيف والضلال ، فيُلقون في أوهامهم أنهم قد عارضوا القرآن ، أو جاؤوا بسورة من مثله ، فتنتشر البلبلة والرِّيَب في النفوس المريضة .

تلك هي الصرفة وغايتها عند الجاحظ . يقول : « ومثل ذلك مارَفَع من أوهام العرب ، وصرف نفوسَهم عن المعارضة للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولَ بنظمه ، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلّفه ، ولو تكلّف بعضُهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظُمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألْقَى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ، ولكثُر القيل والقال[١٣] » ويذكر هذا المفهوم للصرفة في موضع آخر من الحيوان فيقول : « وذكرنا من صَرْفِ أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن ، ولم يأتوا به مضطرباً ، ولا مُلفَّقاً ، ولا مستكرَهاً ، إذ كان في ذلك لأهل الشغب متعلق[١٤] »

ويستشهد الجاحظ لرأيه هذا بما أحدثه مسيلمة حين عارض بعض آيات القرآن الكريم من تشكيك في نفوس الجهلة ، فيقول : « فقد رأيتَ

(١٣) الحيوان : ٤ / ٨٩

(١٤) الحيوان : ٦ / ٢٦٩

مسيلمة وأصحاب ابن النوّاحة إنما تعلّقوا بما ألّف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كلّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارِنه ، فكان لله ذلك التدبير الذي لايبلغه العباد ولو اجتمعوا له[١٥] »

ومن الواضح أن كلام الجاحظ لايخلو من تناقض واضطراب ، فها هو ذا يعترف أن بعض العرب قد حاول معارضة القرآن ، وفي هذا دليل على زيف فكرة الصرفة ، ومهما يكن من أمر فإن فكرة الصرفة على هذا النحو الذي رآه أبو عثمان لاتنفي مايتميّز به القرآن من عظمة الأسلوب ، وروعة النظم والتأليف ، ولا تنفي أنه معجز لايستطيع أحد ـ مهما أوتي من علم ـ أن يأتي بسورة من مثله ، فهي ليست بديلاً لهذا الإعجاز البياني ، ولا مناقضة له ، وإنما هي إعجاز آخر ، وإن كان المعجز عندئذٍ هو المنع أو المانع ، وقد يكون هذا سبباً في أن بعض من تحدث في قضية إعجاز القرآن قد جعل الصرفة واحداً من عناصر هذا الإعجاز[١٦] .

القرآن معجزة بيانية : أكّد الجاحظ ، أكثر من مرة ، وفي غير ما موضع ، أن القرآن الكريم قمة سامقة في البيان ، وبهذا الجانب دون غيره وقع التحدي ، فالقرآن معجزة عقلية بلاغية وفي هذا إشعارٌ بفضل البيان ، وخطر الفصاحة ، يقول الجاحظ : « ولفضل الفصاحة ، وحُسن البيان ، بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب ، وجعل لسانه عربياً ، وأنزل عليه قرآنه عربياً ، كما قال الله تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ فلم يُخَصَّ اللسانُ بالبيان ، ولم يُحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام ، وحسن العبارة عند المنطق ، وحلاوةِ اللفظ

(١٥) الحيوان : ٤ / ٨٩

(١٦) انظر بعض الآراء حول ذلك في الإتقان : ٤ / ١٣

عند السمع[١٧] .. »

ومن أجل ذلك كانت معرفة إعجاز القرآن ، وإدراك سرّ عظمته وتفوّقه ، وتميّزه من ألوان القول الأخرى جميعها لاتتأتّى إلا لمن كان خبيراً بفنّ الكلام ، مميّزاً حسنه من رديئه . إن الحكم في إعجاز القرآن هم أهل الخبرة ، أصحاب الفصاحة والبلاغة « فليس يعرف فروق النظم ، واختلاف البحث والنثر إلا من عرف القصيد من الرّجز ، والمخمّس من الأسجاع ، والمزدَوِج من المنثور ، والخطب من الرسائل ... فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ، ثم لايكتفي بذلك حتى يعرف عجزه وعجزَ أمثاله عن مثله ، وأنّ حكم البشر حكمٌ واحد في العجز الطبيعيّ ، وإنْ تفاوتوا في العجز العارض[١٨] .. » .

والقرآنُ جارٍ على أسلوب العرب وبلغتهم ، وعلى طرائقهم في الأداء والتعبير ، ومن ثَمّ كانت معرفة هذه الطرائق ، والتضلع منها أمراً لا مندوحة عنه لمن يريد أن يعرف إعجاز القرآن ، أو يتصدّى للبحث عن أسراره ودقائقه ، أو يأخذ على عاتقه مهمة تأويله وتفسيره . يقول الجاحظ : « فللعرب أمثالٌ واشتقاقات وأبنية وموضعُ كلام يدلّ عندهم على معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَر ، ولها حينئذٍ دَلالات أخر ، فمن لم يعرفها جهِل تأويل الكتاب والسُّنّة[١٩] .. » .

والجاحظ بعد ذلك يرى أن أقلّ مايُعْجَز عنه من القرآن الكريم السورةُ الواحدة ـ قصيرةً كانت أم طويلة ـ أو ماكان في مقدارها ، مصداقاً لقوله تعالى فى التحدي : ﴿ وإن كنتُم في ريبٍ مّما نزّلنا على

(١٧) تفضيل النطق على الصمت، ضمن الرسائل : ٤ / ٢٣٧

(١٨) مقالة العثمانية، الرسائل : ٤ / ٣١

(١٩) الحيوان ١ / ١٥٣ ـ ١٥٤

عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله ﴾ [البقرة ، ٢٣] وقوله : ﴿ قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ [يونس ، ٣٨] ولم يقع التحدي في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين ؛ لأن هذا في طوق البشر ، وهو جارٍ في طبائعهم ، وإنما العبرة بتشكيل الكلام لتأليف سورة واحدة تضاهي سور القرآن ، وهو مايعجز عنه البشر ، مهما أوتوا من ضروب الفصاحة والبيان . يقول الجاحظ في كتابه حجج النبوة : « لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة ـ طويلةً أو قصيرةً ـ لتبيّن له في نظامها ومَخرجها ، وفي لفظها وطبعها ، أنه عاجز عن مثلها . ولو تحدّى بها أبلغَ العرب لظهر عجزه عنها . وليس ذلك في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين . ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم ، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم : الحمد لله ، وإنّا لله ، وعلى الله توكّلنا ، وربُّنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا كلّه في القرآن ، غير أنه متفرّق غير مجتمع ، ولو أراد أنطقُ الناس أن يؤلّف من هذا الضرب سورة واحدة ـ طويلة أو قصيرة ـ على نظم القرآن وطبعه ، وتأليفه ومخرجه لما قَدَر عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومَعدّ بن عدنان[٢٠] » .

إعجاز القرآن في نظمه : والعبارة السابقة التي نقلناها من كتاب حجج النبوة تضع أيدينا على سرّ إعجاز القرآن الكريم كما يراه الجاحظ ، إنه النظم العجيب ، والتأليف الخاص على نسق معين لايتأتى لأحد من الناس ، فالقرآن يستعمل لغة العرب وألفاظهم ، وقد يستعمل عبارات يتداولونها ، ولكنه يصوغها صياغة معجزة متميّزة ، وينظمها في سياق من التأليف نظماً لايقدر على سورة من مثله أحد . والجاحظ ـ فيما

(٢٠) حجج القرآن، الرسائل : ٣ / ٢٢٩

نظن ـ أول من أشار إلى أن إعجاز القرآن في نظمه ، وأول من استعمل هذا المصطلح الذي سيشيع بعد ذلك ، وسيقلده فيه كثيرون . وقد ردّد الجاحظ أكثر من مرة أن سر الإعجاز هو النظم والتأليف ، ويبدو أن هاتين الكلمتين كانتا مترادفتين عنده ، يقول : « .... وأنه تحدّى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة ، والمحافل العظيمة ، فلم يَرَمْ ذلك أحد ولا تكلّفه ، ولا أتى ببعضه ، ولا شبيهٍ منه ، ولا ادّعى أنه قد فعل[٢١] .. » .

وقال في الحيوان : « وفي كتابنا المُنْزَل الذي يدلُّنا على أنه صدقٌ نظمه البديع الذي لايقدر على مثله العباد ، مع ماسوى ذلك من الدلائل التي جاء بها مَنْ جاء به[٢٢] ... » .

ولم يكتفِ الجاحظ بالحديث عن النظم هذا الحديث المقتضب في العبارة والعبارتين ، ولكنه وضع في ذلك كتاباً خاصاً سمّاه (نظم القرآن) ومما يؤسف له أن هذا الكتاب لم يصل إلينا ، وليست بين أيدينا نقول عنه ، أو وصف مستفيض له في أحد المصادر . يقول الباقلاني عنه هذه العبارة المقتضبة : « وقد صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ماقاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى[٢٣] . » . ولا يُستبعد أن تكون العصبية المذهبية قد حملت الباقلاني على الحيف في حكمه على الكتاب ، إذ نجد في مقابل ذلك أبا الحسين الخياط المعتزلي يقول : « ولا يُعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وأنه حجة لمحمد على نبوته غير كتاب

---

(٢١) المصدر السابق : ٣ / ٢٥١

(٢٢) الحيوان : ٤ / ٩٠

(٢٣) إعجاز القرآن : ٦

الجاحظ[٢٤] » . وقد وصف الجاحظ نفسه كتابه وصفاً مستفيضاً في فصل من صدر كتابه في خلق القرآن ، فقال مخاطباً من كتب إليه الكتاب : « وقلت : اكتب إليّ كتاباً تقصِد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى صلاح القلوب ، وإلى معتلِجات الشكوك ، وخواطر الشُّبهات ، دون الذي عليه أكثر المتكلّمين من التطويل ، ومن التعمُّق والتعقيد ، ومن تكلّف ما لا يجب ، وإضاعة ما يجب . وقلتَ : كن كالمعلِّم الرفيق ، والمعالج الشفيق ، الذي يعرف الداء وسبَبه ، والدواء وموقعه ، ويصبر على طول العلاج ، ولا يسأم كثرة التِّرداد . وقلت : اجعل تجارتك التي إياها تؤمِّل ، وصناعتك التي إياها تعتمد ، إصلاحَ الفاسد ، وردَّ الشارد . وقلت : ولا بدّ من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حسم كلّ خاطر ، وقمع كلّ ناجم ، وصرف كلّ هاجس ، ودفع كلّ شاغل ، حتى تتمكّن من الحجّة ، وتتهنَّأ بالنعمة ، وتجد رائحة الكفاية ، وتَثْلَج ببرد اليقين ، وتُفْضيَ إلى حقيقة الأمر ، إن كان لابد من عوارض العجز ، ولواحق التقصير ، فالبرّ لها أجمل ، والضرر علينا في ذلك أيسر . وقلت : ابدأ بالأقرب فالأقرب ، وبكلّ ما كان آنقَ في السمع ، وأحلى في الصدر ، وبالباب الذي منه يؤتى الريِّض المتكلِّف ، والجسور المتعجرف ، وبكلّ ما كان أكثر علماً ، وأنفذ كيداً . وسألتني بتنقيح الاستبداد ، والعجلة إلى الاعتقاد ، وصفة الأناة ومقدارها ، ومقدّمات العلوم ومنتهاها . وزعمتَ أن من اللفظ ما لا يُفهم معناه دون الإشارة ، ودون معرفة السبب والهيئة ، ودون إعادته وكرّه ، وتحريره واختياره . وقلت : فإن أنت لم تصوّر ذلك كلّه صورة تغني عن المشافهة ، وتكتفي بظاهرها عن المراسلة ، أحوجتنا إلى لقائك ، على بُعْد دارك ، وكثرة أشغالك ، وعلى

(٢٤) الانتصار : ١٥٥

ماتخاف من الضّيعة ، وفساد المعيشة .

فكتبتُ لك كتاباً أجهدتُ فيه نفسي ، وبلغتُ منه أقصى مايمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن ، والرّد على كل طعّان . فلم أدع فيه مسألة لرافضيّ ، ولا لحديثيّ ، ولا لحُشْويّ ، ولا لكافر مُبادٍ ، ولا لمنافق مقموع ، ولا لأصحاب النّظّام ، ولمن نَجَمَ بعد النّظّام ، ممن يزعم أن القرآن خَلْق ، وليس تأليفُه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دَلالة . فلما ظننتُ أني قد بلغت أقصى محبّتك ، وأتيتُ على معنى صفتك ، أتاني كتابك تذكر أنك لم تُرد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج لخَلْق القرآن، وكانت مسألتك مبهمة، ولم أكُ أن أُحدث لك فيها تأليفاً، فكتبت لك أشقّ الكتابين وأثقلها ، وأغمضها معنى وأطولها(٢٥) .. » .

هذا خير وصف لكتاب (نظم القرآن) وإنما نقلت هذا الكلام بطوله ؛ لأنه يعطينا فكرة لابأس بها عن طبيعة الكتاب ومنهجه وطريقته ؛ فهو في الاحتجاج لنظم القرآن ، وروعة تأليفه ، وتميّزه الذي جعل منه حجة لاتُدفع . وهو ـ في جانبه الآخر ـ دحض لشبهات الخصوم أهل الزيغ والضلال ، وردّ على شكوكهم وريبهم ، كالروافض والحشوية والكفار والمنافقين ، والنظّام صاحب الصرفة الزائفة ومن شايعه عليها . وقد توخّى الجاحظ فيه السهولة ، وحسن الإفهام ، وعرض المسائل من أقرب طريق دون تعقيد أو فلسفة أو غموض على طريقة بعض المتكلمين ، بحيث لايحتاج قارئه إلى سؤال أو استفسار ، مشفوعاً ذلك كله بالأدلة الدامغة ، والحجج القاطعة التي تبطل رأي الخصم ، وتنير له السبيل .

وللحديث عن الإعجاز القرآني عند الجاحظ وجهان متكاملان

(٢٥) من كتابه في خلق القرآن، ضمن رسائله : ٣ / ٢٨٥ ـ ٢٨٧

بطبيعة الحال ، يتم أحدهما الآخر . أولها الحديث المباشر عن نظم القرآن وسموه ، ومرتبته في الرفعة والتميز ، والآخر التوقف عند ماأثاره الملاحدة والمتشككون من شبهات ومطاعن لدفعه وإبطاله ، وتوجيهه التوجيه الصحيح الذي يسقط زيف المدعين .

فأما الحديث المباشر عن نظم القرآن ، وروعة تأليفه وبلاغته فما تبقى لدينا من آراء الجاحظ المبعثرة في كتبه المتعددة نرى أنها تعالج المسائل التالية :

أ ـ **اللفظ القرآنيّ** : لاحظ الجاحظ وهو يتحدّث عن بعض أوجه النظم القرآني مايتمتع به اللفظ في كتاب الله من خصائص بلاغية ممتازة . وعلى رأس هذه الخصائص جميعاً دقة اختيار الألفاظ ، وحسن انتقائها ، وإيراد ماهو أحقّ بالمعنى ، وأجدر بالاستعمال ، فقد يشترك لفظان أو أكثر في التعبير عن معنى واحد ، ولكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة ، وأدخل في المعنى ، وأقدر على التعبير ، وكأن الجاحظ يشير إلى أن الكلمة المرادفة لأخرى لايمكن أن تقوم مقامها ، وذلك لوجود فروق دقيقة بينها في المعنى ، وهي فروق تغيب عن العامة ، وكثير من الخاصة ، ولكن القرآن يلاحظها بدقة متناهية ، ويوقع كلاً منها في مكانه الملائم بحيث لايمكن أن يُستبدل بها غيرُها ، يقول في البيان والتبيين : « قد يستخفّ الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها . ألا ترى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لايذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لاتجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن

الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأَرَضِين . ألا تراه لايجمع الأرض أرَضين ، ولا السمع أسماعاً . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لايتفقّدون من الألفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القُرّاء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج(٢٦) .. » وهكذا يشير الجاحظ إلى فكرة طريفة سوف يتوسع اللغويون في طرحها عند الحديث عن الترادف ، وهي أن مايُطلق عليه اسم المترادف من الألفاظ لايمكن أن تكون دلالته واحدة ، وإنما هنالك فروق دقيقة بينها لاتغيب عن النظم القرآني كما ذكرنا ، ولكنها قد تغيب كثيراً عن العامة « التي ربما استخفّتْ أقلّ اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ماهو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ماهو أظهر وأكثر(٢٧) » .

وفي ألفاظ القرآن الكريم دقة وإيجاز ، فاللفظ القليل يجمع المعاني الكثيرة ، وهو غنيّ بالإيحاء ، يؤدي مالا تؤديه العبارات الطويلة . من ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُحِلّ لكمُ الطيّباتَ وما علَّمْتُم من الجوارحِ مكلِّبينَ ﴾ [المائدة : ٤] فانظر إلى الدقة والإيجاز في قوله : (مكلِّبين) فقد « اشتقّ لكل صائد وجارح كاسب من بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفهد ، وشاهينٍ ، وزرّقٍ ، ويؤيؤ ، وباشق ، وعَنَاق الأرض ، من اسم الكلب . وهذا يدل على أنه أعمُّها نفعاً ، وأبعدها صيتاً ، وأنبهها ذكراً(٢٨) .. »

ومن ذلك لفظ (طيبات) في قوله تعالى : ﴿ كُلُوا من طيباتِ مارَزَقْنَاكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ لاتُحَرِّمُوا طيباتِ ماأحلَّ اللهُ لكم ﴾ يقول :

(٢٦) البيان والتبيين : ١ / ٢٠

(٢٧) المصدر السابق وصفحته .

(٢٨) الحيوان : ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨

« وقوله تعالى (طيبات) تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة ... ويقولون : فم طيّب الريح ، وكذلك البّرّ ، يريدون أنه سليم من النّتْن ... ويقولون : حلال طيّب ، وهذا لايحلّ لك ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أي حلّ لك ... قال طويسٌ المغني لبعض ولد عثمان بن عفان : لقد شهدت زِفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيّب . يريد الطهارة ... وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول : وجدتها طيبة ، يريد طيبة الكَوْم لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيب الخُلُق ، فإنما يريدون الظّرْف والمِلْح[٢٩] ... » وأورد الجاحظ معاني أخرى كثيرة تحملها لفظة (طيبات) مما يدل على حسن اختيار النظم القرآني لها ، لما تحمل من وفرة الدلالات .

وفي قوله تعالى يحكي قول بنت شعيب في موسى بن عمران : ﴿ ياأبتِ استأجِرْهُ إنّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمينُ ﴾ جمع جميع مايحتاَج إليه في الكلمتين[٣٠] .

ولاحظ دقة الألفاظ القرآنية وإيجازها في قوله عزّ وجل : ﴿ والأرض بعد ذلك دَحَاهَا ، أخرجَ منها ماءَها ومرعَاها ﴾ ، « ... فجمع بقوله : ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ النجم والشجر ، والمِلْحْ واليقطين ، والبقل والعشب . فذكر مايقوم على ساق وما يتفنّن وما يتسطّح ، وكل ذلك مرعى . ثم قال على النسق : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كلّه ؛ لأن الملح لايكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر[٣١] .. » .

(٢٩) الحيوان : ٤ / ٥٧ ـ ٥٨

(٣٠) من كتاب الوكلاء، ضمن الرسائل : ٤ / ١٠١

(٣١) البيان والتبيين : ٣ / ٣٣

وتحدّث عن هذه الميزة أيضاً في قوله تعالى يصف خمر أهل الجنة : ﴿ لايُصَدَّعون عنها ولا يُنْزِفُون ﴾ فهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا[٣٢] ، وكأنه تبارك وتعالى قال : لاسُكر فيها ولا خُمار[٣٣] .

وقال تعالى يذكر فاكهة أهل الجنة : ﴿ لامقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ ﴾ فجمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني[٣٤] .

ومن الواضح من هذه الأمثلة التي سقنا نماذج منها أنها جميعاً مما أطلق عليه البلاغيون بعد ذلك اسم (إيجاز القِصَر) وهو التعبير عن المعنى الكثير في اللفظ اليسير ، ويبدو أن الجاحظ قد وضع كتاباً جمع فيه آياً من القرآن الكريم اتسمت بالإيجاز ، وأراد أن يوضح الفرق بين إيجاز النظم القرآني والإيجاز الذي يرد في كلام البشر . يقول : « وقد ذكرنا أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلّة الفُضول . ولي كتابٌ جمعت فيه آياً من القرآن ؛ لتعرف بها فصل مابين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز ، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول[٣٥] .. » . وما ندري على وجه التحديد أيّ كتاب هذا الذي يشير إليه الجاحظ ؟ أهو كتاب (نظم القرآن) نفسه ، أم هو كتاب آخر ؟

وإذا كان الإيجاز سمة بارزة في التعبير القرآني فإن هذا لايعني أنه يطّرد دائماً ، وذلك لأنه يرتبط بقاعدة مهمة وهي (مراعاة مقتضى الحال) وما يجب في كلّ مقام من مقال . إن اللجوء إلى الإيجاز أو غيره

(٣٢) الحيوان : ٣ / ٨٦

(٣٣) من كتابه في المعلمين، ضمن رسائله : ٣ / ٤٣

(٣٤) الحيوان : ٣ / ٨٦

(٣٥) الحيوان : ٣ / ٨٦

من أساليب القول تستدعيه حالة المخاطبين ، والمقام الذي يُنشأ فيه الكلام ، ولذلك يخرج النظم القرآني أحياناً إلى الإطناب ، ويخرج في أحيان أخرى إلى الإيجاز على حسب نوع المخاطب ، فقد لاحظ الجاحظ أن القرآن الكريم إذا اتجه بخطابه إلى العرب الفصحاء أوجز واقتضب لبلاغتهم وسرعة فهمهم ، وإذا اتّجه إلى اليهود أو حكى عنهم أطال وأسهب يقول : « ورأينا الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مُخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في الكلام[٣٦] .. » .

وأشار إلى ارتباط التعبير القرآني بمراعاة مقتضى الحال من حيث إيجازه وإطنابه عندما تحدّث عما ورد في القرآن الكريم من الترداد والتكرار في القصص فقال : « وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدّ يُنْتَهَى إليه ، ولا يؤتى على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا الله عزّ وجلّ ـ ردّد ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيمَ ولوطٍ ، وعاد وثمودَ . وكذلك ذكرَ الجنة والنار وأمور كثيرة ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غبيّ غافل ، أو معاندٌ مشغولُ الفكر ، ساهي القلب[٣٧] .. » .

ومن مزايا التعبير القرآني التي لاحظها الجاحظ أن الألفاظ يُراعى فيها عند التأليف أن يكون بينها نوع من التقارب والتجانس ، وأن توحّد بينها صلة ما ، فتبدو عندئذٍ مؤتلفة مؤتنسة ، لاتنافر بينها ولا تباعد ولا جفوة ، فبعض ألفاظ القرآن تأتي متصاحبة لاتكاد تفترق

(٣٦) الحيوان : ١ / ٩٤

(٣٧) البيان والتبيين : ١ / ١٠٥

« مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس[٣٨] » . وقد سمّى البلاغيون هذا فيما بعد باسم (مراعاة النظير)

ب ـ **القرآن نظم متفرد** : والقرآن أسلوب فريد في النظم ، ونمط متميّز من التأليف ، لم تعرفه العرب من قبل ، ولم يكن لها عهد بهذا الضرب من الكلام ، وهم أهل الفصاحة والبيان ، وفرسان البلاغة والقول ، فهو خارج على جنس ماعرفت من ضروب الشعر والنثر ، والخطب والأمثال . وقد أشار الجاحظ إلى هذا الضرب من وجوه النظم عندما رأى ناساً يرون مافي القرآن من إيقاع ووزن فيحسبون ذلك شعراً ، أو يرون التزامه في بعض المواطن بروِيّ واحد ، أو فاصلة متشابهة ، فيهيأ لهم أن بينه وبين السجع صلة ، قد نفى الجاحظ أن يكون القرآن على أي ضرب من ضروب الكلام التي عرفها العرب ، واصطلحوا عليها في كلامهم ، يقول : « ولابدّ من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفّى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج[٣٩] .. » .

ولكن في القرآن الكريم آيات جاءت على بعض أوزان الشعر المعروفة عند العرب ، وقد جعل هذا بعض الجهلة يحسبها شعراً ، ويأخذ في الطعن على القرآن زاعماً أنه شعر ، فينفي الجاحظ ذلك بشدة ، ويبيِّن أن للشعر حدوداً معينة ، ومقداراً خاصاً ، فليس أيّ كلام اتفق له وزن خاص شعراً ؛ لأن الناس ـ في أثناء حديثهم العادي ـ قد يخرج شيء من

(٣٨) البيان والتبيين : ١ / ٢١

(٣٩) البيان والتبيين : ١ / ٣٨٣

كلامهم ـ دون اتفاق أو عمد ـ على وزن معين ، فهل يسمّى ذلك شعراً ؟ وهل يسمّى أصحابه شعراء ؟ أثار الجاحظ هذه القضية من خلال تعرض بعضهم لقوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ طاعناً فيه ، زاعماً أنه شعر ، لأنه في تقدير (مستفعلن مفاعلن) فيقول الجاحظ عندئذٍ مبيّناً حدّ الشعر ، دافعاً أي صلة بينه وبين القرآن الكريم : « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلن ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ، ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبُه لم يقصد إلى الشّعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزن قد يتهيّأ في جميع الكلام ، وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشّعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً[٤٠] .. »

وهكذا يعلن الجاحظ تفرّد القرآن بنظم معين لم تعرفه العرب ، وهو في هذا يذكرنا بقول الوليد بن المغيرة من قبل عندما استمع إلى القرآن ، وسألته قريش عنه فقال : « والله مافيكم رجلٌ أعلمَ بالشعر مني ، ولا برجزه ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه[٤١] » .

ولقد تبنّى الباقلاني بعد ذلك فكرة الجاحظ هذه ، وجعل تفرّد القرآن بنظم عجيب معين خالف فيه مألوف العرب في كلامهم أمراً رئيسياً في الإعجاز ، فقال : إن « نظم القرآن ـ على تصرف وجوهه ،

(٤٠) المصدر السابق : ١ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩
(٤١) الإتقان : ٤ / ٥

وتباين مذاهبه ـ خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختصّ به ، ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام[٤٢] .. » ، ثم يستفيض الباقلاني في شرح الفكرة مستفيداً من ملاحظات الجاحظ العابرة ، كما التقط الباقلاني حديث الجاحظ عن حدّ الشعر ، وإثارته لمسألة الشعر في القرآن ، فتوسّع في ذلك ، وعقد فصلاً خاصاً (في نفي الشعر من القرآن[٤٣]) وكأن الأمر محتاج إلى دليل .

ج ـ الصور البلاغية في القرآن : عرض الجاحظ لكثير من الآيات القرآنية ، ولاسيا في كتاب الحيوان ، فبيّن ماشتملت عليه من ألوان البلاغة ، وشرح وجه الجمال فيها . وهو ـ وإن لم يفرّق بين ألوان البلاغة المختلفة ، ولم تتمايز ألوان البيان عنده من ألوان البديع أو المعاني كما سيفعل البلاغيون المتأخرون ـ كان متنبّهاً إلى الفروق الدقيقة الموجودة بينها ، وكان على إدراك تام بمدلول كلّ منها . كانت ألوان البلاغة تتداخل عنده ، وقد يطلق عليها جميعها بياناً ، أو بديعاً ، أو براعة ، أو فصاحة ، أو غير ذلك ، ولكنه ـ خارج نطاق المصطلحات التي لم تستقر على أيدي البلاغيين إلا في زمن متأخر ـ كان مدركاً لمضمون كلٌ منها ، وما تعبّر عنه إدراكاً واضحاً متميّزاً .

عرض لبعض التشبيهات التي وقعت في آي الذكر الحكيم ، فأوضح المشبّه والمشبه به ، وكشف عن الصلة أو وجه الشبه بينهما ، وبيّن دلالته وجماله . توقف طويلاً عند قوله تعالى ﴿ إنها شجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيمِ ● طلْعُها كأنّه رؤوسُ الشياطينِ ﴾ الذي طعن فيه بعض

(٤٢) إعجاز القرآن : ٣٥

(٤٣) المصدر السابق : ٥١

المتشككين بسبب خفاء المشبه به فيما يزعمون ؛ فإن الناس لم يروا شيطاناً قط ، ولم يشاهدوه ، حتى يُشَبَّه به . وقد ردّ أبو عبيدة على ذلك من قبل رداً لغوياً بأن ذكر أن هذا الاستعمال وارد في كلام العرب ، وهو من أساليبهم في التعبير ، وهو على نحو قول امرىء القيس :

ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ

وكانت هذه الآية ، وما أثير حول التشبيه فيها سبباً في وضع أبي عبيدة لكتابه (مجاز القرآن) ولكن الجاحظ لم يعجبه هذا التفسير اللغوي ، وذهب يفصّل القول في وجه الشبه ، مبيِّناً سر جماله ، فأوضح أنه منتزع من غير ماهو مدرك بالحسّ اعتماداً على ثبوته في الإدراك ، عن طرق العرف والعادة ، وتناقل الناس له ، فالشيطان عند الناس - وإن لم يروه - مرتبط بالقبح والاستهجان ، وعلى صورته في نفوسهم بُني التشبيه - يقول : « وليس أن الناس رأوا شيطاناً قطّ على صورة ، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباحَ جميع صور الشياطين ، واستسماجه وكراهته ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضربَ المثل في ذلك ؛ رجع بالإيحاش والتّنفير ، وبالإخافة والتفزيع ، إلى ماقد جعله الله في طباع الأوّلين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم . وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن[44] .. » .

ولعل قول بعض المفسرين إن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن نوع من محاولة رد الشبهة عن التشبيه ؛ لأن المشبه به عندئذٍ أمر مدرك معلوم ، ولكن الجاحظ يرفض ذلك . ولا يعتدّ به . وقد عرض لهذه الآية في موضع آخر من الحيوان ، ففصّل القول في دلالة التشبيه ،

---

(٤٤) الحيوان : ٤ / ٣٩ - ٤٠

وأوضح جوانب أخرى من جماله ، وكرّر مرة ثانية رفضه لتفسير أهل الظاهر ، وحملهم رؤوس الشياطين على غير محملها الحقيقي ، يقول : « ... فزعم ناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن ، لها منظر كريه . والمتكلمون لايعرفون هذا التفسير ، وقالوا : ماعنَى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم ، من فَسَقَة الجن ومَرَدَتهم . فقال أهل الطعن والخلاف : كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهّمه ، ولا وُصفت لنا صورته في كتاب ناطق ، أو خبر صادق . ومخرجُ الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة ، والتفزيع منها . وعلى أنه لو كان شيءٌ أبلغَ في الزجر من ذلك لذكره . فكيف يكون الشأن كذلك ، والناس لايفزعون إلا من شيء هائل شنيع ، قد عاينوه ، أو صوّره لهم واصف صدوقُ اللسان ، بليغٌ في الوصف ، ونحن لم نعاينها ، ولا صوّرها لنا صادق ... قلنا : وإن كنّا نحن لم نر شيطاناً قط ، ولا صوّر رؤوسَها لنا صادق بيده ، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين : أحدهما أن يقولوا : لهو أقبحُ من الشيطان ، والوجه الآخر أن يُسمّى الجميل شيطاناً على جهة التطيُّر له ، كما تسمى الفرسُ الكريمة شوهاء ... ففي إجماع المسلمين والعرب وكلِّ من لقيناه على ضرب المثل بقُبح الشيطان دليلٌ على أنه في الحقيقة أقبح من كلّ قبيح . والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذين قد ثبت في طبائعهم بغاية التثبيت[٤٥] » وهكذا يصرّ الجاحظ على رفض المدلولات المادية للتشبيه على نحو ماأراده أهل الظاهر ، لأنها لاتثير في الخيال ماتثيره كلمة (الشيطان) من الخوف والرعب ، وكأن مهمة التشبيه القرآني إثارة الخيال عن طريق استدعاء تلك الصورة المخيفة ،

(٤٥) الحيوان : ٦ / ٢١١ ـ ٢١٣

وهي صورة الشيطان . وقد عُرف هذا النوع من التشبيه ، عند البلاغيين المتأخرين فيما بعد ، باسم التشبيه الوهمي ، وهو من التشبيه العقلي[٤٦] .

وتعرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها فأَتْبَعَه الشيطانُ فكان من الغاوين ● ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخْلَدَ إلى الأرضِ واتَّبع هواه فمَثَلُه كمثلِ الكلبِ إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ ذلك مَثلُ القومِ الذين كذّبوا بآياتِنا ﴾ وقد طعن في هذا التشبيه أيضاً بعض المعترضين ، وزعموا أنه ليس بين المشبه والمشبه به صلة واضحة ، أو علاقة قوية ، وأن هذا المثل لايجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام ؛ لأنه قال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ فما يُشبّه حالَ من أعطي شيئاً فلم يقبله ـ ولم يذكر غير ذلك من حال المشبه ، غير عرض الآيات عليهم ، وعدم قبولهم إياها ، بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدّ عليك ونبح . مع أن قوله : يلهث ، لم يقع في موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عطش شديد ، وحرّ شديد ، ومن تعب ، وأما النباح والصياح فمن شيء آخر .. وفي دفاع الجاحظ عن هذا التشبيه بيّن قصر نظر المعترض ؛ لأنه لم يلمح من حال المشبه إلا صورة عرض الآيات عليهم ، ورفضهم لها ، مع أننا أمام صورة فنية أعمق من ذلك ، وأبعد دلالة ؛ فقد شبّه القرآن الكريم الذي أُعطي الآيات بالكلب في حالتين مختلفتين ، أو من وجهين اثنين : فهو من حيث حرصه على الآيات ، وطلبه لها ، كالكلب في حرصه على مايريد ، وطلبه له ، إذ يبذل كلّ مايستطيع في سبيل ذلك ، وهذا الذي أوتي الآيات فرفضها ، ولم يذعن

---

(٤٦) انظر الإيضاح : ٣٣٦

لها ، بعد طول حرص ، وكثرة جهد ، هو كذلك ـ من الناحية الأخرى ـ كالكلب الذي راح ينبح بعد طردك له. يقول: «فليس ببعيد أن يشبّه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات ، في بدء حرصه عليها ، وطلبه لها ، بالكلب في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يُعطي الجدّ والجُهد من نفسه في كلّ حالة من الحالات . وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردّه لها ، بعد الحرص عليها ، وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها ، والحرص عليها . والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النُّباح مقبلاً إليك ، ومدبراً عنك ، لهث واعتراه مايعتريه عند التعب والعطش(٤٧) .. »

وقد يسمي الجاحظ التشبيه مثلاً . وقد أشار في الحيوان إلى عدد من أمثال القرآن الكريم فبيّن دلالتها ، وتحدّث عن وجه الشبه فيها . ذكر الله البعوضة في قوله : ﴿ إن الله لايستحيي أن يضربَ مثلاً مابعوضة فما فوقها ﴾ فقلّلها وحقّرها ، وضرب المثل بها في الحقارة . وضرب مثلاً على عجز الإنسان وضعفه بقوله تعالى : ﴿ ياأيها الناسُ ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالبُ والمطلوبُ ﴾ فقد قرّع الطالب في هذا الموضع بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لاشيء أضعف منه ، وهو الذباب . وضرب مثلاً على الوهن والضعف بالعنكبوت في قوله تعالى : ﴿ وإن أوهن البيوت لبيتُ العنكبوت ﴾ فدلّ ـ بوهن بيته ـ على وهن خَلْقه ، فكان هذا القول دليلاً على التصغير والتقليل . وضرب المثل بالكلب في قوله :

(٤٧) الحيوان : ٢ / ١٦ ـ ١١٧

﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركْه يلهث ﴾ فكان في ذلك دليل على ذم طباعه ، والإخبار عن تسرّعه وبذائه ، وعن جهله في تدبيره ، وتركه وأخذه . وضرب مثلاً بالذَّرَّة في قوله : ﴿ فمن يعملْ مثقال ذرّة خيراً يَرَهُ ومنْ يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شراً يَرَهُ ﴾ من حيث أنه من الغايات في الصغر والقلة ، وفي خفة الوزن ، وقلة الرجحان . وذكر الحمار فقال : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فجعله مثلاً في الغفلة والجهل ، وفي قلة المعرفة ، وغلظ الطبيعة . وذكر القردة والخنازير في قوله : ﴿ وجعل منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ ﴾ فجعلها مثلاً في القبح والتشويه ، ونذالة النفس[٤٨] ..

وتوقف الجاحظ عند المجاز في القرآن الكريم، فأشار إلى عدد من الأمثلة ، وكان يطلقه أحياناً على جميع الصور البيانية إذا لم يذكر الاستعارة أو التشبيه ، وقد أوضح أكثر من مرة أن النظم القرآني جارٍ على طرائق العرب وأساليبهم في استعمال مختلف الصور البيانية ، لأنه خاطبهم بما يفهمون . أشار إلى ماورد في القرآن من المجاز والتشبيه بالأكل ؛ فالعرب تقول : النار تأكل وتشرب على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه ؛ لأن النار في الحقيقة لاتأكل ولا تشرب . وقد قال تعالى : ﴿ الذينَ قالُوا إنّ اللهَ عَهِدَ إلينا أن لانؤمنَ لرسولٍ حتى يأتيَنا بقربانٍ تأكُلُهُ النارُ ﴾ فاستعمل مجاز الأكل في النار . يقول الجاحظ : « علمنا أن الله ـ عزّ وجلّ ـ إنما كلّمهم بلغتهم[٤٩] »

---

(٤٨) الحيوان : ٤ / ٣٧ ـ ٣٨، وانظر أمثلة أخرى في الحيوان : ٢ / ٢٥٥، ٣ / ٣٨٣، ٤ / ٣٩٠ وغيرها .

(٤٩) الحيوان : ٥ / ٢٣

ومن مجاز الأكل أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين يأكلون أموالَ اليتامى ظلماً ﴾ ، وقوله : ﴿ أكّالونَ للسُّحْتِ ﴾ وقد لاحظ أن المجاز يكتسب في العادة دلالة معينة ، فأكل المال تعني أخذه بغير حق ، ولذلك يطلق الأكل « وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحلل ، وركبوا الدوابّ ، ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل » ومثله قوله تعالى : ﴿ إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ فهذا مجاز آخر(٥٠) ..

وتحدث عن مجاز الذوق ، فبيّن أن من أساليب العرب قول الرجل ـ إذا بالغ في عقوبة عبده : ذقْ ، وكيف ذقته ؟ وكيف وجدت طعمه ؟ وعليه قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ ذُقْ إنك أنتَ العزيزُ الكريمُ(٥١) ﴾ .

وكما يجري في كلام العرب أن يقولوا : ذقتَ ماليس بطعم ؛ قالوا : طعِمْت ، لغير الطعام . قال العرجي :

وإن شئت حرّمتُ النساءَ سواكُمُ وإنْ شئت لم أطعمْ نُقَاخاً ولا بَرْدَا

وعليه قوله تعالى : ﴿ إن اللهَ مُبْتَلِيْكُمْ بنَهَرٍ فمنْ شرِبَ منه فليسَ مني ومنْ لم يطْعَمْهُ فإنه مني ﴾ يريد : لم يذق طعمه(٥٢) .

وتوقف الجاحظ عند بعض مجازات القرآن الكريم يردّ عنها شبهاً أثارها بعض المتشككين والملحدين ، لجهلهم بطرائق العرب ـ الذين نزل القرآن بلسانهم ـ في التعبير ، وعدم بصرهم « بوجوه اللغة ، وتوسع العرب في لغتها ، وفهم بعضها عن بعض ، بالإشارة والوحي(٥٣) .. » ومن ذلك طعنهم في قوله تعالى في النحل : ﴿ يخرج من بطونها شرابٌ ﴾ وعندهم أن الشمع « شيء تنقله النحل ، مما يسقط على الشجر ، فتبني بيوت

(٥٠) الحيوان : ٥ / ٢٥

(٥١) الحيوان : ٥ / ٢٨

(٥٢) الحيوان : ٥ / ٣٢

(٥٣) الحيوان : ٥ / ٤٢٣

العسل منه ، ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها .. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه خفيّ ، وكذلك العسل أخفى وأقل . فليس العسل بقَيْء ولا رجْع ، ولا دَخَلَ للنحلة في بطن قط[٥٤] .. » ويوضح الجاحظ أن القرآن قد سمّى العسل شراباً ، وهو ليس بشراب ، على المجاز ؛ لأنه « شيء يُحوّل بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً ، فسمّاه - كما ترى - شراباً ، إذ كان يجيء منه الشراب . وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماءُ بأرضِ قومٍ رعَيْناهُ وإنْ كانُوا غِضَابا

فزعموا أنهم يرعون السماء ، وأن السماء تسقط . ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها . ومن حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً . وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت ، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تِهامة ، وهذيلاً ، وضواحيَ كِنانة ، وهؤلاء أصحابُ العسل ، والأعراب أعرف بكل صَمْغة سائلة ، وعَسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب ، أو طعن عليه من هذه الحجة[٥٥] .. » .

وتحدّث الجاحظ عن الاستعارة في بعض الآيات ، فبيّن وجه الشبه فيها ، ولاحظ في تعريفها أنها قيام كلمة مقام أخرى لوجود علاقة أو صلة بينهما ، أو تسمية الشيء بغير اسمه لوجود هذه العلاقة . ففي قوله تعالى : ﴿ وإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى لايهتَدُوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايُبصرون ﴾ وقوله : ﴿ ولا تكونوا كالذين قالُوا سمِعْنا وهُم لايسمعونَ ﴾ وقوله : ﴿ إنّ شرّ الدوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لايعقلونَ ﴾ يقول الجاحظ : « ولو كانوا صماً بُكماً وكانوا هم لايعقلون لما

---

(٥٤) الحيوان ٥ / ٤٢٣ - ٤٢٤

(٥٥) الحيوان : ٥ / ٤٢٥ - ٤٢٦

عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر مَنْ خلقه معتوهاً كيف لم يعقل ، ومَنْ خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُم الدوابّ ، ولم يعاقب السّباع . ولكنه سمّى البصير المتعاميَ أعمى ، والسميع المتصامِم أصمّ ، والعاقل المتجاهل جاهلاً[٥٦] .. » .

كما توقف عند قوله تعالى : ﴿ فإذا هي حيةٌ تسعى ﴾ راداً على من زعم أن السعي لايكون إلا بالأرجل ، موضحاً أيضاً أن هذا جهلٌ بطرائق العرب في التعبير ، فهذا من باب التشبيه والبدل ، فهو كقول القائل : ماهو إلا كأنه حيّة ، أو كأن مشيته مشية حيّة ، « ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء أكثر من أن نقف عليهم . ولو كانوا لايسمون انسيابها وانسياحها مشياً وسعياً لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ، فمن عادة العرب أن تشبّه به في حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هذا نُزُلُهم يومَ الدين ﴾ والعذابُ لايكون نُزُلاً ، ولكنه أجراه مُجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمروه بفَصْد بعير ، وطَعَنَه في سنامه ، وقال : هذا فَصْدُه . وقال الآخر :

فقلتُ يـــاعمرو اطْعِمَنّي تَمْرَاً فكان تمري كَهْرَةً وَزَبْرا[٥٧]..»

وعلى تأويل قوله : (هذا نُزُلُهم يومَ الدِّينِ) قوله تعالى : ﴿ جهنّم يصلَوْنَها فبئسَ المهادُ ﴾ وقوله : ﴿ حتى إذا جاؤوها فُتِحتْ أبوابُها وقال لهم خَزَنَتُها ألم يأتِكم رسلٌ منكم يتلُون عليكم آياتِ ربّكم ﴾ « فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة . ولو أن جهنم فُتِحت أبوابها ، ونُحّي عنها الخزنة ، ثم قيل لكلّ لصّ في الأرض ، ولكلّ خائن في الأرض : دونَك ، فقد أبيحت لك لما

(٥٦) الحيوان : ٤ / ٢١١

(٥٧) الحيوان : ٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤

دنا منها ، وقد جُعل لها خزائنُ وخَزَنة ، وإنما هذا على مثال ماذكرنا . وهذا كثير في كلام العرب[٥٨] » .

وأورد في البيان والتبيين أمثلة أخرى على الاستعارة ، وشرحها مبيِّناً دلالة التشبيه فيها . علّق على قوله تعالى : ﴿ هذا نُزُلُهم يومَ الدين ﴾ فذكر أن « العذاب لايكون نزلاً ، ولكن لما قام العذابُ لهم في موضع النعيم لغيرهم سمّي باسمه .. وقال الله ـ عزّ وجلّ : ﴿ ولهم رزقُهم فيها بكرةً وعشيّاً ﴾ ، وليس في الجنة بكرة ولا عشيّ ، ولكن على مقدار البُكَر والعشيّات . وعلى هذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وقالَ الذينَ في النار لخزنةِ جهنّم ﴾ والخزنة : الحفظة ، وجهنم لايضيع منها شيء فيحفظ ، ولا يختار دخولَها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سمّيت به[٥٩] .. »

ردّ الشُّبَه عن النظم القرآني : توقف الجاحظ في كتاب الحيوان عند عدد من الآيات القرآنية التي طعن فيها بعض الملاحدة والمتشككين ، وأثاروا من حولها بعض الشُّبه في زعمهم ، فراح يردّ عنها ، ويبيّن إحكام النظم القرآني وتميّزه ، بحيث لايستطيع أحد أن يجد فيه مطعناً . وقد أوضح الجاحظ أكثر من مرة ـ كما مرّ معنا في ثنايا الكلام المتقدم ـ أن طعن الطاعنين مردّه إلى قلة المعرفة بأساليب التعبير العربي ، وضعف البصر بطرائق القوم ، وأنماط الكلام ، فمن لم يُؤتَ الخبرة بالبيان ، والقدرة على التمييز ، لم تستبن له روعة النظم القرآني ، وخفي عليه الكثير من أسراره ودقائقه وجماله .

وأشار الجاحظ إلى فضل المتكلمين ـ ولاسيما المعتزلة ـ في الباب ،

---

(٥٨) الحيوان : ٤ / ٢٧٨

(٥٩) البيان والتبيين : ١ / ١٥٣

وأشاد بمقدرتهم على التصدي للملاحدة والمتشككين ، وذبّ التهم التي يوجهونها للقرآن الكريم فقال : « وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث ، وأي ضرب منها يكون مردوداً ، وأيّ ضرب منها يكون متأوّلاً ... ولذلك أقول : لولا مكان المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلّمون(٦٠) .. »

وقد مرّ معنا في سياق الكلام المتقدم نماذجُ من دفاع الجاحظ عن بيان القرآن الكريم ، وإيضاح جمال الصور البيانية التي خفي مدلولها على الطاعنين ، وفي الحيوان أمثلة كثيرة . توقف الجاحظ عند قوله تعالى : ﴿ واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من ماء فمنهم من يمشي على بطنِه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم منْ يمشي على أربعٍ ، يخلُقُ اللهُ مايشاء ﴾ الذي طعن فيه بعضهم ، لأن جميع الحيوان عندهم أربعة أقسام : شيء يطير ، وشيء يمشي ، وشيء يعوم ، وشيء ينساح « وقد وَضَع الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروب الخلق ، ثم قصّر عن الشيء الذي وَضَع عليه كلامه ، فلم يذكر مايطير وما يعوم ، ثم جعل ماينساح ـ مثل الحيات والديدان ـ مما يمشي ، والمشي لايكون إلا برجل .. » وقد ردّ الجاحظ عليهم مبيّناً عدم معرفتهم بطبيعة التعبير القرآني ؛ فالكلام غير قائم على استقصاء أصناف القوائم . فالقرآن يقول : ﴿ وَقُودُها النَّاسَ والحجارةُ ﴾ فيترك ذكر الشياطين مع أنهم من وقودها . ويقول : ﴿ خلقكم من ترابٍ ثمَّ من نُطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ فيترك الاستقصاء أيضاً ، لأنه أخرج من هذا العموم عيسى بن مريم ، وقصد في مخرج هذا الكلام إلى جميع ولد آدم . وقال : ﴿ هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهر لم يكنْ شيئاً مذكوراً ﴾ فأدخل فيها آدم

(٦٠) الحيوان : ٤ / ٢٨٩

وحواء ، ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليْهِ ﴾ فأخرج منها آدم وحواء وعيسى بن مريم « وحَسُن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضع على جميع ماتعرفه النفوس من جهة استقصاء اللفظ[٦١] .. » وردّ على زعمهم بأن المشي لايكون إلا بالأرجل بأن أوضح أن ذلك محمول على التشبيه والبدل ، وقد توقفنا عند ذلك قبل قليل .

وأشار إلى طعن الطاعنين في قوله تعالى في الشهب وفي استراق الشياطين السمعَ : ﴿ ولقد زيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجُوماً للشياطينِ ﴾ فقد زعم هذا الطاعن أن أحداً لم يجد قطّ كوكباً خلا مكانه ، من سكان الصحاري والبحار ومن يراعي النجوم للاهتداء ، وقد ردّ الجاحظ أيضاً طعن هذا الطاعن إلى الجهل بالتعبير العربي ؛ فقد يُطلق في أسلوب العرب الكلّ ويراد الجزء « قد يحرّك الإنسان يده ، أو حاجبه ، أو إصبعه ، فتضاف تلك الحركة إلى كلّه ، فلا يشكّون في أن الكلّ هو العامل لتلك الحركة . ومتى فَصَل شهابٌ من كوكب ، فأحرق وأضاء في جميع البلاد ؛ فقد حكم كلّ إنسان بإضافة ذلك الإحراق إلى ذلك الكوكب .. ولم يقل أحد إنه يجب في قوله : وجعلناها رجوماً للشياطين ، أنه يعني الجميع[٦٢] .. » .

ومن الواضح أن التصدي لردّ الشُّبَه والمطاعن عن النظم القرآني هو جانب آخر من جوانب الحديث عن الإعجاز ؛ لأنه إشعار بخلو كتاب الله من أي مغمز أو مطعن ، وأنه في الذروة العليا من التأليف والبيان ، وأنه ليس في طوق البشر أن يأتوا بسورة من مثله ، بَلْهَ أن يجدوا فيه مطعناً أو نقيصة .

(٦١) الحيوان : ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢

(٦٢) الحيوان : ٦ / ٤٩٧، وانظر أمثلة أخرى في الحيوان : ٤ / ١٠٠، ٦ / ٢٧٢ . وفي رسالة الرد على النصارى . ضمن رسائل الجاحظ : ٣ / ٣٠٣ وما بعدها .

وبعدُ ، فقد كان الجاحظ من السبّاقين إلى الحديث عن إعجاز القرآن الكريم ، وقد ردّ هذا الإعجاز - كما رأينا - إلى نظمه البديع ، وتأليفه العجيب ، وتميُّزه بأسلوب فريد ، لايقدر على مثله أحد من فصحاء العرب وبلاغييهم . وإذا كان كتابه الخاص بنظم القرآن لم يصل إلينا فقد حاولنا - من خلال ماتبقى لدينا من آراء متناثرة - أن نكوّن صورة عن فكرة الجاحظ عن الإعجاز ، ونظرته إلى نظمه البديع ، فوجدناه يتحدث عن تفرد القرآن بأسلوب جديد يخالف جميع طرائق التأليف التي عرفتها العرب ، فهو ليس شعراً ، ولا نثراً ، ولا مزدوجاً ، ولا سجعاً . ثم إن هذا النظم يتميز بحسن الصوغ ، وكمال الترتيب ، ودقة انتقاء الألفاظ ، وحسن اختيارها ، بحيث تكون أقدر على التعبير عن المعنى المراد ، ينبع ذلك من قدرة ، لايؤتاها أحد من البشر ، على التمييز بين دلالات الألفاظ المختلفة ، ومعرفة الفروق الدقيقة بين المترادفات منها . ومن ملامح التميز في هذا النظم القرآني جمال التصوير ، وروعة تشخيص المعاني في صور بيانية رائعة تبرزها وتجلّيها وتثير خيال السامع ، فيقع تحت تأثيرها وسحرها . وهو نظم لاخلل فيه ولا اضطراب ، ولا يستطيع طاعن - مهما جَهِدَ - أن يجد في هذا التأليف ثغرة .

ولسوف يسلك الحديث عن الإعجاز سبيل التطور ، وستكون فكرة النظم أبرز ماعرف في قضية الإعجاز ، وأكثره وجاهة ، وسبباً في وضع علم المعاني ، وطريقاً لعلم البيان ، وسيرتبط الحديث عنها بعبد القاهر الجرجاني ومن قبله القاضي عبد الجبار ، ولكن السبّاق الأول هو الجاحظ .

مصادر البحث

ـ **الباقلاني**

١ ـ إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر . دار المعارف بمصر : ١٩٦٣ م

ـ **البلخي** (أبو القاسم)

٢ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة

ـ **الجاحظ**

٣ ـ البيان والتبيين (١ ـ ٤) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر : ١٩٧٥ م

٤ ـ الحيوان (١ ـ ٨) تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي بمصر : ١٩٦٦ م

٥ ـ حجج النبوة ، ضمن رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، بمصر : ١٩٧٩ م

٦ ـ خَلْق القرآن ، ضمن الرسائل

٧ ـ تفضيل النطق على الصمت . ضمن الرسائل

٨ ـ العثمانية . ضمن الرسائل

٩ ـ الوكلاء . ضمن الرسائل

١٠ ـ في المعلمين . ضمن الرسائل

١١ ـ الرد على النصارى . ضمن الرسائل

ـ **الخياط** (أبو الحسين)

١٢ ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق د . نيبرج ، القاهرة : ١٩٢٥ م

ـ **ابن خلدون**

١٣ ـ المقدمة ، دار الفكر ، بيروت : ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م

ـ **السيوطي :**

١٤ ـ الإتقان في علوم القرآن (١ ـ ٤) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
الهيئة المصرية العامة بمصر : ١٩٧٤ م

ـ **القزويني :**

١٥ ـ الإيضاح ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٧٥ م

مكانة ضياء الدين بن الأثير
في تاريخ الأدب العربي

الأستاذ فريد جحا

مقدمة :

١ ـ تحدد مقالتنا هذه مكانة ضياء الدين بن الأثير في تاريخ الأدب العربي ، على أن نفهم الأدب ، كما فهمه الأجداد ، بالمعنى العام ، « أي الأخذ من كل علم بطرف » ، لأننا سنراه ، أديباً ، وناقداً ، وعالم بلاغة ، وهي ، على كل حال ، صفات ذات صلة بعيدة ، أو قريبة بالأدب ، بمعنييه العام والخاص .

وابن الأثير هذا هو أبو الفتح نصر الله بن محمد الذي اشتهر بلقبه (ضياء الدين) ، وهو ثالث إخوة يُعَدُّ كل منهم فخراً لأبيه وأسرته ، فكيف والثلاثةُ أبناءُ والدٍ واحد ، وأسرة واحدة ، وكل منهم كان مجلّياً فيما اشتُهر به . فالأول : أبو السعادات المبارك ابن أبي الكرم ، محمد بن محمد الملقب بمجد الدين بن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) محدّث ومفسّر ، والثاني : أبو الحسن علي بن محمد الملقب بعز الدين (٥٥٠ ـ ٦٣٠ هـ) مؤرخ كبير ، أما الثالثُ ضياء الدين فهو الذي نخصُّه بهذه الدراسة المفصلة .

٢ ـ ولد ضياء الدين أبو الفتح نصر الله عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م في جزيرة ابن عُمَر ، ولذلك ينسب إليها فيقال عنه (الجزريّ) ، وجزيرة ابن عمر : بلد فوق الموصل بينهما ثلاثة أيّام ، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ، ويرى ياقوت « أنّ أول من عمرها الحسنَ بن عمر بن خطاب

التغلبيّ ، وكان له إمرةٌ في الجزيرة وذكرٌ ، قرابة سنة (٢٥٠ هـ)[١] » أما ابنُ خلكان [٢] فيرجع التسمية الى عديدين بينهم ما اعتقد أنه الصوابُ وهو عبد العزيز بن عمرَ الذي بناها فأُضيفت إليه ... وتقع المدينة اليوم في تركية ، بين المدن العربية التي تنازل عنها الحلفاء لتركيا ، طمعاً في إيقاف الثورات التي اتقدت ضدهم في بلاد الشام والعراق في عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ م .

ولدْ ضياء الدين في هذه البلدة[٣] ، وتوفي في عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ببغداد بعد أن عاش حياة نشاط متعدد الوجوه ، في مدن الشام والعراق ومصر .

انتقل به والده إلى الموصل ، حيث عمّق دراسته ، ولما شبَّ قصد السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) فجعله في خدمته بضعة أشهر ، ثم صار الى خدمة ولده الملك الأفضل نور الدين ، فاستوزره هذا الأخير ، ولما تُوفي صلاح الدين استقلّ الأفضلُ بمملكة دمشق ، واستقلّ ضياءُ الدين بالوزارة ، ورُدّت اليه أمور الناس .

وجرت للملك الأفضل وقائعُ مع أخيه العزيز صاحب مصر ، ومع عمه الملك العادل ، اللذين اتفقا على غزو دمشق واستنقاذها من يده ، وتم لهما ذلك سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) فاستوليا عليها ، وأُقطعا الملك

---

(١) معجم البلدان ، مادة (جزيرة ابن عمر) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان جزء ٢ ص ١٥٨ [انظر وفيات الأعيان (تح . الدكتور إحسان عباس) ٣ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠ / ترجمة عز الدين ابن الأثير الجزري ، ٤ : ١٤٣ / ترجمة مجد الدين ابن الأثير الجزري / المجلة] .

(٣) تلتمس سيرة ضياء الدين في الكتب التي ترجمت له قديماً وحديثاً ، وأقدمها في وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ ٢ ص ١٥٨ وما بعد ، وأوسعها لدى زغلول سلام في كتابه عن ضياء الدين بن الأثير ، الجزء ٣٦ من سلسلة نوابغ الفكر العربي ص ٢٩ ـ ٤٨ .

الأفضل (صرخد) بدلاً عنها ، فصار إليها ، وأقام بها ، ولحق به ابن الأثير بعد أنْ فرّ من دمشق متخفيا .

ثم توفي العزيز صاحب مصر سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) ، وخلفه ابنُه المنصور وهو في الثامنة من عمره ، فاستدعى رجالُ الدولة عمه نور الدين (الأفضل) من صرخد ليكون وصياً عليه ، ونائباً عنه ، فحضر وتبعه ابنُ الأثير بعد عام . نشبت الحرب بين نور الدين وعمه الملك العادل صاحب دمشق ، فاضطُر (الأفضل) إلى مغادرة مصر سنة ٥٩٦ هـ ، وتبعه ابن الأثير بعد ذلك الى سميساط ، وعمل في خدمته مدة ، ثم فارقه في عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) ، واتصل بأخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، فلم يطل مقامه عنده وخرج مُغَاضِبا . وعاد الى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فورد إرْبِل ، ثم تركها الى سنجار ، ثم عاد الى الموصل ، واتخذها دارَ إقامة وكتب فيها لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر ، وبقي في خدمته حتى توفي في بغداد في أثناء رحلة ، سَفَر فيها له لدى الخليفة العباسي .

٣ ـ خلّفَ ضياء الدين عدّةَ مؤلفاتٍ ، نذكر منها[٤] :

آ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان .

ب ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور .

جـ ـ رسائل ضياء الدين بن الأثير .

د ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

هـ ـ مجموع اختار فيه من شعر أبي تمام ، والبحتري ، وديك الجن ، والمتنبي .

---

(٤) استندنا في ذكرها الى ترجمة ضياء الدين ابن الأثير في وفيات الأعيان ، والى ما ذكره ابن الأثير في كتبه وفي رسائله .

و ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم .

وأهمُّ هذه الكتب كتابه المشهور المثل السائر ، وقد طبع عدة مرات في مصر وبيروت ، وكان أحسنَها تلك التي أشرف على طباعتها في أربعة أجزاء الدكتوران الحوفي وطبانة بين سنتي ١٣٨٠ ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ م، وادعيا فيها التحقيقَ ، وليس فيها من ذلك إلاّ الشيء اليسير[٥] .

٤ ـ وضياء الدين بن الأثير متعدد الجوانب :

فهو أولاً سياسي وزر لطائفة من الملوك ، إلاّ أنه لم يوفق في سياسته ولا سيا في دمشق ، فقد « أساء العشرة مع أهلها وهمّوا بقتله ، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً في صندوق مقفل عليه[٦] » . وكان ذلك منه أيضاً في القاهرة ، فقد « خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستتراً » .[٧] كذلك لم تطل إقامته لدى الملك الظاهر صاحب حلب « لأن أمره لم ينتظم عنده ، فخرج مغضباً » .[٧]

ولقد ذكر من سوء سياسته مثلاً [٨] « أنه حسّن للأفضل أن يطرد أمراء أبيه ، وأكابر أصحابه ، ويستبدل بهم غيرهم ، ففارقه جماعة منهم ، وصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة ، فشملهم بالرعاية والاكرام . وكان من

(٥) مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٣٨٠ ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ م .

(٦) ابن خلكان ـ المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٧) ابن خلكان ـ المصدر السابق ص ١٥٨ ، ويذكر ابن خلكان أنّ له رسالة طويلة شرح فيها كيفية خروجه مستخفياً [وفيات الأعيان (تح الدكتور إحسان عباس) ٥ : ٣٩٠ ـ ٣٩١ / المجلة] .

(٨) مقال بطرس البستاني ، في دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني المجلد الثاني ص ٣٢٥ .

بينهم القاضي الفاضل ، الذي كان وسيطه للوصول الى صلاح الدين ، وتقديه له » . ولعلّ هذا ما حدا بأخيه عز الدين الى عدم ذكره في كتاب الكامل ، في جميع ما أورد من أخبار الملك الأفضل ، والملك العادل والملك العزيز(٩) .

٥ ـ كانت دراسة ضياء الدين متنوعة ، فاذا كنا لانعرف أحداً من أسماء شيوخه ، فاننا نعلم أنه درس في الموصل ، وكانت عامرةً بالعلماء ، وبالمدارس ، ونعلم أنه حفظ القرآن ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وطرفاً صالحاً من اللغة والنحو والبيان ، وشيئاً غير يسير من أشعار العرب . ولقد ذكر في المثل السائر ، أنه وقفَ من الشعر على كل ديوان مطبوع وأنفد شطراً من العمر في المحفوظ والمسموع ، فألفاه بحراً لا يوقف على ساحله فاقتصر على ما تكثر فوائده ، واكتفى بشعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فهؤلاء الثلاثة عنده « لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناتُه » .(١٠) فروى لهم أكثر مما روى لغيرهم ، واستفاد من فصاحة أقوالهم وبلاغة معانيهم .

وليس ببعيد أن يكون قد تتلمذ على أساتذة أخيه المؤرخ وهم : « أبو الفضل خطيب الموصل ، وأبو الفرج يحي الثقفي ، ومسلم بن على السيحي ، ومعهم ابن سويدة التكريتي ، وابن أفضل الزمان ، وابن رواحة ... وهم الذين درس المؤرخ عليهم الفقه والحساب واللغة والحديث والمنطق والهيئة وغيرها » .(١١) .

٦ ـ وهو كما رأينا مصنّف ، ومؤلفُ كتب ، ولقد خلّف لنا مؤلفاتٍ

---

(٩)مقال بطرس البستاني ، المصدر السابق ص ٣٢٦ .

(١٠) المثل السائر جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(١١) عبد القادر أحمد طليمات ، ابن الأثير الجزري ، من سلسلة أعلام العرب ، الجزء ٨٣ ص ٢٠ و ٢١ .

كثيرة سميناها منذ قليل وهي مؤلفات تدل على معرفة واسعة ، وثقافة شاملة ، وعلى إلمامه بكل مايلزم العالم المصنف في زمانه ، من علوم اللغة والنحو والقرآن والحديث والأدب .

٧ ـ ولعل (المثل السائر) أهمُّ ما خلف لنا ابنُ الأثير من تراث ، وقد لقي ترحاباً ونقداً منذ أُمْلِيَ في حياةِ مؤلفه ، فلقد روى ابنُ خلكان « أنه من التصانيف الدالة على فضله وتحقيق نبله ، وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، فوصلت الى بغداد نسخةٌ منه » .[١٢]

يتضمن الكتاب [١٣] البحث في علم البلاغة والنقد لصناعة الكاتب والشاعر . وقد بني على مقدمة ومقالتين . فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعه .

تقع المقدمة في عشرة فصول تناول فيها علم البيان وما ينبغي له من الأدوات ، وهي عنده ثمانية أنواع : معرفة الصرف والنحو ، ومعرفة المألوف استعماله في فصيح الكلام ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تآليف المتقدمين من أرباب هذه الصناعة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، ثم حفظ القرآن والتدرب على استعماله في مطاوي الكلام ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبيّ ، ثم معرفة العروض والقوافي .

---

(١٢) ابن خلكان ، الوفيات ص ١٥٩ [وفيات الأعيان (تح الدكتور إحسان عباس) ٥ : ٣٩١ / المجلة] .

(١٣) أفدنا من التلخيص المطول الممتاز الذي عرضه بطرس البستاني في دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

وتبحث بعد ذلك في الحكم على المعاني ، ومعرفة أساليبها ، ثم في جوامع الكلم ، والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة ، وأركان الكتابة .

وتبحث المقالة الأولى في الصناعة اللفظية وهي على قسمين : الأول في اللفظة المفردة ، والثاني في الألفاظ المركبة . وجعل صناعة تأليفها على ثمانية أنواع : السجع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الألفاظ في السبك .

والمقالة الثانية تبحث في الصناعة المعنوية ، وهي أيضاً على قسمين : الأول في الكلام على المعاني مجملاً ، والثاني في الكلام عليها مفصّلاً . والقسم الأول على ضربين أحدهما ما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي بمن سبقه ، والآخر ما يحتذي فيه مثالاً سابقاً ومنهجاً مطروحاً .

والقسم الثاني ، بناه على ثلاثين نوعاً كالتشبيه ، والاستعارة ، والتجريد ، والالتفات ، والتقديم والتأخير ، والايجاز ، والاطناب ، والارصاد ، والكناية ، والسرقات الشعرية ، وسوى ذلك ... وهو كغيره من المتقدمين لم يفصل المعاني عن البيان ، ولا فصل البديع عنهما ، لأن التمييز بين هذه العلوم الثلاثة إنما تمّ مع ظهور كتاب (المفتاح) للسكّاكي .

٨ - وفي هذه المباحث شعرٌ ورسائلُ وآياتٌ وأحاديث ، وكثيراً ما يورد من وسائله مقاطع ، ويجعلها أمثلةً للبلاغة في النوع الذي يبحث فيه ، ويُعْنى بتحليل معانيها ، وتنبيه القارئ إلى النظر إليها فيقول مثلاً : « فتأمل ما أوردته ها هنا من هذين المثالين ، وانسج على منوالها فيما تقصده من المعاني التي تبني عليها كتبك ، فان ذلك من دقائق

الصناعة[١٤] » .

وقد يستشهد بأقوال غيره من الكتاب ليطعن فيها ويزدريها كما فعل بالحريري وابن نباته ، فانه عاب سجعهما الذي يكرر المعنى في الفقرتين ، ثم يورد من كلامه أمثلة من السجع كما ينبغي أن يكون قائلاً : « فانظر ايّها المتأمل إلى هذه الأسجاع جميعها وأعطها حق النظر ، حتى تعلم أنّ كلّ واحدة منها تختص بمعنى ليس في أختها التي تليها . وكذلك فليكن السجع وإلاّ فلا » .[١٥]

ويذكر في كلامه على البلاغة ، أقوالَ من تقدمه من علماء البيان ويظهر خطأها وضعف مدلولها ، وقصر نظرهم فيها . واذا ذكر أقواله أدلّ بها على غيره ، وزعم أنه استنبطها ، وفتح كنوزها ، ولم يُسبَق اليها .

ومثل هذه الأشياء كثيرة في (المثل السائر) ، تصور أدق تصوير كبرياء مؤلفه ، وتدل على علم صحيح ، وذكاء متوقد ، وقوة استنتاج . إلاّ أنه كان يفرط في المخالفة ، لما فيه من حب المعارضة ، والاعتداد بالنفس ، فما يأمن من الزلل .

٩ ـ شخصية ضياء الدين بارزة في إنشائه ، فأنت في الكثير من صفحات الكتاب ، تلقاه « محدثاً » عن نفسه ، ينبه إلى آرائه ، ويدل بصحة علمه وقوة استنباطه ، يقول : « وهداني اللهُ لابتداع أشياء لم تكن قبلي مبتدعَة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالُها تابعة ، وإنما هي متبعة . ولقد مارستُ الكتابة ممارسةً كشفت لي عن أسرارها ،

---

(١٤) المثل السائر جـ ٢ ص ١١٥ .

(١٥) فصل السجع من المقالة الأولى ، الجزء الأول ص ٣١٥ .

وأظفرتني بكنوز جواهرها ، إذ لم يظفر غيري بأحجارها[١٦] . »

ولم يسلم المتنبي ، ولا المعري من سلاطة لسانه فانتقدهما ، وكان تجاه الثاني قاسياً جداً ، لأنه (أي المعري) كان يتعصب لأبي الطيب ، فيقول مستطرداً أثناء نقده بيت المتنبي :

فلم يُبْرَم الأمرُ الذي هو حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الأمرُ الذي هو يُبرم

« فياليت شعري ، أما وقف على هذا البيت المشار اليه ؟ ولكنَّ الهوى ، كما يقال ، أعمى ، وكان أبو العلاء أعمى العين خلقةً ، وأعماها عصبيةً ، فاجتمع له العمى من جهتين » .[١٧]

١٠ ـ هذا الكبر الذي وصل إلى حد الغرور كان آفته في حياته السياسية ، لأن الناس كرهوه فأرادوا قتله أكثر من مرة ، وكان سبب الهجوم القاسي عليه أدبيّاً ، فابنُ أبي الحديد يهاجمه في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) مهاجمة سليطة اللسان ، دعت أنصاراً له إلى الرد عليه ، وتفضيل كتابه . فقد تعصب (للمَثَل) جماعةٌمن أكابر الموصل وفضلوه ، على كثير من الكتب المصنفة في هذا الفن ، وتلقاه أهل بغداد بالاعجاب وتداولوه ونقلوه .

وقامت معركة أدبية كان من نتاجها كتبٌ في الرد على ابن أبي الحديد ، وفي الانتصار له ، فصنّف بعضُهم (الروضَ الزاهر في محاسن المثل السائر) ، وصنف أبو القاسم السنجاري (كتاب نشر المثل السائر وطيّ الفلك الدائر) كما صنف صلاح الدين الصفدي (نصرة الثائر على

(١٦) مقال بطرس البستاني ـ المصدر السابق ص ٣٢٧ .

(١٧) مقال بطرس البستاني ـ المصدر السابق / الصفحة نفسها ، ولم يذكر الصفحة المقتبسة هذه الفقرة منها [أورد ضياء الدين ابن الأثير عبارته تلك في النوع الثامن : في المنافرة بين الألفاظ في السبك ـ انظر المثل السائر ١ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ (ط . محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٣٩ م) / المجلة] .

المثل السائر) وصنف عبد العزيز بن عيسى رسالة (قطع الدابر عن الفلك الدائر)[١٨] .

ولم يلق واحدٌ من هذه الكتب مالقيَ المثلُ السائر من استحسان ، وضاع أكثرها في رمال النسيان ، وبقي المثل السائر علماً بين الكتب لأنه « لا يزال إلى أيامنا هذه في مقدمة كتب البلاغة التي يرجع اليها . فقد أوضح فيه ضياء الدين معالمها ، وأحكم الكلام على فنون الانشاء ، ورتب فصوله وأنواعه ، وبين أصوله وفروعه ، ودقق في جمال اللفظ المفرد والمركب ، فكان كتابه هداية لما أُلف بعده من الكتب في علم البيان ».[١٩]

١١ ـ والمثلُ السائر ، قبل كل شيء ، كتابٌ بلاغي عرض فيه ابنُ الأثير لموضوع علم البيان بعد أن وسّع معناه لصبح مرادفاً لمعنى كلمة البلاغة ، فتحدث عن البلاغة والفصاحة وما يلزم لمعرفتها ، وتحدث في المقالة الأولى عن الصناعة اللفظية في الكلمة المفردة ، والألفاظ المركبة ، وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية وهو يكثر فيهما من ضرب الأمثلة والشواهد يقتبسها من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي ، ورسائل الفصحاء ، وخطب الخطباء ، ومن رسائله هو بالذات ، معلقاً عليها ، ومبيناً فيها جوانب الجمال أو جوانب القبح .

فالمثل السائر بصفة عامة محاولةٌ لتنظيم ما كان البلاغيون قبله قد نثروه في كتبهم ، مع بعض التفريعات والنظرات الجديدة ، ومع العناية بفن الرسائل . وإذا ما بدا في تنظيمه شيء من الاضطراب ، فان الكتاب يبقى على كل حال « خيرَ ما كُتِب منذ القرن السادس الهجري ، بعيداً

(١٨) مقال بطرس البستاني ـ دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ، مج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٩) مقال البستاني ـ المصدر السابق / الصفحة نفسها .

عن مدرسة عبد القاهر الجرجاني وتلاميذه ، ولما يتخلله من بعض لفتات جيدة » .[٢٠] « كذلك كان المثل السائر آخر الكتب التي يتمتع صاحبها بذوق أدبيّ ، ذلك أنّ علماء البلاغة تقيدوا بما كان السكاكي قد لخصه في (المفتاح) فانقلبت البلاغة الى قواعد جافة جامدة كقواعد النحو والصرف مع غير قليل من العسر والالتواء ، حتى لتوضع لها الشروح تلو الشروح » .[٢١]

١٢ ـ وابن الاثير ، في مثله السائر ناقد كبير تكلم فيه « عن المؤلف شاعراً وكاتباً ، وأثر تكوينه في عمله »[٢٢] ، فشبه الموهبة الكامنة لدى الشاعر الموهوب أو الكاتب المبدع بالنار الكامنة ، وتحدث عن النص الأدبي ، وفيه استغرق كل آرائه النقدية كغيره من علماء البلاغة ، وتكلم عن الصياغة من جوانبها المختلفة ، وعن موقفه الخاص بين النثر والشعر ، فلقد انتصرَ للكتابة ، وعللّ تفضيله لها بأسباب عديدة منها أنّ القرآن نص نثريّ ، وأن الإعجاز متصل بالنثر ، وأنّ الكتابة أصعبُ طريقاً ، وأن الكاتب أحدُ دعامتي الدولة التي تقوم على السيف والقلم .... وكان له كذلك موقفه من الكتاب والشعراء ، فحمل على الصابي ، وأبدى عدم إعجابه بكتابته ، كما حمل على الحريري في مقاماته ، وغمز من قناة صديقه القاضي الفاضل وأخذ عليه التقصير أحياناً .

أمّا موقفه من الشعراء فقد كان معجباً بأبي تمام والمتنبي لأنهما جمعا بين الفن والعقل ، أو بين الصنعة والطبع ، وأُعجب كذلك بالبحتريّ ، وبآخرين ولم يكن منحازاً ، في معركة القديم والحديث ، لأيٍّ من

(٢٠) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٢١) شوقي ضيف ، المصدر السابق ص ٣٧٤ .

(٢٢) طليمات ، المصدر السابق ص٥٨ و ٥٩ و ٦٠ .

الفريقين بل كان يحكم على الشعر، قديمه وحديثه، بما له أو عليه، وإن كان أكثرَ ميلاً الى معاني المحدَثين وجمال صنعتهم[٢٣].

١٣ - ولابن الأثير فيما ترك لنا أسلوبان: أسلوبُه في رسائله وهو فيه ملتزمٌ السجعَ، والمحسنات البديعية، فهو يقول في وصف معركة: « ولما التقى الجمعان، اصطفت يمين وشمال، وزحفت جبال الى جبال، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لاتفي بالآجال، وأقدمت الخيل إقدام فرسانها، واظلم النقع فلا تبصر الا بآذانها، ونالت النحورُ ثارَها من كعوب الرماح، واشتبكت فلا طريق بينها لمهب الرياح »[٢٤].

أمّا في المثل السائر فما نمر بسجع أو وَشْيٍ إلاّ عَرَضاً، فإنشاؤه فيه مطبوع سهل العبارة، واضحُ الاسلوب، بريء من التعقيد والإغراب، ويغلب عليه الاسهاب والتفصيل، فكأنه أستاذ يعنى بشرح درسه، ليجعله مفهوماً، قريباً من الأذهان[٢٥].

يقول مثلاً[٢٦]: « واما الإرداف فانه ضربٌ من اللفظ المركب، إلاّ أنه اختصَ بصفة تخصه، وهي أن تكون الكناية دليلاً على المُكْنَى عنه ولازمةً له، بخلافِ غيرِها من الكنايات، ألا ترى أنّ طول النجاد دليلٌ على طول القامة ولازم له، وكذلك يقال فلان عظيم الرماد، أي كثير إطعام الطعام، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زَرْع في وصف زوجها: له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، اذا سمعن صوت

---

(٢٣) طلبات المصدر السابق ص ٦٩ - ٧٠.

(٢٤) من رسالة له، سجلها طلبات، المصدر السابق ص ٧٦.

(٢٥) مقال البستاني - المصدر السابق ص ٣٢٧.

(٢٦) المثل السائر - طبعة الحوفي وزميله جـ ٣ ص ٦٠ [٢ : ٢٠٠ - ٢٠١ / ط محيي الدين عبد الحميد / المجلة].

المزهر ، أيقنّ أنهن هوالك » .

١٤ - ابن الأثير ضياء الدين ،الأديب ، والناقد ، وعالم البلاغة ، شخصية فذة في تاريخ أدبنا العربي ، بما تركت من مؤلفات قيمة ، كان المثل السائر أرفعَها قيمة وأسماها منزلة . ولقد كان للكتاب وصاحبه الأثرَ الذي يُذكَر فيشكَر . والشهرة الأدبية طغت على شهرته السياسية ، فعُرِف بعلوم البلاغة والبيان أكثرَ مما عرف بالوزارة والديوان . قال فيه استاذنا التنوخيُّ عِزُّ الدين علم الدين ، سيّدُ من عَرَف البلاغة وعرّف بها في القرن العشرين ، في موسوعته المشهورة (تهذيب إيضاح القزويني) .

قال رحمه الله في المقالة التي كتبها في المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المجمع [٢٧] تعريفاً بكتاب ابن الأثير (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) : « ولا أعرف أديباً له رأي في البيان وأساليبه ، الاّ وللمثل السائر أثرٌ مبين في تقويم أسلوبه ، وإرشاده الى وسائل الملكة العربية ، ففيه من أصول (فن الكتابة) ما يكتبه علماء الانشاء الغربيون للشداة في الكتابة ليبينوا لهم أخصر الطرق وأقرب الوسائل ، لتحصيل ملكة الكتابة في لغاتهم » .

(٢٧) عز الدين التنوخي ، مجلة المجمع العلمي العربي . المجلد ٣٥ سنة ١٩٦٠ ص ٦٦٦ - ٦٦٩ .

الألبانيُّون

عدة تسميات لأمة واحدة(☆)

د . محمد موفاكو

ليست اللغة العربية هي الوحيدة التي تطلق على هذه الأمة تسميتين مختلفتين هما الأرناؤوط والألبانيون . ففي اللغات الأوربية ايضا ، ولا سيما في لغات البلدان المجاورة ، نجد عدة تسميات :هي : « ارفانيت » في اليونانية ، و « ارناوط » في التركية والبلغارية ، و « اربناس » في اليوغسلافية » و « البانيون » في اللغات الغربية بالاضافة الى « شتشيبتار » في اللغة الالبانية . وهكذا يتضح أن الصيغتين المستعملتين عند العرب قد وردتا من اللغات الأخرى ، مع أن البعض قد حاول أن يجد لهما تفسيرا عربيا على أساس العلاقات العربية ـ الالبانية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن آراء العلماء الاوربيين كانت مختلفة حول أصل التسميات التي أطلقت على الألبانيين كاختلافهم في أصل الألبانيين أنفسهم(١) . ولكن في المدة الأخيرة أصبحت نتائج البحوث المختلفة تؤكد

(☆) يستعرض هذا المقال خلاصة النتائج الأخيرة للأبحاث المختلفة ، ولذلك فهو لايقلل من قيمة المحاولة السابقة التي نشرها الأستاذ محمود الأرناؤوط في جريدة « الثقافة الاسبوعية » قبل عدة سنوات تحت عنوان « الارناؤوط ـ هذه الكلمة من أين أتتنا وماذا تعني » . انظر :

محمود الأرناؤوط ، الكشكول الصغير ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦٤ ـ ٦٧ .

(١) كان العالم ثونمان Thunmann خلال القرن ١٨ أول من أطلق النظرية الأولى حول استمرارية الألبانيين في مناطقهم الحالية ، وبالتحديد حول انحدار الألبانيين من الاليريين الذين كانوا يسكنون هذه المناطق في العصر القديم . وقد أيد هذه النظرية لاحقاً عدد كبير =

أكثر فأكثر صحة النظرية الأولى التي تقول بانحدار الالبانيين من الاليريين ، أي من السكان القدماء للبلقان[٢] . مما ساعد على حلّ بعض الاشكالات المتعلقة بأصول التسميات التي تطلق على الألبانيين .

وهكذا أصبح من المعروف الآن أن أقدم ذكر للالبانيين قد ورد لدى الجغرافي الاسكندراني بطليموس في القرن الثاني للميلاد . ففي الجزء الثالث من كتابه ، في القسم المتعلق بـ « الموقع الذي تحتله مكدونيا » ، يذكر بطليموس أنه « في أراضي الالبانيين Albanoi تقع مدينتهم البانوبوليس Albanopolis » ويحدد مكان هذه المدينة في الخط الذي يقطع الآن قلب ألبانيا الحالية ، وبالتحديد مابين مدينة ديبرا Dibra في الشرق ومدينة دورس Durrës في الغرب[٣] . الا ان البعض بقي يشكك في حقيقة ما ذكره بطليموس وفي قيمته ، الى ان اكتشفت في المدة الأخيرة الآثار التي تعود أيضا الى القرن الثاني للميلاد ، والتي تحدد وجود هذه المدينة كما سماها بطليموس[٤] . لقد أشار بطليموس الى الألبانيين على أنهم

= من العلماء البارزين كـ ميير Meyer ، وبدرسن Pedersen ، ويوكل Jokl ، وهامب Hamp الخ . وفي نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ ظهرت نظرية أخرى تقول بانتقال الألبانيين من قلب البلقان ، من مكان ما يتوسط التراقيين والرومانيين ، الى المناطق الحالية التي يسكنونها ، على امتداد البحر الادرياتيكي ، وذلك بالاستناد الى نوع من التقارب بين الألبانية والتراقية القديمة والرومانية الحالية .

(٢) مع أن يوغسلافيا ، حيث يعيش اليوم نصف الألبانيين تقريباً ، بقيت هي الساحة الكبيرة التي تتعارض فيها النظرية الأولى والثانية حول أصل الألبانيين ، فإن الطبعة الجديدة من « موسوعة يوغسلافيا » قد حسمت الأمر بالقول ان « الابحاث اللغوية والاتنولوجية والاركيولوجية وغيرها قد أصبحت تقود نحو الاصل الاليرى للغة الألبانية » :

Albanci, Enciklopedija Jugoslavije, II izdanje, zagreb 1984, s.1

(٣) كتاب « الجغرافيا » كما ورد في :

Ilirët dhe Iliria te autorët antikë, Prishtinë 1979, f. 268

(٤) B. Dragojević - josifovska, Ziva antika XXI - 2, Skopje 1971, s. 513-522

إحدى العشائر الاليرية ، التي كان عددها حينئذ يقترب من عشرين . ولكن مع الزمن تغلب الجزء على الكل ، وأصبح هذا الاسم (الالبانيون) يقصد به التشكّل الجنسي الجديد الذي أخذ يتبلور في مناطقه خلال القرون الوسطى .

ففي القرن الحادي عشر وخلال عدة سنوات (١٠٧٢ ـ ١٠٧٩) يتردد ذكر الألبانيين عدة مرات لدى الكاتبين البيزنطيين ميخائيل آتالياتي ، وآنا كومنينا : مرتين بالصيغة التي ذكرها بطليوس أي Alban-oi ، ومرة باسم اربانيتا Arbanita[5] . ويلاحظ هنا أنه من ذلك الوقت سيصبح الجذر المشترك لكل التسميات اللاحقة : « الب » alb أو « ارب » arb اي بقلب اللام الى راء . وليس من المصادفة أن تتردد كثيراً التسميات المتعلقة بالألبانيين في المصادر الاوربية منذ ذلك الحين ، اذ أن ذلك يرتبط بزخم الاحداث التي تطورت في المناطق الالبانية حتى وصول العثمانيين ، أي حتى القرن الرابع عشر .

وهكذا نجد أن اللاتينية قد أخذت في بادىء الأمر (١١٦٦) بجذر « ارب » لتصوغ تسمية اربان والاربانيين Arbaneses . وفي الوقت نفسه (القرن ١٢) اعتمدت السلافية الجنوبية (الصربية) جذر « ارب » لتأخذ منه صيغة « اربانس Arbanas إلا أن اللاتينية تحولت منذ القرن الثالث عشر الى الجذر الآخر لتشتق منه صيغة الباني وألبانيين ، تلك التي شاعت لاحقا في كل اللغات الأوربية الغربية . ويبدو أن طغيان جذر « الب »

---

(٥) تجدر الاشارة هنا الى أن الكاتبة آنا كومنينا تستعمل أيضاً تسمية « اربانون » Arbanun للدلالة على وطن الألبانيين ، وتعيّن بشكل تقريبي حدود هذا الوطن مابين مدينة دورس Durrës ونهر درين Drin ، أي على وجه التقريب في المجال الذي حدده بطليوس لعشيرة الألبانيين الاليرية :

Historia e Popullit Shqiptrë I, Prishtinë 1969, f. 159

قد جاء نتيجة للايحاء الذي كانت تتركه الكلمة اللاتينية « البوس » albus (ابيض)[٦] .

وفي الـوقت نفســه ، الـذي اتسم ببروز الأمراء الالبــانيين المحليين الطــامحين الى المشــاركــة في الحكم أو في التفرد بــه عن بيزنطـــة ، كان الألبانيون قد اخذوا لأنفسهم جـذر « ارب » ، وشـاعت منـذ ذلـك الحين عــدة صيــغ كانــوا يطلقــونهـــا على أنفسهم : اربر « arbere » ، اربن « arbēnē » ، اربرش « arbēreshē » ، اربنش « arbēneshē » وعلى بلادهم آربريا arbëria أو آربنيا Arbënia[٧] .

وهكذا في ذلك الوقت (القرن ١٤) الذي تعددت فيـه التسميـات ، بدأ الاحتكاك بين الألبانيين والعثمـانيين الـذي انتهى بعـد قرن من الزمن إلى سيطرة العثمانيين على المناطق الألبانية . وقد مـال العثمـانيون حينئـذ الى الصيغـة اليـونـانيـة الحـديثـة « ارفـانيت » Arvanitai، التي كانت قـد تطورت من « اربـانيت » . ونتيجـة للابـدال بين حرفي n ,v ، وتحـول i الى u بسبب قوانين التنـاغم للغـة التركيـة أصبح العثمـانيون يطلقـون على الالبـانيين اسم Arnavud ، الـذي كان يكتب بـالعثمـانيـة « ارنود . وكان العثمانيون قد كونوا وحدة ادارية جديدة في المنـاطق التي سيطروا عليهـا وسموها « سنجق ارفانيد » أو « سنجق ارنود »[٨] . وكما يبدو فـان الصيغـة

(٦) ان هذا الايحـاء يبـدو قـائمـا حتى القرن ١٨ . وهكـذا نجـد مثلا ان كنيـة البـابـا الألباني الأصل كلمنت الحادي عشر « ألبانو » Albano تترجم حرفيا الى « الابيض » :

Rexhep Ismaili, Emri i Shqiptarëve, jala, Prishtinë 15. X. 1985, f. 3

(٧) مع ترسخ هذه التسميات ، وخاصة مع بروز « امارة آربريا » في نهـاية القرن ١٢ وخلال القرن ١٣ ، أصبح اسم الألبانيين يتردد كثيراً في المصادر الاوربية المختلفة ، نظراً لتمحور الكثير من الأحداث في مناطقهم .

(٨) حول هذا السنجق وأهميته انظر :

H. Inalcik, Hicri 835 tarihli suret - i defter - i Sancak - i Arnavud, Ankara 1954

العثمانية بقيت تصاحب في البداية الصيغة اليونانية « ارفانيت » الى ان بقيت وحدها في الاستعمال . ولكن فيما بعد ، مع التغيرات الادارية في المناطق الألبانية ، أخذ العثمانيون يستعملون صيغة جديدة « ارنود لك » للدلالة بشكل عام على المناطق التي يعيش بها الألبانيون ، وبغض النظر عن التقسيمات الادارية المتعاقبة[٩] .

وخلال العصر العثماني أخذ الالبانيون يميلون الى صيغة جديدة يطلقونها على أنفسهم : شتشيبتار shqiptarë ، أو شكيبتار shkiptarë ، وهي الصيغة التي حافظوا عليها الى اليوم . وكان جذر هذه التسمية الحديثة « شتشيب » shqip (الكلام بوضوح ، بفصاحة) قد استعمل في أول كتاب ألباني مطبوع (١٥٥٥) ثم توسع معناها ليشمل اللغة الألبانية عامة shqija . shqipe . وفي تطور لاحق أضيفت اللاحقة « تار » tar لتعني المتكلم بالالبانية أو الألباني shqiptar . ولقد وردت هذه التسمية لأول مرة في وثائق« المجلس الألباني » (١٧٠٣)[١٠] ، إلا أنها أخذت تنتشر تدريجيا حتى أصبحت خلال القرن ١٩ التسمية الوحيدة التي يطلقها الألبانيون على أنفسهم[١١] . وقد ترافق هذا مع تشكل وانتشار

---

(٩) أصبح الألبانيون فيما بعد يتوزعون على أربع ولايات عثمانية في البلقان : ولاية شكودرا ، وولاية كوسوفا ، وولاية مناستير ، وولاية يانينا ، مما كان يغذي مشاعر السخط ويدفع الحركة القومية للمطالبة بتوحيد هذه الولايات الأربع في ولاية واحدة (ارناودلك) تتمتع بحكم ذاتي . للتوسع حول هذا ، انظر :

د ١ انتوني سوريال عبد السيد ، الرابطة القومية الألبانية (١٨٧٨ ـ ١٨٨١) ، القاهرة ١٩٨٦

(١٠) Rexhep Ismaili, Gjuha e Kuvendit të Arbrit, prishtinë 1986

(١١) لقد تركت هذه التسمية انطباعاً خاصاً لدى الشاعر الانكليزي جورج بايرون . فخلال تجواله في غرب البلقان كان يحرص على ان يسأل السكان عن قوميتهم ، فكان لايسمع الا « مسلم » أو « مسيحي » ، بينما كان لايسمع في المناطق الألبانية الا « شتشيبتار » : No-li , Vepra 2 , Tiranë 1987 , F . 78

الصيغة الجديدة التي تحدد الوطن القومي للالبانيين : « شتشيبريا » Shqipëria أو « شتشيبنيا » Shqypnia[١٢] .

ومن المعروف ان العصر العثماني كان قد جمع العرب والالبانيين ، بالاضافة الى غيرهم من الشعوب ، في دولة واحدة لعدة قرون (ق ١٦ ـ ٢٠) . ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يميل العربُ في البداية الى الصيغة العثمانية . « أرنود » ، التي أصبحت تكتب لاحقاً بأشكال مختلفة : « أرنوود ، أرناود ، أرناووط » . وعلى هذا الأساس أيضاً أخذ العرب بالصيغة العثمانية لتسمية المناطق الألبانية أرناودلك) : بلاد الأرنود ، أو بلاد الأرناووط . وفي وقت لاحق ، في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، أخذت الصيغة الأخرى ، ألبانيا والألبانيون ، تستعمل في اللغة العربية ، وبالتحديد في اللغة الحديثة التي بدأت تظهر في الصحف والمجلات . وفي هذا الاطار تجدر الاشارة مثلا الى دور مجلة « الجنان » اللبنانية ، التي عززت هذه الصيغة الجديدة بعد أن نشرت على حلقات كتاب باشكو فاسا « ألبانيا والألبانيون » خلال ١٨٨٢[١٣] .

هذا ، وقد بقيت الصيغة الأولى (الارناووط) هي الأكثر شيوعاً في العربية حتى نهاية العصر العثماني . وكان مما ساعد على شيوع هذه التسمية تعميمها كلقب على كل المهاجرين الألبانيين الذين استقروا في المشرق ، ولاسيا في مصر والشام خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن

---

(١٢) وبعبارة أخرى ان هذا ينفي الرأي الذي شاع فترة من الزمن عن ارتباط هذه التسمية Shqiponjë (النسر) وبالتالي اعتبار « شتشيبريا » بلاد النسور .

(١٣) تجدر الاشارة هنا الى أن المؤلف كان متصرف جبل لبنان في تلك المدة (١٨٨٣ ـ ١٨٩٢) ، وكان كتابه هذا قد صدر أولا بالفرنسية في باريس سنة ١٨٧٩ .

العشرين[١٤] . الا أن الصيغة الثانية (الألبانيون) شقت طريقها بسرعة في السنوات الأخيرة للعصر العثماني ، ولاسيما بعد أن أعلن الاستقلال الألباني (١٩١٢) ، وبعد أن استقر كيان ألبانيا دولةً منذ ١٩٢٠ .

ومع أن الصيغتين ، الأولى والثانية ، قد دخلتا الى العربية من بقية اللغات (التركية من ناحية ، والفرنسية والانكليزية من ناحية أخرى فإن بعضهم أراد أن يجد تفسيراً عربياً للصيغة الأولى (الأرناووط) بالاستناد الى التداخل الذي حصل بين العرب والألبانيين . وبعبارة أخرى لقد كان الاصل العربي للتسمية يفترض بدوره الاصل العربي للألبانيين . وهكذا فقد راجت في الجانب العربي خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الآراء عن الأصل المشترك للعرب والألبانيين . وكان ممن روجوا لهذه الآراء المؤرخ أحمد بن زيني دحلان ، الذي يعرّف الألبانيين بأنهم « من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ماأتى الله بالاسلام »[١٥] .

وبالاستناد إلى ذلك أصبح من الممكن القول ان كلمة « ارناووط » تعود في أصلها الى عبارة « عار أن نعود » ، التي تفوه بها العرب - الألبانيون بعد ان استقروا في وطنهم الجديد[١٦] .

(١٤) حول هذه الهجرة الى المشرق هناك تفصيلات في اللغة العربية :
د . محمد موفاكو ، الألبانيون في سوريا ودورهم في الحياة السورية ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٨ .

(١٥) احمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج ٢ ، القاهرة د . ت ، ص ١٣٠

(١٦) لقد كان المؤرخ العزاوي ممن ذكروا ورفضوا هذه الرواية جملة وتفصيلا : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤٨ - ٤٩ . ويمكن أن نضيف هنا أن ترويج هذه الرواية في بداية القرن ٢٠ كان له هدف سياسي ، الا وهو دعم تطلعات الملك فؤاد لمركز الخليفة بعد الغاء الخلافة في تركيا الكمالية سنة ١٩٢٤ .

ولقد كنـا بيّنـا في بحث لنـا الوضع في الجـانب الآخر (الألبـاني) ، الذي يتميز بوفرة الروايات المتعلقة بـالأصل العربي للألبـانيين وأهميتهـا . وبهذه المناسبة كنا قد توصلنا الى أن الشريعة الاسلامية في هذه الروايات نشأت في عصر متأخر ، وبـالتحـديـد فوق شريحـة مسيحيـة أقـدم ، بينمـا يمكن تتبع الأصل الى الاسطورة المتعلقـة بـالأصل المشترك بين الفينيقيين والاليريين ، أي بين أجداد السوريين وأجداد الألبانيين[١٧] .

(17) Dr. muhamed mufaku, prania e shqiptarëve në botën arbe¨ gjatë shek. XVIII- XIX dhe në fillim të shek. XX, diser.i doktoratës, F. Filozofik, prishtinë 1986

التعريف والنقد
المستدرك
على دواوين شعراء العرب المطبوعة
(القسم الثاني)

الدكتور شاكر الفحام

رابعاً ـ الاستدراك على شعر بشار بن برد

أبو معاذ بشار بن برد من فحولة الشعراء وسابقيهم المجوّدين . كان غزير الشعر ، سمح القريحة ، كثير الافتنان ، قليل التكلف . ولم يكن في الشعراء المولّدين أطبع منه ، ولا أصوب بديعاً . قال فيه الجاحظ : « وليس في الأرض مولّد قرويّ يعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه » .

وكان ديوان بشار عزيز الوجود ، ولعل آخر من رآه ونقل عنه من العلماء المتقدمين الشهاب الخفاجي في شرحه على الدرة . ذكر ذلك الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني ، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه ، في مقدمة كتاب : المختار من شعر بشار[1] .

وقد انتدب في العصر الحديث لجمع شعر بشار المبدّد المفرق في كتب الأدب والمحاضرات الأديبُ أحمد حسنين القرني ، وأصدر كتابه : بشار بن برد ـ شعره وأخباره (سنة ١٩٢٥ م) ، ثم جاء في أعقابه الأستاذ حسين منصور فألف كتاباً سماه : بشار بن برد بين الجدّ والمجون (سنة ١٩٣٠ م) .

● نشر القسم الأول من المقالة في مجلة المجمع ، مج ٦٣ ج ٣ ، ص ٤٩٥ ـ ٥٢٦

(١) المختار من شعر بشار : (ط) ، شرح درة الغواص في أوهام الخواص للخفاجي : ٤٣ .

وعُني الأستاذ محمد بدر الدين العلوي بتحقيق كتاب المختار من شعر بشار (القاهرة ـ ١٩٣٤ م) .

وكان من يُمن الطالع أن اشتملت خزانة كتب الأستاذ العلامة محمد الطاهر بن عاشور على جزء مهمّ من ديوان بشار يبدأ بحرف الهمزة وينتهي في أثناء حرف الراء . وقد نهض بعبء تحقيقه ، وأظهره للناس في ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٣٦٩ ـ ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٠ـ ١٩٥٧ م)، ثم تصدّى من بعدُ لجمع المتناثر من شعر بشار ، فأصدره في جزء رابع ، ضمّه إلى أجزاء الديوان الثلاثة المطبوعة ، وسمّاه : ملحقات الديوان (القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) .

وقام الأستاذ بدر الدين العلوي بجمع ثان لأشعار بشار ، ضمّنه مختارات الأدباء والعلماء التي انتقوها من شعر بشار ، وصدر الكتاب عن دار الثقافة ببيروت ، بعنوان : (ديوان شعر بشار بن برد)[٢] .

وطبع ديوان بشار بن برد بتحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور طبعة ثانية ، صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر (سنة ١٩٧٦ م) . وأضاف الأستاذ محمد الطاهر الى جزئه الرابع (ملحقات الديوان) جزءاً كبيراً مما تفرّد به الأستاذ بدر الدين العلوي في الديوان الذي جمعه ، وشفع ذلك بزيادات أخر عثر عليها بعد طبع ديوانه الطبعة الأولى[٣] .

لقد ضمّ هذان الديوانان (جمع الأستاذ الطاهر ، وجمع الأستاذ

(٢) لم تشر دار الثقافة ببيروت إلى سنة الطبع . ولكن مقدمة الأستاذ بدر الدين العلوي حُررت في ١٢ ايلول ١٩٦٣ م . ويقول الأستاذ مختار الدين أحمد إن الديوان طبع سنة ١٩٦٥ م (مجلة المجمع العلمي الهندي ، مج ١ ج ١ ، ص ١٦٤) .

(٣) نظرات في ديوان بشار بن برد : ١٩ ـ ٣٢ ، ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٥ ـ ٦ .

العلوي) ثروة طيبة من شعر بشار ، (ولاتزال بقية صالحة من شعره في تضاعيف الكتب لم ينظمها سلك) . وهذان الديوانان هما المعتمدان لدى العلماء في المراجعة والتخريج . وان الاستدراك والاضافة انما يتمان بعد تأكد الباحث من عدم ورود الشعر المستدرك فيهما .

وقد بينتُ آنفاً أن الجزء الرابع من طبعة الأستاذ الطاهر الثانية (سنة ١٩٧٦ م) قد اشتمل على كثير مما جاء في الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي . ولكن لايجوز الاكتفاء به في المراجعة ، لأن الأستاذ الطاهر لم يستطع الوفاء بما تعهد به من تضمين الطبعة الثانية للجزء الرابع من الديوان (ملحقات الديوان) كلَّ ماتفرّد به الديوان الذي جمعه الآستاذ العلوي[٤] .

١ ـ استدرك الأستاذ الباحث الدكتور رضوان النجار على ديوان بشار المطبوع ثلاثة أبيات ، وكان يعني بالديوان المطبوع الديوان الذي قام بجمعه الأستاذ بدر الدين العلوي . ولكنه حين سرد ثبت المصادر والمراجع في ختام بحثه أغفل ذكر هذا الديوان البتة ، وأدرج اسم ديوان بشار بن برد الذي تولّى تحقيقه الأستاذ الكبير محمد الطاهر بن عاشور[٥] .

٢ ـ استدرك الأستاذ الفاضل قول بشار :

فسد الزمانُ وساد فيه المقرفُ ... وجرى مع الطِّرْفِ الحمارُ الموكفُ

استمده من كتاب المحاضرات لليوسي ، وذكر أنه لم يرد في ديوان بشار

---

(٤) أشار الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه : ذخائر التراث العربي الاسلامي (١ : ٣٧٩ / ط ١٩٨١ م) إلى طبعتي الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، وإلى كتاب المختار من شعر بشار . وسها عن الإشارة الى طبعة الأستاذ بدر الدين العلوي .

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ ص : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ .

الذي جمعه وحققه السيد بدر الدين العلوي(٦) .

- لم يرد البيت المذكور آنفاً في الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي ، ولكنه ورد في الديوان الذي جمعه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، استمده من كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر(٧) .

٣ - واستدرك الأستاذ الفاضل بيتين هما :

كريمٌ يغضّ الطرفَ عند حيائه ويدنو وأطرافُ الرماح دوانِ
وكالسيف إن لاينته لان متنهُ وحدّاه إن خاشنته خشنانِ

وذكر أن الجاحظ أوردهما في البيان والتبيين دون أن ينسبهما ، وأن الثاني منهما ورد في محاضرات اليوسي وحماسة البحتري من غير نسبة . ولكن البيت الثاني جاء في ديوان بشار بن برد (جمع العلوي) ، فيكون الأول منهما لبشار أيضاً(٨) .

لعله يحسن أن أذكر البيتين قد عُزيا الى غير شاعر . وكان على الأستاذ الباحث أن يشير الى ذلك ، لئلا يظن القارئ أن البيتين لم ينسبا إلا لبشار ، لايشركه فيهما أحد . وهذا خلاف ماجاءت به الروايات .

فقد ورد البيتان في خاص الخاص للثعالبي منسوبين الى أبي الشيص الخزاعي . ثم خرّجهما محقق الكتاب الدكتور صادق النقوي فقال : « ورد البيتان في زهر الآداب وديوان الحماسة وديوان المعاني والبيان والتبيين من

(٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ ص : ٢٤٥ .

(٧) ديوان بشار بن برد لمحمد الطاهر بن عاشور ، الجزء الرابع - ملحقات الديوان ، ص : ١١٠ (ط ١) ، ص : ١٢٩ (ط ٢) .

(٨) مجلة معهد المخطوطات ، مج ٣١ ج ١ ، ص : ٢٤٦ .

قلت : أثبت الشيخ محمد الطاهر البيت في طبعته الثانية (٤ : ٢٤٧) نقلاً عن الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي .

دون عزو . والأول منهما في المحاضرات وديوان المعاني (في موضع ثان) وشرح النهج من دون عزو . وورد الثاني منهما من دون عزو في التشبيهات وحماسة البحتري والصناعتين والتمثيل والمحاضرة . وعزاه الشريشي في شرح المقامات الى بشار .... »[٩] .

قلت : وقد أورد البيت الثاني منهما محمد بن طباطبا العلوي في كتابه عيار الشعر معزواً الى الراعي[١٠] . ومن أجل ذلك أدرج الأستاذ راينهرت فايبرت البيتين في ملحق ديوان الراعي النميري[١١] .

٤ ـ إن اكتفاء الأستاذ الباحث باستدراك ثلاثة أبيات على ديوان بشار المطبوع (لم يبق له منها بعد العرض الذي قدمناه إلا بيت واحد عُزي الى غير واحد من الشعراء) شيء قليل ، اذا قيس بما تناثر من أشعار بشار في كتب الأدب والمحاضرات ، مما لم يضمه الديوانان المذكوران آنفاً .

٥ ـ ولقد عرض الأستاذ مختار الدين أحمد لديوان بشار صنعة الأستاذ بدر الدين العلوي ، واستدرك عليه سبعة أبيات[١٢] ، هي :

(أ) بيتان على الثاء ، كان قد ذكرهما الأستاذُ الذي استدرك على الديوان في الملحق الذي جعله في آخر الديوان ، نقلاً عن كتاب فصل

---

(٩) خاص الخاص للثعالبي : ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ، قلتُ : قد جاء البيت الثاني في كتاب التشبيهات لابن أبي عون (ص ٢٦٣) معزواً إلى أبي الشيص الخزاعي خلافاً لما ذكره محقق كتاب خاص الخاص للثعالبي .

(١٠) عيار الشعر لابن طباطبا : ٢٥ .

(١١) ديوان الراعي النميري : ٣١٢ ، وقد خرّج البيتين الأستاذ فايبرت في أطروحته WS ، ص : ١٣٦ في مصادر كثيرة ، أبرزها : ديوان ليلى الأخيلية ، وديوان أبي الشيص ، والايجاز والاعجاز للثعالبي ، وخاص الخاص للثعالبي ، والحماسة البصرية ، وأنوار الربيع لابن معصوم ......

(١٢) مجلة المجمع العلمي الهندي ١ / ١ : ١٦٧ .

المقال . (انظر ديوان شعر بشار بن برد لبدر الدين العلوي ـ زيادات واستدراكات ، ص ٢٨٩) .

وذكرهما الدكتور مختار الدين أحمد نقلاً عن الحماسة البصرية . ثم أثبتها الأستاذ الطاهر نقلاً عن الحماسة البصرية[١٣] .

(ب) وقول بشار :

وما الناس إلا حافظٌ ومضيّعٌ وما العيشُ إلا ماتطيب عواقبُهْ

استمده من الحماسة البصرية . وكذلك أثبته الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور من الحماسة البصرية[١٤] .

قلت : وقد أورده أبو علي الحاتمي في حلية المحاضرة[١٥] .

(ج) بقيت أربعة أبيات استمدها الدكتور مختار الدين أحمد من كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي . إن عبارة الثعالبي لاتساعد على القطع بنسبتها إلى بشار ، بل لعلها أقربُ الى نفيها عن بشار .

٦ ـ وقد رأيتُ أن أنقل هنا طائفة من شعر بشار ، مما التقطته من بطون الكتب ، وعلقته على حواشي الديوان ، ولم أره في الديوانين المطبوعين المذكورين آنفاً .

وقد سردتُ هذه الأشعار (وهي قلّ من كثر) لتكون شاهداً ودليلاً لما يمكن تداركه من شعر بشار المبدّد المفرق في المظانّ من كتب الأدب والمحاضرات ، اذا تفرغ له باحث ، رُزق الصبر والمقدرة على تصفح المصادر ومجالسة الكتب . ولستُ من المتشددين الذين يفرطون في التتبع ويبالغون في الاستقصاء ، كأنهم يودون ألا يندَّ عنهم مصدر ، فذلك مالا

---

(١٣) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٣٨ .

(١٤) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٣٤ .

(١٥) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ١ : ٢٤٩ .

يدرك . ولكني أيضاً لاأحبُّ التناول السهل القريب ، الذي لايقتضي بحثاً ودأباً ، ولا يكلف مراجعة وعناء .

(١)

إن الطبيب بطبّه ودوائه لايستطيع دفاع مقدورٍ أتى
ماللطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرىء مثله فيما مضى
هلك المداوَى والمداوي والذي جلب الدواءَ وباعه ومن اشترى

جاءت الأبيات الثلاثة في محاضرات الراغب (٢ : ٤٣٢)، وفي التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص ١٨٢) غير منسوبة ، وأعاد الراغب البيتين الثاني والثالث (المحاضرات ٤ : ٤٨٨) غير منسوبين .

ولكن البيتين الأول والثاني جاءامع ثالث لهما ، ونسبت الأبيات الثلاثة الى بشار في المختار من شعر بشار (ص ٢٨٥)[١٦] .

وهكذا نضيف البيت الأخير الى حصيلة مااشتمل عليه ديوانا بشار .

أما ابن عبد البر فقد روى البيتين الأول والثاني وقدم لهما بقوله : « ولأبي العتاهية ، ويروى لغيره »[١٧] .

(٢)

. . . . على فتكةٍ فالفتك صعب مراكبهْ[١٨]

(٣)

ولا خير في قربى لغيرك نفعُها ولا في صديقٍ لاتزال تعاتبُهْ

(١٦) ديوان بشار بن برد (ملحقات الديوان) ٤ : ٢٣٠ (ط ١) ، ٤ : ٢٥٦ (ط ٢) ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ١٦ ـ ١٧ .

(١٧) بهجة المجالس ١ : ٣٨٨ ، وجاءت الأبيات في كتاب (أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره) : ١٨ ، مع التشكك في نسبتها .

(١٨) حلية المحاضرة ١ : ٢٦١ .

يخـونـك ذو القربى مراراً وربمـا   وفى لك عند الجهد من لاتقاربه

جاء البيتان غير منسوبين في بهجة المجالس لابن البر (١ : ٧٧٨) . أما الديوانان فقد أوردا البيت الثاني فقط ، استمداداً من محاضرات الأدباء للراغب الاصبهاني الذي نسب البيت الى بشار[١٩] . وجاء البيت الأول غير منسوب في الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ص ٢٨١) .

(٤)

بُنَيَّتي ليس بهـا ظبظـابُ
في السرّ من خُرْسان لاتُعـابُ
زُيِّن منهـا النحرُ والرِّهـابُ[٢٠]

(٥)

فـالله أسـألـه إدوام دائهمُ   وأن يديم لنا مـايوجب الحسـدا[٢١]

(٦)

(١٩) ديوان بشار بن برد (ملحقات الديوان) ٤ : ١١ (ط ١) ، ٤ : ١٦ (ط ٢) ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٤٤ .

(٢٠) رسائل أبي العلاء المعري ، تح الدكتور احسان عباس ١ : ٥٦ ، رسالة الغفران لكامل كيلاني ، السفر الثاني : ٥١٥ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٦ ، ج ٣ (تموز ـ ١٩٨١ م) ص : ٦٣٥ ـ ٦٣٧ .

وجاء البيت الأول غير منسوب في اصلاح المنطق لابن السكيت : ٢٨٥ ، وفي اللسان (ظبظب) ، ونسبه إلى بشار الخطيب التبريزي في كتاب : تهذيب اصلاح المنطق : ٧٩٣ .

وجاء البيت الثاني في الصحاح واللسان (خرس) ، وفي معجم البلدان (خراسان) . ونقله من اللسان الأستاذ الطاهر بن عاشور (ملحقات الديوان ٤ : ٢٧ / ط ١ ، ٤ : ٣١ / ط ٢) ، ونقل جزءاً منه من معجم البلدان الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ٢٤).

(٢١) بهجة المجالس لابن عبد البر ١ : ٤١٦ .

فبالله ثق إن عزّ ماتبتغي وقل   اذا الله سنّى عقد أمرٍ تيسّرا[٢٢]

(٧)

روى السريّ الرفاء في المحب والمحبوب لبشار :

وللفظها دَلٌّ إذا نطقت   تركت بنات فؤاده صعرا

كتساقط الرطب الجنيّ من الـ   أفنانِ لانثراً ولا نزرا

وبيَّن الأستاذ المحقق الفاضل مصباح غلاونجي أن البيتين نسبا لأبي دهبل الجمحي ، وعمر بن أبي ربيعة ، وخرّجهما[٢٣] .

(٨)

روى السريّ الرفاء لبشار :

اسقني في اللجين من حلب الكر   م وفي العسجديّ كأسَ المجوسِ

قد صغا النجمُ للهبوط وقد حا   نت صلاةُ الرهبان والقسّيس

هاتها كالشواظ تجمح في الرأ   سِ جماح الحصان غير الشموسِ

أورد السريّ الأبيات الثلاثة في باب السكر ، وكان قد ذكر البيت الثالث في باب أسماء الخمر[٢٤] . .

(٩)

أنشد السريّ الرفاء لبشار :

حوراءُ ألبسها النعيمُ ثيابه   كملت فكانت فوق وصف المفرطِ

ولقد لهوتُ بها فلم أظهر لها   سوءاً ولم أهبط جميع المهبطِ[٢٥]

---

(٢٢) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصلاح الصفدي : ٣٥٥ .

(٢٣) المحب والمحبوب للسريّ الرفاء (تح . مصباح غلاونجي) ١ : ١٦٤ .

(٢٤) المحب والمحبوب ٤ : ٧٩ ، ٣٠٦ .

(٢٥) المحب والمحبوب ٢ : ١٤١ .

(١٠)

روى أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر : « قال بشار : من جيّد قولي :

أنفس الشـــــــوق ولاينفسني وإذا قـــــــارعني الهمُّ رَجَـــعْ
أصرع القِرْنَ إذا نـــــازلتُـــه وإذا صــــــارعني الحبُّ صَرَعْ
عمرَك اللهَ أمـــــــا تعرفني أنـا حرّاثُ المنـايـا في الفـزع
انــــا كالسيف اذا وادعتـــــه لم يروّعــك وان هــزّ قطــع[٢٦]»

وقد أورد الأستاذ محمد الطاهر في طبعة الديوان الثانية أربعة أبيات لبشار ، استمدها من كتاب مجالس العلماء للزجاجي ، أبياتها الثلاثة الأولى هي الأبيات الأول والثاني والرابع التي رواها أبو حيان . أما البيت الرابع في رواية أبي اسحاق الزجاجي فهو :

سيفي الحلمُ وفي منطقتي أســدُ المــوت إذا المــوتُ نَقَــعْ[٢٧]

ويتمُّ لنا من هاتين الروايتين اضافة بيت لم يروه الاستاذ الطاهر .

(١١)

قال أبو حيان التوحيدي : « وأنشد ابن أبي طاهر لبشار :

فسـد الـزمـانُ وسـاد فيــه المقرفُ وجرى مع الطِّرْفُ الحمارُ الموكَفُ
فـدع التبحُّثَ عن أخيـك فـإنــه كسبيكة الذهب الذي لايكلف[٢٨]»

البيت الأول ساقه الأستـاذ محمـد الطـاهر في ملحقـات الـديوان ، والبيت

(٢٦) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٢ / ٢ : ٥١٠ .
(٢٧) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ١٢٣ ، مجالس العلماء للزجاجي : ٢٠٧ .
(٢٨) البصائر والذخائر لأبي حيان ١ : ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

الثاني ساقه الأستاذ بدر الدين العلوي في ديوان شعر بشار[٢٩] . وغايتي من سردهما معاً أن أجمع مافرّقه الديوانان ، وأن أدلّ على أنها من قصيدة واحدة .

(١٢)

قال شارح القصيدة الدامغة : « ومن قول بشار وذكر مَوْتَى :

فـأصبحـوا في التراب مـوتى كأنهم حنظـــلٌ نقيفُ »[٣٠] .

(١٣)

يحتـــوي ودّي كأني شيبـــةٌ بين فروقـــه[٣١]

(١٤)

ذكر الديوانان عدة أبيات لبشار من قصيدته الكافية التي منها بيته المشهور :

يـاأطيب النـاس ريقـاً غير مختبر إلا شهـادة أطراف المساويـكِ[٣٢]

ويضـاف الى مـاذكراه البيتـان اللـذان أوردهمـا الحصري في جمع الجـواهر وهما :

يسرّني وجهـكِ المعشـوق مقبلـةً وإن تـوليتِ راعتني تـواليـك

كأن مسكاً وريحـانـاً وغـاليـةً مابين حجلك أو أعلى ذفاريـكِ[٣٣]

---

(٢٩) ديوان بشار بن برد للأستاذ محمد الطاهر (ط ١) ٤ : ١١٠ ، (ط ٢) ٤ : ١٢٩ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ١٥٩ .

(٣٠) كتاب القصيدة الدامغة : ٩٨ .

(٣١) المنصف لابن وكيع : ٣٧٦ .

(٣٢) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ ، (ط ٢) ٤ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ديوان شعر بشار بن برد : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر لأبي اسحاق الحصري القيرواني : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

وكذلك الأبيات التي جاءت في الحماسة البصرية وهي :

أغراكِ بالبخل قلبٌ لايلين لنا ... ياليته مرةً بالجود يُغْريكِ
قالت ملكت ولم تملك فقلت لها ... ماكل مالكة تُزْري بمملوكِ
اذا ملكت ولم تعطين (؟) من سعةٍ ... فمن يؤمّل معروف الصعاليك[٣٤]

والبيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة استدركه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور في طبعة ديوانه الثانية[٣٥] .

ويحسن أن نشير إلى أن هذه الأبيات لم تصفُ خالصة لبشار ، فقد اختلطت أبيات منها وتداخلت بأبيات ليعقوب بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد (ويعرف بفروخ الطلحي المدني)[٣٦] ، قالها في وهبة جارية محمد بن عمران القروي[٣٧] .

(١٥)

أخٌ خيرُ من آخيتُ أحملُ ثقله ... ويحملُ عني حين يفدحُني ثِقْلي
أخٌ إن نبا دهرٌ به كنتُ دونه ... وإن كان كونٌ كان لي ثقةً مثلي
أخٌ ماله لي لستُ أرهبُ بخلَه ... ومالي له لايرهبُ الدهرَ من بُخْلي[٣٨]

(١٦)

(٣٤) الحماسة البصرية ٢ : ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٣٥) ديوان بشار بن برد للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (ط ٢) ٤ : ١٤٦ .

(٣٦) أخبار فروخ الطلحي في : معجم الشعراء للمرزباني : ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ، ومراتب النحويين : ٦٠ ، والأغاني (ط . دار الكتب) ١٥ : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٢٠ : ١٠١ .

(٣٧) الأغاني (ط . دار الكتب) ١٥ : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٢٠ : ١٠١ .

(٣٨) الجليس والأنيس ٢ : ٣٦٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ٥ : ٢٣١ (ترجمة دعبل) .

أقولُ وقد غَصَّت عيونٌ بمائها   علينا ومن دمعي كَمِينٌ ومرسَلُ
وجدت دموع العين تجري غروبها   أخفَّ على المحزون والصبرُ أجملُ(٣٩)

(١٧)

. . . .   ليس في منع غير ذي الحق بخلُ(٤٠)

(١٨)

. . . .   وليس إلى أهل السماء سبيلُ(٤١)

(١٩)

. . . .   وللفقرُ خيرٌ من سؤال بخيلِ(٤٢)

(٢٠)

ذكر الديوانان طائفة من أبيات بشار من قصيدته الشهيرة التي مدح

---

(٣٩) المحب والمحبوب ٢ : ٣١ ، والثاني منهما في محاضرات الأدباء ٣ : ٨٢ ، وصدر البيت الأول رواه الطاهر بن عاشور في ملحقات الديوان ٤ : ٩ (ط ١) ، ٤ : ١٤ (ط ٢) .

(٤٠) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٣ .

(٤١) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٢ .

(٤٢) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٢ ، وعلّق محقق الحلية الدكتور جعفر الكتاني (١ : ٢٧٤ رقم ٤٤١) بأنه لم يجد البيت بين لاميات بشار . وذكر بيت أبي الأسود الدؤلي (العقد لابن عبد ربه ٦ : ١٩٦ ، نهاية الأرب ٣ : ٣١٤) :

يلومونني في البخل جهلاً وضلّة   وللبخلُ خير من سؤال بخيل

وبيتي عبد الله بن المعتز (نهاية الأرب ٣ : ٣١٥) :

أعاذل ليس البخل مني سجية   ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتي خير من البخل للفتى   وللبخل خير من سؤال بخيل

وبيتاً لشاعر مجهول قاله في تحسين القبيح (العقد لابن عبد ربه ٥ : ٣٣٦) :

يقولون لي إني بخيل بنائلي   وللبخلُ خير من سؤال بخيل

بها عمر بن العلاء والتي يقول فيها :

ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا انف الكَرَمْ
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريشُ العَجَمْ[٤٣]

ويضاف إلى ماذكراه البيتُ الذي أورده السريّ الرفاء في المحب والمحبوب :

أصفراءُ رقّي على عاشق به لمّ منكِ أو كاللّمَمْ[٤٤]

والبيتُ الذي جاء في جمع الجواهر :

وجال اللواءُ على رأسه يدوّمُ كالمضرحيّ القَرِمْ[٤٥]

(٢١)

كأن المنايا عُلّقت بسيوفنا يُصبن المفدّى والغوىّ المذمّما[٤٦]
وماحلبت بعد النوال أكفنا دماً جارياً إلا لمن كان أظلما
وأيام من عزّ امرأ بزّ ماله . . . .

(٢٢)

روى الديوانان أبياتاً من قصيدة بشار التي منها بيته المشهور :

هل تعلمين وراء الحب منزلة تُدني اليكِ فإن الحبّ أقصاني[٤٧]

---

(٤٣) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ١٥٦ ـ ١٦١ ، (ط ٢) ٤ : ١٧٨ ـ ١٨٣ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٢١٤ ـ ٢١٨ .

(٤٤) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١ : ٢٢٤ .

(٤٥) جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري : ٣٤٧ ، المضرحيّ : النسر . وقال أبو عبيد : الأجدل والمضرحيّ والصقر والقطامي واحد . (اللسان) .

(٤٦) المختار من شعر بشار / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦١ ، ج ٤ ، ص : ٦٥٢ .

(٤٧) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، (ط ٢) ٤ : ٢٣٧ ٢٣٨ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ويضم إلى ماجاء في الديوانين بيت أورده السريّ الرفاء وهو :

لعـل يـومـاً إلى يـوم يقلّبهـا والـدهر يلبس ألـواناً بـألـوانِ[٤٨]

(٢٣)

روى الـديـوانـان عـدة أبيـات لبشـار من قصيـدتـه التي منهـا بيتـه السائر :

راحت ولم تعطـه برءاً لعلتـه منها ولو سألته النفسَ أعطاهـا[٤٩]

ويضم إلى ماأورده الديوانان بيتان أوردهما الحصري في جمع الجواهر :

تغمّـه نفسـه من طـول صبـوتهـا حتى لو اجتمعت في الكفّ ألقاهـا[٥٠]

ماشـاهـد القوم إلا ظلّ يـذكرهـا ولا خـلا سـاعـة إلا تمنـاهـا

٧ ـ ومن الاستدراك على الدواوين أن يتنـاول البـاحث مـاوقع فيـه جامعوها من وهم وسهو واضطراب وغلط في جمع الأبيـات وضمهـا بعضهـا إلى بعض . ولاأعرض هنا لما يتصل بالروايات والألفـاظ ومـاأصابها من تحريف وتصحيف ، فـذلـك بـاب آخر يتصل بتصحيح الشعر وضبطـه . وانما غرضي من الاستدراك هنا أن يكشف الباحث المستدرك عمـا وقع في الجمع نفسـه من خلل ونقص وتلفيـق . وهـو أمر أغفلـه الأستـاذ البـاحث اغفالاً تاما .

ولن أتقصى مـاجـاء في الـديوانين من هـذا الضرب ، وانمـا هو المثـل والشاهد .

---

(٤٨) المحب والمحبوب ٢ : ١٩٠ .

(٤٩) ديوان بشـار بن برد (ط ١) ٤ : ٢٣٠ ، (ط ٢) ٤ : ٢٥٦ ، ديوان شعر بشـار بن برد للعلوي : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٥٠) جمع الجواهر : ١٧٥ .

(١)

من مستدركات الأستاذ الطاهر على ديوان بشار (الملحقات ٤ : ٧ / ط ١ ، ٤ : ١٢ / ط ٢) :

ترجع النفس اذا وقّرتها وشفاءُ الهمّ في خمرٍ وماء

واستدركه أيضاً الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار بن برد : ١٦) ، وكلاهما قد استمدّ البيت من كتاب فصول التماثيل لابن المعتز .

وكنتُ بينت في كلمة لي سابقة أن هذا البيت قد ورد في الديوان في قصيدة همزية لبشار (الديوان ١ : ١٣٢ ـ ١٣٣) . وقد أخطأ المحقق الأستاذ الطاهر رحمه الله إذ قصر الممدود وجعل قافية القصيدة الألف المقصورة . وإن رواية البيت في فصول التماثيل لابن المعتز ، وهو من أبيات القصيدة لتؤيد ماذهبنا اليه وتعزّزه[٥١] .

(٢)

ومن مستدركات الأستاذ الطاهر (ملحقات الديوان ٤ : ٣٤ / ط ١ ، ٤ : ٤٤ / ط ٢) :

لخدّيْكَ من كفيك في كل ليلةٍ إلى أن ترى وجه الصباح وسادُ

تبيت تراعي الليل ترجو نفاده وليس لليل العاشقين نفادُ

وهو سهو من الشيخ رحمه الله ، فالبيتان قد وردا في الديوان الذي حققه الشيخ الطاهر نفسه ضمن قصيدة مطلعها :

نبا بك خلف الظاعنين وسادُ ومالك إلا راحتيك عمادُ[٥٢]

(٣)

(٥١) نظرات في ديوان بشار بن برد : ٥٤ ـ ٥٥ .

(٥٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٣٥ .

ومن مستدركات الطاهر على ديوان بشار (ملحقات الديوان ٤ : ٣٦ / ط ١ ، ٤ : ٤٦ / ط ٢) :

فوالله ماأدري وكل مصيبة ... بأيّ مكيدات النساء أكادُ
غرور مواعيد كأن جداءها ... جَدا بارقاتٍ مزنُهنّ جمادُ

والبيتان قد وردا في الديوان ، وفي القصيدة نفسها التي ذكرنا مطلعها آنفا[٥٣] .

(٤)

ومن مستدركات الطاهر (ملحقات الديوان ٤ : ٨١ / ط ١ ، ٤ : ٩٦ / ط ٢) :

والثدي تحسبه وسنانَ أو كسلاً ... وقد تمايل ميلاً غير منكسرِ

ولايصح استدراكه ، لأنه البيت الذي ورد في الديوان من قصيدة مطلعها :

ياخاتم الملك ياسمعي ويابصري ... زوري ابن عمك أوطيبي له يَزُرِ[٥٤]

وهو يصحح رواية الديوان في البيت .

(٥)

وأورد الطاهر من مستدركاته مطلع قصيدة لبشار (الملحقات ٤ : ١٩٣ / ط ١ ، ٤ : ٢١٣ / ط ٢) :

أفيضا دماً إن الرزايا لها قيم

وهذا الشطر ليس لبشار ، وإنما هو لابن الرومي من قصيدة شهيرة له

(٥٣) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٥٤) ديوان بشار بن برد ٣ : ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

قالها في رثاء أمه ، مطلعها :

أفيضا دماً ان الرزايا لها قيَمْ فليس كثيراً أن تجودا لها بدمْ
ولاتستريحا من بكاءٍ الى كرى فلا حمد مالم تسعداني على السأم

وهي قصيدة طويلة ، بلغت عدة أبياتها (٢٠٥) بيت[٥٥] .

(٦)

واستمد الأستاذ الطاهر من ديوان شعر بشار بن برد للسيد بدر الدين العلوي ليستدرك قول بشار (ملحقات الديوان ٤ : ٢١٤ / ط ٢) :

بدا لك ضوءٌ ماالحتجبت عليه بدوّ الشمس من خللِ الغمامِ

ولاحاجة به لذلك ، فقد كان استدرك البيت نفسه من قبل[٥٦] .

(٧)

وأورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٨) ثلاثة أبيات لبشار هي :

تزلُّ القوافي عن لساني كأنها حماتُ الأفاعي ريقُهن مقضّبُ
فكم من أخٍ قد كان يأمل نفعكم شجاع له ناب حديد ومخلبُ
أخ لو شكرتم فعله لعضضتم رؤوس الأفاعي عضّ لايتهيّبُ

وقد استمدّ الأستاذ العلوي هذه الأبيات من كتاب الحيوان للجاحظ (الطبعة الأولى) .

وجاءت الكلمة الأخيرة من البيت الأول في طبعة الحيوان :

---

(٥٥) ديوان ابن الرومي ٦ : ٢٢٩٩ ـ ٢٣١٢ ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤٦ ـ ٤٧ .

(٥٦) ديوان بشار ٤ : ١٨٦ / ط ١ ، ٤ : ٢٠٦ / ط ٢ .

(قِضابُ) ، فصححها الأستاذ العلوي إلى (مقضّب) فوقع في الخطأ .

وقد وردت الأبيات على الصواب في طبعة الحيوان (٤ : ٢٦١ / تح الأستاذ عبد السلام هارون) : « وقال بشار :

تـزلُّ القـوافي عن لسـاني كأنهـا   حمـات الأفـاعي ريقُهُنَّ قَضَـاءُ

[وقال] :

فكم من أخٍ قـد كان يـأمـل نفعكم   شجـاعٌ لـه نـابٌ حـديـد ومخلبُ

أخ لـو شكرتم فعلـه لـو عضضتم   رؤوس الأفـاعي عضّ لايتهيب» .

والبيت الأول من شعر بشار قد ورد في ديوانه (١ : ١٢٩) من قصيدة عدة أبياتها (٣٧) بيتاً .

وأورده العلوي في الديوان الذي جمعه (ديوان شعر بشار : ١١) .

أما البيتان التاليان فهما كما قال الأستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب الحيوان : « قد يكون القائل بشاراً وقد يكون غيره » .

(٨)

وأورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ٣٨) قول بشار :

وقـــد أعقبتـــه الجنـــو   بُ روقـــاً من الأزيبِ

وصحة بيت بشار :

أعقبتـه الجنـوب روقـاً من الأز   يبِ حتى حبـا حُبُـوَّ الأسيرِ[٥٧]

(٩)

ولبشار البائية الشهيرة التي قالها يفخر فيها بأيام قيس عيلان ،

(٥٧) ديوان بشار ٣ : ٢١٢ ، نظرات في ديوان بشار : ١٧٦ ـ ١٧٧ .

ويمدح يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومطلعها :

جفا وده فازورّ أوملّ صاحبه وأزرى به أن لايزال يعاتبه[٥٨]

ولبشار قصيدة أخرى على وزنها ورويّها ، لم نظفر بمطلعها ، وبقي منها في الديوان عشرة أبيات ، أولها :

فياحزنا هلا بنا كان مابه من الودّ إذ تبكي عليه قرائبه[٥٩]

ولما عرض الأستاذ بدر الدين العلوي لجمع أبيات بائية بشار الشهيرة (ديوان شعر بشار : ٤٢ ـ ٤٨) ضمّ اليها كل الأبيات التي نسبت لبشار ، والتي توافق البائية وزناً ورويّا .

وهذا أمر غير جائز في جمع الشعر ، إذ لايجوز ضم الأبيات المتشابهة وزناً وروياً ، مالم تقمْ بيّنة قاطعة على أنها من قصيدة واحدة .

(١٠)

أورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ٥٠) بيتاً لبشار في باب الباء :

وقفتُ بها القلوص ففاض دمعي على خدي وأسعدني عصابه

وقد استمده الأستاذ العلوي من طبعة للعقد قديمة محرفة ، فتابع التحريف وأثبت البيت في باب الباء ، فأخطأ .

ثم أورده على الصواب بعد ذلك في باب الياء (ديوان شعر بشار : ٢٤٨) :

وقفتُ بها القلوص ففاض دمعي على خدّي وأقصر واعظايه

وقد استمده من كتاب الأغاني وبدائع البدائه .

(٥٨) ديوان بشار ١ : ٣٠٥ ـ ٣٢٣ .

(٥٩) ديوان بشار ١ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

قلت : جاء البيت على الصواب في طبعاتِ العقد الأخرى (انظر العقد ٥ : ٣٨٢ / تح . أحمد أمين والزين والأبياري) .

(١١)

أورد الأستاذ العلوي لبشار (ديوان شعر بشار بن برد : ٦٧) :

سكنتَ سكوناً كان رهناً بوثبةٍ عماسٍ كذاك الليثُ للوثب يلبدُ

وتابعه الشيخ الطاهر فاستمد البيت منه ليضمه إلى الملحقات في طبعتها الثانية (٤ : ٥٨ / ط ٢) .

وليس البيت لبشار ، وإنما هو لابن الرومي ، وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها (٢٨٢) بيت ، قالها ابن الرومي في مديح صاعد بن مخلد ، ومطلع القصيدة :

أبين ضلوعي جمرةٌ تتوقّدُ على مامضى ام حسرةٌ تتجدّدُ[٦٠]

والبيت المذكور هو البيت الثاني والتسعون بعد المئة .

(١٢)

نقل الأستاذ بدر الدين العلوي بيتين لبشار من كتاب الأشباه والنظائر وذكر أنهما لم يردا في ديوان بشار ، وتابعه الشيخ الطاهر فاستمد منه البيتين ليضمهما إلى الملحقات في طبعتها الثانية (ديوان بشار بن برد للعلوي : ٧٧ ، ديوان بشار للطاهر ٤ : ٥٨ / ط ٢) . والبيتان هما :

حتى إذا بعث الصباح فراقنا ورأين من وجه الظلام صدودا

جرت الدموع وقلن فيك جلادة عنا ونكره أن تكون جليدا

والحق أن الاستاذين الفاضلين وقعا في السهو والنسيان . فقد ورد

(٦٠) ديوان ابن الرومي ٢ : ٥٨٤ ـ ٦٠٣ ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤٤ ـ ٤٩ .

البيتان في قصيدة جميلة قالها بشار في مديح سلم بن قتيبة ، وحفظ لنا الديوان منها اثنين وستين بيتاً ، والبيتان المذكوران هما في ترتيب الأبيات الرابع والعشرون والخامس والعشرون[٦١] .

(١٣)

ومن مستدركات الاستاذ بدر الدين العلوي قول بشار (ديوان شعر بشار بن برد : ١٠٧) :

كأنما النقع يوماً فوق أرؤسهم سقفٌ كواكبه البيضُ المباتيرُ

وجاء ذلك كذلك في مستدركات الشيخ الطاهر (٤ : ٥٨ / ط ١ ، ٤ : ٧٢ / ط ٢) .

وهذا البيت ملفّق ، صدره لبشار وعجزه للعتّابي ، وانما أوقع الاستاذين الفاضلين في هذا الغلط متابعتهما طبعة كتاب الحيوان القديمة (الأولى) . وصحة رواية بيت بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٦٢]

وصحة رواية بيت العتابي (كلثوم بن عمرو) :

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتيرُ[٦٣]

(١٤)

أورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٥٣) ثلاثة أبيات أولها :

---

(٦١) ديوان بشار ٢ : ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

(٦٢) ديوان بشار ١ : ٣١٨ ـ ٣١٩ .

(٦٣) أسرار البلاغة للجرجاني (١٩٣٩ م / القاهرة) : ١٥١ ، (ط . ريتر) : ١٥٩ ـ ١٦٠) ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤١ .

وكذبتُ طرفي عنك والطرف صادق   وأسمعتُ أذني فيك ماليس تسمعُ

ضمن أبيات من قصيدة أخرى أولها :

أأبكاك داعٍ في الصباح سميعُ   وطيفٌ سرى من نهروان يريعُ

ولم يتنبه الى أن الأبيات التي استمدها من المنتحل للثعالبي هي من قصيدة أخرى .

(١٥)

نسب الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٥٤) بيتاً لبشار وهو :

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفسٍ   تسيل من الآماق والسِمّ أدمعُ

والبيت للمتنبي ، من قصيدته التي قالها في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي ، ومطلعها :

حشاشة نفسٍ ودّعت يوم ودّعوا   فلم أدر أيّ الظاعنين أشيّعُ[٦٤]

خامساً ـ الاستدراك على شعر أبي تمام

استدرك الأستاذ الباحث على شعر أبي تمام بيتاً واحداً هو قوله :

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى   ويغمر صرف الدهر نائلُه الغَمْرُ

وقد استمده من كتاب أصول البلاغة لميثم البحراني .

وذكر الأستاذ الباحث أن ديوان أبي تمام بشرح التبريزي قد خلا من هذا البيت ، وكذلك المختار من ديوانه للجرجاني[٦٥] .

وعدتُ الى المصادر والمراجع التي عدّدها الاستاذ الباحث ازاء اسم أبي تمام ، فاذا هو يسرد المصادر التالية : الحماسة لأبي تمام ، وديوان أبي تمام ،

---

(٦٤) ديوان المتنبي للبرقوقي ١ : ٤١٠ .

(٦٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ١ ، ص : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

الذي نشره الأستاذ الخياط ببيروت ، وديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، والمختار من شعر بشار (اختيار الخالديين) . ثم يذكر ازاء كلمة الجرجاني : المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام(٦٦) .

لقد بينتُ سابقاً أن الاستدراك على الدواوين انما يتم على أتمّ هذه الدواوين وأكملها ، حتى يقدّم المُستدرِكُ على الديوان جديداً قد أغفله سابقوه . ولذلك فلا يجوز التحدث عن كتاب المختار من ديوان أبي تمام للجرجاني ، لأن المختار تنقصه أبيات وقصائد لأبي تمام كثيرة . وانما بناه صاحبه على الاختيار من الديوان ، فهو ينتقي ويصطفي مايتفق وغرضه الذي بنى عليه اختياره .

أما ذكر الحماسة لأبي تمام ، ونحن في معرض الاستدراك على شعر أبي تمام ، فأمر في غاية الغرابة ، لاتفسير له . وأما ذكر المختار من شعر بشار فقد أعجزني أن أتهدّى لأسباب ذكره .

وبيتُ أبي تمام الذي استدركه الأستاذ الباحث بيت مشهور سائر ، وهو من قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ فليس لعين لم يفض ماؤها عُذْرُ

وقد جاء البيت في ديوان أبي تمام بجميع طبعاته المعروفة .

وعدتُ الى ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، وقد زعم الاستاذ الباحث أنه خلا من البيت ، فاذا البيت ثابت مسطور ، لم ينسه التبريزي ولم يغفل عنه .

لقد جاءت قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطائي في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : (المجلد الرابع ، ص ٧٩ ـ ٨٥) ، ورقم البيت المستدرك هو (٢٩) وقد ورد في الصفحة (٨٤) .

(للبحث صلة)

(٦٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ١ ، ص : ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

لحق

استدرك الأستاذ الدكتور رضوان النجار على شعر لبيد بن ربيعة الكلابي العامري أحد عشر بيتاً[٦٧] . وعدّد من قبلُ الطبعات التي عرفها من شعر لبيد ، فذكر :

١ ـ أن الأستاذ ضياء الدين الخالدي قد نشر عشرين قصيدة من شعر لبيد سنة ١٨٨٠ م ،

٢ ـ وأن الأستاذ انطون هوبر قد نشر قطعة من ديوان لبيد سنة ١٨٨٧ م ،

٣ ـ وأن الأستاذ كارل بروكلمان أكمل نشر ديوان لبيد بن ربيعة العامري سنة ١٨٩١ م ،

٤ ـ وأن الأستاذ الدكتور احسان عباس قد قام بجمع شعر لبيد وتحقيقه وطبعه سنة ١٩٦٢ م ،

٥ ـ ثم نشرت دارُ القاموس ببيروت ديوانَ لبيد سنة ١٩٦٤ م[٦٨] .

وقد علّق الأستاذ العلامة الجليل حمد الجاسر في مجلة العرب الغراء (ج ٥ ، ٦ ، س ٢٣ ، تموز / آب ١٩٨٨ م ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٧) على ماأورده الدكتور النجار من مستدركات ، فأشار الى مخطوطة عُمَانية كانت مجهولة ، عثر عليها في مدينة مسقط (بعُمَان) ، تتضمن عدة

(٦٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٦ .

(٦٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وانظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الترجمة العربية) ١ : ١٤٦ ـ ١٤٧ ، وشرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تح . الدكتور احسان عباس): ٣٨ ـ ٣٩ م ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ٢ : ١٥٨٧ ، وذخائر التراث العربي الاسلامي للأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ٢ : ٧٩٦ .

دواوين ، وفيها أشعار للبيد لم ترد في ديوانه الذي قام بتحقيقه الدكتور احسان عباس . وهي في حدود سبعين بيتاً .

وبيّن الأستاذ الجاسر أن البيت الذي استدركه الدكتور رضوان من شعر لبيد نقلاً من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني وهو قوله :

مصاعيبُ محرّمةٌ ذراها لفحل لم يُدَيَّثْ باقتعادِ

من مقطوعة جاءت في المخطوطة في خمسة أبيات ، وأن الدكتور احسان عباس أورد منها بيتين نقلها عن تهذيب الألفاظ والأساس واللسان والتاج (شرح ديوان لبيد : ٣٥٠ ، ٤٠١)[٦٩] .

أما البيتان اللذان استدركهما الأستاذ النجار من كتاب نظام الغريب وكتاب خلق الانسان لثابت وهما :

إياكَ أن يغمز منكَ الفائقُ
غمزاً ترى أنك منه ذارقُ

فقد جاءا في شرح ديوان لبيد للدكتور احسان عباس (ص ٣٥٦) ، ضمن أرجوزة من عشرة أبيات نقلها الدكتور عباس من كتاب الأغاني ، وأشار أيضاً الى ورود البيتين المذكورين آنفاً في كتاب نظام الغريب . وقد وردت الأرجوزة تامة في المخطوطة[٧٠] .

والبيتان الأخيران اللذان أوردهما الدكتور النجار في مستدركاته نقلاً عن كتاب الجيم ، وهما :

ويوم بني لحيان أدركتُ تَبْلكم وأنقذت عمراً من علاطٍ ورَوْسمِ
فيا راكباً إمّا عرضتَ فبلغَنْ بني جعفرٍ حلُّوا على كل موسم

فهما من منظومة وردت في المخطوطة في ثمانية أبيات . وأورد الدكتور

(٦٩) انظر الأبيات الخمسة في مجلة العرب (ج ٥ ، ٦ ، س ٢٢) : ٣٦٥ .

(٧٠) مجلة العرب : ٣٦١ .

إحسان عباس منها بيتاً واحداً نقلاً عن كتاب معجم ماستعجم للبكري (شرح ديوان لبيد : ٣٥٢ ، ٤٠٢) وهو :

على الراكب المتروك آخر عهده   بوادي السليل بين علوى وعيهم[٧١]

ثم أورد الأستاذ العلامة الجاسر ماتفردت به المخطوطة العُمانية من أشعار لبيد مما لم يرد في شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري الذي حققه الأستاذ الدكتور احسان عباس .

(٧١) انظر الأبيات الثانية في مجلة العرب : ٣٦٣ .

آراء وأنباء



الدكتور صبحي المحمصاني

رسمه الأخير

الدكتور صبحي المحمصاني

العضو المراسل لمجمع اللغة العربية

۱۳۲٤ ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٦ م

كانت آخر رسالة تلقيتها من فقيد المجمع الكبير الدكتور عمر فروخ مؤرخة في ١٧ / ٨ / ١٩٨٧ ، وقد حملها إليّ رسوله بعد وفاته بما يقرب من شهرين[1] ، وفيها ينعى إلى المجمع صديقه وزميلنا الدكتور صبحي المحمصاني ، وقد جاء فيها مايلي :

« ويبدو أن صبحي المحمصاني كان يعاني مرضاً ظهرت عليه أعراضه الواضحة في العام ١٩٨٤ ، فأخذ في علاجه في بيروت وفي فرنسة ، ولكن المرض استعصى على العلاج فتوفيّ صبحي المحمصاني في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٨٦[2] » .

(١) انظر ماكتبناه عن فقيد المجمع الدكتور عمر فروخ وتاريخ وفاته وبخاصة الهامش المتضمن تحقيقاً في تاريخ مولده في الجزء الأول من المجلد ٦٣ من مجلة مجمع اللغة العربية .

(٢) هذا التاريخ يوافق الخامس من محرم سنة ١٤٠٧ هـ .

وفيما يلي موجز حياة الفقيد صبحي المحمصاني وأهم آثاره ومؤلفاته مع تقييم بعضها : بقلم د . عدنان الخطيب

مولد الفقيد ودراساته

ولد الفقيد الدكتور صبحي بن محمد رجب المحمصاني عام ١٣٢٤ للهجرة ـ ١٩٠٦ للميلاد في مدينة بيروت ، يوم كانت بيروت عاصمة إحدى ولايات سورية العثمانية ، حيث كانت أقاليمها تمتد من عكا في فلسطين جنوبا إلى اللاذقية ومايتبعها شمالا ، وهي تلفّ حول متصرفية (جبل لبنان) المرتبطة مباشرة بالصدارة العظمى في استانبول متمتعة باستقلال إداري ونظام خاص مضمون من قبل الدول الأوربية[٣] .

كان تحصيل صبحي المحمصاني الابتدائي مضطربا بسبب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م ، لأن المدارس الرسمية وحتى غير الرسمية كانت شبه مفقودة في بيروت في أثناء تلك الحرب ، فلما كانت سنة ١٩١٩ ، وكانت بيروت تحت الاحتلال العسكري الفرنسي ، دخل صبحي المحمصاني مدرسة « رأس بيروت التابعة للكلية السورية الإنجيلية ، وقد جاز مع رفاق له الصفوف الابتدائية باللغة الإنكليزية مع الصفين الأول والثاني من المرحلة الثانوية في عامين دراسيين . وفي عام ١٩٢١ ، وكان الانتداب الفرنسي قد فرض على سورية ولبنان ،

(٣) كان مما أدت إليه أطماع الدول الغربية في تمزيق أوصال الدولة العثمانية ثم القضاء عليها ، والفتن التي أيقظتها في بعض الأقاليم ومانجم عنها من مذابح طائفية سنة ١٨٤٠ ثم في سنة ١٨٦٠ م ، أن ضعفت الدولة العثمانية تجاه ضغوط تلك الدول واضطرت إلى اعطاء جبل لبنان استقلالا إداريا بموجب نظام موقت وقعته الدولة مع مندوبي كل من فرنسة وانكلترة وروسيا والنمسا وبروسيا ، ثم أقر النظام نهائياً مع بعض التعديل سنة ١٨٦٤ وانضمت ايطاليا إلى الموقعين عليه . انظر كتب التاريخ وبخاصة كتاب (ولاية بيروت) للتميمي والحلبي بيروت ١٩١٦ . ومذكرات يوسف الحكيم في جزء (بيروت ولبنان في عهد بين عثمان) بيروت ١٩٦٤ .

انتقل صبحي المحمصاني إلى الصف الثالث من الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ، كما أصبح اسم الكلية السورية الانجيلية في تلك السنة ، وفي عام ١٩٢٤ نال صبحي المحمصاني شهادة الدائرة الاستعدادية بتفوق كبير ، إذ كان معدل علاماته في جميع الدروس يجاوز ٩٢ ٪ ، فكان الأول بين الخريجين وخطيب حفل التخرج باللغة الانكليزية .

وآثر صبحي المحمصاني دراسة علم الحقوق في فرنسة على غيره من العلوم فتوجه إليها ، ومن جامعة ليون نال (الاجازة) ثم (الدكتوراه) عام ١٩٣٢ مع شهادتين للدراسات العليا في القانون الخاص والاقتصاد وتوجه بعدئذ إلى إنكلترة حيث نال درجة (بكالوريوس في الحقوق) عام ١٩٣٥ من جامعة لندن .

كان صبحي المحمصاني يتابع تحصيله في كل من فرنسة وإنكلترة وهو يعمل في القضاء اللبناني منذ عام ١٩٢٩ إذ تولى المناصب التالية :

١ ـ قاضي محكمة صور .

٢ ـ حاكم صلح الشوف .

٣ ـ مستنطق بيروت .

٤ ـ مستشار في محكمة الاستئناف المختلطة .

٥ ـ قاض ورئيس غرفة محكمة الاستئناف والتمييز في بيروت من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٤٦ .

٦ ـ ومنذ أوائل عام ١٩٤٧ ترك فقيدنا القضاء ليتعاطى المحاماة مع المناصب التالية :

٧ ـ أستاذ في كليات الحقوق في الجامعات اللبنانية واليسوعية ومعهد الدراسات العربية من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٧٤ .

٨ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق جامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٤٥ .

٩ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ .

١٠ ـ عضو الشعبة الوطنية لمحكمة التحكيم الدولية .

١١ ـ عضو أو رئيس عدد من لجان التحكيم الدولية .

١٢ ـ رئيس لجنة العلوم .

ولما كان الدكتور صبحي المحمصاني يعتبر أن من واجب الفئات المثقفة والمستنيرة في لبنان أن تشارك في العمل السياسي من أجل وضع علمها وخبراتها في خدمة لبنان واللبنانيين ، وكان يتمنى أن يصل العمل السياسي فيه إلى درجة الرقي الحضاري ، قام عام ١٩٦٤ بترشيح نفسه عن مدينةبيروت في الانتخابات النيابية فنجح فيها ، وبذلك تولى :

١٣ ـ النيابة عن بيروت من عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ .

١٤ ـ وفي عام ١٩٦٦ اختير وزيراً للاقتصاد الوطني اللبناني .

غير أن التجربة السياسية للدكتور صبحي المحمصاني كانت على غير مايشتهي ، كما يقول في ترجمة ذاتية له ، فاستقال وآثر بعد تركه الوزارة الانصراف مجدداً إلى العمل العلمي والجامعي وإلى التأليف والبحث والتحقيق في عدد من الموضوعات الإسلامية والفقهية والقانونية والتشريعية .

مؤلفات الفقيد وآثاره

للدكتور صبحي المحمصاني مؤلفات قيمة ودراسات جيدة ، ومن أهم آثاره مايلي :

١ ـ فلسفة التشريع في الإسلام ، الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠ ، والترجمة الأوردية لاهور (باكستان) عام ١٩٥٥ ، والترجمة الانكليزية لايدن عام ١٩٦١ ، والترجمة الفارسية طهران ١٩٦٨ .

٢ ـ النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية جزءان ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٢ ، والترجمة الايرانية طهران عام ١٩٦٣ .
٣ ـ الاوضاع التشريعية في الدول العربية ، الطبعة الرابعة بيروت عام ١٩٨١ .
٤ ـ المبادىء الشرعية والقانونية (الحجر والمواريث والوصية) الطبعة السابعة بيروت عام ١٩٨١ .
٥ ـ الدستور والديموقراطية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٥١ .
٦ ـ مقدمة في احياء علوم الشريعة بيروت عام ١٩٦٢ .
٧ ـ محاضرات في آثار الالتزام والاوصاف المعدلة لآثار الالتزام وانتقال الالتزام القاهرة عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ .
٨ ـ القانون والعلاقات الدولية في الاسلام ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٨٢ .
٩ ـ الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٧٩ .
١٠ ـ Les idées économiques dIbn Khaldoun Lyon 1932
١١ ـ The principles of International Law in the Light of Islamic Doctrine. Recueil of the Hague Academy. Leyden. 1936
١٢ ـ أركان حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي بيروت عام ١٩٧٩ .
١٣ ـ الأوزاعي وتعاليه القانونية والإنسانية . بيروت عام ١٩٧٨ .
١٤ ـ المجاهدون في الحق . بيروت عام ١٩٧٩ .
١٥ ـ المجتهدون في القضاء . بيروت عام ١٩٨٠ .
١٦ ـ في دروب العدالة . بيروت عام ١٩٨٢ .
١٧ ـ تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء بيروت عام ١٩٨٤ .

الفقيد عضو في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع دمشق الدكتور صبحي المحمصاني عضواً مراسلا له في بيروت ، في الجلسة التي عقدها بتاريخ الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧ ، وصدر المرسوم الجمهوري باعتماد هذا الانتخاب في العاشر من شباط (فبراير) عام ١٩٤٨ تحت رقم ٢٢٣ .

أرفد الدكتور صبحي المحمصاني مجلة مجمع دمشق بعدد من دراساته القيمة ، كما قامت المجلة بالتعريف وتقريظ الكثير من كتبه ومؤلفاته ، وفيما يلي عرض موجز للدراسات التي نشرتها المجلة مع أهم ماعرفت به أو نقدته من مؤلفات الدكتور صبحي المحمصاني :

أولاً : « ابن قيم الجوزية »
ونواحي التجدد في اجتهاده

دراسة قيمة نشرها الفقيد في مجلة المجمع[٤] استغرقت ١٨ صفحة انتهى فيها الى القول : « إن ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين . بل كان من النوابغ الذين نظروا إلى الشريعة الإسلامية على حقيقتها ، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها ، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم .

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد ، فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وافتى بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكات وطرق البينات .

فتوصل بذلك كله . إلى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ،

(٤) انظر المجلد ٢٣ الصفحات ٣٦٣ ـ ٣٨١ سنة ١٩٤٨

وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وماشابه من النظريات والمبادىء ، التي لانراها اليوم إلا في أحدث الشرائع .. .

ثانياً : النظرية العامة
للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية
تأليف المحامي صبحي المحمصاني

تعريف ونقد عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار لكتاب الفقيد استغرق سبع صفحات من المجلة[٥]انتهى به بعد ابداء بعض الملاحظات على ماورد في الكتاب إلى القول بأنه : « من خير ماألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذا عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأوربية ، وترجيحاً للفقه الإسلامي عليها .. » .

ثالثاً: النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية .

مقال علّق فيه الفقيد على تعريف ونقد الشيخ محمد بهجة البيطار الملمع إليه آنفا[٦] . شاكراً الثناء على جهوده في الكتاب موضحاً رأيه قائلاً : « إني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا **من حيث الأسلوب** إلى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية إذ أن الفقه الإسلامي لم يتأثر بفقه الرومان ، وأن قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيا عدا الأسلوب الشكلي فإن الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادىء الأساسية إلى مايماثل النظرية العامة الحديثة وإلى مايفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان .. »

(٥) انظر المجلد ٢٤ الصفحات ١١٨ ـ ١٢٥ سنة ١٩٤٩

(٦) المرجع السابق ص ٣١٠

رابعاً : التشريع اللبناني
واحكام الوصية العامة

بحث نشره الفقيد واستغرق عشر صفحات من المجلة[٧] أشار فيه الى انتقال لبنان من السيادة العثمانية إلى انتداب فرنسة عليه وانتهى فيه إلى القول : « هذا مثل من مسائل الأحوال الشخصية في لبنان ، وهو يدل على اختلاف الطوائف في هذه المسائل ، وعلى صعوبة الغوص في تفاصيلها ، وليس هذا بالمثل الوحيد ، فمسائل الزواج والطلاق والفرقة أشد تشعباً واختلافا ... » إلى أن قال : « ونحن نرى أن توحيد التشريع ممكن في كثير من مسائل الأحوال الشخصية لاسيا وأن الشريعة الإسلامية ليست مذهباً واحداً ، وأن الاجتهاد فيها واجب لامراء فيه ، وأن القاعدة الكلية في هذه الشريعة وفي غيرها من الشرائع الراقية هي أنه : لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

خامساً : المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشره عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة المجمع[٨] ، أثنى فيه على المؤلف وأبدى بعض الملاحظات على ماورد فيه ثم قال : « وقد أحصى ـ المؤلف ـ في آخر المبادىء الشرعية أهم المراجع ، مرتبا اسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مهما تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ثم

(٧) انظر المجلد ٢٧ الصفحات ١٩٨ ـ ٢٠٦ سنة ١٩٥٢

(٨) انظر المجلد ٣٠ الصفحة ٦٤٤ سنة ١٩٥٥

جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف » .

سادساً : محاضرات في القانون المدني اللبناني
ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني
على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشرته مجلة المجمع[٩] بقلم الدكتور عدنان الخطيب تكلم فيه عن محاضرات الفقيد التي طبعها معهد الدراسات العربية في القاهرة ، وقد ختم تعريفه بقوله : « كان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً إلى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الإسلامية في مختلف مذاهبها ، وذلك بأسلوبه القانوني المركز الذي عوّدنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة .. »

سابعاً : المبادىء الشرعية والقانونية
في الحجر والنفقات والمواريث والوصية
الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩

مقال في نقد وتعريف الطبعة الثانية من كتاب الدكتور المحمصاني بقلم عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار نشرته مجلة المجمع فيه اشارة بما أدخله المؤلف
على الطبعة الأولى من تنقيحات[١٠]

---

(٩) انظر المجلد ٣١ صفحة ٤٩٤ سنة ١٩٥٦

(١٠) انظر المجلد ٣٥ ص ١٣٧ سنة ١٩٦٠

ثامناً : مقدمة في إحياء علوم الشريعة

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد الذي جمع فيه محاضرات له ألقاها في تونس ، نشره في مجلة المجمع[١١] الشيخ محمد بهجة البيطار استهله بقوله : « كنا كتبنا من قبل في مجلة مجمعنا العلمي ، على بعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ونوهنا بأن المصنف يستند بنقله إلى أمهات المراجع الإسلامية .. » وبعد أن عدد الناقد مراجع الفقيد الفقهيّة أثنى على جهوده ونبل مقاصده ثم أبدى بعض الملاحظات التي رآها اثناء دراسته الكتاب .

تاسعاً : قاضي قضاة بغداد

وأثره في الفقه الإسلامي

دراسة جديدة لحياة الإمام أبي يوسف يعقوب الأنصاري صاحب الامام أبي حنيفة بقلم الدكتور المحمصاني نشرتها له مجلة المجمع وقد استغرقت عشرين صفحة[١٢] .

ترجم الدكتور المحمصاني لأبي يوسف ترجمة وافية وذكر ولعه بالعلم منذ طفولته مستشهداً بقولة الإمام نفسه : « العلم شيء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك »

ثم تكلم الباحث عن نهج أبي يوسف الفقهي : وقال : « برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضيع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف » ثم تكلم عن الآثار التي تركها أبو يوسف وخصّ كتاب « الخراج » بدراسة مفصلة عن المبادىء التي جاءت فيه والتي تتفق وأحدث النظريات في القانون الإداري .

---

(١١) انظر المجلد ٣٧ ص ٤٧٦ سنة ١٩٦٢

(١٢) انظر المجلد ٤٠ الصفحات ١١٧ ـ ١٣٦ سنة ١٩٦٥

وتكلم الفقيد المحمصاني عن مايسمى بالحيل الشرعية أو المخارج في المسائل الفقهية ورأي الأحناف بها وبخاصة رأي الإمام أبي يوسف وهو من الذين ينظرون إليها على أنها : « تدابير لطيفة لاتصّطدم مع النصوص ، ويقصد بها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو احقاق باطل أو الدخول في التمويه والشبهة » .

كما فصل القول بعدئذٍ في أهم القواعد التي أفتى بها الإمام أبو يوسف مثل « تغير الأحكام بتغير الأزمان » و « التيسير للضرورة » و « التعسف في استعمال الحق » . وأخيراً تكلم عن بعض الأقضية والفتاوى التي حكم بها أو أعطاها أبو يوسف وهي « تصور لنا تعمق الإمام ودرايته وتدقيقه وعدالته ، وتعطينا دليلاً على تأثره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها » .

وأنهى الفقيد بحثه عن أبي يوسف بقوله : « لقد اكتسب مبادىء الفقه من أبي حنيفة ومبادىء القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على مااكتسب ، بجده واجتهاده كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء ».

عاشراً : الجهاد ومسوغاته الشرعية

بحث جليل كتبه الفقيد بمناسبة الأعمال الوحشية التي ارتكبها الصهاينة وأعوانهم في فلسطين والتي تحرمها مبادىء القانون الدولي والإتفاقيات الدولية وقد أدانتها كثير من المؤتمرات الدولية . نشرته مجلة المجمع واستغرق أربع عشرة صفحة[١٣] .

(١٣) انظر المجلد ٤٤ الصفحات ٣٠٩ ـ ٣٢٢ سنة ١٩٦٩

ثم تكلم الفقيد عن مسوغات الحرب الشرعية وقد حصرها بما يلي :

أولاً : حماية الدين وأماكن العبادة .

ثانياً : دفع العدوان عن الديار .

ثالثاً : منع الظلم .

وبعد أن استشهد الفقيد بنصوص القرآن الكريم ختم بحثه بقوله : « وهذا ، بلا مراء ، توكيد سام لبطولة من يضحي في سبيل المبادىء الروحية الخالدة ، والمثل الوطنية العليا ، وتقدير جدير لنضال من يذود عن عز الديار ومجد الوطن ، وكرامة المواطنين » .

أحد عشر : الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية

تأليف الدكتور صبحي المحمصاني

مقال في نقد وتعريف كتاب الدكتور المحمصاني نشره عضو المجمع الدكتور شكري فيصل في مجلة المجمع[١٤] قال في مستهله : « إن معاناة الدكتور المحمصاني لهذه الموضوعات وأبحاثه الدائبة فيها جعلته واحداً من أبرز رجال الفكر التشريعي في الإسلام ، ولكنه في هذا الكتاب يطرق على نحو أوسع وأدق ، موضوع حكمة التشريع ويرى أن « بحوث الدين والأخلاق والقانون في هذه الشريعة تجمعها حكمة روحية واحدة وعلل اجتماعية مترابطة » ومن هنا يصرف همّه في هذا الكتاب ، إلى دراسة (هذه الأسس العامة التي تشكل الدعامة المشتركة للنواحي الروحية والاجتماعية في الإسلام ولجميع أحكامه الدينية والأخلاقية والقانونية) .

وختم الدكتور فيصل تعريفه بالكتاب بالخاتمة التي كتبها الفقيد المحمصاني والتي يقول فيها : « إن الاعتدال هو الدعامة الأساسية في هذه الأحكام جميعاً ومركز الثقل فيها بين جهتين متطرفتين ، فمن جهة أولى

(١٤) انظر المجلد ٤٨ الصفحات ٩١٧ ـ ٩٢٢ سنة ١٩٧٣

تقوم أحكام الدين والأخلاق ، وتترجّح فيها كفة الاحسان إلى جانب الاستقامة والعدل ـ ثم من جهة أخرى تقوم القوانين الشرعية ، وتترجح فيها كفة العدل إلى جانب الاحسان ـ ثم تلتقي الجهتان : جهة الديانة والأخلاق مع جهة الأحكام القانونية ، في توازن مضبوط ، طرفاه الديانة والقضاء ، ومركزه الاعتدال في الاستقامة والعدل ، مع تطعم الاثنين بشيء من الاحسان ، بقدر كثير في الديانة ، وبقدر أقل في القضاء .

وهكذا يتبلور هذا الترابط والتأثير المتبادل في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ ، ويلتقي المتقون مع الفقهاء في القيادة والسيادة وفاق الحديث الشريف : المتقون سادة ، والفقهاء قادة .. » .

من طرائف مؤلفات الفقيد

غذّى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة ، ومن طرائف مؤلفاته الدالة على علمه الغزير وبيانه المشرق وخلقه الرفيع كتابه عن أعلام فقهاء العرب والمسلمين المعنن (**المجاهدون في الحق ـ تذكارات من مالك إلى السنهوري**) وفيا يلي عرض موجز لمحتوياته :

جعل الفقيد مدخله إلى الكلام عن أعلام الفقهاء والمشرعين قوله عن علم الفقه وأقطابه: (كان العرب والمسلمون من المجلين في ميدان العلوم الفقهية ، وقد امتازوا بغزارة الإنتاج في هذه العلوم ، وبالتعمق في التحليل وبالمقدرة على الاستنتاج والاستقراء والتخريج والتفريع . فبنوا بذلك بناء متيناً كاملا من التشريع ، وتراثا ثمينا شاملا من القواعد الكلية والضوابط العامة ، والأحكام الفرعية التفصيلية .

وقد ساعدهم على ذلك أمور أهمها تعدد الأدلة التشريعية ، وتعدد القضايا الطارئة ، وتأثير قواعد الدين والأخلاق . فالأدلة الشرعية التي اعتمدها الفقهاء ، من أدلة نقلية مبنية على نص القرآن الكريم أو السنة

الشريفة ، إلى أدلة عقلية مبنية على القياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستدلال ، كلها وسائل مرنة للبحث العلمي والاجتهاد المنتج .

وكذلك ساعد الفقهاء تعدد القضايا الطارئة ، التي نجمت عن توسع الدولة بالفتوحات ، وعن تغير الأحوال والعوائد والحاجات .

أما تأثير قواعد الدين والأخلاق ، فناتج عن شمول علم الفقه للعبادات والمعاملات جميعاً . فقد اقترنت من جراء ذلك فكرة العدالة بفكرة الاحسان ، واتصف القضاء بالرحمة والتيسير ، وبنزاهة الإيمان ، ونصفة الخير المطلق . وهكذا جاءت الشريعة الإسلامية شريعة إنسانية خالدة ، مرنة تساير حاجات الزمان وضرورات الحياة الاجتماعية ـ ص ٢١) .

ثم مهد الفقيد لبحثه عن الإمام مالك بن أنس بقوله : (كان مالك المؤسس والموطد لمدرسة أهل الحديث ، التي هي امتداد لمدرسة الحجاز ، التي ترجع في أصلها إلى الفاروق عمر بن الخطاب (رض) ، ثم إلى ابن عمر وابن ثابت وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين من بعدهم . وأخذ مالك العلم عن ربيعة الرأي ، وسمع الحديث ورواه عن كثير من التابعين وتابعي التابعين . فكان ثقة في الرواية ، وحجة في الفقه حتى لقب عن جدارة بإمام دار الهجرة ، وبإمام المدينة وإمام الحجاز ، ومفتي الحرمين وعالم العلماء ، وحتى وصل علمه وفضله وصيته إلى الذروة ، وذهب المثل فيه وفيمن أتى بعده من أشباهه : « **أيفتى ومالك في المدينة !** »

وهكذا ، عدّ مالك عالماً في الحديث ، وعالماً في السنة ، وعالماً في الفقه جميعاً . وكان له الفضل في تدوين الحديث والسنة تدويناً علمياً في

مصنفه المشهور « **الموطأ** » وفي تثقيف جيل من الأئمة ، وأشهرهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، الذي أقر بفضل مالك وبقيمة مصنفه ، حيث قال : « ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين . ومالك معلمي وعنه أخذنا العلم . وإذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك . وإذا جاء الأثر فمالك النجم ـ ص ٢٣)

وبعد أن بحث الفقيد في انتشار مذهب مالك وفي أدلة التشريع في هذا المذهب تكلم عن المصالح المرسلة ومافرعه عنها أتباعه ضاربا بعض الأمثلة ، ممهداً للبحث عن الأوزاعي إمام بلاد الشام بقوله : (**في أيام المحن القاسية ، يستلهم الناس عبر الماضي ، وتعاليم الدين والأخلاق ، ومبادىء العدالة** . ولم يخل التاريخ من العظماء والأقطاب الذين أظهروا هذه العبر ، وصاغوها عبارات تكفكف العبرات وتضمد الجراحات .

وهانحن في لبنان ، بعد محنة السنين البغيضة لابد لنا لاستعادة عافيتنا الاجتماعية من **ثورة روحية ، مستمدة من تراثنا الديني والأخلاقي ، الذي أقرته الأديان السماوية ، لاسيما الإسلام والمسيحية** .

وقد كان من هذا التراث الأصيل ، بلا ريب ، مذهب الأوزاعي وماحواه من تعاليم قيمة ، كانت ولاتزال مفخرة لهذه البلاد ، فالأوزاعي ، اللبناني المولد والموطن ، والعربي المحتد والثقافة ، والإنساني الفكر والعمل ـ كان أول من نادى بالوحدة الوطنية الصحيحة في هذه البلاد ، وحمل مشعل العدالة الصافية النقية من كل تعصب أعمى ، ليضيء بها زمانه ومابعد زمانه إلى الأبد .

وعندما أرّخ ابن خلكان للأوزاعي في كتابه « **وفيات الأعيان** » أشار إلى مقامه في قرية حنتوس ، جنوبي بيروت ، وروى قول أهالي تلك القرية : « **ههنا رجل صالح ينزل عليه النور** » .

وهكذا ، قبل أن تأسست منارة مطار بيروت بجوار مقامه ، كان الأوزاعي منارتها في أيام الظلمات ، ولايزال منارتها في أيام الظلامات .

أما الكلام على الأوزاعي ومذهبه ، فيستوجب المجلدات ، ولقد كتب الكثيرون عن حياته وبعض تعاليمه . إنما جماع مذهبه ، فقد ضاع مع الزمن ، ولم يبق منه إلاّ أقوال مبعثرة هنا وهناك ، في بطون المخطوطات ومطولات المذاهب الأخرى التي تفوق الحصر . وبكل تواضع ، أقول إني سلخت عشرات السنين في التقاط ماأمكن من هذه الأقوال وجمعها في كتاب (نشر سنة ١٩٧٨) مع اعترافي بأنه لم يصل إلى درجة الكمال ، إنما لم يكن بإمكان هذا العاجز أكثر مما كان . وعلى كل ، فالأقوال والتعاليم القيمة نادرة كالدرر الثمينة فلا تتحصل إلا بالجهد والغوص والتنقيب ـ ص ٣٣) .

وبعد أن ألقى الفقيد ضوءا على سيرة الأوزاعي تحدث عن علمه وأخلاقه وعن الأوزاعي المحدث والفقيه وكيفية انتشار مذهبه ثم اندثاره وعن أصول هذا المذهب وعدد المؤلفات فيه والمراجع إليه ثم تحدث عن الحركة القوية التي قامت في مستهل هذا القرن لإحياء تراثه وتحري أخباره وآثاره .

وختم الفقيد كلامه بالإشارة الى أهم المسائل التي عالجها مذهب الأوزاعي والأجوبة التي انتهى إليها علماؤه .

ثم تحدث الفقيد في كتابه عن قاضي قضاة بغداد الإمام أبي يوسف وآثاره ونهجه الفقهي وعن أهم المسائل التي أثرت عنه ، معدداً المؤلفات

التي يمكن الرجوع إليها لزيادة البحث والتوسع فيه .

ثم اختـار الفقيـد البحث المعمـق عن أقضى القضـاة أبي الحسن الماوردي ، ثم عن نواحي التجدد في اجتهادات الإمـام ابن قيّم الجوزيـة . وبعـده تكلم بتفصيـل عن عبقريـة ابن خلـدون وسيرتـه وآثـاره وعن علم العمران وما أبدعه فيه .

وختم الفقيـد كتابـه ببحث مطـول عن القـائـد والمفكر والمصلح الإسلامي الكبير محمد إقبال معرفاً به وبمنهجه الإنساني المعتـدل وبـدعوتـه المسلمين إلى النهضة والإبداع والإخـاء العـالمي ، ثم تحـدث عن جهود محمد إقبال وأثره وأثر شعره في إنشاء دولة باكستان الإسلامية .

كل هـذا بعـد أن بحث في فصل خـاص عن رجـل القـانـون المعـاصر علامـة العرب في عصرنـا الـدكتور عبـد الرزاق السنهوري واضع القـوانين المدنية لعدة أقطار عربية وصاحب مدرسـة « **إن جميع مـذاهب الفقـه الإسلامي يجوز الرجوع إليها والأخـذ منهـا لوضع القوانين التي تلاءم أوضـاع مختلف البـلاد العربيـة** » أي التي تتماشى مع أحـدث التشريعـات العـالميـة من جهـة وتتفق مع أحكام الشريعـة الإسلاميـة من جهة ثانية .

وبعد أن عدد الفقيد آثار السنهوري ركّز بحثه في مسؤولية السيد أو المخدوم عن أعمال خادمـه أو تـابعـه ، وهي من المسـائل التي كانت من أهم ميادين جهود السنهوري الموفقة .

الفقيد ومشروع نظام محكمة العدل الإسلامية الدولية

كانت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، بناءً على قرار مؤتمر القمـة الإسلاميـة الثـالث المنعقـد في مكـة المكرمـة ، دعت بعض العلمـاء والخبراء من ممثلي بعض الدول الإسلامية ، لوضع مشروع نظام لمحكمة عدل

لجانب مجمع اللغة العربية في دمشق الزاهر
مع صادق التحية والولاء
بيروت في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٤هـ المؤلف
ق ٢٤ آب ١٩٨٤

تراث الخلفاء الراشدين

في الفقه والقضاء

تأليف

المحامي الدكتور صبحي محمصاني

عضو المجامع العلمية العربية

رئيس شرف في محكمة الاستئناف والتمييز

نائب بيروت وأستاذ في كليات الحقوق في بيروت سابقاً

دار العلم للملايين

صورة خط الفقيد صبحي المحمصاني

وتوقيعه على كتاب أهداه إلى المجمع

إسلامية دولية تقرر انشاؤها ، ثم ألّفت لجنة فنيّة قانونية للنظر في المشروع الذي وضعه أولئك العلماء والخبراء ، وكان الدكتور صبحي المحمصاني من المدعوين ، كما كنتُ أنا في عدادهم ، إلى الاجتماع في مدينة جدة في أواخر عام ١٩٨١ م .

والتأمت اللجنة بتاريخ ٢٧ ـ ٣١ من كانون الأول (ديسمبر) من تلك السنة ، وسجلت افتقادها علم وخبرة الدكتور صبحي المحمصاني الذي اعتذر عن عدم الاشتراك مع زملائه بسبب حوادث مخلة بالأمن حالت دون وصوله إلى مطار بيروت الدولي(١٥) .

عمر فرّوخ ينعى الفقيد ويؤبّنه

في الرسالة التي تلقيتها من الدكتور عمر فرّوخ ، والتي أشرت إليها في صدر كلامي ، نعيُ الفقيد صبحي المحمصاني وأنه توفيّ في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٨٦ ، وأردف الدكتور فرّوخ تغمده الله برحمته يقول :

« دخلت أنا وصبحي المحمصاني عام ١٩١٩ م إلى القسم الثانوي في مدرسة رأس بيروت التابعة للجامعة الأميركية ، ونلنا شهادة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية سنة ١٩٢٤ (المقابلة للبكالوريا) .

كان صبحي المحمصاني يتمتع بذكاء كبير ، وفيما يتعلّق بحفظ مفردات العلم خاصّة . وقد ساعده ذلك في حياته المدرسيّة ثم في حياته العامة في المحاماة وفي التأليف .

إن صبحي المحمصاني لمعرفته باللغتين الإنكليزية والفرنسيّة ولحسن اطلاعه على الشرع الإسلامي ثم على القوانين المدنيّة في البلاد العربية وفي

(١٥) إن المشروع الذي تمت صياغته يومئذ ، لم يتخذ شرعيته النهائية مع الأسف ، لعدم التئام مؤتمر القمة الإسلامي في دورة عادية حتى اليوم !

البلاد الأجنبيّة ـ أصبح مرجعاً في القضايا القانونية الدوليّة ...

رحمه الله وجزاه خيراً عمّا قام به من الخدمة الجلّى في دراسة الشريعة الإسلامية ومن التأليف فيها » .

رحم الله فقيدنا الكبير وأجزل ثوابه وعوض العربية والشريعة الإسلامية خيراً .

ماهذا الكتاب

الدكتور أحمد خان

١ ـ ان باكستان تحظى بالمخطوطات العربية قدر ماتحظى بلاد إسلامية أخرى . ولكني أقول أسفاً إن أكثر هذه المخطوطات دفينة في الرفوف ، أو عرضة للضياع ، لأنها لم تجذب عيون من يقوم بتعريفها أو يخرجها من الخمول والإهمال . وقد أقلقني هذا الأمر فعقدتُ العزم أن أقوم بتعريفها ووصفها في المجلات العربية لمحبي التراث ..

وبهذه المناسبة أضع أمامكم كتاباً مهماً من نوادر كتب التراث ، وآمل عونكم لمعرفته .

٢ ـ انه مخطوطة من كتب الأدب العربي أسلوبها جميل خلاب ، تمور بالأبيات الكثيرة . ويظهر ، من قَدامة ورقها ، وغمط خطها ، أنها قد تكون وليدة القرن السادس الهجري . ولكني لم أهتد الى عنوان هذا الكتاب ، ولا الى مؤلفه ، لأن النسخة ناقصة من أولها وآخرها ، كما أن أوراقها مفككة ومضطربة . ولا أكاد أعرف من أية ورقة تبتدئ المخطوطة ، وبأي ورقة تنتهي .

وهذه المخطوطة تحوي (١٦٠) ورقة ، بقطع ٢٩ × ٢١ سم ، وفي صفحتها (١٥) سطراً .

وهاهي ذي رؤوس الأبواب أو الفصول التي وجدتها في المخطوطة مكتوبة بقلم جليّ ، قد تدلّ على شيء من مادة الكتاب ، وعسى أن ترشد الى هذا الكتاب القيم :

- من كره الزواج من البنات أو كرهه لهنّ غيرهنّ .
- فصل في ذكر البنات .
- فصل من أخبار البنات .
- من خطب لنفسه فتزوج .
- مَن خُطِبَتْ إليه ابنته فزوّج مكرها .
- مَن خطب ورُدّ .
- مَن خطبت إليه ابنته فردّ الخاطب .
- وأد البنات .
- مراثي البنات .
- أمّ صفارة بنت ثروان ابن أخي شعيب عليه السلام .
- اللطف بالبنات والشفقة عليهنّ .
- برّ البنات بالآباء ولطفهن بهم .
- ذكر حوّاء عليها السلام ووصف خَلْقها .
- ذكر أمّ موسى عليه السلام .
- ذكر مريم بنت عمران عليها السلام .
- بركات الأمّهات .
- الرّضاع والشبه .
- جلد الأمهات واحتسابهنّ وكرمُهنّ .
- كتاب الأمّهات .
- فصل في صفات النساء .
- فصل في أسنان النساء ، وأعضاء النساء .
- فصل في أخلاق النساء .
- من طلق زوجته مكرها .

- وفاء النساء لأزواجهنّ .
- كتاب الزوجات وصالهنّ بأزواجهنّ (؟) .
- فصل في الطلاق .
- بركات النساء .
- كرم أفعال النساء مع أزواجهنّ وغيرهم .
- حداد المرأة على زوجها .
- آسية بنت مزاحم امرأة فرعون .
- أمّ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .
- ذكر امرأة أيوب عليه السلام .
- ذكر بلقيس .
- خلاف الأبناء للأمّهات .
- مراثي الأمّهات والجدات والخالات .
- صفات النساء المحمودة والوصاة بهنّ .
- وصايا الأمّهات .
- غضّ البصر .
- اليتامى .
- غشيان النساء في الصوم .

وإن هذه الفصول أو الأبواب ليست بمرتبة ترتيباً صحيحاً ، فإننا كتبناها كما وجدناها في الأوراق المضطربة .

٣ ـ والرجاء من علماء اللغة ومحبي التراث أن يرشدوني إلى عنوان هذا الكتاب واسم مؤلفه ، كما أرجو منهم إشعاري عن نسخته الأخرى إن وجدت ، ليسهل عليّ ترتيب هذه الأوراق بعد مقابلتها بالنسخة الكاملة المرتبة .

وإن النسخة هذه نسخة قيمة ، جليلة القدر ، متوغلة في القدامة ، وقد قرئت على عالم أو مؤلف ، كما يظهر من علامة القراءة عليها . ولا أريد أن أتركها كما هي لتصبح رهينة الخمول ، ونضيعها أخيراً .

قال حاتم يا اجنبل خل سبيل أسيري فقال له جنبل انا أسرته فقال حاتم قد رضيت بقوله فقال اسرني ابو جنبل فقال حاتم

فان كان ابو جنبل بك غادراً الا من بني بدر اتتك الغوائل

نريد انه اشبه اخواله بني بدر في الغدر ع

فصل

عن [illegible] قال لما نزلت الم غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون [illegible] الى [illegible]
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم [illegible] ذلك وهم [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان [illegible]
والروم اهل كتاب وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم [illegible]
[illegible] الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا
يعلمون فخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى الكفار [illegible]
على اخواننا [illegible] الروم [illegible]
[illegible]

بحمده تعالى

جناب الاجل الامجد الافخم حميد الشيم حضرة سيدي العزيز السيد عبد القادر المغربي سلمه الله تعالى وابقاه آمين

بعد اهدى مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وادام الله عزكم ... خاطركم العاطر ... تكونون بخير وعافية وصلنا عزيز مشرفكم

المبارك وتلوناه مسرورين مع غاية الممنونية والهدية وصلت وتلقيناها بيد القبول وحسب الامر يجري العمل ان شاء الله تعالى

وحصل لنا بركة انفاسكم الطاهرة ونرجوكم منكم لا تنسونا من صالح دعاكم تجاه بيت الله الحرام ومهما يبدو من لوازم تشرفونا

عبد الله اسماعيل العلوي
١١ ج ١ ١٣٠٨

إني وجدت خطابا (أعلاه) للسيد عبد الله اسماعيل العلوي موجه إلى السيد عبد القادر المغربي. ومؤرخ في بداية القرن الرابع عشر الهجري، اذ كان السيد عبد القادر في مكة المكرمة أو متوجها اليه للحج أو لغرض آخر.

وجدت هذا الخطاب بين أوراق من كتاب بمكتبة أبي، ولا أعرف لماذا، وكيف وصل إليها. ولأن الخطاب يشير إلى أمر مهم أو آخر يلقي ضوءا على شيء من حياة علمين كبيرين، فننشره للإفادة عامة لعله يرشد أحدا يهتم بحياة هذين العلمين.

الدكتور أحمد خان
مجمع البحوث الإسلامية
ص ب ١٠٣٥
إسلام آباد، باكستان

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٨

محمد مطيع الحافظ - غزوة بدير

أ - الكتب العربية

- **أبحاث ندوة رأس الخيمة التأريخية (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا) (الجزء الأول)** - مركز الدراسات والوثائق - رأس الخيمة ١٩٨٧ .
- **إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٨ .
- **الأدب الديني** - (دراسات أدبية من القرآن والحديث) - د . زكي المحاسني - بيروت ١٩٨٨ .
- **الأحاديث الموضوعة** - ابن تيمية - حققها وعلق عليها محمود الأرناؤوط - راجعها وترجم لمؤلفها الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - الكويت ١٩٨٨ .
- **أعلام الدين في صفات المؤمنين** - الحسن بن أبي الحسن الديلمي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤٠٨ هـ .
- **الأمثال اليمانية (١ - ٢)** - جمعها وشرحها وقارنها بنظائرها من الأمثال الفصحى الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع - بيروت ١٩٨٤ .

- **بلاد شنقيط : المنارة والرباط** - خليل النحوي - تونس ١٩٨٧ .
- **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي** - جمعها وحققها وبيّن مواضعها القاضي إسماعيل بن علي الأكوع - بيروت ١٩٨٨ .
- **تاريخ الأحمدي** - الأمير أحمد حسين بهادر خان الهندي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - أشرف على الترجمة السيد محسن الخاتمي - راجعه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب - بيروت ١٩٨٨ .
- **تاريخ العلوم عند العرب** - محمد مطيع الحافظ - جامعة دمشق ١٩٨٨ .
- **تأملات في الصحيحين (دراسة وتحليل لصحيحي البخاري ومسلم)** - محمد صادق نجمي - تعريب وتعليق حسن مرتضى القزويني - بيروت ١٩٨٨ .
- **تربية المراهقين المعوقين (الادماج في المدرسة)** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٨ م .
- **الثغور الباسمة في فضائل السيدة فاطمة عليها السلام** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي بيروت ١٩٨٨ .
- **جامع المقاصد في شرح القواعد (١ - ٢)** - علي بن الحسين الكركي - قم ١٤٠٨ هـ .
- **حسن المقصد في عمل المولد** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٧ .
- **دليل تثبيت الكثبان الرملية** - د . الحسين الختالي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٨ .
- **دليل جامعة حلب (١٩٨٧ - ١٩٨٨)** - حلب ١٩٨٨ .
- **دليل الدوريات التربوية في الوطن العربي** - المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٨ .

ـ **شرح الأربعين النبوية** ـ محمد سعيد الجلالي ـ بيروت ١٩٨٧ .

ـ **العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف السين)** ـ الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ بغداد ١٩٨٧ .

ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم معاني كلمات القرآن الكريم)** ـ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين ـ تحقيق محمود محمد السيد الدغيم ـ استانبول ١٩٨٧ .

ـ **فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء** ـ إعداد محمد سعيد المليح ـ أحمد محمد عيسوي ـ الاسكندرية ١٩٧٨ .

ـ **ابن قتيبة اللغوي (منهجه وأثره في الدراسات اللغوية)** ـ د . عبد الجليل مغتاظ عودة التيمي ـ طرابلس ١٩٨٨ .

ـ **القضايا الخُلقية الناجمة عن التحكم في تِقنيات الإنجاب** ـ أكاديمية المملكة المغربية ـ المغرب ١٩٨٦ .

ـ **المثلث المختلف المعنى** ـ الفيروز أبادي ـ تحقيق ودراسة د . عبد الجليل مغتاظ عودة التيمي ـ طرابلس ١٩٨٨ .

ـ **المجموعة الإحصائية للعام الدراسي (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥)** ـ جامعة دمشق ـ ١٩٨٧ .

ـ **مختارات شعرية** ـ الكسندربلوك ـ نقلها إلى العربية د . أبو بكر يوسف ـ موسكو .

ـ **المدارس الإسلامية في اليمن** ـ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ـ بيروت ١٩٨٦ .

ـ **مستقبل التربية وتربية المستقبل** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٧ .

- **مُسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد** - علي بن أحمد الجبعي العاملي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤٠٧ هـ .

- **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** - جلال الدين السيوطي - تقديم وتحقيق د . التهامي الراجي الهاشمي - المغرب .

- **الموسيقا الأندلسية المغربية (فنون الأداء)** - عبد العزيز بن عبد الجليل - (عالم المعرفة) - الكويت ١٩٨٨ .

- **نصوص الدراسة في الحوزة العلمية** - تأليف جمع من العلماء - تقديم وتحقيق محمد حسين الحسيني الجلالي - بيروت ١٩٨٨ .

- **نظام التربية والتعليم في جمهورية إيران الاسلامية** - وزارة التربية والتعليم - ١٩٨٤ .

- **الوثائق السياسية اليمنية من قُبيل الاسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ** - جمع وتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي - بغداد ١٩٧٦ .

ب - المجلات العربية

- المعرفة	٣٠٨ - ٣٠٩	١٩٨٨	دمشق
- القانون	١ - ٤	١٩٨٧	دمشق
- نشرة الكتب الأجنبية في مركز الدراسات والبحوث العلمية	٥٠	١٩٨٧	دمشق
- المجلة الطبية العربية	٩٣	١٩٨٦	دمشق
- التراث العربي	٣١	١٩٨٨	دمشق
- الحياة التشكيلية	٢٥-٢٦-٢٧-٢٨	١٩٨٦ ، ١٩٨٧	دمشق
- النشرة الاقتصادية	١ ، ٢	١٩٨٨	دمشق

ـ صوت فلسطين	٢٤٦،٢٤٧،٢٤٨،٢٤٩	١٩٨٨	دمشق
ـ عالم الذرة	٧	١٩٨٨	دمشق
ـ المجلة البطريركية	٧٦،٧٧-٧٨	١٩٨٨	دمشق
ـ نهج الإسلام	٣١،٣٢	١٩٨٨	دمشق
ـ مجلة جامعة دمشق	١٠	١٩٨٧	دمشق
ـ الثقافة الباكستانية	١٢	١٩٨٨	دمشق
ـ الهند	١٠١*	١٩٨٨	دمشق
ـ موريتانيا	٣ ، ٤	١٩٨٨	دمشق
ـ الضاد	٥،٦،٧	١٩٨٨	حلب
ـ مجلة بحوث جامعة حلب	٩،١٠	١٩٨٧	حلب
ـ نشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	أيار-حزيران، تموز-آب	١٩٨٨	بغداد
ـ الثقافة الإسلامية	١٨	١٤٠٨	بيروت
ـ تراثنا	٢	١٤٠٨	بيروت
ـ الفكر العربي	٥١،٥٢	١٩٨٨	بيروت
ـ تاريخ العرب والعالم	١١٥-١١٦،١١٧-١١٨	١٩٨٨	بيروت
ـ الشراع	٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٢	١٩٨٨	بيروت
ـ المجلة العربية للتربية	٢	١٩٨٧	تونس
ـ تعليم الجماهير	٣١	١٩٨٧	تونس
ـ المجلة العربية للمعلومات	٢	١٩٨٧	تونس
ـ المجلة العربية للبحوث التربوية	١	١٩٨٨	تونس
ـ الثقافة	١٠٠	١٩٨٨	الجزائر
ـ دفاتر معاً	١	١٩٨٤	الجزائر
ـ المجلة الجزائرية للاتصال	آذار	١٩٨٨	الجزائر

ـ البيبليوغرافيا الجزائرية	٤٧	١٩٨٨	الجزائر
ـ المنتدى	٥٨، ٦٠	١٩٨٨	دبي
ـ الفيصل	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠	١٩٨٨	الرياض
ـ عالم الكتب	٢	١٩٨٨	الرياض
ـ اليرموك	٢٣	١٩٨٨	عمان
ـ أبحاث اليرموك	١	١٩٨٨	عمان
ـ رسالة المعلم	٥ـ٦	١٩٨٧	عمان
ـ رسالة المعلم	١	١٩٨٨	عمان
ـ التقييس	١، ٢	١٩٨٨	عمان
ـ آفاق علمية	٥	١٩٨٦	عمان
ـ مؤتة للبحوث والدراسات	١	١٩٨٨	عمان
ـ نشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني	٨	١٩٨٨	عمان
ـ العلم والمجتمع	٦٧، ٦٨	١٩٨٧	القاهرة
ـ ديوجين	٧٩	١٩٨٨	القاهرة
ـ مستقبليات	١	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦ ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢	١٩٨٨	القاهرة
ـ نشرة أخبار التراث العربي	٣٦	١٩٨٨	الكويت
ـ أخبار التراث الإسلامي	١٣، ١٤	١٩٨٨	الكويت
ـ الإحياء	٢	١٩٨٧	المغرب
ـ الوحدة	٤٤، ٤٥	١٩٨٨	المغرب
ـ الإسلام اليوم	٥	١٩٨٧	المغرب

ـ الدراسات الإسلامية	٢	١٩٨٨	باكستان
ـ النشرة الأخبارية	١٧	١٩٨٨	تركيا
ـ بناء الصين	٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩	١٩٨٨	الصين
ـ الصين المصورة	٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨	١٩٨٨	الصين
ـ دراسات شرقية	٣	١٩٨٨	فرنسا
ـ ثقافة الهند	١ـ٢ ، ٣ـ٤	١٩٨٦	الهند

جـ ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

- Ibla, 1, 1988

- Littérature Chinoise, 3, 1988

- la Nouve lle Revue Internationale, 6, 9, 1988

- Museum, 157, 1988

- Studia Islamica, LXVII, 1988

- la Chine, 5, 6, 1988

- Coree, 5, 6, 7, 8, 1988

- Kim Il Sung, De Quelques Taches Revenant Aux Structures De l' Union De la Jeunesse Travai lleuse Socialiste, 1988

- Opéra Révolutionnaire, Parle, Foret, Corée, 1974

- la Santé Publique, Corée, 1983

- Pour L' amitié et la Solidarité, Corée, 1982

☆ ☆ ☆

- Orient, XXIII, 1987

- Hamdard Islamicus, 2, 1988

- Hamdard Islamicus, 3, 1987

- Journal of Asian and African Studies, 35, 1988

- Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester, 1, 1988

- The Muslim World, 1, 1988

- Peasant Studies, 1, 4, 1987

- Mundus, 4, 1986

- Mundus, 4, 1987

- Mundus, 1, 2, 3, 1988

- Islamic Studies, 2, 1987

- Islamic Studies, 1, 1988

- Western Humanities Review, 1, 2, 1988

- Science in China, 5, 6, 7, 1988

- The Zionist, Mass Communication From Theory to Application, Tunis, 1988

- The Syrian Coastal Town of Jabla, Its History and Present Situation, Sato Tsugitaka, Tokyo, 1988

- Mirza Fath Ali Akhundzadeh and Literary Criticism, Iraj Parsinejad, Tokyo, 1988

- A Túrkish Dialect in North-Western Anatolia-Bolu Dialect Materials-Hayasi Tooru, Tokyo, 1988

- Studies in the Syriac Preface, Eva Riad, Sweden, 1988

- An Arab-Syrian Gentelman and Warrior in the Peniod of Crusades. Memories of Usa-mah Ian-Munqidh, Philip Hitti, U, S, A, 1987

- Annual Report 1987 Of the Librarian of Congress, Washington, 1988

☆ ☆ ☆

- Comptes Rendus de l'Académie Bulgare des Sciences, 5, 6, 7, 8, 1988

- Boletin de la Academia Argentina de Letras, 203-204, 1987

- Memoriile Sectiilor Stiintifice, 3, 1983

- Memoriile Sectiilor Stiintifice, 1, 1985

- Acta Biologica. Cracoviensia, XXIX, 1987

- Lettera dall' Italia, 10, 1988

- Iliria, 1, 1987

- La Verdad y Sus Amigos, Maher- A- Sulay man, Madrid, 1973

- La Ciudad del Garab, Abd Al-Basit Al-sufi, Madrid, 1969

- Influencia de la Filosofia Arabe en el Pugio de Raimundo Marti, Anqel Rodriguez. Bachiller, Madrid, 1969

- El Dificil Amor, Naguib Mahfuz, Madrid, 1969

- La Lirica del Quijote Y Sancho Panza, Pedro Echevarria Bravo, Madrid, 1968

- Filosofia de « El Collav. de la Paloma » de Ibn Hazm, Angel Rodriguez Bachiller. Madrid, 1969

- Cenizas, Zakariya Tamer, Madrid, 1969

- Un Metodo Critico, Muhamad Mandur, Madrid, 1972

- Hogar Tras las Fronteras, Issa Al-Nauri, Madrid, 1973

- Cuentos Jordanos, Issa Al-Nauri, Madrid, 1972

- Averroes Ibn Rochd, Anqel Rodriguez Bachiller, Madrid, 1968

- El Islam en Filipinas, AnqelRodriquez Bachiller, Madrid, 1968

- Boletin In Informativo Arabismo, 50, 1988

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والستين

الفهارس العامة للمجلد الثالث والستين

أ ـ فهرس أسماء كتاب المقالات
منسوقة على حروف المعجم

ب ـ فهرس المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

- ق -

- م -

- ن -